المجلد الاول من تفسير العيون نسخ

٢٩

اوراق عدد ٢١٧

سطر عدد ٢٩

المجلد الاول من تفسير شيخ رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما قيما لا يحوم حوله عوج وجعله كتابا محكما بنظم معجز ناطق
بالبينات والحجج والصلوة على رسوله المصطفى لقمع الضلال ورفع الهدى محمد واله
وصحبه مصابيح الدجى اما بعد فان كتاب الله تعالى المجيد هو منبع الاصول الدينية
ومجمع الاحكام الشرعية هو المختص بوصف الفصاحة والبلاغة من بين سائر الكتب
السماوية لانتهائه الى حد الاعجاز وغاية الايجاز لا سبيل لاحد الى درك ما فيه من الاسرار والمعاني
الا بتأييد الهي او بامداد نبوي وقد صنف كثير من العلماء الاعلام وانصار ملة الاسلام
تفاسير تكشف عن اسراره وتشرق عن انواره بعبارات رايقة وتركيبات شايقة ولكن
الاطلاع لبعض طلاب العجم والعرب من اهل الفضل والادب على تلك الاسرار والانوار
صعبا منها الدقة مسالكها وغموض مسايكها من الكشف الشافي والبيان الوافي فالتجات
الى الله الوهاب ملهم الصواب مع قلة البضاعة وقصور الباع في هذه الصناعة
ان انتخب من تلك التفاسير تفسيرا مختصرا قريبا من التناول بعيدا من التفاضل شافيا
في كشف حقايقه وافيا لدرك دقايقه تيسيرا لكل طالب فهم ان يكون ذا حظ من
علم القرآن العظيم اذ به انتظام صلاح العباد واغتنام الفلاح في المعاد من تحلى به
فقد فاز بالقدح المعلى ومن تخلى عنه يحشر يوم القيمة اعمى متوكلا على واهب العقل
السليم والهادي الى الصراط المستقيم وسميته عيون التفاسير للفضلاء
السماسير فان ترفيه شيئا من الخلل والفتور فانسبه الى العجز والقصور وان تعثر
على ما تقربه عينك فاعرفه من فيضان نور رب العالمين او الامداد من جناب سيد المرسلين

مقدمة يذكر فيها اشياء يحتاج المفسر اليها منها معرفة الانزال والتنزيل وكيفية
النزول قيل للمحققين في الانزال قولان الاول ان مجموع القرآن انزل من اللوح المحفوظ
الى ملك السماء الدنيا وهو العقل الفعال دفعة واحدة فعلى القول الاول يكون
الانزال من العقل الى قلب النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة او ثلث وعشرين على
الاختلاف وعلى الثاني يكون الانزال من اللوح الى قلبه عليه السلام في عشرين سنة او ثلث
وعشرين والتنزيل ظهور القرآن بحسب الاحتياج بواسطة جبريل على قلب النبي عليه
السلام وفيه طريقان احدهما ان النبي عليه السلام كان ينخلع من الصورة البشرية
الى الصورة الملكية ويأخذه من جبريل بحسب المصالح وهو الاصعب وثانيهما ان الملك
كان ينخلع من صورته الى الصورة البشرية حتى يأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم منه
ففي التنزيل تدريج دون الانزال واختلفوا في كيفية النزول فبعضهم قال ان ظهور
القرآن على قلب الرسول من غير انتقال من قولهم انزل على فلان سرور ونزل بفلان غم
اذا ظهر وقال بعضهم ان الله تعالى افهم كلامه جبريل في السماء وهو متعال عن المكان
فتمثل فيه ثم جاء جبريل من السماء الى الارض وعلم النبي صلى الله عليه وسلم قراءته
فلا انتقال في كلامه تعالى اصلا ومنها معرفة التفسير والتاويل والفرق بينهما قالوا
التفسير في الاصل هو الكشف والاظهار وحده توضيح معنى الاية وشانها وقصتها
والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة والتاويل في الاصل
الترجيع وحده صرف الاية من معناه الظاهر الى معنى يحتمله اذا كان المحتمل الذي
يراه موافقا بالكتاب والسنة مثالهما ما يقال قوله تعالى يخرج الحي من الميت
ان اراد منه اخراج الطير من البيضة كان تفسيرا وان اراد اخراج المؤمن من الكافر
او العالم من الجاهل كان تاويلا والاول يحتاج الى السماع من الثقات لتعلقه
بالرواية لئلا يقع في ورطة الهلاك لقول النبي عليه السلام من فسر القرآن برايه
فقد كفر وفي رواية من فسر القرآن برايه واصاب فقد اخطاء فيحمل الاول على
من فسره ولم يصب ولقول ابي بكر رضي الله عنه حين سئل عن معنى الاب في قوله
تعالى وفاكهة وابا لا ادري ما الاب قيل له قل من ذات نفسك فقال اي سماء
تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في القرآن بما لا اعلم فالسماع شرط على من يفسر
ولو كان واقفا على احوال التنزيل ووجوه اللغة والاعراب والثاني لا يحتاج
السماع بعد ان وقف على احوال التنزيل ووجوهه لغة واعرابا وطرق استعمال
الالفاظ على المعاني المرادة حقيقة ومجازا وصراحة وكناية ووفقه الله بنور
البصيرة لان يقف على اسرار القرآن وكيفية استنباط المعاني المكنونة تحت
كلماته المصونة لتعلقه بالدراية لقول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس
رضي الله عنه اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ولقول علي رضي الله عنه لو
شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب اشارة الى كثرة معاني
القرآن واسراره لا يطلع عليها الا من وفقه الله بنور البصيرة الخاصة قال ابو الليث
رحمه الله في تفسيره اذا لم يعلم الرجل وجوه اللغة واحوال التنزيل فتعلم التفسير
وتكلف حفظه فلا باس بان يفسر كما سمع ويكون ذلك على سبيل الحكاية وفيه
اشارة الى جواز نقل المسموع من التفسير الى غيره من غير تبديل المعنى ومنها معرفة

الناسخ والمنسوخ لما روى عن السلف انّ من تكلم في شيء من علم التنزيل ولم يعلم الناسخ
من المنسوخ كان ناقصا وقد روى المنع عن علي رضي الله عنه حين دخل المسجد
ورأى رجلا يفسر القرآن والناس حوله فقال له اتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا فقال
هلكت واهلكت لا تفسّره بعده ولان النسخ بيان منتهى الحكم والحكم قد يختلف
بتبدل مصالح الخلق على اختلاف الازمنة فجاز ذلك ومنها معرفة المكي والمدني لجواز اختلاف
التاريخ والنسبة الى مكة او المدينة ويحققها باعتبار اقامة النبي صلى الله عليه وسلم
باحديهما سواء نزلت الآية فيها او في الخارج عنها حيث كان صلى الله عليه وسلم قريبا
منها او بعيدا وقيل باعتبار البلد وقربه ومنها معرفة نظم التركيب والترتيب بالاصول
المعتبرة في فن البلاغة والفصاحة فان من تصدى لتفسير القرآن وقد عرى عنها
احتجبت عنه مستودعات حقايقه ومستترات دقايقه وبالله استعين على اتمام
ما نويته واستعيذ من الزلل فيما نحوته واساله ان يلهمني لما اراده من كتابه العزيز ويهديني
الى تحقيقه من البارز والكنين انه خير مسئول واكرم مأمول بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الفاتحة سميت بها لان القرآن افتتح بها لكونها اول سورة نزلت بكمالها على
اكثر الاقوال وهي لم تنزل على من قبل هذه الامة من الامم وسميت مثاني ايضا لانها نزلت
مرتين او لانها تثنى في الصلوة والصحيح انها مكية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم
بحراء لاجل صلوة علمه جبرئيل عليه الصلوة والسلام اياها بشرايطها ليعبد الله تعالى بها واختلفوا
في البسملة منهم من قال انها ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها وانما كتبت للفصل
والتبرك بالابتداء بها وعليه ابو حنيفة رضي الله عنه ومن تابعه ولهذا لا يجهر
بها الجهرية عندهم ومنهم من قال انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي رحمه الله
واصحابه ولهذا يجهرون بها في الصلوة وروى عن ابن عباس رضي الله عنه من تركها
فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى والباء فيها يتعلق بفعل مقدر
بعدها لاهتمام ذكر الله تعالى بالابتداء ردا للكفار عن ارادة الاهتمام بذكر اسماء اصنامهم
حيث كانوا يقولون باسم اللات وباسم العزى واما تقديم الفعل في اقرأ باسم ربك فلان
الاهتمام فيه الامر بالقراءة ومعنى بسم الله بسم الاله الذي تحير الناظرون في عظمته
وجلالته من اله اذا تحير من الولاهة او من اله اذا عبد من الالوهة والحق انه ليس
بمشتق بل اسم غير صفة علم للذات القديم المستجمع لجميع الصفات الحميدة
والا لكان كليا تعالى عنه ولانه لو كان صفة لم يبق للصفات موصوف يجري هي عليه
وهو مما لا بد منه لفظا او تقديرا لئلا يلزم الخروج عن استعمال العرب ولا تفخم لامه اذا
كان ما قبله مكسورا للتثقل الرحمن اي الذي يرحم كافة الخلق بايصال الرزق والنفع اليهم

الحكم باختلاف

في الدنيا من الرحمة وهي في الاصل التعطف واستعملت للانعام مجازا هنا وقال ابن
الحاجب الرحمن مجاز لا حقيقة له الرحيم اي الذي يرحم المؤمنين خاصة يوم القيمة
بترك عقوبة من يستحقها وايصال الثواب لهم في الجنة وانما ترك رعاية الترقي من الادنى
الى الاعلى تعظيما لله بالوصف الابلغ وتتميما بالوصف الالطف والفرق بينهما ان الرحمن
عام معنى وخاص لفظا لا يطلق على غيره تعالى والرحيم خاص معنى وعام لفظا يطلق
على غيره ويسمى به الحمد اي جميع المحامد والاثنية لله تعالى معبود الخلق بالحق عينية كانت
او عرضية فاللام فيه للاستغراق عند اهل السنة والجملة مبتدأ وخبر محلها نصب
مفعول امر مقدر من القول لتعليم عباده كيف يحمدونه تقديره قولوا الحمد لله
ولذا لم يقل الحمد لي وفيه معنى الشكر والمدح لكن الحمد اعم من الشكر لان الحمد يقال في مقابلة
النعمة وغيرها والشكر لا يقال الا في مقابلة النعمة وهو بالقلب واللسان والجوارح والحمد
باللسان وحده قيل الحمد رأس الشكر لان عمل اللسان اوضح دلالة على الثناء بخلاف عمل
القلب لخفائه وبخلاف عمل الجوارح لاحتمال والمدح اعم من الحمد لاقتضاء الحمد صدق
الحامد في المحمود والمدح لا يقتضي صدق المادح في الممدوح فكل حمد مدح وليس كل مدح
حمدا رب العالمين اي مربي جميع الخلق ومالكهم والرب مصدر بمعنى الفاعل يستعمل
للسيد اذا دخل فيه لام التعريف اختص بالله وبالاضافة تعم يقال رب العرش ورب
الدار وكذا بتنكيره والعالم كالخاتم اسم ما سوى الله تعالى من الجواهر والاعراض وانما سمي به
لانه يعلم به الخالق القديم وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه وجمع بجمع العقلاء تغليبا لهم
على غير العقلاء لان كل شيء دال على وحدانية الله تعالى فكانه عالم يتعلم منه ذلك ويستدل
الرحمن الرحيم صفة بعد صفة كررهما لتاكيد رحمته على خلقه وبيان سبقها
على غضبه مالك يوم الدين صفة اخرى لبيان جبروتيته واختصاص الحكومة
ثمة اي حاكم يوم الحساب والجزاء يعني لا ينازعه احد في ملكه وحكمه كالمتنازعين في الملك
والحكم في الدنيا وقرئ ملك بمعنى المالك وقيل الملك من الملك بالضم عام من جهة المعنى
وفيه معنى التسلط والمالك من الملك بالكسر خاص وفيه معنى الاستحقاق فكل مالك
ملك وليس كل ملك مالكا واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع وهو جعل المفعول
فيه بمنزلة المفعول به كقولهم يا سارق الليل والمعنى على الظرفية اي مالك الامر كله في
يوم الدين وهي اضافة حقيقية بمعنى الاستمرار فجاز وقوعه صفة للمعرفة وخص ذكر
يوم الدين مع انه مالك يوم وغيره ليدل على انه لا ملك لاحد في ذلك اليوم والمراد منه
الوقت المطلق من النهار والليل وهو اليوم اللغوي لا اليوم العرفي وهو مدة من طلوع
الشمس الى غروبها ولا الشرعي وهو من طلوع الفجر الثاني الى غروبها اذ لا شمس يوم الدين

روي ان لله تعالى مائة الف عالم وروي
ان الله تعالى خلق مائة الف قنديل و
علقها بالعرش فالسموات والارض
وما فيهما حتى الجنة والنار كلها في
قنديل واحد ولا يعلم احد ما في باقي
القناديل الا الله تعالى وقال كعب الاحبار
لا يحصي عدد العالمين احد الا الله
تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو
خسرو

اياك نعبد اى نخصك بالتوحيد والعبادة وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب
ليكون تفرقة بين حالتى الحامد وهما المدح للغايب بسبب استحقاقه كل الحمد والحكاية
عن نفسه ببيان احواله على وجه التذلل والخضوع بين يدى الغايب بالخطاب اليه
مبالغة فى استحصال مقصوده منه واياك نستعين اى ونخصك بطلب المعونة
منك على جميع امورنا وتكرير اياك لنفى احتمال ونستعين بغيرك وقدمت العبادة
على الاستعانة لان الوسيلة يقدم على الطلب وانما قرنت بها جمعا بينهما يتقرب به
العباد الى الله وبين ما يطلب للحاجة قوله اهدنا الصراط المستقيم استيناف
كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا اى ثبتنا على صراطك الموصل الى المطلوب
وهو الطريق الواضح الذى لا عوج فيه وهو الاسلام او القرآن وما فيه من الادب والاحكام
وقيل امتنا على الهداية لانهم كانوا مهتدين ويبدل من الصراط صراط الذين انعمت
عليهم اى طريق احبائك الذين اصطفيتهم بالايمان ومننت عليهم بعبادتك على
الاستقامة او على المشاهدة وهى العبارة عن الاحسان فى الحديث وهم الانبياء والاوليا
قرئ فى الصراط بالسين وبالصاد الخالصة وباشمام الصاد الزاء غير المغضوب
عليهم مجرور بكونه نعتا للذين انعمت او بدلا منه وانما جاز الوصف به هنا لان
المضاف اليه ضد المنعم عليهم فلم يبق فى غير ابهام يابى عن ذلك اى صراط غير الذين
غضب عليهم باللعنة والخذلان فتركوا الاسلام وغضب الله عليهم ارادة الانتقام
من العصاة والكفار وهم اليهود والنصارى لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه
قيل عليهم بعد انعمت مفعوله وبعد المغضوب فاعله ولا الضالين
اى وصراط غير الذين ضلوا عن طريق الهدى بمتابعة الهوى وهم النصارى لقوله
تعالى ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل قيل لا فيه بمعنى الغير او فى غير معنى
النفى فلذا جاز العطف مع لا مع انتفاء شرطه هنا وهو ان يكون فى المعطوف عليه
لا مثلها قوله آمين بالمد والقصر مع التخفيف اسم فعل مبنى على الفتح لانه
صوت بمعنى استجب او افعل يا رب مرويا عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى ايضا
انه قال لقننى جبريل آمين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب
اى كالطابع على الصحيفة يمنع من اطلاع احد على ما فيه وهو ليس من الفاتحة ولا من القرآن
لانه لم يكتب فى الامام ولم ينقل احد من السلف انه قرآن ومن اعتقد بذلك فقد اخطاء
وارتد باقتاء الخلف ولذا يقرأ مفصولا عن الفاتحة ونقل عن ابى حنيفة رضى الله عنه
ومن تابعه انه يخفى بعد قراءة الفاتحة وعن الشافعى واصحابه انه يجهر به الامام والمأموم
لما روى عن وايل بن حجر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين

ورفع

ورفع صوته بها فقراءته بعد الفاتحة سنة بالاجماع للخبر وروى حذيفة ابن اليمان ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبى
من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه تعالى فيرفع عنهم العذاب
اربعين سنة سورة البقرة مدنية قيل يجوز ان يقال قرأت البقرة وسورة البقرة
لورود العبارتين فى الاحاديث وقيل يجوز اطلاق البقرة اذا ضم اليها ما لم يتكلم به
كالانزال والقراءة دون المس والنظر اليها والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الم قيل هو سر بين الله ورسوله لا يعلم الا بنور النبوة وقيل من المكتوم الذى لا يفسر
وفائدته الايمان به وقيل انه قسم اقسم الله به ان القرآن هو الكتاب الذى
انزل من عنده على محمد رسوله بجبريل يعنى ليس من تلقاء نفسه وقيل كل حرف من الحروف
المقطعة فى اوايل السور مفتاح اسم من اسمائه الحسنى فمعنى الم الله اللطيف المجيد
انزل عليك الكتاب الموعود فى التورية والانجيل وهى آية عند الكوفية بالعلم
التوقيفى وكذا ساير الفواتح خلافا للبصرية وهى اسماء حقيقية حروف مجازا لانه حكى
عن الخليل انه قال لاصحابه كيف تلفظون بالكاف فى لك والباء فى ضرب فقالوا كاف با
فقال قلتم بالاسم لا بالحرف وانا اقول كه به فدل ذلك على اسميتها وانما لم تعرب
لعدم العامل فيها ولا محل لها من الاعراب عند من لم يجعلها اسماء للسور كالجملة المبتدأة
وعند غيره يجوز الرفع اما على الابتداء او على الخبرية والنصب على حذف حرف الجر
واعمال فعل القسم فيها والجر لصحة القسم بها باضمار حرف الجر وتقديره فيها كما قيل فى
قولهم الله لافعلن بالنصب والجر على اللغتين وسكونها وقف وليست ببناء والا
لما ذكر كيف واين كانه قال اقسم بهذه السورة ذلك اى هذا الكتاب
الكامل الذى وعدتك بانزاله وانما اشار بذلك الى ما ليست ببعيد لان الكتاب من حيث
كونه موعودا فى حكم البعيد قيل على تقدير جواز ان يكون الم مبتدأ عند من جعله اسما
يكون ذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول وعلى جواز كونه
خبر مبتدأ محذوف اى هذه الم يكون ذلك خبرا ثانيا والكتاب صفته وعلى جواز
نصبه وجره يكون ذلك مبتدأ خبره الكتاب او هو صفته والخبر لا ريب فيه
اى لا شك فى انه من عند الله وهو خبر فى معنى النهى اى لا ترتابوا او لا شك عند اهل
العقل والايمان به والشك هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لاحدهما على الآخر عند
الشاك ولم يتقدم الظرف على الريب لئلا يذهب الفهم الى ان كتابا آخر فيه الريب
لا فيه قوله هدى خبر مبتدأ محذوف اى هو هدى اى رشد وبيان والمراد بالهدى

او مبتدأ خبره محذوف اى فيه هدى او حال من الكتاب والعامل فيهما ما فى اسم الاشارة من
معنى الفعل يعنى أُشيرُ او أُنبّهُ اليه هاديا **للمتقين** اى للضالين الصايرين الى
التقى بعد الضلال فاختصر الكلام اعتبارا للتسمية بما يؤول اليه ولو قال للضالين
لدخل فيهم الفريق الباقون على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وليس الكتاب هدى لهم
وقيل خص المتقون بالذكر لانهم هم المنتفعون بالهدى والتقوى صيانة النفس
عما يستحق به العقوبة من فعل او ترك قيل لا يدخل فى التقوى اجتناب الصغاير اذا تاب
عن الكباير لانها مكفرة عن مجتنب الكباير وقيل يدخل فيه لقوله صلى الله عليه وسلم
لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس ثم وصف المتقين
على طريق الكشف والبيان بقوله **الذين يؤمنون بالغيب** اى يصدقون بالغيب فى حال
الغيبة بخبر البعث بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار وغير ذلك من اخبار النبى
صلى الله عليه وسلم فيكون الغيب مصدرا والباء متعلقا بمحذوف فى محله نصب على
الحال اى يؤمنون ملتبسين بالخفاء والغيبة كالتباسهم بالحضور لا كالمنافقين وقيل
الغيب فيعل خفف كالميت وهو الخفى عن العيون لا يعلمه ابتداء الا اللطيف الخبير
وقيل الغيب بمعنى الغايب والباء صلة الايمان وهو الله او القرآن يعنى يقرون بان الله
اله واحد لا شريك له او بان القرآن حق نازل من عند الله والايمان التصديق بالقلب لغة
وفى الشرع هو الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان على ما هو الحق والتصديق بالعمل هو
المنقول عن السلف والاسلام هو الخضوع والانقياد بما اخبره الرسول صلى الله عليه
وسلم فكل ايمان اسلام دون العكس قيل من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق ومن شهد ولم
يعمل واعتقد فهو فاسق ومن اخل بالشهادة فهو كافر **ويقيمون الصلوة** اى يأتونها
بحقوقها من اقام الامر اذا اتى به مع اعطاء حقوقه والصلوة بمعنى الدعاء لغة وفى
الشرع افعال مخصوصة كالطهارة وستر العورة واستقبال القبلة ورعاية
الوقت واركان معلومة كتكبيرة الافتتاح والقيام والقراءة والركوع والسجود
والقعدة الاخيرة والنية والمراد الصلوات الخمس او اعم منها قيل ان العبد اذا صلى
صلوة تقبل منه يخلق الله ملكا يقوم ويصلى لله تعالى الى يوم القيمة وثوابه لصاحب
الصلوة والمراد من اقامتها تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ فى فرايضها وسننها و
ادابها **ومما رزقناهم** اى مما اعطيناهم من الرزق وهو اسم ما ينتفع به ذو حيوة
من الخلق واسناده الى نفسه ايذان بان يكون حلالا صرفا وادخال فيه من للتبعيض
دفعا للاسراف والتبذير المنهى عنهما **ينفقون** اى يخرجون عن ايديهم فى سبيل الله
والانفاق هو الاخراج عن اليد وهو يتناول صدقة الفرضية والتطوع قيل نزلت

هذه

هذه الآية فيمن امن من العرب ونزل فيمن امن من اهل الكتاب اليهود والنصارى •
والذين يؤمنون بما انزل اليك اى بالقرآن كله وفيه تغليب للموجود على
ما لم يوجد بعد من الايات **وما انزل من قبلك** اى ويؤمنون بالذى
انزل قبلك من التورية والانجيل وساير الكتب المنزلة على الانبياء **وبالآخرة**
هم يوقنون اى وبالدار الاخرة من دار الدنيا هم يعلمون بغير شك فلا يغفلون
عنها ولا يعملون بما يعاتبون او يعاقبون عليه وفى تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض
لليهود والنصارى حيث قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا لن
تمسنا النار الا اياما معدودات فانهم اثبتوا امر الاخرة على خلاف حقيقته لان قولهم
ليس بصادر عن ايقان فدل التقديم على التخصيص بان ايقان من امن بما انزل اليك وما انزل
من قبلك مقصور على الاخرة الحقيقية لا يتجاوز الى ما اشتبه الكفار بالاقرار من اهل الكتاب
والايقان علم بلا شك بعد ان لم يكن ولذا لا يطلق على علم الله يقين **اولئك** اى اهل هذه
الصفة **على هدى** اى على بصيرة ورشد **من ربهم** فى الدنيا يعنى تبين لهم طريق
الفلاح قبل الموت **واولئك هم المفلحون** اى الفائزون بالجنة والناجون من
النار يوم القيمة وتكرير اولئك للدلالة على ان كل واحد من الحكمين مستبد فى تميزهم به عن
غيرهم فكيف بهما وتوسط العطف بينهما تنبيه على تغايرهما فى الحقيقة وفايدة الفصل
بين المبتدء والخبر للدلالة على ان ما بعده خبر لا صفة وان المسند ثابت للمسند اليه
دون غيره ثم ابتداء بقصة الكفار بعد قصة المؤمنين تبرك العطف للتباين الكلى
بينهما فقال **ان الذين كفروا** اى ستروا الحق وجحدوه وهو القرآن ونبوة محمد
صلى الله عليه وسلم **سواء عليهم** اى مستو لديهم **ءانذرتهم ام لم تنذرهم**
اى الانذار وعدم الانذار والهمزة فيه لمجرد الاستواء لا للاستفهام وهذا المعنى صير
الفعل فى تقدير الاسم فوقع مبتداء وسواء خبره مقدما عليه والجملة خبر ان وقرئ بهمزتين
مخففتين وبتسهيل الثانية فقط وبتسهيلهما مع ادخال الف بينهما وبابدالها الفا
المعنى خوفتهم ام لم تخوفهم **لا يؤمنون** جملة مؤكدة لخبر ان اى لا يصدقون بك وبما
جئت به من القرآن قيل هم المصرون على الكفر مثل كعب بن الاشرف وحيى بن اخطب
من رؤساء اليهود وقيل هم مشركوا العرب فعلى هذا عام مخصوص باسلام من اسلم ومن
سلم الى انتهاء الدنيا **ختم الله** اى طبع الله بضرب الختم **على قلوبهم**
وقفلها بخذلانه لئلا ينفذ الحق فيها من قبل اعواضهم عنه فى الظاهر واستكبارهم
عن قبوله مجازاة لكفرهم والقلب قطعة لحم مشكل بالشكل الصنوبرى متعلق
بالوتين مقلوبا واسناد الختم الى الله للتنبيه على ان اباءهم عن قبول الحق كالشئ

الخلق غير العرضى وعلى سمعهم اى على مواضع سمعهم فهم لا يسمعون الحق ولا ينتفعون
به وانما وحد السمع مع انه مضاف الى ضمير الجمع لانه مصدر او لامن اللبس كما فى قوله
كلوا فى بعض بطنكم اى بطونكم اذ البطن لا يشترك فيه وكرر على للدلالة على شدة الختم
فى الموضعين وعلى ابصارهم غشاوة برفع التاء مبتدأ وخبر والبصر نور العين
تبصر به الشئ اى استقر على ابصارهم غطاء اى غطاء يعنى غير ما يتعارفه الناس وهو
غطاء التعامى عن ايات الله تعالى فلا يبصرون الهدى بالنظر والاستدلال ولهم عذاب
عظيم اى لهم من بين الالام نوع عظيم دائم فى الاخرة لا يعلم كنهه الا الله و
العذاب هو العقاب الذى يرتدع به الجانى عن العود الى الجناية والعظيم ضد الحقير
كما ان الكبير ضد الصغير ويستعملان فى الجواهر والاعراض ومن الناس الى ثلث عشرة
اية عطف على قصة الكافرين نزل فى شان المنافقين من اليهود كعبد الله بن ابى بن
سلول واصحابه فانهم يبطنون الكفر ويظهرون الاسلام ليسلموا من المؤمنين فمن
للتبعيض اى منهم من يقول اى ناس يقرون باللسان امنا اى صدقنا بالله
وباليوم الاخر اى الوقت الدائم الذى هو اخر الاوقات المنقضية والمراد به
البعث واختص الايمان بالله واليوم الاخر بالتذكر لانهم او هموا فيه انهم احاطوا
الايمان باوله واخره اى المبتدأ والمعاد فوجب ان يكونوا مؤمنين جزما بالايمانين
ولذلك كرر الباء فى دعويهم على وجه الصحة والاستحكام والواو للحال وما هم
اى ليسوا بمؤمنين اى بمصدقين بالله لقولهم عزير بن الله ولا بمصدقين
بالبعث لانهم اعتقدوه على خلاف صفته لقولهم ان الاخرة لا اكل فيها ولا شرب
ولا نكاح ونعيمها ينقطع وفى الحكم عليهم بانهم ليسوا بمؤمنين نفى ما ادعوه على سبيل
البت والقطع لانه نفى اصل الايمان منهم بادخال الباء فى خبر ما وان لم يقل وما هم
بمؤمنين فان الاول ابلغ من الثانى ومن موصوفة ان كانت اللام فى الناس للجنس و
موصولة ان كانت اللام للعهد لان الكافرين عام شامل للفريقين المصرين فى الكفر
وغير المصرين ثم خص بقوله ختم الله وخص هنا بقرينة اخرى بالمنافقين وهى
توحد وتجمع نظرا الى اللفظ والمعنى فلذا قال يقول وما هم والباء زائدة لتاكيد النفى
كما فى خبر ليس المعنى ان بعض الناس يدعون الايمان وهم كاذبون فى دعويهم
ذلك وبين ذلك بقوله يخادعون الله اى يخالفون الله او نبى الله او ذكر الله
تحسين والذين امنوا اى يخالفون المخلصين فى ايمانهم باظهار الايمان باللسان
وستر الكفر فى القلب واصل الخدع الستر ولذا يقال للخزانة مخدع والمفاعلة هنا
من واحد وانما عدل اليها لقوة الداعى الى نفس الفعل كعاقبت اللص وما يخدعون

بالف

بالف المفاعلة من واحد وبغير الالف اى ما يضر وبال الخداع الا انفسهم لان وباله
راجع اليهم لافتضاحهم فى الدنيا بنزول القرآن لاظهار نفاقهم وبمعاقبتهم فى الاخرة
وما يشعرون ولا يعلمون ان وبال الخداع يرجع اليهم فى قلوبهم مرض اى شك وشر
مضر وهو مرض ويوهن افئدتهم وهنا يؤدى الى هلاكهم لان النفاق يهلك
صاحبه فزادهم الله مرضا بامالة الزاء وبغيرها اى امدهم الله بمرض اخر على
مرضهم لان كل اية نزلت عليهم كفروا بها وازدادوا شكا ونفاقا وهذا معنى الخبر ويحتمل
ان يكون دعاء على وجه التعليم منه تعالى لجواز الدعاء على المصرين على الكفر والنفاق
لانهم اهل الذم والطرد الى الدرك الاسفل ولهم عذاب اليم اى وجيع يصل المه
الى قلوبهم بما كانوا يكذبون بتخفيف الذال وتشديده اى بكذبهم فى قولهم
امنا او تكذيبهم محمدا ونسبتهم الى الكذب اياه فى دعوى النبوة والاخبار واذا قيل
لهم حكاية حال المكذبين قرئ بضم القاف وبكسرها فيه وفى امثاله فى القرآن
كغيض وحيل وسيق اى قال المؤمنون للمنافقين لا تفسدوا فى الارض
اى لا تسعوا بالفساد وهو خروج الشئ عن الاعتدال والانتفاع ونقيضه الصلاح
يعنى لا تعملوا المعاصى باضمار النفاق وصد الناس عن الايمان واسناد قيل الى لا تفسدوا
واسناده الى لفظه على تاويل واذا قيل لهم هذا القول قالوا كذبا منهم انما
نحن مصلحون اى نحن لا نفسد والصلاح خالص لنا فقال تعالى الا انهم هم
المفسدون فى الارض بانكار الحق وصد الناس عن دين محمد صلى الله عليه وسلم
والا كلمة تنبيه للمؤمنين على نفاقهم وتكريرهم لتاكيد ثبوت الفساد فيهم
ولكن لا يشعرون انهم اصحاب الفساد وانهم يعذبون غدا بنفاقهم
وذكر الشعور بازاء الفساد اوفق لانه كالمحسوس عادة واذا قيل لهم
اى لهؤلاء المنافقين وهم اليهود المؤمنون بلسانهم امنوا كما امن الناس
كعبد الله بن السلام واصحابه او المراد جميع المؤمنين لان الناس هم فى الحقيقة
والباقى كالبهائم لعدم تميزهم الايمان عن الكفر قالوا اى المنافقون بالانكار انؤمن كما
امن السفهاء اى الجهال الخفيف العقول قال الله تعالى الا انهم هم السفهاء
اى الجهال الحمقى لا غير بتركهم التصديق فى السر الموجب للسعادة الابدية
ولكن لا يعلمون انهم الجهال وذكر العلم فى مقابلة السفه انسب
طباقا لانه فى معنى الجهل ونزل فى شان المنافقين والمؤمنين واذا لقوا اى استقبلوا
الذين امنوا بالحق قالوا كذبا امنا كايمانكم فى حدوثه ظاهرا واذا خلوا اى
مضوا الى شياطينهم اى اصحابهم من المشركين والمنافقين والشيطان

من شيطن اذا بعد لبعده من رحمة الله تعالى **قالوا انا معكم** اى على دينكم
وثباته **انما نحن مستهزؤن** اى ساخرون بمحمد واصحابه والاستهزاء التجهيل والسخرية
يعنى نحن نسخر بهم باظهارنا الايمان وهو تاكيد لقولهم انا معكم فرد الله عليهم مستانفا
بقوله **الله يستهزئ بهم** اى يجازيهم جزاء استهزائهم بتجديده دايما يوم القيمة بان
يعذبهم بالنار وبان يفتح لهم بابا من الجنة وهم فى جهنم فيساقون منها الى ذلك الباب
فاذا وصلوا اليه سد الباب عنهم وردوا الى جهنم والمؤمنون على الارائك فى الجنة
ينظرون اليهم ويضحكون ويفعل بهم ذلك مرة **ويمدهم** اى يزيدهم بالامهال فهو
من المدد لا من المد فى العمر لقراءة البعض ونمدهم من الامداد **فى طغيانهم** اى فى
تجاوزهم الحد فى الكفر والضلالة **يعمهون** اى يتحيرون ويترددون فى ضلالتهم
عقوبة لهم فى الدنيا **اولئك الذين اشتروا** اى اختاروا **الضلالة** اى الكفر
والعدول عن الحق **بالهدى** اى بدل الايمان والسلوك فى الطريق المستقيم جعل
الهدى كانه فى ايديهم لتمكنهم منه وهو الاستعداد فميلهم الى الضلالة
عطلوه وتركوه والباء تصحب المتروك فى باب المعاوضة ومنها الاشتراء **فما ربحت**
تجارتهم اى اذا اشتروا به ذلك فما ربحوا فى تجارتهم والربح الزيادة على راس المال
وهو صنعة التجار وانما اسند الى التجار بالمجاز المرشح لاشتراء الضلالة بالهدى
المستعمل فى الاختيار على جهة التشبيه بجامع الاستبدال لتتميم الكلام وتزيينه **وما**
كانوا مهتدين اى مصيبين فى تجارتهم لعدم علمهم بطرقها او ما كانوا ناجين من
الضلالة ثم عقب صفة المنافقين بضرب المثل من اوجه ثلثة تتميما للبيان لان المثل
يصير الغائب كالمحسوس فقال مبتديا بالوجه الاول **مثلهم** اى شبههم فى ايمانهم
وهو قول سائر فى عرف القوم يعرف به معنى شئ فيه غرابة **كمثل الذى** اى الذين
من باب وضع واحد الموصول موضع الجمع منه تخفيفا لكونه مستطالا بصلته
كقوله وخضتم كالذى خاضوا والقرينة ما قبله وما بعده اى كشبه من **استوقد**
اى اوقد فى مفازة فى ليلة مظلمة **نارا** عظيمة خوفا من السباع وغيره وهى جوهر
لطيف محرق والنور ضوءها وضوء كل نير **فلما اضاءت** اى انارت
ما حوله مفعول اضاءت اى ما حول المستوقد من الاماكن والاشياء وحول نصب على
الظرف واصله الدوران **ذهب الله بنورهم** اى ازال نورهم بالكلية وذكر
النور ابلغ من ذكر الضوء لان فيه دلالة على الزيادة ولا يلزم من ذهابها ذهاب النور
راسا وهو جواب لما او جوابه محذوف اى طفئت ناره وذهب كلام مستانف
كانه قيل ما حالهم فقال اخذ الله نورهم **وتركهم فى ظلمات لا يبصرون** اى طرحهم

فى ظلمة متزايدة يتكاثف بعضها فوق بعض لا يبصرون ما حولهم والظلمة عدم النور فيما
شانه يستنير ومعنى ذلك ان المنافقين تكلموا بكلمة الشهادة مراءاة للمؤمنين فامنوا بها
على انفسهم وعيالهم واموالهم ومشوا فى ضوئها حتى اذا بلغوا الى اخر العمر كل لسانهم
عنها وبقوله وبقوا فى ظلمة الكفر ابد الابد وقيل نزلت الاية فى شان المشركين الذين تمكنوا فى
حوالى المدينة فانهم اذا حاربوا اعداءهم كانوا يستنصرون باسم محمد قبل بعثته مقرين
نبوته ويقولون بحق نبيك محمد ان تنصرنا فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم وقدم
المدينة حسدوه وكذبوه فخمدت نارهم وبقوا فى ظلمات الكفر ثم استانف بالوجه
الثانى بقوله **صم** اى هم متصامون عن اسماع الحق وقبوله **بكم** اى خرس عن قول
الحق بالاخلاص **عمى** اى فاقدو الابصار عن النظر الموصل الى العبرة التى تؤديهم
الى الهدى يعنى ان الله تعالى خلق هذه المشاعر الثلثة السمع واللسان والبصر لينتفعوا
بها فاذا لم ينتفعوا مع سلامتها بها جعلوا كانما انعدمت مشاعرهم **فهم لا يرجعون**
عن ضلالتهم الى الهدى ثم ذكر الوجه الثالث الذى هو اغلظ من الاولين بافعال
او للتخيير فيه بقوله **او كصيب** اى ان شئت شبههم بالمستوقد او باصحاب
الصيب وهو ما نزل من علو الى سفل والمراد المطر ويقال للسحاب صيب ايضا وهو معطوف
على خبر المبتدا اعنى كمثل تقديره او مثلهم كمثل اصحاب صيب ينزل **من السماء**
اى السحاب وفائدة ذكر من السماء ايذانا بان السحاب من السماء ياخذ ماءه لا كزعم من قال
انه ياخذه من البحر **فيه** اى فى الصيب او فى السحاب **ظلمات** رفعه بالظرف على
على الاتفاق لاعتماده على موصوف جمع ظلمة اقله ثلثة فحملت على ثلث ظلمات
فان عاد الضمير فى فيه الى المطر فظلماته تكاثفه وتتابعه والاخرى ظل الغمام
كانه فى المطر باعتبار المجاورة وان عاد الضمير الى السحاب وظلماته سواده وظلمة
تطبيقه والاخرى ظلمة الليل بانضمامها اليهما والجملة من فيه ظلمات فى محل الجر
صفة لصيب **ورعد** اى وفيه صوت قاصف يسمع من السحاب **وبرق** اى نار
خاطفة تخرج من السحاب وقيل الرعد ملك يسوق السحاب والبرق لمعان يظهر من
سوط الملك من النار يزجر به السحاب ليمطر وهو من الصواعق ولم يجمع الرعد والبرق
كظلمات لانه روعى اصلهما وهو المصدر وان اريد منهما العينان والضمير الفاعل
يرجع الى اصحاب الصيب مع كونه مضافا محذوفا اقيم مقامه الصيب فى قوله **يجعلون**
اصابعهم اى الانامل منها وفى ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس فى ذكر
الانامل وهى انهم يدخلون من شدة الحيرة اصابعهم كلها **فى اذانهم من الصواعق**
اى من اجل خوفها جمع صاعقة وهى قطعة نار مهلكة ينزلها الله تعالى على ما يشاء ليحرقه

من الصعق وهو الاهلاك قيل كل عذاب يهلك صاعقة روى كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمع الرعد وصواعقه اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا
قبل ذلك المعنى انهم يدخلون الانامل في اذانهم ادخالا شديدا للاحتراز عن سمع الصواعق
حذر الموت مفعول له اى لاجل مخافة الهلاك والموت عبارة عن فساد البنية الحيوانية
والله محيط اى محدق بالعلم والقدرة **بالكافرين** اى باعمالهم الخبيثة لا يفوت
احد منهم وقت التعذيب منه والاحاطة ادراك الشيء من جميع جوانبه ثم استأنف
بيانا لتهويل حال البرق كانه قيل كيف حالهم مع البرق فقال **يكاد** اى يقرب **البرق**
يخطف اى يسلب بسرعة **ابصارهم** اى نورها من شدة ضوء البرق وجملة
يخطف في محل النصب بكاد وشرط خبر كاد ان يكون فعلا مضارعا بلا ان لان الاستقبال
لانه موضوع لمقاربة وقوع الفعل المتأول باسم الفاعل ولذا لم يقل ان يخطف **كلما**
اضاء اى انار البرق الطريق في الليلة المظلمة **لهم مشوا** اى ساروا **فيه** اى في
ضوئه **واذا اظلم** اى ذهب ضوؤه فصار الطريق مظلما **عليهم قاموا** اى
وقفوا متحيرين في مكانهم قيل استعمال كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام لان تكرير
الفعل منهم في الاضاءة مطلوب وفي الاظلام ليس بمطلوب لهم المعنى ان المنافقين
شبهوا في نفاقهم وضلالتهم عن الهدى بمن كان في ليلة مظلمة في مفازة فنزل مطر
من السماء وفيه ظلمات ورعد وبرق لا يمكن المشي فيها ويجعل اصابعه في اذانه من هول
الرعد وتختلس البرق بصره من شدة ضوئه فكلما اضاء الطريق عند ذلك يمشي
فيه واذا اظلم عليه بقي متحيرا في مكانه لان المنافقين اذا تكلموا بكلمة الشهادة
يستأنسون بالمؤمنين ويعصون معهم آمنين من السيف والسبي مع كتمان الكفر في
قلوبهم وكلما ظهر لهم علامة من علامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مالوا اليه
مدة واذا اصاب المسلمين محنة كمحنة يوم أحد ثبتوا على كفرهم واذا قرئ القرآن
عليهم يتصاممون عن استماع آياته المنذرة والمبشرة مخافة ان ينزل عليهم شيء يكشف
سترهم ويظهر حالهم او مخافة ميل القلب الى الايمان لكونه عندهم كفرا فالمطر القرآن
لانه ينزل من السماء لاصلاح الناس وحيوة قلوبهم كالمطر ينزل من السماء لاصلاح الارض
وحيوة النبات والظلمات ذكر الشرك والنفاق وشبهاتهم في القرآن والرعد هو الوعيد
والانذار للعصاة بالنار والبرق ما ظهر فيه من العلامات النبوية والبشارة بالجنة وما فيها
من الوعد والصواعق التكاليف الشاقة والاخبار الدافقة فيه فهذه الامثال
الثلثة للمنافقين الذين كانوا في المدينة لايضاح الحجة عليهم **ولو شاء الله** مفعوله
محذوف اى لو اراد ان يذهب الاسماع التي في الرأس والابصار التي في العين كما ذهب

سمع قلوبهم وابصارها **لذهب بسمعهم وابصارهم** عقوبة لهم لانه لا يعجز عن ذلك
ان الله على كل شيء اى على موجود بالامكان **قدير** اى فاعل له على قدر ما تقتضيه حكمته
لا ناقصا ولا زائدا وهو صفة مخصوصة به تعالى ومثله المقتدر ومعنى القدرة ان يوقع الفعل
الفعل على مقدار قوته وبما يميزه عن العاجز فخرج المستحيل عند ذكر القادر على الاشياء كلها
والشيء يرادف الموجود واجبا او غيره ولا يطلق على المعدوم الا بالتجوز كقوله تعالى
لزلزلة الساعة شيء عظيم لانه قدر كالموجود لصدق الوعد به قوله **يا ايها الناس**
الاية مسبوق لاثبات التوحيد وتحقيق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اللذين هما
اصل الايمان قيل هو خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة حيث جاء
في القرآن وهو مقول لقول اى قل يا كفار مكة **اعبدوا** اى وحدوا واطيعوا **ربكم**
اى سيدكم ومربيكم بتربيتكم بترزيقكم **الذى خلقكم** اى اخترعكم ولم تكونوا
شيئا وخلق **الذين من قبلكم** من الامم وفي الوصف به ايماء الى سبب وجوب
عبادته تعالى **لعلكم تتقون** اى لكي تحصل رجاء منكم ان تتقوا عصيانه فتنجوا
بسبب التقوى من العقاب وخص المخاطبون بالذكر تغليبا لهم على الغائبين
ثم اشار اليه الى احسانه الى عبادة وجوب شكره عليهم بقوله **الذى** اى هو الذى
جعل لكم الارض فراشا اى بساطا يستقر عليه للاستراحة والعبادة
عليها بعد خلقهم قادرين الموجب لاداء حق الشكر له **والسماء بناء** اى
وجعلها عليهم سقفا مرتفعا كالقبة والظلة على هذا المستقر قيل السماء الدنيا
ملتزقة اطرافها على الارض **وانزل من السماء ماء** اى مطرا ينحدر منها على السحاب
ومنه على الارض وهو رد لزعم من زعم انه ولا يأخذ من البحر **فاخرج به** اى انبت بالمطر
والباء للسببية **من الثمرات** اى من انواعها والوان النبات ومن للبيان **رزقا** اى طعاما
وعلفا **لكم** ولدوابكم وهو مفعول اخرج المعنى ان الله تعالى انعم عليكم
بذلك كله لتعرفوه بالخالقية والرازقية فتوحدوه **فلا تجعلوا لله اندادا** اى امثالا
تعبدونهم كعبادة الله يعني لا تقولوا له شركاء تعبد معه والند المثل المخالف
اى في الافعال والاحكام وهو نهي عن اعتقادهم ان لهم آلهة مثله قادرة على مخالفته
والفاء عطف في لا تجعلوا على اعبدوا اى يأمركم بالعبادة فلا تشركوا به شيئا **وانتم**
تعلمون بالعقل والتمييز انه واحد لا شريك له في خلق هذه الاشياء الشاهدة بالوحدانية
وان آلهتكم لا تقدر على نحو ما هو قادر عليه فحقه ان تعرفوا انعامه عليكم بها
وتعتبروا بالنظر الصحيح الموصل الى التوحيد فتقابلوها بالشكر لا بالشرك ثم عطف
ما يدل على ثبوت المعجزة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم على ما دل على ثبوت

التوحيد فقال وان كنتم في ريب الا في شك مما نزلنا اي من الذي نزلناه من القرآن
على سبيل التدريج على عبدنا اي محمد صلى الله عليه وسلم بانه ليس من الله فأتوا اي جيئوا
بسورة من مثله اي من مثل القرآن يعني على صفته في البيان الغريب وحسن النظم
وعلوه او من مثل محمد صلى الله عليه وسلم يعني من بشير يشبهه عربيا اميا لم يقرأ الكتاب
ولم يتعلم من احد وليس القصد به الى مثل ونظير له في الوجود وانما هو تمثيل والسورة قطعة من
القرآن معلومة الاول والآخر واقلها ثلث آيات من اساورت في الاناء اذا زدت فيه شيئا
من ماء او طعام او السورة المنزلة الرفيعة لارتفاع قاريها في الدنيا والآخرة ماخوذ من
سور المدينة لارتفاعه على البناء قيل كان اذا قرأ الرجل عن ظهر القلب طائفة يعتبر من كتاب
الله لها فاتحة وخاتمة كسورة يعظم عند ما حفظه وبه يغتبط عند الناس ومنه ما روى
عن انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا اي عظم في اعيننا ولذا
كانت القراءة في الصلوة افضل بسورة تامة وادعوا شهداءكم اي استعينوا
بالهتكم الحاضرة القائمة او بناس يشهدون لكم كشعرائكم وعرفائكم من دون الله
اي من غير اوليائه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء واخفض من الشيء ومنه الدون بمعنى الحقير
ويستعمل بمعنى التجاوز ويستعار لتفاوت الاحوال والتغاير بين الشيئين ومحل دون الله
نصب على الحال اي متجاوزة من الله ان كنتم صادقين ان محمدا اختلق القرآن من تلقاء
نفسه وهو شرط جوابه محذوف وهو فافعلوا ذلك بدل عليه قوله فان لم تفعلوا
ما امرتم فيما مضى لعجزكم عن المعارضة وجازم الفعل لم لقربه وتوغله في الجزم دون ان
وانما اورد ان التي للشك مع ان عجزهم ظاهر لان اتيانهم به التامل كان كالمشكوك فيه لديهم
لاتكالهم على فصاحتهم وبلاغتهم وانما غير الاتيان مع ما يتعلق به بالفعل طلبا للاختصار
ثم نفى الفعل بالتاكيد بقوله ولن تفعلوا في المستقبل يعني لن تطيقوا عليه ابد الظهور
اعجاز القرآن بينكم معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ولن فيه لتاكيد النفي في
المستقبل والواو للابتداء ولا محل له من الاعراب لعدم وقوعه موقع المفرد لكونه
اعتراضا بين الشرط وجوابه وهو قوله فاتقوا اي احذروا وابا التوحيد لعجزكم عن
الاتيان بمثله وجحدكم بغير حجة النار التي وقودها اي حطبها وهو ما يوقد به
النار الناس اي العصاة والحجارة اي حجارة الكبريت والمراد ان اكثر وقودها
الناس والحجارة وقيل الحجارة اصنامهم التي نحتوها واتخذوها اربابا يعبدونهم من
دون الله وقيل يكون كل انسان من الكفار حجر معلق في عنقه اذا اطفيت به النار ترتب به
الحجر الى قعر جهنم قيل انما جعل حطبها من حجارة الكبريت لسرعة وقودها وبطوء خمودها
وشدة حرها ولصوقها بالبدن وقبح رائحتها وانما عرفت النار هنا ونكرت في سورة التحريم

لان الآية فيها نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة فاشار
الى ما عرفوه اولا اعدت اي هيئت تلك النار للكافرين بالقرآن ومحمد صلى الله عليه
وسلم وهذا لا يدل على اختصاصهم بها النار وقيل في هذه الآية دليلان على ثبوت النبوة
احدهما كون المتحدى به وهو القرآن معجزا والثاني الاخبار بانهم لن تفعلوا ذلك وهو غيب
لا يعلمه الا الله وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم عارضهم باتيان سورة من مثل القرآن
فعجزوا حتى بذلوا اموالهم ودماءهم دون ذلك وكونهم من الفصاحة والبلاغة بحيث
لا يخفى لاحد من العقلاء فظهر ان القرآن معجز في نفسه بنظمه ومعناه وهم ما عارضوه بشيء
فعلم انهم ما اتوا بمثله والا لتواتر بين الناس لتوفر داعي على نقله وحيث لم ينقل علم عدم اتيانهم
به وكان الاخبار عنه اخبارا بالغيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فثبت
عندهم صدقه ولكنهم لزموا العناد ولم ينقادوا فاستوجبوا العقاب بالنار ولذا
قيل فاتقوا النار اي احذروا سخطي وهذا من باب الكناية التي هي شعبة البلاغة ومن عادة
الكتاب العزيز ان يذكر الترغيب مع الترهيب فلذلك قال وبشر عطف على قوله فاتقوا
وقيل على قل المقدر قبل يا ايها الناس اي فرح يا محمد بخبر البشارة ويجوز ان يكون المخاطب
كل احد لا واحدا بعينه الذين آمنوا اي قلوبهم وعملوا الاعمال الصالحات التي
صدرت عنهم لله تعالى على حسب الحال من مواجب التكليف ان لهم جنات اي
بساتين كثيرة تجري من تحتها اي من تحت اشجارها وغرفها الانهار اي المياه التي فيها
المعلومة عند المخاطب ويجوز ان يكون اللام عوضا عن المضاف اليه اي انهارها روي
ان انهار الجنة تجري من غير اخدود وهو الشق من الارض بالاستطالة قيل انزه الجنات
منظرا ما كانت اشجارها مظللة وانهارها في ظلالها مطردة كلما رزقوا اي متى
ما اطعموا منها اي من الجنة من فيها لابتداء الغاية من ثمرة اي ثمرة بزيادة من وهي للبيان
او للابتداء المقيد بعد المطلق رزقا اي طعاما قالوا هذا الذي رزقنا اي اطعمنا من
قبل اي قبل هذه الثمرة لان لون الثمار في الجنة مشتبه وطعمه مختلف فاذا اطعموا
ثمرة اول النهار فاكلوا منها ثم اطعموا ثمرة اخرى في آخر النهار ظنوها الاولى واتوا به
اي جيئوا بذلك الرزق متشابها في اللون والجودة فاذا اكلوا وجدوا طعمه غير ذلك
اجود والذ يعني لا يكون فيها ردي وهذه الجملة معترضة للتقرير روي انه ليس في الجنة
شيء يشبه ما في الدنيا الا الاسماء ولهم فيها اي في الجنة ازواج اي نساء وحور مطهرة
اي مهذبة من كل قذر وعيب وقيل من حيض وبول وخلط ونحو ذلك في ابدانهن
ومن حسد وحقد ونظر الى الغير في قلوبهن وفي لفظ مطهرة فخامة دون طاهرة ولم يجمع
للاختصار وهم فيها خالدون اي دائمون احياء لا يموتون ولا يخرجون منها روي

ان اهل الجنة جرد مرد مكحلون لايفنى شبابهم ولايبلى ثيابهم تم بين شبهة
من شبههم فى حق القرآن وجوابها بقوله ان الله لا يستحيى اى لايمتنع بالحياء كالمستحيا
المتنع من ان يضرب يذكر للحق مثلا ما اى شبها حقا فما زائدة للتاكيد و
بعوضة مفعول ثان ليضرب لانه فى معنى يجعل وهى البق الصغير والاول مثلا
قيل حين قالت اليهود ما اراد الله بذكر الاشياء الخسيسة فى القرآن كالذباب والعنكبوت
والبعوضة فان ضرب المثل بنحوها مما يستحيى منه ردا عليهم على سبيل المقابلة كما فى قوله
ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات يعنى انه لايستحيى ان يصف الحق
وبيانه تشبيها بذكر البعوضة فما فوقها اى فبذكر الذى هو ازيد منها كالذباب
والعنكبوت اوفما دونها فى الصغر قيل انه من الاضداد وهو دابة يسترها الشكون
يعنى لايلوح ويظهرها التحرك يعنى لايلوح لايظهر للبصر الحاد الا بتحركها قيل سر ذكر
المثل بالبعوضة بتعريض الانسان لانها اذا جاعت عاشت فاذا اشبعت ماتت وكذلك
الانسان اذا استغنى فانه يطغى فاما الفاء فيه لاظهار التفاوت بين حالتى المؤمنين
والكافرين فى ضرب المثل واما حرف فيه معنى الشرط وضع لاعطاء فضل توكيد
النسبة وتفصيلها بعد ذكر المجمل وعلى استيناف الكلام ويقع الاسم
بعدها مبتداء ويلزم خبره الفاء كقولك اما زيد فذاهب تريد انه بصدد الذهاب لامحالة
بخلاف زيد ذاهب ومعناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب نص عليه سيبويه فى كتابه اى اما
الذين آمنوا بالقرآن ومحمد صلى الله وسلم فيعلمون انه اى المثل بالبعوضة والذباب
الحق اى الثابت الذى لايسوغ انكاره من ربهم اى كائنا منه تعالى فيؤمنون به
وفى ذكر اما فى هذه الجملة احماد عظيم لهم واعتداد بعلمهم انه الحق واما الذين
كفروا بها وهم اليهود والمشركون فيقولون ماذا تعريض لعنادهم للحق ورمى
لهم بالكلمة الحمقاء اى ما الذى فذا اسم موصول وما اسم استفهام مرفوع المحل
مبتداء خبره ذا مع صلته او ذا مع ما مركبة جعلتا اسما واحدا منصوب المحل فى حكم ما وحده
اى اى شئ اراد الله بهذا اى بالمثل الخسيس مثلا نصب على التميز او على الحال اى ممثلا
كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية والارادة القصد والطلب من غير كراهة وهى
معنى يوجب الحيا لايقع منه الفعل على وجه دون وجه آخر فاجابهم الله تعالى يضل
اى يخذل به اى بالمثل كثيرا من الكفار بتكذيبهم به يعنى لايوفقهم الهدى
فيزدادون ضلالا ويهدى اى يوفق به اى بالمثل كثيرا من المؤمنين
لتصديقهم به فيزدادون هداية ووصفهم بالكثرة مع وصفهم بالقلة فى قوله
وقليل من عبادى الشكور لان المهتدين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة لكونهم

على الحق

على الحق وكون اولئك على الباطل وما يضل به اى يخذل بالمثل وتكذيبه الا الفاسقين
اى الكافرين بالله الخارجين عن امره وقد جاء استعمال الفاسق على الكافر والمسلم بارتكاب
الكبيرة الذين ينقضون اى يكسرون عهد الله الذى عهد اليهم يوم الميثاق
بقوله الست بربكم ان تؤمنوا بمحمد وبما جاء به والعهد هنا الامر والوصية يعنى الذى
اخذ من بنى آدم من ظهورهم ثم تنقضون من بعد ميثاقه اى توكيده وتغليظه
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل وهو قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين
ويفسدون فى الارض بعمل المعاصى والصد عن سبيل الله اولئك هم الخاسرون
اى المغبونون بالعقوبة فى الآخرة مكان المثوبة فى الجنة قيل ليس من مؤمن ولا
كافر الا وله منزل واهل وخدم فى الجنة فان اطاعه تعالى اتى اهله وخدمه
ومنزله فى الجنة وان عصاه ورثه الله المؤمنين فقد غبن عن اهله وخدمه ومنزله
ثم استعنهم بالخطاب تعجيبا من كفرهم وتوبيخا لهم بعد قيام البرهان على وجوب
الايمان وهو تنقلهم من العدم الى الوجود ثم الى الموت ثم الى الحيوة يوم القيمة ثم الى
النار او الجنة فقال كيف تكفرون اى تجحدون بالله اى بوحدانيته ومعكم
ما يبصركم عن الكفر الى الايمان ومحل كيف نصب على الحال اى معاندين يكفرون فيل
كيف هنا يفيد انكار حال الكفر ولايلزم من ذلك انكار ذات الكفر اجيب بان حال
الكفر لازم لذات الكفر فى الوجود فاذا انتفى اللازم ينتفى الملزوم وهذا ابلغ واقوى لانه
دعوى الشئ ببينة والواو فى وكنتم امواتا للحال اى والحال انكم عالمون
بانكم كنتم نطفا بلا روح فى اصلاب آبائكم وقد يطلق لعادم الحيوة ميت كقوله
بلدة ميتا ولما كان الاحياء عقيب الموت بغير تراخ اورد الفاء فى فاحياكم
فى الارحام انهاكم ثم فى دنياكم وهذا الزام لهم بالبعث ثم يميتكم عند انقضاء
اجالكم ثم يحييكم للبعث يوم القيمة ثم اليه اى الى الله ترجعون
فى الآخرة يعنى يصيرون الى ارادته ومشيته تعالى فيجزون باعمالكم لانه فى جهته
فترجعون اليها لكونه مستحيلا عليه وعلم ذلك حاصل لكم فكيف تكفرون
فما العجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه وانما ورد ثم فى المواضع الثلثة لتصور التراخى فيها
فلما سمعوا البعث وقالوا من يستطيع ان يحيينا بعد الموت نزل هو الذى خلق
لكم اى قدر لاجلكم وانتفاعكم دينا ودنيا ما فى الارض اى الذى
فيها من الاشياء جميعا نصب على الحال من الموصول الثانى وهذه حجة لمن استدل
على ان الاصل فى الاشياء الاباحة الى ان يمنع الشارع بما يمنع منها وقيل اللام للتعريف
لا للتخصيص فالمعنى ان الله خلق لكم الارض وما فيها لتعملوا المعاشكم ومعادكم

وتستدلوا بها على صانعكم وتوحيده **ثم استوى** اى قصد بمشيته بعد خلق الارض
من غير قصد خلق شئ آخر وقيل صعد امره وهو كن فكان **الى السماء** اى خلقها
وهى جمع سموات جمع تكثير ولذلك جعل الضمير العائد اليها **فسويهن** جمعا ليحصل
المطابقة بينهما لفظا اى خلقهن مستويات من غير خلل فيهن او السماء مفرد
والضمير فيه مبهم فسر بقوله **سبع سموات** نصب تميز نحو ربه رجلا وقيل معناه
صيرهن فسبع سموات مفعول ثان لسوى وثم فيه لتفخيم شان فنزله منزلة السماء
وتفضيله على شان الارض لا للتراخى فى الوقت ولا ينافضه قوله تعالى والارض بعد
ذلك دحيها لان الدحى البسط وهو متاخر عن خلق جرم الارض الذى تقدم على خلق
السماء روى خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان
ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعها ثم
بسط منها الارض وقيل ان الارض كانت خشعة تحت الكعبة اى اكمة فلما خلق السماء
بسط الارض بعد خلقها **وهو بكل شئ عليم** اى محيط بكل خلق مجملا ومفصلا
والعليم هو الذى كمل علمه ويجئ بمعنى المعلم ثم امر النبى صلى الله عليه وسلم
بان يذكر لكفار مكة قصة الملائكة وما جرى بينهم وبين ربهم لاجل خلق آدم ليتذكروا
بها فان عادة الانبياء عليهم السلام التذكر لامهم فقال **واذ** مفعول اذكر مقدرة
اى اذكر لهم واخبرهم وقت **قال ربك** على سبيل المشاورة تعليما لعباده ان
يتشاوروا فى امورهم قبل الاقدام عليها **للملائكة** جمع ملأك فاسقط الهمزة
للتخفيف من الالوكة وهى الرسالة سموا بها لانهم رسل الله قيل المراد بعض الملائكة وهم
سكان الارض روى ان الله تعالى خلق الارض وخلق الجان من لهب نار لا دخان لها بين السماء والارض
والصواعق يكون ينزل منها وهو ابو الجن كآدم ابو البشر خلقهم منه واسكنهم فيها
فكثروا وعملوا فى الارض بالمعاصى وسفكوا الدماء بعث ملائكة سماء الدنيا مع ابليس وجعله
حاكما عليهم فطردوهم واخرجوهم من الارض الى جزائر البحور ورؤس الجبال فسكن
الملائكة فيها بامره تعالى فصار الامر عليهم اخف مما كانوا فى السماء فاطمأنوا اليها فاراد
ان يحولهم عنها لان عادة الله ان يأمر بالتحول كل من اطمأن الى الدنيا فاخبرهم بقوله
انى جاعل فى الارض خليفة اى من يخلفكم بدلا منكم ورافعكم الى فشق عليهم ذلك
وكرهوه لما كان الامر عليهم اخف فى الارض او المراد بالخليفة آدم لانه خلف الملائكة
وجاء بعدهم او لانه خليفة الله فى ارضه لتنفيذ احكامه بين اولاده واستغنى بذكره
عن ذكر بنيه وانما اخبرهم بذلك ليسألوا عنه ويعرفوا حكمته قبل اعتراض
الشبهة لهم فى وقت الاستخلاف لانه سبب الهلاك **قالوا** استعظاما له وطلبا

حكمة

لحكمته او قالوا تعجبا من الاستخلاف المخالف للحكمة ظاهرا اذ الحكيم لا يفعل الا الخير بعد ان
علموا بالالهام من الله تعالى او من جهة اللوح ان الذين يخلفونهم يعصون امره كعصيان الجن اياه
اتجعل فيها اى اتخلق فى الارض **من يفسد فيها** كما افسدت الجن **ويسفك**
اى يصب **الدماء** ظلما كما يسفك بنو الجن **ونحن نسبح بحمدك** والحال انا نقول
سبحان الله وبحمده والتسبيح التنزيه عن السوء او نحن نصلى بامرك حامدين لك
فالتسبيح الصلوة وبحمدك حال **ونقدس لك** اى نثنى لك بالطهارة عما لا يليق بك
او نطهر انفسنا العابدة لك عن المعصية **قال انى اعلم ما لا تعلمون** من الحكمة والمصلحة
باستخلاف آدم قيل علم من ابليس المعصية والبعد عن رحمته ومن آدم الطاعة والتقرب
اليه ومن ذريته الطائع والعاصى فيظهر الفضل والعدل من الله تعالى ثم قال الملائكة فيما بينهم
ليخلق الله ما شاء فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان فعل فنحن اعلم منه لانا قبله
وعلمنا ما لم يعلم فبالعلم افتخروا فبين عجزهم بان تخلق جميع المسميات **وعلم آدم** من اديم
الارض وهو وجهها او من الادمة وهى السمرة اى الهمه **الاسماء** اى اسماء المسميات
بحذف المضاف اليه وتعويض اللام منه لا بحذف المضاف من مسميات الاسماء لان
التعليم يتعلق بالاسماء لا بالمسميات وهى الاجناس من الانس والجن والدواب وغيرها
فعلمه اياها **كلها** بكل اللغات حتى القصعة والقصيعة **ثم عرضهم**
اى المسميات بتذكير الضمير تغليبا للعقلاء المذكورين والغرض اظهار الشئ للغير
ليعرف العارض منه حاله **على الملائكة** ليظهر فضل آدم وقصورهم
فقال انبؤنى اى اخبرونى **باسماء هؤلاء** المخلوقات **ان كنتم**
صادقين انى لا اخلق اكرم واعلم منكم وفيه دليل على فضل العلم اذ لو كان
فى الوجود شئ اشرف من العلم لكان الواجب اظهار فضله بذلك الشئ لا بالعلم
ودليل ايضا ان الانبياء افضل من الملائكة فثم اظهروا عجزهم بان **قالوا سبحانك**
اى ننزهك تنزيها عن كل ما لا يليق بعظمتك نصب على المصدر اللازم الاضافة
لا علم لنا بشئ **الا ما علمتنا** اى علم ما الهمتنا به يعنى تبنا اليك من مقالتنا **انك انت**
العليم بكل شئ **الحكيم** فى امرك وصنعك بجعل خليفة فى الارض بدلا منا
لحكمة تعلمها والحكيم هو الذى يفعل ويحكم على وفق علمه واصل الحكمة المنع حكمة الدابة ولما
لم يجيبوا عما ساله الله لعجزهم **قال يا آدم انبئهم** اى اخبرهم **باسمائهم** اى باسماء
الموجودات **فلما انباهم** اى اخبرهم **باسمائهم** واخبر عن منافعها وما يحل
الاكل وما يحرم منها **قال** اى الله تعالى تقريرا لعلمه الازلى **الم اقل لكم انى اعلم غيب**
السموات والارض اى سرهما وسر اهلهما وكل ما فيهما **واعلم ما تبدون** اى الذى

نظهرون فيما بينكم حين قال ابليس لكم ماذا ترون ان امرتم بطاعة ادم فقلتم نطيع
امر ربنا وما كنتم تكتمون اى الذى تسرون وهو اسر ابليس فى نفسه من قوله لئن
فضلت عليه لاهلكنه ولئن فضل على لاعصينه واذ قلنا اى اذكر لهم وقت قولنا
للملائكة اى الجميع الحاضرين منهم اسجدوا اى خروا لادم اى اليه لان السجود لله
حقيقة للعبادة ولادم تكرمة ظاهرا كالصلوة الى الكعبة والسجود الميل فى اللغة قيل لم يكن
ثمه وضع الجبهة على الارض ليقبض التراب منها فقالت بحق الله عليك ان لا تفعل فانى اخاف
واستحى من ربى ان يعصى على فرجع جبرئيل عليه السلام واخبر بذلك ربه فبعث ميكائيل فتضرعت
مثل ذلك ثم بعث اسرافيل فتضرعت كذلك ثم بعث عزرائيل فتضرعت اليه فقال امر الله اولى من قولك
فجمع التراب من وجه الارض من كل لون ومن المطيبه والسبخة ثم صعد الى السماء
فقال الله تعالى لعزرائيل اما رحمت الارضة حيث تضرعت اليك فقال رأيت امرك اوجب
من قولها فقال انت اصلح لقبض ارواح ولد آدم فصار ذلك التراب طينا ثم صار صلصالا
اربعين سنة فلما سواه ونفخ فيه الروح امر الملائكة ان تسجدوا له سجدة التحية فسجدوا
الا ابليس اسم اعجمى لا ينصرف للعجمة والعلمية وعدم النظير له والاستثناء منقطع
ان لم يكن من جنس الملك فتصل ابى اى امتنع من السجود واستكبر اى تعظم واظهر
كبره وكان اى صار من الكافرين بعد ان لم يكن كافرا وقيل كان من علم الله
منهم وهذا القول جبرى والاول سنى ثم امر الله الملائكة ان يحملوا آدم على سرير من
ذهب الى السماء فادخلوه الجنة ثم خلق من ضلعه اليسرى وآدم بين النوم واليقظة
حواء زوجته فاستيقظ فرآها عنده فقال من انت فقالت انا زوجتك خلقنى ربى
لاسكن اليك وتسكن الى فاخبر تعالى عن ذلك بقوله وقلنا لادم يا آدم اسكن
اى اثبت انت وزوجك حواء الجنة اى بستان الخلد قيل هى فى السماء السابعة
والزوج يطلق على الذكر والانثى وقد يلحقه تاء التأنيث للمرأة وسميت حواء لانها
خلقت من الحى وكلا منها اى من الجنة رغدا اى اكلا واسعا طيبا بلا فوت وتقدير
حيث شئتما اى من اى مكان اردتما بلا ضيق عليكما ولا تقربا هذه الشجرة
بالاكل وليس النهى عن الدنو بل عن الاكل اى لا تاكلا منها والا لضم الراء لان
الضم يختص بالدنو وقيل انها شجرة القمح او شجرة الكرم او شجرة التين والسر فى النهى انه خلقه
من ارض الدنيا ليسكن فيها فامتحنه بذلك كما يمتحن نسله فى الدنيا بالحلال والحرام لان
المعنى انى ابحتكما السكون فى الجنة والاكل من كل شجر منها الا هذه الشجرة فلا تاكلا منها
شيئا فتكونا من الظالمين اى الضارين بانفسكما بمخالفة امرى والظلم وضع
الشئ فى غير موضعه والفعل مجزوم عطف على لا تقربا او منصوب فى جواب النهى روى

ان

ان ابليس لما راى آدم وحواء سكنا الجنة واحباها لنعيمها حسدهما واحتال لاخراجهما
منها فعرض ابليس على كل دابة من دواب الجنة ان يدخل فى صورتها فامتنعت حتى اتى
الحية وكانت هى احسن دابة خلقا فى الجنة فاطاعته فدخل فى فمها وقام فى راسها واتى
باب الجنة وناداهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين وهذه الشجرة شجرة الخلد من اكل منها يبقى فى الجنة ابدا فابى آدم من ذلك فقاسمهما
بالله انه ناصح لهما فاكلت حواء ثم ناولت آدم وكان يحبها فكره ان يخالفها وكان آدم يقول
لها لا تفعلى انى اخاف من العقوبة وكانت حواء تقول ان رحمة الله واسعة فاخذ من يدها
فاكل بعد امتناع فاخبر تعالى بقوله فازلهما اى اذهبهما الشيطان عنها
اى عن الجنة وقرئ فازالهما اى نحاهما فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم وسقط
عنهما ما كان عليهما من الحلل والحلى وعريا منها عن الثياب حتى بدت عورتهما وهربا استحياء
فقال تعالى امنى تهرب يا آدم فقال لا ولكن حياء من ذنبى فاخذا من اوراق التين
والزقا على عورتهما وقال الله تعالى الم انهكما عن اكل هذه الشجرة فقال بلى ولكن ما
كنت اعلم ان احدا يحلف بك كاذبا ثم امر الله بان ينزلا من الجنة الى الارض فنزلا
فوقع آدم بارض الهند وحواء بارض الجدة واخبر عن ذلك وقلنا اهبطوا اى انزلوا
استخفافا بكم والمراد بالخطاب لهما ولابليس والحية وقيل لهما ولذريتهما ويدل عليه
قوله تعالى فى سورة طه اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو اى اعداء
والجملة حال اى متعادين وفسرت العداوة بالعداوة بين المؤمنين وابليس او
بالتى بين ذرية آدم من ظلم بعضهم بعضا بشوم عصيان آدم ولكم فى الارض مستقر
اى مكان قرار على وجهها ومتاع اى عيش وحيوة الى حين اى الى الموت قيل كيف
توصل الشيطان الى ازلالهما عن الجنة وقد قيل له اخرج منها فانك رجيم اجيب بانه
منع دخولها على جهة الاهانة فلم يلزم منه وجوب الخروج فجاز ان يدخل فيها على جهة
الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء فتلقى اى اخذ وحفظ واصل التلقى القبول عن فهم
وفطنة آدم من ربه كلمات وهى قول ربنا ظلمنا انفسنا الاية قرئ برفع آدم
ونصب كلمات مفعولا وبنصب آدم ورفع كلمات على معنى استقبلته كلمات
من ربه واتصلت به يعنى الهمه بها فاعتذر وتضرع اليه باكيا طالبا منه
التوبة فتاب عليه اى تجاوز الله عن ذنوبه والتوب الرجوع فى الاصل
انه هو التواب اى المتجاوز عن الذنوب مرة بعد اخرى وان كثرت الرحيم
اى كثير الرحمة لعباده المؤمنين وكرر امر الهبوط بقوله قلنا اهبطوا منها
جميعا لشدة عتابه تعالى بانزالهم من الجنة وجميعا نصب على الحال من ضمير الجمع

تهرب صح

امر جبرئيل ان يجئ التراب ليخلق آدم فنزل جبرئيل الى الارض صح

تاكيدًا للجماعة من آدم وحواء وابليس والحية قيل نزل ابليس بالابلة والحية
باصفهان ودلت الآية على ان المعصية تزيل النعمة عن صاحبها كما قال القايل اذا
كنت في نعمة فارعها فان المعاصي تزيل النعم ثم قال لهم فاما يأتينكم
اى يجيئنكم مني هدًى اى رشد وبيان شريعة بارسال الرسل فاما شرط مركب
من ان وما زايدة للتاكيد وجوابه فمن تبع اى انقاد واقتدى هداى اى شريعتي
وجواب من فلا خوف عليهم في المستقبل من العذاب والخوف ضد الامن
وهو عدم توقع مكروه في الزمان الآتى ولا هم يحزنون على ما خلفوا من امر الدنيا
والحزن ضد الفرح وهو غلظ السرور فبعد وعده المؤمنين اوعد الكافرين فقال
والذين كفروا اى انكروا برسلي وكذبوا بآياتنا اى بشريعتي معهم اولئك
اصحاب النار في الآخرة هم فيها خالدون اى دائمون لا يموتون فيها
ولا منها يخرجون ثم خاطب اليهود الذين كانوا حوالى المدينة من بني قريظة والنضير
وغيرهم وكانوا من اولاد يعقوب وقال يا بني اسرائيل وهو يعقوب اذكروا
اى اشكروا واحفظوا نعمتي التي انعمت عليكم والانعام الاحسان
الى الحيوان الناطق كبيرًا كان او صغيرًا لا غير فلا يقال احسنت الى فرس فلان
والمراد منه الاحسان بارسال الرسل المبشرة في التورية والانجيل اليهم مع الاحسان الواصل
الى اجدادهم من اغراق اعدائهم فرعون وقومه القبط في البحر ومن انزال المن والسلوى في التيه
عليهم وغير ذلك لان المنة على الآباء منة على الاولاد واوفوا اى اتموا ولا تتركوا بعهدي
اى الميثاق الذي عاهدتموني بامتثال امري والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والعهد
حفظ الشيء ومراعاته حالًا فحالًا والمراد منه الموثق بين المعاهد والمعاهد او العهد الوصية
يقال عهد فلان الى فلان بشيء اى وصاه بحفظه اوف بعهدكم اى اتمم الذي
قلته لكم من الجزاء وهو الجنة فالعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعًا واياى
اى ارهبوا فارهبون اى فاخشوني من نقض العهد حذف الياء واقيم الكسر مقامه
والفاء في جواب شرط محذوف اى ان كنتم راهبين شيئًا فارهبوني روى ان الله تعالى
عهد في التورية بني اسرائيل انى باعث نبيًا اميًا من بني اسمعيل فمن صدقه واتبعه غفرت له
ذنوبه وادخلته الجنة واعطيه اجرين اجر اتباع موسى واجر اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم وآمنوا اى صدقوا بما انزلت اى بالقرآن مصدقًا اى موافقًا لما معكم
اى لما في كتابكم التورية من النبوة والتوحيد واخبار محمد صلى الله عليه وسلم ٠
ولا تكونوا اول كافر به اى اول فريق يكفر بالقرآن عند هذا الخطاب
بالايمان والضمير لمحمد اى لا تكونوا اول من كفر بمحمد لقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به

اوتقديره

اوتقديره مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة وانتم تعرفونه في التورية موصوفًا ولا
تشتروا اى لا تستبدلوا بآياتي اى بالقرآن والايمان بمحمد ثمنًا قليلًا اى عرضًا يسيرًا
من الدنيا وانما وصفه بالقلة لان الدنيا كلها قليل قيل كان احبار اليهود كابن الاشرف
واصحابه من علمائهم ينالون من اتباعهم وسفلة قومهم وظائف ومأكل وكانت لهم رياسة
عندهم يخافون ان يذهب وظائفهم ورياستهم لو آمنوا بمحمد واتبعوه وهم عارفون صفته
وصدقه فخوفهم الله بقوله واياى فاتقون اى اخشوني اياى ومحمد صلى الله عليه وسلم
والتقوى حفظ النفس عما يؤثمها وهنا بمعنى الخوف والخشية يعني من كفر به فادخله
النار ولا تلبسوا اى لا تخلطوا الحق اى تعرفونه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم
بالباطل الذي تكتبونه في التورية وتسترونه فيها بحيث لا يتميز احدهما عن الآخر
فالباء للصلة التي تقتضيها الفعل او لا تجعلوا الحق ذا لبس واشتباه بباطل تكتبونه
بايديكم في التورية فالباء للاستعانة قيل انهم اقروا ببعض صفته وانكروا بعضها بالتحريف
ليلبسوا الحق على الناس بذلك فلا يؤمنوا به قوله وتكتموا جزم عطف على تلبسوا
اى لا تستروا الحق اى صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تعلمون انه رسول
رب العالمين ويجوز ان يكون منصوبًا باضمار ان بعد الواو بمعنى الجمع اى ولا تجمعوا لبس
الحق بالباطل وكتمان والفرق بين النهيين ان لبس الحق بالباطل كتابتهم الباطل
في التورية ليظنوا انه حق فهو الخلط وكتمانهم الحق قولهم لا نجد نعت محمد في التورية او حكم
كذا فيها والحال ان ذلك ثابت فيها واقيموا الصلوة اى صلوا الصلواة الخمس بشروطها
وادبموها واتوا الزكوة اى اعطوا المفروض في اموالكم وادوها الى مستحقها
والزكوة زيادة في المال ببركة من الله واركعوا اى صلوا صلوة ذات ركوع
وسجود مع الراكعين اى مع المصلين وانما امرهم بذلك لان اليهود لم يكن
في صلوتهم ركوع وكانوا يصلون فرادى فحث المسلمون منهم ان يصلوا مع اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم في الجماعات وامرهم ان يصلوا مع المصلين الى الكعبة
قوله أتأمرون الناس الهمزة فيه للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم اى
تامرونهم بالبر اى بالخير وهو الاتباع لمحمد والايمان به وتنسون اى تتركون انفسكم
فلا تتبعونه مخافة ان يذهب منافعكم والنسيان والسهو اخوان في الترك لكن النسيان
ما غاب بعد حضوره والسهو اعم نزلت الآية في شان احبار اليهود الذين نخلفهم الذى
اسلم وسالهم عن رسول في السر اتثبت على دين محمد فان امره حق ودينه صدق
فوبخهم الله تعالى بقوله اتامرون الخلق بالمعروف وتتركون انفسكم وانتم
تتلون الكتاب اى تقرؤن التورية وفيها صفته صلى الله عليه وسلم

قالوا صح

وسئل عن ابن عباس رضي الله عنه
عن رجل يقوم بالليل ويصوم بالنهار
ولا يحضر الجماعة قال العباس
هو في النار
صح

افلا تعقلون اى افلا تتعقلون بقوة العقل انه حق فتتبعونه وهو جوهر منتهى للعلم واصله المنع سمى به لمنعه من الشر وفيه توبيخ على ترك الفعل لا على الامر به لكون الامر بالفعل الحسن حسناً على كل حال قيل اطلع ناس من اهل الجنة على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا بالخيرات فدخلنا الجنة قالوا كنا نامر بها ونخالف الى غيرها وفيه دليل على ان من امر بخير فليكن اشد الناس تسارعاً اليه ومن نهى عن شر فليكن اشد الناس انتهاء عنه واستعينوا اى اطلبوا المعونة على حوايجكم الى الله بالصبر على اداء الفرايض ومشاق العبادة والصلوة اى بادائها مع ما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النية ودفع الوسواس ومراعات الآداب وانها اى الصلوة الكاملة لكبيرة اى لشاقة عظيمة من كبر الشئ اذا عظم الا على الخاشعين اى الخائفين المتواضعين والخشوع السكون من الخوف واكثر استعماله فى الجوارح الذين يظنون اى يستيقنون ويعلمون انهم ملاقوا ربهم اى معاينوه بعد الموت يوم القيمة والظن لترجيح احد النقيضين ويستعمل فى اليقين والشك وانهم اليه اى الى ربهم راجعون اى صايرون بعد البعث للحساب والجزاء المعنى ان الصلوة ثقيلة فى نفسها لكنها لم تثقل على الخاشعين لتوقعهم ما ادخر الله لهم من الثواب يوم القيمة وثقلت على غيرهم لانهم لا يتوقعون ثوابها يا بنى اسرائيل اذكروا اى اشكروا نعمتى التى انعمت عليكم بانزال المن والسلوى وغيرهما واذكروا انى فضلتكم اى ميزتكم بالتكرمة على العالمين اى على عالمى زمانكم بجعل الانبياء فيكم وجعلكم ملوكاً بعد ان كنتم مماليك فى يد فرعون ويحصل تفضل الاولاد بتفضل الآباء واتقوا اى اخشوا يوماً اى عذاب يوم لا تجزى اى لا تؤدى فيه نفس عن نفس شيئاً اى شيئاً من الحقوق التى لزمت عليها وهو نزل حين كانت اليهود يقولون نحن من ولد ابراهيم خليل الرحمن ومن ولد اسحق ذبيح الله رداً عليهم يعنى لا ينفع فى ذلك اليوم نفس مؤمنة عن نفس كافرة نفعاً ما ولا يقبل بالتاء والياء منها اى من النفس الاولى شفاعة اى شفعت للنفس الثانية عند الله لتخليصها من عذابه ولا يؤخذ اى لا يقبل منها اى من المشفوع لها عدل اى فداء من مال او رجل مكانها او توبة واصل العدل المعادلة وهى المماثلة ولا هم ينصرون اى لا يمنعون من العذاب والضمير فيه يرجع الى معنى الجمع المستفاد من تنكير النفس الواقعة فى سياق النفى وهو النفوس الكثيرة قوله واذ نجيناكم عطف على اذكروا اى اذكروا وقت انجائكم

وبين

بالنجاء

بانجاء آبائكم من آل فرعون اى من اهله القبط وهو مختص بالاشراف وفرعون علم لمن ملك اولاد عمليق بن عاد يسومونكم اى يعطونكم سوء العذاب اى يعذبونكم اشده فى محل النصب على الحال يعنى سائمين السوء والسوم فى الاصل الذهاب فى ابتغاء الشئ والسوء قبح الشئ قوله يذبحون ابناءكم بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العطف اى يقتلونهم ويستحيون اى يتركون نساءكم طلباً لحيوتهن للاستخدام والسبب الذى حمل فرعون على ذلك انه راى فى منامه ناراً يخرج من بيت المقدس يحرق جميع القبط ولم تضر باسرائيل وسال الكهنة عن ذلك فقالوا له يولد فى بنى اسرائيل مولود هلاكك فى يده فامر بذبح كل ذكر يولد فى بنى اسرائيل فكثر الذبح فامر بذبحهم سنة وتركهم سنة فولد هرون فى سنة لا ذبح فيها وموسى فى سنة فيها ذبح وفى ذلكم اى فى السوم وما لحق به من الذبح والاستخدام وفى الانجاء منه بلاء اى امتحان مصدر ويستعمل بمعنى النعمة وبمعنى البلية من ربكم عظيم يعنى ذلك اختبار من سيدكم كبير على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر واذكروا واذ فرقنا اى فصلنا يميناً وشمالاً بكم اى بسببكم البحر وهو اساف بحر من بحار مصر او بحر قلزوم فانجيناكم من الغرق واغرقنا آل فرعون اى نفسه وجيوشه وانتم تنظرون اليهم غرقى موتى حين رماهم البحر الى الساحل بعد خروجكم منه سالمين مع موسى روى ان موسى خرج من بنى اسرائيل من مصر ثم خرج فرعون مع قومه من مصر فى طلبهم فلما انتهوا الى البحر ضرب موسى عصاه عليه فانفلق اثنى عشر مسلكاً فارسل الله عليه ريحاً فصار يابساً فدخله بنو اسرائيل فلم ير بعضهم بعضاً فخافوا عند ذلك فصار فى الماء كوى يرى بعض بعضاً فلما جاوزوا البحر دخل فيه فرعون وقومه فغشيهم البحر فغرقوا فيه اجمعون وفيه تهديد للكافرين ليؤمنوا وتنبيه للمؤمنين ليتعظوا وينتهوا عن المعاصى واذ واعدنا بالف وبغير الف بمعنى واحد ويجوز ان يكون المواعدة بين الله بالوحى وبين موسى بالوفاء اى اذكروا وعدنا موسى ان ينزل عليه التورية بعد هلاك فرعون وقومه ودخول بنى اسرائيل مصر ولم يكن لهم شريعة يعملون بها وضرب له ميقاتاً اربعين ليلة اى تمامها ونصب ليلة بالتميز وذكرها لان الليلة اول الشهر والاربعون ذو القعدة بكماله وعشر من ذى الحجة وجعل الميعاد بالطور فذهب موسى عم الى المناجاة واستخلف عليهم هارون وعد بنو اسرائيل بعد مضى العشرين من الوعد اليوم مع الليلة يومين الى تمام العشرين وقالوا قد تم اربعون ولم يرجع موسى الينا فقد خالفنا وقال السامرى هاتوا الحلى التى استعرتم من نساء فرعون بعلة عرس حتى نحرق

فلعل الله يرد علينا موسى فجمعوها وكان السامري صايغا فاتخذ منها عجلا
وقد كان قبل ذلك راى جبريل على فرس الحيوة كلما وضع حافره حضر فرفع من تحت
سنبكه قبضة من التراب والقى في العجل فصار جسدا له خوار اى صوت كصوت
العجل قيل فيه حيوة وقيل دخل الريح في جوفه من خلفه وخرج من فمه كهيئة فيه الخوار فقال
للقوم هذا الهكم واله موسى فنسى اى اخطا موسى الطريق ربه هنا وذهب يطلبه
فاقبلوا كلهم على عبادة العجل الا هرون مع اثنى عشر الفا فوبخهم الله تعالى بقوله
ثم اتخذتم العجل الها من بعده اى من ذهاب موسى الى الطور وانتم
ظالمون اى كافرون بعبادتكم العجل ثم عفونا عنكم اى محونا ذنوبكم
من بعد ذلك اى بعد شرككم لما تبتم لعلكم تشكرون
اى ارادة ان تشكروا الله في مقابلة العفو لانه يوجب الشكر وهو في
الاصل تصور النعمة من المنعم واظهارها بامتثال الامر والنهي وحقيقته العجز عن
الشكر قال داود عليه السلام سبحان من جعل العجز عن الشكر شكرا كما جعل
الاعتراف بالعجز عن معرفته معرفة واذ آتينا اى واذكروا اذ اعطينا موسى
الكتاب اى التورية والفرقان اى الفارق بين الحق والباطل يعني
الكتاب الجامع بين كونه كتابا منزلا وكونه فرقانا كقولك لقيت الغيث والليث
تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة والفرقان تسع آيات موسى كالحية واليد
وغيرهما لانها يفرق بين الحق والباطل والمعنى اعطينا موسى التورية ومحمدا
الفرقان لعلكم تهتدون اى لكي تبلغوا الهداية من الضلالة بعلمها
واذ قال موسى لقومه وهم الذين ظلموا انفسهم بعبادة العجل يا قوم بحذف
الياء وترك الكسرة بدلا عنها والاضافة الى نفسه للشفقة انكم ظلمتم اى اضررتم
انفسكم باتخاذكم العجل الها للعبادة قالوا لموسى ما نصنع قال فتوبوا
الفاء للسببية لان الظلم سبب التوبة اى ارجعوا الى بارئكم باسكان
الهمزة وكسرها وبقلبها ياء واختلاف الحركة اى خالقكم وعبادته قالوا كيف
نرجع قال فاقتلوا انفسكم اى ليقتل بعضكم البرئ من عبادة العجل بعضكم
العابد له وهو من تمام التوبة ذلكم اى الرجوع بالقتل مع رضاء الله فيه
خير لكم عند بارئكم اى خالقكم من ترككم على عذابي فاطاعوا امره
بالقبول والرضاء قيل فارسل الله عليهم سحابة سوداء لئلا يبصر الاب ولده والرجل
جاره وقريبه ليمكن لهم امضاء امر الله تعالى فيهم فيقتل بعضهم بعضا بالسيف والخنجر
الى المساء ثم تضرع موسى وهرون وبكيا من كثرة الدماء وقالا يا ربنا البقية فنزل

اخوتهم

التورية

التورية عليهم من الله وقيل لموسى ارفع السيف عنهم والفاء في فتاب عليكم متعلقة
بشرط محذوف تقديره ان فعلتم ذلك فقد تاب عليكم اى قبل توبتكم وتجاوز عن ذنوبكم انه
اى الله تعالى هو التواب اى كثير التجاوز عن الذنوب الرحيم اى كثير الرحمة للمطيعين
من حيث جعل القتل كفارة لذنوبكم قيل قتل منهم سبعون الفا وكان من قتل منهم شهيدا
ومن بقي منهم مغفورا واذ قلتم اى اذكروا وقت قولكم يا موسى لن نؤمن لك اى لن
نصدقك في قولك حتى نرى الله جهرة اى عيانا بلا حجاب بيننا وبينه يجوز
فيها سكون الهاء وفتحها مصدر لانها نوع من الرؤية او جمع جاهر نصبها حال بمعنى معاينين
فاخذتكم الصاعقة اى النار المحرقة النازلة من السماء فاحرقتكم سؤالكم ما هو
محال على الله من جهلكم في الدنيا وانتم تنظرون الى الصاعقة النازلة قيل ماتوا يوما
وليلة ولم يمت موسى بل غشي عليه بدليل قوله فلما افاق وذلك حين امر الله موسى
ان يختار من قومه سبعين رجلا ويأتي معهم الى الطور للمناجات معتذرين من عبادة العجل
فلما انتهوا الى الجبل قال لهم موسى امكثوا هنا فصعد موسى الجبل فناجى ربه فلما رجع اليهم قالوا
انك رايت الله فارناه فقال لم اره فلم يصدقوه فنزلت الصاعقة عليهم فماتوا كلهم ثم دعا
موسى ربه فاحياهم فاخبر عنه فقال ثم بعثناكم اى احييناكم من بعد موتكم
لتستوفوا بقية اجالكم وكان ذلك الموت بلا اجل والا لم يحيوا الى نفخ الصور لعلكم
تشكرون الله للحيوة بعد الموت وقبول توبتكم عن ذنوبكم قيل انما لم يمت موسى عند
سواله الرؤية لان سواله كان اشتياقا وافتقارا وسوال قومه كان تكذيبا واجتراء و
ظللنا اى جعلنا ظلا عليكم الغمام جمع غمامة وهي السحابة لتقيكم من
حر الشمس في التيه وذلك حين امروا بان يدخلوا مدينة الجبارين فابوا ذلك فعاقبهم الله
بان يتيهوا في الارض اربعين سنة فاصابهم حر شديد وجوع مفرط وفي الليل ظلمة شديد
فرحمهم الله تعالى فانزل عليهم عمودا من نور يسير معهم يضيئ لهم مكان القمر وغماما يظللهم الحر
وسالوا موسى الطعام فدعا ربه فاستجاب له فقال وانزلنا عليكم المن
اى الترنجبين في الصورة قيل انه كان ابيض مثل الثلج كالشهد المعجون بالسمن والسلوى
اى السماني وهو طير يضرب الى الحمرة يأتيهم مستويا قيل المن والسلوى من طلوع
الفجر الى طلوع الشمس فيأخذ كل انسان كفايته الى الغد فان زاد دود وفسد
الا يوم الجمعة فانه يأخذ ما يكفيه ليومين لانه لا يأتيهم يوم السبت وقلنا لهم كلوا
من طيبات اى حلالات ما رزقناكم من المن والسلوى لا ترفعوا منه شيئا ادخارا
ولا تعصوا امري فرفعوا وجعلوا اللحم قديدا مخافة ان ينفد فرفعنا عنهم ذلك
لعدم توكلهم علينا وما ظلمونا اى ما اضرونا بكفرهم هذه النعم وادخارهم الرزق

ترفعوا

بعد ما نهوا عن ذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اى يضرون برفعهم
فقطع عندهم الرزق عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لولا بنو اسرائيل
لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن امرأة زوجها والخنز النتن والفساد
وبعد مضى اربعين سنة وموت موسى وهرون امر الله تعالى يوشع بن نون خليفة
موسى بان يدخل مع قومه باب بيت المقدس بالخفاء والتواضع ليعبدوا فيها تائبين
مستغفرين فانطلقوا ودخلوا مستهزئين فقال تعالى لهم واذ قلنا اى اذكروا
وقت قولنا لكم تنزيلا لهم منزلة ابائهم فى الخطاب ادخلوا هذه القرية اى مدينة
بيت المقدس والقرية الحوض الذى يجتمع فيه الماء سميت بها لجمعها اهلها فكلوا
منها حيث شئتم رغدا اى رزقا طيبا واسعا عليكم وادخلوا الباب
اى باب القرية سجدا اى منحنين نصب على الحال يعنى ناكسى رؤسكم بالتواضع وقولوا
حطة رفع بخبرية المبتداء المحذوف اى مسئلتنا من الله تعالى ان تحط عنا
ذنوبنا نغفر لكم بالياء والنون مع الجزم معلوما جواب الامر وقرئ بالياء
والتاء التأنيث مجهولا وبادغام الراء فى اللام اى نستر عليكم خطاياكم اى
ذنوبكم جمع خطيئة وهى ضد الصواب وهم الذين عبدوا العجل ثم تابوا وسنزيد
المحسنين اى سنطلب الزيادة لمن احسن فى فعله والى نفسه وغيره وهم الذين
لم يعبدوا العجل فبدل اى غير الذين ظلموا بالمعصية انفسهم قولا غير الذى
قيل اى خالفوا ما امرهم من القول وهو ان يقول حطة وان يدخلوها بالانحناء
منحنين وهم دخلوها زحفين على استاههم قائلين حنطة سمقاثا اى حمراء بلغتهم
فانزلنا على الذين ظلموا اى غيروا ما امروا به رجزا اى عذابا من السماء وهو الطاعون
او نار محرقة بما كانوا يفسقون اى بسبب خروجهم عن الطاعة روى
انه مات منهم سبعون الفا من الطاعون ثم رجع الى قصتهم فى التيه قيل لما عطشوا
فيه استغاثوا بموسى فدعا ربه ان يستقى لهم فاخبر عنه وقال واذ استسقى
اى اذكروا وقت ان طلب منا موسى لقومه ماء عذبا فقلنا له بالوحى
اضرب بعصاك وهى التى حملها آدم من الجنة الحجر وهو الحجر الذى حمله
فى المخلاة بقول جبرئيل له ارفعه فان لله فيه قدرة ولك معجزة حين فر بثوبه وقت
الغسل فى نهر فوصله فضربه موسى بعصاه ورفعه فادخله فى مخلاته وذلك لما
رماه بنو اسرائيل بالادرة واراد الله اظهار براءته عنها لهم فابتلاه بما يوجب غسله فضربه
فانفجرت اى سالت بعد انشقاقه وكان مربعا مثل رأس الرجل له اربعة اوجه فى
كل وجه ثلث اعين منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين قد علم كل اناس

اى

اى سبط مشربهم اى عين شربهم قيل انهم كانوا اذا نزلوا منزلا وضعوه وضربه
موسى بعصاه فانفجرت فاذا ساروا حملوه ويمسك روى فى حكمة ذلك ان الاسباط
كانت بينهم عصبية ومباهات وكل سبط لا يتزوج من سبط اخر وغرضه تكثير
سبط نفسه فجعل الله لكل سبط نهرا على حدة لئلا يقع بينهم جدال وتخاصم فقال
تعالى قلنا لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من العيون من رزق الله ولا
تعثوا اى لا تتمادوا بالفساد فى الارض والعثى اشد الفساد مفسدين اى فى
حال افسادكم وهو حال موكدة وهى التى تقرر مضمون الجملة المتقدمة اسمية كانت
او فعلية واذ قلتم يا موسى اى اذكروا وقت قولكم له لن نصبر على طعام واحد
اى على طعام لا تتبدل يعنى لا يداوم عليه كل يوم قيل يمل الرجل من اكل الطعام يداوم
عليه كل يوم ولو كان فيه الوان مختلفة من الماكل فلذلك يوصف بالواحد وقيل
كانوا يخلطون المن بالسلوى فيصيران طعاما واحدا ويأكلونه فكرهوا ذلك لانهم
اصحاب حراثة اشتهوا ما يجانسهم بقوله فادع اى سل لنا اى لاجلنا ربك
يخرج اى يظهر لنا شيئا مما تنبت الارض اى تخرجه من بقلها اى البقول
كلها كالنعناع والكراث وغيرهما مما يأكل الناس وقثائها وهو المعروف
وفومها وهو الثوم المعروف وقيل الحنطة وعدسها وبصلها فغضب عليهم
موسى عم قال اتستبدلون اى تطلبون الذى هو ادنى اى ارداء واخس
من بقول الارض بالذى اى بدل ما هو خير اى اشرف واعلى لكم بلا تعب وهو المن
والسلوى فقال موسى بامر الله تعالى اهبطوا اى انزلوا من التيه مصرا بالتنوين
لانه مصر من الامصار او مصر فرعون فصرفه لسكون وسطه كلوط فان لكم
ما سألتم اى طلبتم من بقول الارض تزرعون وتحصدون وضربت اى جعلت
عليهم الذلة اى الهوان والمسكنة اى الفقر قيل ترى الرجل من اليهود
عليه زى الفقر وان كان موسرا وباؤا اى رجعوا بغضب اى باثر لعنة من
الله قيل غضب الله ذمهم فى الدنيا وعذابهم فى الاخرة ذلك اى ما حل بهم من الذل
والفقر والغضب محله رفع بالابتداء والخبر بانهم اى بسبب ان اليهود كانوا
يكفرون بايات الله اى كذبوا بالقران ومحمد وانكروا صفته فى التورية
وكفروا بعيسى والانجيل ويقتلون النبيين بالهمزة وبغيره كزكريا
ويحيى وشعيا بقصر الكل بغير الحق اى بلا جرم محله نصب على الحال عن ضمير
يقتلون بمعنى مبطلين اذ هم ناصحون وداعون الى ما ينفعهم من الايمان وهو تاكيد لظلمهم
فى الانبياء غير حجة لهم عليه لو سئلوا عنه ذلك اى ما تقدم من الغضب وغيره

كو ر الاشارة اليه لزيادة التوبيخ بما عصوا اى بسبب عصيانهم امر الله تعالى وكانوا
يعتدون اي يتجاوزون عن حدود الله بقتل الانبياء وارتكابهم المحارم ان الذين
آمنوا بالسنتهم دون قلوبهم من النفاق والذين هادوا اى رجعوا عن موسى وتسموا
باليهودية والنصارى اى الذين تركوا دين عيسى وتسموا بالنصرانية جمع نصراني
وياؤه للمبالغة لا للنسبة اذ يقال رجل نصران وامراة نصرانة او سموا بذلك لنزولهم
قرية اسمها نصرة والصابئين اى الذين صبأوا يعني عدلوا عن اليهودية والنصرانية
وعبدوا الملائكة ويقال صبأ بالهمزة اذا رفع رأسه الى السماء وصبا بغير همز اذا مال عن
شيء الى آخر وقرئ بهما قوله من آمن في محل النصب بدل من اسم ان والمعطوف عليه
اى من صدق منهم مخلصا بالله وبما انزل على جميع النبيين واليوم الآخر اى بيوم البعث
وعمل صالحا وحد نظرا الى لفظ من اى عملا مرضيا عند الله في محل الرفع مبتدأ
فيه معنى الشرط خبره فلهم جواب شرط الجملة وجمعه نظرا الى معنى من والفاء للسببية
اى لهم اجرهم وهو ثواب اعمالهم الصالحة الذي يستحقونه عند ربهم وجملة
من آمن في محل الرفع خبر ان والعايد محذوف اى من آمن منهم واخلص فله الجنة ولا خوف
عليهم من العذاب المستقبل ولا هم يحزنون مما خلفوا من امر الدنيا واذ اخذنا
اى اذكر واوقت اخذنا ميثاقكم اى عهدكم الموثق بالعمل بما في التورية
فلم تعملوا بما فيها من الفرايض والتكاليف المشاقة ورفعنا فوقكم الطور
اى الجبل بالسريانية وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم اى الذي اعطيناكم
للعمل به بقوة اى بجد ومواظبة واذكروا اى ادرسوا واعلموا ما فيه من الثواب
والعقاب لعلكم تتقون اى تخافون من الله فيسهل عليكم القبول
والعمل وتنجون من هلاك الدارين قيل لما نزلت التورية على بني اسرائيل شق عليهم
ما فيها من الفرايض لانه نزل دفعة واحدة فلم يقبلوه فامر الله الملائكة فقلعوا جبلا على قدر
عسكرهم وقالوا لهم ان قبلتم والا اهلكناكم بالجبل فقبلوا وسجدوا على انصاف وجوههم
وهم ينظرون للجبل في سجودهم فمن ذلك يسجد بعض اليهود على انصاف وجوههم وقالوا
بهذا السجود رفع عنا العذاب ثم توليتم اى اعرضتم عن الايمان والطاعة من بعد
ذلك اى بعد اخذ الميثاق وقبول التوبة او من بعد رفع الطور منكم فلولا فضل الله
اى منه عليكم بتاخير العذاب ورحمته بالاحسان وقبول التوبة بارسال الرسل
اليكم لكنتم من الخاسرين اى من المغبونين في الدارين بالعقوبة ثم هدد
اليهود بتذكيرهم ما جرى لمن تقدمهم من اصولهم وهم ايلة مدينة على ساحل البحر قيل كان
يجتمع السمك يوم السبت حتى ياخذ وجه الماء وفي ساير الايام لا ياتيهم الا قليل فحرم عليهم الصيد

اصحاب صح

يوم

يوم السبت فاتخذوا مصايد ليقع فيها السمك في السبت ويومه ويأخذونه يوم الاحد بقوله
ولقد علمتم اى عرفتم الذين اعتدوا اى تجاوزوا الحد ظلما منكم اى من
اسلافكم في السبت اى يومه فاحتالوا وحبسوا السمك فيه واخذوه يوم
الاحد واصل السبت القطع لان اليهود امروا ان يقطعوا الاعمال فيه ويشتغلوا بعبادة
الله فمسخهم الله قردة احتج مالك به في ابطال الحيلة وجوزها غيره من الفقهاء اذا لم
يكن ابطال حق او عكسه وقال هذه ليست بحيلة وانما هي عين المنهي عنه لانهم نهوا عن اخذها باي
وجه كان فقلنا لهم كونوا اى صيروا قردة جمع قرد وهذا امر تحويل اذ لم
يكن لهم على التحول من صورة الى صورة قدرة قيل مسخ الشبان منهم قردة والشيوخ
خنازير لهم اذناب يتعاوون وقيل مسخت قلوبهم وهو خلاف الظاهر خاسئين
اى مبعدين من رحمة الله من خسأ الكلب اذا بعدته من عندك يستعمل لازما ومتعديا وهو
خبر ثان لكانوا او صفة للقردة او حال من اسم كان قيل بقوا ثلثة ايام بالمسخ ثم هلكوا ولم يتولد
منهم قط فجعلناها اى صيرنا تلك العقوبة لهم نكالا اى عقوبة عبرة ليمتنع
من اعتبر بها ان تقدم على مثل صنيعهم يعني عظة وتذكرا لما بين يديها اى لما تقدمها
من القرى لان قصة هؤلاء مذكورة في كتب الاولين وما خلفها من القرى فاذا
علموا بها اتعظوا وامتنعوا عن المعصية او جعلنا تلك العقوبة عقوبة لما عملت
من الذنوب قبل المسخ ولما عملت حين المسخ وموعظة اى نصيحة وعبرة للمتقين
اى الخائفين من امة محمد صلى الله عليه وسلم واذ قال موسى اى اذكروا وقت قوله
لقومه اى لبني اسرائيل حين قتل رجل فقير ابن عم له غنيا ليرثه ثم حمله والقاه الى
جانب قرية قريبة من قريته فاصبح اهل القرية والقتيل بين اظهرهم فاخذوا ابا القتيل وجاؤا
به الى موسى وجاء الفقير مع اهل قريته الى موسى يدعي عليهم القتل فهم اهل القريتين ان
يقتتلوا بالسلاح فقال اتقتتلون وفيكم نبي الله موسى فدعا الله في ذلك ليتبين امر المقتول وذلك
قبل نزول القسامة فاوحى الله الى موسى عم وقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
فيضربوا ببعضها بعض اعضاء الميت فيحيى فيخبركم من قتله قالوا لموسى اتتخذنا هزوا
بسكون الزاء مع الهمزة وضمها بلا همزة وبضمها مع الهمزة اى اهل هزؤ وهو السخرية يعني
اتستهزئ بنا نحن نسألك عن امر القتيل وانت تامرنا بذبح البقرة ولا انطباق بين السؤال والجواب
قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اى المستهزئين لان الهزؤ من فعل
الجاهلين قالوا يا موسى ادع اى سل لنا ربك يبين اى يوضح لنا ما هي اى ما سنها وما
صفتها من الصغر والكبر قال موسى انه اى الله يقول انها بقرة لا فارض اى مسنة
من الفرض وهو القطع لانها قطعت سنها اى بلغت اخرها ولا بكر اى صغيرة

بالسلاح

لم تلد قط ماخوذ من باكورة الفاكهة ولم يؤنث لانه كالحايض فى الاختصاص
بالانثى وارتفاعهما بخبرية مبتدا محذوف اى لا هى كبيرة ولا صغيرة **عوان بين**
ذلك اى وسط بين الكبيرة والصغيرة وانما افرد ذلك وبين يقتضى الاضافة الى
المتعدد لانه فى معنى شيئين حيث اشير به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما جاز ان يشار به
الى مؤنثين وهو موضوع لان يشار به الى واحد مذكر لانه باول بالمذكور للاختصار فى
الكلام اولان اسم الاشارة يكثر استعماله فى كلامهم فاستحسن الافراد اذ تثنيته وجمعه
وتانيثه ليس بحقيقة **فافعلوا ما تؤمرون** اى الذى امركم الله به من ذبح البقرة
ليتبين لكم القاتل ولا تسالوا ثم سالوا عن لونها **قالوا ادع لنا ربك يبين** اى يعلم
لنا ما لونها من الالوان **قال** لهم موسى **انه** اى الله **يقول انها بقرة صفراء**
والصفرة لون بين البياض والسواد **فاقع لونها** اى خالص شديد الصفرة وهى جملة
من المبتدا والخبر صفة البقرة او فاقع صفة صفراء ولونها مرفوع على انه فاعله وذكره
تاكيد لها لان اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكانه قيل شديد صفرتها وهو من
قولك جد جده وزاد فى وصفها لزيادة البيان بقوله **تسر الناظرين** اى هى تعجبهم بحسن
لونها فتلذ قلوبهم والسرور التذاذ القلب عند وجود سببه ثم سالوه اهى عاملة او سائمة
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى اى ما صفتها من السائمة والعاملة **ان البقر**
اى هذا الجنس كثير **تشابه** اى تشاكل **علينا وانا ان شاء الله لمهتدون**
اى لمدركون الى البقرة بمشية الله قال ابن عباس لولا انهم استثنوا لم
يدركوها ابدا وعنه ايضا لو انهم اخذوا ادنى بقرة لاجزات عنهم ولكنهم شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم **قال** موسى **انه** اى الله **يقول انها بقرة لا**
ذلول اى لا مذللة بالعمل **تثير الارض** اى يقلبها للزراعة **ولا تسقى**
الحرث اى الزرع والفعلان صفتان لذلول يعنى ليست بمثيرة الارض ولا كرابة
ولا سانية يسنى عليها الماء لسقى الحرث **مسلمة** اى سليمة من كل عيب **لا شية فيها**
اى لا لون اخر فيها سوى لونها من الوشى للنوع وهو الخلط بالالوان ومنه ثوب
موشى واصلها وشية كوعدة **قالوا الان** اى هذا الوقت بنى لتضمنه معنى الاشارة
جئت بالحق اى اتيت بالبيان التام الذى اردنا منك تحققه فى البقرة فطلبوها فوجدوها
عند شاب من بنى اسرائيل مات ابوه وورث منه عجلة فى غيضة كانت ترعى فيها ولم يعلم بذلك
وكان بارا بامه يحتطب ويبيعه ويعطى امه ثلث ثمنه ومنه يتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويقسم ليله
اثلاثا ثلثا ينام وثلثا يصليه وثلثا يقعد عند راس امه فقالت له يوما ان اباك استودع الله
لك عجلة فى غيضة كذا فاذهب فات بها فبعها فذهب ووجدها فلزم بعنقها واتى بها امه فقالت

بعها بستة دنانير بمشورتى فذهب ليبيعها فجاءه ملك فقال له هل تبيع البقرة ام لا فساله
فقال لا الا بملء مسكها ذهبا فلما اتى بها الى السوق وجدها بنو اسرائيل على تلك الصفة
فاشتروها بملء مسكها دنانير **فذبحوها وما كادوا** اى ما قاربوا **يفعلون**
الذبح لغلاء ثمنها وقيل لخوف فضيحة القاتل من قبلهم وقيل ذبحوها بعد مكث وتوقف
لعدم انقطاع خيط الاستكشاف عنهم ثم خاطب بنى اسرائيل بالقتل بقوله **واذ قتلتم**
وان وجد من بعضهم لملابسة القتل لهم وهذا اول القصة وانما لم يقدمه لفظا للاهتمام
بشان ذبح البقرة للكشف عن القاتل وبعد ذكره ذكر القتل ونسبته الى الجماعة ليكون
ابلغ فى توبيخهم عليه لوجود القتل فيهم اى اذكروا وقت قتلكم **نفسا** وهى نفس عاميل
قتلا محرما **فادارأتم** اى تدافعتم واختصمتم **فيها** اى فى شانها من الدرء وهو الدفع لان
كل واحد كان يطرح قتلها على آخر منهم ويدفع عن نفسه **والله مخرج** اى مظهر **ما كنتم**
تكتمون اى الذى تسترونه من قتل عاميل واعمل مخرج وان كان بمعنى الماضى لانه
محكى عن المستقبل فى وقت التدارء وهذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه
والفاء فى قوله **فقلنا** للبيان اى قلنا لهم ليظهر ذلك **اضربوه** اى المقتول **ببعضها**
اى ببعض تلك البقرة قيل بلسانها وقيل بفخذها الايمن وقيل بعجب ذنبها وهو اخر الاعضاء
فسادا بعد الموت قيل هو عظم يخلق اولا عند البعث ثم تركب عليه ساير البدن فضربوه
فحيى فقام واوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان ابن عمى ثم مات فحرم الميراث وقتل ثم
اشار تعالى الى كيفية احيايه الموتى عند البعث مخاطبا للمنكرين به فى زمان النبى عليه السلام صلى
الله عليه وسلم بقوله **كذلك** اى مثل احياء الله المقتول **يحيى الله الموتى**
عند النفخة الثانية يوم القيمة **ويريكم اياته** اى علاماته مثل احياء الميت
وغيره من العجايب **لعلكم تعقلون** المراد منكم يعنى ارادة ان تعلموا ان
القادر على احياء نفس واحدة قادر على احياء نفوس كثيرة وتمنعوا نفوسكم عن
هواها وتطيعوا الله فيما يامركم به **ثم قست** اى غلظت ويبست **قلوبكم** بخروج
الرحمة وذهاب اللين منها **من بعد ذلك** اى من بعد ما تقدم من الايات كاحياء
القتيل ومسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وفجر الانهار من الحجر وغير ذلك
فهى كالحجارة فى شدتها وقسوتها **او اشد قسوة** برفع اشد ونصب قسوة
على التميز اى او هى اشد غلظة ويبسا من الحجارة لا يؤثر المواعظ فيها وانما لم يقل
او اقسى فان افعل التفضيل يخرج من فعل القسوة لان ذلك ابين وادل على فرط القسوة
وشدتها قيل وانما لم يشبهها بالحديد وان كان اصلب لانه قابل للتليين واو للتخيير فى
التشبيه وقيل بمعنى الواو وهو بمعنى بل **وان من الحجارة** اى بعضها فى الجبل

العَجْب بالفتح والسكون ويقال له عظم ذنبه

لما يتفجر اى الحجر يتفتح ويجرى منه الانهار بالماء وان منها اى من الحجارة لما
يشقق اى الحجر يتصدع فيخرج منه الماء اى العيون دون الانهار وان منها
لما يهبط اى الحجر ينزل من راس الجبل الى اسفله من خشية الله اى من خوفه
وقلوبكم لا تخشى ولا تلين يا طائفة اليهود وقيل هذا على وجه المثل يعنى لو كان له عقل
لفعل ذلك وقيل يجوز ان يراد به الجبل الذى صار دكا حين كلم الله موسى وما الله
بغافل عما تعملون بالياء والتاء خطابا من القبايح فيجازيكم عليها ففيه تهديد
عظيم لهم اى لليهود قوله افتطمعون خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه
والاستفهام فيه للتعجب من طلبهم الايمان من اليهود المعاندين بتحريف كلام الله بتغيير
من بعد فهمهم واستيقانهم كيلا يجرنوا على تكذيبهم القران والنبى صلى الله عليه وسلم
اى اتبالغون فى دعوتهم الى الاسلام فتطمعون ان يؤمنوا لكم اى يصدقكم
اليهود فى قولكم ويحدثوا الايمان وقد كان فريق منهم اى طائفة من اليهود
فى زمان موسى عليه السلام والواو للحال يسمعون كلام الله اى التورية ثم
يحرفونه اى يغيرون ما فيه من الاحكام كنعت النبى صلى الله عليه وسلم وآية الرجم
من بعد ما عقلوه اى فهموه واستيقنوه وما فيه مصدرية وهم يعلمون
انهم مفترون بالتحريف والواو فيه للحال يعنى انهم من اصل السوء الذين مضوا بالعناد
فلا تطمعوا الايمان منهم ثم اخبر عن حال المنافقين منهم عند ملاقاتهم المؤمنين بقوله
واذا لقوا اى اليهود المؤمنين باللسان الذين امنوا بقلوبهم قالوا امنا
كايمانكم واذا خلا اى مضى ورجع بعضهم وهم الذين لم ينافقوا الى بعض
وهم الذين نافقوا وهم رؤساؤهم قالوا منكرين عليهم باللوم والعتاب اتحدثونهم
اى اتخبرونهم بما فتح الله اى منه عليكم واعطاكم من العلم بنبوة محمد و
صدقه الذى فى كتابكم ليحاجوكم اى ليخاصمكم اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم به اى بما فتح الله عليكم فى انه نبى ثابت فى كتابكم فيثبت الحجة عليكم عند ربكم
اى فى حكمه فى الدنيا والاخرة افلا تعقلون ان ذلك حجة لهم عليكم وقيل لما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريظة يا اخوة القردة والخنازير انزلوا من حصنكم
قالوا بينهم من اخبر محمدا بهذا ما خرج الا منكم ثم استفهم الله تعالى بقوله اولا يعلمون
ان الله يعلم ما يسرون اى ما يخفون من الكفر فى قلوبهم وما يعلنون اى يظهرون
من الايمان بالسنتهم او ما يسرون فيما بينهم من القول وما يعلنون مع اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم قوله ومنهم اميون مبتداء وخبر اخبار عن عوام اليهود الذين
قلدوهم وتابعوهم بالجهل فشاركوهم فى الوزر العظيم قيل يجب على العالم ان يعمل بما علم

وعلى

وعلى الجاهل ان يطلب العلم ليعمل اى يطلب ومن اليهود الذين هم اهل الكتاب اميون
اى لا يحسنون قراءة الكتاب جمع امى منسوب الى الام كانه باق على اصل خلقته لا يكتب
ولا يقرأ قوله لا يعلمون الكتاب بيان الاميين اى لا يقرؤن الكتب ولا يعرفون
معناها قوله الا امانى بتشديد الياء ونصبها استثناء منقطع لانها ليست من جنس
الكتب جمع امنية من التمنى اى لكن الشهوات الباطلة ثابتة عندهم وهى المفتريات والمختلقات
تحرصا من تغيير صفة محمد عليه السلام وانهم لا يعذبون فى النار الا اياما معدودات وان
آباءهم الانبياء يشفعون لهم وان الله لا يؤاخذهم بخطاياهم ويرحمهم ولا حجة لهم فى
صحة ذلك وان هم اى ما هم الا يظنون ظنا من غير تيقن بها فويل اى عقوبة
عظيمة رفع بالابتداء خبره ما بعده قيل هو كلمة الدعاء على النفس بالعذاب وقيل
اسم واد فى جهنم لو سيرت الجبال فيه لذابت من حره وهو للذين يكتبون الكتاب
المحرف وهم رؤساء اليهود الذين محوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وكتبوا غيره بايديهم
تاكيد ثم يقولون لعوامهم هذا من عند الله فى التورية ليشتروا به اى
بالمحرف ثمنا قليلا اى عرضا يسيرا من حطام الدنيا فويل لهم مما كتبت
ايديهم اى العقوبة العظيمة ثابتة لهم من اجل كتابتهم اياه وويل لهم مما يكسبون
اى من اخذهم الرشوة وعملهم المعاصى وقالوا زعما منهم لن تمسنا اى لا يصل
الينا النار الا اياما معدودة اى اربعين يوما وهى مدة ما عبد اباؤهم العجل ثم يزول
عنا العذاب فاكذبهم الله تعالى فقال قل يا محمد اتخذتم عند الله عهدا موثقا
بانكم لا تعذبون او اقلتم لا اله الا الله فيحفظكم من العذاب قوله فلن جواب شرط محذوف
اى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده اليكم يعنى ينجز وعده البتة
وام فى قوله ام تقولون معادلة بالهمزة بمعنى اى الامرين المتساويين واقع لتحقق العلم
باحدهما يعنى اتخذتم ذلك العهد ام تزعمون على الله ما لا تعلمون حقيقته روى عن
النبى صلى الله عليه وسلم انهم اذا مضت تلك المدة عليهم فى النار يقول لهم خزنة
جهنم يا اعداء الله ذهب الاجل وبقى الابد فايقنوا بالخلود قوله بلى اثبات لما بعد النفى
ورد لقولهم لن تمسنا النار اى بلى تمسكم النار وتخلدون فيها وبين ذلك بعده بالشرط
والجزاء وهما من كسب سيئة هى الشرك واحاطت به اى احدقته
من كل جانب خطيئته وقرئ خطاياه اى كبايره ويموت مصرا عليها من غير توبة فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون اى لا يخرجون منها ابدا ولا يموتون لئلا يعذبوا
ثم بشر المطيعين بالجنة فقال والذين امنوا اى صدقوا بالله ومحمد عليه السلام بقلوبهم
وعملوا الصالحات اى ادوا الفرائض وانتهوا عن المعاصى اولئك اصحاب

الجنة هم فيها خالدون اى دائمون لا يموتون ولا يخرجون منها ابداً ثم اخبر
عن اخذ الميثاق منهم فى التورية ان يؤمنوا بمحمد عليه السلام عند بعثته لدعوة الناس
الى الاسلام وهم نقضوا الميثاق بقوله واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل اى عهدهم
فى التورية وقيل وقت اخراجهم من صلب آدم لا تعبدون بالياء غيبةً وبالتاء
خطاباً اى بان لا تعبدوا الا الله او قلنا لهم لا تعبدوا فيكون خبراً فى معنى النهى
وهو ابلغ من صريح النهى لقصد المسارعة الى الامتثال اى لا توحدوا الا الله وبالوالدين
اى واحسنوا بهما احساناً اى براً كثيراً وذى القربى مصدر بمعنى القرابة
بحسن الخلق اى واحسنوا بصاحب القرابة بحسن الخلق وايصال النفع اليهم واليتامى
جمع يتيم وهو من لا اب له بحسن التربية وحفظ حقوقهم عن الضياع والمساكين
بحسن القول الخلق ايصال الصدقة اليهم وقولوا للناس حسناً بضم الحاء وسكون
السين وبفتحهما اى قولا صدقا فى شان محمد صلى الله عليه وسلم وصفته او الينوا لهم
القول بحسن المعاشرة وحسن الخلق وامروهم بالمعروف وانهوا عن المنكر واقيموا
الصلوة اى ادوها فى مواقيتها واتوا الزكوة المفروضة عليكم فى اموالكم فقبلتم
ذلك بجميعها يا بنى اسرائيل ثم توليتم اى اعرضتم عن ذلك العهد وعن الايمان بمحمد الا
قليلا منكم وهو عبد الله بن سلام واصحابه وانتم معرضون اى
اعرضتم عن ذلك العهد وعن الايمان بمحمد وعادتكم الاعراض عن الايمان كاعراض ابائكم والواو
هنا ليست للحال لاتحاد المتولى والاعتراض بالجملة اعتراض للتاكيد فى التوبيخ ثم اخبر
عن اخذ ميثاق آخر على بنى اسرائيل ونقضهم ذلك بعده فقال واذ اخذنا ميثاقكم
اى عهدكم واقراركم لا تسفكون اى بان لا تريقوا دماءكم يعنى لا يريق بعضكم
دم بعض وقيل اذا قتل رجل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ولا تخرجون
انفسكم اى لا يخرج بعضكم بعضاً من دياركم وفى اقتران الاخراج من
الديار بالقتل ايذان على انه بمنزلة القتل ثم اقررتم اى اعترفتم بهذا العهد على
انفسكم وانتم تشهدون اى انتم اليوم يا معشر اليهود شاهدين على اقرار
اسلافكم بهذا الميثاق او تشهدون ان هذا فى التورية ثم وبخهم الله تعالى على نقضهم
ذلك بقوله ثم انتم هؤلاء اى يا هؤلاء او الذين تقتلون انفسكم
اى يقتل بعضكم بعضاً او انتم هؤلاء مبتدأ وخبر وتقتلون بيان لهذه الجملة
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم لانه كان بين الاوس والخزرج من قبل
بل العرب عداوة وكان بنو قريظة والنضير من قبائل اليهود احديهما وهى بنو قريظة
معينة الاوس والاخرى وهى النضير معينة الخزرج فاذا غلبت احديهما كانت تقتلهم

ويخرجهم

ويخرجهم من ديارهم واذا اسر رجل من الفريقين من طائفة اليهود جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم
العرب وقالت كيف يقاتلونهم ثم يفدونهم فيقولون امرنا كذا فى التورية وانما نفعل
القتل المحرم علينا لانا نستحيى ان تذل حلفاؤنا فقال تعالى توبيخا لهم تظاهرون
بتخفيف الظاء مع الالف والتشديد اى يتعاونون عليهم بالاثم اى بالعصيان
والعدوان اى الظلم وتجاوز الحد وان ياتوكم اسارى وقرئ اسرى جمع اسير
بمعنى واحد وقيل اذا قيد وايقال اسارى واذا حصلوا فى اليد من غير قيد يقال اسرى تفادوا
وقرئ تفدوهم اى تبادلوهم الاسير بالاسير وتاخذوهم بالفداء كما امرتم به وهو اى الشان
محرم عليكم اخراجهم من ديارهم وقيل الضمير يرجع الى الاخراج فى قوله
ويخرجون فهو مبتدأ خبره محرم عليكم واخراجهم مرفوع على انه بدل من الضمير فى محرم
بيانا للذى حرم وذلك لتراخى الكلام يعنى اعرضتم عن الكل بعد اخذ العهد عليها منكم
الا الفداء افتؤمنون اى اتنقضون الميثاق فتؤمنون ببعض الكتاب
اى ببعض ما فرض عليكم فى التورية من الفداء وتكفرون ببعض وهو القتل والاخراج
وما فى قوله فما جزاء نفى اى ليس جزاء من يفعل ذلك اى نقض الميثاق منكم
الا خزى اى فضاحة وعذاب فى الحيوة الدنيا فخزى قريظة القتل والسبى
وخزى النضير الاخراج من ديارهم والنفى الى الشام ويوم القيمة يردون بالياء غيبة
اى يرجعون الى اشد العذاب وهو عذاب النار لان عذابهم فى الدنيا لم يكن كفارة
لذنوبهم وما الله بغافل عما تعملون بالياء والتاء اى لا يخفى على الله شئ من اعمالهم فيجازيهم
بها يوم البعث اولئك الذين اشتروا اى اختاروا الحيوة الدنيا بالاخرة اى بدلها
فلا يخفف عنهم العذاب فى الاخرة بسبب اتباع الهوى وترك الهدى ولا هم
ينصرون اى لا يمنعون من العذاب بمانع لهم ولقد اتينا اى اعطينا يا بنى اسرائيل
موسى الكتاب اى التورية جملة واحدة وقفينا اى اتبعنا من بعده اى بعد
موسى بالرسل اى بالانبياء يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وعزير والياس
وغيرهم يعنى ارسلنا بعد موسى رسلا على اثر رسول اليكم واتينا عيسى ابن مريم البينات
اى العلامات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والانجيل وايدناه اى
قويناه بروح القدس اى بجبريل والقدس والقدوس هو الله قرئ بضم الدال وسكونه
ومعناه الطاهر من كل عيب او روح القدس اسم الله الاعظم الذى يحيى به الموتى قيل
ما بين موسى وعيسى اربعة الاف نبى وقيل سبعون الف نبى قوله افكلما جاءكم
وسط فيه همزة الاستفهام للتوبيخ لهم بين الفاء وما تعلقت بها من المعطوف عليه وهو
اتينا قبله اى آتينا انبياءكم ما آتيناهم فكلما اتاكم رسول من الرسل بما لا تهوى

هم

اى تريد انفسكم ولا يوافق هواكم استكبرتم اى تعظمتم عن الايمان
به ففريقا كذبتم منهم كعيسى ومحمد عليهما السلام وفريقا تقتلون
كزكريا ويحيى وشعيا واراد بالاستقبال تعظيما لهذه الحالة حيث لم يقل قتلتم بالمضى
وقالوا قلوبنا غلف بسكون اللام جمع غلاف وهو الوعاء اى قلوبنا اوعية للعلم
فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره او جمع اغلف كاحمر وهو ما فيه غشاوة اى لا نفهم حديثكم
لان قلوبنا فى غطاء فاضرب الله تعالى عن دعوتهم واثبت ان قلوبهم قابلة للايمان لكونها
سليمة باصل الخلقة وهم يعاندون بالكفر فقال بل لعنهم الله اى طردهم عن
رحمته بكفرهم اى بجحدهم الحق فقليلا ما يؤمنون ما زائدة فيه وقليلا نصب
لكونه صفة مصدر محذوف اى ايمانا قليلا يؤمنون لان مؤمنين اليهود قليلون بالنسبة
الى مؤمنين المشركين ولما جاءهم كتاب من عند الله اى القران مصدق لما
معهم اى موافق للتورية فى التوحيد وبعض الشرائع وكانوا من قبل
اى قبل محمد صلى الله عليه وسلم يستفتحون اى يستنصرون به على الذين كفروا
اى على كفار مكة لانهم قد وجدوا فى التورية نعت محمد وكانوا اذا قتلوا من يليهم
من مشركى العرب يقولون اللهم انصرنا عليهم باسم نبيك محمد وبكتابك تنزل عليه
فنصروا على عدوهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو محمد صلى الله عليه وسلم كفروا
به حسدا وحرصا على الرياسة وغيروا صفته قال الله تعالى فلعنة الله اى طرده وسخطه
على الكافرين محمد وكتابه بئس ما اشتروا بئس شيئا باعوا به اى بسببه
انفسهم بئس للذم نقيض نعم للمدح وفيه ضمير مبهم فسره ما ومحله نصب بمعنى شيئا
والمخصوص بالذم قوله ان يكفروا بما انزل الله من القران بغيا مفعول له اى لاجل
الظلم والحسد على ان ينزل الله بالتخفيف والتشديد من فضله من الرسالة
والكتاب على من يشاء من عباده وهو محمد صلى الله عليه وسلم
لانه تعالى لا اعتراض لاحد عليه فى وضعه الرسالة والنبوة حيث شاء فباؤوا
اى رجعوا بغضب اى مغضوبا عليهم على غضب صفة للاول يعنى استوجبوا
اللعنة على اثر اللعنة متصلة لكفرهم بمحمد بتضييعهم التورية والانجيل وعبادتهم العجل
ونسبتهم عيسى عم الى كونه ولد الزنا وللكافرين عذاب مهين اى ولهم
عذاب مخزيهم يهانون فيه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله اى بالقران المنزل
على محمد وهم يهود اهل المدينة قالوا نؤمن بما انزل علينا اى بالتورية وهم
يكفرون بما وراءه اى بما سواه والواو للحال وعاملها قالوا نؤمن يعنى قالوا فى الجواب
نصدق ما معنا من الكتاب جاحدين القران وهو الحق حال والعامل يكفرون مصدقا

لما

لما معهم حال مؤكدة وعاملها معنى الفعل فى الحق وصاحبها ما فيه من الضمير الراجع
الى القران وفيه رد لمقالتهم نؤمن للتورية لان معناه احقه حقا حال كونه موافقا لكتابهم
فاذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها وقالوا انك لم تاتنا بمثل الذى اتانا به انبياؤنا
من قبلك فامر الله تعالى ان يقول بنبيه صلى الله عليه وسلم متعرضا عليهم بالاستفهام
عن قتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية التى لا تسوغ قتل الانبياء قل فلم تقتلون
انبياء الله من قبل اى قبل مجى بالرسالة اليكم يعنى قتل اباؤكم ورضيتم بفعلهم
وقد جاؤا بالبينات والحجج ان كنتم مؤمنين اى مصدقين بالانبياء قيل فيه دليل على
ان من رضى بالمعصية فكانه فاعلها وان من ادعى انه مؤمن بالله وكتابه ينبغى ان يكون افعاله
مصدقة لقوله فيه ولقد جاءكم موسى بالبينات اى الحجج الواضحات ثم اتخذتم
العجل الها للعبادة من بعده اى بعد ذهابه الى الجبل للمناجات وانتم ظالمون
بما حدث منكم من عبادة العجل واذ اخذنا ميثاقكم اى العهد منكم ورفعنا
فوقكم الطور اى الجبل وكرر رفع الطور للتاكيد وقلنا لكم خذوا ما اتيناكم
اى اعطيناكم من الكتاب بقوة اى بجد واجتهاد وقلنا اسمعوا ما امرتم به فى الكتاب
واطيعوه قالوا يا محمد سمعنا قولك وعصينا امرك ولولا مخافة الجبل ما قبلنا فى
الظاهر واشربوا اى خولطوا ثم بين مكان الاشراب فقال فى قلوبهم العجل
اى حبه يعنى ادخل فى صدورهم حب العجل للعبادة دخول الصبغ فى الثوب بكفرهم
اى بسببه قل بئسما يامركم به ايمانكم بالتورية يعنى عبادة العجل وفيه
استهزاء بهم لانه ليس فى التورية عبادة العجل ليامرهم بها ايمانهم بها ان كنتم مؤمنين
بالتورية وفيه تشكيك فى ايمانهم لانهم قالوا نؤمن بما انزل علينا ولن يدخل الجنة الا من كان
هودا فادعوا ان الجنة لهم خاصة دون ساير الناس فقال الله تعالى لنبيه قل ان
كانت لكم الدار الاخرة اى الجنة عند الله نصب خبر كان قوله خالصة
نصب على الحال من الدار يعنى ان صحت دعويكم ان الجنة خاصة سالمة لكم من دون الناس
اى دون المؤمنين فاللام للعهد او ليس لاحد فيها سواكم حق او للجنس فتمنوا الموت اى
احبوه واسئلوه من الله بالقلب واللسان ان كنتم صادقين فى قولكم ان الجنة
لكم خاصة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم عند ذلك قولوا اللهم امتنا والذى
نفسى بيده لا يقوله رجل منكم الا غص بريقه اى يموت فى مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى
فابوا عن قوله ذلك فنزل ولن يتمنوه اى الموت ابدا اى فى جميع الزمان المستقبل وهو
من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به اذ لو تمنوا لنقل ذلك الينا اذ ليس التمنى
من اعمال القلب بل هو قول باللسان ليت لى كذا وليت كلمة التمنى ومحال ان يقع التحدى بما فى الضمير

والقلب وفيه دليل على ان لن ليس للتابيد لانهم يتمنون الموت في الاخرة ولا يتمنونه في الدنيا
بما قدمت ايديهم اى بسبب علمهم المعاصي وكذبهم في دعوتهم واسند الفعل الى
الايدى لان الاعمال يكون بها غالبا والله عليم بالظالمين فيجازيهم وفيه تهديد
شديد لهم لان علمه بهم كعلمه بغيرهم ثم اخبر تعالى نبيه عن حال اليهود بقوله
توبيخا لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة اى على حيوة متطاولة والتنوين
للنوع من وجد بمعنى علم المتعدى الى مفعولين وهما هم واحرص وهو افعل التفضيل
الذى اذا اضيف الى متعدد هو منه لم يحتج الى ذكر من للتفضيل كقولك زيد افضل
الناس لان المراد تفضيل الشئ على جنسه ولا يضاف الى ما هو غير داخل فيه فلا يقال زيد
افضل اخوته لانه خارج عنهم والا لزم تفضيل الشئ على نفسه بل يقال افضل الاخوة وعليه
قوله تعالى احرص الناس لان اليهود من الناس ثم زاد في توبيخهم بقوله ومن الذين
اشركوا اى ولتجدن اليهود احرص من المشركين وانما اظهر فيه من لان اليهود ليس بعض المشركين
لان المراد منهم المجوس لان حرصهم شديد لعدم ايمانهم بالبعث لاشراكهم او عطف
على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس قيل ويجوز ان يكون التقدير واحرص من
الذين اشركوا فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وانما كان هؤلاء احرص من الذين اشركوا
على الحيوة لانهم عالمون بانهم يعذبون بالنار لا محالة والمشركون لا يعلمون بل لا يعرفون
الا الحيوة الدنيا لانها جنتهم وكذلك افرد بالذكر مع كونهم داخلين في الناس لشدة
حرصهم عليها فكانهم ليسوا بعضهم وقيل ومن الذين اشركوا كلام مستانف اى ومنهم ناس
يود اى يتمنى احدهم لو يعمر اى ان يطول عمره الف سنة قيل المجوس
يقولون فيما بينهم عند العطاس وغيره عش الف سنة واليهود احرص منهم على
الحيوة والتعمير وما هو بمزحزحه اى بمبعده ومنجيه من العذاب ان يعمر
اى تعميره رفع فاعل بمزحزحه او بدل من هو وهو عائد للتعمير يعني ما احدهم بمنجيه
طول عمره من النار ولو عاش الف سنة كما تمنى والله بصير اى عالم حقيقة
بما يعملون بالياء غيبة فيجازيهم باعمالهم قوله قل من كان عدوا لجبريل
قرئ بفتح الجيم وكسر الراء بلا همزة وبفتحها وكسر الهمزة مع الياء وبكسرهما
بلا همزة مع الياء لا ينصرف للعجمة والتعريف نزل حين قال عمر بن الخطاب
لابن صوريا من اليهود ما لكم لا تؤمنون بمحمد والقرآن وقال من ياتيه به قال عمر جبرئيل قال
هو عدونا ولو كان غيره كميكائيل لآمنا به لانه ملك العذاب وميكائيل ملك الرحمة
فامر الله تعالى نبيه بقوله قل لليهود من كان عدوا لجبرئيل فليمت غيظا او فلا وجه
لمعاداته وعلل بقوله فانه نزله اى نزل جبرئيل القرآن على قلبك لتحفظه وتفهمه

ويثبت

ويثبت به فؤادك باذن الله اى بتيسيره وتسهيله مصدقا لما بين يديه من التورية
اى حال كونه موافقا له وهدى وبشرى اى وهاديا الى دين الحق ومبشرا بالجنة
للمؤمنين فكيف اخذوه عدوا فلو انصفوا لاحبوه لان ما انزله عليك موافق
لما معهم من الكتاب قيل حق الكلام ان يقال على قلبي ولكنه جاء على حكاية كلام الله
كما تكلم به يعني قل كما تكلمت به من قولي انه نزل على قلبك ثم عمم الشرط والجزاء ردا عليهم
بقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل قيل
معناهما عبد الله وعبد الرحمن وافردا بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخرى قرئ ميكال
وبهمزة بعد الالف بلا ياء ومع الياء وجواب الشرط فان الله عدو للكافرين
اى لهم فوضع الظاهر موضع المضمر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم ومن عاداه الله عاقبه
اشد العقاب ولما سمع الاية ابن صوريا ما جئتنا بشئ يا محمد فنزل قوله ولقد انزلنا
اليك يا محمد آيات بينات اى واضحات تبين الحلال والحرام وما يكفر بها اى ما
يجحد بها اى بالآيات الا الفاسقون اى الخارجون عن طاعة الله من اليهود
ومشركي العرب اوكلما اى اكفروا بالبينات وكلما عاهدوا اى احدثوا
العهد فيما بينهم عهدا مصدر من غير لفظ الفعل لئن خرج محمد لنؤمنن به فلما خرج
كفروا به او المراد من العهود ما بينهم ومحمد صلى الله عليه وسلم ان لا يعاونوا المشركين عليه
فنقضوا العهد كقريظة والنضير وجواب كلما نبذه اى القاه وتركه فريق اى طائفة
منهم لان بعضهم لم ينقض العهد بل اكثرهم لا يؤمنون اى بالتورية
ولا يبالون بنقض العهد ذنبا ولما جاءهم رسول اى محمد من عند الله
اى بامره لدعوتهم الى الايمان به مصدق لما معهم اى داع لهم الى ما يوافق كتابهم نبذ
اى رمى فريق من الذين اوتوا اى اعطوا الكتاب ومفعول نبذ كتاب الله
اى التورية لانهم لما كفروا بالرسول المصدق لما معهم فقد نبذوا التورية التى
فيها ان محمدا رسول الله وقد علموا انها من الله ورموا بالعناد كتاب الله وراء ظهورهم لم يعلموا
به بعد علمهم بما فيه كما يرمى الشئ وراء الظهر استغناء عنه ولقلة الالتفات اليه كانهم لا يعلمون
بما فيه من المعاني والمقاصد واتبعوا اى اليهود ما تتلوا اى الذى تلته يعني قرأته وعملت به
الشياطين على ملك سليمان اى في زمان ملكه او في زمان ذهاب ملكه فعلى بمعنى
في قيل ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ويضمون اليه كذبا كثيرا ويلقونه الى الكهنة
وهم يعلمون الناس ودونوه في كتب يقرؤنها فانتشر ذلك في زمان سليمان حتى قال الناس
ان الشياطين تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا
العلم وبه سخر الانس والجن والريح التي تجري بامره فجمع سليمان الكتب ودفنها تحت كرسيه

فاستخرجت بعد موته وذلك ان الشيطان جاء على صورة ادم وقال ان اردتم علم سليمان فاحفروا هذا الموضع فحفروا واخرجوا منه كتابا كثيرة فوجدوا فيها السحر والكفر وقال العلماء بالله لا يجوز ان يكون هذا من علم سليمان وقال السفهاء من اليهود هذا علم سليمان فاتبعوه فبرأ الله سليمان على لسان رسوله محمد عليه السلام باعادة اسمه تعظيما له بقوله **وما كفر سليمان** بالسحر وعمله يعني لم يكن ساحرا لان الساحر كافر **ولكن الشياطين كفروا** باستعمال السحر وتعليمه وكسبه قرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين بالابتداء وبتشديده ونصب الشياطين قوله **يعلمون الناس السحر** نصب على الحال من ضمير كفروا قيل السحر وجود وحقيقة عند اهل السنة ومن عمل به كفر ومن تعلمه لاجتنابه لا يكفر واوجب الشافعي القصاص على من قتل به قوله **وما انزل** عطف على السحر اي ويعلمون الناس الذي انزل **على الملكين** وهما الملكان **ببابل** اسم موضع فيه بئر وهما معلقان بالسلسلة او بشعورهما قوله **هاروت وماروت** عطف بيان او بدل من الملكين لم ينصرفا للعجمة والتعريف والذي انزل عليهما علم السحر ابتلاء من الله للناس ومنه النارنجات وكتبوه في كتاب فيذهب اليهود ويتعلم السحر من ذلك الكتاب **وما يعلمان** اي لا يعلم الملكان السحر **من احد** اي رجلا **حتى يقولا** له نصحا **انما نحن فتنة** اي ابتلاء واختبار من الله تعالى **فلا تكفر** اي لا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر يقولان ذلك سبع مرات فان لم يمتنع من التعلم علماه **فيتعلمون** اي الناس **منهما** اي الملكين **ما يفرقون به بين المرء وزوجه** اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة كالنفث في العقد وغيره مما يحدث الله به البغض والنشوز بينهما ابتلاء منه لان السحر له اثر كالعين والطيرة باذن الله وقيل لا اثر له في نفسه لكن لما كان ظهور القضا بعد السحر ونحوه اضيف ذلك اليه وهو قول المعتزلة وهذا مخالف لقوله عليه السلام السحر حق والعين حق ولذلك قيل يوخذ الرجل عن المرأة بالسحر حتى لا يقدر على الجماع **وما هم** اي ليس الساحرون **بضارين به** اي بالسحر **من احد** اي احدا **الا باذن الله** اي بارادته فالساحر يسحر والله يكون فيه ان شاء الله منعه فلم يضره السحر وان شاء الله خلى بينه وبينه فضره باذنه **ويتعلمون ما يضرهم** اي الذي يضرهم في الدنيا **ولا ينفعهم** في الاخرة وهو السحر فيه تنبيه على اجتناب كل علم يحرج صاحبه الى الغواية كعلم الفلسفة روي في قصة الملكين ان الملائكة عيرت بني ادم لما رأت من ذنوبهم تصعد الى السماء كالشرك وعبادة غير الله تعالى وسفك الدماء وغير ذلك من المعاصي الكبيرة وقالوا ربنا خلقت هؤلاء من التراب واحسنت خلقهم ورزقتهم نعبد واغيرك وعصوك فقال لهم الله انهم في عذر وغيبت لو ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال فاختاروا منكم اثنين لاركب ذلك فيهما فاهبطهما الى الارض فامرهما وانهاهما فاختاروا هاروت

وماروت

وماروت وكانا من خيارهم واهبطا الى الارض ليحكما بين الخلق بالامر والنهي نهارا ثم يصعد الى السماء ليلا ليعبدا ربهما فيها الى الصبح ثم ينزلا الى الارض فكانا يحكمان فيها بالحق قد نهيا عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمر فجاءت امرأة اسمها زهرة من اجمل النساء تجادل زوجها اليهما فخضعا لها بالقول وراوداها على انفسهما فقالت لا حتى تقضيا لي على زوجي ففعلا ثم سألاها نفسها فقالت لا حتى تشربا الخمر معي فشربا معها ثم سألاها نفسها فقالت لا حتى تقتلا زوجي فقتلاه ~~ثم سألاها نفسها تشربا الخمر معي فشربا معها ثم سألاها نفسها~~ فقالت لا الا ان تصليا معي لصنمي هذا ففعلا فكشف الحجاب بينهما وبين الملائكة فنظروا اليهما الى عملهما فجعلوا يستغفرون لمن في الارض ويعذرون اهلها فلما علما ما حل بهما من المحنة قصدا ادريس فاستشفع لهما فخيرهما الله تعالى بين عذابي الدنيا والاخرة فقالا عذاب الدنيا ينقطع وعذاب الاخرة لا ينقطع له فاختارا عذاب الدنيا فيعذبان فيها قيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد الى يوم القيمة والزهرة قد صارت الى النار كسائر الاشياء الممسوخة التي لم تبق لها اثر وقيل صعدت الى السماء باسم الله الاعظم الذي تعلمت منهما فمسخت كوكبا روي ان عمر كان اذا نظر الى الزهرة في السماء لعنها وقال انها فتنت الملكين في الارض **ولقد علموا** تاكيد لعدم النفع لهم في الاخرة واللام فيه لتوكيد القسم وفي **لمن اشتراه** لتوطية القسم ومن مبتدأ اي والله لقد علم اليهود في التورية لمن اشتراه السحر واختاره **ما له في الاخرة** اي الجنة **من خلاق** اي من نصيب وهو جواب القسم وخبر المبتدأ **ولبئس ما شروا** اي لبئس ما باعوا به هو اي السحر **انفسهم** لانه اوجب لهم النار وهذا جواب القسم المحذوف تقديره والله لبئس ما اشتروا به انفسهم واختاروه على كتاب الله وسنن انبيائه **لو كانوا يعلمون** ذلك بعلمهم وجواب لو محذوف يعني لو انتفعوا بعلمهم لامتنعوا من اختيار السحر فجعلوا العدم العلم بالعلم كانهم لا يعلمون **ولو انهم** اي اليهود **امنوا** بالقرآن ومحمد **واتقوا** السحر واليهودية وجواب لقوله **لمثوبة** وهي مبتدأ اي لثواب كائن لهم على الدوام **من عند الله** صفته والخبر **خير لو كانوا يعلمون** اي ان ثواب الله خير لهم مما هم فيه ولقد علموا لكن جهلهم الله لعدم انتفاعهم بعلمهم ولم يقل لمثوبة الله بالاضافة لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم فالتنوين يدل على التقليل قوله **يا ايها الذين امنوا لا تقولوا** لرسول الله **راعنا** نزل نهيا للمؤمنين عن القول به اذ كانت هذه الكلمة عند اليهود كلمة سب بلغتهم بمعنى الحمق والرعونة فلما سمعوا ذلك سروا بها وقالوا كنا نسب محمدا سرا فاظهروا الان وكانوا يقولونها للنبي عليه السلام ويضحكون فامر الله المؤمنين بان يقولوا بلفظ

وقولوا انظرنا
بيان

احسن اى لاتقولوا راعنا اى احفظنا يعنى فرغ سمعك لاستماع كلامنا وقولوا انظرنا
اى انظر الينا برعايتك واسمعوا ما تؤمرون به سماع قبول وطاعة ثم ذكر الوعيد لمن
خالف امره وجحده بقوله وللكافرين بما امر الله عذاب اليم اى وجيع دائم
قوله ما يود نزل حين كان المؤمنون يقولون لليهود آمنوا بالقرآن ومحمد فيقول
اليهود ليس ما تدعوننا اليه خيرا مما نحن فيه من التورية ولوددنا كونه خيرا منه
فقال الله تعالى تكذيبا لهم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب كاليهود
والنصارى ولا المشركين كابى سفيان وامثاله من اهل الشرك ان ينزل عليكم
اى على رسولكم من الوحى من خير اى خير بزيادة من فى سياق النفى من ربكم
من فيه لابتداء غاية الانزال ومحل ان ينزل الجملة نصب مفعول ما يود والله يختص اى
يخص ويختار برحمته اى بوحيه ونبوته من يشاء اى من كان اهلا لذلك لا لمشيئة
الله باقتضاء الحكمة والله ذو الفضل اى صاحب العطاء العظيم لمن اختصه
بالوحى والرسالة ودين الاسلام قوله ما ننسخ من آية نزل حين حين طعن اليهود فى
النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فلا يقول الا من تلقاء نفسه فلو
كان حقا لم يرجع فاخبر الله تعالى عن حكمة النسخ وقال ما ننسخ بالجزم بما الشرطية اى اى شئ
نزله من آية بيان لما قرئ بفتح نون التكلم والسين من النسخ والنسخ ازالة شئ بشئ يعقبه كنسخ
الشمس الظل وبضم النون وكسر السين من النسخ والانتساخ هو الامر بنسخ شئ للغير كامره
تعالى لجبرئيل ان يجعل الآية منسوخة بالاعلام نسخها مع اتيان بدلها قوله او ننسها
بالجزم عطف على ننسخ قرئ بضم نون التكلم وكسر السين بلا همزة من النسيان ضد الذكر
بمعنى او ننسكها وبفتح النون والسين بالهمزة من النساء بمعنى التاخير وهو ان يذهب حفظها
عن القلوب او نؤخرها فلا نبدل لها ببدل بان نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم يعنى
نبقى حكمها ويذهب تلاوتها او نؤخرها بان نتركها فى اللوح المحفوظ فلا ننزل لحكمة نعلمها
والمعنى ان كل آية نذهب بها ونبقى حكمها او نذهب بمعناها ونبقى لفظها او نذهب بهما معا فلا
يعمل بها نأت بخير منها اى نجئ بآية هى انفع للعباد يسرا والعمل بها اكثر ثوابا او مثلها
اى نأت بآية مثلها فى المنفعة ابتلاء لهم من جهة الاعتقاد كابتلاء بنى اسرائيل بالنهر قوله
الم تعلم استفهام تقديرانه قادر على جميع ما يشاء اى قد علمت ان الله على كل شئ
من النسخ وغيره قدير يعنى يقدر على الاتيان بالخير ومثله لا يعجزه شئ اذا شاء ذلك وكرر
الاستفهام التقديرى تاكيدا بقوله الم تعلم يا محمد ان الله له ملك السموات
والارض اى هو يملكها وما فيها فهو اعلم بما تصلح لعباده وما يفسد لهم من نسخ الآية
واتيان غيرها او مثلها على حسب مصالحهم فيجوز ان يامر بامر ثم يامر بغيره كما ان شريعة موسى

لم تكن قبلها فامر بذلك لاختلاف الازمنة صلاحا وفسادا فى حكم الشرع كاختلاف الصيف
والشتاء فى حكم الطب ثم هدد من لم يؤمن بالناسخ والمنسوخ بقوله وما لكم من دون
الله اى من قرب عذابه باليهود من ولى اى قريب ومن زائدة ولا نصير اى مانع يمنعكم
من عذابه قوله ام تريدون فنزل حين قالت اليهود يا محمد ان كنت نبيا فاكشف
عنا الغطاء حتى نرى الله جهرة او قالوا ايتنا بكتاب من السماء كما اتى موسى التورية او قالوا
وسع لنا ارض مكة واجعل الصفا ذهبا حتى نؤمن بك فقال الله تعالى اتريدون والميم صلة
اى اتطلبون ان تسئلوا رسولكم اى محمدا كما سئل موسى اى مثل
ما يسئله بنو اسرائيل من قبل اى من قبل محمد حديث قالوا ارنا الله جهرة وغير ذلك
من الاشياء التى كانت عاقبتها وبالا عليهم فلا تسئلوه ثقوا بالله فيما هو اصلح لكم وينزله
عليكم مما يتعبدكم به ثم قال ومن يتبدل الكفر اى يستبدله بالايمان بسبب السؤال
وترك الثقة بالله فيما ينزل على محمد بعد قيام البرهان فقد ضل اى اخطاء وغوى
سواء السبيل اى وسط طريق الهدى قوله ود كثير نزل حين قالوا لاصحاب
الرسول عليه السلام بعد وقعة احد لو كنتم على الحق لما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو
خير لكم فقالوا رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا صلى الله عليه وسلم وبالقرآن
ايمانا وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتوا الى رسول الله عليه السلام واخبروا بذلك
فقال عليه السلام اصبتم خيرا وافلحتم فاخبر تعالى بحب وتمنى كثير من اهل
الكتاب لو يردونكم اى ان يصرفوكم عن التوحيد من بعد ايمانكم كفارا
نصب على الحال من مفعول يردون ولم يكن ما قالوا لكم على وجه النصح بل قالوه حسدا
اى للحسد او نصب مصدر فعله محذوف اى يحسدونكم حسدا منبعثا من عند
انفسهم اى من اصل انفسهم او ودوا ذلك من قبل شهوتهم وتمنيهم لا من قبل الحق ومن
من بعد ما تبين لهم فى التورية الحق وهو ان دين محمد مصدق فاعفوا اتركوهم
من الانتقام واصفحوا اى وتجاوزوا عنهم بالاعراض عن مساوى اخلاقهم حتى
يأتى الله بامره بالقتال وكان ذلك ان يؤمر بالقتال بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
الآية ان الله على كل شئ قدير من النصرة للمؤمنين على الكفار والانتقام منهم
وهو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير واقيموا الصلوة اى ادوها فى مواقيتها
باتمام اركانها مع الخشوع واتوا الزكوة اى اعطوا الزكوة المفروضة عليكم وما
تقدموا مجزوم بما للشرط اى اى شئ تعملوه لانفسكم من خير اى حسنة
كصلوة او صدقة او غيرهما من اعمال البر جوابه تجدوه مجزوم بحذف النون
اى تجدوا ثوابه عند الله اى محفوظا عنده فى الآخرة كاللقمة مثل احد قيل مكتوب فى

بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم ضع كنزك عندي لا سرق ولا حرق ولا فساد تجده حين
تكون احوج اليه **ان الله بما تعملون بصير** اى عالم به فيجازيكم بالخير خيرا وبالشر
شرا يعني لا يضيع عنده عمل عامل وفيه تهديد وتبشير قوله **وقالوا** اى قال اهل
الكتاب من اليهود والنصارى نزل حين قالت اليهود **لن يدخل الجنة الا**
من كان هودا جمع هائد ولم يقل هائدا نظرا الى لفظ من قوله **او نصارى**
او فيه لتفصيل ما اجمل من الضمير في قالوا اليهود والنصارى لا لاحد الشيئين اى قالت النصارى
لن يدخل الجنة الا من كان نصارى ثم اشار بقوله **تلك** اى الاماني التي ذكرت لهم وهي
ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم
اى تلك الاماني الباطلة **امانيهم** جمع امنية افعولة من التمني اى شهواتهم الفاسدة
لا حقيقة لها **قل** يا محمد **هاتوا** اى هلموا واتوا **برهانكم** اى حجتكم على دخولكم
الجنة **ان كنتم صادقين** في الذي تدعونه فقوله تلك امانيهم اعتراض بين قولهم
وجوابه ثم قال **بلى** لاثبات ما نفوه من دخول غيرهم الجنة اى بلى يدخل الجنة غيركم بشرط
الاسلام وبينه بقوله **من اسلم** مبتدا متضمن بمعنى الشرط اى من اخلص **وجهه**
اى نفسه **لله** يعني لا يشرك به غيره **وهو محسن** اى في عمله او مؤمن بمحمد عليه السلام
وغيره من الانبياء **فله اجره** خبر المبتدا اى له ثوابه **عند ربه** اى في الجنة
ولا خوف عليهم من العذاب حين يخاف اهل النار **ولا هم يحزنون**
في الاخرة او على ما خلفوا من امر الدنيا قوله **وقالت اليهود** نزل حين تنازع يهود المدينة
ونصارى نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كل فريق منهما للاخر انتم على شيء من
الدين يعني قالت طائفة اليهود **ليست النصارى على شيء** من امر الدين وكفروا بعيسى
والانجيل اى شيء يعتد به وفيه مبالغة عظيمة لان نفي اطلاق اسم الشيء عليه يوجب ترك
الاعتداد به بالكلية لانعدامه **وقالت النصارى ليست اليهود على شيء** من امر
الدين وكفروا بموسى والتورية **وهم** اى والحال انهم **يتلون الكتاب**
اى يقرؤنه يعني انهم من اهل العلم وتلاوة الكتب المنزلة فحق من امن بواحد منهما ان يؤمن
بكليهما ولا يكفر لان كل واحد منهما مصدق للاخر فلو نظروا فيه حق النظر لارتفع الخلاف
من بينهم فدل ذلك على جهلهم وضلالتهم **كذلك** اى مثل ما سمعت يا محمد من هؤلاء
العلماء الضالة **قال الذين لا يعلمون** اى قال الجهلة الذين لا علم لهم ولا كتاب
كعبدة الاصنام وغيرهم في شانك **مثل قولهم** لان عوام اليهود ومشركي العرب
قالوا ان محمدا واصحابه ليسوا على شيء من امر الدين **فالله يحكم** اى يقضي بينهم اى
بين اليهود والنصارى يوم القيمة **فيما كانوا فيه يختلفون** من امر الدين وحكم الله

لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا قاله نفسر

بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ويريهم من يدخل الجنة عيانا قوله **ومن اظلم** نزل حين
منع المشركون رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وقيل نزل لاجل استفيانوس
الرومي حيث خرب بيت المقدس والقى فيه الجيفة وبقي خرابا الى زمان عمر رضي الله عنه اى ومن
هو مفرط في الظلم **ممن منع مساجد الله** وانما جمع مع ان المنع وقع على مسجد واحد
ليكون الحكم عاما وان كان السبب خاصا فقوله **ان يذكر** في محل النصب مفعول
ثاني لمنع اى منعها ان يذكر **فيها** اى في المساجد **اسمه** اى اسم الله بان يسبح ويصلى له
فيها ويجوز تقدير من له اى من ان يذكر **وسعى** اى عمل **في خرابها** بمنع المسبحين والمصلين
او بهدمها وان اريد المسجد الحرام فتخريبه بمنع الحجاج والمعتمرين والمصلين فيه **اولئك**
اى المانعون عن الدخول فيها وهم النصارى او المشركون **ما كان لهم** اى ما ينبغي هؤلاء
ان يدخلوها الا خائفين من القتل نصب حال من ضمير يدخلوها والغرض عدم دخولهم
الا حال خوفهم ومعناه اذا دخلوها كانوا خائفين على حال الخوف الشديد من المؤمنين ولم
يدخل بيت المقدس بعد عمارته رومي الا خائفا لو علم به قتل او المراد من المسجد الحرام مكة
لان رسول الله عليه السلام لما فتحها نادى مناديه الا لا يطوفن بالبيت عريان ولا يحجن بعد
العام مشرك فالشافعي لا يجوز دخول الكافر في المسجد الحرام ويجيزه في غيره ومنعهم
مالك مطلقا وجوزه ابو حنيفة بالاذن **لهم في الدنيا خزي** اى قتل الحربي وجزية
للذمي **ولهم في الاخرة عذاب عظيم** اى عذاب دائم لمن مات على الكفر قوله **ولله**
المشرق والمغرب اى بلادهما يعني الارض كلها لله تعالى هو مالكها حقيقة **فاين**
ما تولوا اى يستقبلوا وتصرفوا وجوهكم **فثم وجه الله** اى جهته التي امر بها
ان تصلوا ورضيها قبلة نزل حين منع المسلمون من الصلوة في المسجد الحرام او في بيت
المقدس يعني جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اى بقعة شئتم من بقاعها اذا وليتم
وجوهكم شطر القبلة المرضية لا مكان التولية في كل مكان لا يختص امكانها في شطر المسجد
ولا في مكان دون مكان او نزل حين خرج قوم من اصحاب الرسول عليه السلام في سفر فاصابهم
الضباب فبعضهم صلى الى المشرق وبعضهم صلى الى المغرب فلما ذهب الضباب
تبين لهم ذلك فجاؤا الى الرسول فسالوه فبين لهم ايما توجهتم بنية القبلة فثم قبلة
الله **ان الله واسع** اى واسع المغفرة **عليم** بنياتكم الخالصة في صلوتكم حيث ما
صليتم قوله **وقالوا اتخذ الله ولدا** نزل حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى
المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وهو معطوف بالواو على وقالوا
لن يدخل الجنة وقرئ بغير واو على الاستيناف اى قال الكفار ذلك القول **سبحانه**
اى تنزيها له وتبعيدا عما يقول الظالمون وكيف يوجد له ولد ولا مجانسة

بالهدم او التعطيل

بينه وبين احد بل له ما في السموات والارض اي خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة
وعزير والمسيح كل اي كل شيء فيهما له اي لله قانتون اي منقادون مطيعون
مقرون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليه واورد بجمع اولي العقل بعد ذكر ما
تغليباً للعقلاء على غيرهم بديع السموات والارض اي هو مبدعهما ومنشيهما
على غير مثال يسبق اذا قضى اي حكم امراً من الامور واراد كونه فانما يقول له
كن اي احدث فيكون رفعاً على الاستيناف ونصباً في جواب الامر باضمار
ان اي ان يحدث ويتكون من غير امتناع سرعة كالمامور المطاع بلا توقف فليس المراد
من القول له بكن الخطاب بالامر حقيقة بل هو خبر عن الحكم بوجوده بمعنى فانما يقول
له تكون فهو يكون لان الخطاب لا يرد على الموجود ولا على المعدوم وقيل يجوز ان يكون
الخطاب للموجود في علم الله لان الاشياء كلها موجودة في علم الله بوجه لا نعلمه روي
ان الآية نزلت حين قال وفد نجران من النصارى للنبي ع م هل رايت خلقاً من غير اب
جواباً لهم قوله وقال الذين لا يعلمون اخبار عما قالوا استهزاءً اي قال الجهال من
الناس يعني المشركين او اهل الكتاب الذين لم يعملوا بعلمهم لولا يكلمنا الله
اي هلا تكلمنا كما يكلم الملائكة وموسى فيخبر لنا انك رسول الله او تاتينا اي او هلا
يجيئنا منه آية اي علامة دالة على نبوتك فقال تعالى كذلك اي مثل ذلك
القول قال الذين من قبلهم من اليهود لموسى ارنا الله جهرة مثل قولهم
اي قول هؤلاء الجهلة تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء وقلوب من تقدمهم
في الفسوق والعمى قد بينا الآيات اي اوضحنا واظهرنا العلامات وهي المعجزات
لنبوتك لقوم يوقنون اي يتيقنون وينصفون انها آيات يجب الاعتراف
والايمان بها ثم شرع في تسلية رسول صلى الله عليه وسلم بقوله انا ارسلناك
بالحق اي بالقرآن وشرايع الاسلام بشيراً اي مبشراً بالجنة لاوليائي بالايمان بك
ونذيراً اي ومخوفاً اعدائي بترك الايمان بك يعني لم نرسلك عبثاً وما عليك الا البلاغ
فلا تغتم لاصرارهم على الكفر ولا تسئل معلوماً بالجزم نهياً من الله للنبي ع م عن السؤال
عن اصحاب الجحيم تهويلاً لعذابهم كما يقال لا تسئل عن فلان اذا كان في هلكة
وقرئ مجهولاً بضم التاء واللام اي انك بلغت الرسالة فلا تسئل عما فعلوا من الاصرار على
الكفر والمعاصي قوله ولن ترضى نزل حين طلب يهود المدينة ونصارى نجران الصلح وكانوا
يرونه انهم يدخلون في دين الاسلام فاقنطه من طمعه في اسلامهم بقوله ولن ترضى ابداً عنك
اليهود ولا النصارى ولو جهدت في طلب رضاهم حتى تتبع ملتهم اي
حتى تدخل في دينهم وتصلي قبلتهم ثم بالغ في الاقناط بان امره ان يقول في جوابهم بقوله

قل

قل ان هدى الله الذي هو دين الحق وطريق الاسلام هو الهدى الذي ليس وراءه
هدى ولئن اتبعت اهواءهم اي دينهم الباطل بعد الذي جاءك من
العلم اي بعد ما ظهر لك حقيقة الاسلام وما فيه من الاحكام ما لك من الله اي
ليس لك من عذابه تعالى من ولي اي قريب ينفعك ولا نصير اي مانع قوي يمنعك
منه قوله الذين آتيناهم الكتاب مبتداء نزل في مؤمني اهل الكتاب
وهم اثنان وثلثون رجلاً قدموا مع جعفر بن ابي طالب من ارض الحبشة وكانوا يقرؤن
كتابهم ولا يحرفونه او يقرؤن القرآن ويتبعونه حق اتباعه وقيل نزل في ابن سلام واصحابه وقيل
عام في اهل الاسلام اي الذين اعطيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اي يقرؤنه حق
قراءته كما انزل الله على نبيه ولا يغيرون ما فيه والجملة نصب على الحال من هم المفعول لصفتهم
وخبر المبتدا اولئك يؤمنون اي يصدقونه به اي بالقرآن او محمد ومن يكفر به
اي بالقرآن ويغيره او محمد ولم يتبعه فاولئك هم الخاسرون لاشترائهم
الضلالة بالهدى ثم خاطب اليهود لتاكيد النصح لهم وقطع الحجة عليهم بقوله
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي احفظوا
منتي عليكم في التيه من المن والسلوى واشكروا لي ولا تكفرون واني فضلتكم
على العالمين اي ميزتكم عليهم بتفضيل آبائكم بتلك النعمة ولم يكن لغيرهم من
العالمين واتقوا يوماً اي اخشوا عذاب يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً
من الحقوق التي لزمتها ولا يقبل منها عدل اي من النفس الاولى فداء ولا تنفعها
شفاعة اي شفعت للنفس الثانية ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله
واذ ابتلى اي اذكر وقت اختبر ابراهيم بالنصب مفعول ربه بالرفع
فاعل والاختبار من الله ان يظهر حالة الخفية ليستوجب الثواب والعقاب
كما علم الكفر من ابليس ولم يلعنه بعلمه ما لم يختبر بما يستوجب اللعنة به اي امر الله
ابراهيم بكلمات اي باوامر ونواهي وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي
والاحرام والوقوف بعرفة والحلق والذبح وغير ذلك وقيل عشر خصال من السنن
خمس في الراس كقص الشارب والمضمضة والاستنشاق والمسواك وفرق الراس
او اعفاء اللحية وخمس في الجسد كتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة
والختان والاستنجاء بالماء فاتمهن اي عمل بهن لله تعالى ووفى امره فثم قال له ربه
اني جاعلك للناس اماماً يقتدى بك في الدين فاعجبه قوله به وتمنى ان يكون
مثل ذلك لذريته ولذا قال ومن ذريتي على تقدير واجعل فريقاً من اولادي اماماً
يقتدى بهم بعدي قال الله تعالى مجيباً بابلغ الجواب بجعله اولاده ائمة لا ينال

عهدى

عهدى الظالمين بفتح الياء وسكونها اى لا يصل الامامة والاستخلاف بالنبوة الذى
عهدت اليك من كان ظالما من اولادك وغيرهم وانما ينال عهدى من كان عادلا بريئا من الظلم
لان الامام انما هو لمنع الظلم فكيف يجوز ان يكون ظالما وان جاز فقد جاء المثل السائر
من استرعى الذيب ظلم قيل فيه اشارة الى ان من اراد ان يبلغ درجة الاخيار ليقتدى به
فليلازم التعب وجهد النفس فى طاعة الله تعالى وفيه دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة
ولا يقدم للصلوة قوله **واذ جعلنا البيت** عطف على واذ ابتلى ابراهيم واذكر وقت
جعلنا الكعبة **مثابة** اى مرجعا **للناس** يعنى معادا يعودون اليه من كل
جهة كل سنة **وامنا** وجعلناه مامنا لهم يامنون فيه لان المشركين كانوا يتعرضون
الى من لم يكن من اهل مكة ولم يتعرضوا من كان فى مكة كقوله جعلنا حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم وقيل جعله ملجاء لمن التجاء اليه كالرجل الذى وجب عليه القصاص
فدخل فى الحرم لا يقتص منه فى الحرم لا يقتص فى الحرم روى عن عمر بن الخطاب انه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت يوم الفتح فلما فرغ منه اتى المقام
وقال هذا مقام ابينا ابراهيم يصلى فقال عمر افلا نتخذ مصلى يا رسول الله فانزل الله
تعالى قوله **واتخذوا** بكسر الخاء امرا وبفتح الخاء ماضيا عطفا على جعلنا اى واتخذ
الناس **من مقام ابراهيم مصلى** اى موضع صلوة وهو الحجر الذى يصلى
عنده ركعتا الطواف روى عن النبى عم انه قال ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت
الجنة لولا ماسته ايدى المشركين لاضاءتا مابين المشرق والمغرب والمراد منهما الحجر الاسود
والحجر الذى قام عليه ابراهيم عند بناء البيت وهو الذى اعتمد عليه برجله حين اتى لزيادة
اسمعيل فلم يجده ووجد امراته فغسلت راسه وهو على دابته وضيفته فقال لها اقراء
زوجك السلام فقال وقولى قد استقامت عتبة بابك فلا تغيرها يعنى صلحت زوجتك
فلا تطلقها وهذا بعد ان طلق زوجة قبلها ثم جاء ابراهيم مرة ثانية فوجد اسمعيل وقال ان
الله تعالى امرنى ببناء بيت هنا اتعيننى عليه قال نعم فاخبر تعالى عن ذلك بقوله **وعهدنا
الى ابراهيم واسمعيل** اى امرناهما **ان طهرا بيتى** بفتح الياء وسكونها اى بان
ابنياه على الطهارة من الشرك واجعلاه خاليا من الاصنام او من جميع النجاسات **للطائفين**
اى للدائرين حوله من الغرباء وغيرهم **والعاكفين** اى المقيمين والمجاورين
من اهل الحرم **والركع السجود** اى للمصلين من كل وجه قيل الطواف افضل
للغرباء والصلوة افضل لاهل مكة **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا** اى المكان
بلدا امنا اى ذا امن يامن فيه اهله وهو الحرم **وارزق اهله من الثمرات** لانه لم
يكن لهم ثمرة فاستجاب الله دعاءه فيحمل الثمار اليه من كل جهة فيوجد فيها

ثمين

فى كل وقت من انواع الثمار وقيل نقلت الطائف من الشام وجعلت مكانها الآن بدعاء ابراهيم عليه السلام
قوله **من امن** بدل من اهله يعنى وارزق المؤمنين **منهم بالله واليوم الاخر** خاصة
وانما اشترط ذلك فى دعائه خوفا من ان لا يستجاب له فيمن ظلم وكفر كما لم يستجب له فى الظالمين
حين سأل الامامة لذريته اولانه يهم نفع العبادة وهداية الخلق فرد الله عليه **وقال ومن
كفر** اى وارزق من كفر لان امر الرزق ليس كامر الامامة لانه وعد بالرزق كافة الخلق ولان
الامامة فضل يعطيه من يشاء والرزق عدل وهو لجميع الخلق وان كان البعض مشركا ويجوز
ان يكون من شرطية والجواب **فامتعه** اى ومن يكفر بالله واليوم الاخر فامده ليلتذ بلذات
الدنيا اثباتا للحجة عليه **قليلا** اى زمانا يسيرا يعنى الى منتهى اجله ووصفه بالقلة
لان متاع الدنيا قليل لفنائه **ثم اضطره** اى الجئه **الى عذاب النار** بحيث لا يمكنه
الامتناع منه **وبئس المصير** اى المرجع الذى يرجع اليه للاقامة فيه النار **واذ يرفع**
اى اذكر اذ يبنى **ابراهيم القواعد** اى الاساس **من البيت** اى الكعبة واتى الم
يقل قواعد البيت بالاضافة كما فى التبيين بعد الابهام تفخيم لشان المبين ولده **واسمعيل**
ولده عطف على ابراهيم يعنى كان يبنى ابراهيم واسمعيل يناوله الحجارة وهو حكاية حال
ماضية فلما فرغا من البناء قالا **ربنا تقبل منا** اى بناءنا **انك انت السميع** لدعائنا
العليم ببنائنا روى ان اول من بنى الكعبة آدم ثم ابراهيم وقيل ان موضع البيت خلق
قبل الارض بالفى عام ثم بسطت الارض من تحته ولما اهبط آدم الى الارض اهبط اليه
البيت المعمور ليانس به ويطوف حوله وارسل الله اليه ملكا فاراه المناسك وبقى الى ايام
الطوفان فرفع الى السماء الرابعة والكعبة بحيالها على قدره ومثاله فبقى موضع البيت
المعمور خاليا بعد رفعه فبنى ابراهيم واسمعيل الكعبة فى موضعه قائلين **ربنا واجعلنا
مسلمين** اى مخلصين **لك ومن** لابتداء غاية الجعل اى واجعل من **ذريتنا امة** اى
جماعة **مسلمة لك** اى مخلصة فى اسلامهم واعمالهم لك وانما خص ابراهيم واسمعيل
ذريتهما بالدعاء لانهم احق بالشفقة والنصيحة لقوله قوا انفسكم واهليكم نارا **وارنا
مناسكنا** اى علمنا شرائع ديننا واعلام الحج لنتعبدك بها قرئ بكسر الراء وسكونها
وتب علينا اى تجاوز عن ذنوبنا من الصغائر وعن ذنوب ذريتنا من الكبائر **انك
انت التواب** اى المتجاوز البليغ **الرحيم** بعبادك المؤمنين **ربنا وابعث فيهم**
اى فى جماعة الامة المسلمة من اولادنا اى اهل مكة **رسولا منهم** اى محمدا قيل كل الانبياء
من بنى اسرائيل الا عشرة مع محمد عم **يتلوا** اى يقرؤا **عليهم اياتك** اى القران المنزل
منك جمع آية وهى كل كلام متصل الى انقطاعه **ويعلمهم الكتاب** اى القران
والحكمة اى مواعظه واحكامه من الحلال والحرام ليعملوا به **ويزكيهم**

المراد من الحكمة العلم والعمل

اى يطهرهم من الكفر والمعاصى انك انت العزيز اى الذى يقهر من عصاه ولا يغلبه شئ لعزته
اولا يعجزه شئ عما اراد الحكيم اى الذى يوافق فعله علمه روى ان النبى ع م قال
انا دعوة ابراهيم اى اثر دعائه وبشرى عيسى لانه بشر برسول يأتى من بعدى اسمه احمد ثم استفهم
انكارا واستبعادا ان يكون فى العلماء من يرغب عن الحق الواضح بقوله ومن يرغب عن
ملة ابراهيم اى يترك شريعته ودينه وهو الاسلام الا من سفه اى جهل
نفسه نصب مفعول فلا يتفكر فى امر نفسه ليعرف ربه الذى خلقه فسواه ويعبده
روى عن النبى ع م انه قال من عرف نفسه فقد عرف ربه فكل من عبد غير الله فقد جهل
نفسه ومحل من بعد الا رفع على البدل من ضمير يرغب وجاز البدل لان من يرغب كلا غير موجب
فى قوة ليس احد يرغب الا الذى سفه قوله ولقد اصطفيناه بيان لكرامة ابراهيم وخطاء
من رغب ملته اى لقد اخترناه فى الدنيا للنبوة ودين الحق بالوحى وانه اى الفائزين
فى الاخرة لمن الصالحين اى لمعهم فى الجنة يعنى اخترناه فى الدارين فلا يعرض عن دينه
من كان له عقل قوله اذ قال له ظرف لاصطفينا او منصوب باذكر مقدرة اى امره ربه
بقوله اسلم اى اخلص واستقم على الاسلام وذلك حين خرج من الغار ونظر الى الكوكب
والقمر والشمس فالهمه الله الاخلاص قال اسلمت لرب العالمين اى اخلصت دينى له
كقوله انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض الاية ووصى وقرئ بها اى
بالملة وهى السنة الحنيفية او بكلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله ابراهيم بنيه الثمانية
واصل الوصية الايصال الى الغير بالوعظ قوله ويعقوب مرفوع عطف على ابراهيم
اى واوصى يعقوب بنيه الاثنى عشر فقال يا بنى ان الله اصطفى اى اختار لكم الدين
اى الاسلام فلا تموتن اى لا يصادفكم الموت الا وانتم مسلمون اى مخلصون بالتوحيد
وهذا نهى عن الموت فى الظاهر وفى الحقيقة عن ترك الاسلام اذ الموت ليس فى ايديهم وذلك
حين دخل يعقوب مصر فراى اهلها يعبدون الاصنام فاوصى بنيه بان يثبتوا على الاسلام
قوله ام كنتم شهداء نزل حين قالت اليهود للنبى ع م الست تعلم ان يعقوب اوصى
بنيه يوم مات باليهودية فقال الله تعالى اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم حضورا اذ حضر
يعقوب الموت اى اماراته وقرب منه فام منقطعة بمعنى الانكار فالخطاب للكافرين
من اليهود اى ما كنتم حاضرين عند موته والا لما ادعيتم عليه اليهودية ولكان حرصتم على ملة
الاسلام اذ قال لبنيه ظرف بدل من اذ قبله والعامل فيه شهداء اى قال مستفهما عن
دينهم ما تعبدون من بعدى اى بعد موتى وما للاستفهام فيهم العقلاء وغيرهم •
قالوا نعبد الهك واله ابائك يعنى الله تعالى انكم لم تكونوا حاضرين فى ذلك
فانتم تقولون بما لا علم لكم به فبين بذلك ان وصية يعقوب لبنيه كانت بخلاف ما قالت

استفهام

عن

واوصى

اليهود

اليهود قوله ابراهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لقوله ابائك وعد اسمعيل ابا وان كان
عما لان العرب يسمى العم ابا وللخالة اما وقوله الها واحدا بدل من اله ابائك وقوله ونحن له
مسلمون اى مخلصون بالتوحيد فى محل النصب على الحال من ضمير المتكلم فى نعبد او من مفعوله
وهو الهك قوله تلك اشارة الى ابراهيم واولاده الموحدين اسمعيل واسحق ويعقوب اى
الجماعة المذكورة امة قد خلت اى مضت لها ما كسبت من الاعمال ولكم ما كسبتم
من الاعمال يعنى لا ينفع كل احد منهم الا ما كسبت ولا ينفعكم الا ما كسبتم ولا تسئلون
عما كانوا يعملون اى لا يسئل احد عن عمل غيره يعنى لا تاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعون
بحسناتهم وهذا رد لافتخارهم باوائلهم وبقولهم نحن على دينهم قوله وقالوا كونوا هودا
او نصارى الاية نزل حين اختصم يهود اهل المدينة ونصارى نجران فقال اليهود للمسلمين
لا دين الا ديننا فكونوا معنا وقال النصارى لهم بل ديننا افضل فكونوا معنا ثم سالوا رسول
الله عن ذلك فقال لهم كلكم على الباطل فاخبر عن الفريقين بقوله وقالوا اى اليهود كونوا على
دين اليهودية وقال النصارى كونوا على دين النصرانية تهتدوا اى تجدوا الهداية من الضلالة
فقال تعالى لنبيه قل يا محمد بل ملة ابراهيم حنيفا اى بل تكونوا اى من اهل ملة ابراهيم
او بل نتبع ملته مخلصا والحنيف المائل عن دين الباطل الى دين الحق وانه كان مستقيم الدين
وما كان من المشركين وفيه توبيخ لكفار اهل الكتاب فانهم يدعون انهم على ملة
ابراهيم وهم ثابتون على الشرك قوله قولوا امنا نزل خطابا للكافرين اى قولوا امنا لتكونوا
على الحق ويجوز ان يكون خطابا للمؤمنين حين قرا اهل الكتاب التورية وفسروها بالعربية
فقال ع م لا تصدقوهم ولا تكذبوهم لان فيه تكذيب الانبياء فقال المؤمنون كيف نقول
حتى لا نكذب احدا من الانبياء فعلمهم الله تعالى بان يقولوا امنا بالله وما انزل
الينا اى بالقران الذى انزل على نبينا وما انزل الى ابراهيم من صحفه العشر وبما انزل الى
اسمعيل واسحق ويعقوب والى الاسباط جمع سبط وهو بمنزلة القبيلة للعرب
قيل السبط الحافد والاسباط حفدة يعقوب وهم ذرارى ابناء يعقوب فانه كان له
اثنان عشر ابنا فولد كل واحد منهم جماعة فصار اولاد كل واحد منهم سبطا وكان فيهم انبياء
انزل اليهم كتب وهم يعملون بها فنسب الانزال اليهم لذلك كما نسب الى امة محمد فى قوله وما
انزل الينا وما اوتى اى وبما اعطى موسى وعيسى يعنى بالتورية والانجيل وما اوتى
النبيون من ربهم اى من الايات والكتب يعنى امنا بجميع الانبياء وبجميع كتبهم
لا نفرق بين احد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى
لان تصديق الكل واجب على المؤمنين بنبى ونحن له اى الله مسلمون اى مخلصون
بالتوحيد والاحد بمعنى الجماعة هنا لانه فى سياق النفى يعم القليل والكثير ولذلك صح

دخول بين عليه اى لانفرق بين احاد الجماعة ولو قال لانفرق بينهم لاستقام المعنى لكنه
اراد ان يحقق المعنى بوجه ابلغ ثم قال تعالى للمؤمنين بمحمد عليه السلام والقران مخبر
عن حال الخصم لتبكيتهم لقوله فَإِنْ آمَنُوا اى اليهود والنصارى بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ
اى بالذى صدقتم وشهدتم به بزيادة مثل او الباء زايدة مثل صفة موصوف محذوف
ايمانا مثل ايمانكم وشهادة مثل شهادتكم فَقَدِ اهْتَدَوا وخلصوا من الضلالة وَإِن
تَوَلَّوا اى اعرضوا عن الايمان بمحمد والقران وجميع الانبياء فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ اى فى
خلاف فى الدين ومعاندة لاهل الحق وليسوا فى شئ من طلب الحق فَسَيَكْفِيكَهُمُ
اى يكفيك ويدفع عنك يا محمد اللَّهُ بشر اليهود والنصارى وقد انجز وعده بقتل قريظة
وسبيهم وباجلاء النضير وضرب الجزية على الفريقين والسين فيه لتحقيق كون ذلك البتة
وان تاخر الى حين لانها تفيد الوعد من الله ووعده واقع لامحالة وبينه بقوله وَهُوَ السَّمِيعُ
لكلامهم ودعائك الْعَلِيمُ باحوالهم ومرادك فيجازى كلا بما يشاء بقوله صِبْغَةَ
اللَّهِ فيه تفضيل دين محمد عليه السلام على ساير الاديان وهى مصدر موكد لقوله آمنا بالله فعلة
من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان
تطهر النفوس فيكون تاكيدا للنفسه والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
فى ماء اصفر اسمه عندهم المعمودية فى اليوم السابع كالختان لاولاد المسلمين ويقولون
الان وقد طهر هذا وصار نصرانيا حقا فامر الله المسلمين بان يقولوا لهم قولوا آمنا
وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا التى كانت قبل اى طهرنا به تطهيرا لا
مثل تطهيرنا وهذا على تقدير ان يكون الخطاب بقوله قولوا للكافرين واما اذا كان الخطاب
به للمؤمنين كان صبغة الله من مقولاتهم يعنى صبغنا الله بالايمان ولم نصبغ صبغتكم وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً اى دينا نصب على التميز يعنى اى شخص يكون صبغته
احسن من صبغة الله فانه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم من انجاس الكفر والشرك فلا
صبغة احسن من صبغة الله وهذا من باب المشاكلة قوله وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ اى
موحدون بالاخلاص عطف على قوله آمنا بالله فيكون من متعلقات قولوا قوله قُلْ
أَتُحَاجُّونَنَا نزل حين فى اليهود الذين يظاهرون المشركين اى قل يا محمد يا اهل الكتاب
اتخاصموننا فِي اللَّهِ اى فى شان الله واصطفائه النبى من العرب وتقولون لم خص الله هو
بالنبوة محمدا من العرب ونحن احق بها منه وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ اى الله الهنا والهكم
نشترك جميعا فى كوننا عباده واصطفائه احدا للنبوة لاحكم لنا عليه فى شئ يختص
برحمته من يشاء كما يشاء فلم يظاهرون من لا يوحد الله علينا وَلَنَا أَعْمَالُنَا اى جزاء
وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ اى جزاء اعمالكم لانه عادل وَنَحْنُ لَهُ اى لله بالتوحيد مُخْلِصُونَ

والاخلاص

والاخلاص تصفية الاعمال من الشرك والرياء فانتم به مشركون لان توحيدكم ليس بخالص
فقوله أَمْ تَقُولُونَ بالتاء والياء ام فيه معادلة للهمزة فى اتحاجوننا للاستفهام لانكار
الامرين معا المعنى اى الامرين تاتون المحاجة بنا فى الله ام ادعاء عدم الاسلام على الانبياء
ويجوز ان يكون منقطعة اى بل ايقولون إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ من الانبياء كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ولم يكونوا انبياء فانتم
فى قولكم هذا كاذبون ثم امر نبيه عليه السلام ان يقول لهم بالاستفهام الانكارى والرد عليهم
بقوله قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ بذلك أَمِ اللَّهُ اعلم فانه اخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان
من المشركين واخبر عن الانبياء المذكورين انهم على دين الاسلام بقوله عنهم ونحن له مسلمون
ثم زادهم انكارا وتبكيتا بقوله وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ اى ستر واخفى الناس
شَهَادَةً حاصلة عِندَهُ واصلة مِنَ اللَّهِ اليه وهى شهادته لابراهيم بالحنيفية ولمحمد
للنبوة والله اشهدهم على ذلك كله فى كتبهم وهم كتموها من الناس ثم تهددهم بقوله وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ اى لا يخفى عليه بشئ من اعمالهم واقوالهم فيجازيهم عليها قيل هذا
وعيد للظالمين وتعزية للمظلوم تِلْكَ أُمَّةٌ اى جماعة قَدْ خَلَتْ اى مضت لَهَا مَا
كَسَبَتْ من الاعمال وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ منها وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ
اى لا يسئل احد عن عمل غيره بل يسال عن عمله ويجزى به قوله سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ
اى الجهال مِنَ النَّاسِ اخبار بقولهم قبل وقوعه وفايدته تسكين نفوس المؤمنين
عند سماع المكروه من الكفار لان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد عن
الاضطراب اذا وقع عما يتقدمه من توطين النفس فالسين للتاخير وقيل المعنى قد للتحقيق
لانه نزل حين طعن كفار مكة واليهود فى تحويل القبلة بقولهم مَا وَلَّاهُمْ اى
ما الذى صرف محمدا واصحابه عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا اى على اعتقادها
والتوجه اليها فى الصلوة وهى بيت المقدس وكان الانصار يصلون قبل قدوم النبى
عم الى المدينة نحو بيت المقدس فلما قدم اليها صلى ثمانية عشر شهرا وقيل سبعة عشر
شهرا الى بيت المقدس ثم حولت القبلة الى الكعبة فقالوا رجع محمد الى قبلتنا فعن قريب
يرجع الى ديننا فقال تعالى قُل لهم يا محمد لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ اى بلادهما كلها
له يَهْدِي اى يرشد بحكمه مَن يَشَاءُ من عباده هدايته إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ
اى الى دين يرتضيه لا اعتراض عليه فيوجهه الله تارة الى مكة وتارة الى بيت المقدس لانه
الله مالك الملك وحده لا شريك له فيه قوله وَكَذَٰلِكَ نزل حين قالت اليهود لمعاذ
قبلتنا قبلة الانبياء وما تركها محمد الا حسدا وانه يعلم انا على عدل بين الناس فقال معاذ
نحن على حق وعدل فقال تعالى تصديقا لقوله وكذلك اى مثل ذلك الجعل الصالح الامر

القبلة **جعلناكم امة وسطا** اى خيارا عدلا يقال لخيار الشئ وسط لان
الاطراف يتسارع اليها الخلل والفساد وجعل صفة لامة لانه اسم يستوى فيه المذكر
والمؤنث والواحد والجمع قيل ما اصلح فى موضعه بين فهو مسكن وما لم يصلح فهو محرك ثم
علل ذلك بقوله **لتكونوا شهداء** اى جعلناكم عدلا للخلائق لتكونوا شاهدين **على الناس**
يوم القيمة للانبياء بانهم قد بلغوهم **ويكون الرسول** اى محمد عم **عليكم شهيدا**
مزكيا كالرقيب على وفى الاختصار يشهد لكم بالتصديق اذا اخرجتم فى شهادتكم
روى انه يقال للكفار يوم القيمة الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيقول الانبياء
كذبوا قد بلغناهم فيسئلهم الله البينة وهو اعلم اقامة للحجة عليهم فيؤتى بامة محمد عم فيشهدون
للانبياء بالتبليغ فيقول الامم من اين علموا وهم قد جاؤا بعدنا فتسئل امة محمد عليه السلام عن ذلك
فيقولون انك ارسلت الينا رسولا وانزلت الينا كتابا اخبرلنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق
ثم يؤتى بمحمد عم فيزكى امته ويشهد بصدقهم قوله **وما جعلنا** نزل حين كانت قبلة النبى عم
بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة فى الصلوة بين نفسه وبين بيت المقدس ثم امر
بالصلوة الى الكعبة فضل قوم بذلك وارتدوا فقال تعالى **وما جعلنا القبلة التى**
التى كنت عليها الآن فالتى صفة موصوف محذوف هو المفعول الثانى للجعل
يعنى ما اردنا منها الى هذه الجهة وهى الكعبة **الا لنعلم** اى ليظهر علمنا فى الوجود او
لتميز **من يتبع الرسول** اى يوافقه ويصدقه فى تحويل القبلة **ممن ينقلب** اى
يرجع **على عقبيه** ناكصا فيرجع عن دين الاسلام ويرتد بعد التحويل يعنى انما فعل ذلك ابتلاء
لهم فى اطاعتهم للرسول وعصيانهم له فى تحويل القبلة وايجابا للحجة عليهم لما سبق فى علمه
ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم ولقد ارتد كثير من الناس عن الاسلام عند
ذلك والواو فى قوله **وان كانت لكبيرة** للحال وان مخففة من الثقيلة واللام
هى الفارقة بينها وبين المشددة اى والحال ان القبلة المحولة لشاقة عظيمة **الا على الذين**
هدى الله اى ارشدهم الى دينه الحق وحفظ قلوبهم عليه واعزهم باتباع نبيه محمد عم
فى تحويل القبلة وهم الثابتون المخلصون من اصحابه ثم قال المسلمون يا رسول الله ما صنع الله
بصلوة اخواننا الذين صلوا الى بيت المقدس وماتوا عليها فانزل الله تعالى **وما كان الله**
ليضيع ايمانكم اى صلوتكم الى بيت المقدس قبل التحويل لان الصلوة لا يكون الا
بالايمان ولهذا استدل البعض على ان العمل من الايمان وقيل معناه ايمانكم بالصلوة الى بيت المقدس
وانما قال الله ايمانكم بالخطاب تغليبا للاحياء الحضور على الاموات فالمراد ايمان الاحياء
والاموات وعلل ذلك بقوله **ان الله بالناس لرؤف** بضم الهمزة مع الواو الساكنة
ومع غيرها اى ذو رحمة عظيمة لهم حيث لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم **رحيم**

ذنوبهم

ذنوبهم بالايمان وايصال الرزق اليهم قوله **قد نرى** راس قصة تحويل القبلة فيكون متاخرا
لفظا ومتقدما معنى على قوله سيقول السفهاء وكان النبى عليه السلام حين هاجر الى المدينة
من مكة يتوقع ربه ان يصرفه عن قبلة اليهود الى غيرها فجعل ينظر الى السماء رجاء ان
ينزل عليه الوحى بالتوجه الى الكعبة لكونها قبلة ابراهيم عليه السلام وسائر الانبياء ولكونها
ادعى للعرب الى الاسلام لانها مفخرهم ومامنهم فنزل قد نرى اى نعلم ونشاهد **تقلب**
وجهك اى تردده وتصرف نظرك **فى السماء** اى فى جهتها **فلنولينك** اى
فلنعطينك او لنحولنك فى الصلوة **قبلة** اى الى قبلة **ترضيها** اى تحبها وتهواها
وهى الكعبة فامره الله تعالى بالتوجه اليها فقال **فول** اى اصرف **وجهك** واستقبل
به **شطر** اى تلقاء **المسجد الحرام** المحرم واراد منه الكعبة وفيه دليل على ان الواجب
فى الصلوة استقبال الجهة ومراعاتها لان الكعبة فى داخله فلا يكون المراد منه العين
لانه حرج عظيم على البعيد منها قال الشافعى الواجب استقبال الجهة لمن هو خارج المسجد
الحرام سواء كان بمكة او لم يكن وعند ابى حنيفة الواجب اصابة العين اذا كان بمكة **وحيث**
ما كنتم اى ايما تكونوا من بر وبحر **فولوا** اى اصرفوا **وجوهكم** مصلين **شطره**
اى نحوه قيل كان تحويل القبلة فى رجب بعد زوال الشمس قبل بدر بشهرين ورسول الله
فى مسجد بنى سلمة فى المدينة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول فى الصلوة
واستقبل الميزاب وجعل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجد
القبلتين فثم قالت اليهود هذا شئ يبتدعه محمد من تلقاء نفسه فنزل **وان الذين اوتوا**
اى اعطوا **الكتاب** من اليهود والنصارى **ليعلمون انه** اى ان تحويل القبلة
الى الكعبة **الحق** اى الثابت **من ربهم** لا من تلقاء نفس محمد لانه عليه السلام
كان فى بشارة انبيائهم انه يصلى الى القبلتين **وما الله بغافل عما يعملون**
بالتاء والياء من انكارهم التحويل الى الكعبة فيجازيهم ثم قال اليهود والنصارى
ائتنا بعلامة على صدق قولك يا محمد فنزل **ولئن اتيت** باللام لتوطية القسم فى
حرف الشرط اى والله لئن جئت يا محمد **الذين اوتوا الكتاب بكل آية** اى بكل
معجزة دالة على صدقك فى امر التحويل وغيره **ما تبعوا قبلتك** اى ما يتبعون كلهم
قبلتك او هو عام مخصوص بمن اسلم منهم وهو ساد مسد جواب القسم والشرط قوله
وما انت بتابع قبلتهم حسم لطمعهم عود النبى الى توجه قبلتهم اى ما انت تصل
الى قبلتهم لانك على الحق وهم على الباطل فلا نسخ لقبلتك ابدا وافردت القبلة فى
قوله قبلتهم وان كانت لكل طائفة قبلة لاتحادهما فى البطلان ثم اشار الى انهم مفترقون
فيما بينهم وان كانوا متفقين فى مخالفة النبى عم بقوله **وما بعضهم بتابع قبلة بعض**

قرا ابو جعفر وحمزة والكسائى بالتاء
قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين
تطلبون مرضاتى وما انا بغافل عن ثوابكم
وجزائكم وقرا الباقون بالياء يعنى
ما انا بغافل عما يفعل اليهود فاجازيهم
فى الدنيا والاخرة

قالت اليهود والنصارى
قال الله تعالى ولئن ... زيادة على ما نقول

لان كلاً منهم يعتقدون ان الحق دينه فكيف ترجوا ان يتبعوك ويصلوا الى قبلتك
ولئن اتبعت على سبيل الفرض والمراد غيره بالخطاب اهواءهم اى مرادهم
ومذهبهم بالصلوة الى قبلتهم من بعد ما جاءك اى وصل اليك من العلم
اى من البيان باليقين اى دينك هو الحق والكعبة هى القبلة انك اذا اى حينئذ
لمن الظالمين اى الضارين بنفسك قوله الذين اتيناهم الكتاب
نزل حين قالت اليهود لاصحاب النبى عليه السلام لم تطوفون بالبيت المبنى على
الحجارة فقال النبى عم الطواف بالبيت حق وانكم يعلمون ذلك بالتورية فجحدوا
فقال تعالى الذين اعطيناهم التورية يعرفونه اى ان الطواف حق والبيت قبلة
كما يعرفون ابناءهم يعنى لا تشتبه عليهم وقيل الضمير يرجع الى محمد اى يعرفون
انه نبى حق بما علموا فى كتابهم كما يعرفون ابناءهم بين الغلمان واختص ذكر الابناء لان
الذكور اشهر واعرف عندهم قال عبد الله بن سلام والله لقد عرفت محمدا اشد معرفة منى
بابنى لان نعته فى كتابنا وما ادرى ما احدثت النساء بعدى فقال عمر وفقك الله يا عبد الله
وان فريقا منهم اى معانديهم وجهلتهم ليكتمون الحق ليسترون امر القبلة وهم
يعلمون ذلك ثم قال تعالى يا محمد الحق من ربك اى امر القبلة الذى يكتمونه هو من
عند الله فهو مبتدء وخبر او التقدير ما جاءك من العلم هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او
حال اى كائنا من الله فلا تكونن من الممترين اى الشاكين فيما اخبرت لك به
ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة اى جهة يتوجه اليها وهى القبلة
هو اى كل منهم موليها اى مستقبلها او هو مصرفها وجهه او الله توليها اياه فهو
راجع الى الله من وليته ووليت اليه بمعنى اقبلت عليه او صرفته اليه ولو عدى
بعن نحو وليت عنه كان بمعنى ادبرت عنه وقرئ بفتح اللام المشددة مع الالف
اى كل واحد منهم مولاها اى مولا تلك الجهة يعنى الله يوليه اليها لا غيره قوله فاستبقوا
الخيرات خطاب لامة محمد عليه السلام اى لكل منهم جهة يصلى اليها شرقية او غربية
او جنوبية او شمالية بحسب اختلاف الافاق فبادروا بالاعمال الصالحة اينما تكونوا
انتم واعداؤكم يأت بكم الله جميعا اى يجمعكم يوم القيمة فيجازيكم باعمالكم ان
الله على كل شئ قدير يقدر على جمعكم ثمة قوله ومن حيث خرجت
تاكيد لامر النسخ ليعلم ان ذلك عزيمة لا يجوز تركها اى اى ذهبت لسفر وصليت
فول وجهك شطر المسجد الحرام اى تلقاءه وانه اى التوجه الى القبلة للصلوة
للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون يعنى يجازيكم باعمالكم
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام خطاب للنبى عليه السلام

وحيث

مثلاً آن صـ

وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره اى نحوه خطاب لامة محمد وهذا
التكرير لزيادة التاكيد والثبات فى امر القبلة والتحويل لان النسخ من مظان الفتنة
والشبهة وتسويل الشيطان وعلل ذلك بقوله لئلا اى اعطيناكم الكعبة قبلة بعد
قبلة كيلا يكون للناس اى اليهود عليكم حجة اذا توجهتم الى غيرها فيقولوا
ليست لهم قبلة لانهم يعلمون ان القبلة هى الكعبة قوله الا الذين ظلموا منهم
استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لليهود ومشركى العرب بقولهم
ما باله لا يتحول الى قبلة ابراهيم عم كما هو مذكور فى نعته فى التورية فلما حولت
القبلة يتولهم حجة عليكم الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك محمد قبلتنا الى
الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء
وحجة هؤلاء الظلمة حجة داحضة لا اعتبار لها وانما اطلق عليها اسم الحجة
لسوقهم ذلك فى سياق الحجة فلا تخشوهم اى لا تخافوهم بانصرافكم الى الكعبة
لو تظاهروا عليكم بسببه واخشونى فلا تخالفوا امرى انا ناصركم قوله و
لاتم نعمتى عليكم عطف على قوله لئلا اى جعلنا القبلة الى الكعبة لاتمام
احسانى بالثواب فى الاخرة اليكم ومن تمام النعمة الموت على الاسلام وقبل
دخول الجنة ولعلكم تهتدون اى ولكى تصلوا الى الهداية من الضلالة قوله
كما ارسلنا يتعلق بقوله لاتم نعمتى اى لاتم نعمتى عليكم فى الاخرة كما اتممتها
عليكم بارسالى فيكم رسولا منكم اى من العرب او من جنسكم لا من الملائكة
لتمكن الانس به والنظر اليه فى الدنيا وهو محمد يتلوا عليكم آياتنا اى القرآن
ويزكيكم اى يطهركم من الكفر والجهل ويعلمكم الكتاب والحكمة اى القرآن و
العمل بما فيه من الحلال والحرام ويعلمكم بصالح العمل ما لم تكونوا تعلمون قبل ذلك
فاعرفوا هذه النعمة العظيمة ويجوز ان يتعلق بما بعده اى كما ذكرتكم بارسال
الرسل فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لى لما انعمت به عليكم
ولا تكفرون اى نعمتى بالمعصية يا ايها الذين آمنوا اى صدقوا بتوحيد الله
استعينوا بالصبر على اداء الفرائض وبما انتم عليه وان اصابكم مكروه
والصلوة خاصة لانها وجه دينكم ورأسه لكونها اشق على البدن فاستعينوا بها
فى حوائجكم الى الله روى انه صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة
وانما خص الصبر والصلوة بالذكر لان الصبر اشد الاعمال الباطنة على البدن
والصلوة اشد الاعمال الظاهرة عليه لانها تجمع انواع الطاعات من الاركان
والسنن والاداب والحضور والخضوع والتوجه والسكون وغير ذلك مما لا يتيسر

ليرميق

اى باطلة

حفظها الا بتوفيق الله ان الله مع الصابرين على الطاعة بالعون و
النصرة قوله ولا تقولوا نزل في الشهداء الذين قتلوا ببدر واوعند بئر معاوية
وكان الناس يقولون مات فلان مات فلان وانقطع عنهم نعيم الدنيا
فقال تعالى نهيا عن ذلك القول لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
فاللام زائدة ومن مبتداء خبره اموات او الاموات خبر مبتداء محذوف
اي لا تقولوا لاجلهم هم اموات بل هم احياء اي كالاحياء في الحكم لان ثوابهم
يجري الى يوم القيمة او لانهم يسيرون في الجنة حيث شاؤا قيل يعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما يعرض النار على ارواح
الكفار فيصل اليهم الوجع ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حيوتهم
ولنبلونكم اي لنختبرنكم ايها المؤمنون ليتميز بينكم المطيع والعاصي لا لنعلم
ما لم نعلم به قبله بشيء من الخوف اي من خوف العدو او من خوف الله تعالى والجوع
اي من القحط او صوم رمضان ونقص من الاموال اي وبنقص حادث من
الاموال كالهلاك والخسران وبالزكوة والصدقة والانفس اي وبنقص حاصل
للانفس من القتل والموت والمرض والضعف والهرم والثمرات اي وبنقص
الثمار بالآفة والاستيصال او المراد موت الاولاد التي هي ثمرة القلب قيل في
الخبر اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم
فيقول تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول تعالى ابنوا لعبدي
بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر يا محمد الصابرين المسترجعين عند
البلاء المسلمين لامر الله ثم وصفهم بقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة
اي نائبة لامر الله قالوا انا لله اي نحن عبيده ومماليكه في الحيوة وانا اليه
راجعون بعد الموت راضون بحكمه يعني صبروا عليها ولم يجزعوا قيل
في الخبر من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته اولئك اي هذه الصفة
عليهم صلوات والصلوة منه تعالى الرحمة والمراد منها التعطفات المتوالية
من ربهم ورحمة اي مغفرة لذنوبهم قيل انما جمع الله بين الصلوة والرحمة
للايذان بان رحمته غير منقطعة عنهم اي رحمة بعد رحمة وقيل المراد من
الصلوة توفيق الطاعة والعصمة عن المعصية ومغفرة الذنوب
والمراد من الرحمة الثواب واولئك هم المهتدون الى سعادة الدارين
حيث استرجعوا للمصيبة وسلموا لامر الله تعالى ان الصفا والمروة
وهما علمان للمكانين بطرفي السعي من شعائر الله جمع شعيرة وهي العلامة

او اللام الثانية صح

يسيرون نسخة

٤

٥

اي

اي اعلام دين الله نزل حين تحرج المسلمون من الطواف بينهما عند مجيء
الاسلام لانه كان رجل اسمه اساف على الصفا والمرأة اسمها نائلة زنيا
فمسخا حجرين فوضعا في ذلك المكان فطال الزمان فعبد وهما في الجاهلية
واذا سعوا مسحوهما فكره اهل الاسلام ان يسعوا بينهما لانه فعل الجاهلية
فاذن الله تعالى في الطواف بينهما فقال انهما من مناسك الحج واعلام
دينه فمن حج البيت اى قصده او اعتمر اي زاره فلا جناح اى فلا اثم
عليه ان يطوف اى يجول ويدور بهما واصل الطواف المشي حول الشيء
والمراد هنا السعي بينهما وهو ركن عند الشافعي ومالك يجب عليه القضاء بتركه
ولا يجزي عنه الدم وعن ابي حنيفة واجب وليس بركن يجزي عنه الدم
ومن تطوع بلفظ الماضي في معنى الاستقبال وقرئ ومن يطوع بلفظ المستقبل
الغايب خيرا من الحج والعمرة او الصلوة او الصدقة فان الله شاكر اي
مجازله عليم بنيته وفيه حث على الطواف حول البيت او هو مؤكد لقوله
فلا جناح عليه ان يطوف بهما وحجة لمن يزعم ان السعي بينهما ليس بواجب
ولا ركن اذ لم يؤذن له بالزيادة على الواجب بل يريد نفس الطواف قوله
ان الذين يكتمون نزل في رؤساء اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام
وآية الرجم وغيرهما كمالك بن الضيف وابن صوريا وكعب بن الاشرف اي الذين
يسترون ما انزلنا من البينات اي القرآن وما فيه من الاحكام والهدى
اي الهداية الى الاسلام بنعت محمد عم واتباعه بالايمان به من بعد ما بيناه
اي اوضحناه للناس في الكتاب اي التورية اولئك اي اهل هذه الصفة
يلعنهم الله اي يبعدهم من رحمته ويلعنهم اللاعنون من الثقلين والملائكة
يعني يقولون اللهم العنهم قيل ما تلاعن رجلان الا ارتفعت اللعنة
بينهما فان استحقها احدهما والا رجعت على الذين كتموا صفة محمد عم قوله
الا الذين تابوا استثناء متصل من ضمير المفعول في يلعنهم اي الا الذين رجعوا
عن كتم البينات او منقطع اي لكن الذين رجعوا عن الكفر واصلحوا الاعمال بينهم
وبين الله وبينوا اي اظهروا ما كتموا باعترافه وحراته ليقبل توبتهم فاولئك
اتوب عليهم اي اتجاوز عنهم واقبل توبتهم وانا التواب اي المتجاوز البليغ
عمن تاب من ذنوبه الرحيم بقبول توبته ومغفرته ان الذين كفروا من الكاتمين
وماتوا من غير توبة وهم كفار اي مصرين على كفرهم فالواو للحال اولئك عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين في حال مماتهم بعد ان لعنهم الله واللاعنون

٦

في حال حيوتهم خالدين اي دايمين فيها اي في اللعنة قيل المراد من الناس المؤمنون
خاصة وقيل جميع الناس لان المخالفين يلعن بعضهم بعضا يوم القيمة ولعنتهم
عذاب النار لا يخفف عنهم العذاب اي لا يهون عليهم ولا يرفع عنهم
ولا هم ينظرون اي لا يمهلون فيعتذرون او لا ينظر اليهم نظر رحمة قوله
والهكم اله واحد نزل حين قال المشركوا الملكة للنبي عم جوابا لقوله لهم وحدوا الله
واخلصوا عبادته وكان لهم اصنام يعبدونها من دون الله قالوا اصف ربك
فقال خالقكم خالق واحد اي فرد لا نظير له في ذاته ولا شريك له في صفاته لا اله اي
لا خالق للاشياء كلها الا هو اي دون غيره وهو بدل من محل لا اله الرحمن بالتجاوز
بدل من هو لا وصف له اذ المضمر لا يوصف اي المولي لجميع النعم فما سواه اما نعمة
واما منعم عليه الرحيم بالتجاوز عن السيئات لمن تاب وبالثواب في الاخرة
ولا شيء سواه بهذه الصفة قيل لما سمع المشركون هذه الآية تعجبوا وقالوا
له عم ايت باية نعرف بها صدقك ان كنت صادقا فنزل قوله ان في
خلق السموات بغير عمد وزينتها بالنجوم والشمس والقمر والارض ببسطها للقرار
عليها باوتادها وهي الجبال وبتفجير الانهار واخراج الاشجار والاثمار
والبحار وغير ذلك فيها واختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما في
الذهاب والمجيء والزيادة والنقصان والظلمة والنور والفلك يستوي
فيه الواحد والجمع اي السفن التي تجري في البحر بقدرة الله تعالى وارادته لا
تنغمس فيه بما اي بالذي ينفع الناس من الحمل فيها والركوب عليها وما اي فيما
انزل الله من السماء من فيه لابتداء الغاية من ماء بيان للجنس لان النازل
من السماء مطر وغيره فاحيا به اي بالماء النازل الارض بعد موتها اي
بعد يبسها وبث اي فرق ونشر فيها من كل دابة اي ما يدب على وجه الارض
من الحيوان وهو معطوف على فاحيا لان بث الدواب يكون بعد حيوة
الارض بالمطر لان عيشهم انما يكون بالنبات الحاصلة بالمطر وتصريف الرياح
وقرء مفردا اي بتقليبها في مهابها جنوبا وشمالا وصباء ودبورا وفي احوالها
حارة وباردة ولينة وعاصفة وعقيما ولواقحا قيل الريح اعظم جنود
الله تعالى يذكر ويؤنث والسحاب المسخر اي الغيم المذلل للرياح بين السماء
والارض يعني يقلبه في الجو بمشية الله تعالى ويمطر حيث يشاء لايات
اي لعلامات وعبرات لقوم يعقلون اي ينظرون بعيون قلوبهم
ويعتبرون لانها دلايل على عظم قدرة الله فيها وباهر حكمته فيستدلون

بهذه

بهذه الاشياء على موجدها فيوحدونه روي عن النبي عم انه قال ويل لمن قرا
هذه الآية فمج بها اي اسقطها عن نظره ولم يتفكر فيها قوله ومن الناس
تعنيف للكفار على عبادة غير الله بجهلهم المفرط وقساوة قلوبهم اي
ومن المشركين من يتخذ للعبادة من دون الله وهو المستحق لها اندادا
اي اصناما يحبونهم كحب الله اي كحب المؤمنين الله تعالى يعني يعظمون
اصنامهم كما يعظم المؤمنون ربهم ثم بين فضل محبة المؤمنين لعدم زوالها
عنهم بكل حال من الرخاء والشدة بقوله والذين آمنوا اشد حبا لله من
حب الكفار اصنامهم لزوالها عنهم لانهم اذا اصابتهم شدة تركوا عبادتها
واذا راوا صنما يعجبهم اخذوه وتركوا الاول قيل ان باهلة اتخذوا الهها من تمر
واقط وعبدوه ثم اكلوه في قحط اصابهم قوله ولو ترى بالتاء خطاب
لكل مخاطب او للنبي عليه السلام اي ولو ترى يا محمد بالعين الذين ظلموا
اي ارتكبوا الظلم العظيم من الشرك فهو مفعول ترى وبالياء غيبة وفاعله
الذين ظلموا اي ولو يري بالقلب اي لو يعلم متخذوا الانداد اذ اي اذا
يرون العذاب بعيونهم يوم القيمة بفتح الياء معلوما وبضمها مجهولا ان القوة
اي الغلبة والقدرة الالهية لله جميعا نصب على الحال يعني لو يعلم الكفار
ان القدرة كلها لله على كل شيء من الثواب والعقاب لا لانداده لم يشفعوا
لهم اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لتركوا عبادتها وندموا عليها اشد ندامة
فان مع الاسم والخبر ساد مسد مفعول يرى بالياء وجواب لو محذوف كما
عرفت وعلى تقدير ان يكون القراة في ترى بتاء الخطاب كان الجواب لرايت
ان القوة لله جميعا فالجملة في محل النصب مفعول رايت بمعنى علمت قوله
وان الله شديد العذاب العقاب عطف عليه قوله اذ تبرأ بدل من اذ يرون
او ظرف لشديد اي الله شديد العذاب حين تبرأ الذين اتبعوا اي القادة
من الذين اتبعوا اي الاتباع واصل التبرء التخلص ويستعمل للتعبد مما يستكره
والتفرق عنه وراوا العذاب اي تبرؤا منهم في حال رؤيتهم العذاب فالواو
فيه للحال بتقدير قد قوله وتقطعت بهم الاسباب عطف على تبرؤا بهم
يعني عنهم اي انقرضت عنهم باسباب الوصلة والخلة من القرابة والعهود
والحلف التي بينهم في الدنيا وقال الذين اتبعوا اي الاتباع يوم القيمة
على وجه التمني لو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وذلك حين تبرا منهم
الرؤساء ولم ينفعوا لهم شيئا فنتبرأ منهم اي من رؤسائنا كما تبرؤا منا

مفعول ترى

قري

يعني المتبوع والسيد

للبعد والمجاوزة

الان كذلك اي مثل ذلك الاداء القطيع وهو نزول العذاب عليهم وتبروا بعضهم
يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات يعني انقلبت اعمالهم التي حسبوها نافعة
لهم حسرات عليهم فلا يرون مكان اعمالهم الا الحسرات حيث لم تقبل لكونها بغير
وجه الله فاوردهم النار وما هم اي الاتباع والمتبوعون بخارجين من النار
لانهم خلقوا لاجلها قوله يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي من بعضه اذ لا
يؤكل كل ما فيها حلالا طيبا اي مستلذا او طاهرا من الشبهة نصب بانه مفعول
كلوا او نصب على الحال مما في الارض والحلال كل شيء لا يعاقب عليه باستعماله
نزل حين حرم خزاعة وثقيف وبنو عامر من العرب على انفسهم اشياء مما احل الله
عليهم كالبحيرة والوصيلة والسائبة وغيرها من الحرث والانعام فنهاهم الله
عن ذلك وقال كلوا ما احل الله لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان بسكون
الطاء وضمها اي آثاره وطرقه فتدخلوا في حرام وشبهة ثم اعلمهم بحال الشيطان
للاحتراز عنه بقوله انه لكم عدو مبين اي مظهر العداوة او ظاهرها لا خفاء
به وعلل ترك اتباع الشيطان بقوله انما يامركم اي يوسوس لكم الشيطان تشبيه
بعثه على الشر بامر الآمر الذي يستدعي اطاعتهم بالسوء اي الاثم الذي لا يجب
فيه حد والفحشاء اي اقبح المعاصي الذي يجب فيه الحد وان تقولوا اي
ويامركم بان تتكلموا على الله ما لا تعلمون من تحريم الحرث والانعام يعني
بان تكذبوا على الله وتقولوا بغير علم من قبل انفسكم حرم الله علينا هذا واحل
ذاك واذا قيل لهم اي للمشركين من الناس اتبعوا ما انزل الله اي اعملوا باتباع
القرآن يعني بتحليل ما احل الله وتحريم ما حرم الله في القرآن قالوا لا نتبع ما انزل الله
بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا اعلم منا فقلدوا آباءهم مع
جهلهم فقال تعالى ردا عليهم بهمزة الانكار والتعجب مع واو الحال بعدها اولو كان
آباؤهم اي اتتبعونهم في حال كون آبائهم لا يعقلون شيئا من الدين القيم
ولا يهتدون للصواب والحق ومثل الذين كفروا بدعائهم الاصنام وعبادتهم
اياها كمثل الذي ينعق اي يصوت بما لا يسمع اي بالذي لا يدرك من البهائم الا استماع
الا دعاء اي صوتا من الناعق ونداء اي زجرا مجردا من غير فهم شيء آخر كما يفهم العاقل
وحفظه ويجيب صم بكم عمي رفع على الذم بتقديرهم يعني كانهم صم يتصامون
عن سماع الحق خرس لا يتكلمون بالحق عمي لا يبصرون الهدى فهم لا يعقلون
اي لا يفهمون شيئا من مواعظ القرآن كالبهائم يا ايها الذين آمنوا كلوا رزقكم
من طيبات ما رزقناكم اي من حلاله بتحليلنا لا بتحليلكم فان رضاء الله تعالى

بان تحلوا حلاله وتحرموا حرامه واشكروا الله الذي رزقكموها ان كنتم
اياه تعبدون اي ان تخصوه بالعبادة وتعترفوا انه مولى النعم كلها وافقا
للنبي صلى الله عليه وسلم ان لم يكن هذه الاشياء محرمة فالمحرم ما هو فنزل انما حرم عليكم الميتة
بالنصب مفعول حرم اي ما حرم الله عليكم الا الميتة وهي التي تموت من غير
ذكوة من الدواب سوى السمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم احلت
لي ميتتان ودمان وسبق الكلام هنا على عادة العرف والعادة والدم
يعني الدم الجاري والمراد بعضه ليخرج عنه الكبد والطحال لما مر من الخبر ولحم
الخنزير اي جميع اجزائه وانما عبر عنه باللحم لان الاصل من الحيوان اللحم والباقي
تبع له وما اهل به اي وحرم ما ذكر عليه بذبحه اسم لغير الله والاهلال رفع
الصوت في اللغة وكان المشركون اذا ذبحوا رفعوا الصوت بذكر الهتهم ثم
رخص لعباده في اكل الميتة عند الضرورة بقوله فمن اضطر شرط مجزوم
بكسر النون لالتقاء الساكنين وبضمها اتباعا اي احوج والجئ الى اكل شيء مما حرمه
الله فليأكل غير باغ اي متجاوز حد الشبع عند الاكل بالضرورة وقيل غير خارج
على السلطان ولا عاد على المسلمين بالسيف وقال الشافعي لا يجوز للعاصي بسفره
اكل الميتة للضرورة ولا الترخص برخص المسافرين وقال ابو حنيفة يجوز
قيل من اضطر الى اكل الميتة او الدم او لحم الخنزير فلم ياكل حتى مات دخل النار
فدل ذلك على ان اكله حلال وقيل اكله حرام دفع عنه الاثم بقوله فلا اثم عليه
جواب الشرط اي لا حرج عليه في اكلها واستدل بقوله بعده ان الله غفور
لاكله المحرم رحيم بترخيصه ذلك قوله ان الذين يكتمون نزل في علماء
اليهود الذين غيروا نعت محمد عليه السلام بالتأويل في كتابهم خوفا على
زوال رياستهم وفوت ماكلهم ووظائفهم من اتباعهم اي ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب اي التورية ويشترون اي يختارون
به اي بالمنزل ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم
اي ملؤها الا النار لان ذلك الاكل يؤديهم الى النار فكانهم اكلوا النار
ولا يكلمهم الله لغضبه عليهم او بما ينفعهم يوم القيمة بل يكلمهم بسخطه
عليهم ولا يزكيهم اي لا يطهرهم من دنس الذنوب يوم يطهر المؤمنين
من ذنوبهم بالمغفرة ولهم عذاب اليم اي وجيع دائم بسبب كتمانهم
الحق ثم قال في شان هؤلاء العلماء من اليهود اولئك الذين اشتروا
اي اختاروا الضلالة اي الكفر بالهدى اي على الايمان والعذاب بالمغفرة

اي واختاروا النار على الجنة ونعيمها قوله **فما اصبرهم على النار** تعجيب
من حالهم ومواظبتهم على ما يوجب لهم النار من غير مبالاة بها اي اي
شيء صبرهم عليها يعني اجراهم على فعل اهل النار وابقاهم فيها فما استفهام
يورث معنى التعجب لا الاستفهام قيل من كتم علما اعطاه الله لجم يوم القيمة
بلجام من النار **ذلك** اي العذاب بالنار **بان الله** اي بسبب انه **نزل الكتاب**
اي القرآن **بالحق** بالصدق وبلا شك فيه فاختلفوا فيه فآمنوا ببعض وكفروا
ببعض وقال بعضهم شعر وبعضهم سحر وكهانة **وان الذين اختلفوا في الكتاب**
في المنزل من الله **لفي شقاق بعيد** اي لفي خلاف طويل منقطع عن الحق لا يرجع الى
الهدى قوله **ليس البر** برفع الراء اسم ليس والخبر **ان تولوا** وهو الاصل والاقوى
وبنصب الراء خبر ليس وان تولوا اسمها وهو قوي من حيث انه اعرف من البر
لان ان تولوا كالمضمر في انه لا يوصف والبر يوصف نزل خطابا لاهل الكتاب
حين صلى النصارى قبل المشرق وادعوا انه البر وصلى اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس
وادعوا انه البر فرد الله عليهم وانه منسوخ خارج عن البر وهو ان تصرفوا **وجوهكم**
في الصلوة **قبل المشرق والمغرب** فلا تعملوا غير ذلك **ولكن البر** بتشديد النون
ونصب الراء وبتخفيف النون ورفع الراء مبتدأ خبره **من آمن** بتقدير المضاف
اي بر من آمن **بالله** اي صدق به بانه واحد لا شريك له **واليوم الآخر** اي بالبعث
الذي فيه جزاء الاعمال على انه كائن لا محالة **والملائكة** بانهم عباد الله مكرمون
عنده **والكتاب** اي القرآن او الكتب المنزلة انها من عند الله لتحليل ما احله وتحريم ما حرمه **والنبيين** بانهم بعثوا لدعوة الخلق الى الحق **وآتى المال** عطف على
آمن اي ومن اعطى الصدقة من ماله بعد الايمان **على حبه** اي مع حبه وشهوته
لجوعه او على حب الله او على حب الاعطاء بطيبة نفسه وهو صحيح شحيح يخشى
الفقر ويأمل العيش والغنى والجار والمجرور نصب على الحال قوله **ذوي القربى**
مفعول آتى اي اصحاب القرابة الفقراء وقدمهم لانهم احق بالصدقة لقوله عم
صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة
واليتامى اي الفقراء منهم **والمساكين** اي الذين يسكنون الى الناس لاحتياجهم
الشديد **وابن السبيل** اي المسافر المنقطع عن السفر لعدم الزاد والقوة او الضيف
لانه جاء من السبيل قال النبي عم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
والسائلين اي المستطعمين قال عم للسائل حق ولو جاء على ظهر فرس **وفي الرقاب**
اي يعطي المال في مؤنة المكاتبين ليفكوا رقابهم او في ابتياع الرقاب واعتاقها

وفي اعتاقها وفي فك الاسارى قيل في صرف المال في الوجوه المذكورة قبل ذكر الزكوة
حث على نوافل الصدقات لان النبي عم قال نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها
وقيل ان في المال حقا سوى الزكوة نقلا عن الشعبي وتلا هذه الآية قوله **واقام**
الصلوة اي المكتوبة **وآتى الزكوة** اي المفروضة في المال عطف على آمن قوله
والموفون عطف على آمن لان من في محل الرفع اي الذين يوفون **بعهدهم** من الاوامر
والنواهي او النذور **اذا عاهدوا** الله او عاهدوا فيما بينهم وبين الناس من
العقود والودائع والاسرار روي عن النبي عم من اعطى عهد الله ثم نقضه فالله
منتقم منه اي انقطع نظره عنه ومن اعطى ذمة رسول الله ثم غدر فالنبي
خصمه يوم القيمة **والصابرين** بالنصب على الاختصاص في المدح لاظهار فضل
الصبر في الشدائد على ساير الاعمال اي الذين صبروا **في البأساء** اي الشدة
والفقر والمصيبة **والضراء** اي في المرض والامانة **وحين البأس** اي في وقت
القتال والحرب مع الكفار **اولئك** اي اهل هذه الصفة **الذين صدقوا** في ايمانهم
وفيما عاهدوا **واولئك هم المتقون** عن محارم الله وعن نقض العهد
او المطيعون لله لشدة خوفهم من عذابه قوله **يا ايها الذين آمنوا كتب**
نزل حين جاء الاسلام وكان بين القبيلتين من العرب دماء في الجاهلية و
جراحات وديات لم تستوف فاقسم احدهما ليقتلن الحر منكم بالعبد
والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال تعالى يا اهل الايمان بالله ورسوله والقرآن فرض **عليكم** اي على القاتل
والجارح منكم اذا طلب الولي ولم يعف **القصاص** اي المماثلة **في القتلى**
جمع قتيل وهي ان يفعل بالجاني مثل ما فعل اذا كان فعله عمدا **الحر بالحر** مبتدأ وخبره
اي الحر مأخوذ بالحر **وكذلك العبد بالعبد والانثى بالانثى** قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى
يقتل الحر بالعبد كما يقتل المؤمن بالكافر ويجعل هذه الآية منسوخة بقوله النفس
بالنفس وبقوله عم المسلمون تتكافى دماؤهم اي تتساوى ولان التفاضل
لو اعتبر في النفوس لما قتل جماعة بواحد لكنها يقتل بالاجماع وقال الشافعي
ومالك رحمهما الله لا يقتل الحر بالعبد ولا المؤمن بالكافر وهذه مفسرة للمبهم
في قوله النفس بالنفس ولا يصح القول بان قوله الحر بالحر منسوخ بقوله النفس
بالنفس لانه ورد في حكاية ما وجب على اليهود في التورية من غير فرق بين
الحر والعبد والذكر والانثى فهذه شريعة من قبلنا وهي لا تلزمنا لما جاء في شريعتنا
ما يخالف ذلك وانما يلزمنا لو لم يجئ المخالف **فمن عفي** اي ترك واسقط **له**

وهو القاتل والاصل ان يتعدى بعن الي الجاني او الي الذنب فاذا تعدي اليهما
معا قيل عفوت لفلان عما جني وعلى هذه الاية لكنه اختصر عن الثاني يعني
لو عفي له عن جنايته **من اخيه** اي من قبل الذي هو اخوه في الدين او من
الولي الذي هو اخوه في الدين **شيء** اي بعض الدم كما اذا عفي بعض الورثة
منه سقط القصاص ووجب الدية فيكون العفو هنا بمعنى الاسقاط والترك
ويجوز ان يكون المراد من كلمة من ولي المقتول ومن اخيه القاتل لانه اخوه
في الدين ومن شيء من الواجب الذي يعطيه القاتل بطلب الولي من الذهب و
الفضة والابل فيكون المعنى من جعل له من دم اخيه وهو القصاص على القاتل
بدله وهو الدية فليأخذه فيكون العفو بمعنى البدل حينئذ فمن مبتداء
متضمن بمعنى الشرط والخبر **فاتباع بالمعروف** اي فالامر فيه ان يتبع الطالب
المطلوب بما يعرف شرعا يعني لا يطالبه بعنف واذا اخذ الدية لا يطلب
الاكثر مما وجب عليه **واداء اليه** اي الامر ان يؤدي القاتل الي ولي الدم
ما وجب عليه **باحسان** اي بلا مماطلة ولا نقص وفيه تاديب لولي الدم
وللقاتل **ذلك** اي ما ذكر من العفو واخذ الدية **تخفيف** اي تيسير وتوسعة
من ربكم لكم **ورحمة** منه حيث لم يحرم العفو واخذ الدية بل خيركم بين القصاص
والعفو واخذ الدية وانما قال ذلك لان القصاص كان واجبا على اليهود في
التورية لا غير واخذ الدية كان واجبا على النصارى في الانجيل لا غير
قال الشافعي الولي مخير ان شاء قتل وان شاء اخذ الدية وان لم يرض به القاتل
وقال ابو حنيفة له ان يأخذ الدية برضا القاتل **فمن اعتدى** اي تجاوز
ما شرع له فقتل الجاني او قتل غير القاتل **بعد ذلك** اي بعد اخذ الدية وقبولها
فله عذاب اليم اي وجيع في الآخرة او بان يقتل قصاصا ولا يقبل منه دية
لقوله عم لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية **ولكم في القصاص** اي في هذا
الحكم الذي هو القصاص **حيوة** اي بقاء عظيم لانهم كانوا يقتلون بالواحد
الجماعة فاذا علم القاتل انه يقتل اذا قتل لا يقدم على القتل واذا قتل فقتل
ارتدع غيره فكان القصاص بسبب حيوة نفسين او اكثر **يا اولي الالباب**
اي ذوي العقول **لعلكم تتقون** القتل مخافة القصاص قوله **كتب عليكم**
نزل حين كانوا يوصون للاجنبي ولم يوصوا لذي القرابة شيئا لرفع ذلك
اي فرض ووجب عليكم **اذا حضر** اي دنا **احدكم الموت** اي اسبابه من
الامراض فظهرت اماراته **ان ترك خيرا** اي يترك مالا كثيرا طيبا يعني الورثة

ويفضل والخير في الاصل كل ما يرغب فيه لنفعه قوله **الوصية** مرفوع فاعل
كتب اي وجب ان يوصي **للوالدين والاقربين** ممن يرث وممن لا يرث
بالمعروف اي بالعدل يعني لا تزيد على الثلث ولا يوصي للغني دون الفقير
حقا على المتقين اي حق ذلك حقا على المتقين من يتقي الله تعالى ويمتثل امره قيل
كان وجوب الوصية لهم قبل نزول آية المواريث ثم نسخ بها وبقوله عم
ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والحق هذا بالمتواتر وان
كان خبر الواحد لان الامة تلقته بالقبول ثم اختلفوا في الوصية قال بعضهم
هي مباحة فمن شاء اوصى ومن شاء لم يوصي وقال بعض ان كان عليه
حج او كفارة او شيء من الواجبات فالوصية واجبة والا فهو بالخيار ان
شاء اوصى وان شاء لم يوص وعليه الفتوى **فمن بدله** اي غير الايصا
عن وجهه الشرعي **بعد ما سمعه** اي الايصاء وحققه **فانما اثمه** اي اثم
الايصا المغير **على الذين يبدلونه** اي الايصاء من الاوصياء والشهود لا
على الموصي وهو الميت فانه بريء منه **ان الله سميع** بالايصاء وتغيير
عليم بنوابه وجزاء من غيره **فمن خاف** اي علم واحس او توقع **من موص**
بالتخفيف والتشديد **جنفا** اي من الذي اوصى جنفا وهو الميل عن الحق بالخطاء
في الوصية **او اثما** اي ظلما منه عمدا في الوصية فزاد في الثلث **فاصلح بينهم**
اي بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون فغير وصيته باجرائها على طريق
الشرع **فلا اثم عليه** اي لا وزر عليه اي على المغير حينئذ لان تغييره تغيير
باطل الي الحق فلا يكون ظلما **ان الله غفور** لمن تاب عن الظلم **رحيم** لمن
اطاعه في امره **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام** اي فرض عليكم
صيام شهر رمضان والصوم في اللغة الامساك وفي الشرع امساك يوم
عن اشياء مخصوصة مع النية ثم اكد فرضيته وبين انه عبادة قديمة ليست
مخصوصة بنا بل كانت مفروضة على من تقدمنا ايضا بقوله **كما كتب على
الذين من قبلكم** اي على الانبياء والامم من عهد آدم الي عهدكم يعني ان صومكم
هذا كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان قيل كان وقوعه في البرد
الشديد والحر الشديد فشق عليهم في معايشهم وافسادهم فجعلوه
بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته **لعلكم
تتقون** المعاصي لان الصايم يمنع نفسه من مباشرة السوء قال عليه
السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء اي تحصن من السوء قوله **اياما**

معدودات ظرف لكتب او للصيام اي موقتات بعدد معلوم وهو مشعر
بقلتها قيل كان الصوم واجبا في ابتداء الاسلام ثلثة ايام من كل شهر
وصوم عاشوراء فنسخ بصيام شهر رمضان فمن كان منكم مريضا
لم يقدر على الصوم او على سفر اي عازما عليه فلم يصم في سفره فعدة
اي فعليه صيام ايام عدد ايام فطره قضاء من ايام اخر وهو صفة
لعدة او بالتفريق من ايام غير ايام مرضه وسفره واخر لا ينصرف للوصف
والعدل التقديري وعلى الذين يطيقونه من اطاق فلان اذا زال
طاقته والهمزة للسلب اي لا يقدرون على الصوم وهم الذين قدروا
عليه في حال الشباب ثم عجزوا عنه في حال الكبر فدية طعام مسكين
اي ان يفتدوا ان يطعموا لكل مسكين مقدار نصف صاع من حنطة عن
كل يوم عجزوا عنه او صاع من غيره عند ابي حنيفة ورطلان من طعام و ثلث
ا رطال عند الشافعي وهو المد ويفطروا ذلك اليوم قرئ برفع فدية مع التنوين
وابدل طعام بالرفع منها او خبر مبتدا محذوف اي هي طعام بمعنى الاطعام
وبرفعها بدون التنوين لاضافتها الى طعام كخاتم فضة لان الفدية يكون
طعاما او غير طعام وقرئ مساكين جمعا بفتح النون ومفردا بجرها فمن تطوع
خيرا اي زاد على الواجب عليه او على مسكين واحد مكان كل يوم يفطره
فهو اي فالتطوع خير له قوله وان تصوموا اي صيامكم وجهدكم طاقتكم
في محل الرفع مبتدا خبره خير لكم ايها المطيقون من الفدية وتطوع الخير والافطار
ان كنتم تعلمون ان ذلك خير لكم فصوموا لان فيه امتثال الفرض وكثرة الثواب قوله
شهر رمضان خبر مبتدا وهو اي الايام المعدودات شهر رمضان الذي انزل فيه
القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة ليلة القدر الى بيت العزة في السماء الدنيا
ثم نزل به جبرئيل نجوما في عشرين سنة قيل نزلت التورية في ثنتي عشرة ليلة مضت
من رمضان والانجيل في ثمان عشر منه والقرآن في اربع وعشرين منه ورمضان
مصدر من رمض اذا احترق وسمي به الشهر لاحتراق الصائمين فيه من شدة الجوع
والعطش ولا ينصرف للتعريف والالف والنون المزيدتان قوله هدى نصب
على الحال اي هاديا للناس الى الحق وبينات اي دلالات واضحات من الهدى
اي مما يهدى به الى الحق من الوحي وكتبه السماوية والفرقان اي الفارق بين
الهداية والضلالة والحق والباطل من الحدود والاحكام بحيث لا يبقى للناس عذر
لانهم يقولون لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى

وذكره يفيد المبالغة والتوكيد في الهداية بعد ذكره اولا هدى للناس فمن
شهد منكم الشهر اي من حضر منكم في الشهر وهو مقيم صحيح فليصمه اي ليصم
الشهر فالضمير ظرف لا مفعول به ومن كان مريضا او على سفر فافطر فعدة
اي فعليه عدة الايام المعدودة التي افطرها من ايام اخر يقضيه بعد ذلك
وانما اعاد هذا الشرط ليعلم ان هذا الحكم ثابت في الناسخ كما كان ثابتا في المنسوخ
الذي هو التورية والانجيل واختلف في المرض المبيح للافطار فبعضهم يرى
الفطر لمطلق المرض حتى يراه لوجع السن والاصبع وبعضهم اباحه بالمرض
الذي يجوز معه الصلوة قاعدا او يخاف ان يزيد الصوم في مرضه وبعضهم
قال اذا اجهده المرض افطر والا فهو كالصحيح وهو مروي عن الشافعي واختلف
في السفر فمنهم من يجوز الفطر في السفر ومنهم من لم يجوز بل فرضه حتى يوجب
القضاء على من صام في السفر وهو القول القديم للشافعي ومنهم من يفضل الفطر
في السفر وبعضهم يفضل الصوم فيه وهو قول الجديد والسفر المبيح للفطر ستة
عشر فرسخا يقصر فيه الصلوة عند الشافعي ومسيرة ثلثة ايام ولياليها عند ابي ح
رضه يريد الله بكم اليسر اي السهولة في الافطار بالسفر والمرض ولا يريد بكم
العسر اي المشقة بالصوم في السفر قوله ولتكملوا العدة بالتشديد و
التخفيف عطف على تعليل محذوف اي شرع لكم ما ذكر من الاحكام لتعلموه
ولتتموا عدد ايام الشهر لقوله عليه السلام الشهر بضع وعشرون فلا تصوموا
حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلثين
او المراد لتكملوا عدد ايام الشهر بقضاء افطاركم بالمرض او بالسفر ولتكبروا
الله اي تعظموه حامدين على ما هداكم اليه من الصوم وهو علة تعليمه اياكم
كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر وقيل هو التكبير ليلة الفطر وهو علة
التكبير عند الاهلال وقيل هو التكبير يوم الفطر ولعلكم تشكرون الله على هذه
النعمة حيث رخص لكم الفطر في المرض والسفر فهو تعليل لاجل الترخيص
والتيسير قوله واذا سألك عبادي نزل حين سأل بعض اصحاب النبي عم
عنه اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فقال تعالى ايماء الى سرعة اجابة
الدعاء منهم اذا سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب علما
واجابة كمن قرب مكانه فاذا دعيت اسرعت تلبية اجيب اي اسمع
للاجابة دعوة الداع اذا دعان اي في اي وقت يدعوني قرئ بالياء فيهما
وبحذفها فليستجيبوا لي اي ليجيبوني اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة

كما اني اجيبهم اذا دعوني بحوائجهم وليؤمنوا بي اي ليصدقوا بتوحيدي
لعلهم يرشدون الي الهدي من الضلالة قوله احل لكم نزل حين
واقع عمر اهله في رمضان بعد صلوة العشاء الاخيرة بعد النوم وكان
الاكل والشرب والجماع حراما في رمضان بعد النوم في ابتداء الاسلام فلما
اغتسل لام نفسه وبكي وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعتذر اليه مما فعل فقال عم ماكنت جديرا بذلك يا عمر فرجع مغتما
فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فجاء بشادة الاباحة بقوله
احل اي ابيح لكم ليلة الصيام الرفث اي الجماع او هو كل ما يراد من النساء
كاللمس والتقبيل الي نسائكم وعدي الرفث هاهنا بالي وان كان الا
بالباء يقال رفثت بالمراة لتضمنه معنى الاضافة قوله هن لباس لكم وانتم
لباس لهن استيناف كالبيان لسبب الاحلال واللباس اسم يستر
الشيء فكان كل واحد منهما ستر لصاحبه عما لا يحل او كل واحد منهما كالثوب
يشتمل على صاحبه بالمخالطة والمعانقة عند النوم فيقل منهما الصبر ولا
جنا فلذلك رخص في المباشرة علم الله انكم كنتم تختانون اي تخونون
انفسكم وتظلمونها بمباشرتهن في غير وقت المباشرة فتاب عليكم اي
تجاوز عنكم اذا تبتم من عملكم الحرام وعفى عنكم اي محا ذنوبكم فلم يعاقبكم
بفعلكم فالآن باشروهن اي جامعوهن وابتغوا ما كتب الله لكم اي اطلبوا
ما قضى الله وحكم لكم في اللوح المحفوظ من الولد لا مجرد قضاء الشهوة او
اطلبوا منهن ما ابيح لكم وامرتم به قوله وكلوا واشربوا اي ليالي الصيام حتى
يتبين اي يستبين ويظهر لكم الخيط الابيض وهو اول ما يظهر من بياض النهار
كالخيط الممدود من الخيط الاسود وهو ما عنده من سواد الليل مع بياض النهار
وسواد الليل بخيطين هما ابيض واسود لامتدادهما نزل رخصة للمسلمين
في ذلك لان الحكم كان في ابتداء الاسلام حرمة الاكل والشرب في صيام رمضان
بعد النوم الي ليلة القابلة روي عن ابن حاتم انه قال اخذت خيطين فجعلت
انظر اليهما فما تستبين الاسود من الابيض ما لم يسفر الصبح فاتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فتبسم فقال انك لعريض القفا انما هو
سواد الليل وبياض النهار من الفجر فارتفع الاشتباه وهو بيان للخيط الابيض
من قبل الاكتفاء به عن بياض الخيط الاسود ويجوز ان يكون من للتبعيض
لانه بعض الفجر قيل اكثر العلماء على جواز تاخير البيان بعد ورود المجهول ليستفيد منه

المخاطب

المخاطب وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استبان له وبعضهم لم يجوز تاخير
البيان لما فيه تحير العباد في العمل به وهو لا يليق بالحكيم وطعن في هذه
الرواية وابطلها قوله ثم اتموا الصيام الي الليل اي الي اوله وهو الغروب
قيل فيه دليل على جواز النية بالنهار لرمضان اذ الاتمام بالنية في الصوم وهو
في النهار وعلى جواز ترك الغسل الي طلوع الفجر وعلى نفي الوصال للمخاطبين بالاتمام
قوله ولا تباشروهن اي لا تجامعوهن وانتم عاكفون اي مقيمون
بنية الاعتكاف في المساجد قيل يجوز الاعتكاف في جميع المساجد لظاهر الاية
وقيل لا يجوز الا في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وفيه دليل
على ان الاعتكاف لا يجوز في غير المسجد وشرطه الصوم عند ابي حنيفة دون
الشافعي والمعنى ان الجماع مفسد للاعتكاف في مدته ليلا ونهارا نزل
فيمن كان يعتكف في المسجد بعد ترخيص الجماع للمسلمين في ليلة الصيام
فاذا عرضت له حاجة الى امراته يخرج بالليل اليها فجامعها ثم يغتسل
فيرجع الي المسجد فنهي الله عن ذلك محرم في مدة الاعتكاف ثم قال تلك حدود
الله اي الاحكام المذكورة او المحرمات موانع الله والحد المنع ومنه الحديد
لانه يمنع ويمتنع به ومنه الحد للدار لانه يمنع من دخول الغير فيها والفاء في
جواب الشرط المحذوف فلا تقربوها اي ان ينتهوا فلا تقربوا الحدود وفيه
مبالغة حيث نهي عن قرب الحدود ولم يقل فلا تعتدوها كما قال في اية
اخري لانه نهي عن قرب الحد الذي هو الحاجز بين طرفي الحق والباطل لئلا يداني
الباطل فضلا ان يتخطاه كما قال عم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه
فمن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله
آياته للناس من اوامر الصيام في الصحة والمرض والمباشرة بالنساء والاعتكاف
لعلهم يتقون اي يخافون الله فيتقون ما امرهم وينتهون عما نهيهم قوله
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل نزل في رجلين تخاصما في ارض بينهما
فاراد احدهما ان يحلف على الارض اخيه بالكذب فقال النبي عم انكم
تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق
اخيه وادى انه من حقه فانما اقضي له بقطعة من النار فصارت
الاية عامة لجميع الناس قوله بينكم حال اي لا ياكل بعضكم اموال بعض كائنة
بينكم بوجه حرمه الشرع كالرشوة والغصب والحيلة وتدلوا بها بلا مقدرة
عطف على تاكلوا اي ولا تلقوا بالاموال الرشوة ونحوها الى الحكام اي امراء

الظلم وقضاة السوء وانتم تعلمون انهم ظلمة ثم علل تعلمهم بقوله لتاكلوا
فريقا اي طائفة من اموال الناس بالاثم اي بالجور واليمين الكاذبة وشهادة
الزور وانتم تعلمون انكم تاخذونها بالباطل لان قضاء الحاكم بالباطل لا
يحل حراما كما فهم من الخبر قوله يسئلونك عن الاهلة نزل حين قال ثعلبة
بن غنيم ومعاذ بن جبل الانصاريان يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا
مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي نورا ثم ينقص ويعود دقيقا كما بدا والاهلة جمع
هلال وهو الصوت يسمي به لان الناس يرفعون اصواتهم عند رؤيته قل
يا محمد في بيان سره هي اي الاهلة مواقيت اي معالم يعرف بها للناس اوقات
معاملاتهم من الزراعة والتجارة وحل ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة
نسائهم قوله والحج عطف على الناس اي اوقات الحج والعمرة والحج بفتح الحاء مصدر
وبالكسر اسم له قوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها نزل لرفع امر
الجاهلية في اول الاسلام لان الناس من الانصار كانوا اذا احرم رجل منهم
لا يدخل البيت في اشهر الحج من بابه وكان يدخله من خلفه فان كان من اهل المدر
نقب في ظهر بيته فمنه يدخل ومنه يخرج وان كان من اهل الوبر يدخل
من خلف الخيمة ويعدون ذلك برا فقال تعالى ليس البر اي الاحسان والتقوى
بان تجيئوا البيوت من خلفها اذا احرمتم ولكن البر بر من اتقى اي خاف الله
واتبع امره ولا يدخل من ظهر البيت واتوا البيوت اي ادخلوها محرمين ومحلين
من ابوابها واتقوا الله اي اخشوا الله ولا تعصوه لعلكم تفلحون اي لكي
تنجوا من عقوبته قوله وقاتلوا اي اولها نزل في امر القتال لرفع الجناح عن
المسلمين وذلك عند نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه بالحديبية
وهي موضع في قرب مكة فيه بير اسمها حديبية ثم سمي ذلك الموضع بها للعمرة فصده
المشركون عن البيت فاقام فيها شهرا وصالحه المشركون على ان يرجع من عامه
ويأتي مكة في العام المقبل ويعتمر ثلثة ايام وعلى ان لا يكون بينهم قتال الى عشرين
سنين فرجع من عامه الى المدينة فخرج من العام الثاني لقضاء العمرة في اشهر الحج فكره
اصحاب رسول الله عم القتال مع المشركين في الشهر الحرام لامكان نقض العهد منهم فاطلق
عليهم القتال فيه بقوله تعالى قاتلوا اي جاهدوا لاعزاز الدين في سبيل الله اي
في طاعته الذين يقاتلونكم في الشهر الحرام ولا تعتدوا اي لا تنقضوا العهد بابتداء
القتال في الشهر الحرام او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان
والمعاهدين ان الله لا يحب المعتدين اي لا يرضى فعل المتجاوزين من الحلال الى الحرام

وهو الابتداء بالظلم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم في
الحلال والحرام والشهر الحرام ان نقضوا عهدكم واخرجوهم من حيث اخرجوكم
اي من مكة لانهم اخرجوا المسلمين اولا منها واخرج عليه السلام ثانيا من لم
يؤمن به منهم يوم الفتح وكان المشركون يستعظمون في الحرم ويعيرون به
المسلمين فنزل قوله والفتنة اي الشرك بالله اشد اي اعظم عند الله من القتل
الذي يحل بهم منكم في الحرم وقيل الفتنة عذاب الاخرة ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام اي في الحرم حتى يقاتلوكم فيه اي حتى يبدؤكم بالقتال فان قاتلوكم اي
فان بدؤكم بالقتال فاقتلوهم اي فلا تبالوا بقتالهم وقرئ في ثلثتها بلا الف
وبغير الالف كذلك اي مثل ذلك الجزاء جزاء الكافرين اي قتلهم في الحرم وغيره فان
انتهوا اي عن الشرك والقتال فان الله غفور لمن تاب عن الذنوب رحيم
لمن اطاعه من عباده وقاتلوهم اي المشركين حتى لا تكون فتنة اي شرك
وكان تامة وحتى بمعنى الى او ان او كي ويكون الدين اي الاسلام والعبادة
لله وحده فلا يعبد غيره فلا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او القتل فان انتهوا
عن الشرك وقتالكم فلا عدوان اي لا ظلم يعني لا تظلموا الا على الظالمين الا الذين
لا ينتهون عن الظلم وسمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة قوله الشهر الحرام بالشهر
الحرام اي الشهر المحرم يقابل بالشهر المحرم في هتك الحرمة نزل حين ذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه عام الحديبية الى مكة للعمرة فصدهم المشركون
عن البيت في ذي القعدة سنة ست ثم رجع في العام الثاني مع اصحابه فدخلوا
مكة فطافوا البيت ونحروا الهدي واقاموا فيها ثلثة ايام في ذي القعدة
سنة سبع فقال تعالى اذا قاتلوكم في الشهر الحرام بهتك حرمته فافعلوا بهم
بهتك حرمة شهركم كما فعلوا بكم بهتك حرمته عليكم ولا تبالوا من كراهة
القتال فيه لانه جزاء فعلهم فيكون هذا الشهر مقابلا بذلك الشهر والحرمات
قصاص مصدر بمعنى المساوات اي كل حرمة تجري فيها القصاص من الحرمات
اذا هتكت اقتص منها بمثلها يعني قتالكم في الشهر الحرام الذي حرم القتال
على المؤمنين يكون بقتالكم قصاصا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم
اي تجاوز بقتالكم في الشهر الحرام فاعتدوا اي تجاوزوا عليه بمثل ما
اعتدى عليكم اي بان يقاتلوه فيه بمثل ما قاتلوكم وسمي الثاني اعتداء
لازدواج الكلام واتقوا الله اي اخشوه اذا انتصرتم من اخذ الزم حقكم
ممن ظلمكم واعلموا ان الله مع المتقين عند الاعتداء بالمعاونة على المعتدين

نزل حين امر الناس بالخروج الي الجهاد فقام بعض من حاضري المدينة وقالوا اعا
نتجهز في سبيل الله فوالله ما لنا زاد ولا يطعمنا احد قوله وانفقوا اي تصدقوا
يا اهل الميسرة في سبيل الله اي في طاعته ومنها الجهاد وقيل الآية في حق
اهل البخل حيث قالوا لو انفقنا اموالنا صرنا فقراء الي الناس ولا تلقوا بايديكم
اي لا تطرحوا انفسكم وعبّر بالايدي عن النفس والباء مزيدة الي التهلكة اي
الهلاك بالبخل وترك الجهاد لانه سببه قال عم من مات ولم يغز ولم يحدث
نفسه بغزو مات علي شعبة من النفاق وقيل التهلكة هي القنوط من الرحمة
عند اصابة الذنب واحسنوا بالله الظن فيما انفقتم انه يخلف عليكم
في الدنيا ويثيبكم في الآخرة او احسنوا الانفاق في الغزو من غير اسراف ولا
تقتير ان الله يحب المحسنين فيما يفعلون من الخير قوله واتموا الحج والعمرة لله
نزل تعيين نهيا عما لا يستحيل فيها لان المشركين كانوا يقولون في التلبية لا شريك
لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فقال تعالي واتموهما اي لا تخلطوا بهما شيئا
وقيل اتمامهما بان يكون النفقة من الحلال وبالانتهاء عما نهيتهم عنه وبعدم
شوبهما بشيء من التجارة وقيل اتمامهما بان تحرم بهما من دويرة اهلك باتمام مناسكهما
وسننهما بالاحرام من المواقيت ووجوب الحج اجماعي علي المستطيع والعمرة واجبة
عند الشافعي وسنة عند ابي حنيفة والحج ثلثة افراد وهو ان يحج الرجل من مكة
ثم يعتمر بعد فراغه منه وهو الافضل عند الشافعي وتمتع وهو ان يعتمر في اشهر الحج
وبعد الفراغ منها يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام وقران وهو ان يحرم بحج وعمرة
معا او يحرم لعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل ان يطوف وهو الافضل عند ابي حنيفة
فان احصرتم اي حبستم عن البيت بعد ما احرمتم وهو بمرض او عدو او
غيرهما مما يحول بين الرجل والحج فما استيسر اي فعليكم ما تيسر من الهدي
وهو مصدر في الاصل والمراد كل ما يهدي الي البيت تقربا الي الله من النعم ايسره
شاة واوسطه بقرة واعلاه بدنة فيتحلل المحرم بذبح الهدي وحلق الراس
في مكان احصر عند اكثر الفقهاء كما فعل النبي عم يوم الحديبية وقال ابو حنيفة
يبعث هديه الي الحرم بمكة ليذبح فيه ويقيم في مكان احصر علي احرامه ويواعد يوما
من يذبحه عنه فيه ثم يحل من احرامه في يوم الذبح اذا علم انه قد ذبح ويرجع
الي اهله ثم يقضي حجه وعمرته بعد ذلك وذبح النبي عم فيه من المحصر كان طرف الحديبية
الي اسفل مكة وهو من الحرم والمعني انكم اذا منعتم عن حج البيت فعليكم من الهدي
ما تيسر لكم ولا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام حتي يبلغ الهدي محله اي منحره

ذا قوا — لله — معاصه — دحمد — مبتدا — دحمد

الذي

الذي يذبح فيه من الحلول وهو النزول يعني يثبت علي احرامه من غير حلق حتي يذبح
هديه اذا لم يضطر الي الحلق قبله ثم صار ذلك الحكم عاما لجميع الحاج من المفرد والقارن
والمتمتع والمعتمر يعني لا يجوز له ان يحلق راسه الا بعد ان يذبح هديه وان لم يحصر
يعني في مني ونزل في شان كعب بن عجرة حين اشتكي الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
من هوام راسه في حال الاحرام قوله فمن كان منكم مريضا اي من كان في جسده
مرض او به اذي من راسه كالصداع والجراحة والقمل ففدية اي فعليه اذا حلق
راسه قبل وقته يوم النحر للضرورة فدية من صيام اي من صيام ثلثة ايام او صدقة
يطعمها الستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك مصدر بمعني الذبيحة
ادناها شاة واوسطها بقرة واعلاها بدنة واو ههنا للتخيير اي هو مخير بين الذبح
والصيام والصدقة فاذا امنتم من خوف العدو ومن المرض وكنتم في حال سعة لا في
حال احصار فمن تمتع اي استمتع وانتفع بالتقريب بالعمرة الي الله الي الحج الي وقت
الحج يعني انتفاعه بتقربه اليه بالحج وقيل من انتفع اذا احل من عمرته باستباحة ما كان
محرما عليه الي ان يحرم بالحج فما استيسر اي فعليه ما تيسر من الهدي اي من الشاة
وغيرها من النعم يذبحها يوم النحر فلو ذبحه قبله بعد ما احرم بالحج منعه بعضهم
كدم الاضحية وجوزه بعضهم كدم الجنايات فمن لم يجد الهدي فصيام
اي فعليه صيام ثلثة ايام في الحج اي في وقته واشهره ويكون آخر الايام يوم
عرفة فيصوم يوما قبل التروية ويوم التروية ويوم العرفة ولا يجوز صوم الثلثة
في يوم النحر وفي ايام التشريق وقيل يجوز في ايام التشريق وسبعة وصيام
سبعة ايام اذا رجعتم الي اهليكم وبلدكم فلو صامها قبل الرجوع لم يجز
عند الاكثر ومنهم الشافعي وقيل يجوز صيامها قبل الفراغ من اعمال الحج وبه قال
ابو حنيفة رحمه الله وقال هو المراد من الرجوع في الآية قوله تلك اي صيام ثلثة وسبعة
عشرة كاملة في البدل من الهدي او في الثواب وقيل هذا الكلام لنفي توهم ان
الواو في سبعة بمعني او فلا يجب صيام جميع العشرة اذ الواو قد يكون بمعني او
واو يكون للتخيير وقيل هو خبر صورة بمعني الامر اي فاكملوها ولا تنقصوا
ذلك اي الهدي الميسر او الصيام عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري
المسجد الحرام اي مقيمين في الحرم وقيل لفظ ذلك اشارة الي التمتع اي ليس
لحاضري المسجد الحرام متعة ولا قران وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله فمن تمتع
او قرن منهم فعليه دم وهو دم جناية لا ياكل منه وحاضرو المسجد الحرام
عند ابي حنيفة اهل المواقيت فما دونها وعند الشافعي من كان وطنه علي اقل

من مسافة القصر من مكة واتقوا الله في اداء ما امركم ونهاكم عنه واعلموا
ان الله شديد العقاب ان خالفتم امره تعالى ونهيه قوله الحج اي وقت الحج مبتدا
خبره اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وتسعة من ذي الحجة الى طلوع
الفجر عند الشافعي وهما وعشر من ذي الحجة عند ابي حنيفة وقال مالك جميع ذي
الحجة مع الشهرين فمن قال تسع اراد الايام ومن قال عشر اراد الليالي وفائدة
تعيين الحج بهذه الاشهران يعلمه ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام
بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة يجوز ويكره وانما جمع
الاشهر على القولين لارادة الاوقات او لان اقل الجمع اثنان او اخذ بعض الشهر
بمنزلة كله فمن فرض اي اوجب على نفسه فيهن الحج بالاحرام والتلبية فلا رفث
اي الجماع لانه يفسد الحج او الفحش من القول ولا فسوق اي الخروج من حدود
الشرع بالمعصية ولا جدال في المخاصمة مع الرفقاء والخلاف بينهم في الحج بان
يقول البعض الحج اليوم والآخر يقول غدا او بان يقول حجي ابر من حجك والخلاف
مخالفة قريش بالوقوف في المشعر الحرام سائر العرب فانهم كانوا يقفون بعرفة
فرفع الله تلك المخالفة وانما امر باجتناب ذلك كله في الحج مع انه واجب الاجتناب
في الحج وغيره لانه في الحج اشد استقباحا وقرئ الاولان بالرفع والتنوين اخبار
بمعنى النهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا وبنصبهما بلا تنوين وبنصب جدال
نفيا واستدل على ان المنهي عنه في الآية هو الرفث والفسوق لا الجدال بقوله
عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه قوله وما تفعلوا
من خير اي من احسان وطاعة حث على الخير عقيب النهي عن الشر يعني بان
يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق التقوى ومكان الجدال
الوفاق يعلمه الله اي يقبله فيجازيكم به قوله وتزودوا نزل فيمن كان يحج
بلا زاد ويقول انا متوكل وانا احج البيت فلا تطعمونني فيكون كلا على الناس
اي تزودوا في سفركم للحج والعمرة ما يكفيكم من السؤال واتقوا الاستطعام من
الناس فان خير الزاد التقوى من سؤال الزاد او ما تقيكم من السؤال وغيره
من الطعام او اجعلوا التقوى زاد الآخرة والطعام زاد الحج واتقون اي خافوا
عقابي يا اولي الالباب الذين قضيتهم تقوى الله ومن لم يتقه منهم فكانه
لا لب له ونزل رخصة حين كان المسلمون يتأثمون من التجارة ايام الحج بعد نزول
قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله على تفسير ان لا يشوبهما شئ من التجارة ليس
عليكم جناح اي اثم في موسم الحج ان تبتغوا اي لان تطلبوا او في ان تفضلوا

فضلا

افضت الماء اذا صببته صح

فضلا اي رزقا وهو الربح في التجارة من ربكم في ايام الحج فاذا افضتم
دفعتم انفسكم بكثرة من افاضة الماء وهو صبه بكثرة يعني رجعتم
من عرفات اي من الوقوف بها بعد غروب الشمس من عرفات اي من الوقوف
بها بعد غروب الشمس وهي علم للموقف سمي بالجمع وهو منصرف ولا اعتبار للتاء
في اللفظ لانها علامة الجمع مع الالف قبلها ولا يجوز تقدير التاء للتأنيث كما
في زينب لان هذه التاء مانعة من التقدير لاختصاص الصيغة بجمع المؤنث
وقيل التنوين فيها ليس للصرف لكونه نظير النون في مسلمين وسمي الموقف
بها لاعتراف الناس فيه بالذنوب او لان آدم عم لما رأى حواء فيها عرفها قيل
فيه دليل على ان الوقوف بعرفة واجب لان الافاضة لا يكون الا بعد الوقوف
بها ولان النبي عم قال الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج والمعنى انكم
اذا وقفتم بعرفات ثم رجعتم من الوقوف زائرين البيت بمكة فاذكروا
الله بالتلبية والتكبير والتهليل والدعاء عند المشعر الحرام اي بالقرب
منه والمشعر المعلم اي معلم لعبادة الله تعالى ووصف بالحرام لحرمته والمراد
به المزدلفة وجميعها موقف الا المحسر وسمي بالمزدلفة لان آدم اجتمع
فيها مع حواء ودنا منها وقد سمي جمعا لذلك او لان فيها يجمع بين الصلاتين
المغرب والعشاء في وقت واحد واذكروه كما هديكم اي كما ارشدكم
لدينه وعلمكم كيف تذكرونه فلا تعدلوا عنه في اتيان مناسك حجه
وان كنتم من قبله اي من قبل الهدى لمن الضالين اي لجاهلين بعبادته
وذكره لانكم لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة ونزل حين كان قريش واتباعه يقفون
بالمزدلفة ولا يخرجون من الحرم الى عرفات ترفعا على الناس قائلين نحن
اهل الله وسكان حرمه لئلا تساويهم في الموقف والناس من اهل
اليمن وغيرهم يقفون خارج الحرم بعرفات ويفيضون منها فامر الله
لهم ان يقفوا حيث يقف الناس ويفيضوا من حيث يفيضون قوله
ثم افيضوا اي ارجعوا من حيث افاض الناس اي من عرفات ولا تكن
افاضتكم من المزدلفة وثم لاظهار بعد ما بين الافاضتين من الصواب والخطأ
واراد بالناس جميعهم الا الحمس وهم قريش سميت به لتشددهم واستغفروا
من مخالفتكم في الوقوف ونحوه ان الله غفور لمن تاب عن ذنبه رحيم
باثابته في الجنة فامر النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يخرج بالناس جميعا الى

ثم لتفاوت ما بين الافاضتين صح من القاضي

عرفات فيقفوا بها وروي ان الله يباهي ملائكته باهل عرفات ويقول
انظروا الي عبادي جاؤني من كل فج عميق شعثا غبرا اشهدوا اني غفرت لهم
ثم قال تعالى **فاذا قضيتم مناسككم** اي اذا فرغتم من اداء امور الحج **فاذكروا الله**
باللسان يعني اذكروه بالتكبير والثناء عليه **كذكركم اباءكم** في ذلك الموقف
اي بمني اي بالغوا في ذكره بالكثرة كما تفعلون في ذكر ابائكم وكانت العرب
اذا فرغت من حجها وقفت فيه فذكرت مفاخر ابائهم ثم يتفرقون **او اشد ذكرا**
اي اكثر ذكرا في موضع الجر عطف علي كم في ذكركم تقديره او كذكر قوم اشد منكم
ذكرا لابائكم او اشد نصب بمضمر تقديره او اذكروه ذكرا اشد من ذكركم
لابائكم ثم اشار تعالى الي اختلاف اغراض الناس بالدعاء في الحج بقوله **فمن الناس**
من يقول وهم المشركون **ربنا آتنا في الدنيا** اي ارزقنا ابلا وبقرا وغنما
واماء وعبيدا واموالا ولم يسئلوا التوبة والمغفرة فقال تعالى **وما له في الآخرة**
من خلاق اي نصيب لان همته مقصور علي الدنيا **ومنهم** اي من المؤمنين
من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة اي التوبة والمغفرة والعلم النافع
والعمل الصالح **وفي الآخرة حسنة** اي الجنة قيل الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة
وفي الآخرة الحوراء تانيث الاحور وجمعه حور **وقنا** اي ادفع عنا **عذاب النار**
المرأة السوء وقيل كل ما يبعد العبد عن الله لانه سبب عذاب النار **اولئك**
اي الداعون بالحسنتين **لهم نصيب مما كسبوا** اي دعوا والدعاء كسب
لانه عمل من اعمال المكتسبة لقوله تعالى بما كسبت ايديكم ثم حثهم علي اعمال الخير
وحذرهم بالموت لان الجزاء والحساب انما يكونان بعد الموت بقوله **والله**
سريع الحساب اي بادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة فانه عن قريب يقيم القيمة
ويحاسب العباد او هو سريع الحفظ من غير غلط ونسيان لعدم احتياجه
الي عقد يد او وعي صدر وفكر بل حسابه اسرع من لمح البصر وهذا يدل علي كمال
قدرته ووجوب الحذر منه روي انه تعالى يحاسب في قدر حلب شاة او في
لمحة **واذكروا الله** اي بالتكبير عقيب الصلوة وعند رمي الجمرات **في ايام معدودات**
اي معروفات بالحصر وهي ايام التشريق يعني ايام منى واجري التانيث بالجمع علي
لفظ ايام والقياس ايام معدودة وقوبل الجمع بالجمع مجازا اذ لا يقال يوم معدودات
وقيل يجوز ان يراد باليوم الساعة لاشتمال الزمان عليها فيصح النعت بالمؤنث
والايام المعلومات ايام العشر من ذي الحجة وقيل هي ايام النحر فالتكبير مشروع
للحاج وغيره عقيب الصلوة في ايام التشريق وهو الله اكبر ثلثا متوالية عند

الشافعي

الشافعي واثنين عند غيره وتمامه لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد
لقوله عم كبروا دبر كل صلوة من يوم عرفة الي آخر ايام التشريق **فمن تعجل**
اي طلب الخروج من منى **في يومين** اي في يوم الثاني بعد يوم النحر من ايام
التشريق **فلا اثم عليه** بتعجيله وترك الرمي في يوم الثالث منها لانه رخص له
ذلك لكن عند ابي حنيفة رحمه يجوز الخروج فيه قبل طلوع الفجر منه **ومن تأخر** عن الخروج
حتى رمي في اليوم الثالث ثم يخرج اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس الآن
وهو مذهب الشافعي والا تماما **فلا اثم عليه** بترك الترخص فالمعنى انهم
مخيرون بين النفرين وان كان التأخر افضل المتميز بين الفاضل والافضل قيل
يجوز تقديم الرمي في اليوم الثالث علي الزوال عند ابي حنيفة رحمه ولا يجوز عند هم
قوله **لمن اتقى** خبر مبتدا محذوف اي جواز التمييز ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر
لمن يتقي المناهي بعد انصرافه من الحج وانما خصه به لانه هو المنتفع به دون
من سواه ثم زاد في التحذير بقوله **واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون**
اي تجمعون فيجازيكم باعمالكم لانهم كانوا اذا رجعوا من حجتهم يجترؤن علي
الله بالمعاصي فشدد في تحذيرهم **ومن الناس من يعجبك** نزل حين جاء
اخنس بن شريق الي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان حلو
الكلام حسن المنظر فاجر السريرة وقال انما جئت اريد الاسلام وقال الله تعالى
يعلم اني صادق واحبك فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم كلامه ثم خرج من
عنده عم فمر بزرع ثقيف من المسلمين فاحرقه ليلا واهلك مواشيهم لانه
كان بينه وبينهم عداوة فاخبر تعالى عنه بقوله ومن الناس من يسرك كلامه
ويعظم في قلبك **في الحيوة الدنيا** اي ما يقول لك في عرض المعيشة في الدنيا
لا ما ادعي من محبتك انما هو لطلب حظ من الدنيا فيتعلق الجار والمجرور بقوله المذكور
ويشهد الله علي ما في قلبه اي يقول الله شاهد علي محبتك والاسلام في قلبي
والواو للحال **وهو الد الخصام** اي اشد الخصومة والعداوة للمسلمين ويجوز
ان يكون الخصام جمع خصم اي الد الخصوم خصومة **واذا تولى** اي ادبر عنك
ورجع **سعى في الارض** اي مضى فيها بعمل المعاصي **ليفسد فيها** اي ليظهر الظلم
بسفك دماء المسلمين **ويهلك الحرث والنسل** بحرق الزرع وعقر الدواب
والله لا يحب الفساد اي لا يرضى بعمل المعاصي **واذا قيل له اتق الله** اي خف
من الله في صنعك السوء **اخذته العزة** اي حملته حمية الجاهلية ملتبسة
بالاثم الذي ينهى عنه يعني الزمته نخوته وكبره وقوته ارتكاب الاثم لجاجا علي

قول الناصح والواعظ له قيل من الذنوب التي لا تغفر ان يقال للرجل اتق الله فيقول
عليك حسابك او عليك نفسك بقول الله تعالى فحسبه جهنم اي هي كافية له
ولبئس المهاد اي الفراش والمقر فصارت الآية عامة لجميع الناس من المنافقين
ومن الناس من يشري اي يبيع نفسه نزل فيمن يبذلها في الجهاد وفي الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يقتل وقيل نزل في صهيب بن سنان اكرهه
المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان
كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه اي من
الاسلام وخذوا مالي فقبلوا منه ماله الا بقدر راحلته وتوجه الي المدينة
فلما دخلها لقيه ابو بكر فقال له ربح البيع يا صهيب فقال وما ذاك يا ابا بكر فاخبر
بما نزل فيه ففرح بذلك صهيب والشري من الاضداد يستعمل في البيع والابتاع
ونصب ابتغاء مرضات الله مفعول له اي يشري نفسه لطلب رضوانه تعالى
والله رؤف اي كثير الرحمة بالعباد لانه كلفهم الجهاد لحصول الثواب لهم ونزل
حين استاذن عبد الله بن سلام واصحابه بان يقرؤا التورية ويعملوا ببعض
ما فيها يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم بكسر السين وفتحها اي في الانقياد
والمراد الاسلام كافة حال من الضمير في ادخلوا اي اثبتوا جميعا على شرايع الاسلام
ودين محمد عم ولا تخرجوا منها ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي آثاره وسننه
بعد مجيء سنن الاسلام برسالة محمد عم انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة
فلا تتبعوا طرقه التي يدعوكم اليها لترجعوا عن الصراط المستقيم فان زللتم
اي ملتم عن الاسلام وشرايعه من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج الواضحات على
ان ما دعاكم اليه محمد عم حق فاعلموا ان الله عزيز حكيم اي غالب بالنقمة لا ينتقم
الا بالحق ثم قال الله تعالى يا محمد هل ينظرون اي ما ينتظرون بترك الدخول في
الاسلام الا ان يأتيهم الله اي بأسه وقضاؤه بالعذاب في الدنيا او يوم القيمة
في ظلل جمع ظلة وهي ما اظل وقوله من الغمام اي الغيم صفة ظلل قيل فيه ايذان بشدة
العذاب لان الغمام مظنة الرحمة فاذا انزل منه العذاب كان اصعب كانه قال
من حيث لم يحتسبوا والملائكة رفع عطف على الله اي يأتيهم الملائكة لقبض
ارواحهم وقضي الامر اي فرغ من حسابهم او تم امر هلاكهم والى الله ترجع
الامور معلوما ومجهولا وبالتاء والياء ثم امر الله تعالى نبيه محمدا عم بان يسئل
اليهود تبكيتا بقوله سل بني اسرائيل كم آتيناهم اي اعطيناهم فكم يحتمل كونها
استفهامية وخبرية ومعنى الاستفهام فيها للتقرير وبينت بقوله من آية بينة

اي

اي واضحة على نبوة موسى ومحمد عليهما السلام كانفلاق البحر لهم واهلاك
عدوهم ونزل المن والسلوى عليهم او شق القمر نصفين وانطاق الحجر
وغيرهما من المعجزات ومن يبدل اي يغير نعمة الله التي هي آيات الله
الدالة على صدق محمد ودينه من بعد ما جاءته اي بعد ما عرفها وصحت
عنده فان الله شديد العقاب لمن لم يشكر نعمته لاستحقاقه العقوبة
بكفران النعمة ونزل في شان المنافقين او المشركين زين للذين كفروا
الحيوة الدنيا اي ما بسط لهم من الاموال التي هي متاع الحيوة الدنيا و
المزين هو الله تعالى بان خذلهم واحبوها او الشيطان بان حسنها
في اعينهم بوساوسه ويسخرون من الذين آمنوا اي من فقراء المؤمنين
كعبد الله بن مسعود وعمار وصهيب وخبيب وبلال والذين اتقوا
من الشرك والنفاق واطاعوا الله فوقهم في الجنة والحجة في الدنيا وهو لا
الكفار في النار يوم القيمة وفي هذه الآية ايذان بان الكافر يسعد بكثرة
الدنيا عند الله والمؤمن لا يسعد عنده الا بالتقوى لذكره بعد ذكر الايمان
والله يرزق من يشاء بغير حساب اي يعطي رزقا كثيرا في الآخرة و
الدنيا بحيث لا يعرف حسابه او يرزق الكثير في الدنيا ولا يحاسب
عليه في الآخرة او يرزق من يشاء وليس احد يحاسب منه بما يرزقه
لانه المالك المطلق وقيل يرزقه بغير حساب اي من حيث لا يحتسب
كان الناس امة واحدة فيه ايماء للمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين
اختلفوا في الحق من المشركين واهل الكتاب باخباره تعالى ان بني آدم كانوا
عند اخذ الميثاق عليهم مسلمين او من آدم الى نوح اي كان الناس هم
عشرة قرون على دين واحد وعلى ملة واحدة من الحق ثم افترقوا واختلفوا
فبعث الله النبيين مبشرين بالثواب لمن يؤمن ويطيع ومنذرين
بالعقاب لمن يكفر ويعصي وهما حالان من النبيين وانزل معهم الكتاب
اي الكتب يعني انزل مع كل نبي كتابا بالحق اي ملتبسا بالصدق حال من
الكتاب ليحكم اي الله او النبي الذي معه الكتاب او الكتاب بين
الناس فيما اختلفوا فيه اي في دين الاسلام وما اختلف فيه اي
في الحق او في الكتاب الا الذين اوتوه اي اعطوا الكتاب المنزل من بعد
ما جاءتهم البينات اي الحجج الواضحات على صدق الكتاب ومن متعلق بما اختلف
بغيا اي حسدا وظلما بينهم اي بين المختلفين بتكذيب بعضهم بعضا و

كتمان صفة محمد عم وحكم الحق للحسد على حطام الدنيا ورياستها وقلة
الانصاف منهم فهدى اي وفق الله الذين آمنوا لما اي الى الذي اختلفوا
فيه من الحق وهو بيان الى ما اختلفوا فيه قوله باذنه بامره متعلق بهدى اي بارادة
ورحمته حتى ابصروا الحق بنور التوفيق من الباطل والله يهدي اي يرشد
من يشاء بهدايته الى صراط مستقيم اي الى دين الاسلام الذي اختلفوا فيه
بعد الاتفاق قوله ام حسبتم نزل لما اصاب المسلمين جهد في غزوة احد وفي
حفر الخندق ام فيه منقطعة والهمزة فيه لانكار الحسبان واستبعاده اي
اظننتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم اي والحال لم يجيئكم مثل الذين خلوا
اي صفة الذين مضوا من قبلكم من النبيين والامم واصل لما لم ضمت اليها
ما ليفيد معنى التوقع اي اتيان ذلك المثل متوقع منتظر لكم والجملة الآتية مبينة
لحالهم ومثلهم كان قائلا يقول كيف كان مثلهم فقيل استينافا مستهم
البأساء والضراء اي اصابتهم الشدة والفقر والبلاء والامراض وزلزلوا
اي حركوا وازعجوا بانواع البلاء بازلزالا ازعاجا شديدا لم يبق لهم صبر حتى
يقول الرسول برفع يقول واريد الحال وبنصب يقول باضمار ان بعد حتى
بمعنى الى ان يقول والمعنى على المضي لا على الاستقبال اي الى غاية قال الرسول فيها
والذين آمنوا معه استبطاء للنصر الموعود لهم لا شكا متى نصر الله الموعود
فاجيبوا وقيل لهم الا ان نصر الله قريب اي سريع غير متاخر عنكم قيل هذا في كل
نبي بعث الى امته واجهد فيه حتى قال متى نصر الله ووقع ذلك للرسول عم حين بلغ
له ضجر شديد قبل فتح مكة فقال لهم في يوم الاحزاب حيث اصاب اصحابه شدة
ولم يبق لهم صبر حتى ضجروا وطلبوا النصرة فارسل الله تعالى ريحا وجنودا وهزم
الكفار بهما قوله يسئلونك نزل حين حث النبي عم على التصدق في سبيل الله
وسأل عمرو بن الجموح وكان ذا مال فقال يا رسول الله كم ننفق وماذا ننفق فقال تعالى
ماذا ينفقون اي اي شيء يتصدقونه من اموالهم قل ما انفقتم اي ما تصدقتم
من خير اي من مال فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
وهذا الكلام جواب بما هو اهم وهو بيان المصرف لكل مال حلال لان الصدقة
لا يعتد بها الا ان يقع موقعها قيل نسخت الآية باية الزكوة وقيل يجوز حملها
على النفل فلا نسخ حينئذ لان المراد بها البر على هؤلاء المذكورين وما تفعلوا
من خير اذا كان من الحلال فمن للبيان فان الله به عليم فيجازيكم به لا محالة
قوله كتب اي فرض عليكم القتال اي الجهاد للكفار نزل حين امرهم الله تعالى

لما للتوقع

بالجهاد

بالجهاد وكرهوا الخروج لمشقته والواو في قوله وهو كره لكم واو الحال اي القتال
مكروه بمعنى شاق عليكم وعسى ان تكرهوا شيئا اي الغزو وهو خير لكم
لان فيه فتحا وغنيمة او شهادة وحسنة وعسى ان تحبوا شيئا وهو
الجلوس عن الغزو وهو شر لكم لان فيه تسلط عدوكم عليكم وهلاككم
والله يعلم مصالحكم دينا ودنيا وانتم لا تعلمون ما فيه صلاحكم لحبكم
القعود عن الغزو قوله يسئلونك عن الشهر الحرام نزل حين بعث النبي
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش مع تسعة رهط في آخر جمادي
الآخر قبل بدر بشهرين ليترصد الى عير لقريش فيها عبد الله بن الحضرمي
وثلثة معه فقتلوه ليلا واسروا اثنين وافلت واحد فعيرهم المشركون
وقالوا قد استحل محمد الشهر الحرام وجاء عبد الله بن جحش واصحابه بالعير
والاسيرين الى النبي عم وقالوا يا رسول الله فعلنا هذا وما ندري ان
تلك الليلة من جمادي الاخرى ام كانت من رجب فوقف النبي عم العير والاسير
وامتنع عن اخذها فقال الله تعالى يسئلونك عن القتال في الشهر الحرام قوله
قتال فيه ابدل من الشهر بدل اشتمال لاشتمال الشهر على القتال قل قتال فيه
اي الشهر الحرام كبير اي اثم كبير اي عظيم عند الله فارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم العير والاسيرين الى قريش قوله وصد عن سبيل الله وهو
مع خبره الجملة عطف على جملة قتال فيه كبير اي قل يا محمد للكفار تعييرا
لهم المنع عن الايمان بالله وكفر به عطف على صد اي وستر الايمان
بالله والمسجد الحرام بالجر عطفا على سبيل الله اي ومنع المسلمين عن دخول
مكة وزيارة بيت الله تعالى واخراج اهله اي اهل المسجد يعني النبي عم ومن
آمن به منه اي من المسجد عطف على صد وخبر المبتداء اكبر اي اعظم
اثما عند الله والفتنة اي الشرك بالله اكبر من القتل اي من قتل ابن الحضرمي
ومن القتال في الشهر الحرام والمعنى قل للمشركين توبيخا لهم افعالكم من الصد والكفر
واخراج المسلمين من مكة اكبر اثما مما فعل بعض المسلمين من القتل والقتال في الشهر الحرام
قوله ولا يزالون اي الكفار يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين
اي هم لا ينفكون عن قتالكم ايها المؤمنون حتى يردوكم عن دينكم
اي يصرفوكم عن دين الاسلام الى دينهم الكفر ان استطاعوا اي اقدروا
على ذلك ولكنهم لا يقدرون عليه ثم حذر المسلمين ليثبتوا على دينهم
الاسلام بقوله ومن يرتدد شرط مبتداء اي يرجع منكم عن دينه الاسلام

بن

الى دين الكفر سرا او جهرا فيمت بالجزم عطف على يرتدد وهو كافر اي وهو مرتد
عن دينه بالكفر وخبر المبتداء وجواب الشرط فاولئك حبطت اي بطلت اعمالهم
اي حسناتهم يعني لا ثواب لها لان عبادتهم لم يصح في الدنيا ولم يثابوا بها
وفي الآخرة وبه استدل الشافعي ان الردة لا تحبط العمل حتى يموت مرتدا
وابطلها ابو حنيفة رحمه الله بالردة وان لم يمت ورجع مسلما واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون اي مقيمون لا يخرجون عنها ان الذين
آمنوا بالله والذين هاجروا اي فارقوا اهلهم ومنازلهم وجاهدوا
اي وحاربوا في سبيل الله اي في طاعة الله نزل ترغيبا للجمع بين هذه
الخصال وان كان الثواب حاصلا بكل واحد منها حين قال الكفار للمقا
من المسلمين في الشهر الحرام لو لم يكن عليهم وزر فليس عليهم اجر وخبر ان
اولئك يرجون رحمت الله اي ينالون الجنة برحمته لان من طلب
وجد وجد والله غفور لذنوبهم بقتالهم في الشهر الحرام رحيم بفضله
الجنة لهم قيل نسخ تحريم القتال في الشهر الحرام بقوله فلا تظلموا فيهن انفسكم
وقاتلوا الآية قوله يسئلونك عن الخمر والميسر نزل حين كان المسلمون يشربون
الخمر ويستعملون القمار مولعين فيهما اي يسئلونك عن جواز تناولهما
فقال تعالى قل فيهما اي في استعمالهما اثم كبير اي ذنب عظيم قرئ بالباء والثاء
من الكثرة اي وازر من الفحش والمخاصمة والعداوة بسببهما ومنافع للناس
من اللذة واستمرار الطعام وكسب المال بالتجارة في الخمر ونيل المال بلا تعب في
الميسر وانتفاع الفقراء بلحم الجزور روي في صفة الميسر انهم كانوا يشترون
جزورا في الجاهلية وينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء ثم يضربون سهامهم
بالقدح يعني كل واحد سهمه بقدح موسوم به ويتركون قدحا بلا نصيب
موسوما باسم رجل ويجعلون جميع الاقداح في خريطة ويضعونها على
يد عدل ثم يدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا منها فمن خرج سهمه اولا
ياخذ نصيبه من اللحم ولا يكون من الثمن عليه شيء ومن خرج قدحه بلا نصيب
كان عليه ثمن الجزور ولا شيء له من اللحم ويطعمونها الفقراء وهم لا يطعمون منها
ويفتخرون بذلك والمراد من الميسر هنا جميع القمار فتركهما بعض الناس وقالوا
لا حاجة لنا فيما فيه اثم كبير ولم يتركهما كثير منهم وقالوا ناخذ منفعتهما
ونترك اثمهما ثم نزلت آية لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حين قرأ بعضهم اعبد
ما تعبدون في الصلوة بترك لا فترك الخمر بعض الناس وشربها بعضهم في غير اوقات

الصلوة حتى نزلت آية يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الآية الى آخرها حين
شرب قوم في دعوة عتاب بن مالك فلما سكروا افتخروا وتناشدوا ابياتها
فضرب بعضهم رأس بعض بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله
فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فلما نزلت الآية الى قوله فهل انتم
منتهون قال عمر انتهينا يا رب فصار شربها حراما عليهم حتى قال البعض
ما حرم علينا شيء اشد من الخمر وهي ما غلا واشتد وقذف الزبد بلا طبخ النار
من عصير العنب يحد شاربها ويفسق ويكفر مستحلها بالاجماع واصل
الخمر الستر لانها تستر العقول قيل كل ما اسكر من كل شراب حرام قليله وكثيره
عند اكثر الفقهاء منهم الشافعي وقال ابو حنيفة لا يحرم الا المتخذ من عصير
العنب والرطب ونقيع الزبيب والتمر والقدر المسكر من كل شراب حالة
الشرب قال النبي عم من شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها ولم يتب
لم يشربها في الآخرة والميسر مفعل من اليسر ضد العسر وهو قمار العرب يسمى
به لان الانسان ياخذ مال الرجل بتيسير وسهولة من غير تعب قال علي رضه الله
النرد والشطرنج ميسر يشير به الى انهما حرام وعن النبي عم اياكم وهاتين
اللعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر العجم واثمهما اي عقاب الاثم في تناولهما
بعد التحريم اكبر اي اعظم من نفعهما قبل التحريم وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار
والطرب فيهما وغيرهما مما ذكر ويسئلونك ماذا ينفقون اي اي شيء يتصدقون
من الاموال قل العفو بالنصب اي ينفقون العفو اي الفضل عن قدر الحاجة لنفسه
وعياله فكانوا يكتسبون وينفقون الفاضل عن الحاجة في عهد النبي عم ثم نسخ بآية
الزكوة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتداء اي المنفق العفو كذلك اي مثل هذا
التبيين يبين الله لكم الآيات من الامر والنهي لعلكم تتفكرون فتسعون
فيما هو صلاحكم في الدنيا والآخرة اي لتتفكروا ان الدنيا زائلة والآخرة باقية
فتطلبوا الآخرة بترك الدنيا في سبيل الله ويسئلونك عن اليتامى اي
عن مخالطتهم وذلك بعد نزول قوله ولا تقربوا مال اليتيم وقوله ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية فتركوا مخالطتهم ومواكلتهم وشق ذلك
عليهم حتى لو كان عند رجل يتيم يجعل له بيتا على حدة وطعاما على حدة فقال
عبد الله بن رواحة يا رسول الله قد عز لنا عن اليتامى بما انزل الله
من الشدة افيصلح لنا ان نخالطهم فنزل قوله قل اصلاح لهم خير
اي اصلاح مالهم بنظركم فيه خير لكم من ترك الخلطة والنظر عليهم لتثابوا

وحيز لهم ليتزايد مالهم وذكر اصلاح لهم وان تخالطوهم اي وان تخلطوا
اموالكم الى اموالهم وتشاركوهم فيها فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين
ومن حق الاخ ان يخالط اخاه ويعينه ولا يضره والله يعلم المفسد لمال
اليتيم من المصلح لماله يعني اذا قصد تمريه الاصلاح فلا باس عليكم بالخلطة
ولو شاء الله اعنتكم لاعنتكم اي ليضيق عليكم بالشدة يعني لما اباح لكم
مخالطتهم وشق ذلك عليكم ان الله عزيز اي غالب على ان يعنت عباده
حكيم في صنيعه يعني لا يكلفهم فوق طاقتهم ولا تنكحوا المشركات اي لا تتزوجوهن
وهن الوثنيات حتى يؤمن اي حتى يصدقن بالله وبمحمد عم نزل حين
سأل ابو مرثد النبي عم عن تزوجه بامرأة يقال لها عناق وكانت مشركة
لا من اهل الكتاب ولامة مؤمنة خير من مشركة اي نكاح امرأة مؤمنة
حرة كانت او امة فالمراد من الامة امة الله خير من نكاح حرة مشركة
ولو اعجبتكم نكاحها اي ولو اعجبتكم نكاحها وتحبونها ولا تنكحوا المشركين
اي لا تزوجوهم نساءكم المؤمنات حتى يؤمنوا بالله ورسوله فلا يجوز
تزويج مسلمة لكافر اجماعا ولعبد مؤمن اي نكاح عبد من عباد الله
حرا كان او رقيقا خير من تزويج مشرك ولو اعجبكم تزويجه وتحبونه
اولئك اي المشركات والمشركون يدعون الى النار اي الى عمل اهلها
والله يدعوا اي على لسان انبيائه الى الجنة والمغفرة اي الى اعمال الجنة
واسباب المغفرة من التوبة والانابة والتقوى باذنه اي بارادته وتيسيره
للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة ويبين اياته من الامر والنهي في التزوج
وغيره للناس لعلهم يتذكرون اي يتعظون وينتهون عن المعاصي قوله
ويسئلونك عن المحيض عطف على السؤال قبله وانما ترك واو الجمع في الاسولة
التي تقدمت ليدل على ان تلك الحوادث وقعت متفرقة وذكر في الاسولة
الاخيرة لانهم سألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد كانه قيل يجمعون
لك بين هذه السؤالات منها السؤال عن المحيض نزل في شان رجل من الانصار
اسمه ابو الدحداح سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصنع
بالنساء اذا حضن انقربهن ام لا اي يسئلونك عن الوطي في زمان الحيض
اسم الزمان هنا قل هو اي الدم اذى اي شيء نجس يوذي من يقربه مجامعا
فاعتزلوا النساء في المحيض اي اتركوا مجامعتهن ايام حيضهن ولا تقربوهن
بالجماع حتى يطهرن بفتح الطاء والهاء مع التشديد اي يغتسلن وبسكون

الطاء وضم الهاء مع التخفيف اي يطهرن من الحيض وينقطع دمهن قيل
اذا انقطع الدم في اقل من عشرة لا يجوز قربانها ما لم تغتسل او يمضي عليها
وقت الصلوة فاذا تمت العشرة وانقطع الدم جاز ان يقربها وعند الشافعي
لا يجوز ما لم تغتسل فاذا تطهرن اي اغتسلن فأتوهن اي جامعوهن
من حيث امركم الله اي من الفرج ولا تتعدوه ان الله يحب التوابين
من الشرك والذنوب ويحب المتطهرين اي المغتسلين بالماء من الجنابة
والاحداث او المتنزهين من اتيانهن في الحيض او في ادبارهن قوله
نساؤكم حرث لكم اي مزدرع ومنبت للولد كالارض للنبات في موقع البيان
لقوله من حيث امركم الله فأتوا حرثكم اي نساءكم في محل الزرع وهو القبل
انى شئتم اي كيف اردتم مستقبلين او مستدبرين بعد ان كان المأتي
واحدا وهو موضع الحرث فيه تحريم الادبار وتحليل الاقبال لطلب النسل
لا لقضاء الشهوة قال النبي صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة
في دبرها وقدموا اي الاعمال الصالحة لانفسكم ولا تعملوا المناهي او قدموا
التسمية على الوطي او طلب الولد قال عم اذا مات ابن آدم انقطع عمله
الا من ثلثة صدقة جارية بعده او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له
واتقوا الله اي اخشوه على كل حال من عمل السيئة واعلموا انكم ملاقوه اي
سايرون اليه فاستعدوا له بما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين يا محمد
اي الذين يصدقون بوعده تعالى ويحافظون حدوده قوله ولا تجعلوا
الله عرضة اي علة معترضة لايمانكم جمع يمين والمراد هنا المحلوف عليه
وسمي به لملابسة اليمين فاللام يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعراض ويجوز ان
يتعلق بالفعل والمعنى ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه باليمين بالله على
ترك فعل الخير من الاحسان لاحد او صلة الرحم واصلاح ذات البين والعبادة
كالصوم والصلوة او غير ذلك من الخيرات فيقول نحن حلفنا بالله فنخاف
من اليمين به ان نفعله فنحنث في يميننا ومحل قوله ان تبروا اي لان لا تبروا
نصب على انه مفعول له وكذا وتتقوا وتصلحوا بين الناس اي لان لا تتقوا
ولا تصلحوا بين الناس او بتقدير كراهة ان تبروا نزل في عبد الله بن رواحة
الانصاري حين حلف ان لا يدخل على ختنه لبشر بن نعمان ولا يكلمه
فجعل يقول نحلف بالله ان لا يحسن احدا ولا يتقي من العصيان فيعمل
ما اشتهت نفسه وان لا يصلح بين الناس اذا وقعت فيهم العداوة

تعندوا

معرض

للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس

نزلت في الصديق رضي الله تعالى عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله تعالى عنها

والبغضاء فقال تعالى كل ذلك خير وطاعة لا يمنعها حلفكم وان حلفتم عليها
فلتكفروا عن حلفكم ولتفعلوا تلك الخيرات من البر والتقوى والاصلاح
بين الناس قال عم من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن
يمينه وليفعل الذي هو خير والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم فيجازيكم عليها
لا يؤاخذكم الله باللغو اي لا يعاقبكم بلغو يمينكم واللغو هو المطروح من الكلام
لكونه باطلا يقال لغى لغوا اذا قال باطلا ولغو اليمين ان يحلف الرجل بالله على
شيء يظن انه صادق فيه وليس كذلك سواء كان يحلف ماضيا او غيره فليس له
اثم ولا كفارة هذا عند ابي حنيفة واما عند الشافعي فلغو اليمين سابق
اليه اللسان بلا قصد الحلف نحو لا والله وبلى والله وفي الآية معنيان
احدهما لا يعاقبكم الله باللغو في ايمانكم بالظن ولكن يؤاخذكم اي
يعاقبكم بما كسبت قلوبكم من قصد الاثم بالكذب باليمين وهو ان يحلف
الرجل على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس وسميت بالغموس لانغماس
صاحبها في الاثم بها وثانيهما لا يؤاخذكم يعني لا يلزمكم الله الكفارة بلغو
اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت
من اليمين لا بكسب اللسان والله غفور لمن حنث وكفر عن يمينه حليم
حيث لم يعاقبكم باللغو في اليمين وحده ورخص لكم الحنث والتكفير في غيره قيل
اذا حلف احدكم بشيء فحنث ان كان مستقبلا فعليه كفارة وهو اليمين
المنعقدة وان كان ماضيا فان كان الحالف عالما بالواقع وحلف على خلافه
فاليمين كبيرة ولا كفارة عند ابي حنيفة في الكبائر وعند الشافعي يجب الكفارة
فيه وهو اليمين الغموس وان كان الحالف جاهلا بالواقع ويرى انه صادق
فيه وليس كذلك فلا كفارة فيه وهو يمين اللغو عند ابي حنيفة ويمين الغموس
عند الشافعي ويحكم فيه بالكفارة قوله للذين يؤلون اي يحلفون على القربان
من الايلاء وهو يتعدى بعلى لكنه ضمن معنى البعد فتعدى بمن فكانه قال
يبعدون بالقسم من نسائهم نزل فيمن كان يكره امراته ويخاف ان يطلقها
فيتزوجها غيره فيحلف على ان لا يقربها فيتركها لا ذات بعل ولا ايما فبين
الله تعالى الحكم في المولين فقال للذين يحلفون اي يجامعون نساءهم
تربص اربعة اشهر اي انتظار اجل اربعة اشهر بعد الحلف فان فاؤا
تفصيل للذين يؤلون اي فهم بعد الايلاء ان رجعوا عن اليمين في تلك
الاشهر وجامعوا نساءهم من قبل ان يمضي المدة فان الله غفور يغفر

للمؤمنين

للمؤمنين لرجوعهم من ضرار نسائهم بالايلاء رحيم يرحم لهم بترك
الكفارة في ذلك قيل انصراف الحالف اليها في المدة بالوطئ ان امكنه او بالقول
وان مضت المدة ولم يفئ اليها بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند
لا يصح الايلاء الا في نفي اكثر من اربعة اشهر اي يحلف الرجل على انه لا يفئ
بها اكثر من اربعة اشهر فاذا مضت المدة وقف فاما ان يجامع او يطلق
فان ابى طلق عليه القاضي وان عجز عن الجماع فاء بلسانه والحر والعبد
سواء في مدة الايلاء عند الشافعي ويتنصف بالرق عند ابي حنيفة
ويعتبر رق المراة ومالك يعتبر الزوج وان عزموا اي اوقعوا الطلاق
بترك الجماع في المدة فان الله سميع لمقالتهم بكلمة الايلاء منهن عليم
بنياتهم منه والمطلقات لفظه مطلق في تناول الجنس يصلح لكله
وبعضه فاريد به البعض هنا اي النساء اللاتي طلقن وهن مدخول
بهن يتربصن اي ينتظرن خبر بمعنى الامر اي ليتربصن بانفسهن فلا
يتزوجن وفي ذكر الانفس زيادة بعث لهن على التربص لان انفس النساء
طوامح الى الرجال غالبا فامرن ان يقهرن انفسهن ويجبرنها على ان ينتظرن
لوجود العدة عليهن ثلثة قروء اي مضي ثلثة اقراء ونصبها مفعول به ووضع
موضع جمع الكثرة موقع جمع القلة والقرء بضم القاف والفتح هو الطهر عند الشافعي
والحيض عند ابي حنيفة ثلثة اطهار او ثلث حيض وتظهر فائدة الخلاف
في المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فعند الشافعي انقضت عدتها
وعند ابي حنيفة لا تنقضي عدتها حتى تنقضي الحيضة الثالثة ولا يحل
لهن نزل في شان المطلقة التي تحت زوجها بالطلاق الرجعي وتريد فراق
زوجها فتكتم حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك
تسريحها او تكتم حيضها وهي حائض وتقول قد طهرت استعجالا للطلاق لان
الطلاق السني انما يكون في الطهر لا في الحيض اي لا يباح للمطلقات ان يكتمن اي
يخفين ما خلق الله في ارحامهن من الحبل والحيض بان تقول المراة لست بحامل
وهي حامل او تقول لست بحائض وهي حائض لتبطيل حق الزوج من الولد والرجعة
ثم عظم ذلك بقوله ان كن يؤمن اي يصدقن بالله واليوم الاخر لان المؤمن
هو الخائف من ذلك الفعل وبعولتهن جمع بعل وهو الزوج والتاء لتانيث
الجمع ازواجهن احق اي احرى واولى بردهن اي برجعتهن في ذلك
اي في العدة وهي مدة ذلك التربص ان ارادوا اي ان اراد الزوج والزوجة

ثم انه تعالى لما بين ان المقصود من الرجعة اصلاح حالها لا ايصال الضرر اليها بين ان لكل واحد من الزوجين حقا على الآخر فقال وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ اي ولهن على ازواجهن مثل الذي لازواجهن عليهن ووجه المماثلة بين الحقين هو الوجوب والاستحقاق المطالبة لا الاتحاد في جنس الحقوق مثلا اذا استحقت المرأة على الزوج المهر والنفقة والمسكن لا يستحق هو عليها ايضا جنس هذه الحقوق واعلم ان مقاصد الزوجية لا تتم الا اذا كان كل واحد

والولي بالرجعة اصلاحا بينهما وحسن المعاشرة ولم يريدوا مضارتهن

ولهن اي وللنساء على رجالهن مثل الذي عليهن للرجال في الحقوق بالمعروف

اي بما عرف شرعا يعني لا يكلفن النساء ما ليس لهن ولا يكلف الرجال ما ليس لهم

في الشرع او في عبادة الناس من المهر والنفقة والخلق والتزيين قال ابن عباس

رضي الله عنه احب ان اتزين لامرأتي كما تحب امرأتي ان تتزين لي وللرجال

عليهن درجة اي بعد اشتراكهما في اللذة لهم الفضيلة عليهن في المهر والنفقة

والرجعة او بالعقل والشهادة والقيام لمصلحتها والله عزيز بالانتقام

عمن يعصي امره حكيم بالحكم بالرجعة في الطلاق الرجعي قوله الطلاق

مرتان نزل فيمن كان يطلق زوجته ثم يراجعها واراد كثرة مضادة للزوج

اي الطلاق يملك فيه الزوج الرجعة مرتان اي مرة بعد مرة وليس المراد

الجمع بينهما فان دلجها بعد الرجعة الثانية فامساك اي فالحكم ان

يمسكها بمعروف اي بما عرف شرعا من الحقوق التي هي الانفاق عليها

وكسوتها وحسن معاشرتها وترك ايذائها ولا يراجعها لقصد

تطويل العدة عليها مضارة لها او تسريح باحسان اي ان يرسلها من

غير قصد سوئها قوله ولا يحل لكم نزل في جميلة بنت عبد الله بن ابي و

زوجها ثابت بن قيس كان يحبها وهي كانت تبغضه فاتت رسول

الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت وقد كان اعطاها حديقة

من زوجها على ان ترد اليه الحديقة فافتدت بها منه وهو

اول خلع في الاسلام اي لا يباح لكم ايها الازواج ان تأخذوا مما آتيتموهن

اي اعطيتموهن من المهر شيئا الا ان يخافا اي يظنا الزوجان منكم ويعلما

الا يقيما حدود الله اي ان لا يحفظا اوامره ونواهيه المعروفة شرعا في

حسن الصحبة قيل محل ان يخافا نصب على الحال اي خائفين والاصوب

فيه ان يقدر المضاف اي الا زمان خوفهما ومحل ان لا يقيما نصب على انه

مفعول يخافا فان خفتم الا يقيما اي ان علمتم ايها الائمة والحكام ان لا

يحفظ الزوجان حدود الله المعروفة في اصلاح الزوجية بينهما فلا جناح

اي لا حرج عليهما اي على الزوج فيما اخذ ولا على الزوجة فيما افتدت به من

المال اذا كان النشوز من قبل المرأة لانها ممنوعة عن اتلاف المال بغير حق اما اذا

كان النشوز من قبل الزوج لا يحل له ان يأخذ شيئا مما آتيتها القوله تعالى فلا تأخذوا

منه شيئا ففيه اشعار بجواز الخلع تلك اي هذه المذكورات حدود الله اي

اوامره ونواهيه فلا تعتدوها اي لا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله

اي ومن يتجاوز احكام الله بترك اوامره ونهيه ولم يعمل بهما فاولئك

هم الظالمون اي الضارون بانفسهم يعني من تجاوز عن الطلاق الثنى

والامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان فقد ظلم نفسه واستحق

العقوبة فان طلقها اي الطلقة الثالثة فلا تحل تلك المرأة له اي للزوج

من بعد اي من بعد الطلقة الثالثة حتى تنكح اي حتى تتزوج تلك المرأة

زوجا غيره اي بزوج آخر ويدخل بها وعرف الدخول بالسنة لحديث

امرأة رفاعة فانه طلقها ثلاثا فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير فاتت النبي

وقالت طلقني عبد الرحمن قبل ان يمسني وان ما معه كهدبة الثوب

فقال عم لها اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال ليس لك ذلك

ما لم تذوقي من عسيلته ويذوق من عسيلتك اي الزوج الثاني فلا جناح

عليهما اي على الزوج الاول والزوجة بعد انقضاء عدتها ان يتراجعا

اي يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بتجديد النكاح ان ظنا اي علما

او غلب على ظنهما ان يقيما حدود الله المعروفة في حق الصحبة بين الزوجين

قيل النكاح المعقود بشرط التحليل باطل عند الاكثر وجائز عند ابي حنيفة

مع الكراهية ان صرحا التحليل وان اضمراه فلا كراهة وتلك حدود

اي احكامه المعلومة يبينها لقوم يعلمون لانهم يحفظونها والجاهل

اذا تبين له لا يحفظ ولا يتعاهد ونزل فيمن طلق امرأته فلما دنت عدتها

من الخروج راجعها ثم طلقها مضارة لها قوله واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن

اي قربن من انقضاء العدة وذلك بان مضى عليها ثلاثة حيض قبل ان تغتسل

او قبل ان تخرج من العدة فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف اي من

غير طلب اضرار لهن بالرجعة او سرحوهن اي اتركوهن بمعروف

اي خلوهن حتى يبن بانقضاء عدتهن ولا تمسكوهن ضرارا اي اضرارا

او ضارين بهن بتطويل العدة عليهن بالرجعة في آخر العدة والطلاق

بعدها لتعتدوا اي لتظلموهن بتطويل الحبس فتلجئوهن الى الافتداء

بالمال ومن يفعل ذلك اي الاضرار فقد ظلم نفسه اي اضرها بمعصيته

في الاضرار او عرض نفسه لعذاب النار ولا تتخذوا آيات الله اي القرآن

هزوا اي لعبا بان يطلق الزوج ويقول كنت لاعبا وينكح او يعتق

ويقول كنت لاعبا قال عم ثلاثة جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق

وفي رواية الرجعة مكان العتاق واذكروا اي احفظوا نعمة الله عليكم اي الاسلام وما انزل عليكم من الكتاب اي القرآن والحكمة اي الفقه في الدين والموعظة للعمل يعظكم الله به اي بالنازل عليكم واتقوا الله في المخالفة واعلموا ان الله بكل شيء عليم اي بسركم وجهركم واعمالكم فيجازيكم به قوله واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا تعضلوهن نزل في معقل حين طلق ابو الدحداح اخته ثم ندم فخطبها بعد عدتها فرضيت ومنعها اخوها ان تتزوجه اي لا تحبسوهن وتمنعوهن من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن منهم ويصلحون لهن اذا تراضوا اي النساء والمريدون نكاحهن بينهم بالمعروف اي بما يحسن في الدين من نكاح جديد ومهر صالح وقيل لمهر المثل عند ابي حنيفة رح انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فلاوليائها ان تعترضوا الى ان يكمل والا فلهم ان يفرقوها عنه لذلك ذلك اي النهي والخطاب لكل انسان او للنبي يوعظ به اي ينهى ويؤمر به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر اي بالحساب والعقاب والثواب ذلكم ايها الجمع ازكى اي اصلح لكم واطهر لقلوبكم من الريبة وانفسكم من دنس الاثم والله يعلم ما في قلب احدكم من الحب لصاحبه او ما فيه من صلاحكم من الاحكام والشرايع وانتم لا تعلمون اي وانتم تجهلون ذلك قد عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم معقلا وقال ان كنت مؤمنا فلا تمنع اختك عن ابي الدحداح فقال آمنت وزوجها منه ففيه دليل على ان الولي اذا منع المرأة عن النكاح كان للحاكم ان يزوجها قوله والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين اي اربعة وعشرين شهرا من الوضع نزل لبيان مدة الرضاع المثبت للحرمة وقوله يرضعن خبر في معنى الامر اي ليرضعن للاستحباب لانه لا يجب على المطلقة ارضاع ولدها من زوجها الذي طلقها ان وجد ظئر ترضعه ويجب ان لم يوجد او كان لم يقبل الولد الا ثدي امه او عجز الاب عن الاستيجار وقوله كاملين وصف للحولين بالكمال لتاكيد ارادة الحقيقة لان بعض الحولين يسمى حولين تجوزا فعلم به ان المراد حولان بغير نقصان ثم نزل لليسر والتخفيف قوله لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن توجه اليه الحكم اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع والام يتعلق بيرضعن اي يرضعن حولين لمن اراد ان يكمل الارضاع من الآباء لانه يجب عليه ارضاع الولد دون الام الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهو مستحب

منها

منها ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة ام او معتدة من نكاح ويجوز عند الشافعي فاذا انقضت العدة جاز بالاتفاق وعلى المولود له اي وعلى الاب ولم يقل وعلى الوالد ليعلم ان الاولاد للآباء لان الزوجة انما تلد الولد للزوج ولان نسبة الولد اليه لا اليها يعني الوالدين رزقهن وكسوتهن اي رزق الامهات اذا ارضعن اولادهم ولباسهن وكذا اجر الرضاع للاظآر بالمعروف اي على قدر طاقته لا تكلف لا تحمل نفس الا وسعها من كل واحد منهما وهو تفسير لقوله بالمعروف يعني لا يجب على الاب من النفقة والكسوة الا مقدار طاقته لا تضار برفع الراء نفي اي لا تضارر معلوما او تضارر مجهولا على الخبر وبفتح الراء نهي ومجزوم حركت لالتقاء الساكنين اي لا تتضرر والدة بولدها بان ينزع ولدها منها بعد رضاها بارضاعه ولا مولود له بولده بان تلقي الولد الى ابيه بعد الف الولد امها ويقول الام للاب خذ له ظئرا ترضعه فلا يجوز ان يفعل كل واحد منهما مثل ذلك الاضرار الى صاحبه واضافة الولد اليها واليه للاستعطاف لانه ليس باجنبي من واحد منهما والحق ان يشفق عليه منه وعلى الوارث اي على وارث الصبي مثل ذلك اي مثل ما كان على الاب فيكون النفقة والارضاع عليه اذا لم يكن له اب ويجوز ان يراد به الصبي نفسه فيكون اجر الرضاع عليه ان كان له مال كما كان على ابيه والا فعلى الام ارضاعه قيل يجب عند ابي حنيفة رحمه الله نفقة الصبي على الورثة الا على من ليس بذي رحم محرم كابن العم وعند الشافعي لا نفقة للصبي الا على الوالدين بحسب فان ارادا اي الوالدان فصالا اي فطاما للصغير قبل الحولين عن تراض اي باتفاق منهما وتشاور اي بمشاورتهما العلماء ان الفطام لا يضر الولد وانما اعتبر اتفاق الوالدين لما في الاب من الولاية وفي الام من الشفقة فلا جناح اي لا حرج عليهما في ذلك يعني سواء زاد على الحولين او نقص وهذه توسعة بعد التحديد قوله وان اردتم ان تسترضعوا اي المراضع وهو المفعول الاول حذف للاستغناء والثاني اولادكم بعث بالخطاب للوالدين وغيرهما من الاولياء على ابناء الاجر للاظآر ومنحا ايديا بتطبيبا لنفوسهن واصلاحا لشان الصبي اذا طلبتم ان تاخذوا ظئرا لارضاع اولادكم فلا جناح عليكم اي لا اثم لكم فيه اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم

يعني

تكلف

تفصيل لما قبله وتقرير له اي لا تكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا يضار بسبب ولده ابو السعود

بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام

جمع مرضع ارجل الرضاع

اي العمل بمقتضى ما ذكره

والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح

شروع في بيان الاحكام المتعلقة باولادهن خصوصا ابو السعود

جمع والدة

بالمعروف متعلق بسلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا ابو السعود

في شان مراعاة الاحكام المذكورة ابو السعود

فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفي ابو السعود

بالمد اي اعطيتم وبالقصر اي جئتم به يعني الذي سميتم وشرطتم لهن
بالمعروف متعلق بسلمتم اي اذا اعطيتموه لهن بطيبة نفس وحسن خلق
بقول جميل وقيل المراد بالمعروف ان يكون الاجر من الحلال لان المرضع اذا اكلت
الحلال كان اللبن انفع للصبي واقرب الي صلاحه كم هددهم في مخالفة
الامر والاضرار وقال واتقوا الله اي ليخف كل منكم ان يضر بصاحبه و
اعلموا ان الله بما تعملون بصير من الاضرار وغيره فيجازيكم به والذين
اي وزوجات الذين بتقدير المضاف يتوفون اي يموتون منكم ويذرون
اي يتركون ازواجا اي نساء من بعدهم يتربصن اي ينتظرن بالاعتداد
بانفسهن يعني لا يخرجن ولا يتزين اربعة اشهر وعشرا وانما قال عشرا
بالتانيث ولم يقل عشرة مع ان العدة اربعة اشهر وعشرة ايام ذهابا
الي الليالي لان التاريخ بالليلة لكونها اول الشهر والايام تابعة لها
فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء
او الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من الزينة والكحل و
الخضاب ودهن الراس بكل دهن مطيب وغيره بالمعروف اي بالوجه
الذي عرف شرعا في التزين والتزوج بزوج آخر اذا كان كفوا لها فلا تمنعهن
من ذلك قيل المراة اذا اعتدت بعدة الوفات يجب عليها ترك الزينة
والطيب وجوز ابو حنيفه الاكتحال بالسود للضرورة والشافعي ليلا وتمسحه
نهارا للضرورة وكانت عدة الوفات في اول الاسلام سنة فنسخت بهذه
المدة الا الحوامل فان عدتها بوضع الحمل لحديث سبيعة فانها وضعت
~~فانها وضعت~~ بعد موت زوجها بليال فاستاذنت رسول الله صلي الله عليه [وسلم]
فاذن لها ان تنكح والله بما تعملون خبير اي عالم بالطاعة والتخلف بالمعصية
قيل يستوي المدخولة وغير المدخولة والصغيرة والكبيرة في وجوب العدة
من الزينة والمنع من النكاح والخروج وغير ذلك ولا جناح عليكم فيما عرضتم به
اي لا حرج ولا باس عليكم في الكلام الذي تعرضونه للمراة المتوفي عنها زوجها
اي تلوحونه وتشيرونه اليها من خطبة النساء اي من طلب نكاحها
بالتخاطب في العدة بان يقولوا من غير تصريح ارادة النكاح انك لجميلة او
انك لتعجبيني او انك لموافقة لي ونحو ذلك من الكلام الموهوم لارادة نكاحها
حتي تحبس نفسها علي القائل به فهذا هو التعريض والجار والمجرور في محل النصب
علي الحال والعامل عرضتم او اكننتم او فيما اضمرتموه في انفسكم اي في قلوبكم

فلم تذكروه

نهر

فلم تذكروه بالسنتكم لا بالتصريح ولا بالتعريض قوله علم الله انكم ستذكرون
فيه نوع توبيخ اي علم الله انكم ستذكرونهن لميلكم اليهن وعدم صبركم عنهن
فتنطقون برغبتكم فيهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا مفعول به
اي جماعا يعني لا يصف الراغب نفسه بانه كثير الجماع او ظرف علي معني لا تواعدوهن
النكاح في السر لانه مستقبح عند اهل المروة قوله الا ان تقولوا قولا معروفا اي
استثناء من المفعول المطلق اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة
معروفة غير منكرة يعني عدة حسنة مثل انك لجميلة واني راغب فيك فالمراد
منها التعريض وقيل القول المعروف ان يتواثقا علي ان لا تتزوج غيره ولا
تعزموا اي لا تنووا وتقصدوا عقدة النكاح في العدة حتي يبلغ الكتاب
اي ما كتب وفرض من العدة اجله يعني حتي تنقضي عدتها واعلموا ان الله
يعلم ما في انفسكم اي ما في قلوبكم من الوفاء وغيره فاحذروه اي خافوا عقابه
واعلموا ان الله غفور حليم يغفر ولا يعجل بالعقوبة عليكم ونزل في رجل
طلق امراته وكان لم يسم لها مهرا ولم يجامعها لا جناح اي لا باس عليكم ان
طلقتم النساء ما لم تمسوهن وقرئ تماسوهن بالالف اي ما لم تجامعوهن
او تفرضوا لهن فريضة اي مهرا بمعني مفروضة وانما نفي الجناح لان الطلاق
مكروه في الشرع لقول النبي عم ابغض الحلال الي الله الطلاق يعني لا حرج عليكم
ان تطلقوا النساء قبل المسيس والدخول ولا اي تتزوجوهن ولم تسموا لهن
مهرا فطلقوهن ومتعوهن اي اعطوهن المتعة بما ينتفعن بهن وهي درع
وملحفة وخمار علي حسب الحال علي الموسع اي ذي السعة واليسر منكم قدره
بفتح الدال وسكونها اي بقدر وسعه وعلي المقتر اي علي الضيق الحال يعني
المعسر قدره اي بقدر عسره وضيقه متاعا مصدر مؤكد لفعله اي متعوهن
متاعا بالمعروف المقتر حقا اي واجبا علي المحسنين اي حق ذلك حقا علي الذين
يحسنون الي المطلقات بالتمتيع وصفهم بالاحسان علي اعتبار ما يؤل اليه
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي لا تجامعوهن وقبل الخلوة بهن
وقد فرضتم لهن فريضة اي سميتم لهن مهرا فنصف ما فرضتم اي فعلي الزوج
واجب نصف ما فرضت لزوجته من المهر وان مات احدهما قبل الدخول
فيجب عليه كله الا ان يعفون اي الا ان تترك الزوجات المطلقات علي ازواجهن
فلا ياخذن منهم شيئا فالواو فيه لام الفعل لا للجمع والنون ضمير النساء
لا للاعراب والا لكانت محذوفة بان تظهر الفرق بينه وبين قولك الرجال

يعفون فان الواو فيه ضميرهم والنون علم للرفع وعطف عليه قوله
أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ اي او يترك الولي الذي يلي عقدة نكاحهن وهو
قول الشافعي في القديم وقيل المراد منه الزوج وعفوه ان يصرف كل الصداق
اليها وهو قول ابي حنيفة والشافعي آخرا وسمي الزيادة على النصف عفوا بطريق
المشاكلة والاول اظهر لان العفو يطابقه وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى مبتدأ
وخبر وتعليل اي ترك بعضكم بعضا حقه اقرب لاجل التقوى اذ الاخذ كان
عوض من غير معوض او ترك المروة وعند ذلك ترك للتقوى وفي الآية ندب الى
الانسانية بينهم لانه تعالى امر كل واحد منهما بالعفو ثم قال تاكيدا لها وَلَا تَنْسَوُا
الْفَضْلَ اي التفضل والاحسان بَيْنَكُمْ باعطاء كل المهر لها وترك المرأة نصيبها منه
إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اي عالم باعمالكم فيجازيكم بها قيل تزوج جبير بن مطعم
امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو قوله
حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ حث للمؤمنين على محافظة الصلوة واستدامتها
بقطع التعلق بحظوظ انفسهم من النكاح وغيره لانه ينوب القربة بالله
اي داوموا على المكتوبات بمواقيتها وحدودها اذ لا فريضة بعد التوحيد
اعظم من الصلوة واقامتها بما هو مشروع فيها من الافعال والاقوال وَالصَّلَوةِ
الْوُسْطَى اي المتوسطة بين الصلوات او الفضلى يقال للاوسط افضل
وانما افردت بالذكر لانفرادها بالفضل قيل هي صلوة الفجر لانها بين صلوتي الليل
وصلوتي النهار وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وقيل صلوة العصر
لحديث ورد فيها وهو قوله عم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى
صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا ولانها بعد صلوتي النهار وقيل صلوتي
الليل وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ اي مطيعين خاضعين في صلوتكم نزل حين كانوا
يتكلمون في الصلوة فنهوا عنه فَإِنْ خِفْتُمْ اي ان كان بكم خوف من عدو
وغيره فَرِجَالًا اي فصلوا راجلين نصب على الحال أَوْ رُكْبَانًا اي راكبين على
دوابكم قال الشافعي يصلي ماشيا وراكبا ومقاتلا حيث كان سواء مستقبل
القبلة او غير مستقبلها يومي بالركوع والسجود وسجوده يكون اخفض من
الركوع في الايماء وقال ابو حنيفة لا يصلي ماشيا ولا مقاتلا اذا لم يمكن
الوقوف وعند الكل لا ينتقص عدد الركعات وعن ابن عباس صلوة الخوف
ركعة فَإِذَا أَمِنْتُمْ اي اذا زال خوفكم من العدو وغيره فَاذْكُرُوا اللَّهَ بالصلوة
اي صلوا لله الصلوة الخمس او اشكروه على الامن كَمَا عَلَّمَكُمْ اي ذكرا مثل تعليمه

ايّاكم

ايّاكم واحسانه اليكم كيف يصلون الصلوة في حال الامن وفي حال الخوف مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ
اي الذي لم تكونوا عالمين به من الشرايع ثم قال وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مبتدأ اي يموتون
مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ اي ويتركون أَزْوَاجًا اي نساء من بعدهم وَصِيَّةً بالنصب
مصدر فعله محذوف اي يوصون وصية والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ
وقرئ بالرفع اي فعليهم وصية والجملة خبر الذين او حكم الذين يتوفون وصية
لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا نصب بالوصية او بفعلها المقدر اي الحكمان يوصول
لهن ما يتمتعن به إِلَى الْحَوْلِ من النفقة والسكنى والى الحول اما صفة متاعا
او متعلق بفعله المقدر اذا كان مصدرا اي متعوهن متاعا ممتدا الى
قوله غَيْرَ إِخْرَاجٍ صفة متاعا او حال من ازواجهم اي غير مخرجات من البيت
الذي مات فيه الزوج قيل معناه حق على من يموت ان يوصي ورثته
بان ينفقوا على زوجته من تركته ويسكنوها منزله سنة وكان ذلك
واجبا في اول الاسلام ثم نسخت النفقة بالميراث الربع والثمن والحول باربعة
اشهر وعشر التي تقدم ذكرها تلاوة وهي متاخرة تنزيلا واختلف في السكنى
فعند ابي حنيفة لا سكنى لها فَإِنْ خَرَجْنَ من مساكنهن بعد الحول فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ ايها الاولياء فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ من التزيين والتعرض للخطاب
مِنْ مَعْرُوفٍ اي بما عرف شرعا من التزين لا بما ينكره الشرع قبل الخروج يحتمل
ان يكون بعد مضي الحول وان يكون في الحول اذا خرجت بالعذر في امر لا بد
لها منه وَاللَّهُ عَزِيزٌ لمن ظلم حَكِيمٌ في امره قوله وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ نزل
فيمن سمع قوله تعالى حقا على المحسنين وقال ان احسنت فعلت وان لم
ارد لم افعل فبين تعالى ان يكون لكل مطلقة متاع على الزوج اي متعة
كما ذكرت في الآية المتقدمة بِالْمَعْرُوفِ اي بما عرف حقه على حسب حال الزوج
واكد الوجوب بقوله حَقًّا اي واجبا عَلَى الْمُتَّقِينَ من عقابه تعالى قيل كانت
المتعة فيما واجبة في مطلقة واحدة وهي المطلقة قبل الدخول ولم يسم
لها مهر وفي الباقيات التي لم يسم لها مهر ودخل بها الزوج والتي يسمي لها مهر ولم
يدخل بها والتي سمي لها مهر ودخل بها الزوج كانت مستحبة لزوال ضعف القلوب
ثم اوجبها الله تعالى في هذه الآية لجميع المطلقات وقيل المراد من المتاع ههنا
نفقة العدة وهي واجبة عند ابي حنيفة كَذَلِكَ اي مثل ذلك البيان يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ من الاحكام والشرايع لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ اي تفهمونها وتعلمون
بها قوله أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا بعث على امتثال امر الله تعالى من الجهاد في

ابثت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن [illegible] وافاد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولم يجز ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير القصة فاحفظ

سبيل الله وغيره لمن سمع هذه القصة وتعجيب من شان اهلها
ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله وقضائه وهو استفهام على
سبيل التقرير اي الم تعلم يعني قد انتهى علمك الى خبر الذين خرجوا من ديارهم
اي بلادهم داوردان قبل واسط وهم الوف اي جماعات كثيرة قيل
كانوا ثمانية الاف وقيل سبعين الاف حذر الموت اي خوف الطاعون
والوباء هاربين فنزلوا واديا واستقروا فيه فقال لهم الله على لسان
ملك موتوا ومعنى هذا القول فاماتهم الله وانما جيء بهذه العبارة لتدل على
انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامره ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة
فماتوا جميعا وبقوا فيه موتى ثمانية ايام وقيل مر بهم نبي اسمه حزقيل عليه السلام
بعد زمان طويل وقد تفرقت اوصالهم وعريت عظامهم فقال الحمد لله
القادر على ان يحيي هذه النفوس البالية ليعبدوه فدعا لهم ثم احياهم
الله تعالى ليعلموا ان الحذر لا يغني من القدر وهذا تبكيت لمن يفر من القضا
المحتوم ان الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون او لذو
من على اوليك القوم حين احياهم ليعتبروا ويفوزوا ولو شاء الله لتركهم
موتى الى يوم البعث ولكن اكثر الناس لا يشكرون رب هذا الفضل والنعمة
ثم خاطب تشجيعا للذين احيوا وقيل لهذه الامة بالعطف على مقدر اي
لا تحذروا الموت وقاتلوا في سبيل الله اي في طاعته اعداءه الكفار
واعلموا ان الله سميع لمقالتكم بالتخلف عن الامتثال عليم بما يضمرونه
من الاغراض في الجهاد يعني من غرض الدنيا وغرض الاخرة قوله من ذا الذي يقرض
الله استفهام للتحريض على التصدق نزل في شان ابي الدحداح حيث
قال يا رسول الله ان لي حديقتين لو تصدقت احدهما اكان لي مثلها
في الجنة قال نعم اي من يعطي عباده بالتصدق قرضا حسنا اي عطاء جميلا
بطيبة نفس يطلب منه الجزاء فيضاعفه بالالف مخففا وبغيرها مشددا
وضم الفاء للعطف على يقرض وبالالف وبغيرها ونصب الفاء لكونه في جواب
الشرط اي فيزيده له اضعافا كثيرة لا يعلم عددها لكثرتها الا الله واصل
التضعيف ان يزاد على الشيء مثله او امثاله ثم اخبر ان التصدق لا يمكنهم
الا بتوفيق الله تعالى بقوله والله يقبض اي يمسك الرزق عن خلقه ويبسط
بالسين والصاد اي يوسع الرزق على خلقه ثم حثهم على ترك الدنيا وسهلها
عليهم فقال واليه اي الى الله ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم فلا تبخلوا

٧ الم ينته علمك الى خبر الذين خرجوا

هم

يحيي بيانه

كهم

٩ بالصدقة

٧ الثواب

٢ لا بكراهة نفس

بما وسع عليكم ثم اخبر عن حال بني اسرائيل المؤمنين حيث كثرت فيهم المعاصي
والخطايا فرج اوهم واخرج بعضهم من ديارهم بظهور عدو عظيم عليهم وهم
قوم جالوت وكانوا كفارا بني اسرائيل قهروا مؤمنيهم بالقتل والسبي والاخراج
من ديارهم بحكم جالوت بقوله الم تر الى الملاء اي الاشراف والرؤساء من
بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي وكان ملوكهم مطيعين لانبيائهم
فقالوا النبي لهم وهو يوشع بن نون او اشموئيل ابعث اي ارسل يعني اختر
لنا ملكا اي سلطانا يتقدمنا ويحكم علينا في تدبير الحرب ونطيع لامره
نقاتل في سبيل الله بالنون والجزم في جواب الامر وبالتاء والجزم وكذلك
بالرفع صفة لملكا قال هل عسيتم بفتح السين وكسرها اي هل قاربتم ان كتب
اي فرض عليكم القتال وهو شرط معترض لانه خبر عسى الا تقاتلوا يعني
اتوقع جبنكم عن القتال فالاستفهام لتقرير ان التوقع كاين قالوا وما لنا
الا نقاتل اي اي داع لنا الى ترك القتال من الاعراض في سبيل الله وقد اخرجنا
من ديارنا وابنائنا قيل ان قوم جالوت كانوا ساكنين في ساحل بحر الروم
بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوك بني اسرائيل اربعمائة واربعين
فلما كتب عليهم القتال في سبيل الله تولوا اي اعرضوا الا قليلا منهم
وهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين انفسهم
بالقعود على القتال وترك الجهاد قاله وعيدا لهم عليه وقال لهم نبيهم
ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا حال من طالوت وهو لا ينصرف
للعجمة والتعريف فلما عرفهم نبيهم ان طالوت ملكهم قالوا منكرين
انى يكون له الملك اي من اين يستحق التملك علينا ونحن احق بالملك منه
اي وفينا من هو احق بالملك وانه فقير والواو في ونحن للحال وعطف
عليه قوله ولم يؤت اي لم يعط سعة من المال اي كثرته ولا بد للملك
من مال يعتضد به قال اي نبيهم ردا عليهم ان الله اصطفاه اختاره عليكم
وزاده بسطة بالسين والصاد اي سعة في العلم والجسم قيل انه كان اعلم
بني اسرائيل بالديانات وامور الحرب في وقته وكان اطول من كل انسان
براسه ومنكبه وانما ذكر هذين الامرين فيه لان الانسان يكون اعظم
في النفوس بالعلم واهيب في القلوب بالجسم والله يؤتي ملكه من يشاء
لانه مختص به لا منازع له فيه فيعطيه لمن يستصلحه للملك والله واسع
اي كثير الفضل والعطاء عليم بما يصنع من الاصطفاء والايتاء ثم طلبوا علامة

من بيتهم على كونه ملكاً عليهم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت
وهو فعلوت من التوب وهو الرجوع وهو الوعاء الذي يوضع فيه الشيء ويرجع
اليه للاخراج دايما وليس فاعولا لانه وزن غير معروف بينهم قيل كان التابوت
صندوق التورية وكان موسى ع م اذا قاتل قدمه وكان يسكن نفوس بني
اسرائيل ولا يفرقون فيستنصرون به وهو معنى قوله فيه سكينة من ربكم
اي طمانية لقلوبكم من الله وبقية هي لوحان من التورية وقطع من الالواح
التي تكسرت وعصا موسى ونعلاه وعمامته وعمامة هرون وقفيز من المن
مما ترك آل موسى وآل هرون اي الابنياء او نفس موسى وهرون وهو في
محل الرفع صفة لبقية قيل قد خباه يوشع في التيه بعد موسى وقيل لما مرج امر
بني اسرائيل وغيروا دينهم غضبهم الكفار واخذوه منه قسرا وكان في ارض
جالوت ولما اراد الله ان يملك طالوت اصاب جالوت وقومه ببلاء الباسور
والهلاك حتى هلكت خمس مداين فقالوا هذا سبب التابوت فيئا فوضعوه
على العجلة وربطوا العجلة على الثورين ثم وجهوهما نحو بنت بني اسرائيل فضرب
الملائكة جنوبهما فساقوهما الى بني اسرائيل فاصبحوا فاذا التابوت بين ظهرا
نيهم فذلك قوله تحمله الملائكة وقيل حملته الملائكة نازلين من السماء ووضعته
عند طالوت فاقروا بملكه ان في ذلك اي في رد التابوت لآية لكم اي لعلامة
بملك طالوت ان كنتم مؤمنين فلما فصل اي خرج من بيت المقدس طالوت
بالجنود وكان حرا شديدا فطلبوا الماء قال طالوت بوحي الله اليه
لانه جعله نبيا وقيل اخبره نبيهم وهو اخبر قومه ان الله مبتليكم اي
مختبركم بنهر وذلك ليظهر عند طالوت من كان مخلصا في نيته من غيره
ليميزهم من العسكر لان من لا يريد القتال اذا خالط عسكرا يدخل الضعف
في العسكر فينهزمون لشومه فقال فمن شرب منه اي كرع فيه فليس مني
اي من اهل ديني وليس من اتباعي على عدوي ومن لم يطعمه اي لم يذقه فانه
مني اي من اهل ديني الا من اغترف غرفة بيده بالضم اسم ملأ الكف وبالفتح
مصدر للمرة ومحل الا من نصب على الاستثناء من قوله فمن شرب المعنى ان
الغرفة مباحة لكم وكانت الغرفة يكتفي للرجل ودابه فشربوا منه اي من ماء النهر
الا قليلا منهم اي لم يكرعوا فيه فام طالوت من شرب منه ان يرجعوا وانكانوا (داشت)
المخلصين قيل قد ظهر من الشرب في شفة من شرب علامة عرفها ذرده فلما جاوزه
اي النهر هو اي طالوت والذين آمنوا معه اي المؤمنون ودنوا الى عسكر جالوت

وداوه

وراءه قالوا لا طاقة اي لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده لما راوا من كثرتهم
قيل كان معه مائة الف كلهم شاكون في السلاح قال الذين يظنون اي يوقنون
انهم ملاقوا الله بالبعث بعد الموت كم من فئة قليلة اي جند قليل غلبت
فئة كثيرة باذن الله اي بارادته ونصره اذا اخلصت نيتهم في طاعة الله
والله مع الصابرين بالنصرة على عدوهم ولما برزوا اي خرجوا واصطفوا
في فضاء من الارض لجالوت وجنوده دعوا الله بالاخلاص قالوا ربنا افرغ
اي اصبب علينا صبرا على القتال وثبت اقدامنا عنده وانصرنا على
القوم الكافرين وكان داود ع م راعيا الغنم ابيه وكان له سبعة اخوة
مع طالوت للقتال فارسله ابوه لينظر اليهم ويأتي به خبرهم لبطوئهم (در نكريدند)
فمر في الطريق بحجر فقال له خذني فاني حجر ابراهيم الذي قتل بي عدوه فاخذه
وجعله في مخلاته ثم مر باخر فقال خذني فاني حجر موسى الذي قتل بي عدوه
ثم مر بثالث فقال خذني فاني اقتل جالوت فاخذه فاتاهم وهم قد برزوا للجا (لوت)
وقال جالوت من يبارزني اليوم فلم يخرج اليه احد فقال داود لاخوته
اما فيكم احد يخرج الى هذا الاقلف فقالوا له اسكت فذهب داود الى
ناحية فيها طالوت فقال داود له ما تصنع بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت
انكحه ابنتي واجعل له نصف ملكي فقال انا اخرج اليه فاعطاه طالوت
درعه وسيفه فردهما اليه وقال اني لم اتعود القتال في الدرع فقال له
طالوت هل جربت نفسك قال نعم فامره بان يخرج اليه فاخذ قذافته و
خرج فلما رآه جالوت قال خرجت لتقتلني بالقذاعة كما يقتل الكلب قال له
داود هل انت الا مثل الكلب وكان على راسه بيضة ثلثمائة رطل فاخذ
حجرا من الاحجار الثلاثة فوضعه في قذافته فرماه فوقع في صدره فنفذ
من صدره وقتل خلفه خلقا كثيرا وقيل رمى واحدا بعد واحد فهزموهم
باذن الله وقتل داود جالوت فزوجه طالوت ابنته واراد ان يعطي
له نصف ملكه ومنعه وزراؤه وقالوا هو يصير منازعا لك فيفسد
ملكك فامتنع من ذلك وحسده فاراد قتله ثم خرج طالوت الى بعض المغازي (فقتل)
فيه طالوت تايبا عن حسده ثم خلف داود في الملك كله فقال تعالى وآتاه
الله الملك اي اعطاه ملك اثني عشر سبطا والحكمة اي النبوة وانزل عليه الزبور
اربعمائة وعشرين سورة وعلمه مما يشاء من صنعة الدرع ومنطق الطير
وتسبيح الجبال وكلام النمل ولولا دفع الله بغير الالف وبالالف واصل الدفع

الصرف اي ولولا ان يصرف الله الناس بعضهم اي المشركين والمفسدين ببعض
اي بالمؤمنين لفسدت الارض اي لهلك اهلها بقتل المسلمين وظهور الشرك والمعاصي
وقيل لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار لهلكت الارض بما فيها بسخط الله
روي عن الحسن لولا الصالحون لهلك الطالحون وقال النبي عم ان الله ليدفع
بالمسلم الصالح عن مأية اهل بيت من جيرانه ولكن الله ذو فضل اي ذو من
على العالمين على اهل الارض بالدفع عنهم تلك اي الاخبار التي ذكرت من خبر الا
لوف اماتة واحياء ومن تمليك الله طالوت واظهاره باية التابوت الذي اتي به
من الغيب ومغلوبته الجابرة على يد صبي وهو داود عم آيات الله نتلوها
بجبرئيل عليك بالحق اي ملابسا بالصدق لا يشك فيه اهل الكتاب لانه مكتوب
في كتبهم وانك لمن المرسلين حيث يخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب او
سماع خبر وهو من المعجزات الدالة على توحيد الله ورسالتك تلك الرسل اي
جماعة الانبياء الذين ذكروا في هذه السورة او الذين ثبت علمهم عند الرسول عم
فضلنا بلطفنا لا بعملهم الخير بعضهم على بعض في الدنيا منهم من كلم الله كموسى عم
من غير سفير فهو كليمه بمعنى مكالمه ورفع بعضهم اي محمدا عم ولم يذكر باسمه تعظيما له
درجات لانه ليس بشيء من الايات التي اعطاها الله تعالى الانبياء الا وقد اعطى محمدا عم
اكثر واكبرها القرآن الذي اعجازه على مرور الازمان فهو محرز قصبات الفضل على
سائر الانبياء اللهم ارزقنا شفاعته يوم القيمة وآتينا عيسى بن مريم البينات
اي العجايب والدلائل الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وانما
خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر في باب التفضيل لانهما قد اوتيا من عظام
الايات والمعجزات وأيدناه بروح القدس اي قوينا عيسى بجبرئيل حين ارادوا
قتله والقدس هو الله اضيف اليه تشريفا وقيل معناه احييناه بحيوة الله
لا من ماء المني ولو شاء الله مشية قسر ما اقتتل الذين من بعدهم اي من بعد
الرسل من الامم وابدل منه قوله من بعد ما جاءتهم البينات اي بعد مجيئهم بالبينات
التي يهتدى بها ولكن اختلفوا في دينهم بعد ذهاب الرسل فمنهم من آمن
اي ثبت على الايمان ومنهم من كفر اي ارتد ولم يثبت عليه ثم قال ولو شاء الله
ما اقتتلوا بالتكرير تاكيدا اي لجمعهم على الهدى ولكن الله يفعل ما يريد من عصمة
البعض وخذلان البعض لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ثم اشار اليهم بان الدنيا
لا تبقى ولا ينفعهم منها الا ما قدموه الى الاخرة ان آمنوا بها فقال يا ايها الذين آمنوا
انفقوا اي تصدقوا مما رزقناكم شيئا قيل هو الزكوة وقيل هو التطوع من قبل

ان

ان يأتي يوم اي يوم الحساب والجزاء لا بيع فيه اي لا فداء ثمة ولا خلة اي صداقة
ولا شفاعة بغير اذن الله تعالى وقرئ بفتح اسم لا في الكل بلا تنوين على البناء وبالرفع
على جعل لا بمعنى ليس والكافرون هم الظالمون اي من يكفر بيوم البعث يظلم نفسه
بعذاب النار قوله الله لا اله اي لا معبود للخلق الا هو اي الا الله الحي اي الموصوف
بالحيوة الازلية الابدية القيوم اي الدائم القيام بتدبير الخلق في انشائهم ورزقهم
نزل حين قال المشركون اصنامنا شركاء الله وهم شفعاؤنا عنده فوحد الله
نفسه بالنفي والاثبات ليكون ابلغ في ثبوت التوحيد ونفي الشرك قوله لا تأخذه
سنة ولا نوم تاكيد للقيوم اي ليس بغافل عن امور الخلق لان من جاز عليه
التغير بالسنة والنوم استحال ان يكون قيوما قيل السنة ما يتقدم النوم من
النعاس والنوم غشية ثقيلة تقع في القلب وقيل النعاس في العين والنوم
في القلب ونفي الادنى اولا لانه مبدأ التغير لا يلزم منه نفي الاعلى انما ذكره
تتميما للكلام او نفيا للتغيرات كلها لانه ربما يتوهم ان الادنى لا تأخذه لضعفه
وان الاعلى يأخذ لقوته فجمع بينهما بالنفي ذلك التوهم له ما في السموات وما في
الارض اي لله الملك كله فيهما اي لا شركة لاحد في ملكهما لانه خلقهما بما فيهما ولا
غفلة له عن تدبيرهما لا بالسنة ولا بالنوم اذ لو وجد شيء من ذلك لفسدتا
بما فيهما قوله من ذا الذي يشفع عنده بيان بالاستفهام الانكاري لعظمته
وكبريائه في الدنيا والاخرة وان احدا لا يقدر ان يتكلم بالشفاعة وغيرها عنده
يوم القيمة الا باذنه اي بان يأذن في الكلام والشفاعة لمن يشاء فيمن يشاء
ثم بين انه لا يخفى عنه شيء ما بقوله يعلم ما بين ايديهم اي ما كان قبلهم من امر
الدنيا وتشريك الاصنام له وما خلفهم اي ويعلم ما يكون بعدهم من امر الاخرة
وان لا شفاعة لهم فيها ~~الا بالناسية~~ ولا يحيطون اي لا يدركون يعني الملائكة
والانبياء وغيرهم بشيء من علمه اي من جميع معلوماته الا بما شاء اي الا بما اخبر
الله لهم كاخبار الانبياء والرسل وهذا رد لعابدي الملائكة حيث يرجون
شفاعتهم لعبادتهم اياهم يعني انهم لا يعلمون شيئا مما تقدمهم وتأخرهم
ولا يملكون الشفاعة ولا غيرها الا بما اخبرهم ربهم ثم بين وسعة ملكه بقوله
وسع كرسيه السموات والارض اي وسع ملكه الذي لا شريك له فيه تسمية
بمكانه الذي هو كرسي الملك وقيل وسع علمه تسمية بالمكان الذي هو كرسي العالم
الحاكم وقيل هو كرسي الذي بين يدي العرش ودونه السموات والارض وهو بالنسبة
الى العرش كاصغر شيء وقيل وسع علمه تسمية الكرسي والعرش واحد ولا يؤده

اي ولا

اي ولا يثقله حفظهما اي حفظ السموات والارض وهو العلي الشان في الالوهية
العظيم بالملك والقدرة يعني لا ند له ولا ضد روي عن النبي ع م سيد الكلام
القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وروي ايضا من
قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت
ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه
الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله قوله لا اكراه في الدين
اخبار من الله بان امر الايمان بعد وضوح الحجة مبني على الاختيار دون القسر
والاجبار كقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي الله لم يجبر الايمان
على الاكراه ولكنه اجرا على الاختيار وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في
الدين فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم نسخ بقوله جاهد الكفار و
المنافقين واغلظ عليهم وقيل نزل في انصاري مؤمن بالنبي ع م من اهل الكتاب
تنصر ابنان له قبل ان يبعث النبي ع م ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما و
قال لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصما الى النبي ع م فقال الانصاري يا رسول
الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فقال الانصاري لا تكرهوا احدا في الدين بعد
فتح مكة واسلام العرب فلا نهما فالاية مخصوصة باهل الكتاب لانهم خصوا انفسهم
باداء الجزية فلا يكون منسوخة ثم علل عدم الاكراه في الدين بقوله قد تبين
الرشد من الغي اي تبين الايمان من الكفر بالدلايل الواضحة فمن اسلم والا وضعت
الجزية عليه ولا يكره على الاسلام ان كان من اهل الكتاب فمن يكفر بالطاغوت
اي الصنم والشيطان او كعب بن الاشرف ويؤمن بالله فقد استمسك
اي اعتصم بالعروة الوثقى اي بالحلقة المحكمة او بالحبل الوثيق الموصل الى الله
لا انفصام لها اي لا انقطاع لتلك العروة وهي كلمة لا اله الا الله والله سميع
عليم لمقالتهم واعمالهم فيجازيهم بها الله ولي الذين آمنوا اي حافظ المؤمنين
وناصرهم يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الشبهات في الدين بتوفيق حلها
الى نور اليقين والثبات على الاستقامة او اخرجهم من الكفر الى الايمان على
ارادة الماضي من المستقبل والذين كفروا اي صمموا على الكفر اولياؤهم الطاغوت
كالشيطان وكعب بن الاشرف يخرجونهم من النور اي من نور البينات التي تظهر
لهم الايمان بمحمد ع م لانهم كانوا يعرفونه في كتبهم ويستفتحون به الى الظلمات
اي الى الشك والشبهة والانكار لانهم منعوهم عن اتباعه فيكون المراد من الاخراج
عن الايمان المنع من الدخول فيه اولئك اصحاب النار اي اهلها وملازموها

هم

هم فيها خالدون اي لا يخرجون عنها قوله الم تر الى الذي حاج اي الم ينته
علمك الى قصة الملك الذي جادل وخاصم ابراهيم في ربه اي في توحيده تعجيب
للنبي ع م وتسلية له بمجادلة ابراهيم نمرود الجبار الذي ادعى الربوبية في زمانه
ان آتاه الله الملك اي لان اعطاه الله ملك الارض كلها ولم يشكر له على ما اعطا
بل كفر في مقابلة الشكر قيل اول من ملك الدنيا كلها فتنة له ولعباده اذ قال
ابراهيم ظرف لحاج وذلك حين دخل عليه اتباعه وجنوده في عيد لهم فسجدوا
له ثم دخل عليه ابراهيم فلم يسجد فقال له نمرود ما لك لا تسجد لي قال لا اسجد
الا لربي فقال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فثمة نمرود
قال انا احيي واميت باثبات الالف من انا وبحذفها اذا كان بعدها همزة مضمومة
او مفتوحة في جميع القرآن لا مكسورة كما في قوله ان انا الا نذير فقال له كيف تحيي
وتميت انكارا عليه فجاء برجلين فقتل احدهما وخلى سبيل الآخر فقال انك لم
تحيي الميت قيل لابراهيم كان ان يقول احي من امت ولنمرود ان يقول فليحيي ربك من
امت ولكن لم يقله معجزة لابراهيم واما ابراهيم ع م فهو لما سمع جواب الاحمق لم
يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر عليه ليبهته اول شيء فيه دليل على جواز
الانتقال للمجادل من حجة واضحة قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق
فأت بها من المغرب فبهت اي تحير وسكت الذي كفر يعني انقطع حجته والله
لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشد المعاندين الى الحجة والبيان او كالذي او
فيه للتخيير والكاف بمعنى المثل منصوب المحل بمحذوف دل عليه الم تر اي اورايت
مثل الذي او الكاف زائدة تقديره الم تر الى الذي حاج او الى الذي مر على قرية
وهو كافر بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك واحد وقيل المار
هو عزير النبي ع م مر على قرية هي بيت المقدس وقد خربها بخت نصر البابلي قيل لما
كثرت المعاصي في بني اسرائيل ووعظهم نبيهم ارميا فلم يتعظوا فخرج من
بينهم فجاء بخت نصر وغزا بني اسرائيل فقتل منهم سبعين الفا واسر سبعين
الفا ثم عزير بعد مدة على هذه القرية وكان مؤمن بني اسرائيل فربط حماره تحت ظل شجرة
ثم طاف بالقرية وهي خاوية اي ساقطة على عروشها اي سقوفها والعرش
يستعمل لكل بناء مرتفع ثم استعمل في كل سقف كالسرير يعني سقطت سقوفها
ثم سقطت عليها حيطانها فرأى فيها فواكه كثيرة فجلس يأكل من تلك الفاكهة ثم
عصر من العنب فشربه وجعل فضله في الزق وجمع من التين وجعله في سلة
له ثم نظر الى القرية وموتاها فتعجب من كثرة حملها وفناء اهلها قال انى يحيي

هذه الله بعد موتها ولم يشك في البعث لكنه اراد ان يراه الله كيف
يحيي الموتي ليزيد علمه بقدرته فلما تكلم عزير بذلك نام في ذلك الموضع فاماته
اي الله ميتا مائة عام فليس ظرفا للاماتة بل هو ظرف للبثه لان الاماتة
تقع ايسر زمان وامات حماره ايضا ثم بعثه اي احياه الله في آخر النهار
وقد اماته اوله فقام حيا ثم سمع صوتا قال كم لبثت يا عزير في نومك قال
لبثت يوما لما راي من الشمس وظن انها من اليوم الذي نام فيه من اول
النهار او بعض يوم لانها لم تغرب بعد قال لعزير بل لبثت مائة عام يعني
كنت ميتا هذه المدة ثم امره بالنظر ليعتبر فقال فانظر الي طعامك وشرابك
الي العصير الذي في الزق لم يتسنه اي لم يتغير من مر السنين يقال سانهت رجلا
اذا عاملته سنة فالهاء اصلية او الهاء بدل من الواو المحذوفة اصله سنو
قرئ باثبات الهاء وبحذفها معا وبحذف الهاء في الوصل وبحذفها في الوصل
والقطع وبحذفها في الوصل فنظر اي كل واحد منهما كما تركه بعينه ثم ناداه
ثانيا وقد مات حماره وبقي عظاما فقال وانظر الي حمارك فنظر وقد بلي فاحيا
حماره بعد رؤيته بالياً فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا فقال المنادي فعلنا
ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك آية اي عبرة للناس وللدلالة علي البعث لان اولاده
صاروا شيوخا وهو كان شابا ثم قال وانظر الي العظام اي عظام الموتي
او الحمار كيف ننشزها بالزاء المعجمة اي كيف نضم بعضها ببعض للتركيب ونفخ
الروح فيها والنشز التحرك والارتفاع وبالراء من النشور وهو الاحياء ثم
نكسوها اي نلبسها اي العظام لحما كاللباس علي العريان فنفخ الروح فعادت
العظام حية كهيئتها الاولي فلما تبين اي ظهر له اي لعزير احياء الموتي قال
عزير اعلم بقطع الهمزة ورفع الفعل مخبرا عن نفسه وبوصل الهمزة وجزم الفعل
امر النفسه او امرا مقولا من الله له بالعلم اليقين ان الله علي كل شيء قدير
من الاحياء والاماتة وغيرهما واذ قال ابراهيم اي اذكر يا محمد وقت قوله رب
ارني بكسر الراء وسكونها كيف تحيي الموتي لازدياد بصيرة في ايماني وقيل ساله
قوم نمرود كيف يحيي ربك الموتي فاراد ان يري ذلك من الله تعالي حتي يخبرهم
بما راي من المعاينة وقيل راي علي ساحل البحر جيفة ياكل منها دواب البحر
ودواب البر ويتفرق اجزاؤها في بطونها فوقع في قلبه ان يعلم كيف يجمعها
الله تعالي قال ربه اولم تؤمن يا ابراهيم باني احيي الموتي قال ابراهيم بلي اي
قد صدقت انك تحيي الموتي ولكن سالت ليطمئن اي ليسكن قلبي فيصير علمي

بالاستدلال

بالاستدلال علما بالمعاينة وهو عين اليقين وانما استفهمه الله تعالي مع انه
كان عالما بايمانه لانه اراد سواله عنه ان يظهر ايمانه لكل سامع بقوله بلي قال
الله تعالي ان تردد رؤيته ذلك فخذ اربعة من الطير ديكا وطاوسا وغرابا وحمامة
فصرهن بضم الصاد اي قطعهن وبكسر الصاد املهن يعني اضممهن اليك
لتعرف اشكالها لئلا يلتبس عليك بعد عودها اليك ثم اقطع رؤوسهن وقطعهن
بحيث تختلط لحمهن بعضه ببعض ثم جزئهن سبعة اجزاء ثم اذبحهن اي
اجعل علي كل جبل من جبال ارضك وكانت سبعة وقيل كانت اربعة
فجزاها اربعة اجزاء فقال تعالي ضع علي كل جبل منهن اي من تلك الطيور جزءا بضم الزاء
وسكونها ثم ادعهن اي قل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا اي مشيا
سريعا علي ارجلهن وهو مصدر مؤكد او حال يعني ساعيات ففعل كما امره فعاد
كل جزء الي جسده ثم اتين الي رؤوسهن لئلا يتوهم انها غير تلك الطيور فوصلت
برؤوسهن فعادت كما كانت وجعل ابراهيم ينظر ويتعجب حيث ينظم بعضها
الي بعض ويتشكل كل طير علي شكله الاول ثم قال تعالي عند ذلك واعلم ان الله
عزيز اي غالب بالانتقام عمن لم يؤمن حكيم يفعل كل شيء بالحكمة والاتقان
ثم حث المؤمنين بانه عزيز حكيم علي الانفاق والتصدق في سبيله تحقيقا
للايمان في قلوبهم بالثواب وتخليصا لنفوسهم عن العذاب بقوله مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله اي مثل نفقات المنفقين في طاعته
كمثل حبة لزارع زرعها في ارض عامرة انبتت سبع سنابل فرضا وتقديرا
والمنبت هو الله ولكنها سبب الانبات اي اخرجت سبع شعب من
اصلها لجودة الحبة وحذاقة الزراع وعمارة الموضع وضع جمع الكثرة موضع
جمع القلة وهو سنبلات في كل سنبلة مائة حبة فيكون جملتها سبع مائة
حبة فكذلك المتصدق الصالح بالمال الصالح اذا اعطاه من يستحقه باذن
الشرع يعطيه الله بكل صدقة سبع مائة حسنة او اكثر والله يضاعف
بالالف من المضاعفة وبالتشديد من التضعيف اي يزيد الثواب
لمن يشاء من المنفقين لا لكل منفق لتفاوت الاحوال بينهم والله واسع
اي واسع الفضل لتلك الاضعاف عليم بانفاقهم ونياتهم ثم بين لهم طريق
الانفاق في سبيله لنيل ثوابه فقال الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
في طاعة الله اي يتصدقونها في مواضعها ثم لا يتبعون ما انفقوا منها
منا اي لا يمنون عليهم بما تصدقوا بان يقول المتصدق الآن اصطنعتك

كذا خيرا او احسنت اليك كثيرا ولا اذى اى ولا يؤذونهم بان يقول المتصدق
المؤذي اني قد اعطيتك فما شكرت او الى كم تاتيني وتؤذيني او كم
تسأل الا تستحيي لهم اجرهم اي ثوابهم مهيا عند ربهم ولا خوف
عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون على ما خلفوا من امر الدنيا قيل نزلت الاية في
شان عثمان حين اشترى بئر رومة اسم موضع في الحجاز وجعلها سبيلا على
المسلمين ثم قال تعالى تاكيدا لنفي المنة والاذى قول معروف اي عدة حسنة
او رد جميل او دعاء بالخير مبتدا نكرة موصوفة وعطف عليه قوله
ومغفرة اي وتجاوز عن الفقير اذا استطال او عفو عن ذنبه وستر
سره وخبر المبتدا قوله خير من صدقة يتبعها اذى اي من وتعيير على
من يتصدق عليه والله غني عن صدقة منفق مان ومؤذ حليم
حيث لا يعجل بالعقوبة وفيه سخط منه ووعد له ثم بالغ في الوعيد بقوله
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم اي اجورها بالمن والاذى فانه
من فعل ذلك لا اجر له في صدقته وعليه وزر منه على الفقير ووزر ايذائه وقيل
ذهب الاجر منهما ويبقى الوزر في الايذاء دون المن قوله كالذي صفة موصوف
محذوف اي ابطالا مثل ابطال المنفق وقيل هو في محل النصب على الحال اي
لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق ماله رئاء اي لاجل رياء الناس
يعني ليقال انه كريم ولا يريد بانفاقه رضاء الله وثواب الآخرة وهو المنافق
ولا يؤمن اي ولا مماثلين بالذي لا يصدق بالله واليوم الآخر وهو المشرك
فانه اذا تصدق ابطل صدقته شركه كما يبطل صدقة المؤمن المن والاذى
ثم بين مثل كل واحد من المنافق والمشرك المتصدقين بصدقة الرياء والشرك فقال
فمثله كمثل صفوان اي حجر املس عليه تراب فاصابه وابل اي مطر شديد
فتركه صلدا اي نقيا لا تراب عليه يعني مثل المرائي والمشرك في صدقتهما يوم القيمة
كمثل حجر عليه تراب فازاله المطر كذلك فوت ريائه وشركه ثوابه لا يقدرون على
شيء مما كسبوا من العمل الخير يعني لا يجد المراؤن والمشركون بصدقاتهم ثوابا في
الآخرة كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا او لا ينتفعون بما فعلوا رياء وضمير الجمع عائد
الى الذي لانه اريد به الجنس او هو كمن الموصولة والله لا يهدي اي لا يرشد
القوم الكافرين بالآخرة الى الاخلاص والى الاسلام وفيه ايماء الى ان
الرياء من المؤمن كالكفر من الكافر لما روي انهم قالوا يا رسول الله ما الشرك
الاصغر قال هو الرياء ثم بين حال المنفقين بالاخلاص تبكيتا للمنفقين رياء بقوله

تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي لطلب
رضوانه وتثبيتا اي تحقيقا من انفسهم اي للمصدق الحاصل من اصل
نفوسهم بثواب الآخرة وقصدهم بالانفاق وجه الله من قلوبهم وفيه
ايماء الى الايقان والاخلاص ومن في من انفسهم للابتداء اي تثبيتا صادرا
من انفسهم كقوله حسدا من عند انفسهم وقوله كمثل جنة خبر المبتدا
وهو مثل الذين اي مثلهم كمثل ثمرة بستان بربوة بفتح الراء وضمها اي في
مكان مرتفع مستو من الارض لا يعلوه الماء ولا يخلو عن شرب الماء فيكون
نبته حسنا اصابها وابل اي مطر عظيم القطر فآتت اي اعطت
اكلها بسكون الكاف وضمها ونصب اللام اي ثمرتها ضعفين اي
مثلين يعني حملت تلك الجنة في سنة ما يحمل غيرها في سنتين فان لم
يصبها وابل اي مطر شديد فطل اي فالذي يصيبها طل وهو المطر الضعيف
الصغير والطل اذا دام عمل الوابل المعنى ان صدقة المؤمن المخلص تنفعه في
الآخرة جلت او قلت كما ان هذه الجنة يعطي ربوها اكثر المطر او قل
والله بما تعملون بصير من عمل الاخلاص والرياء فيجازيكم به قوله
ايود احدكم تاكيد لمنع الرياء وتحقيق للندامة على فاعله اي ايحب
رجل منكم ان تكون له جنة اي بستان من نخيل جمع نخل واعناب
تجري من تحتها الانهار خصهما بالذكر وان كان فيها غيرهما لقوله
له فيها من كل الثمرات تفضيلا لهما وتغليبا على غيرهما لانهما اكثر
منافع العرب واكثر الشجر عندهم واصابه الكبر اي والحال انه بلغ نهاية
السن وله ذرية ضعفاء اي والحال ان له اولادا صغارا والجملة حال من ضمير
المفعول في اصابه يعني عجزة لا حيلة لهم في معيشتهم ولا له في معيشته
ومعيشة ذريته الا من بستانه فاصابها اعصار اي ريح شديدة
ترتفع الى السماء كالعمود قوله فيه نار صفة اعصار اي في تلك الريح نار
محرقة فاحترقت تلك الجنة فبقي الرجل متحيرا لا يجد ما يعود به عليها ولا قوة
له ان يغرس مثلها ولا خير في ذريته من الاعانة لكونهم ضعفاء عاجزين
عن ان يعينوه فذلك مثل المرائي بعمله لانه بعث له الشيطان فاعمله الطاعات
بالرياء فاحبطها الله كلها ثم ندم ولم ينفعه الندم وان احدكم اذا فارق
الدنيا يكون احوج من كل شيء الى عمله كذلك اي كهذا البيان الذي بين فيما مر من
الجهاد والانفاق في سبيل الله وقصة ابراهيم وعزير وغير ذلك يبين الله

اي الدلالة الواضحة في تحقيق التوحيد وتصديق الدين لعلكم تتفكرون
اي يتدبرون فيها ويعتبرون بها ثم حث المؤمنين بالانفاق من الحلال
الذي يحصل من الكسب بالتجارة والصناعة قال عم ما اكل احدكم طعاما
قط خيرا من ان ياكل من عمل يده وان نبي الله داود لا ياكل الا من عمل يده فقال
يا ايها الذين آمنوا انفقوا اي تصدقوا من طيبات اي من حلالات
ما كسبتم اي ما جمعتم بعمل اليد من الذهب والفضة ومما اي ومن طيبات
ما اخرجنا لكم من الارض من الحبوب والثمار ومن المعادن والكنوز وهذا
امر باخراج الزكوة من الحلال ولا تيمموا الخبيث اي لا تعمدوا بالتصدق و
الاخراج الى ردي المال منه تنفقون في محل النصب على الحال من ضمير تيمموا
اي حال كونكم منفقين بالاختصاص من خبث المال نزل حين حث النبي عم
الناس على التصدق فجعل الناس ياتون بالصدقة ويجمعون في المسجد
فجاء رجل بعذق من تمر عامته حشف ولستم باخذيه اي آخذ الخبيث
بدل الطيب الا ان تغمضوا فيه اي في حال اغماض البصر عنه فتاخذون
دون حقكم مخافة ان يذهب جميعه يعني لو كان لكم على رجل حق فجاء
يؤدي ماله بدل حقكم الطيب لا تاخذونه الا في حال الاغماض والتساهل
مخافة فوت حقكم ولاحتياجكم اليه واعلموا ان الله غني عن ذلك فلا تقبل
الا الطيب حميد في فعاله عند خلقه حيث يعطي الجزيل ويقبل القليل
الشيطان يعدكم الفقر اي يخوفكم بالفقر بقوله لا تنفقوا من مالكم لاحتياجكم
اليه فان تصدقتم افتقرتم ويامركم بالفحشاء اي بالبخل ومنع الزكوة او بالزنا
وقول الزور وغيرهما والله يعدكم بالتصدق واخراج الزكوة مغفرة لذنوبكم
منه اي من الله وفضلا اي خلفا مما تصدقتم في الدنيا وثوابا عليه في
الاخرة والله واسع فضله عليم بما ينفقون فيجازيكم به يؤتي الحكمة اي
يعطي العلم النافع والعمل به للوصول الى رضاء الله تعالى وقيل المعرفة بمكايد
الشيطان ووساوسه والاصابة في القول والعمل من يشاء من عباده ومن
يؤت اي ومن يعط الحكمة اي العلم والعمل فقد اوتي اي اعطي خيرا
كثيرا اي خيرا يتزايد ولا ينقص وهو خير الاخرة بخلاف خير الدنيا فانه ينقص
ويقل ولا يتزايد لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل وما يذكر اي ما يتعظ بمعاني
القرآن الا اولوا الالباب اي اصحاب العقول الكاملة واللب جوهر العقل
والمراد منهم العلماء بالله العمال باحسن الاعمال قيل من اعطي علم القرآن ينبغي

ان لا

ان لا يتواضع لاهل الدنيا لاجل دنياهم لان ما اعطاه خير كثير والدنيا
متاع قليل لقوله عم القرآن غنى لا غنى بعده وما انفقتم اي ما تصدقتم
في سبيل الله او في سبيل الشيطان من نفقة اي من صدقة او نذرتم
من نذر كذلك فان الله يعلمه اي يحصيه ويحفظه فيجازيكم به ووحد
الضمير في يعلمه عائدا الى ما وما للظالمين اي ليس للذين يظلمون بمنع الصدقة
والزكوة او بالانفاق في المعاصي من انصار اي يمنعونهم من عذاب الله
ان تبدوا اي ان تعلنوا الصدقات المفروضة فنعما هي قرئ بفتح النون
وكسر العين على الاصل وبكسر النون واخفاء حركة العين وبكسر النون والعين
للاتباع والتشديد فيه اتفاق اي فنعم الشيء شيئا الصدقة المعلنة
فنعم فعل مدح فاعله مضمر فيه وما نكرة بمعنى شيء مفسر للضمير المبهم ويقصد به
نعل الفاعل وهو الابداء المعلوم بالذكر وهي خبر مبتدا محذوف بتقدير
المضاف عائدا الى الصدقة كانه قيل ما الممدوح فقيل هي اي الصدقة يعني ابداء
الصدقة المفروضة وان تخفوها اي الصدقة وتؤتوها اي تعطوها
الفقراء سرا فهو اي الاخفاء خير لكم من الابداء وافضل من الجهر وكل
اذا صلحت النية قيل اعلان الفريضة افضل من اخفائها بخمسة وعشرين
ضعفا وصدقة السر في التطوع تفضل على علانيتها بسبعين ضعفا قال
صدقة السر تطفئ غضب الرب وهذا محمول على التطوع قوله ونكفر
عنكم بالنون والياء والجزم عطف على محل الجزاء لانه جواب الشرط والرفع
على الاستيناف اي ونحن نكفر اي نمحو عنكم من سيئاتكم اي جميع ذنوبكم
على زيادة من او هي للتبعيض لانه يمحو بعض الذنوب بالتصدق في السر
والعلانية والله بما تعملون خبير من التصدق في حالين فيجازيكم به قوله
ليس عليك هداهم اي التوفيق الى الهداية للكفار نزل حين كان
المسلمون يمتنعون عن التصدق على الكافر حتى يسلم فقال تعالى للنبي عم
عليك يا محمد هداية البيان للدعوة كما في قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط
مستقيم وليس عليك هداية التوفيق للكافرين حتى يسلموا ولكن الله
يهدي اي يرشد هداية التوفيق من يشاء فيسلم يعني لو انفقت لاجل
المشركين لكان ثواب نفقتك لك فيه ايماء الى ان الكفر لا يمنع صدقة التطوع
واختلف العلماء في الواجب قال ابو حنيفة يجوز انفاق صدقة لاهل
الذمة ومنعه غيره وما تنفقوا اي اي شيء تتصدقوا من خير اي من

فلانفسكم اي فثوابه لكم لا لغيركم وما تنفقون اي لا تتصدقون
في طاعة الله الا ابتغاء وجه الله اي لطلب ثوابه وما تنفقوا اي
اي شي تتصدقوا من خير في اهل الذمة وغيرهم يوف اليكم اي يعطي ثوا
لكم وافرا مضاعفا وما هذه شرط ويوف مجزوم جزاؤه وانتم لا تظلمون شيئا
من ثوابكم قوله للفقراء الذين احصروا صلة فعل محذوف اي انفقوا لهم
او خبر مبتدا محذوف اي صدقاتكم للفقراء الذين حبسوا انفسهم في سبيل
الله اي في طاعته من الغزو وتلاوة القرآن والعبادة في المسجد وهم اهل
الصفة كانوا مقدار اربعمائة يسكنون المسجد يقرؤن القرآن ويعبدون
ربهم فيه ليلا ونهارا وتركوا الكسب والتجارة لا يستطيعون ضربا
في الارض اي سيرا وسفرا للكسب والتجارة يحسبهم الجاهل بكسر السين
وفتحها اي يظن الجاهل بحالهم وشانهم اغنياء من التعفف اي لاجل
تعففهم من السؤال وهو ترك الطلب ومنع النفس عن المراد بالتكلف استحيا
تعرفهم بسيماهم اي بعلامتهم من التواضع وصفرة الوجوه ورثاثة الحال
من قيام الليل وصيام النهار والفقر لا يسئلون الناس الحافا اي الزاما
والحاحا وهو مصدر منصوب بانه مفعول له ففيه نفي للسؤال والالحاح
جميعا اي لا يسئلون اصلا او تقديره سؤال الحاف فيكون مفعولا
مطلقا من غير لفظه ويكون معناه انهم ان سالوا بتلطف ولم يلحفوا
قال عم لان ياخذ احدكم حبله فيذهب فياتي بحزمة حطب على ظهره
فيكف بها وجهه خير له من ان يسال الناس اشياءهم اعطوه او منعوه
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم به وفيه تحريض على
التصدق للفقراء ثم زاد التحريض عليه بقوله الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية اي خفية وظاهرا فلهم اجرهم اي ثوابهم
حاضر عند ربهم ولا خوف عليهم مما يستقبل ولا هم يحزنون مما مضى
وفيه حث على التصدق في كل الاوقات على كل الاحوال قيل نزل في شان
ابي بكر رضي الله عنه حيث تصدق عشرة الاف دينار بالليل وعشرة
الاف بالنهار وقيل نزل في شان علي رضي الله عنه حين نزل التحريض بالصدقة
وكان له اربعة دراهم فتصدق درهما بالليل ودرهما بالنهار ودرهما
في السر ودرهما بعلانية الذين ياكلون الربوا اي يعاملون به وخص ذكره
بالاكل لانه اعظم المقاصد منه والربا الزيادة المطلقة في اللغة وفي الشرع

هو الفضل على المعيار الشرعي لا يقومون من قبورهم للبعث الا كما يقوم
اي الا قياما مثل قيام الذي يتخبطه اي يصرعه ويخبله الشيطان
من المس اي الجنون متعلق بقوله لا يقومون للبعث من الجنون الا كقيام
المصروع المخبل ويكون ذلك سيماهم يعرفون به عند اهل الموقف ذلك اي
العذاب النازل بهم بانهم قالوا اي بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا
فاستحلوا الربوا بذلك وكان الرجل اذا حل اجل ماله طلبه فيقول له المطلوب
زدني في الاجل وازيدك في مالك فيفعلان ذلك فاذا قيل لهما هذا ربوا لا يجوز
فعلكما ذلك قالا الزيادة في اول البيع كالزيادة في آخر البيع وقيل قالا الربوا و
البيع سواء في الحل فابطل الله قولهم بقوله تع واحل الله البيع وحرم الربوا
وهذا تصريح بان النص يبطل القياس لانه جعل تحليل الله وتحريمه دليلا
على بطلان قياسهم فمن جاءه موعظة اي بلغه وعظ من ربه وزجر
بالنهي عن الربوا فانتهى اي فسمع النهي وامتنع عنه فله ما سلف اي
له ما مضى من ذنبه فلا يؤاخذ به وجعل ملكا له لان الحجة لم تقم عليه قبل
النهي ولم يعلم بحرمة الربوا وامره الى الله اي بعد ذلك شانه مفوض الى
الله فيما ياتي ويذره لانه عبده ليس له شيء من امر نفسه ومن عاد اي
الى الربوا مستحلا بعد النهي كما استحل قبله فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون كالكفار فمن تاب منهم فلا بد له من ان يرد الفضل ولا يكون له
ما سلف لان حرمة الربوا ظهرت بين المسلمين فلم يبق له عذر اصلا روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه
وعنه عم الربوا بضع وسبعون بابا ادناها كاتيان الرجل امه
يعني كالزنا بامه يمحق الله الربوا اي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل
فيه ولا يقبل منه فعل خير واصل المحق النقص ويربي الصدقات اي
يزيدها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف الثواب بها في الاخرة قال عم
ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب كل كفار اي جاحد بتحريم الربوا
اثيم اي فاجر باكله وفعله وفيه تغليظ لحال الربوا وتهديد لاهله ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات اي الطاعات واقاموا الصلوة اي الصلوات
الخمس بمواقيتها واركانها وادابها وآتوا الزكوة اي اعطوا الزكوة اي
الصدقة المفروضة لهم اجرهم عند ربهم اي ثواب اعمالهم من غير نقص
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه ترغيب لاهل الايمان في الاعمال

الحسنة وترهيب عن الاعمال السيئة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي
اخشوه ولا تعصوه فيما نهاكم عن امر الربوا وغيره وذروا اي اتركوا ما بقي
من الربوا اي من الزيادة الباقية بعد اخذكم ما شرطتم على الناس من الربوا
فلا تطلبوها ان كنتم مؤمنين اي ان صح ايمانكم وتصديقكم بتحريم الربوا
لان امتثال الامر دليل على صحة الايمان او ان كنتم كاملي الايمان او ان بمعنى
اذ ثم هددهم بقوله فان لم تفعلوا اي ان لم تتركوا الزيادة ولم تقروا بتحريم
الربوا فاذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال من اذن بمعنى علم اي فاعلموا
وبفتح الهمزة الممدودة وكسر الذال من الايذان بمعنى الاعلام اي فاعلموا
غيركم اي ليعلم بعضكم بعضا بحرب من الله ورسوله ولم يقل
بحرب الله ورسوله ليكون ابلغ في التحذير لان المعنى بنوع حرب عظيم
من عند الله ورسوله وحرب الله النار وحرب رسوله السيف قيل
يقال يوم القيمة لآكل الربوا اخذ سلاحك للحرب من الله ولما سمع المربون
هذه الآية قالوا لا طاقة لنا بحرب من الله ورسوله ورضوا برؤس اموالهم
ثم بين الله تعالى الحكم بعد التوبة بقوله فان تبتم عن الربوا فلكم رؤس
اموالكم التي اديتم بها لا تظلمون غيركم بطلب الزيادة على راس المال
ولا تظلمون بان ينقص المطلوب عن راس المال قيل الآية نزلت في بني ثقيف
وبني المغيرة فان بني ثقيف اربوا بني المغيرة في الجاهلية فلما ظهر النبي عم
على اهل مكة وضع الربوا كله والزم كله فطلبوا رؤس اموالهم من بني المغيرة
فشكوا العسرة وطلبوا الاجل الى وقت ادراك ثمارهم فقال الله تعالى وان
كان اي ان وقع ذو عسرة اي صاحب اعسار وهو الشدة والصعوبة
فكان تامة قوله فنظرة خبر مبتدا محذوف اي فالحكم انظار وامهال
الى ميسرة بضم السين وفتحها اي الى وقت يسر بادراك ثمارهم وغيرهم
قوله وان تصدقوا بتشديد الصاد وتخفيفها قبل تشديد الدال في محل
الرفع مبتدا اي وتصدقكم باسقاط الدين كله عمن اعسر من الغرماء او بالتا
والانظار خير لكم ان كنتم تعلمون انه خير فيعملوا به جعل من لا يعمل بعلمه
كمن لا يعلم قال عم من انظر معسرا او وضع له انجاه الله من كرب يوم
القيمة واتقوا يوما ترجعون بضم الياء وفتحها مجهولا ومعلوما من رجع
فيه الى الله اي اخشوا يوما تصيرون فيه الى حكم الله وهو يوم القيمة
ثم توفى اي تكمل كل نفس ما كسبت من عمل خير او شر وهم لا يظلمون اي

خير

لا ينقصون

لا ينقصون من ثوابهم ولا يزادون على عقابهم عن ابن عباس رضي الله عنه
انها آخر آية نزلت بها جبرئيل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة
وعاش بعدها احدا وعشرين يوما وانما امر بوضعها هنا تاكيدا للزجر عن الربوا
قوله يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم نزل حين حرم الله الربوا اباحة السلم
المضمون الى اجل معلوم اي يا ايها المؤمنون اذا عامل بعضكم بعضا بدين
معطيا وآخذا الى اجل مسمى اي معلوم كالاوقات والآخر احتراز عن الحصاد
والدياس لعدم التسمية فاكتبوه اي دين المديون بالاجل والاشهاد
وانما امر بكتبة الدين كذلك لانه ابعد من الانكار وآمن من النسيان
قيل هذا كان فرضا ثم نسخ بقوله فان امن بعضكم بعضا الآية وقيل هو
امر ندب ثابت ثم بين كيفية الكتابة فقال وليكتب اي كتاب الدين
بينكم اي بين الخصمين من البايع والمشتري كاتب بالعدل اي بالحق متعلق
بقوله فليكتب يعني بالاحتياط والسوية لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا
ينقص عنه قيل فيه اشارة الى ان يكون الكاتب عالما بالشرط ليجيء مكتوبه
معتدلا بالشرع ولا يأب اي لا يمتنع كاتب من الكتاب ان يكتب كما علمه
اي مثل ما علمه كتابة الوثايق لا تبدل ولا تغير وهو نهي عن الامتناع
من الكتابة المقيدة بالوصف الذي يجيء ذكره ثم قال للكاتب فليكتب
تلك الكتابة المقيدة تاكيدا وبينها بقوله وليملل الذي عليه الحق اي الدين
وعني بالذي المطلوب بالدين وهذا امر بالكتابة المقيدة والاملال والاملاء
لغتان في معنى واحد وهو ان يقول رجل ويكتب آخر اي ليملي على الكاتب ليكتب
من عليه حق الداين لان قوله حجة على نفسه فيكون بالاملاء على الكاتب اقرارا
منه لوجوب الحق عليه ثم خوف المديون المملي بقوله وليتق اي المطلوب
بالدين الله ربه في الاملاء ولا يبخس اي لا ينقص منه اي من الحق الذي
وجب عليه شيئا ولو كان قليلا فان كان الذي عليه الحق اي المطلوب
بالدين سفيها اي جاهلا بالاملاء او ضعيفا عن الاملاء بكونه صبيا
او هرما او اخرس او مجنونا فيعجز عنه او لا يستطيع اي لا يقدر ان يمل اي
يملي هو بنفسه لعي فيه او لعذر لا يمكنه حضور الكاتب فليملل وليه
اي ولي من عليه الحق وهو القيم على امره من وكيل او وصي او غيرهما ممن يترجم
عنه وهو يصدقه وقيل وليه صاحب الدين لانه اعرف بحقه بالعدل اي
بالصدق والسوية واستشهدوا اي اطلبوا على حقكم شهيدين من رجالكم

الله

اي من اهل دينكم يعني من الاحرار البالغين العاقلين المسلمين يشهدان على الدين ولا يجوز شهادة العبد في شيء عند عامة العلماء ولا شهادة الكافر الا عند ابي حنيفة فانه جوز شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا اي الشاهدان رجلين فرجل اي فليكن للشهادة رجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء في ديانته وامانته وشهادة النساء مع الرجال في الاموال جائزة بالاجماع قوله ممن ترضون في محل الرفع صفة رجل وامرأتين ان تضل بفتح أن المصدرية اي لان تنسى وبكسر إن الشرطية اي ان نسيت احديهما اي احدى المرأتين الشاهدتين فتذكر بالرفع والتشديد والتخفيف من التذكر والاذكار جواب الشرط اي فهي تذكر والجملة الشرطية في محل الرفع صفة ثانية لرجل وامرأتين ومعنى الشرطية ان نسيت احديهما الشهادة فهي اي فالشهادة تذكرها احديهما الاخرى فاحديهما فاعل والاخرى مفعول ثان لتذكر فيكون المبتدأ مع العائد محذوفا وقرئ بنصب تذكر عطفا على تضل المنصوب بان والمعنى فلتكن المرأتان شاهدتين لارادة ان تنسى احديهما فتذكر احديهما الاخرى ان نسيت وليس ضلال احديهما مرادا لكن الضلال لما كان سببا للتذكير مسببا عنه وهما من حيث الاتصال كشيء واحد كانت ارادة الضلال ارادة للتذكير والتذكير مراد لا محالة فكأنه قال ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ومثل هذا الكلام كثير في عرف الناس ومن ذلك قولهم اعددت هذا السلاح ان يظهر عدو فادفعه به ثم حث الشهداء على اقامة الشهادة بقوله ولا يأب اي لا يمتنع الشهداء عن اداء الشهادة اذا ما دعوا الى الحاكم ليشهدوا ففيه حرمة الاباء عن الشهادة والتقصير في ادائه اباء والفسق ايضا اباء قوله ولا تسأموا ان تكتبوه فيه تحريض على الكتابة اي لا تملوا من ان يكتبوا الحق صغيرا او كبيرا حالان من ضمير المفعول اي لا تتركوا كتابة الحق حال كون الحق قليلا او كثيرا الى اجله اي الى وقته المعلوم بين الغريمين بالتسمية ذلكم اي كتب الحق الى اجله اقسط اي اعدل عند الله من القسط بالكسر بمعنى العدل واقوم للشهادة اي اعون على اقامة الشهادة لان كتبه مذكر الشهود من القويم بمعنى الثابت المحكم ثبوته وادنى اي اقرب الا ترتابوا اي الى ان لا تشكوا في الشهادة المعنى ان الكتابة والاشهاد بالشهود العدول احفظ لاموالكم الا ان تكون التجارة تجارة

حاضرة

حاضرة بالنصب خبر كان وبالرفع على ان كان تامة يعني الا ان تكون البيع بيعا حاضرا يدا بيد تديرونها بينكم اي تداولها ايديكم ولم تكن المال مؤجلا والجملة خبر بعد خبر لكان فليس عليكم جناح اي بأس الا تكتبوها اي التجارة اذا كانت حاضرة لان فيها امنا لليسر في التداول واشهدوا على التبايع اذا تبايعتم على كل حال نقدا كان او مؤجلا لان ترك احوط وادفع مما عسى يقع من الاختلاف وهذا امر ندب لانه لو ترك الاشهاد جاز البيع ولا يضار يحتمل البناء على الفاعل وعلى المفعول فعلى الاول نهي الكاتب عن ترك الاجابة الى ما يطلب منه وعن التحريف والزيادة والنقصان اي لا يمتنع كاتب عن الكتابة ولا شهيد اي ولا يمتنع الشاهد عن اقامة الشهادة المعلومة وعلى الثاني النهي عن الضرار بالكاتب والشاهد اي لا يوصل احد مضرة للكاتب والشهيد اذا كانا مشغولين بما يهمهما ويوجد غيرهما فلا يضار ان بابطال شغلهما وقد يكون اضرار الكاتب والشهيد بان لا يعطي حقهما من الجعل فيكون النهي عن ذلك وان تفعلوا اي الضرار فانه اي فعلكم اياه فسوق اي معصية بكم واتقوا الله في الضرار وفيما امركم من المكاتبة والاشهاد وفيما نهيكم من الاضرار قوله ويعلمكم الله في محل النصب على الحال من فاعل اتقوا اي والحال انه يعلمكم مصالحكم وطرق فلاحكم والواو صلة اذ التقدير وهو يعلمكم والله بكل شيء عليم اي من اعمالكم ونياتكم وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا بان لا يحسن الكتابة او لا يوجد الصحيفة او الدواة والقلم فرهان جمع رهن وقرئ رهن جمعه ايضا اي فالتوثق رهن مقبوضة اي مسلمة الى المرتهن ولا بد من القبض خلافا لمالك وانما شرط السفر في الارتهان مع ان الارتهان لا يختص به سفر دون حضر لان السفر لما كانت مظنة عدم الكتب والاشهاد امر بالارتهان ليقوم مقامهما تأكيدا وتوثيقا لحفظ المال فان امن بعضكم بعضا اي وثق طالب الحق على المطلوب لانه علمه امينا فلم يطلب منه الرهن فليؤد الذي اؤتمن امانته وقرئ بسكون الهمزة وضمه بمعنى واحد اي فليقض المطلوب الامين ما في ذمته من الدين من غير رهن منه وليتق الله ربه في اداء الدين من غير مطل ثم خاطب الشهود بالتهديد

من كتمان الشهادة بقوله ولا تكتموا الشهادة اذا دعيتم الي الحاكم
لادائها علي وجهها ومن يكتمها فانه آثم اي فاجر قلبه وهو رفع
باثم علي الفاعلية ويجوز كونه مبتداء واثم خبره والجملة خبران اسند
الاثم الي القلب لما عرف ان اسناد الفعل الي القلب ابلغ من اسناده
الي الجارحة التي تعمل به وفيه اشارة الي ان ذلك من معاظم الذنوب
لان القلب اصل في افعال الجوارح ولانه محل النيات فيكون اقوي في
الاثم قيل المراد به مسخ القلب عن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله و
شهادة الزور وكتمان الشهادة والله بما تعملون عليم من اقامة
الشهادة وكتمانها قوله لله ما في السموات وما في الارض اي له الملك
كله فيهما وحكمه نافذ في اهلهما فلا تعبدوا احدا سواه ولا تعصوه
فيما يامركم وينهيكم نزل لتاكيد تهديد عباده من العصيان فان
تبدوا اي ان تظهروا ما في انفسكم اي في قلوبكم او تخفوه من المعصية
ككتمان الشهادة وموالات المشركين وغيرهما من المناهي يحاسبكم
به الله اي يجازيكم قيل لما نزلت هذه الآية شق ذلك علي المسلمين
مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله انا لنحدث انفسنا بالمعصية
ولا نعمل بها فنزل قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فنسخت به قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوز عن امتي ما وسوست به
انفسها ما لم تتكلموا وتعملوا به والمعني انه تعالى يحاسب عبيده بكل ما اضمروا
من السوء واظهروا وقيل انه خبر فلا ينسخ اذ النسخ انما يرد علي الامر والنهي
فالمراد من المضمر في القلب ما عزم الرجل عليه واعتقده فلا يدخل فيه
حديث النفس والوسوسة لان دفع ذلك ليس مما في وسعه فيغفر
لمن يشاء اي بالتوبة علي الذنب الكبير ويعذب من يشاء علي الذنب
الحقير وكل ما يفعله تعالى عدل منه قرئ برفع الراء والباء اي فهو يغفر
ويعذب وبجزمهما عطفا علي جواب الشرط وهو يحاسبكم والله علي
كل شيء قدير من المغفرة والعقوبة قوله آمن الرسول الآية لم ينزل به
جبرئيل عم علي محمد عم عند البعض وانما سمعها من الله تعالى ليلة المعراج
بعد ما جاوز سدرة المنتهي ومنعه الاكثرون لان هذه السورة كلها
مدنية اي صدق النبي عم بما انزل اليه من ربه من آيات القرآن و
المؤمنون عطف علي الرسول ليكون المؤمنون داخلين فيما امر به الرسول

كل

كل آمن اي كل واحد من الرسول والمؤمنين صدق بالله ايمان اثبات
وتوحيد وملائكته ايمان توقير وتعظيم وكتبه قرئ مفردا وجمعا
ايمان تصديق انها من عند الله وتحليل ما احله وتحريم ما حرمه
ورسله ايمان اتباع واطاعة لا نفرق اي يقولون يعني الرسول عم
والمؤمنون لا نميز بين احد من رسله بان نؤمن ببعض ونكفر ببعض
كما قال اليهود والنصارى واحد هنا بمعني الجمع فلذلك اضيف بين اليه
وقالوا سمعنا اي اجبنا واطعنا اي دخلنا في الطاعة قيل لما نزلت
هذه الآية قال جبرئيل للرسول عم ان الله قد اثني عليك وعلي امتك
فسله تعط فقال الرسول عليه السلام غفرانك اي اعطنا مغفرتك
او نسأل غفرانك لذنوبنا يا ربنا واليك المصير اي رجوعنا للجزاء
فقال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي طاقتها وهذا اخبار
عن عدله ورحمته لها ما كسبت اي للنفس ما عملت من الخير
يعني لها ثوابه وعليها ما اكتسبت من الشر يعني عليها وزره و
خص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان تحصيل الخير ليس باشتهاء
النفس بخلاف الشر فانه لا يكون الا بانجذاب النفس في تحصيله
واجتهادها فجعل مكتسبا للنفس ولما كان بنو اسرائيل اذا نسوا
شيئا من الاوامر او اخطأوا بعمل سيء من المناهي عجلت عقوبتهم في الدنيا
فامر الله المؤمنين ان يدعوا ذلك عنهم بالمسئلة منه تعالى فقالوا
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا ان غفلنا او اخطأنا اي تجاوزنا الحد
قيل يجوز الدعاء بذلك وان كان الخطاء والنسيان مرفوعين عن هذه
الامة لقوله عم رفع عن امتي الخطاء والنسيان اعترافا بنعمة الله عليهم
وقيل معني قوله ان نسينا ان تركنا الامر ومعني اخطأنا تعمدنا الخطاء
وقيل المراد بالخطاء والنسيان ما هما مسببان عنه من التفريط
ولا غفال ربنا ولا تحمل علينا اصرا اي ثقلا كما حملته علي الذين
من قبلنا وهو انهم كانوا اذا اذنبوا بالليل وجدوا مكتوبا علي
ابوابهم بالنهار وكانت الصلوة عليهم خمسين صلوة في يوم وليلة
وكان اخراج ربع اموالهم زكوة وكانت الطيبات محرمة عليهم
بظلمهم فخفف عن هذه الامة ربنا ولا تحملنا من العقوبات
النازلة عن قبلنا ما لا طاقة لنا به يعني انها نزلت بهم بسبب

وقتل الانفس للتوبة وقطع موضع النجاسة [illegible]

التفريط في محافظة التكليفات الشاقة التي كلفتوها فنحن نسألك
ان لا تكلفنا بها فتعذبنا بتركها **واعف عنا** اي استر عيوبنا وارحمنا
اي ادخلنا الجنة برحمتك وقيل اعف عنا من المسخ **واغفر لنا** من الخسف
وارحمنا من القذف لان كلها اصاب الامم الماضية **انت مولانا** اي سيدنا
ومتولي امورنا وحافظنا **فانصرنا على القوم الكافرين** لان المولى حقه
ان ينصر عبيده قال ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وقال
من قرأ الايتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه اي من قيام الليل او
من حساب يوم القيمة وقال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة
فسطاط القرآن اي مصره الجامع فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها
حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة يا رسول الله قال السحرة
اي لا يستطيع البطلة ان تسحر قاريها **سورة آل عمران مدنية مائتا آية**

بسم الله الرحمن الرحيم

الم بفتح الميم وصلا للالتقاء الساكنين تخفيفا وهما الميم ولام
التعريف وسكون الميم وقفا والابتداء بما بعدها وذلك مروي عن
عاصم اي انا الله اللطيف المجيد هو **الله لا اله الا هو الحي القيوم** اي
الذي يبقى ابدا ويقوم على تدبير خلقه بالرزق والاجل **نزل عليك الكتاب**
اي القرآن بجبرائيل بالتشديد للتكثير لنزوله نجوما **وانزل التورية**
على موسى **والانجيل** على عيسى **من قبل** اي من قبل هذه الكتاب والتورية
بفتح الراء واما التها فوعلة من ورى الزند اذا ظهرت ناره وسمي بذلك
لظهور الحق به والانجيل افعيل من نجلت الشيء اذا ادميت به وسمي به لرميه
الباطل وابعاده عن عباد الله تؤكد **هدى للناس** نصب على الحال
من الكتابين ولم يثن لانه مصدر في معنى الصفة اي هادين
لجميع الناس من موسى وعيسى ومن تابعهما **وانزل الفرقان** اي جنس
الكتاب الفارق بين الحق والباطل ذكره بالتفصيل والاجمال بعده للتعميم
والتفضيل او المراد به القرآن كرره لتفضيله على جميع الكتب لكونه معجزا
فارقا باقيا الى آخر الدهر **ان الذين كفروا بآيات الله** اي بالقرآن ومعجزات
النبي عم **لهم عذاب شديد** في الدنيا وفي الآخرة نزل في شان المشركين
من العرب **والله عزيز ذو انتقام** اي ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها

احد

احد لمن عصاه **ان الله لا يخفى عليه شيء** من الاشياء **في الارض ولا
في السماء** اي مدرك للاشياء كلها يعني مطلع على كفر من كفر وايمان من
آمن به وعلى جميع اعمالهم فيجازيهم يوم القيمة ثم قال مخبرا عن قدرته
في الوهيته **هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء** ليعتبروا به
فيؤمنوا اي يخلقكم بصور مختلفة من ذكر وانثى وقصير وطويل و
دميم وحسن قيل هذا رد على الذين قالوا عيسى الله او ابن الله لان
من صور في الرحم يمتنع ان يكون الها وولدا لله لكونه مركبا وحالا في المركب
وفي معرض الفناء والزوال **لا اله الا هو العزيز الحكيم** اي الغالب بالنقمة
للكافر والفاعل بالحكمة يصور الخلق كما يشاء بعلمه **هو الذي انزل
عليك الكتاب** اي القرآن **منه** اي من الكتاب **آيات محكمات** اي
متقنات واضحات لا يدخل فيها شيء من الاشتباه **هن ام الكتاب**
اي تلك المحكمات اصل الكتاب الذي تحمل عليه الاحكام وترد عليه
المشتبهات بالتاويل **واخر متشابهات** عطف على آيات ومتشا
بهات صفة اخر اي ومنه آيات اخر يدخل فيها اشتباه واحتمال يحتاج
الى التاويل مثال المحكمات والمتشابهات قوله تعالى لا يأمر بالفحشاء
محكم وقوله امرنا مترفيها ففسقوا فيها متشابهات وتاويله ان امرنا بمعنى
كثرنا كما يجيء في موضعه وقيل المراد بالمحكم ما لا يدخله تغيير كالناسخ
والمتشابه ما يدخله التغيير كالمنسوخ والاول اظهر لقوله تعالى وما يعلم تاويله
الا الله وانما لم يجعل القرآن كله محكما لما في المتشابه من الابتلاء والتمييز
بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه كابتلاء بني اسرائيل بالنهر في
اعتقاد نبيهم ولان النظر في المتشابه والاستدلال به لكشف
الحق يوجب عظم الاجر ونيل الدرجات عند الله تعالى قوله تعالى **فاما الذين
في قلوبهم زيغ** نزل في شان المبتدعين والمنافقين او في اليهود
والنصارى اي الذين في قلوبهم ميل عن الحق **فيتبعون ما تشابه
منه** اي يتعلقون بما يوافق هواهم ظاهرا دون ما يوافق المحكم من قول
اهل الحق **ابتغاء الفتنة** اي لطلب ان يفتنوا الناس ويضلوهم
عن دينهم **وابتغاء تاويله** اي ولطلب تاويل المتشابه بما يحبونه
برأيهم ثم بين ان لا سبيل لاحد الى معرفة تاويله مستثنيا بقوله
وما يعلم تاويله اي تاويل المتشابه **الا الله والراسخون في العلم** اي

الذين رسخوا في العلم اي تبتوا فيه وتمكنوا من عباده فانهم يهتدون
الي تاويله الحق قالوا كان ابن عباس رضي الله عنه يقول انا من الراسخين
في العلم وبعضهم يقف على الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون
جملة اسمية ويفسر المتشابه بما استاثر الله تعالى به وليستبد بعلمه
وحكمته كعدد الزبانية في قوله عليها تسعة عشر والصوم وعدد
الركعات في الصلوات الخمس وقيام الساعة والاول اوجه لما ذكرنا
فقوله **يقولون آمنا به** نصب على الحال من الراسخين اي قائلين
صدقنا بالقرآن المحكم والمتشابه **كل** اي كل واحد من المحكم والمتشابه
من عند ربنا وما يذكر اي وما يتعظ بما انزل من القرآن **الا اولوا الالباب**
اي ذووا العقول من الناس ثم قال عبد الله بن سلام واصحابه
حين سمعوا قول اليهود وتكذيبهم به **ربنا لا تزغ** اي لا تمل **قلوبنا**
عن الهدى **بعد اذ هديتنا** اي ارشدتنا الي دينك **وهب لنا**
من لدنك اي من عندك **رحمة** اي نعمة بالتوفيق والمعرفة **انك**
انت الوهاب اي المعطي الثواب للمؤمنين **ربنا انك جامع الناس**
اي يجمعهم بعد الموت **ليوم** اي لقضاء يوم **لا ريب فيه** اي لا شك انه
كاين لا محالة عند من آمن به ثم ذكر الله بالتصريح تعظيما وايماء الي صدق
وعده بقوله **ان الله لا يخلف الميعاد** اي الوعد يعني الالوهية تنافي
خلف الوعد في البعث واستجابة الدعاء **ان الذين كفروا** بالقرآن
وتركوا العمل به **لن تغني** اي لا ينفع **عنهم اموالهم ولا اولادهم** اي
كثرتهما والتفاخر بهما **من الله** اي من عذابه **شيئا** اي غنى في الدنيا
اذا نزل بهم مصيبة من المصائب ولا في الآخرة اذا حكم بهم الي
عذاب النار **واولئك هم وقود النار** اي حطبها والوقود بفتح الواو
اسم ما يوقد به والوقود بالضم مصدر **كدأب آل فرعون** اي عادة
هؤلاء الكفار كقريظة والنضير في الكفر وتكذيب القرآن والرسل
كعادة قوم فرعون في تكذيب موسى عم واصل الدأب الدوام واللزوم
والمراد هنا العادة الدائمة **والذين من قبلهم** اي كفار الامم المتقدمة
كقوم نوح وثمود وقوم لوط **كذبوا باياتنا** اي بكتبنا ودلائلنا مع رسلنا
كما كذبت بها قومك **فاخذهم الله** اي عاقبهم **بذنوبهم والله**
شديد العقاب لمن كفر بالايات والرسل قوله **قل للذين كفروا** نزل

حين

68

حين جمع النبي صلى الله عليه وسلم المشركين او اليهود بعد وقعة
بدر في سوق بني قينقاع وقال اسلموا قبل ان يصيبكم الله بمثل ما
اصاب قريشا فقالوا يا محمد لا يغرنك نفسك انك لقيت قوما اغمارا
لا علم لهم بالقتال والحرب فانك لو قاتلتنا لعرفت من الانس الناس
فاوحى تعالى قل لهؤلاء الكفار **ستغلبون** اي ستهزمون وتقتلون
في الدنيا **وتحشرون** قرئ بالتاء والياء فيهما اي وتجمعون بعد القتل
في الآخرة والفرق بين القرائتين معنى انها بالياء امر بان يحكي لهم ما
اخبره به من سيغلبون ويحشرون وانها بالتاء امر بان يخبر
بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر البتة **الي جهنم وبئس المهاد**
اي بئس الفراش والمقر جهنم ثم خاطب قريشا مشيرا الي وقعة بدر
ليعتبروا ويؤمنوا فقال **قد كان لكم آية** اي علامة دالة على صدق
قولي انكم ستغلبون ومحل قوله **في فئتين** رفع صفة آية ومحل
قوله **التقتا** جر صفة فئتين اي قد حصل لكم عبرة كائنة في جمعين
جمع المؤمنين من اصحاب محمد عم وجمع الكافرين من اهل مكة اجتمعا للقتال
احديهما **فئة تقاتل في سبيل الله** اي في طاعته وهم النبي عم واصحابه
كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا واكثرهم رجالة **واخرى كافرة** وهم كفار
قريش كانوا تسعمائة وخمسين رجلا **يرونهم** بالياء على الغيبة اي يرى المسلمون
الكافرين **مثليهم** اي مثلي المسلمين وهو نصب على الحال لانه من رؤية
العين او يرى المشركون المسلمين مثليهم ليعظموا في انفسهم والاول
حقيقة والثاني ظن منهم وبالتاء على الخطاب لليهود لان منهم من
حضر تلك الواقعة ينظر من الكرة والرؤية على القرائتين من رؤية العين لقوله
رأي العين وهو نصب على المصدر اي رؤية ظاهرة لا لبس فيها يعني معاينة
كساير المعاينات **والله يؤيد** اي يقوي **بنصره من يشاء** اي بتكثيره في عين
العدو قيل ارسل الله الي المسلمين الملائكة وهزموا المشركين **ان**
في ذلك اي في صنعه تعالى من نصر القليل على الكثير **لعبرة لاولي الابصار**
اي لذوي النظر بالعقل لدرك الحق من الباطل **زين للناس حب** برفعه
فاعل المجهول اي حسن لهم محبة **الشهوات** اي مرادات النفوس والشهوة
نزوع النفس الي مرادها ومحبوبها وقد سمي المشتهى شهوة والمزين هو الله
لقوله تعالى زينا لهم اعمالهم وذلك على جهة الامتحان وقيل هو الشيطان

لقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم وذلك على جهة الوسوسة
قوله من النساء حال من الشهوات اي حال كونها من طائفة النساء وانما
بدأ بهن لان فتنة النساء اشد من فتنة كل الاشياء والبنين و
الفتنة بهم ان الرجل يبتلي بسببهم على جمع المال من الحلال والحرام
ولانهم يمنعونه عن محافظة حدود الله وهو من قبيل الاكتفاء اذ
المراد اولاد الذكور والاناث قيل اولادنا فتنة ان عاشوا افتتنونا وان
ماتوا احزنونا والقناطير المقنطرة جمع القنطار وهو المال الكثير والمقنطرة
مأخوذة من القنطار للتاكيد كما يقال الوف مؤلفة اي الاموال الكثير
المجتمعة من الذهب والفضة حال من المقنطرة قيل جمع الف ومائتا دينار
او مائة الف مثقال او سبعون الف دينار او ملؤ مسك ثور ذهبا
والخيل المسومة عطف على النساء جمع خائل كطين جمع طائر وقيل جمع لا
واحد له من لفظها اي الافراس المعلمة من السمة او المرعية من السوم
والانعام اي الابل والبقر والغنم جمع نعم والحرث اي الزرع قيل كل منها
فتنة للناس اما النساء والبنين ففتنة للجميع والذهب والفضة
للتجار والخيل فتنة للملوك والانعام فتنة لاهل البوادي والحرث فتنة
لاهل الرساتيق ثم رغب في الآخرة وزهد في الدنيا بقوله ذلك اي الذي
ذكر من الاشياء السبعة متاع الحيوة الدنيا اي منفعة قليلة للناس
في الحيوة الدنيا ثم يزول ولا يبقى والله عنده حسن المآب اي حسن المرجع
في الآخرة لا يزول ولا يفنى وهو الجنة ثم امر تعالى النبي عم ان يبين للمؤمنين
ان ما وعدهم في الآخرة افضل مما زين للكافرين في الدنيا فتنة لهم بقوله
أؤنبئكم اي اخبركم بخير من ذلكم اي من الذي زين للناس للذين اتقوا
اي خافوا من الشرك والمعاصي والتزين بزينة الدنيا الشاغلة عن طاعة
الله عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين اي مقيمين
فيها ابدا وازواج مطهرة اي زوجات طاهرة من العيوب الظاهرة
كالحيض والامتخاط واتيان الخلاء ومن الباطنة كالحسد والغضب
والنظر الى غير ازواجهن روي عن النبي عم لشبر من الجنة خير من الدنيا
وما فيها ورضوان من الله اي رضى منه تعالى وهو من اكبر النعم قرئ بكسر
الراء وضمها والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب ويعاقب على الا
ستحقاق قوله الذين يقولون نصب او رفع على المدح ويجوز الجر صفة

قل م

ا بدل من الذين · اي هم الذين · للعباد

65

للعباد اي هم الذين يقولون ربنا اننا آمنا اي صدقنا بك و
بنبيك فاغفر لنا ذنوبنا التي كانت في الشرك وفي الاسلام وقنا
اي ادفع عنا عذاب النار وينصب الصابرين مدحا ويجوز ان يكون
مجرورا صفة للعباد اي الذين صبروا على الطاعات والمصيبات
والممتنعين عن المعاصي والصادقين في ايمانهم واعمالهم الصالحة
ووعدهم بينهم وبين الله او بين الناس والقانتين اي المطيعين
لله والمنفقين المتصدقين في سبيل الله والمستغفرين بالاسحار
اي الذين يصلون بالليل ويمدون في الصلوة فاذا كان السحر اخذوا
في الدعاء والاستغفار وقال لقمان لابنه يا بني لا تكونن اعجز من هذا الديك
يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك قوله شهد الله انه لا اله
الا هو نزل حين جاء رجلان من رجال الشام فقالا للنبي عم انت محمد
قال نعم فقالا انت احمد قال انا محمد واحمد فقالا اخبرنا عن اعظم الشهادة
في كتاب الله فاخبره اي اثبت الله بالحجة القطعية واعلم بمصنوعاته
الدالة على توحيده انه واحد لا شريك له في خلقه الاشياء اذ لا يقدر
احد ان ينشئ شيئا منها والملائكة اي وشهدت الملائكة واقرت
بما عاينت من عظم قدرته ايضا واولوا العلم اي وشهد ذووا
العلم بالاحتجاج على وحدانيته ايضا وهم الانبياء والمؤمنون الذين
علموا توحيده واقروا به اعتقادا صحيحا فشبه دلالته على وحدانيته
بافعاله الخالصة التي لا يقدر عليها غيره واقرار الملائكة واولوا
العلم بذلك بشهادة الشاهد في البيان والكشف قوله قائما بالقسط
نصب على الحال المؤكدة من الله او من هو كقوله هو الحق مصدقا
لا من الملائكة واولوا العلم وانما جاز ذلك مع امتناع جاء في زيد وعمرو
راكبا لامن اللبس اذ القائم بالقسط من الصفات الخاصة به تعالى
اي مقيما بالعدل في قسمة الارزاق والآجال والاثابة والمعاقبة وما
يأمر به عباده وينهاه عنهم من العدل والتسوية فيما بينهم
ودفع الظلم عنهم وهذه الحال دخلت في حكم شهادة الله تعالى
والملائكة واولوا العلم كما دخلت الوحدانية وقيل انها سيقت
للمدح لا للتاكيد وحق ما ينتصب على المدح ان يكون معرفة وقد
يجئ نكرة اذا اختصت لا اله الا هو العزيز الحكيم كرر المشهود به لتأ

كيد التوحيد

ليوحدوه ولا يشركوا به شيئا لانه ينتقم عمن لا يوحد بما لا يقدر على مثله منتقم ويحكم ما يريد على جميع خلقه لا معقب لحكمه لغلبته عليهم
ان الدين عند الله الاسلام بكسر ان على الاستيناف اي ان الدين
المرضي عند الله الاسلام وهو التوحيد والعدل وبفتح ان بدلا من
انه لا اله الا هو اي وشهد الكل على ان دين الحق هو دين الاسلام من
بين الاديان وما اختلف الذين اوتوا اي اعطوا الكتاب وهم اليهود
والنصارى في هذا الدين ونبوة محمد عليه السلام الا من بعد ما جاءهم العلم
اي في التورية انه نبي حق ودينه حق فكذبوا واشركوا بان قالت النصارى
الله ثالث ثلثة وقالت اليهود عزير ابن الله بغيا بينهم نصب مفعول له
اي للبغي والحسد وطلب الرياسة ومن يكفر بايات الله اي بالقرآن
ومحمد ع م فان الله سريع الحساب اي سريع المجازات لانه عالم بجميع الاعمال
لم يحتج الى التذكر والتفكر او سريع في محاسبة جميع الخلق لانه يحاسبهم
في اقل من لمحة بحيث يظن كل واحد منهم يحاسب بنفسه فقط فان
حاجوك اي خاصموك اهل الكتاب في الدين فقل اسلمت اي اخلصت
وجهي اي ديني وعملي لله وخص الوجه بالذكر لانه اكرم اعضاء الرجل
ولانه اذا تواضع وخضع بالوجه خضع بجميع اعضائه قوله ومن اتبعني
باثبات الياء وحذفها وصلا وبحذفها وقفا في محل الرفع عطف على
فاعل اسلم وجاز العطف من غير تاكيد للفصل اي اسلمت واسلم من
اتبعني وجوههم ايضا قوله وقل امر للنبي صلى الله عليه وسلم بان يقول
بعد قيام المعجزة على نبوته وصدق دين الاسلام للذين اوتوا الكتاب
وهم اليهود والنصارى والاميين اي لمشركي العرب ءاسلمتم بالا
ستفهام للتوبيخ على المعاندة في الا واي اسلموا فهل انتم منتهون
عن الكفر والشرك فان اسلموا فقد اهتدوا اي ان اخلصوا في التوحيد
والتصديق بمحمد فقد وجدوا الهداية وخرجوا من الضلالة وان
تولوا اي ان اعرضوا عن التوحيد والتصديق بمحمد ع م فانما عليك
البلاغ اي التبليغ بالرسالة دون الهداية والله بصير بالعباد
اي باعمالهم من الايمان وعدمه قيل هذه الآية نسخت باية القتال
قوله ان الذين يكفرون بايات الله اي بالقرآن والمعجزات على نبوة
محمد ع م ويقتلون وقرئ يقاتلون بالالف النبيين اي ويرضون بالقتل

الذي فعله اباؤهم بغير حق اي بظلم منهم نزل اخبارا عن كفار بني اسرائيل
الذين قتلوا الانبياء واتباعهم عنادا توبيخا لاهل الكتاب والمشركين الذين
كفروا بمحمد ع م ويقاتلونه ثم قال ويقتلون الذين يامرون بالقسط اي
بالعدل من الناس وهم مؤمنوا بني اسرائيل امروهم بالمعروف وكانوا
يقتلونهم فاوعد الله لهم النار بقوله فبشرهم بعذاب اليم اي وجيع
دايم والفاء في فبشرهم الذي هو الخبر تدل على انهم مستحقون لهذا البشارة
لتضمن اسم ان معنى الجزاء قيل قتلوا اربعين نبيا اول النهار في ساعة
واحدة فقام مائة واثني عشر رجلا من مؤمني بني اسرائيل فامروهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعهم في آخر النهار من ذلك اليوم اولئك
الذين حبطت اعمالهم اي بطلت حسنات اعمالهم في الدنيا والآخرة
وما لهم من ناصرين ينقذونهم من عذاب النار قوله الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا اي اعطوا حظا من الكتاب اي من علم التورية نزل حين
دعا النبي ع م اليهود الى الايمان فامتنعوا منه او حين جاء اهل خيبر الى
النبي ع م برجل وامرأة زنيا فحكم عليهما بالرجم فقال علماء اليهود ليس
عليهما الرجم فقال ع م بيني وبينكم التورية فقالوا انصفتنا فجاؤا بالتورية
فوجد فيها الرجم فرجما فانصرف اليهود مغضبين قوله يدعون الى
كتاب الله في محل النصب على الحال من الذين اوتوا اي حال كونهم
مدعوين الى حكم القرآن ليحكم بينهم ثم يتولى اي ينصرف عن سماع
ذلك الحكم فريق منهم وهم معرضون عن قبول الحق والواو في محل
ذلك اي الاعراض عن الحق بانهم قالوا اي بسبب قولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودات اي اربعين يوما على عدد ايام عبادة العجل
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون اي يكذبون بالعهد على الله وهو
قولهم نحن ابناء الله واحباؤه فيعفو عنا بتاخير العذاب ثم اوعدهم
بقوله فكيف اي كيف يصنعون ويحتالون اذا جمعناهم ليوم لا
ريب فيه اي لا شك فيه لمن يعقل الحق ووفيت اي وفرت و
اعطيت كل نفس من اهل الكتاب وغيرهم ما كسبت اي الذي
عملته من السيئات والحسنات وهم لا يظلمون اي لا ينقصون
من حسناتهم ولا يزادون على سيئاتهم قوله قل اللهم مالك الملك نزل
حين فتح النبي ع م مكة ووعد امته ملك فارس والروم فعلمه الله ان يدعو

بهذا الدعاء او حين حفر اصحابه الخندق فوصل الحفر الى الصخرة وعجزوا
عن حفرها فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول وضرب
ضربة فظهر من تلك الصخرة نور فقال له سلمان رأيت شيئا عجيبا
يا رسول الله فقال ما رأيت قال رأيت قصور الحيرة من الشام ثم ضرب
ضربة اخرى فظهر كذلك فقال رأيت قصور اهل فارس فقال عم
سيظهر كلا متي ملك الشام وملك فارس فقال المنافقون ان محمدا
لا يأمن على نفسه واضطر الى حفر الخندق فكيف يتمنى ملك الشام
وفارس فقال الله تعالى قل يا محمد اللهم اي يا الله امنا بخير اي اقصدنا
يا مالك الملك كله تؤتي الملك من النبوة وغيرها من تشاء اي محمدا او
من آمن به وتنزع الملك ممن تشاء اي من فارس والروم وتعز من
تشاء بالاسلام او بالملك وتذل من تشاء بنزع الملك من اهله او بالشرك
بيدك الخير اي الخير والشر فيكون من قبيل الاكتفاء او المراد الخير دون
الشر لان الكلام في ذكر الخير المسوق الى المؤمنين وهو الهداية والسعادة
انك على كل شيء قدير من الاعزاز والاذلال ثم اشار الى قدرته الباهرة
الدالة على توحيده وكبريائه بقوله تولج الليل اي تدخله في النهار
اي في مكانه لان ما نقص من الليل يدخل في مكان النهار حتى يصير
الليل خمسة عشر ساعة وتولج النهار اي تدخله في الليل اي مكانه
حتى يصير النهار خمسة عشر ساعة وتخرج الحي من الميت بالتخفيف
والتشديد اي تظهر الحيوان من النطفة او الطير من البيضة او العالم
من الجاهل والمؤمن من الكافر او النبات من الارض اليابسة وتخرج الميت
من الحي وهذا عكس الاول وترزق من تشاء بغير حساب اي من غير
ان تحاسب في الاعطاء لانه المالك حقيقة ليس فوقه من يحاسبه
فيه او يرزقه بلا تقتير او بلا حسبان وظن له قوله لا يتخذ بكسر
الذال ورفعه نهيا او خبرا في معناه المؤمنون الكافرين اولياء
اي احباء من دون المؤمنين اي مكان المؤمنين وبدلهم نزل في
شان المنافقين كعبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود في
العون والنصرة ويأتونهم من الاخبار من المؤمنين او في شان حاطب
بن ابي بلتعة وغيره كانوا يظهرون المودة لكفار مكة لكون اولادهم
واقربائهم فيها فنهاهم الله تعالى عن ذلك اي اجتنبوا ايها المؤمنون

عن

عن موالات الكفار فلكم غنية عنها بموالات المؤمنين لانهم اعداء
الله تعالى ومن يفعل ذلك اي ولاء الكفار فليس من الله اي من دينه
في شيء اي في حفظ لان من والى عدو الله فقد دخل في عداوة الله وانسلخ
من ولاية الله رأسا لانهما متنافيان لا يجتمعان ثم استثنى الخائفين
منهم فقال الا ان تتقوا في محل النصب مفعول له اي لا تتولوهم لاجل
ان تخافوا منهم تقاة بالالف والامالة اي مخافة بوجه يجب الاحتراز
منه وذلك بان يغلب الكفار او يقع المسلم بينهم فيرضيهم باللسان
وقلبه مطمئن بالايمان فلا اثم وهذا رخصة منه تعالى فلو صبر حتى قتل
كان اجره عظيما ويحذركم الله نفسه اي يقول الله اياكم ونفسي يعني
احذروا من سخطي وغضبي بموالاة اعدائي قيل انما يحذر بنفسه من تعرفه
بالمكاشفة فاما من لا يعرفه فخطابه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
والى الله المصير اي المرجع تحذير آخر بالبعث والجزاء قل ان تخفوا اي
تضمروا ما في صدوركم اي ما في قلوبكم من موالاة الاعداء ونقض العهود
والعمل بما لا يرضى الله به او تبدوه اي تظهروه للمؤمنين يعلمه الله جزم
بجواب الشرط قوله ويعلم استئناف في معنى التعليل اي لا يخفى عليه
ذلك لانه يعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وجهركم والله على
كل شيء قدير من السر والعلن والعذاب والمغفرة قدير اي مقتدر بقدرة
ذاتية لا يختص بمقدور دون مقدور يوم اي اذكر يوم تجد كل نفس ما
عملت في الدنيا من خير اي ثوابه من غير نقص بيان لما يعني الذي اي تجده
محضرا اي مكتوبا في صحفهم يقرؤنه قوله وما عملت مبتدأ يعني الذي
من سوء اي من شر في الدنيا ولا يصح ان يكون شرطية لان قوله تود لم يسمع
فيه الجزم الذي هو المختار من القراء فهو في محل الرفع على انه خبر المبتدأ
تحب النفس وتتمنى لو ان بينها وبينه اي ان يكون ان بين النفس و
بين السوء امدا بعيدا اي مسافة واسعة كما بين المشرق والمغرب ولم يعمل
ذلك السوء قط ويحذركم الله نفسه كرر التحذير من نفسه لئلا يغفلوا
عنه والله رؤف بالعباد اي بليغ الرحمة بهم حيث لم يعجل بعقوبتهم
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله نزل حين دعا رسول
الله عم كعب بن الاشرف ومن تابعه الى الايمان فقالوا نحن ابناء الله واحباؤه
فقال الله تعالى لنبيه عم قل لهم اني رسول الله ادعوكم اليه فان كنتم تحبونه

فاتبعوني على دينه وامتثلوا امري يحببكم الله ويرضى عنكم ويغفر لكم
ذنوبكم فان من ادعى محبة الله وخالف سنة نبيه فهو كذاب بنص كتاب
الله تعالى والمراد من محبة الله عصمته بالتوفيق والعفو وانعامه بالرحمة و
من محبة العباد رغبتهم في طاعة الله والله غفور رحيم للتائب المطيع
ثم قالوا بعد نزول هذه الآية ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله فيريد ان
نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فنزل قل اطيعوا الله والرسول
امر الله لهم بالجمع بين طاعته وطاعة رسوله فان تولوا اي ان اعرضوا
عن طاعتهما فان الله لا يحب الكافرين اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم
لكفرهم قيل يحتمل ان يكون تولوا مضارعا بان يكون اصله تتولوا فحذف
التاء الاولى ويدخل في جملة ما يقوله الرسول وان يكون ماضيا بلا حذف ولم
يدخل فيها ان الله اصطفى اي اختار آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
اي نفس ابراهيم وعمران واولادهما كاسماعيل واسحاق وذريتهما
وكموسى وهرون وباقي الانبياء من بني يعقوب يعني اختص آدم ومن ذكر معه
من الانبياء ومن اولادهم وارتضى بدينهم وفعلهم على العالمين اي عالمي
زمانهم قوله ذرية نصب على الحال من المصطفين بعد آدم او بدل من نوح وما
عطف عليه او بدل من الآلين يعني ان الآلين ذرية واحدة بعضها من بعض
جملة اسمية محلها نصب وصف لذرية اي ذرية متسلسلة انشعب
بعضها من بعض في الدين والتناصر والله سميع لمقالتهم عليم بدينهم
واعمالهم اذ قالت نصب بمحذوف اي اذكر وقت قالت امرأة عمران هي
حنة ام مريم وعمران بن ماثان في زمن زكريا لا عمران ابو موسى وهرون
وكان بينهما الف وثمانية سنة فاحبت حنة الولد بعدما اسنت فدعت
ربها ان يرزقها ولدا ونذرته ان تجعله من خدم بيت المقدس فلما
فلما احست في نفسها بالولد قالت رب اني نذرت لك ما في بطني من
الولد محررا حال من ما يعني الذي ولم تقل محررة لان نذرهم كان في الغلمان
اي عبدا خالصا لله لا يعمل عمل الدنيا ولا يتزوج فيتفرغ لعمل الآخرة والمحرر
المعتق الذي لم يملكه احد قيل من كان اسير الشهوات فليس بحر فتقبل مني
انك انت السميع لدعائي العليم بنيتي ثم مات عمران فبقيت حنة حاملا
بمريم فلما وضعتها اي ولدت النسمة وهي انثى قالت تحسرا واعتذارا
وتوهما ان لا يقبل نذرها لكونها انثى رب اني وضعتها انثى وهو حال

الذرية
الاولاد

من المفعول

من

من المفعول في وضعتها والاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال والله
اعلم بما وضعت بفتح العين وسكون التاء فيكون الجملة من مقول الله
وبسكون العين وضم التاء فيكون مقول حنة وكذا قوله وليس الذكر
كالانثى يحتمل ان يكون مقول الله وان يكون مقول حنة فلو كانت
الجملتان مقول الله كانتا اعتراضا بين قول ام مريم اني وضعتها انثى
وقولها واني سميتها مريم وفائدته التسلية لنفس حنة والتعظيم
لوضعها ويكون المعنى الله اعلم بسر وضعها انثى وحكمته فانها خير
من الذكر في علمه لانه يجعلها آية بولادة عيسى للعالمين وهي جاهلة
بذلك ومن جهلها تحسرت فقالت اني وضعتها انثى وليس الذكر الذي
طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد يعني هي افضل من مطلوبها
وهي لا تعلم ولو كانت مقول حنة كان المعنى ان الله اعلم بسر ما وضعت
انا لعل هذه الانثى خير من الذكر الذي طلبت بالنذر وليس الذكر كا
الانثى في الخدمة لضعفها ولما يعترضها من احوال النساء ففيه تحزن
لها لوقوع خلاف نذرها الله تعالى قوله واني سميتها مريم من مقول
حنة عطف على قوله اني وضعتها اي اني جعلت اسمها مريم وهو العابدة
في لغتهم وارادت بذلك التقرب الى الله والطلب ان يعصمها من
الشيطان ليكون فعلها مطابقا لاسمها ولذلك اتبعه بقوله واني
اعيذها بك وذريتها اي اولادها من الشيطان الرجيم اي المطرود
من الرحمة قال عم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه اي يطعنه
باصبعه حين يولد فيستهل صارخا من الشيطان الا مريم
وابنها فانه طعن في الحجاب فتقبلها اي قبل مريم من حنة ربها
بقبول حسن اي بامر ذي قبول مرضي فسلك بها سبيل السعداء
وانبتها نباتا حسنا اي سوى خلقها ورباها تربية حسنة قيل
كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في السنة قيل لما وضعتها حنة
لفتها في خرقة ثم اتت بها الى بيت المقدس ووضعتها عند المحراب
فاجتمعت الاحبار علما في المسجد فقالت حنة لهم خذوا مني هذه
النذيرة للخدمة في المسجد فرغبوا فيها لانها كانت بنت امامهم
فقال زكريا انا احق بها لان خالتها عندي فقالوا انها احق بها
من خالتها ولكنا نتقارع بالقاء الاقلام في النهر وكانت اقلامهم

بدع

قرعة

من النخاس فخرجوا الى عين سلوان فالقوا اقلامهم فيها فغابت اقلام
في الماء وبقي قلم زكريا على وجه الماء فعلموا ان الحق له وكفلها بتشديد الفاء
اي ضمنها الله زكريا بالمد والقصر وبتخفيف الفاء اي ضمنها زكريا الى نفسه
وهو معنى قوله فتقبلها ربها الاية كلما دخل عليها زكريا المحراب اي غرفتها
من المسجد والمحراب اشرف المجالس في اللغة قيل انه بنى لها غرفة في المسجد و
جعل باب الغرفة في وسط الحايط لا يصعد اليها الا بالسلم واستاجر ظئرا
تربيها وكان اذا خرج يغلق عليها الباب ولا يدخل عليها الا زكريا حتى كبرت
واذا دخل عليها في ايام الشتاء وجد عندها رزقا اي فاكهة الصيف وفي ايام
الصيف فاكهة الشتاء قال زكريا يا مريم انى لك هذا اي من اين لك هذا الرزق
ولا يدخل عليك غيري قالت هو اي هذا الرزق من عند الله اي من جنته تكلمت
صغيرة كما تكلم عيسى في المهد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب اي
بغير تقدير لكثرته وفي غير اوانه او بلا محاسبة او من حيث لا يحتسب هنالك
اي حيث كان قاعدا عند مريم في المحراب وراى حصول الفاكهة في غير اوانها
فتنبه على امكان ولادة العاقر وكان ايسا من ذلك دعا زكريا ربه قال يا
رب هب لي اي ارزقني من لدنك اي من عندك ذرية طيبة اي ولدا صالحا
والذرية يقع على الواحد والجمع انك سميع الدعاء اي مجيب الدعوات فنادته
الملائكة بالياء لارادة معنى الجنس وبالتاء التانيث لفظ الجماعة والمراد
بالملائكة جبرئيل اي ناداه جبرئيل وهو قائم يصلي في المحراب الواو في الجملة
واو الحال اي ناداه حال كونه زكريا في الصلوة ان الله بكسر الهمزة على اضمار
القول وبفتحها ان الله على انه مفعول لناداته يعني قالوا ان الله يبشرك
بالتشديد من التبشير وبالتخفيف من ابشر او من بشر معلوما بيحيى اي
بولد اسمه يحيى لانه حيي به رحم امه او لانه يحيى به المجالس من وعظه وهو
لا ينصرف لوزن الفعل والتعريف كيزيد ويشكر او للعجمة والتعريف ان كان
عجميا مصدقا حال من يحيى اي مؤمنا بكلمة من الله اي بكتاب منه تعالى
وقيل المراد من الكلمة عيسى اي بكلمة كائنة من الله بان قال له كن من غير اب
فكان كما قال فوقع عليه اسم الكلمة وسيدا على قومه يعني يفوقهم في
الشرف بانه لم يرتكب سيئة قط وحصورا اي بليغ المنع من شهوة النساء
وتزوج مع ذلك ليكون اغض لبصره وقيل انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون
فدعوه الى اللعب فقال ما خلقت للعب ونبيا من الصالحين اي ناشيا

من الانبياء لانه كان من اصلاب الانبياء قال زكريا عند نداء الملائكة وبشارتهم
له بالولد بالاستفهام تعجبا وسرورا من حيث العادة رب انى يكون اي كيف
يحصل لي غلام وقد بلغني اي نالني الكبر اي كبر السن العالية فاضعفني
وامراتي عاقر اي عقيم لا تلد وكان زكريا ابن تسع وتسعين وامراته بنت
ثمانية وتسعين قال اي الله تعالى كذلك اي كما قلت انه قد بلغك الكبر
وامراتك عاقر لا تلد الله يفعل ما يشاء من خلق الولد من الهرمين وغيره
لا اعتراض عليه او معنى كذلك اي مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين
الشيخ الفاني والعجوز العاقر الله يفعل ما يشاء او معناه كذلك الله مبتدا
وخبر اي على هذه الصفة الله وقوله يفعل ما يشاء بيان له قال رب
اجعل لي آية اي علامة اعلم بها وقت حمل زوجتي لازيد في الشكر
والعبادة قال آيتك اي علامة حمل امراتك الا تكلم الناس اي تمنع من كلامهم
وانت صحيح وتذكر الله وتسبح وتعبد قضاء لشكر تلك النعمة العظيمة التي
طلبت الاية من اجله ثلثة ايام الا رمزا اي اشارة بيد او راس او عين و
سمي الرمز كلاما لانه يؤدي ما يؤدي به الكلام ويفهم منه ما يفهم من الكلام فلذا
جاز الاستثناء المتصل منه قيل كانت اشارته بالمسبحة ولم يكن الامتناع
من الكلام عقوبة له بل كان كرامة له ومعجزة دالة على اجابة دعائه في ظهور
الحبل ودفعا لوسوسة الشيطان حيث صور له وقال ان النداء البشارة
لكن ليس من الله وانما هو من الشيطان ونصب رمزا على الحال من الفاعل و
المفعول معا اي الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ثم امره تعالى
بذكر ربه لعدم منعه عن ذكر الله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي
وهو من زوال الشمس الى غروبها والابكار مصدر والمراد طلوع الفجر الثاني
الى الضحى اي سبحه في وقتيهما وقيل في الليل والنهار واذ قالت الملائكة
عطف على قوله اذ قالت امراة عمران اي اذكر وقت قولهم يعني جبرئيل وحده
يا مريم ان الله اصطفاك اي اختارك اولا حين تقبلك من امك وطهرك
من الذنوب والحيض والنفاس ومسيس الرجال واصطفاك اي اختارك
آخرا بان وهب لك عيسى بلا اب دون احد من النساء يعني فضلك على نساء
العالمين اي عالمي زمانها او على جميع النساء لولادة عيسى من غير اب
ومسيس رجل قيل كلمها جبرئيل شفاها اظهارا لنبوة عيسى ثم امرها بالصلوة
بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة فقال يا مريم اقنتي

اي اطيعي لربك واطيلي القيام في الصلوة له تعالى واسجدي واركعي
مع الراكعين اى صلّى مع المصلين يعني مع الجماعة ويحتمل ان يكون معناه
كوني مع الراكعين لا مع من لا يركع لان في زمانها كان من يقوم ويسجد ولا يركع
ولم يقل الراكعات لعموم الراكعين الرجال والنساء على سبيل التغليب ذلك
اي خبر يحيى وزكريا ومريم وعيسى من انباء الغيب اي من اخبار الغيب
الذي لم تعرفها الا بالوحي نوحيه اي الخبر اليك يا محمد وفيه تعريض لمنكري
الوحي ودلالة على نبوته حيث اخبر عما غاب عنه وما كنت لديهم اي
ولم تكن حاضرا عند الاخبار وقومك عالمون به ونفي الحضور عن النبي م
تهكم لمنكري الوحي لانه معلوم لهم كعلمهم يقينا انه ليس من اهل السماع
والقراءة اذ يلقون اى يطرح الاحبار في بيت المقدس اقلامهم في الماء
بالقرعة وهي الاقلام التي يكتبون التورية بها ايهم يكفل مريم اي ليعلموا
ايهم يضمها الى نفسه للتربية يعني ما كنت عالما بذلك الخبر قبل هذا الوقت
وانما تخبر بالوحي واكد بقوله وما كنت لديهم اذ يختصمون في امر مريم
من التكفيل بها بالرغبة قوله اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت قبلها اي
اذكر وقت قولهم لمريم يا مريم ان الله يبشرك بكلمة اي يفرحك بولد
مخلوق منه اي من الله بامره وهو قوله كن فكان اسمه المسيح وهو المبارك
والضمير في اسمه راجع الى المسمى بالكلمة لا الى الكلمة وهو المبتدا خبره
المسيح وقيل بمعنى الماسح لانه كان يمسح وجه الاعمى فيبصر وسمي الدجال
مسيحا بمعنى الممسوح لانه ذهبت احدى عينيه قوله عيسى عطف بيان
للمسيح وهو لقبه قوله ابن مريم نعت لعيسى وخبر مبتدا اي هو ابن
مريم وانما اضاف اليها اعلاما انها تلده من غير اب فلا ينسب الا
الى امه وانما جمع هذه الثلثة في الاسم لان الاسم علامة يعرف بها
فكانه قيل الذي يعرف به هذا المولد ويتميز عمن سواه مجموع هذه الثلثة قوله
وجيها حال من الكلمة اي صاحب قدر وجاه بالنبوة في الدنيا اى بين
الناس فيها والآخرة اي ذا قدر في الآخرة بالشفاعة وارتفاع درجته
في الجنة ومن المقربين عند ربه بارتفاعه الى السماء وصحبة الملائكة
فيها ويكلم الناس في المهد اي صغيرا قبل وقت الكلام روي انه كان يحدث
امه وهو في بطنها اذا خلت به وحدثته واذا اشتغلت عنه سبح
في بطنها وهي تسمع تسبيحه ومحل في المهد نصب على الحال قوله وكهلا عطف

عليه

ع

ذلك صح

عليه اي يكلمهم في كبره بعد نزوله من السماء والمعنى انه يكلمهم في هاتين الحالتين
بكلام الانبياء من الحكمة والعبرة من غير تفاوت بين حال الطفولة والكهولة
التي يكمل فيها العقل ويستنبئ الانبياء ليكون على طرفي كلامه معجزة لانه لا يشبه
كلام ساير الناس وتكلمه معهم دليل على حدوثه لحدوث الاصوات والحروف
ومن الصالحين اي حال كونه مع النبيين في الجنة قيل هذه احوال اربعة مقدرة
بشر الله مريم بها انه عيسى موصوف بهذه الصفات ولم يجتمع هذه المجموعة فيمن
سواه من الناس قالت رب اي قالت مريم يا سيدي انى يكون لي ولد ولم
يمسسني اي لم يصبني بشر وهو كناية عن الجماع قال اي الله بواسطة جبرئيل
كذلك اي كما قلت الله لم يمسسك بشر الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا اي اذا حكم
بخلق او وجوده فانما يقول له كن فيكون اى يحدث في اسرع وقت فنفخ جبرئيل
في نفسها فعلقت بذلك قوله ويعلمه بالياء والنون عطف على يبشرك او كلام
مستانف اي ويعلمه الله الكتاب اي الكتابة يعني الخط بالالهام والوحي
والحكمة اي الفقه والمعرفة والتورية والانجيل فيحفظهما عن ظهر القلب
ورسولا اى ويجعله مرسلا الى بني اسرائيل او نكلم الناس حال كونه رسولا
اليهم ومحل قوله اني قد جئتكم نصب بنزع الخافض اي باني قد جئتكم باية
من ربكم اي بعلامة منه تعالى تدل على صدقي والمراد من الآية الجنس لانه
اتى بايات كثيرة ومحل اني اخلق بفتح الهمزة نصب بدل من اني قد جئتكم او
بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم من الطين وقرئ بكسر ان على الاستئناف
اي قال عيسى م بعد ان اوحي اليه في حال الكبر قد جئتكم باية من ربكم لبيان الآية
الدالة على صدقه اني اخلق لكم اي اشكل شكلا واقدره من الطين كهيئة الطير
اي كصورته فانفخ فيه اي في ذلك الشكل فيكون طيرا جمعا وطايرا مفردا
باذن الله اي بامره ومشيته قيل لم يخلق سوى الخفاش لانهم طلبوا
منه لكونه اعجب الخلق ومن عجايبه انه لحم ودم يطير بلا ريش ويضحك
كالانسان ويحيض كالمرأة ويلد كساير الحيوان ولا يبيض كساير الطيور ولا يبصر
في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما يرى في ساعتين بعد غروب الشمس
وبعد طلوع الفجر في ساعة قبل الاسفار فلما راوا ذلك منه ضحكوا وقالوا
هذا سحر وابرئ اي اشفي الاكمه وهو مطموس العين او الذي ولد اعمى والابرص
اي الذي به وضح وانما خصهما بالذكر للشفاء لانهما اعياء الاطباء في تلك
لانه بعث زمان الطب وسالوا الاطباء منهما فقال جالينوس واصحابه اذا

ويهما

ولد اعمي لا يبرئ بالعلاج وكذا الابرص اذا كان بحال لو غرزت الابرة فيه لا يخرج
منه الدم لا يقبل العلاج فجعوا الي عيسي وجاؤا بالاكمه والابرص فمسح يده
بعد الدعاء عليهما فابصر الاعمي وبرئ الابرص فامن به البعض وجحد البعض
وقالوا هذا سحر روي انه ابرا في يوم واحد خمسين الفا من المرضي ثم قال وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ
بِإِذْنِ اللَّهِ فسالوا جالينوس عنه فقال الميت لا يحيي بالعلاج فان كان
هو يحيي الميت فهو نبي وليس بطبيب وطلبوا منه ان يحيي الموتي فاحيي اربعة
عاذر وكان صديقا له وابن العجوز الذي حمل علي سرير وابنة العاشر ماتت
واتي عليها ليلة وسام بن نوح وكان قوم عيسي يقولون انه يحيي من كان
قريبا فلعلهم اصابتهم سكتة فحيوا فقالوا له احي سام بن نوح فقال
دلوني علي قبره فجاؤا به علي قبره فدعا الله فاحياه فقال له عيسي كيف
شاب راسك ولم يكن لكم شيب في حيوتك فقال شاب راسي حين سمعت
صوتا يقول اجب روح الله فحسبت ان القيامة قد قامت فشاب من
هول ذلك راسي قيل كان موته اكثر من اربعة الاف سنة فقال للقوم صدقوه
فانه نبي فامن به بعض وكفر به البعض القائلين بانه سحر وكرر قوله
باذن الله نفيا لتوهم الالوهية فيه ثم قالوا لعيسي ارنا آية نعلم
بها انك صادق فقال وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ من انواع المآكل وَمَا تَدَّخِرُونَ
وما تخبئون للغد فِي بُيُوتِكُمْ فكان يخبر الرجل بما اكل قبل وبما ياكل بعد ويخبر
الصبيان وهو في المكتب بما يصنع اهلهم وبما ياكلون ويشربون إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ اي فيما صنع عيسي ع م لَآيَةً لَّكُمْ اي علامة لنبوته إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
اي مصدقين انه نبي قوله وَمُصَدِّقًا حال معطوف علي قوله باية اي
وجئتكم مصدقا بالكتاب الذي انزل علي وهو الانجيل لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ اي لما
تقدمني مِنَ التَّوْرَاةِ يعني انه موافق له في الدين وَلِأُحِلَّ لَكُم اي وجئتكم
لان ارخص لكم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ في شريعة موسي ع م من لحوم السمك
ولحوم الابل والشحوم والثروب جمع ثرب وهو شحم رقيق يتصل بالامعاء
ولحم كل ذي ظفر فاحل لهم عيسي من السمك والطير ما لا صيصة له وهي
شوكة الحايك التي بها يسوي السداة واللحمة او احل لهم جميع المحرم
عليهم فيكون بعض بمعني كل قوله وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ كرره تاكيدا اي ما جئت
لكم الا ببرهان بين يجب اتباعي به عليكم فَاتَّقُوا اللَّهَ اي فيما امركم ونهاكم
وَأَطِيعُونِ فيما ادعوكم اليه ولا تخالفوني فيما انصح لكم إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

اي

اي الهي والهكم ورازقي ورازقكم فَاعْبُدُوهُ ولا تعصوه بالشرك هَٰذَا اي
التوحيد الذي ادعوكم اليه صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ لا عوج فيه يوصلكم الي
معرفة الله ودخول الجنة فَلَمَّا أَحَسَّ اي ادرك وعلم يقينا عِيسَىٰ مِنْهُمُ
الْكُفْرَ بالله وارادوا قتله قَالَ مَنْ أَنصَارِي اي من اعواني إِلَى اللَّهِ اي مع الله
وهو جمع نصير قَالَ الْحَوَارِيُّونَ اي اصفياء عيسي سموا بذلك لنقاء
قلوبهم او لرجوعهم الي الله من حار يحور اذا رجع او القصارون من التحوير
وهو التبييض نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ اي اعوان دينه قيل مر بهم عيسي ع م
وهم يغسلون الثياب وكانوا قصارين فقال لهم الا ادلكم بقصارة
انفع من هذا قالوا نعم قال طهروا انفسكم من الذنوب فبايعوه وقالوا
آمَنَّا بِاللَّهِ اي صدقنا بتوحيده وَاشْهَدْ يا عيسي بِأَنَّا مُسْلِمُونَ اي
داخلون في الاسلام بالاخلاص وانما قالوا ذلك تاكيدا لايمانهم لان
الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم ثم زادوا في التاكيد بقولهم
رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ من الانجيل علي عيسي ع م وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ اي عيسي ع م
علي دينه فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ لله بالوحدانية او مع الانبياء الذين
يشهدون لاممهم ثم اخبر الله عن كفار اسرائيل بما قومه الذين احس
منهم الكفر فقال وَمَكَرُوا اي ارادوا قتله وَمَكَرَ اللَّهُ اي جازاهم علي مكرهم
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ اي اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم علي
العقاب من حيث لا يشعرون روي ان اليهود اجتمعوا علي قتل عيسي ع م
فهرب منهم فدخل البيت فرفعه جبرئيل من الكوة الي السماء فقال ملكهم
لرجل خبيث اسمه يهودا ادخل عليه فاقتله فدخل ولم يجده فالقي الله عليه
شبه عيسي فلما خرج ليخبرهم راوه علي شبه عيسي فاخذوه وقتلوه وصلبوه
ثم اختلفوا فيه فقال بعضهم وجهه وجه عيسي وبدنه يشبه بدن
صاحبنا فليس هو بعيسي فقتل بعضهم بعضا لذلك وعيسي يطير مع
الملائكة في السماء لابسا النور يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه إِذْ قَالَ
اللَّهُ اي اذكر وقت قول الله يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ اي مميتك او قابضك
من الارض واني مستوفي اجلك ولا ادع ان يقتلوك يعني اني عاصمك
من ان يقتلوك الكفار ومؤخرك الي اجل كتبته لك في الدنيا وَرَافِعُكَ
إِلَيَّ اي الي السماء وَمُطَهِّرُكَ اي مبعدك ومنجيك مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا اي
من سوء جوارهم وخبث صحبتهم قيل سينزل عيسي من السماء علي عهد

لهم

هم

الدجال ليقتله ويتزوج بعد قتله امرأة من العرب وتلد له ابنة فتموت
ابنته ثم يموت هو بعد ما يعيش سنين كثيرة لان عيسى عم سأل ربه
ان يجعله من هذه الامة فاستجاب الله دعاءه **وجاعل الذين اتبعوك**
اى فى دينك الاسلام **فوق الذين كفروا** بك وبدينك اي يعلونهم بالحجة
وبالسيف **الى يوم القيمة** قال ابن عباس الذين اتبعوهم امة محمد عليه السلام
لانهم متبعوه فى اصل الاسلام وان اختلف الشرايع **ثم الى مرجعكم** اي
رجوع الذين اتبعوك والذين كفروا بك **فاحكم بينكم** اي بين المؤمنين
والكافرين فى الآخرة **فيما كنتم فيه تختلفون** من الدين فى الدنيا ثم اخبر
عن حكم كل من الفريقين بقوله **فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا**
فى الدنيا بالسيف والسبي واخذ الجزية **والآخرة** بعذاب النار **وما لهم**
من ناصرين اى مانع يمنعهم من العذاب **واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
فيوفيهم بالياء والنون اي يعطيهم بلا نقص **اجورهم** اي ثواب اعمالهم
الخير **والله لا يحب الظالمين** اي لا يرضى دين الكافرين قوله **ذلك** مبتدأ
خبره **نتلوه** اي خبر عيسى وغيره من الاخبار التي بيناها فى القرآن نقرؤه
عليك يا محمد **من الآيات** حال من ضمير المفعول او خبر بعد خبر اي من البيان المعجز
والذكر الحكيم اي من الكلام المحكم الممنوع من كل خلل لا يقدر عليه احد او الناطق
بالحكمة وهو القرآن وصف بصفة من هو من سببه قوله **ان مثل عيسى**
عند الله نزل حين جاء وفد نجران مع علمائهم الى النبي عم فناظروه
فى امر عيسى فقالوا انك تقول هو عبد الله ورسوله قال عم اجل انه عبد الله
ورسوله فقالوا هل رأيت ولدا من غير اب فقال تعالى ان صفة عيسى عند الله
كمثل آدم اي كصفة آدم يعني شبه خلق عيسى كشبه خلق آدم فى
الغرابة قوله **خلقه من تراب** تفسير للمثل لا محل له من الاعراب اي خلق الله
آدم من تراب يعني صوره جسدا من طين **ثم قال له كن فيكون** اي فكان
وهو حكاية حال ماضية اي فصار بشرا بغير اب فكذلك خلق عيسى بشرا من
غير اب فاشتركا فى الوجود الخارج عن العادة المستمرة بل الوجود فى آدم
اغرب من وجود عيسى عم لان الوجود من غير اب وام اخرق للعادة من
الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع لشبهة الخصم اذا
نظر فيما هو اغرب مما استغربه قوله **الحق** خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق
يعني خبر عيسى ومثله ثابت **من ربك فلا تكن من الممترين** اي من الشاكين

اى الحالة العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع ابو السعود

وهذا نهي له والمراد غيره او هو من باب التهييج على الثبات والطمانينة
فمن حاجك فيه اي فمن خاصمك من نصارى فى حق عيسى **من بعد ما جاءك**
من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فى امر عيسى **فقل تعالوا** اي
هلموا **ندع ابناءنا** اي حسننا وحسيننا **وابناءكم ونساءنا** اي فاطمة
ونساءكم وانفسنا اي النبي عم وعليا زوج فاطمة **وانفسكم** يعني
ليجتمع نحن وانتم فى موضع **ثم نبتهل** بالجزم عطف على ندع المجزوم فى
جواب الامر اي نلتعن من البهل وهو اللعن ثم استعمل الابتهال لكل
دعاء خيرا او شرا وان لم يكن التعانا **فنجعل** بالجزم عطف عليه اي فنفعل
لعنت الله بالدعاء على وجه التضرع **على الكاذبين** منا ومنكم
فى حق عيسى وهذا غاية الانصاف وانما ضم الابناء والنساء الى نفسه
فى دعاء المباهلة ليتبين الكاذب والصادق وهو يختص به وبمن يكاذبه
لان ضمهم الى نفسه اكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه
حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده كذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه
له فلما سمعوا الآية من النبي عم قالوا حتى ننظر فى امرنا ونأتيك غدا وتفرقوا على
المواعدة ثم تذهبوا فاتوا النبي عم من الغد وقد خرج عم آخذا بيد الحسن والحسين
وخرج معه علي وفاطمة الى الموضع الذي واعدهم فطلب منهم المباهلة فقال
اسقف نجران يا معاشر النصارى اني لارى وجوها لو سأل الله ان يزيل
جبلا عن مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا فابوا المباهلة فقال عم لهم
اما ان تبتهلوا واما ان تسلموا واما ان تقبلوا الجزية فقبلوا الجزية وصالحوه
على حلل يؤدونه اليه كل عام وانصرفوا الى بلادهم فقال عم لو انهم ابتهلوا
لهلكوا كلهم حتى العصافير فى سقوف الحيطان ثم قال **ان هذا** اي خبر عيسى
لهو القصص الحق اي الخبر الصادق من انه عبد الله ورسوله لا شك فيه
والاصل ان يدخل اللام على المبتدأ الا ان يمنع مانع فيدخل على الخبر وهنا
قد دخل على الفصل لانه اذا جاز دخوله على الخبر كان دخوله على الفصل
اجوز لانه اقرب الى المبتدأ **وما من اله الا الله** اي لا شريك له فى الالوهية
وان الله لهو العزيز فى ملكه فينتقم ممن عصاه **الحكيم** فى امره اي
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد من خلق عيسى بلا اب ومن خلق آدم من
تراب ومن خلق بنيه من اب وام وغير ذلك **فان تولوا** اي ان ابوا
عن الحق ولم يؤمنوا به **فان الله عليم بالمفسدين** وهو وعيد شديد

اي ما قص من نبأ عيسى وامه ابو السعود

بقوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قوله قل يا اهل
الكتاب نزل حين قال اليهود نحن على دين ابراهيم فانه كان يهوديا
وقالت النصارى نحن على دين ابراهيم وكان نصرانيا فقال النبي عم
كلاهما بريء منه لانه كان حنيفا مسلما ونحن على دينه فامر الله
نبيه بقوله قل يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى تعالوا الى كلمة
اي الى كلام واحد مفيد عدل سواء اي يستوي بيننا وبينكم اي
لا تختلف فيها الكتب السماوية ويرتفع الاهواء المختلفة باعتقاده
على وجه الانصاف ثم بين الكلمة بقوله الا نعبد اي لا نوحد الا الله
ولا نشرك به شيئا من خلقه ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
اي لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع احبارنا فيما
احدثوه من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله فان تولوا
اي ان اعرضوا عن هذا التوحيد فقولوا انتم لهم اشهدوا اي اعلموا
بانا مسلمون اي مخلصون لله بالتوحيد والعبادة ثم قال الله
يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون اي تخاصمون في ابراهيم
اي في دينه زاعمين انه على دينكم وما انزلت التورية والانجيل الا من
بعده وانتم سميتم باليهودية والنصرانية بعد نزول الكتابين افلا تعقلون
اي تدركون بطلان قولكم فتجادلون بالجدال المحال لان بين ابراهيم و
موسى الف سنة وبين موسى وعيسى الفي سنة فكيف يكون ابراهيم
على دين لم تحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة ها انتم مبتداء
وها للتنبيه هؤلاء خبره اي انتم هؤلاء الاشخاص حاججتم اي جادلتم
فيما لكم به علم من امر موسى وعيسى لانه ثابت في كتابكم من التورية
والانجيل فلم تحاجون اى تجادلون فيما ليس لكم به علم من امر ابراهيم
وليس ذكره في كتابكم لانه قبلكم والله يعلم ان ابراهيم كان على دين
الاسلام وانتم لا تعلمون ذلك ثم نزه ابراهيم عن اليهودية والنصرانية
بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان اي ابراهيم حنيفا
اي مقبلا الى الله مسلما اي مخلصا في دينه والحنفاء الميل الى الشيء
والاقامة عليه واكد ذلك بقوله وما كان من المشركين كما لم يكن منكم
في الدين ثم قال ان اولى الناس بابراهيم اي احقهم بدينه واقربهم
منه للذين اتبعوه اي اقتدوا به في زمانه وبعده وهذا ابعادهم عنه

فيه

تعالي
هيم

والباء في ابراهيم يتعلق باولى وخبر ان للذين قوله وهذا النبي اي محمد عم
عطف على الذين والذين آمنوا بمحمد عم من هذه الامة عطف على النبي
يعني محمدا ايضا واتباعه المؤمنون اولى بابراهيم لانهم على دينه
والله ولي المؤمنين اي ناصرهم ومحبهم قوله ودت طائفة من اهل
الكتاب نزل حين دعا اليهود معاذا وعمارا وحذيفة الى دينهم اي
ارادت وتمنت جماعة من اهل الكتاب لو يضلونكم اي ان يصرفوكم
عن دين الاسلام الى دين الكفر وما يضلون الا انفسهم اي وما
يعود وبال الاضلال الا عليهم فوق عذاب كفرهم او ما يصرفون عن
الاسلام الا امثالهم وما يشعرون بذلك ثم قال يا اهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله اي القرآن وبيان نعت محمد عم وانتم تشهدون اي
تعلمون ان نعته في كتابكم من التورية والانجيل لانهم كانوا يخبرون
بنعته قبل البعثة ثم قال يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل
اي الايمان بالكفر وتخلطون الاسلام باليهودية والنصرانية وتكتمون
الحق وهو نعت محمد عم اي تسترونه وانتم تعلمون انه حق ثابت
في كتابكم قوله وقالت طائفة من اهل الكتاب نزل حين صرفت
القبلة الى الكعبة وقال كعب بن الاشرف لاصحابه من اليهود آمنوا اي
اظهروا الايمان بالذي انزل من القرآن على الذين آمنوا يعني بالصلوة
الى الكعبة وصلوا اليها وجه النهار اي في اول النهار واكفروا آخره
اي ثم اكفروا به وصلوا الى الصخرة في آخر النهار لعلهم يرجعون اى لعل
المسلمين يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيشكون فيه ثم يرجعون
عن دينهم بفعلكم وقيل تواطئت الجماعة من اليهود وهم اثنى عشر من احبار
خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد عم اول النهار من غير
اعتقاد به واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتابنا فما وجدنا نعته
فظهر لنا بطلان دينه فحينئذ يشك اصحابه في دينهم فيرجعون عنه
بعد ما دخلوا فيه قوله ولا تؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على الامر وهو
آمنوا فيكون مقولا لقوله وقالت طائفة وان يكون الواو فيه للا
ستيناف فهو مقول قول مقدر اي وقالت طائفة منهم للسفلة
لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اي الا لمن وافق دينكم لا لمن تبع محمدا عم
واسلم وقيل معناه لا تظهروا هذا الايمان وهو ايمانهم وجه النهار

لو يعني ان
قاضي

احبارهم

الا لمن كان تابعًا لدينكم واسلم بمحمد عم فان رجوعه من دين محمد
الي دينكم ارجى من رجوع من سواه من المسلمين وهذا كيد منهم
في صرف المسلمين من الدين ثم قال **قل ان الهدى هدى الله** اي قل
للشركاء وللرؤساء من اليهود ان الهداية والتوفيق من الله تعالى
يلطف لمن يشاء فيسلم او يثبته علي الاسلام فلا يضره كيدكم و
حيلكم وقوله **ان يؤتي احد** علة بتقدير اللام لفعل محذوف اي قلتم
ذلك القول الخبيث من الحسد ودبرتم الكيد لان يعطي احد **مثل ما اوتيتم**
من فضل الكتاب والعلم لا لشيء آخر يعني ما بكم من الحسد صار داعيًا لكم
الي ان قلتم ما قلتم قوله **او يحاجوكم** عطف علي ان يؤتي فضمير الجمع
عائد الي احد لانه في معنى الجمع اي دبرتم ما دبرتم لذلك ولان يحاجوكم
اي المسلمون عند كفركم بما يؤتي احد من الكتاب مثل كتابكم **عند ربكم**
يوم القيمة فيغلبوكم بالحجة وقيل يجوز ان يكون قوله ولا تؤمنوا
متعلقًا بقوله ان يؤتي احد وما بينهما اعتراضًا لدفع اعتقادهم
الباطل اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتي احد مثل ما اوتيتم الا لاهل
دينكم دون غيرهم يعني لا تفشوه الي المسلمين لئلا يزيدهم ثباتًا
في دينهم ولا الي المشركين لئلا يدعوهم قولكم هذا الي الاسلام او
يحاجوكم اي ولا تؤمنوا الا لاهل دينكم لا لغيرهم مخافة ان المسلمين
يخاصمونكم بالحق ويغالبونكم عند الله يوم القيمة وقيل معناه لا
تعترفوا بان يؤتي احد مثل ما اوتيتم من الكتاب والعلم فيشرف عليكم
في الدنيا او يحاجوكم عند ربكم في الآخرة فيغلبكم الا لمن تبع دينكم
بزيادة اللام في لمن والا استثناء من احد وكره البعض ذلك لما فيه
من تقديم المستثنى منه قلت فيه مانع آخر وهو ان ما في حيز ان لا تتقدم
عليها ثم اكد كون الهدى من الله بقوله **قل ان الفضل** اي الهدى
والتوفيق وايتاؤه العلم والكتاب **بيد الله** اي بقدرته ومشيته
يؤتيه من يشاء من عباده **والله واسع** اي كثير الفضل **عليم** بمن
هو اهله **يختص برحمته** اي نبوته او دينه **من يشاء** فيعطيه
والله ذو الفضل العظيم اي ذو المن الجزيل لمن اختصه بدين الاسلام
ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده بسكون الهاء اجراء
للوصل مجرى الوقف وبسكون الهاء اكتفاء بالكسرة عن الياء وبالياء علي

الاصل ومن مبتداء وخبره من اهل الكتاب اي منهم من ان تعطه
امانة في حفظ قنطار من ذهب او فضة **يؤده اليك** من غير جحد ونقص
وهو عبد الله بن سلام استودعه رجل الفا ومأتي اوقية ذهبًا فاداه
اليه فمدحه الله تعالى لذلك فباء في بقنطار بمعنى في او علي **ومنهم من ان
تأمنه بدينار لا يؤده اليك** وهو كعب بن الاشرف استودعه رجل من
قريش دينارًا فلم يؤده وجحده فذمه تعالى وقيل هو فنحاص بن عازورا
قوله **الا ما دمت** ما فيه مصدرية نصب علي الحال او ظرف اي لا يؤده حال
مدة دوامك او مدة دوامك باصحاب الحق **عليه قائما** تطالبه بالالحاح **ذلك**
اي ترك الاداء **بانهم** اي بسبب ان اهل الكتاب الخائنين **قالوا ليس علينا
في الاميين** اي في مال العرب **سبيل** اي اثم فانهم كانوا يستحلون مال
من كان علي خلاف دينهم **ويقولون علي الله الكذب** من ان ذلك حلال
في التورية **وهم يعلمون** بكذبهم لان الله تعالى امرهم فيها باداء الامانة
الي اهلها فقال تعالى **بلى** ايجاب لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى
عليهم سبيل منهم ثم استأنف وقال بالشرط **من اوفى بعهده** اي من اتم بعهده
الوافي او بعهد الله الذي عهده اليهم في التورية واخذ ميثاقهم عليه من
الايمان بمحمد عم واداء الامانة **واتقى** اي الشرك والخيانة وجواب الشرط **فان
الله يحب المتقين** عن الغدر والخيانة ونقض العهد اي فان الله يحبه
فقام عموم المتقين مقام الضمير الراجع من الجزاء الي من قوله **ان الذين يشترون
بعهد الله** نزل حين ادعى رجل علي صحابي حقًا فاراد المدعى عليه ان
يحلف بالله كذبًا ليأخذ مال ذلك الرجل او نزل حين حرف اليهود نعت محمد
وعهد الله الذي عهده اليهم في التورية وكتبوا منها غيرهما لاجل منافع
الدنيا اي ان الذين يستبدلون بعهد الله اليهم في اداء الامانة وايفاء
العهد **وايمانهم** الكاذبة **ثمنا قليلا** اي عرضًا يسيرًا من حطام الدنيا **اولئك
لا خلاق** اي لا نصيب **لهم في الآخرة** ونعيمها **ولا يكلمهم الله** غضبًا عليهم
ولا ينظر اليهم يوم القيمة بنظر الرحمة والاحسان تزيد نفي اعتداده بهم
وهو مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم **ولا يزكيهم** اي لا يطهرهم
من الذنوب **ولهم عذاب اليم** اي وجيع دائم **وان منهم** اي من اليهود
لفريقا اي لطائفة كمالك بن الضيف وكعب بن الاشرف وحيي بن اخطب **يلوون**
اي يميلون ويحرفون **السنتهم بالكتاب** اي فيه والمراد تحريفهم الكتاب

بالسنتهم في التلاوة او في التاويل على خلاف ما في الكتاب وبالكتابة وهو
التورية كاية الرجم ونعت محمد عم وغيرهما لتحسبوه اي لتظنوا المحرف من الكتاب
اي من التورية وما هو من الكتاب اي والحال انه ليس المحرف من الكتاب الذي انزل
من الله ويقولون هو من عند الله اي بما انزله الله تعالى وما هو من عند الله
اي والحال انه ليس مما انزله الله ثم اكذبهم بقوله ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون انهم كاذبون في ذلك قوله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
نزل حين جاء رجل من النصارى وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد
ان نعبدك ونتخذك ربا كعيسى او قال المسلمون انسلم عليك كما يسلم
بعضنا على بعض او نسجد لك فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر
بعبادة غير الله اي ما جاز للبشر ان يعطيه الله الكتاب كالتورية والانجيل
والقرآن والحكم والنبوة اي الفهم عن الله بما امر ونهى والعمل بالشريعة ثم يقول
بالرفع على الاستيناف والنصب للعطف على يؤتيه اي ثم يأمر للناس بقوله
كونوا عبادا لي من دون الله ولكن يقول لهم كونوا ربانيين اي علماء
بالله او متعبدين له او معلمين الخير جمع رباني منسوب الرب تعالى والالف
والنون زائدتان فيه ومعناه البليغ في طاعة ربه او مربي العلماء بصغار
العلم كباره او عاملين لله بما كنتم تعلمون بالتشديد اي بسبب كونكم
دارسين الكتاب غيركم وبالتخفيف اي تعلمون انتم وبما كنتم تدرسون
اي تقرؤنه وتعلمون به قيل اذا لم يعمل العالم بعلمه فهو والجاهل سواء
وقيل من علم العلم ودرسه ولم يعمل به فليس من الله في شيء وانما
ينسب العالم الى الله تعالى بطاعته لا بعلمه ولا يأمركم بالرفع على الاستيناف
اي لا يأمركم الله وبالنصب على العطف على يؤتيه او على يقول بتقدير
ان ولا زائدة لتاكيد النفي اي ولا ان يأمركم الرسول ان تتخذوا اي قريش
وغيرهم الملائكة بقولهم انها بنات الله والنبيين كعيسى وعزير
اربابا اي معبودين كاتخاذ اليهود والنصارى اياهما معبودين قوله
أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون انكار عليهم بالهمزة من عبادة غير الله
والسجدة له اي ايأمركم بعبادة الملائكة والسجدة للانبياء بعد كونكم مخلصين
بالتوحيد لله فانه لو امركم بذلك لكفر ونزع منه النبوة والايمان قوله واذ
اخذ الله ميثاق النبيين فيه حث للرسول عم ان يأمرهم بما في كتاب الله
من معرفته ومعرفة احكامه ولامته ان يؤمنوا بما يقول لهم من الامر والنهي

ويتبعوا

ويتبعوا دينه وينصروه ولا يخالفوا عن امره اي واذكر يا محمد وقت اخذ الله
ميثاق الانبياء واممهم وعهدهم في يوم الميثاق حين اخرجهم من صلب ادم
ان يبلغ الاول الاخر وان يصدق الاخر الاول قوله لما بكسر اللام حرف جر يتعلق
باخذ وما بمعنى الذي اي للذي اتيتكم وبفتح اللام للابتداء والتوكيد بمعنى القسم
لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وسيأتي جواب القسم وما بمعنى الذي ايضا
والعائد اليه محذوف للذي اتيتكموه وقرئ مفردا وجمعا اتيناكم تعظيما لله تعالى
والمعنى على كون اللام للجر اخذ الله ميثاقهم وميثاقكم من قبيل الاكتفاء لاجل
الذي اعطيتكموه من كتاب وحكمة وهي بيان احكام الحلال والحرام والحدود
ثم جاءكم رسول عطف على اتيتكم بتاويل المصدرين ليكون عطف المفرد
على المفرد على ان ما مصدرية والعائد من هذا المعطوف محذوف وهو به بقرينة
قوله لتؤمنن به بعده او عطف عليه على ان ما موصولة ولا حاجة الى العائد
لان قوله لما معكم بمعنى له فكانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق
له والاوجه ما مصدرية واللام للتعليل فيكون المعنى اخذت ميثاق الانبياء
لاجل ايتائي كتابا لكم من حكمة ولمجيء الرسول به اياكم يا اهل الكتاب وهو محمد
فانه رسول مني لكم مصدق لما معكم وهو التورية والانجيل قوله لتؤ
منن به جواب القسم اي لتصدقنه اذا بعث اليكم نبيا ولتنصرنه على
اعدائه لاظهار دين الحق اذا دعاكم اليه ثم قال الله تعالى لهم في ذلك الوقت
بالاستفهام لتثبيت الاقرار منهم ءاقررتم بذلك الميثاق بتصديقه ونصرته
اذا خرج واخذتم اي اقبلتم على ذلكم الميثاق اصري اي عهدي الذي
عقدته عليكم في شأن محمد عم واصل الاصر الثقل سمي به العهد لانه
ثقل على صاحبه من حيث انه يمنع عن مخالفته اياه قالوا اي اهل الكتاب
اقررنا على ذلك قال الله تعالى للملائكة او لاهل الكتاب فاشهدوا
اي فليشهد بعضكم على بعض باني قد اخذت عليكم العهد وانا معكم
من الشاهدين على اقراركم بذلك وشهادتكم به وهذا توكيد عليهم
وتهديد لهم عن الرجوع فمن تولى اي اعرض بعد ذلك اي بعد الاقرار
والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن الايمان بالله
وطاعته بنقض العهد ثم قال بهمزة الانكار لهم أفغير دين الله اي
ايتولون فغير دين الله يبغون بالياء والتاء اي يطلبون وله
اسلم اي به اخلص وانقاد من في السموات والارض اي اهلهما

طوعًا اي بلا اباءٍ وَكَرهًا اي باباء يعني سجد له اهل السماء طوعا وسجد
اهل الارض بعضهم طوعًا وبعضهم كرهًا كالمنافقين وقيل خضع له من
وُلِدَ في الاسلام طوعًا بالنظر في الادلة وبلا انضاف من نفسه ومن
ابي اجبر حتي ادخل في الاسلام كرهًا او قتل وَاِلَيهِ تُرجَعُونَ بالياء و
التاء اي يصيرون في الآخرة فلا يقدرون علي الاباء ثم قال تع للنبي عم
قُل آمَنَّا اي قل لاهل الكتاب ان لم يؤمنوا آمنتُ انا والمؤمنون بِاللهِ
وانبيائه وَمَا اُنزِلَ عَلَينَا من القرآن وعُدِّيَ انزل هنا بحرف علي وفي
البقرة بحرف الي لوجود معني الاستعلاء والانتهاء جميعًا في الانزال
لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الانبياء فجاء باحد المعنيين تارة و
بالآخر اخري وَمَا اُنزِلَ عَلَي اِبرَاهِيمَ من صحفه العشرة وَعَلَي اِسمَاعِيلَ وَاِسحٰقَ
وَيَعقُوبَ وَالاَسبَاطِ وهم اولاد يعقوب من الانبياء وَمَا اُوتِيَ اي
وما اعطي مُوسَي من التورية وَعِيسَي من الانجيل وَالنَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِم
لَا نُفَرِّقُ بَينَ اَحَدٍ مِنهُم في النبوة كما يفرق اهل الكتاب فيكفرون ببعض
ويؤمنون ببعض وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ اي مخلصون بالتوحيد والطاعة
قوله وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الاِسلَامِ دِينًا نزل في شان حارث بن سويد واصحابه
من المرتدين وكانوا عشرة او اثني عشر رجلًا رجعوا عن الاسلام في المدينة
ولحقوا بمكة ومن يطلب سوي دين الاسلام دينًا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وَهُوَ
فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ اي المغبونين لانه اختار منزلة النار بدل منزلة
الجنة ثم قال كَيفَ يَهدِي اللهُ قَومًا كَفَرُوا بَعدَ اِيمَانِهِم اي كيف يلطف بهم
وليسوا من اهل اللطف لعلمه تصميمهم علي كفرهم لرجوعهم عن الايمان
قوله وَشَهِدُوا نصب علي الحال من كفروا باضمار قد اي والحال انهم قد
شهدوا اَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ اي صادق فيما يقول وَجَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ اي الشواهد
من القرآن علي صدقه وَاللهُ لَا يَهدِي اي لا يلطف القَومَ الظَّالِمِينَ اي
المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم وهذا القول فيمن اقام علي
كفره ودام علي ظلمه مصرًّا ليس له قصد الرجوع الي الاسلام في قلبه وسره
اُولٰئِكَ جَزَاؤُهُم مبتداء والخبر اَنَّ عَلَيهِم لَعنَةَ اللهِ اي سخطه وطرده
من رحمته وَلعنة المَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ اَجمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا اي في اللعنة
وهي العقوبة بالنار لَا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ اي لا يهون عليهم ساعة
وَلَا هُم يُنظَرُونَ اي يمهلون ثم استثني التائبين من الكفر والمعصية بقوله

هد

كتب انبياء كرامه نازل اولان
وصحف بيانه اولنور ١٠٤

حضرت آدم عم
١٠

حضرت شيث عم
٥٠

حضرت ادريس عم
٣٠

حضرت ابراهيم عم
١٠

حضرت داود عم
زبور شريف

حضرت موسي عم
تورية شريف

حضرت عيسي عم
انجيل شريف

محمد مصطفي عليه السلام
قرآن عظيم الشان

اِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعدِ ذٰلِكَ اي بعد الكفر والمعصية وَاَصلَحُوا اي دخلوا
في الصلاح بالتوبة والعمل الصالح فَاِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ بعد التوبة والاصلاح
ونزل في طائفة اليهود الذين آمنوا بمحمد عم قبل البعثة لما راوا صفته عم
في كتابهم ثم ارتدوا اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بمحمد عم بَعدَ اِيمَانِهِم بصفته ثُمَّ
ازدَادُوا كُفرًا باصرارهم علي ذلك بعد دعوتهم الي الايمان به او الذين
كفروا بعيسي بعد ايمانهم بموسي ثم ازدادوا كفرًا بمحمد عم لَن تُقبَلَ تَوبَتُهُم
عن الكفر في مرض موتهم وَاُولٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ عن طريق الهدي فماتوا
علي كفرهم كانهم لم يتوبوا عنه ثم نزل فيمن اقاموا علي كفرهم وماتوا عليه
اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُم كُفَّارٌ سوا دخل الفاء في فَلَن يُقبَلَ ليدل
علي معني الجزاء للشرط الذي تضمنه الموصول ويؤذن بان سبب امتناع
التوبة هو الموت علي الكفر اي لن يقبل مِن اَحَدِهِم فدية مِلءُ الاَرضِ ذَهَبًا
اي ما يملأها من شرقها الي غربها وقيل وزن الارض ذهبًا نصبه علي
التمييز قوله وَلَوِ افتَدَي بِهِ اي بملء الارض ذهبًا تعلقه بما قبله بالحمل علي
المعني كانه قيل لن يقبل من احدهم فدية ولو افتدي بملء الارض ذهبًا ويجوز
ان يراد ولو افتدي بمثله بتقدير المثل وهو كثير في كلامهم نحو ضربته ضرب
زيد اي مثل ضربه قيل اذا راي الكافر النار يوم القيمة تمني لو كان له ملء الارض
ذهبا وقدرة علي ان يفتدي به نفسه من العذاب لافتدي به ولو افتدي به
ما يقبل منه اُولٰئِكَ اي اهل هذه الصفة لَهُم عَذَابٌ اَلِيمٌ اي مولم وَمَا لَهُم
مِن نَاصِرِينَ اي مانعون من عذابه قوله لَن تَنَالُوا البِرَّ اي لن تبلغوا حقيقة
البر يعني ثوابه وهو الجنة وكل اعمال الخير بر حَتّٰي تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ اي حتي
تتصدقوا من اموالكم التي تحبونها ومن فيه للتبعيض نزل حين جاء ابو
طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي اِلَيَّ بيرحا اسم ضيعة لي فضعها في
سبيل الله فقال عم اني اري ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول
الله حيث اراد الله فقسمها في اقاربه قيل هذا منسوخ باية الزكوة وقيل
المراد اخراج الزكوة عن طيبة النفس وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيءٍ اي اي شيء كان من
طيب تحبونه او من خبيث تكرهونه فَاِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ لا يخفي عليه شيء
فيجازيكم به قيل معناه لا وصول الى المطلوب الا باخراج المحبوب ولذلك
كانت الصحابة اذا احبوا الا من اموالهم انفقوه في سبيل الله قوله
كُلُّ الطَّعَامِ اي كل انواع الطعام كَانَ حِلًّا لِبَنِي اِسرَائِيلَ نزل حين قالت

الكافر

طلحة

اليهود حرمنا على انفسنا لحوم الابل والبانها لان يعقوب حرمها على نفسه
ونزل تحريمها في التورية فقال تع **كل الطعام** هو حلال لامتكم كما كان
حلا لبني اسرائيل سوى الميتة والدم ولحم الخنزير قوله **الا ما حرم اسرائيل**
اي يعقوب **على نفسه** نصب على الاستثناء من انواع الطعام
فانه لم يكن حلالا لهم وحل لامتكم والمراد منه لحوم الابل والبانها وانما
حرمها على نفسه لما اصابه عرق النساء وقال الاطباء له اجتنب
لحوم الابل والبانها فحرمها على نفسه وذلك ايضا باذن من الله فكان
تحريم الله ابتداء وقيل نذر ان يحرم احب الطعام اليه ان يشفي منه
فيشفي فلم ياكله اولاده اتباعا له او قال ان شفاني الله لا اكله ولذلك
تحرم عليهم **من قبل ان تنزل التورية** اي الذي حرم عليهم بعد ابراهيم
هو المحرم قبل نزول التورية بسبب بغيهم وظلمهم لقوله فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم الآية وليس بتحريم قديم كما يدعونه فان
جحدوا ذلك **قل فاتوا بالتورية فاتلوها** ليظهر صدقكم **ان كنتم صا**
فيما تزعمون فابوا من اتيانها لما بهتوا وعرفوا انه حق بالوحي وما
قالوه افتراء على الله فقال تع **فمن افترى على الله** اى اختلق عليه
الكذب من بعد ذلك اي بعد لزوم الحجة القاطعة **فاولئك هم الظا**
اى الذين لا ينصفون انفسهم بسبب المكابرة والعناد ثم امر نبيه
تعريضا بكذبهم فقال **قل صدق الله** ان تحريمه ليس في التورية **فاتبعوا**
ملة ابراهيم اي ملة الاسلام **حنيفا** اي مخلصا في اسلامه مستقيما
في سبيله **وما كان من المشركين** اي على دينهم فكلوا لحم الابل والبانها
كما اكل ابراهيم ولا تحرموا على انفسكم شيئا باهوائكم التي افسدت
دينكم ودنياكم بتحريف كتاب الله تع لتسوية اغراضكم لان يكون
التحريم قديما والتورية ناطق بانه تحريم حادث بسبب ظلمكم وتحريم
الطيبات التي احلها الله لابراهيم ولمن تبعه وصلوا الى بيت الله
الذي بناه ابراهيم بالوحي وفيه ايات كثيرة تدل على نبوة ابراهيم
وصحة دينه لقوله تع **ان اول بيت وضع للناس** مجهولا والواضع
هو الله تع قيل نزل حين قالت اليهود قبلتنا بيت المقدس قبل قبلتكم
فهو احق بالصلوة اليه فرد الله تع قولهم بذلك وروي ان الملائكة بنته
ولما حج ادم ع م قالت له بر حجك يا ادم فقد حججناه قبلك بالفي عام وقال

النبي ع م ان المسجد الحرام وضع قبل الاقصى باربعين سنة وقيل هو اول
متعبد في الارض وقيل اول من بناه ادم وقيل اول من بناه ابراهيم
ثم بناه قوم من العرب في اليمن من اجداد اسمعيل ع م ثم بناه قوم من
اولاد عمليق بن لاوذ ثم بناه قريش وخبرات قوله **للذي ببكة** اي بمكة و
الباء تبدل من الميم يقال سبدته وسمدته اذا استأصلته من البك
وهو الازدحام وسمي بها لان الناس يزدحم بعضهم بعضا وقيل بكة موضع
البيت ومكة البلد حوله **مباركا** حال من ضمير وضع اي كثير الخير للناس
لحصول الثواب لهم بالطواف والصلوة والعكوف عنده ومغفرة لذنوبهم
وهدى للعالمين عطف على الحال اي حال كونه سببا لهدايتهم لانه
قبلتهم يصلون اليها لاجل عبادة الله تع **فيه آيات بينات**
اي علامات واضحات قوله **مقام ابراهيم** عطف بيان لقوله ايات
بينات وهو مفرد في معنى الجمع لما فيه من ظهور شان ابراهيم من تاثير
قدمه في حجر صلد وظهور نبوته وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ولان
الاية بعض الحجر دون البعض اية وابقاؤه دون سائر الانبياء عليهم السلام
اية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من الكفار الوف سنين
اية فيكون مقام ابراهيم مشتملا على الايات **ومن دخله** اي حرم البيت
كان آمنا كقوله تع اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من
حولهم والامن ايضا عطف بيان للآيات كمقام ابراهيم من حيث المعنى
تقديره مقام ابراهيم وامن داخله يعني من دخل فيه لا يهاج منه اذا
وجب عليه القتل خارج الحرم فلذلك لا يقتص من الجاني في الحرم عند ابي حنيفة
رحمه الله تع اذا التجاء اليه وقيل آمنا من النار وقال النبي ع م من مات
في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وقال ع م الحجون والبقيع يؤخذ
باطرافهما وينثران في الجنة وقال ع م من صبر على حر مكة ساعة من نهار
تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام ثم بين فرضية الحج بقوله **ولله**
على الناس حج البيت بكسر الحاء وبالفتح بمعنى القصد اي استقر لله عليهم
فرض حج بيته قوله **من استطاع اليه سبيلا** بدل البعض من الناس
اي فرض الحج على من استطاع الى البيت سبيل الذهاب والرجوع والا
ستطاعة الزاد والراحلة ونفقة العيال بقدرهما مع التمكن واوجبه
مالك على الفقير القادر على المشي **ومن كفر** اي ومن ترك الحج بعد الوجوب

عمدًا او لم يرى الحج واجبًا فان الله غني عن العالمين اي عن حج و
عمن لم يحج وفيه تغليظ على تارك الحج قال ع‍م من امكنه الحج فلم يحج فليمت
ان شاء يهوديًا او نصرانيًا قيل انهما خصهما بالذكر لان الحج لم يكن
مفروضًا عليهما ثم امر نبيه ع‍م بان يقول لجاحد الحج بقوله قل يا اهل
الكتاب من اليهود والنصارى لم تكفرون اي لم تجحدون بآيات
الله اي بالقرآن والحج ونعت محمد ع‍م والله شهيد على ما تعملون
من الجحود بها والواو فيه للحال اي والحال ان الله شهيد على اعمالكم
فيجازيكم عليها قل يا اهل الكتاب لم تصدون اي تصرفون بتغييركم
صفة محمد صلى الله عليه وسلم عن سبيل الله اي دين الله دين
الاسلام والحج من آمن اي صدق بالاسلام والحج ليرتابوا في نبوته
فمن مفعول تصدون ومحل تبغونها حال اي تطلبون السبيل عوجًا
اي ميلًا عن الاستقامة بتلبيسكم اياها على الناس حتى توهموهم
ان فيها عوجًا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول
الله ع‍م عن وجهها وانتم شهداء بانها مستقيمة لعلمكم في التورية
ان محمدًا ع‍م صادق في دعوات النبوة وما الله بغافل عما تعملون
من كتمان صفته وتغييرها بصفة اخرى قيل العوج بكسر العين يطلق
على ما لا ينتصب قايمًا كالدين والقول والارض وبفتح العين فيما ينتصب
قايمًا كالرمح والحائط قوله يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقًا
نزل حين كان الكفار من اليهود يدعون بعض المؤمنين الى دينهم
اي ان تطيعوا طائفة من الذين اوتوا الكتاب وهم رؤساء
اليهود يردوكم بعد ايمانكم كافرين نصب على الحال من كم لانهم يريدون
كفركم ثم قال مستفهمًا توبيخًا وتعجيبًا وكيف تكفرون اي تجحدون توحيد
نبية الله تعالى وبمحمد ع‍م والقرآن وانتم تتلى عليكم آيات الله على
لسان رسوله بالوحي غضة طرية مع ما فيها من الحكم والبينات وفيكم رسوله
اي بين اظهركم نبيه ينبهكم ويعظكم قيل يجوز ان يكون هذا خطابًا للصحابة
خاصة لانهم يشاهدونه وان يكون لجميع الامة لان آثاره والقرآن
الذي اتى به فيهم فكأن الرسول حاضر لديهم وان لم يشاهدوه
ومن يعتصم بالله اي ومن يلتجي اليه او يتمسك بدينه فقد هدي اي
وفق وارشد الى صراط مستقيم يوصل سالكه الى الجنة قوله يا ايها

الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته اي حق خوفه بان يطاع فلا يعصى طرفة
عين وان يشكر على نعمه ولا يكفر وان يذكر ولا ينسى نزل حين تفاخر الانصار
من الاوس والخزرج وكان الغلبة للاوس فاخذوا السلاح ليقاتلوا مع الخزرج
ثم قالوا يا رسول الله من يقوى على هذا الحكم فنزل قوله فاتقوا الله
ما استطعتم فنسخ ذلك ثم نهاهم عن مفارقة الاسلام بقوله ولا تموتن
الا وانتم مسلمون اي كونوا ثابتين على دين الاسلام بحال يلحقكم الموت وانتم
على الاسلام ثم اكده بقوله واعتصموا بحبل الله اي تمسكوا بدينه او
بالقرآن جميعًا ولا تفرقوا اي لا تختلفوا في الدين بعد الاسلام كاختلاف اليهود
والنصارى ثم ذكر نعمته التي انعمها عليهم بتبديل العداوة السابقة الطويلة
بالالفة والمحبة بسبب الاسلام واتباع الرسول لانتقاله من مكة اليهم منة
عليهم بقوله واذكروا نعمة الله اي انعامه عليكم ايها الانصار اذ كنتم اعداء
قبل الاسلام فالف اي جمع بين قلوبكم بالاسلام تودّدًا فاصبحتم اي
فصرتم بنعمته اخوانًا في الدين وكنتم على شفا حفرة اي على حرف حفرة
في الجاهلية من النار لو متم على ما كنتم عليه لوقعتم في النار فانقذكم
اي نجاكم بالاسلام واتباع النبي ع‍م منها اي من النار في الحفرة وشفة الشيء
وشفاه جانبه كذلك اي مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته من
الامر والنهي لعلكم تهتدون اي لكي تنجوا من الضلالة وتعرفوا الحق بهذه
النعمة ثم امر الله للناس بالامر بالمعروف وبالنهي عن المنكر فقال تاكيدًا
بلام الامر ولتكن منكم امة اي لتقم منكم جماعة يدعون الى الخير
اي الى جميع الخيرات من الاسلام وغيره والدعاء الى الخير عام في الا
فعال والتروك ثم عطف عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله ويامرون
بالمعروف وهو الاقتداء بالنبي ع‍م وقيل كل ما يحسن في الشرع وينهون
عن المنكر وهو العمل المخالف للشرع ايذانًا بفضلهما على ساير افراده
وانما اورد من التبعيضية لانه لا يصلح كل احد للامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وانما يصلح لذلك من علم المعروف والمنكر وعلم كيفية ترتيب
الامر والمباشرة فان الجاهل ربما عكس او تغلظ في مقام اللين او تلين
في مقام التغليظ وربما ينكر على من يزيده انكاره تماديًا في الشر وربما
عرف مذهبه وجهل مذهب غيره فانكره فيكون عبثًا وقيل من فيه
للبيان اي كونوا امة تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب

ذلك على كل واحد على سبيل فرض الكفاية حتى على الفاسق عند البعض
لقوله عم من راى منكم منكرًا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه اي فليكرهه بقلبه وذلك اضعف الايمان اي
اضعف افعال اهل الايمان وقيل هذا محمول على انه يجب على الامراء
باليد وعلى العلماء باللسان وعلى العوام بالقلب وقد اجمعوا على ان
من راى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لان قبحه معلوم
لكل احد من اهل الاسلام روي عن بعض الصحابة ان الرجل اذا لم يستطع
الانكار على منكر راه فليقل ثلث مرات اللهم ان هذا منكر فاذا قال ذلك
فقد فعل ما عليه قيل شرط الوجوب ان يغلب على ظنه وقوع المعصية
بظهور امارتها كاعداد الالات بشرب الخمر وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر
لحقته مضرة عظيمة وان يبتدي بالاسهل فان لم ينفع فبالاصعب وينهى
الصبي والمجنون اذا هما بضرر غيره وينهى الصبي عن المحرمات حتى لا
يتعود بهما **واولئك هم المفلحون** اي اهل هذه الصفة هم المختصون
بالفلاح يوم القيمة روي عن النبي عم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس
قال امرهم بالمعروف وانهيهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم **ولا
تكونوا كالذين تفرقوا** في الدين كاليهودي والنصارى او كالمبتدعين من
هذه الامة **واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات** الموجبة للاتفاق
على كلمة الحق **واولئك لهم عذاب عظيم** لا يرفع عنهم ابدا **يوم تبيض وجوه**
نصب بالظرف وهو لهم او باضمار الفعل اي اذكر يوم تكون في وجوه المؤمنين
مبيضة بالايمان والثبات عليه كوجوه المهاجرين والانصار **وتسود
وجوه** اي تكون وجوه الكافرين مسودة بالكفر والارتداد عن الايمان
كوجوه بني قريظة والنضير والبياض من النور للحق والسواد من الظلمة
للمبطل قيل من كان من اهل الحق وسم وجهه بياض اللون في المحشر
ببياض صحيفته سرورا اذا قراها ومن كان من اهل الباطل وسم وجهه
بسواد اللون وكسوفه فيه بسواد صحيفته خزاية اذا راها وقدم
تبيض على تسود ثم قدم حكم تسود على حكم تبيض لرعاية لطف الكلام
بكون اوله وآخره مما يوجب انشراح الصدر للمستمع فقال مستانفا جوابا
سؤال مقدر وهو كيف يكون حالهم فيه **فاما الذين اسودت وجوههم**
فيقال لهم **اكفرتم** بالاستفهام توبيخا **بعد ايمانكم** يوم الميثاق بقولكم بلى

اوهم

او هم المنافقون باظهار الايمان وابطال الكفر **فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون** بالقرآن ومحمد عم **واما الذين ابيضت وجوههم** بالايمان
ففي رحمة الله اى جنته التي تنال برحمته **هم فيها خالدون** اي دائمون
في نعيمها **تلك آيات الله** اى آيات القرآن الواردة في الوعد والوعيد
نتلوها اي نقرأها **عليك بالحق** اى بالصدق والعدل من جزاء المحسن
والمسيء بما يستحقانه يعني نعرفك اياها بجبرئيل **وما الله يريد ظلما
للعالمين** اي لا يأخذ احدا بغير جرم ولا يزيد ولا ينقص من العقاب والثواب
ولله ما في السموات وما في الارض اي جميعه ملكه فاسئلوه من نعم
الدنيا والاخرة واعبدوه ولا تعبدوا غيره **والى الله ترجع الامور** اي
اليه تصير امور العباد في الاخرة خيرا كانت او شرا ثم اخبر عن حال المسلمين
بانهم خير اهل دين عند الله بالاسلام والوفاء به تعريضا للكفار وقال
كنتم خير امة اى انتم خير الامم عند الله او في اللوح المحفوظ بزيادة كان
او بمعنى وجد ثم او صرتم خير امة بالايمان بخبر الرسل او كنتم في الامم
قبلكم مذكورين بانكم خير امة **اخرجت** اي اظهرت **للناس** قوله
تامرون بالمعروف بيان لكونهم خير امة اي تامرون بشهادة ان
لا اله الا الله وهو اعظم معروف **وتنهون عن المنكر** اي تنهون
عن الشرك والتكذيب للحق كالبعث وهو انكر منكر وقيل المعروف
اقامة السنة والجماعة والمنكر اقامة البدعة والضلالة وقال عم
من امر بمعروف ونهى عن منكر فهو خليفة الله في الارض وخليفة
كتابه وخليفة رسوله قيل لا تامر بالمعروف حتى يكون فيك ثلث
خصال ان تصح نيتك وتعرف حجتك وتصبر على ما اصابك **وتؤمنون
بالله** اي وتثبتون على توحيده وعلى كل ما يجب الايمان به من رسول
وكتاب وبعث وعقاب وثواب وغير ذلك ومن انكر شيئا منها فهو
غير مؤمن بالله ويدل عليه قوله **ولو آمن اهل الكتاب** من اليهود
والنصارى بالرسول مع ايمانهم بالله **لكان** ذلك الايمان **خيرا لهم**
مما هم عليه من الكفر وحب الرياسة وحظوظ الدنيا ثم قال
على سبيل الاستطراد مدحا وذما **منهم المؤمنون** كعبد الله بن
سلام واصحابه ومن آمن منهم بالرسول **واكثرهم الفاسقون**
اي الخارجون عن طاعة الله ككعب بن الاشرف واصحابه ومن

والوفاء

قال انس رضه قلنا يا رسول الله لا نامر
بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر
حتى نجتنبه كله قال عم مروا بالمعروف وان
لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان
لم تجتنبوه كله ... على المنكر حتى
عن المنكر حتى لا يجتمع عليه اثمان
كذا في ... الانوار

لم يؤمن منهم به ثم انزل الله تعالى ايذاء اليهود من اهل الكتاب
المسلمين لمحمد عم تثبيتًا لمن اسلم منهم وتشجيعًا عليهم لن يضروكم
الا اذى اي ضرارًا بقول تتأذون به كسب ووعيد وليس لهم قوة القتال
معكم وان يقاتلوكم اي ان خرجوا الى قتالكم يولوكم الادبار اي يرجعوا
ويهربوا الى ادبارهم منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثم هم لا ينصرون
اي ثم لا يكون عون من احدهم ولا يمنعون منكم وهو وعد بالاستيناف
وثم للتراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار
بهربهم الى الادبار يعني انهم بعد توليهم الادبار لا ينصرون قاتلوا اولم
يقاتلوا وهو معطوف على جملة الشرط والجزاء ضربت عليهم الذلة اي
الزم عليهم القتل او الجزية اينما ثقفوا اي وجدوا الا بحبل من الله اي
بعهد منه وحبل من الناس اي بعهد من المسلمين فيؤدون اليهم الجزية
فان لم يكن لهم عهد قتلوا وباؤا اي رجعوا بغضب من الله وضربت
عليهم اي جعلت عليهم المسكنة اي ذي الافتقار قيل انهم يظهرون
من انفسهم الفقر لكي لا تضاعف عليهم الجزية ذلك اي ما ذكر كائن
بانهم اي بسبب انهم كانوا يكفرون بآيات الله اي بالقرآن ومحمد عم
ويقتلون الانبياء بغير حق اي يرضون بفعل آبائهم من القتل فكانهم
قتلوهم ذلك اي الكفر والقتل والغضب من الله بما عصوا الله تعالى
وكانوا يعتدون عن حدود الله والباء للسببية ثم قالت اليهود
عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه ما اسلم منا الا شرارنا فنزل
ليسوا سواء نافيًا للتسوية بينهم وتفضيلًا لمن آمن من اهل الكتاب على
من لم يؤمن اي ليس اهل الكتاب مستوين في الدرجة عند الله لان منهم
مصدقين بمحمد عم ومنهم مكذبين به قوله من اهل الكتاب امة قائمة جملة
مستانفة مبينة لجملة ليسوا سواء اي منهم جماعة مستقيمة بالايمان في
دين الله مهتدية عاملة بكتاب الله تعالى او دائمة في الصلوة وطاعة الله
يتلون آيات الله اي القرآن صفة ثانية لهم آناء الليل اي ساعاته
وهم يسجدون حال من الضمير في يتلون اي حال كونهم يصلون لله فيها
ثم وصفهم بخصايص اخرى ما كانت في اليهود فقال يؤمنون بالله و
اليوم الآخر اي هم يقرون بالبعث ويأمرون بالمعروف اي بالايمان بمحمد عم
واتباعه وينهون عن المنكر اي عن الكفر والمعصية ويسارعون

في

في الخيرات اي يبادرون بالاعمال الصالحة لرغبتهم في امتثال اوامر الله و
اولئك اي الموصوفون بتلك الصفات من الصالحين اي من جملة الذين صلحت
احوالهم عند الله واستحقوا ثناء الله عليهم وهم اصحاب محمد عم في الجنة
ثم خاطب المؤمنين تحريضًا على العمل الخير بقوله وما يفعلوا اي الذي تفعلون
من خير بالتاء خطابًا وبالياء غيبة فلن يكفروه اي لن تحرموا ثوابه في الكل
وبمعنى الحرمان عدي الكفر الى مفعولين قال عم البر لا يبلى والاثم لا ينسى
والديان لا يفنى يعني هو شكور يوفي جزاء اعمالكم للخير والله عليم بالمتقين
فيه بشارة لاهل التقوى بجزيل الثواب وهم مؤمنوا اهل الكتاب ومن
كان مثلهم في عمل الخير بالتقوى ثم بين حال من لم يؤمن من اهل الكتاب
بقوله ان الذين كفروا لن تغني اي لن تنفع عنهم اموالهم ولا اولادهم
اي الكثرة منهما من الله اي من عذابه في الآخرة شيئًا اي نفعًا ما له ردًا
لقولهم نحن اكثر اموالًا واولادًا وما نحن بمعذبين ثم قال واولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون اي معذبون دائمًا ونزل حين انفقوا في عداوة الله تعالى
ولم يسلفوا مرادهم مثل ما ينفقون اي صفة اهل الكتاب في هذه الحيوة
الدنيا من اموالهم في غير طاعة الله كالمفاخر والمكارم وحسن الذكر بين الناس
وعداوة اهل الاسلام كمثل ريح اي كصفة اهلاك ريح فيها صر اي برد
مهلك او حر اصابت حرث اي زرع قوم ظلموا انفسهم بالكفر او بمنع
حق الله فيه فاهلكته اي احرقته وافنته فلم ينتفعوا به شيئًا قيل
هو من باب التشبيه المركب وما ظلمهم اي اولئك المنفقين الله بعدم
قبول نفقاتهم ولكن انفسهم يظلمون بارتكاب عمل لم يستحقوا
به القبول ويجوز عود الضمير الى اصحاب الحرث اي وما ظلمهم باهلاك
حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ونزل
نهيًا للمسلمين عن مصادقة الكفار والمنافقين يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا بطانة اي صدقة وصفوة من دونكم اي من غير
جنسكم المؤمنين مأخوذ من بطانة الثوب لقربها من البدن اي لا
تقربوهم انفسكم بالصداقة والخلة فتطلعوهم على اسراركم ومحل
من دونكم نصب بانه صفة بطانة اي بطانة كائنة من دون ابناء
جنسكم مجاوزة لكم ثم اخبر عن سبب نهيه عن المواصلة بقوله لهم
لا يألونكم اي لا يقصرون لكم في اذاكم خبالًا اي فسادًا بالمكر والخديعة

اهل الكتاب

وهو نصب على التمييز ودّوا ما عنتّم اي ما اثمتم بركم والعنت المشقة يعني ارادان يضروكم في دينكم اشد الضرر قد بدت اي ظهرت البغضاء اي العداوة للمؤمنين والتكذيب لهم من افواههم لوقوع هولاء الكفار في المسلمين بحيث لا يتمالكون ضبط انفسهم فيخرج ما يكتمون به من اسرار المسلمين من افواههم ويطلعونه الى اخوانهم الكفار وما تخفي صدورهم من عداوتكم والبغض لكم اكبر مما اظهروا بافواههم قد بيّنا لكم الآيات اي ايات القرآن الدالة على وجوب الاخلاص في الدين ومصادقة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بيّنا فيعملون به والظاهر ان تكون الجمل من قوله لا يألونكم الى هنا مستأنفات على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ثم اتبع النهي بالتوبيخ على مصادقة المنافقين من اهل الكتاب فقال ها انتم اولاء ها للتنبيه وانتم مبتداء واولاء خبر اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الاعداء من اهل الكتاب قوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم اي تحبونهم لمظاهرتكم اياهم ولا يحبونكم بل يبغضونكم على خلاف دينكم وتؤمنون اي تصدقون بالكتاب كله اي بجميع الكتب المنزلة من السماء وهم لا يؤمنون بكتابكم المنزل من السماء واذا لقوكم اي المنافقون قالوا آمنا بمحمد عم انه رسول الله واذا خلوا فيما بينهم عضوا عليكم الانامل اي اطراف الاصابع من الغيظ اي لاجل الحنق عليكم وهو غاية الغضب وشدته لما يرون من ائتلافكم ومحبتكم بعضكم بعضا بقوة الاسلام وعز اهله فيقول بعضهم بعضا الا ترون الى هولاء قد ظهروا وكثروا في دينهم فقال تعالى قل موتوا بغيظكم على وجه الدعاء عليهم والمراد اللعن والطرد لا على وجه الايجاب والا لماتوا من ساعتهم اي ابقوا على غيظكم الى الممات فتخرجون من الدنيا بهذه الحسرة وقل لهم ان الله عليم بذات الصدور اي بما في القلوب من العداوة للمؤمنين فيجازيكم عليه ثم قال لتاكيد حالهم ان تمسسكم حسنة اي ان تصبكم الظفر والغنيمة كيوم بدر تسؤهم اي تحزنهم ذلك وان تصبكم سيئة اي جدب وهزيمة كيوم احد يفرحوا بها المعنى انكم اجتنبوا عن موالاة من هو بهذه الصفات لعدم النفع لكم منهم وان تصبروا على عداوتهم وميثاق الدين وتتقوا الله في محادمه لا يضركم بضم الضاد والراء بالتشديد من الضرر ولا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء من الضير اي لا يخسركم

كيدهم شيئا اي مكرهم من المكائد وهو ارشاد من الله الى الاستعانة بالصبر والتقوى على كيد الاعداء ان الله بما تعملون محيط اي علمه باعمالكم من الصبر والتقوى وغيرهما مدرك من كل الجانب والاحاطة ادراك الشيء بكماله ولما جاء المشركون باحد ونزلوا فيه لقتال المؤمنين شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج لقتالهم فاشار بعض الصحابة بالخروج واشار بعضهم بترك الخروج فخرج رسول الله عم اليهم ونزل بالشعب من احد وجعل يقوم اصحابه كالقدح كيلا يتقدم احدهم ولا يتاخر وجعل ظهر عسكره الى احد ثم امّر على الرماة عبد الله بن جبير وقال ادفعوهم منا من ورائنا فنزل المؤمنين ما نزل فاخبر الله تعالى عنه لنبيه ليعرف منة الله عليه ويشكره ويصبر على ما يصيبه ويصيب من الاذى عن المشركين والمنافقين بقوله واذ غدوت اي واذكر وقت خرجت بالصباح من اهلك اي عند اهلك من المدينة تبوئ المؤمنين اي تنزلهم وتهيئ لهم مقاعد للقتال اي مواطن يقفون فيها للمحاربة والله سميع لقولكم وقولهم عليم بنياتكم وامر الكفار وابدل من اذ غدوت اذ همت طائفتان اي قصدت جماعتان منكم اي من المؤمنين وهما بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس كلاهما من الانصار ان تفشلا اي ان تجتنبا عن القتال خوفا وترجعا وذلك لانه عم كان قد خرج الى احد بالف وقيل بتسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلثة آلاف فلما بلغوا الشوط رجع عبد الله بن ابي بن سلول مع ثلثمائة من المنافقين ومن تابعهم فهمت الطائفتان من الانصار ان يرجعوا معه فحفظ الله قلوبهم وثبتهم فمضوا مع رسول الله فاخبر عنه بقوله والله وليهما اي حافظ قلوبهما وناصرهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون وهو امر بان يتوكل المؤمنون ولما رجعوا الى المدينة منهزمين من المشركين بمشية الله تعالى وتقديره نزل تذكيرا لهم منة الله السابقة عليهم في يوم بدر من الفتح والظفر مع كونهم في حال قلة وذلة ولقد نصركم الله ببدر موضع فيه ماء لرجل اسمه بدر وانتم اذلة اي جماعة قليلة لا من الذل وهو الهوان لان المسلمين كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا ببدر والمشركون تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة فاتقوا الله اي اخشوه واعرفوا حق نعمته لعلكم تشكرون اي لكي تشكروه ولا تكفروه قوله اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت اي اذكر يا محمد اذ تقول يوم بدر للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم اي يعينكم ربكم

من الامداد وهو الاعانة وكاكان للزيادة من المد يقال مدّه مدًّا بثلثة آلاف من الملائكة منزلين بصيغة المفعول مخففًا ومشددًا للمبالغة اي كونهم نازلين من السماء باذنه تع قال لهم قبل نزولهم تسكينًا القلوبهم فانزل الله عليهم يوم بدر للنصر ووعدلهم ليوم احد بخمسة آلاف ان تمثلوا او فلما عصوا وتركوا امر رسول الله عم ورحلوا اعنهم فلذلك قال بلي اي يكفيكم الامداد بهم ان تصبروا مع نبيكم للمشركين وتتقوا مخافة نبيكم ويأتوكم اي يجيئكم المشركون من فورهم هذا من غضبهم الذي غضبوه لبدر واصل الفور الغليان والاضطراب يمددكم ربكم اي يعينكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين بكسر الواو اي معلمين خيولهم بالصوف الابيض وبفتح الواو اي سوّيهم غيرهم او نفوسهم بعمامة صفراء وثياب بيض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف في قلانسهم ومغافرهم وقال ايضا نزلت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر او بيض قد ارسلوها بين اكتافهم ثم قال وما جعله الله الا بشرى لكم اي ما جعل الوعد والامداد الا بشارة لكم بانكم تنصرون وتغلبون ولتطمئن قلوبكم به اي ولتكن بالامداد قلوبكم وما النصر لكم على عدوكم الا من عند الله العزيز اي المنيع بالانتقام لمن جحده الحكيم اي يفعل ما يشاء بالحكمة فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم قيل لم يقاتل الملائكة بل انزلوا للبشارة اذ ليس للمؤمنين من ذلك فضيلة وانما هي بقتالهم المشركين وهزمهم اياهم ولو كانوا نازلين للاعانة ليكفي ملك واحد كما فعل بقوم لوط عم قوله ليقطع طرفا متعلق بقوله لقد نصركم الله ببدر اي ليهلك الله جماعة بالاستيصال من الذين كفروا بمحمد عم والقرآن او يكبتهم اي يهزمهم ويغيظهم فقتل منهم يوم بدر سبعون واسر سبعون فأو للتفصيل ويجوز ان يكون بمعنى الواو اي بقتلهم وبخزيهم فينقلبوا خائبين اي غير ظافرين بمرادهم قوله ليس لك من الامر شيء وهو رفع بانه اسم ليس ولك خبره ومن الامر في محل النصب على الحال من اسم ليس او العباد مفوضًا اليك من التغلب والانهزام بل الامر كله لله ان عليك الا البلاغ نزل حين شج وجهه عم يوم احد وكسرت رباعيته واراد ان يدعو عليهم بفعلهم القبيح وباللعنة وعلى اصحابه بانهزامهم من المشركين فكف عن ذلك لعلمه تع فيهم انهم سيتوبون وان المشركين سيتوب كثير منهم كعمرو بن العاص وعكرمة

بن ابي جهل وخالد بن الوليد وغيرهم من الصحابة والتابعين وقيل حين دعا على الذين قتلوا بسبعين رجلا من اصحابه ببئر معونة اربعين صباحًا في صلوة الغداة في قنوته وقد خرجوا الى الغزو محتسبين قوله او يتوب عليهم او يعذبهم معطوفان على ليقطع اي نصركم ليقطع طرفا من الكافرين او يهزمهم او يتوب عليهم فيؤمنوا او يعذبهم ان لم يؤمنوا فانهم ظالمون انفسهم بكفرهم فيكون ليس لك من الامر شيء اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل يجوز ان يكون او يتوب نصبًا بتقدير ان اي ليس لك من امرهم شيء من التوبة والعقوبة الا ان يتوب الله عليهم فتسروا او يعذبوا فتشتفي منهم ويجوز ان يكون او بمعنى حتى فلا يكون اعتراضًا على التقديرين ثم عظم نفسه بانه المالك المطلق على جميع خلقه بقوله ولله ما في السموات وما في الارض اي اهلها عبيده وملكه يغفر لمن يشاء اي الذنب الكبير ويعذب من يشاء اي على الصغير اذا اصر عليه والله غفور رحيم لمن تاب على الذنوب واطاع امره او غفور رحيم بتأخير العذاب عن المستوجبين العذاب وقبول التوبة عن التائبين عن محارمه ثم غلظ في تحريم الربا الذي هو من المحارم التي لا تغفر كعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والخيانة في الامانة وظلم العباد روي ان رجلا كان عاقًا بوالدته يقال له علقمة فقيل له عند الموت قل لا اله الا الله فلم يقدر عليه حتى جاءت امه فرضيت عنه فقال بكلمة التوحيد ثم مات بقوله يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة اي امثالا كثيرة متزايدة فاضعافا نصب على الحال من الربوا ومضاعفة صفتها ففي هذه الاية اشعار الى ان الربوا يضر بايمان المؤمنين ونهي لهم عن اكله مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه اي لا تضعفوا اموالكم بالربوا ان كان لكم ايمان بالله وآياته وكان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل او في المال بعد بيع الشيء باكثر من قيمته فيزيد ماله بذلك ثم اكد النهي عن اكله بقوله واتقوا الله من اكل الربوا وعمله لعلكم تفلحون من العقوبة في الاخرة ثم زاد في التخويف فقال واتقوا النار التي اعدت اي خلقت وهيئت للكافرين بالله وآياته قيل معنا هذه الاية اتقوا العمل الذي ينزع به الايمان عند الموت فتستحقون به الخلود في النار كالكفار وقد جاء في ذلك آثار كثيرة منها قضية ثعلبة وروي ابو بكر الوراق عن ابي حنيفة رحمه الله تع اكثر

مابنزع الايمان لاجل الذنوب من العبد عند الموت واسرعها نزعًا للايمان ظلم العباد ثم قال وَأَطِيعُوا اللَّهَ في فرايضه وتحريم الربوا وَالرَّسُولَ في سننه وفيما بلغكم من تحريم الربوا وغيره لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ اي رجاء ان يرحمكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فلا تعذبوا بالنار المعدة للكفار وَسَارِعُوا بواو العطف وتركها للاستيناف اي بادروا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ اي اسباب المغفرة من الله وهي التوبة من الذنوب كالزنا والربوا وغيرهما والاعمال الصالحة التي توجب لكم تكفير السيئات كالصلوات الخمس عوا قيتها والجهاد والانفاق في سبيل الله تعالى وَجَنَّةٍ اي وسارعوا الى عمل يوجب دخول الجنة عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مبتداء وخبر في محل الجر صفة جنة اي عرضها مثل عرضهما وخص العرض بالذكر لانه يكون اقل من الطول غالبًا والمراد وصفها بالسرعة قيل كل جنة من الجنان عرضها كعرض السموات والارض لو وصل بعضها ببعض وهذا حث على اجتناب المحرمات والعمل بالحسنات سريعًا قبل الفوت لان في التاخير آفات أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ وصف آخر للجنة وفيه ايماء الى ان قبول العمل بالتقوى لا غير الَّذِينَ يُنْفِقُونَ يجوز ان يكون صفة للمتقين ويجوز ان يكون خبر مبتداء محذوف اي هم الذين ينفقون اموالهم فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ اي في حال اليسر والعسر وقيل في الصحة والمرض وفيه حث على التصدق بما امكن على كل حال قلّ او كثر قال عم السخي قريب من الله تعالى قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ اي الحابسين الغضب في اجوافهم عند امتلاء نفوسهم به ومنه كظم السقاء اي شده بعد ملئه والمراد انهم لا يظهرون ما في نفوسهم من الغيظ قال عم من كظم غيظًا وهو يقدر على تنفيذه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلايق حتى يخيره من اي الحور شاء وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ اي الذين يعفون عمن ظلمهم بعد قدرتهم عليه وعن مماليكهم لسوء ادبهم وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ واللام فيه للجنس اي يحب كل محسن من الاحرار والمماليك قال عم ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفى قوله وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً استيناف نزل في رجل تمار جاءت امرأة تشتري منه تمرًا فادخلها في الحانوت وقبلها ثم ندم على ذلك فعم في كل من اذنب ذنبًا وطلب التوبة اي الذين فعلوا الكباير من الزنا وغيره أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بفعل الصغاير كالقبلة واللمسة ذَكَرُوا

الله

اي وعيده وعقابه فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ اي باللسان وندامة القلب لان الاستغفار باللسان بغير ندامة القلب توبة الكذابين وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لوصف سعة رحمته وقرب مغفرته للتائبين وفيه حث على التوبة وردع عن اليأس وَلَمْ يُصِرُّوا اي لم يقيموا عَلَى مَا فَعَلُوا اي على الذنب الذي فعلوه وَهُمْ يَعْلَمُونَ انه ذنب او ان الله يغفر الذنب أُولَئِكَ اي اهل هذه الصفات جَزَاؤُهُمْ اي ثوابهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا اي لا يخرجون عنها ولا يموتون وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ اي نعم ثواب المطيعين ما اعد لهم من الجنة بالتوبة والطاعة قال عم ما من عبد مؤمن يذنب ذنبًا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له قوله قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ تحريض على التوبة وتحصيل المغفرة والجنة بالاخبار عن احوال من تقدمهم والامر بالاعتبار بعواقبهم اي قد مضت في الامم قبلكم طرائق باهلاك المكذبين جمع سنة وهي الطريقة التي سنها الله لاهلاك من كذب انبياء الله واياته فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ اي ان شككتم في ذلك فسافروا في الارض بسير الاقدام او تفكروا في ارض القلب بسير الفكر فَانْظُرُوا بنظر العين والمشاهدة كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ من اثار هلاكهم بوقايعه تعالى هَذَا اي القرآن بَيَانٌ لِلنَّاسِ اي تطهير لنفوسهم من الضلالة والجهل وَهُدًى اي تنوير لارواحهم وبصايرهم بنور العلم واليقين ليهتدوا به الى معرفة الله تعالى وَمَوْعِظَةٌ اي اتعاظ باياته لِلْمُتَّقِينَ يدعوهم الى الشكر والخشوع والثبات على الطاعة والصبر على ما اصابهم في سبيل الله ويصرفهم عن اقتراف الاثم والفسوق من القول والفعل قوله وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا نزل تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وللمؤمنين على ما اصابهم يوم احد ورجعوا الى المدينة منهزمين محزونين وتقوية لقلوبهم على الجهاد وردعًا عن التقاعد عنه جبنًا ووهنًا وهو عطف على مقدر اي جاهدوا في طاعة ربكم ولا تضعفوا عن قتال عدوكم بما اصابكم في دين الله ولا تجبنوا ولا تحزنوا من استبطاء العون والنصر منه تعالى او من ما اصابكم من قتل وجرح باحد والهزيمة وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ شانًا على الاعداء اي الغالبون عليهم بعد احد في الدنيا روي ان المسلمين

لم يخرجوا بعد ذلك مع رسول الله الا ظفروا في كل عسكر بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا كان فيه واحد من الصحابة كان الظفر لهم **وانتم الغالبون**
ايضا في الآخرة لان قتليكم في الجنة وقتليهم في النار وهي بشارة لهم
بالعلو والغلبة في الدارين قوله **ان كنتم مؤمنين** شرط جوابه محذوف
بدلالة ما قبله من النهي اي ان كنتم مصدقين بنصر الله ووعده فلا تهنوا
ولا تحزنوا لان صحة الايمان في القلب يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله
وقلة المبالات باعدائه ثم قال تعزية لهم **ان يمسسكم** اي ان يصبكم
قرح بفتح القاف وضمها اي جراحة **فقد مس القوم** اي الكفار ببدر **قرح
مثله** قيل قتل المسلمون من الكافرين ببدر سبعين واسروا سبعين وقتل
الكافرون باحد من المسلمين سبعين واسروا سبعين وفيه ضعف لما
سياتي ويدل على المماثلة قوله **وتلك الايام** اي ايام الظفر والغلبة **نداولها**
اي نصرفها **بين الناس** اي بين المسلمين والكافرين تارة لهم وتارة
عليهم ومنه قول العرب الحرب سجال اي مساجلة وهي المناوبة بان يصنع
احد مثل صنع قرينه في جري وسقي او غير ذلك بالنوبة واصله من الدلو
اذا كان فيه ماء قل او كثر قوله **وليعلم** عطف على العلة المقدر اي فعلنا
ذلك ليتعظوا وليعلم بالتمييز والاظهار **الله الذين آمنوا** بالاخلاص
ممن شكوا في دينهم فيجازون على ما فعلوا لان المخلص يتبين حاله
في الشدة والبلاء فيعطي ثوابه بما يظهر منه لا بما يعلم منه **ويتخذ منكم
شهداء** اي لكي يكرمكم بالشهادة لا لاجل نصر الكفار وحبهم **والله لا
يحب الظالمين** نفوسهم بالكفر والنفاق قوله **وليمحص الله** عطف على
ليعلم اي وليطهر ويصفي **الذين آمنوا** اي من الذنوب قتلوا وقتلوا من
الجهاد من محصت الذهب اذا ازلت منه الوسخ **ويمحق** اي ويهلك بالاستيصال
الكافرين لانهم بذلك يتشجعون فيخرجون تارة اخرى فيهلكون **ام حسبتم**
اي اظننتم فالهمزة للانكار والميم صلة **ان تدخلوا الجنة** قبل ان يصيبكم
شدة في دين الله وهو المراد من قوله **ولما يعلم الله** بكسر الميم للساكنين
والواو واو الحال ولما بمعنى لم الا ان في لما معنى التوقع واراد وابه ان لما يدل
على نفي الفعل المضي وعلى توقع ثبوته فيما يستقبل اي ولم يعلم الله **الذين
جاهدوا منكم** اي ولم يظهر جهاد المجاهدين في سبيله بعد بقتل او جرح او غيرها
ويعلم الصابرين بالنصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع وبالجزم على العطف

على ولما يعلم لكن فتحت الميم لالتقاء الساكنين اتباعا للام والمعنى اتحسبون
دخول الجنة والحال انه ما اجتمع علم الله بالمجاهدين منكم وعلمه بالصابرين
منكم في الشدائد قوله **ولقد كنتم تمنون الموت** اي القتل والشهادة
وكان غرضكم وقصدكم الى نيل كرامة الشهادة لا غلبة الكافر على المسلم
من قبل ان تلقوه اي ان تلاقوه وتصلوا اليه **فقد رأيتموه** باعينكم
يوم احد **وانتم تنظرون** عيانا اسباب الموت وهي السيوف والسهام
نزل عتابا لهم حين وصف الله لهم الكرامة النازلة بشهداء بدر فقالوا
ليتنا نجد مثل ذلك فلما القوا القتال يوم احد هربوا ولم يقيموا على ما قالوا
قوله **وما محمد الا رسول** نزل توبيخا لهم على هزيمتهم بخبر قتل الكفار النبي
وذلك حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشعب من احد
بسبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وقال عم اقيموا باصل
الجبل وادفعوا عنا بالنبل لا يأتوننا من خلفنا ولا تنتقلوا من مكانكم
حتى ارسل اليكم فلا نزال غالبين ما دمتم في مكانكم فجاء المشركون
ودخلوا في الحرب مع النبي عم واصحابه حتى حميت الحرب فاخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيفا وقال من يأخذ بحقه فاخذه ابو دجانة
فقاتل في نفر من المسلمين قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب حتى
التوي سيفه وقاتل سعد بن ابي وقاص وكان النبي عم لسعد ارم
فداك ابي وامي فحمل هو واصحابه على المشركين فانزل الله نصرة عليهم
فهزموا المشركين فلما نظر الرماة الى القوم هاربين اقبلوا على النهب
بترك مركزهم فقال لهم عبد الله بن جبير لا تبرحوا عن مكانكم فقد عهد
اليكم نبيكم فلم يلتفتوا الى قوله فجاؤا لاجل الغنيمة فبقي عبد الله بن جبير
مع ثمانية نفر فخرج خالد بن الوليد مع خمسين ومائتي فارس من المشركين من قبل
الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين فهزموهم
ورمي ابن قميئة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشجه
وتفرق عنه اصحابه وحمل ابن قميئة ليقتل النبي عم فذب عنه مصعب بن
عمير صاحب الراية يومئذ فقتله ابن قميئة ورجع فظن انه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل قالوا
انه كان ابليس عليه اللعنة وجرح اصحابه منهزمين متحيرين فاقبل انس
بن النضر عم انس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبد الله في رجال من المهاجرين

ما يحبكم

والانصار فقال لهم ما يجمعكم قالوا قتل محمد عم فقال ما تصنعون في الحيوة بعده
موتوا كراما على ما مات عليه نبيكم ثم اقبل نحو العدو فقاتل حتى قتل قال كعب بن
مالك انا اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين رأيت
عينيه من تحت المغفر تزهران ينادي باعلى صوته الى عباد الله فاجتمعوا
اليه فلامهم رسول الله على هزيمتهم فقالوا يا رسول الله فديناك
بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر سوء فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزل
الله تعالى بقوله وما محمد الا رسول كساير الرسل قد خلت اي مضت من
قبله الرسل فسيخلو كما خلوا والهمزة في قوله افان مات للانكار الا
بعد الشرط قدم لان الاستفهام له صدر الكلام والفاء لعطف الجملة الشرطية
على ما قبلها اصله فان مات او قتل انقلبتم اي رجعتم على اعقابكم
كافرين وذكر القتل مع العلم بانه لا يقتل لكونه ممكنا عندهم يعني اترجعون
الى دينكم الكفر بسبب هلاك الرسول بقتل او موت مع علمكم انه لم
يقتل لقوله تعالى والله يعصمك من الناس وعلمكم بان هلاك الرسل قبله
لم يكن سببا لارتفاع دينهم فيجب ان يكون دين نبيكم باقيا بعد موته
ايضا ثم اشار الى غناء عنهم بقوله ومن ينقلب اي يرجع على
عقبيه اي وراءه كافرا بعد الاسلام فلن يضر الله شيئا من ملكه
وسلطانه وانما يضر بنفسه والله منزه عن الضرر والنفع وسيجزي
اي سيثيب الله الشاكرين اي الذين لم ينقلبوا على اعقابهم بل شكروا
نعمة الاسلام بالصبر كانس بن النضر وامثاله ثم شجعهم بقوله وما
كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي بقضائه ومشيته ولا
ينجي حذر من قدر لانه كتب الموت كتابا موجلة اي ذا اجل وهو الوقت
المعلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد بطاعته ثواب الدنيا اي جزاء
عمله من الدنيا نؤته منها اي نعطه ثوابها ما قسم له منها وما له
في الآخرة من نصيب ومن يرد ثواب الآخرة بطاعته نؤته منها
اي جزاء عمله وسنجزي الشاكرين نعمة الاسلام بالجهاد في الآخرة وهذه الآية
تعريض بالذين شغلتهم الغنايم عن الجهاد يوم احد ثم قال تعالى
وكاين من نبي بمد الالف وبكسر الهمزة بلا ياء بمعنى كم التي للتكثير وقرئ
وقرئ بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبتشديد الياء المكسورة واصله
اي بمعنى بعض من كل دخل عليها كاف التشبيه فصار كلمة واحدة وهي

انقلاب

مبتدأ خبره قاتل وقرئ قتل مجهولا اي كم نبي قاتل او قتل معه ربيون
كثير اي جماعة كثيرة بكسر الراء نسبة الى الربة بمعنى الجماعة فربيون
مرفوع بالفاعلية فيكون القتال لهم دون النبي عم لما روي من الحسن
وغيره ما قتل نبي قط في قتال فما وهنوا اي ما عجزوا عن القتال لما اصابهم
في سبيل الله من قتل انفسهم وما ضعفوا لعدوهم بالجبن وما استكانوا
اي ما خضعوا لاعدائهم بطلب الامان منهم ولكنهم صبروا والله
يحب الصابرين في الشدة والبلاء لاجل دين الله تعالى وهذا ايضا تعريض
لما اصابهم من الوهن والانكسار بخبر قتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستكانتهم للمشركين حتى ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق
عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وما كان قولهم
بنصب اللام خبر كان واسمه الا ان قالوا اي ما كان الذين قاتلوا مع
انبيائهم الا قولهم هذا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا
باضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما
لها والمراد الصغاير والكباير وثبت اقدامنا عند القتال مع الاعداء
وانصرنا على اعدائنا القوم الكافرين بك وبنبيك وانما قدم الاستغفار
لان تقديم الدعاء بالاستغفار والخضوع اقرب الى الاستجابة فآتيهم
الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة وطيب الذكر وآتاهم حسن
ثواب الآخرة من الاجر والجنة وقدر ثواب الاخرة بالحسن ليدل
على فضله ولا اعتداد به عنده والله يحب المحسنين في الجهاد
والطاعة بالصبر والاستقامة قوله يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
الذين كفروا نزل في المنافقين الذين قالوا عند الهزيمة للمؤمنين
ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فقال الله تعالى يا ايها المؤمنون
ان تطيعوا المنافقين يردوكم على اعقابكم بعد الايمان كفارا فتنقلبوا
خاسرين باطاعتهم في مقالتهم فلا تطيعوهم بل الله موليكم
اي ناصركم ووليكم فاطيعوه فيما يأمركم وهو خير الناصرين
على عدوكم فلا احتياج لكم الى نصرة غيره وولايته قوله سنلقي
نزل حين عزم المشركون بعد عودهم الى مكة من احد ليرجعوا من الطريق
ويستأصلوا المسلمين فقال تعالى سنقذف في قلوب الذين كفروا الرعب
بضم العين وسكونها اي الخوف والهيبة فلما رجعوا على ذلك القي الخوف

منون

في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بالله اي بسبب اشراكهم بهم ما لم ينزل به اي آلهة لم ينزل الله باشراكها سلطانا اي حجة لهم ومأويهم النار اي مصيرهم اليها في الآخرة وبئس مثوى الظالمين اي مقام المشركين النار قوله ولقد صدقكم الله وعده نزل حين رجع المسلمون الى المدينة فقال ناس من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فقال تعالى لقد وعدكم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا الآية فكان النصر لكم اذ تحسونهم اي في وقت تقتلونهم قتلا ذريعا باذنه اي بامره حتى اذا فشلتم وتنازعتم اي الى وقت فشلكم ونزاعكم فهو متعلق بقوله صدقكم الله وعده ومعنى فشلتم جبنتم من الفشل وهو الجبن مع ضعف وتركتم مركز الرماة لطلب الغنيمة واختلفتم في الامر اي في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتم انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نبرح مكاننا كعبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وعصيتم امر النبي عم بترك المركز من بعد ما اراكم الله ما تحبون من النصرة على عدوكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم النصر فانهزمتم منكم من يريد الدنيا بترك المركز وطلب الغنيمة ومنكم من يريد الآخرة بالثبات على المركز وامتثال امر الرسول عم ثم صرفكم عنهم اي ردكم عن الكفار بالهزيمة من بعد ان اظفركم عليهم ليبتليكم اي ليمتحن صبركم على المصائب من القتل والهزيمة والجراح وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا الله عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر الرسول عم والله ذو فضل اي ذو التفضل بالعفو على المؤمنين او يتفضل عليهم في جميع احوالهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصر رحمة قوله اذ تصعدون بضم التاء وكسر العين من اصعد اذا ابعد في الارض يتعلق بصرفكم او بيبتليكم او باذكروا حين تعلون في الهزيمة على الجبل هاربين من العدو ولا تلوون اي ولا يقيمون على احد والرسول يدعوكم يا معشر المسلمين انا رسول الله في اخريكم اي خلفكم فلم يلتفت احد منكم اليه حتى صعد ثم الجبل قوله فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وانهزمتم بغم اي بسبب غم اذ قتموه الرسول عم حين عصيتموه او غما متصلا بغم اي مضاعفا على غم من سماع قتل النبي عم والجراح والهزيمة

وقوة

تكميل

وقوة الغنيمة والنصرة وظفر المشركين لكي لا تحزنوا متعلق بقوله فاثابكم غما اي غمكم لئلا تحزنوا بتعودكم احتمال الشدائد على ما فاتكم من الفتح والغنيمة ولا ما اصابكم من المصائب القتل والهزيمة والجراح والله خبير بما تعملون اي عالم باعمالكم فيجازيكم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة اي ازال عنكم الخوف وانزل عليكم الامن وابدل من امنة نعاسا او مفعول له لان النعاس بسبب حصول الامن يغشى طائفة منكم بالياء لان الضمير فيه للنعاس وبالتاء للتانيث ردا الى الامنة اي فعلوا النعاس في المصاف من كان اهل الصدق واليقين وطائفة مبتداء خبره قد اهمتهم اي اقلقهم انفسهم يعني ما بهم الا هم انفسهم دون الرسول واصحابه فلم ينزل عليهم السكينة لانها وارد روحاني لا يتلوث بهم يظنون بالله غير الحق اي ظنا غير ظن الحق ظن الجاهلية اي مثل ظن الجاهلية وهو ان محمدا قد قتل او ان الله لا ينصره والجملة في محل النصب على الحال من الضمير في اهمتهم يقولون للنبي عم هل لنا من الامر اي امر النصرة من شيء ومن زائدة فيه وهو مبتداء خبره من الامر ولنا تبيين والجملة بدل من يظنون بدل اشتمال لان سوالهم كان صادرا عن الظن ويجوز ان يكون يقولون استينافا قل ان الامر كله بالرفع مبتداء خبره لله والجملة خبر ان وبالنصب خبر تاكيد للاسم اي جميع الامر لله من النصرة والغلبة ولاوليائه المؤمنين قال الله تعالى وان جندنا لهم الغالبون فانكروا ذلك فاخبر الله تعالى بقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي ما لا يظهرون من قولهم يقولون لو كان لنا من الامر شيء كما قال محمد عم ان الامر كله لله ولاوليائه ما قتلنا ههنا اي لما قتل احد من المسلمين في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم اي لو قعدتم فيها وما خرجتم الى الغزو لبرز اي لخرج الذين كتب عليهم القتل في اللوح المحفوظ او في علمه تعالى الى مضاجعهم اي الى مصارعهم وقتلوا فيها لان معلوم الله لا بد من وجوده كيف ما كان مقدرا وليبتلي الله ليختبر ما في صدوركم من الاخلاص عطف على علة محذوفة لفعل محذوف اي فعل ذلك لمصالح كثيرة وليبتلي ما في صدوركم وليمحص اي يظهر ما في قلوبكم من وساوس الشيطان والله عليم بذات الصدور اي بما في القلوب من الخير والشر قوله ان الذين تولوا اي اعرضوا وانهزموا منكم نزل توبيخا لمن خالفوا

اي الى مواضع القتل

امر النبي عم وتركوا المركز فانهزم المسلمون باحد يوم التقى الجمعان
من المسلمين والكافرين انما استزلهم الشيطان اي طلب زلتهم
بتسويله المخالفة وترك المركز ببعض ما كسبوا اي بسبب بعض ذنوب
صدرت منهم قبل لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى
الطاعة ولم يؤاخذهم الله بجميعها لانه عفو يعفو عن كثير ثم طيب
قلوبهم بعد التوبيخ بقوله ولقد عفى الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور للذنوب حليم لا يعجل على العصاة بالعقوبة لانه لا
يخاف الفوت ثم قال تحذيرا لهم يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
كفروا اي كالمنافقين وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم بزعمهم
اذا ضربوا اي حين سافروا في الارض للتجارة او غيرها فماتوا في
سفرهم او كانوا غزا جمع غاز كصايم وصوم اي خرجوا الى الغزو فقتلوا
لو كانوا عندنا بالمدينة ما ماتوا في سفرهم وما قتلوا في الغزو ليجعل
اي ليصير الله ذلك يعني قالوا ما قالوا لهم واعتقدوه ليجعل الله
ذلك القول والاعتقاد حسرة في قلوبهم اي في قلوب المنافقين
وندامة في العاقبة اما في الدنيا او في الآخرة فاللام لام العاقبة
كما في قوله ليكون لهم عدوا وحزنا والله يحيي ويميت في السفر
والحضر بقضائه ومشيته فهو رد لقولهم لان الامر بيده والله بما
تعملون بصير بالتاء والياء فلا تكونوا مثل هؤلاء المنافقين ولئن
قتلتم في سبيل الله اي والله ان قتلتم في الغزو لله او متم فيه بكسر
الميم من مات يمات وبضمها من مات يموت وانتم مؤمنون لمغفرة
من الله لذنوبكم بسببه ورحمة اي ونعيم الجنة مبتدا خبره خير
مما يجمعون بالياء والتاء حطام الدنيا في اقامتكم والجملة الاسمية
ساد مسد جواب القسم المحذوف والشرط والمعنى ان موتكم وقتلكم
في سبيل الله وجهاده مع نيلكم المغفرة والرحمة من الله تعالى افضل
مما يجمعون من الاموال في الدنيا الفانية بالتقاعد والخيانة لاجله عن
الجهاد في سبيله يا معشر المنافقين ثم اكد ذلك بقوله ولئن متم او قتلتم
في سبيل الله لالى الله تحشرون اي لا الى الرحيم الواسع المغفرة والكرم
تبعثون بعد الموت فيجازيكم بالثواب العظيم لا الى غيره فتظلمون
قوله فبما رحمة من الله لنت لهم اظهار لكثرة شفقة النبي عم على امته

مع ذكر منته تعالى عليه بتوفيقه اياه للتوفيق والتلطف بهم وما زايدة
للتوكيد والدلالة على اختصاص لينه لهم برحمة الله تعالى اي فبرحمة
منه لطفت بهم يا محمد وسهلت اخلاقك لهم حين عصوك وخالفوك
ولو كنت فظا اي كريه الخلق غليظ القلب اي جافيه حسن القول
لانفضوا من حولك اي لتفرقوا من عندك ولكن الله جعلك بارا رحيم القلب
لينا لطيفا بهم فاعف عنهم اي تجاوز عن فعلهم باحد واستغفر لهم
اي اطلب المغفرة مني لذنوبهم يعني اشفع لهم حتى اشفعك وشاورهم
في الامر اي امر الحرب وغيره تطييبا لقلوبهم او استظهارا برأيهم
فيما لم ينزل عليك وحي فيه قال عم ما شقي عبد قط بمشورة وما
سعد باستغناء راي فاذا عزمت على فعل بعد المشاورة ووضوح
الراي فتوكل على الله لا على المشورة ولا على اصحابها في امضاء امرك على
الارشد الاصلح ان الله يحب المتوكلين عليه لا على غيره ثم اخبر
ان النصرة كلها منه تعالى بقوله ان ينصركم الله كما في بدر فلا غالب
لكم من العدو وان يخذلكم كما خذلكم في يوم احد فمن ذا الذي
ينصركم اي يمنعكم من عدوكم من بعده اي خذلانه وعلى الله
وحده فليتوكل المؤمنون في النصرة وقيد المؤمنين لانهم عرفوا انه
لا ناصر لهم غيره وهذا تنبيه على ان الامر كله لله تعالى وعلى وجوب
التوكل عليه قوله وما كان لنبي ان يغل بفتح الياء وضم الغين اي
يخون وبضم الياء وفتح الغين اي ينسب الى الخيانة نزل حين فقدت
قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله عم
اخذها وروي انه عم بعث طلايع لحقيقة امر العدو فغنمت غنايم
فقسمها ولم يقسم للطلايع وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا
وتقبيحا لصورة الامر وفيه نهي للنبي عم عن الغلول على سبيل المبالغة
اي ما صح لنبي عم ان يخون فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم
على التسوية او ما جاز ان يخون في الغنيمة فياخذها لاجله ولا يقسم لهم
ومن يغلل اي يخن في الغنيمة يات بما غل اي بالشيء الذي غله بعينه
يحمله على ظهره يوم القيمة قال عم لا اعرفن احدكم يوم القيمة ياتي على
عنقه شاة لها ثغاء فيقول يا محمد فاقول له لا املك لك من الله شيا
فقد بلغتك ويجوز ان يكون المعنى يات بوباله على عنقه كقوله تعالى

وهم يحملون اوزارهم علي ظهورهم ثم توفي كل نفس اي تجازي
ما كسبت اي عملت من خير وشر وهم لا يظلمون اي لا ينقصون من
ثواب اعمالهم شيئا ولا يزاد جزاؤهم فوق آثامهم لانه عادل بينهم
في الجزاء وانما لم يقل ثم يوفي بالتذكير ليرجع الضمير فيه الي من لانه جاء بما
دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعني وهو
ابلغ واثبت في الزجر عن الغلول ثم قال بهمزة الاستفهام لانكار التسوية
بين الامين الصالح والخائن الفاسق افمن اتبع رضوان الله واخذ الحلال
من الغنيمة كمن باء اي رجع واستوجب بسخط من الله بسبب الغلول
من الغنايم ثم بين مستقر كل منهما فقال وماواه اي مقام من غل من
الغنيمة جهنم وبئس المصير اي الموضع الذي صار اليه النار هم درجات
اي الذين اتبعوا رضاء الله ولم يغلوا من الغنايم ذوو طبقات عند الله
في الفضل فبعضهم يكون ارفع من بعض او لهم درجات في الجنة والله بصير
اي عالم بما يعملون من الغلول وعدم الغلول فيجازيهم علي حسب اعمالهم
بالدركات والدرجات لقد من الله علي المؤمنين اي انعم علي من آمن
مع رسول الله من قومه وخصهم بالذكر لانهم هم المنتفعون بمبعثه
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من جنسهم عربيا ليفهموا عنه
كلامه ففيه منة عليهم لاخذ ما يجب عليهم اخذه عن بعد علمهم احواله
في الصدق والامانة يتلوا اي يقراء عليهم آياته بالبيان ليعلموا به الحلال
والحرام ويزكيهم اي ويطهرهم من الشرك والذنوب بالامر بشهادة ان لا اله الا الله
ويعلمهم الكتاب اي القرآن والحكمة اي المواعظ للعلم والعمل وان كانوا
من قبل اي وان الشان والحديث كانوا قبل بعثة الرسول عم لفي ضلال مبين
اي ظاهر لا شبهة فيه فان فيه هي المخففة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
قوله اولما اصابتكم الهمزة فيه للتقرير والتقريع دخلت علي الواو العاطفة
علي محذوف تقديره افعلتم كذا من الفشل والتنازع ولما اصابتكم باحد
مصيبة بقتل سبعين منكم والهزيمة وصفة مصيبة قد اصبتم ببدر
مثليها بقتل سبعين واسر سبعين منهم قلتم تعجبا وهو عامل في لما
بمعني حين انى هذا اي من اين هذا الخذلان لنا ونحن موعودون بالنصرة
لسبب ايماننا قل هو اي الخذلان لكم من عند انفسكم اي بسبب اختياركم
الخروج من المدينة والحاكم في ذلك نبيكم عم وترك المركز او لاخذكم الفداء من

اساري

اساري بدر قبل ان يوذن لكم لا من عند الله واختياره بلا جرم منكم ان
الله علي كل شيء قدير من النصر ومنعه وعلي ان يصيبكم تارة وتصيب
منكم مرة اخري قوله وما اصابكم مبتداء متضمن معني الشرط اي الذي
اصابكم من مصيبة كالفشل والهزيمة يوم التقي الجمعان جمع المسلمين
وجمع الكافرين وخبر المبتداء قوله فباذن الله اي فهو كاين بتخليته وارادته
وليعلم المؤمنين اي وهو كاين ليتميزهم من غيرهم باخلاصهم وثباتهم
وليعلم الذين نافقوا اي وهو كاين ليظهرهم بنفاقهم وقلة صبرهم
قوله وقيل لهم عطف علي نافقوا تحقيقا لنفاقهم للمؤمنين اي قيل
لابن ابي واصحابه حين قعدوا عن الحرب وانقطعوا عن احد تعالوا قاتلوا
في سبيل الله اعداءه او ادفعوا عن انفسكم وحرمكم ان لم تقاتلوا لوجه
الله او ادفعوا القوم بتكثيركم سواد المسلمين لان كثرة السواد مما يخوف
العدو وتكسر حدته قالوا في الجواب لو نعلم قتالا اي قتالا حقا لا تبعناكم
فيه ولكنه القاء النفس الي التهلكة فليس بقتال حق لخطاء رايكم فاظهر الله
كذبهم بقوله هم للكفر يومئذ اقرب اي هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم
للايمان اي لاهل الايمان فاللام في الكفر وللايمان متعلق باقرب وهي علي
بابها وقيل بمعني الي يعني ميلهم الي الكفر يومئذ اقرب من ميلهم الي الايمان بظهور
علامة الكفر فيهم لا نخزالهم من عسكر المسلمين المجاهدين في سبيل الله يقولون
اي قائلين بافواههم اي بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فهو حال من الضمير
في اقرب والله اعلم بما يكتمون من الكفر والنفاق قوله الذين قالوا خبر
مبتداء محذوف اي هم الذين قالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم في سكني
الدار لا في الدين وهم شهداء احد وقعدوا اي وقد قعدوا عن القتال
في المدينة والواو للحال لو اطاعونا في القعود عن الجهاد والانصراف
عن محمد عم ما قتلوا بالتخفيف والتشديد ثم قال الله تع لنبيه عم
توبيخا وتعجيبا لهم قل فادرؤا اي ادفعوا عن انفسكم الموت
اذا حضركم برايكم وحيلكم ان كنتم صادقين في مقالتكم من
ان القعود عن القتال سبب النجاة من الموت لا غيره فانه يجوز
ان يكون القتال سببا للنجاة ولو لم يقاتل رجلا لقتل وله اسباب
اخر فما يدركم ان سببها القعود وان الحذر ينجي من القدر قيل لما
نزلت هذه الاية مات يومئذ سبعون من المنافقين في المدينة

ثم نزل في شهداء بدر واحد وغيرهم قوله ولا تحسبن بالتاء والياء
والفاعل النبي عم اي لا يظنن النبي عم الذين قتلوا بالتخفيف والتشديد
في سبيل الله اي في طاعته امواتا بل هم احياء مقربون عند ربهم
وهو عطف جملة على جملة والغرض الاعلام بحياتهم ترغيبا في الجهاد ولو
عطف احياء على امواتا لاختل المعنى لانه يصير التقدير لا تحسبنهم احيا
المعنى انهم يتنعمون كالاحياء عند ربهم يرزقون مثل ما يرزق ساير
الاحياء من المآكل والمشارب وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين اي
معجبين بما آتاهم الله من فضله من التوفيق في الشهادة والكرامة
والفضيلة على غيرهم ويستبشرون اي وهم يطلبون البشارة
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم اي باخوانهم الذين لم يقتلوا
وبقوا بعدهم وعلى قوله الا خوف عليهم بدل من الذين اي يستبشرون
بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين من عدم خوف لهم
فيما يستقبلهم من البعث يوم القيمة ولا هم يحزنون اي ومن عدم
حزنهم على ما خلفوا في الدنيا يعني يفرحون يومئذ بسلامة اخوانهم
الباقين بعدهم حيث وصلوا اليهم آمنين وفي ذكر حال الشهداء
واستبشارهم بمن بعدهم بعث للمؤمنين الباقين على ازدياد الطاعة
والجد في الجهاد والرغبة في منازلهم الشهادة ثم كرر الاستبشار
للتاكيد بقوله يستبشرون بنعمة اي الجنة من الله وفضل اي
بكرامة فيها وان بالفتح اي وبان الله لا يضيع اجر المؤمنين وبالكسر
على الاستيناف اي ثواب اعمالهم الحسنة روي عنه عم السيوف
مفاتيح الجنة وعنه عم ايضا الشهيد يشفع في سبعين من اهله وعنه
ايضا ان ارواح الشهداء في جوف طير خضر تترود في الجنة وتاكل من
ثمارها ثم تاوي الى قناديل من ذهب معلقة بالعرش قوله الذين
استجابوا لله مبتداء نزل حين رجع ابو سفين الى مكة بعد قتال
احد باصحابه وندم حيث لم يستاصل النبي عم واصحابه فاراد العود
مع اصحابه لذلك فسمع النبي عم الخبر فاراد ان يخرج له فكره اصحابه الخروج
اليهم فقال النبي عم والذي نفسي بيده لاخرجن اليهم وان لم يخرج معي
احد منكم فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب ابي سفيان
ومعه نحو من سبعين رجلا من المسلمين وكان بهم جراحات حتى

بلغ

بلغ حمراء الاسد على ثمانية اميال من المدينة فجبن ابو سفيان عن العود
فقال الله تعالى مدحا لمن اطاع النبي عم في ذلك الذين اجابوا الامر لله تعالى
والرسول من بعد ما اصابهم القرح اي الجراحات يوم احد وجملة قوله
للذين احسنوا بطاعتهم الله ورسوله منهم للبيان واتقوا اي
المعاصي في محل الرفع خبر مبتداؤه اجر عظيم اي ثواب والجملة في محل الرفع
خبر الذين استجابوا ثم قال ابو سفيان لرجل اسمه نعيم بن مسعود
كان يخرج الى المدينة للتجارة اذا اتيت محمدا واصحابه فخوفهم لكيلا
يخرجوا بانا قد جمعنا على العود عليهم فلما قدم الى المدينة اخبرهم
بما قال له فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فنزل مدحا لهم الذين
قال لهم الناس اي نعيم بن مسعود من اطلاق الكل وارادة البعض
وقيل كان ركب معه ان الناس اي ابا سفيان واصحابه قد جمعوا
لكم اي اجتمعوا ليستاصلوكم فاخشوهم اي لا تخرجوا اليهم خوفا
فزادهم اي ذلك القول او الضمير للمقول الذي هو ان الناس قد جمعوا
لكم ايمانا اي تصديقا ويقينا وقوة بان اخلصوا النية على الجهاد
وقالوا حسبنا الله اي كافينا ونعم الوكيل اي الموكول اليه هو
فايقنوا ان الله لا يخذل محمدا صلى الله عليه وسلم وذهبوا معه الى
الموعد روي ان ابا سفيان كان وعد النبي عم ان يلقاه ببدر الصغرى
وكانت موسما فلما كان العام القابل جبن ابو سفيان عن الذهاب
الى بدر وذهب النبي عم واصحابه اليها ومعهم تجارات فكسبوا
في تجاراتهم ولم يلقوا عدوا فانقلبوا اي انصرفوا من بدر بنعمة من الله
اي باجر منه وفضل اي ربح من السوق بسلامة لم يمسسهم سوء
اي قتال يسوءهم من عدوهم واتبعوا رضوان الله بجراتهم وخروجهم
في سبيل الله والله ذو فضل عظيم اي تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا
وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رايهم روي انهم قالوا
هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم ثم قال انما ذلكم
اي القايل لكم ان الناس قد جمعوا لكم تخويفا مبتداء خبره الشيطان وهو
نعيم بن مسعود يخوف اولياءه وهم القاعدون عن الخروج مع رسول
الله او يخوف باوليائه وهم المشركون فلا تخافوهم اي الشيطان
واولياءه ويجوز ان يعود الضمير الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا

لكم

يعني لا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجتنبوا **وخافون** في القعود
عن الطاعة **ان كنتم مؤمنين** اي مصدقين بالله فان الايمان يقتضي
تقديم خوف الله علي خوف غيره قوله **ولا يحزنك** بضم الياء وكسر الزاء من
احزن وبفتح الياء وضم الزاء من حزن اي لا يغمك **الذين يسارعون في الكفر**
نزل في المنافقين المتخلفين او المرتدين عن الاسلام يعني لا تحزن لخوف
ان يضرك ويعينوا عليك **انهم لن يضروا الله** اي دينه **شيئا** بكفرهم
بل وبال كفرهم راجع عليهم **يريد الله الا يجعل لهم حظا** اي نصيبا **في الاخرة**
اي في الجنة وفي ذكر الارادة تنبيه علي تماديهم في الطغيان وبلوغهم
الغاية حتي ان واسع الرحمة والمغفرة يريد ان لا يرحمهم ولا يغفر لهم
ليثيبهم بالجنة **ولهم** بدل الثواب **عذاب عظيم** في النار يوم القيمة ثم
قال تاكيدا لذلك **ان الذين اشتروا** اي اختاروا **الكفر بالايمان** اي بدله
لن يضروا الله شيئا اي بعض الضرر في دينه او في سلطانه وملكه
ولهم عذاب اليم اي وجيع دايم في الاخرة **ولا تحسبن** بالتاء
خطابا للنبي عم وبالياء والفاعل **الذين كفروا** وان مع ما في حيزه ينوب
مناب المفعولين في قوله **انما نملي** اي الذي نمهل او املاءنا **لهم**
خير لانفسهم يعني لا يظنن ان الذي نخليهم مع اراداتهم خير لهم
من منعهم عن اراداتهم **انما نملي لهم** اي نمهلهم ونوخر العذاب
عنهم وما فيه كافية **ليزدادوا اثما** اي عقوبة وهذا التعليل كما في قعدت
للجبن او للعجز والواو للحال في قوله **ولهم عذاب مهين** اي عذاب معد
يهانون به في الاخرة قال عم خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس
من طال عمره وساء عمله قوله **ما كان الله** اي لم يكن الله **ليذر** اي يترك
المؤمنين اي المخلصين **علي ما انتم عليه** ايها المصدقون بالله من اهل
النفاق والاخلاص اي علي الحال التي عليها من اختلاط بعضكم ببعض
بحيث لا يعرف مخلصكم من منافقكم **حتي يميز الخبيث** اي يبين المنافق
من الطيب اي المؤمن المخلص بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها
الا المخلصون فيميز المنافق من المخلص يوم احد بتخلفهم عن الغزو وبذل
الروح في الجهاد والانفاق في سبيل الله نزل حين سال المسلمون من
يا رسول الله تزعم ان من خالفك في النار ومن اتبعك في الجنة فاخبرنا
عن يؤمن ومن لا يؤمن منا قوله **وما كان الله ليطلعكم علي الغيب**

نزل

نزل تحريضا علي الايمان برسول الله والقران الذي يخبرهم بوحيه اي
لم يكن الله ليعلمكم بعلم الغيب من المخلص والمنافق **ولكن الله يجتبي**
اي يختار **من رسله من يشاء** فيطلعه علي ما يشاء من الغيب بالوحي
يكون ذلك علامة لنبوته اذ غير الانبياء ليسوا من علم الغيب في شيء
فامنوا بالله بان تعظموه حق عظمته **ورسله** بان تصدقوه في
مقالاتهم وتعلموا انهم لا يخبرون الا عن الله الذي اطلعهم علي
الغيوب **وان تؤمنوا** بالله ورسله **وتتقوا** الشرك والنفاق **فلكم**
اجر عظيم في الجنة قوله **ولا تحسبن الذين يبخلون** بالتاء خطاب للنبي عم
والمفعول الاول الذين بتقدير المضاف اي بخل الذين وهو ضمير فصل و
بالياء والفاعل الموصول مع صلته والمفعول الاول كلمة هو كناية عن
البخل والمفعول الثاني خيرا اي لا يحسب الباخلون **بما اتاهم الله**
من فضله اي من عطائه من العلم بكتمانه كنعت النبي عم او من
رزقه من المال بترك الانفاق في سبيل الله ومنع الزكوة منه **هو**
اي البخل بوضع المرفوع موضع المنصوب **خيرا لهم** في الاخرة **بل هو**
اي البخل **شر لهم** منها قوله **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة** بيان
لشر لهم اي سيوثقون بما بخلوا به كهيئة الطوق في عنقهم قيل
هو طوق من نار وقيل وبال ذلك في عنقهم روي عن النبي عم في مانع
الزكوة يطوق شجاع اقرع ودوي اسود **ولله ميراث السموات**
والارض اذا اهلك اهلهما فيبقي الملك له ولا ينفعهم الا ما انفقوا قبل
ان يموتوا فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله فالميراث
مجاز عن البقاء **والله بما تعملون** بالياء والتاء علي طريق الالتفات
خبير اي عالم بعمل الزكوة ومنعها فيجازي كل نفس بما عملت قوله
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء نزل
حين قالت اليهود عند سماع من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
ان الله فقير يستقرض منا فقال ابو بكر لهم اتقوا الله واسلموا
واقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير اذن
فلطم ابو بكر وجهه فشكاه الي النبي عم فانكر قوله ذلك فقال تعالي لقد سمع
الله قولهم **سنكتب** بالنون وبالياء معلوما والفاعل الله تعالي والمفعول
ما قالوا اي ليحفظ عليهم الذي قالوه ونصب **وقتلهم الانبياء**

حي

اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون
هو خيرا لهم قاضي

ارحين بس لنا
القرض

عطف عليه وقرئ بالياء مجهولا وما قالوا مرفوعة وقتلهم بالرفع عطفا
عليه اي يكتب عليهم الكرام الكاتبون الذي قالوه من الكفر بالاجتراء
ويكتبون قتلهم الانبياء بغير حق اي بلا جرم وانما قرنه بذلك لانهما
اخوان في العظم ونقول بالنون والياء والفاعل الله تعالى اي يقول
باوه حزنة جهنم لهم ذوقوا عذاب الحريق اي عذاب النار روي
عن النبي عم لو ان شرارة من نار جهنم وقعت بالمشرق لغلت منها جماجم
قوم بالمغرب ويقال لهم فيها ذلك اي نزول العذاب بكم اي بسبب الذي
بما قدمت ايديكم من عمل الشرك والتكذيب والمعصية جعل كل عمل كالواقع
بالايدي على سبيل التغليب وعطف على ما قدمت وان وبان الله
ليس بظلام للعبيد اي لا يظلم كل واحد منهم وصيغة فعال للتكثير
وعباده كثيرون فهو يفيد الظلم عن كل احد فيستلزم كون القليل
منه انفي اذ لا نفع فيه للغني بالذات وفيه اعلام للناس بانه عادل
يثيب المحسن ولا يعاقب سوى المسيء قوله الذين قالوا مرفوع او منصوب
على الذم نزل حين قالت رؤساء اليهود جوابا لقوله تعالى فآمنوا بالله
ورسله اي هم الذين قالوا ان الله عهد الينا اي اوصينا وامرنا في
التورية الا نؤمن لرسول اي لا نصدقه حتى يأتينا بقربان اي
بشرع لنا تقريب قربان تأكله النار اي ان قبل تجيء النار من السماء
فتاكل القربان كما كانت هذه الآية لانبياء بني اسرائيل فان جئتنا بها
صدقناك فقال تعالى قل يا محمد توبيخا لهم قد جاءكم رسل من قبلي
كيحيى وزكريا وشعيبا بالبينات اي بالايات الواضحة وبالذي
قلتم اي وجاءكم بالقربان الذي قلتم بوصفه فقتلتموهم فلم
قتلتموهم ان كنتم صادقين في قولكم ذلك ثم سلى نبيه عم ليصبر
على اذاهم بالتكذيب بقوله فان كذبوك بما تقول لهم فقد كذب
رسل من قبلك جاؤا الرسل بالبينات اي بالحجج الواضحة والزبر بغير
باء الجر وقرئ بها اي بالصحف جمع زبور كرسول جمع على رسل والكتاب
المنير بالباء وبغيرها اي الواضح بالحلال والحرام كالتورية والانجيل ثم
خوفهم بقوله كل نفس ذائقة الموت اي هي تخرج وتنفك من البدن
بادنى شيء من الموت فكنى بالذوق عن القلة يعني كلكم تموتون ولا تبقوا
في الدنيا وتوفون اجورا اعمالكم من الطاعة والمعصية عقب الموت

وانما

وانما توفون اجوركم يوم القيمة اي يوم قيامكم من القبور فمن زحزح
اي بعد عن النار بالايمان وادخل الجنة فقد فاز اي ظفر بالنجاة قيل
من احب ان يزحزح عن النار فليأت الى الناس بما يحب ان
يؤتى اليه ثم زهدهم عن الدنيا ورغبهم في الآخرة بقوله وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور اي الباطل او الشيطان قيل هذا لمن آثرها
على الآخرة واما من طلب بها الآخرة فهي متاع البلاغ قال عم
لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها قيل مثل الدنيا كمثل
الزجاج الذي يسرع الكسر اليه ولا يصلحه الجبر وقيل كزاد المسافر
ليسرع الفناء ولا يدوم ثم اخبر المسلمين بانهم سيلقون شدة
في الدنيا واذى من الكفار وامر بالصبر عليها لان فيه خيرا لهم بقوله
مؤكدا باللام والنون في جواب القسم المحذوف لتبلون اي
لتختبرن في اموالكم بالنقص والذهاب بحوادث وانفسكم
بالموت والقتل والامراض والاوجاع ومفارقة الاهل والاحباب
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي من اليهود
والنصارى بقولهم ان الله فقير ونحن اغنياء ومن الذين اشركوا
من العرب اذى كثيرا اي طعنا في دينكم وسبا لكم ولنبيكم وان
تصبروا على الشدة والاذى وتتقوا المكافات والمعاصي فان
ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور اي من معزماتها التي يجب
عليكم فعلها وتحملها بالعزم عليها فانها من اخلاق الانبياء والاولياء
واذ اخذ اي واذكر حين اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب بالوحي
في كتب انبيائهم لتبيننه اي لتظهرن الكتاب او علمه بالبيان
للناس ولا تكتمونه بالياء غيبة فيهما حملا على الذين اي ولا يسترونه
عند احتياجهم اليه وبالتاء خطابا فيهما بتقدير القول اي قلنا لهم
لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه اي طرحوا الميثاق وراء ظهورهم
اي خلفهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه واشتروا به ثمنا قليلا
عرضا يسيرا من حطام الدنيا وذلك كتمان نعت النبي عم وبعض احكام
الله فبئس ما يشترون اي بئس ما يختارون الدنيا على الآخرة لانفسهم
قيل مرويا عن النبي عم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم يوم القيمة بلجام
من النار قال ابن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه و

لايحل بجاهل ان يسكت علي جهله حتي يسئال قوله لا تحسبن بالتاء خطاب
للنبي عم ومفعوله الاول الذين يفرحون والثاني محذوف اي ناجين من
العذاب بدلالة قوله بمفازة بعد وبالياء غيبة والفاعل الموصول ومفعولاه
محذوفان اي لا يظنن الفاجرون بما اتوا اي بما فعلوا فرحهم منجيا لهم
من العذاب وهو نزل حين قعد المنافقون من الغزو وبالتخلف عن
النبي عم ثم اعتذروا اليه عند عوده الي المدينة من الجهاد بانهم
راوا المصلحة في التخلف عن النبي عم وطلبوا ان يحمدوا له وقيل حين
سال النبي عم اليهود عن شيء فكتموا الحق عنه عم واخبروه بخلافه
وطلبوا ان يحمدهم النبي عم بما قالوا له في الجواب وفرحوا بما فعلوا و
يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الحق فانهم كانوا يقولون نحن
علي دين ابراهيم وعمله ولم يكونوا كذلك فلا تحسبنهم بالتاء خطابا
للنبي عم اي لا تحسبن الفارحين بمفازة اي بنجاة من العذاب وبالياء
غيبة وضم الباء للجمع والفاعل ضمير الفارحين فيه والضمير المنصوب
المفعول الاول والثاني بمفازة اي لا تحسبن انفسهم فائزين ولهم
عذاب اليم اي لازم بهم لا ينفكون عنه ابدا ولله ملك السموات
والارض اي هو يملك امر اهلهما فياخذهم بالعذاب متي شاء والله
علي كل شيء قدير يقدر علي الثواب والعقاب قوله ان في خلق السموات
والارض نزل حين سال اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ياتيهم بعلامة لصحة دعواه لانه كان يدعوهم الى عبادة الله
وحده وترك عبادة الاصنام فقال الله تعالى ان في خلق هذه الاجرام
العظام مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم ومن الجبال والبحار والاشجار والسحاب
واختلاف الليل والنهار بذهاب احدهما ومجيء الاخر لايات اي لدلالات
واضحات علي الصانع وعظم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب اي لذوي
العقول الخالصة الناظرين اليها بنظر الاستدلال والاعتبار لا للغافلين
عنها الناظرين اليها كالبهايم بمجرد فتح الابصار عن علي ان النبي عم كان اذا
قام من الليل يتسوك ثم ينظر الي السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض
وروي انه قال عم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها قوله الذين يذكرون الله
خبر مبتدا محذوف اي هم الذين يذكرون الله باللسان والقلب قياما
وقعودا وعلي جنوبهم اي قائمين وقاعدين ومضطجعين يعني يذكرون الله

في كل الاحوال من حال القيام والقعود والاضطجاع لان الانسان يكون
في هذه الاحوال غالبا قال عم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر
الله وقال ايضا من اكثر ذكر الله برئ من النفاق وقيل معناه يصلون
في هذه الاحوال علي حسب استطاعتهم لقوله عم لعمران بن الحصين صل
قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلي جنب تومي ايماء وهذه
حجة للشافعي علي اضطجاع المريض علي جنبه كما في اللحد وعن ابي حنيفة
يستلقي علي ظهره فاذا وجد خفة قعد قوله ويتفكرون عطف علي يذكرون
ويعتبرون في خلق السموات والارض وما فيهما من العجايب الدالة علي
القدرة العظيمة قيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية
وقال عم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق وقال ايضا فكر ساعة
خير من عبادة سنة قوله ربنا مقول قول مقدر في موضع الحال وهو
يقولون وتقديره يتفكرون قائلين ربنا ما خلقت هذا الخلق يعني
المخلوق باطلا اي عبثا بغير حكمة ولكن خلقته لامر هو كاين سبحانك
اي تنزيها لك من ان يكون خلقك باطلا فقنا اي اذا نزهناك وصدقنا
رسولك بان لك جنة ونارا فاحفظنا بتوفيق طاعتك عذاب النار اي
منه ربنا انك من تدخل النار بخذلان معصيتك فقد اخزيته اي فضحته
واهنته وما للظالمين انفسهم بالشرك والمعصية من انصار اي موانع
تمنعهم من عذاب النار النازل بهم ويقولون ايضا ربنا اننا سمعنا مناديا
وذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيم لشان المنادي ينادي للايمان
اي محمدا او القران اي يدعو الناس الي التصديق ان امنوا اي صدقوا
بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا من الكباير وكفر اي امح عنا سيئاتنا
من الصغاير وتوفنا اي اقبض ارواحنا مع الابرار اي مع ارواح
الصالحين ويقولون ايضا ربنا واتنا اي اعطنا ما وعدتنا من الفضل
والرحمة علي رسلك اي علي السنتهم ولا تخزنا اي لا تخذلنا يوم القيمة
علي رؤس الخلايق انك لا تخلف الميعاد اي الموعود من الخير والثواب
للمومنين وانما دعوا الله بانجاز ما وعد وهو لا يخلف الوعد لانه
قد يخلفه اسباب الانجاز فمعني دعائهم طلب التوفيق فيما يحفظ
عليهم اسبابه وتكرير ربنا لاجل المبالغة في التضرع الموجب للاجابة
قيل مرويا عن الصادق من حزبه امر فقال ربنا خمس مرات انجاه الله

مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الايات ثم اخبر عن اجابة دعائهم
هذا بقوله فاستجاب لهم اي اجاب ربهم دعاءهم وانجز لهم
وعده اني اي باني لا اضيع اي لا اهمل عمل عامل منكم من ذكر او انثى
في طاعتي قوله بعضكم من بعض في النصرة والموالاة وكذا في الثواب وقيل
المراد منه وصلة الاسلام اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد
منكم من اصل واحد منكم من اصل الآخر لا من غيره جملة معترضة بينت
بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين والآية نزلت
حين قالت ام سليم يا نبي الله ما بال الرجال ذكروا ولم يذكر النساء وقد
آمنت النساء كما آمن به الرجال ثم قال تعالى فالذين هاجروا من مكة
مبتدأ واخرجوا من ديارهم اي مؤمنوا اهل مكة واوذوا في سبيلي اي
عذبوا في طاعتي وقاتلوا اي غزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المشركين وقتلوا بالتخفيف والتشديد مجهولا اي قتلهم المشركون
في طاعة الله وقرئ وقتلوا مجهولا مخففا وقاتلوا والخبر لاكفرن عنهم
سيآتهم اي ذنوبهم كلها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
ثوابا مصدر للتأكيد من غير لفظ الفعل لان في معنى التكفير اثابة اي
لاثيبنهم ثوابا من عند الله اي ثوابا عظيما يختص به وبفضله ثم اكد
اختصاص الثواب به دون غيره بتقديم عنده في قوله والله عنده
حسن الثواب اي من الجزاء وهو نعيم الجنة الباقي لا كنعيم الدنيا الفاني
قوله لا يغرنك نزل خطابا للنبي عم والمراد غيره حيث قال بعض المسلمين
يا رسول الله نحن في شدة الفقر والجوع واعداء الله في الرخاء والخير
بالتجارة والكسب اي لا يخدعنك تقلب الذين كفروا في البلاد بالتجارات
ووجوه المكاسب فان تقلبهم بها متاع قليل اي منفعة يسيرة تفنى
بادنى مدة ثم مأويهم اي مستقرهم ومصيرهم جهنم وبئس المهاد اي
الموضع القرار هي فلا تنفعهم اموالهم وتجاراتهم ثم استدرك واخبر عن
مأوي المؤمنين وما اعد لهم في الآخرة من الثواب والكرامة بقوله لكن الذين
اتقوا عن الشرك والمعصية وعبدوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون عنها نزلا من عند الله اي جزاء
وثوابا مصدر مؤكد لقوله لهم جنات بمعنى اثابهم بها ثوابا او نصب على
الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل الظرف وهو ما يعد للنازل وما

وما عند الله اي الذي هو الكثير الدائم من عنده في الجنة خير للابرار
اي للصالحين المتقين من المتاع القليل الزائل للفجار في الدنيا ثم اخبر عن حال
مؤمني اهل الكتاب في الآخرة كعبد الله بن سلام واصحابه تعريضا لمن
لم يؤمن منهم بقوله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله ودخل
لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما اي ان منهم لمن يصدق
بوحدانية الله تعالى وما انزل اليكم اي بالقرآن وما انزل اليهم اي بالتورية
والانجيل النازلين على انبيائهم خاشعين لله اي المتواضعين له من
خوف عذابه ورجاء ثوابه وهو حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع لا يشترون
بآيات الله المكتوبة في التورية والانجيل من نعت النبي عم ثمنا قليلا
عرضا يسيرا من حطام الدنيا كفعل اكابر اليهود اولئك اي اهل هذه الصفة
لهم اجرهم عند ربهم وهو الثواب الدائم الموعود لهم بقوله يؤتكم
كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب يوم القيمة لا يحتاج الى وعي وعد
وكتب يد لنفوذ علمه في كل شيء يعلم بما يستوجبه كل عامل من الاجر
المعنى ان الموعود لهم قريب يصل اليهم بلا خلف ثم اكد الصبر على امتثال
الاوامر واجتناب المعاصي ومقاساة الاعداء والثبات على التقوى
لنيل الفلاح بقوله يا ايها الذين آمنوا اصبروا على طاعة الله وعن
معصيته فلا تتركوا الصبر لشدة ولا رخاء قيل ان الشيطان يتعوذ
من الصابرين كما يتعوذ المؤمن من الشيطان والصبر حبس النفس
مع الله بنفي الجزع وصابروا اي غالبوا على عدوكم بالصبر فلا تكونوا
اقل منهم صبرا وثباتا قيل خير الدنيا والآخرة في صبر ساعة ورابطوا
اي اقيموا في الثغور رابطين خيولكم مستعدين للغزو وترهبون
به عدوكم قال النبي عم رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها
واتقوا الله في جميع اموركم لعلكم تفلحون اي تنجون من عذاب النار
وتبلغون مقاعد اهل الصدق فانها محل الفلاح قال النبي عم من احب
ان يكون اكرم الناس فليتق الله قيل زاد العقل الى الآخرة اتقاء القبائح
فمن لم يتق القبائح فليس من العقلاء سورة النساء مدنية مائة و
خمسة وسبعون آيات بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس اتقوا اي اعبدوا بالتقوى عن الشرك والمعصية او خافوا
ربكم الذي خلقكم اي فرعكم من نفس واحدة اي من اصل واحد وهو

نفس آدم ابيكم والخطاب عام بجميع بني آدم وَخَلَقَ عطف على محذوف هو
صفة نفس واحدة كانه قال من نفس واحدة انشأها من تراب
وخلق مِنْهَا اي من تلك النفس زَوْجَهَا حواء لانه خلقها من ضلعه الا
يسر وقيل عطف على خلقكم والخطاب للناس المبعوث اليهم رسول الله
والمعنى انه خلقكم من نفس آدم ابيكم وخلق منها امكم حواء قيل لما خلق
آدم واسكنه الجنة القى عليه النوم فخلقها منه بين النوم واليقظة و
سميت حواء لانها خلقت من حي وَبَثَّ اي نشر مِنْهُمَا اي من آدم وحواء
رِجَالًا كَثِيرًا ولم يؤنث الوصف لان الرجال بمعنى العدد وَنِسَاءً ولم يقل كثيرة
اكتفاء بذكر الرجال لانهم في مقابلتهن قيل خلق الله الف ذرية من الناس
وانما وصفه لهم بذلك الوصف بعد الامر بالتقوى لكونه بما يدل على القدرة
العظيمة ومن كان قادرا عليه كان قادرا على تعذيبهم فحقه ان يتقوه و
يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم امر بتقواه ثانيا تصريحا باسمه عاطفا على الاول
ليحافظوا عليه ولا يغفلوا عنه فقال وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
بالتشديد والتخفيف اي تقسموا بالله في حاجاتكم وَالْأَرْحَامَ بالجر اي وبالارحام
كقول بعضكم بعضا اسألك بالله وبالارحام على سبيل الاستعطاف واجاز
الكوفيون العطف على ضمير المجرور بلا اعادة الجار ومنعه البصريون لانه كا
على بعض الكلمة لشدة الاتصال بينه وبين الجار واوله بتقدير حرف الجر المحذوف
من المجرور او الواو للقسم من الله وهو الاولى من العطف للخروج من الخلاف
وجوابه ما بعده وقرئ بالنصب على انه مفعول معطوف على الله اي اتقوا
الله واتقوا الارحام ان تقطعوها روي عن النبي عم انه قال ان الله تعالى
لما خلق الرحم قال لها اَصِلُ من وَصَلَكِ وَاَقْطَعُ من قَطَعَكِ او على محل الجار و
المجرور كمررت بزيد وعمرو إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا جواب القسم على القراءة
بالجر والارحام ولم يعطف على ما قبله والمعنى انه تعالى اقسم بالارحام بعد امر
بالتقوى ان الله كان عالما باسراركم او حفيظا لاعمالكم ناظرا اليها يسألكم
عنها ويجازيكم بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَا مِنْ عمل
حَسَنَةٍ اَسْرَعُ ثوابا من صِلَةِ الرحم وَمَا مِنْ عَمَلٍ سَيِّئَةٍ اَسْرَعُ عُقُوبَةً مِنَ البَغْيِ
وبعد الامر بالتقوى امر بالعدل وتسليم الحقوق الى مستحقيها كما يجب
في الشرع بقوله وَآتُوا اي اعطوا الْيَتَامَى وهم الذين مات آباؤهم فانفردوا
عنهم واليتم الانفراد واليتيم فعيل قياسه ان يجمع على يتمى كمريض على مرضى

بنفسه

ثم يجمع على يتامى وحقه ان يقع على الصغير والكبير بمعنى الانفراد عن الاب فيهما الا
انه غلب استعماله في الصغير لاستغناء الكبير بنفسه عن الكافل فكانه خرج عن معنى
اليتم لقوله عم لا يتم بعد الحلم وهو تعليم شريعة لا لغة يعني سلموا الى اليتامى
اَمْوَالَهُمْ وقت استحقاقهم تسليما اليهم فالمراد منهم الكبار تسمية لهم
يتامى على القياس واشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ
ثم قال وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ اي لا تقبلوا المال الحرام بِالطَّيِّبِ اي بدل المال الحلال
والمراد منه ان يعطوا من اموالهم رديا وهو حلال لهم ويأخذ جيدا من
اموال اليتامى وهو خبيث في حقهم ثم قال تاكيدا لذلك وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى
أَمْوَالِكُمْ وهو في موضع الحال اي مضمومة الى اموالكم في الانفاق لقلة المبالاة بما لا
يحل لكم والنهي وارد على فعلهم العادي او كان الاكل بعد ضمها الى الحلال اقبح فنهوا عن
ذلك إِنَّهُ اي ان ذلك الاكل كَانَ حُوبًا كَبِيرًا اي اثما عظيما عند الله فاجتنبوه روي
ان الآية نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب
المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله فقرأها عليه فلما سمعها قال اطعنا الله
واطعنا الرسول ونعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فلما قبض اليتيم ماله
انفقه في سبيل الله فقال عم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد
عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وقد انفق في سبيل الله فقال عم ثبت
الاجر للغلام وبقي الوزر على والده وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا نزل حين تحرجوا من ولاية
اليتامى مخافة ان لا يعدلوا بسبب نزول الآية السابقة وكان منهم من تحته
العشر من الازواج او الثماني او الست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقال
ان خفتم وعلمتم ان لا تعدلوا فِي اموال الْيَتَامَى من اقسط اذا عدل وهو من
قسط اذا جار والهمزة للسلب فَانْكِحُوا اي تزوجوا مَا طَابَ اي ما حل لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
فما بمعنى من ومن للتبعيض يعني فكما خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فخافوا
ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عددهن ثم بين المباح من النساء فقال
مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ لا ينصرف هذه الصيغ الى اعداد عشار للعدل و
الوصف وهي نكرات يدخل لام التعريف كالمثنى والثلث والرباع في محل النصب
على الحال من النساء او بدل من ما والواو للتخيير وليس للعطف الجامع في زمان
واحد والايجاز الجمع بين تسعة وليس بجائز وان اجازه بعض الروافض
بظاهر الآية لان التسع من خصايص النبي عم ولانه عم نهى عن تزويج اكثر
من اربع فالمعنى في الآية تزوجوا ان شئتم مثنى وان شئتم ثلث وان شئتم رباع

اذا عدلتم بينهن في القسم والخطاب للجمع لا للواحد فوجب التكرير ليصيب
كل واحد من الناكحين ما اراد من العدد وانما جاء العطف بالواو دون او ليدل
على تجويز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو ثم قال فان خفتم
الا تعدلوا فيهن في النفقة والقسم فواحدة اى فاختاروا واحدة منهن
او ما ملكت ايمانكم اي او اختاروا من ما ملكتم بالشراء وغيره من السراري لانها
اخف مؤنة من الحراير فلا عليكم اكثرتم منهن او اقللتم عدلتم بينهن في القسم
او لم تعدلوا عزلتم عنهن او لم تعزلوا ذلك اي اختيار الواحدة او السراري
ادنى اى اقرب من الا تعولوا اي لا تجوروا ولا تميلوا في النفقة والقسم
بينهن من عال الحاكم اذا جار ومن عال الميزان اذا مال واتوا النساء اى اعطوا
صدقاتهن اي مهورهن جمع صدقة نحلة اي اعطاء وهبة عن طيب نفس وهي
مصدر او حال من المخاطبين بمعنى ناحلين او من الصدقات بمعنى منحولة وهذا
او للازواج ان يعطوا مهور نسائهم لهن قال رم حق الشرط ان توفوا بما استحللتم
به الفروج او امر للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم ولا يعطونهن
شيئا ثم كان بعض الناس يتاثمون ان ياخذوا مما اعطوا من نسائهم شيئا
فنزل فان طبن اى ان وهبن لكم عن شيء قليل منه اى من المال الذي هو
الصدقة نفسا بان لا يطلبن ما وهبن لكم بعد الهبة فكلوه هنيئا
اى طيبا مريئا اي سايغا لا ينغصه ونصبهما صفة مصدر محذوف اي
اكلا هنيئا مريئا او حال من مفعول كلوه والمراد منه المبالغة في الاباحة من
غير تبعة وفي الاية دليل على وجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب
النفس ولذا قيل يجوز الرجوع بما وهبن ان خدعن من الازواج قوله ولا
تؤتوا السفهاء خطاب للاولياء في اموال اليتامى اي لا تعطوا المبذرين من
الرجال والنساء والصبيان اموالكم التي جعل اي قدرها الله لكم قياما ع
وقيما كلاهما مصدر قام يعني جعل الله لكم سبب قيامكم تقومون بها في
منافعكم وتتعيشون ولو ضيعتموها لضعتم لانعدام سبب معاشكم فكانت
الاموال في انفسها قيامكم ومعاشكم ولذلك قال السلف المال سلاح المؤمن
اي من الفقر الذي يهلك دينه وقيل اكتسبوا المال فانكم في زمان اذا احتاج
احدكم كان اول ما ياكل دينه فاحفظوا اموالكم من السفهاء وارزقوهم اى
اجعلوا لهم فيها رزقا ويجوز ان يكون في بمعنى من واكسوهم وقولوا لهم
قولا معروفا اى وعدا جميلا اذا طلبوا منكم النفقة بان يقول الولي والوصي

سافعل

سافعل ذلك وان ربحت او غنمنا اعطيتك وقيل معناه لا يجعل الرجل
ماله في يد امرأته واولاده ثم يجعل نفسه محتاجا اليهم وهو خلاف الظاهر
وابتلوا اليتامى اي جربوا عقولهم بان يعطي اليتيم من المال ما يتصرف فيه قبل البلوغ
حتى يستبين حاله فيما يجيء منه وهو معنى الابتلاء عند ابي حنيفة رحمه حتى
اذا بلغوا النكاح اي صاروا اهلا ان ينكحوا وجواب اذا فان انستم اى ابصرتم
منهم رشدا اي هداية الى مصالحهم والى وجوه التصرف وعند الشافعي
الابتلاء ان يتتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر ميله الى
الى الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فادفعوا اي سلموا اليهم
اموالهم التي معكم عند البلوغ وهو جواب ان الشرطية قبل ان لم يونس
منه رشد بعد البلوغ فعند ابي حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة و
عند غيره لا يدفع اليه ابدا وتنكير الرشد يدل على نوعه من الرشد او
مخيلة من مخايله حتى لا ينتظر منه تمام الرشد ثم نهى الاوصياء عن اكل اموال
اليتامى بقوله ولا تاكلوها اى اموالهم اسرافا بغير حق وبدارا اي اسراعا
كلاهما مفعول لهما اى لاسرافكم ومبادرتكم في اكلها ويجوز ان يكونا حالا
اي مسرفين ومبادرين ان يكبروا اي مخافة ان يبلغوا ويتجاوزوا عن حد
الصغر فياخذوا اموالهم منكم ثم بين حال الاوصياء بقوله ومن كان
غنيا من الاوصياء فليستعفف اى ليطلب العفة من نفسه يعني ليمتنع
عن اكلها اغنياء بماله ويقنع به ولا يطمع في مال اليتيم اشفاقا عليه وابقاء
على ماله ومن كان فقيرا منهم فلياكل بالمعروف اي بما عرف في الشرع وهو
يدل على ان للوصي حقا فيها لقيامه عليها فياكل منها على قدر قيامه
عليه بمنزلة الاجر منه وقيل ياكل على وجه القرض فيرد عليه اذا كبر
فاذا دفعتم اليهم اموالهم عند بلوغهم فاشهدوا عند دفعها اليتيم
عليهم بانهم تسلموها بالقبض منكم وبرئت عنها ذممكم ليزول
التهمة منكم وكفى بالله اى اكتفى الله حسيبا اى كافيا في الشهادة
عليكم في الدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والكذب
قيل اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة ولا يصدق
الا بالبينة عند الشافعي ومالك فالاشهاد عندهما لدفع الضمان لا
لدفع توجه اليمين ليزول التهمة وبالعكس عند ابي حنيفة رحمه قوله
للرجال اي لذكور اولاد الميت نصيب اى حظ مما ترك الوالدان والاقربون

مما قل او كثر من ذوي القرابة للميت وللنساء اي ولجماعة الاناث التي
ورثن منهن نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل اي من المال
الذي تركوه قل ذلك المال منه او كثر نصيبا مفروضا اي حظا مقطوعا يوجب
تسليمه اليهم ونصيبا حال من ضمير قل او كثر نزل حين مات اوس بن
ثابت الانصاري وترك ثلث بنات وامراة اسمها ام كحة فقام ابن عمه
واخذ ماله كله بالتوارث لانهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء وانما
يورثون الرجال فجاءت المراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت
له القصة فحكم بها ان للرجال نصيبا وللنساء نصيبا من التركة مجملا
ثم بين مقدار نصيب كل واحد من الرجال والنساء باية الوصية قوله
واذا حضر القسمة اي قسمة الميراث اولوا القربى للميت ممن لا يرث
واليتامى والمساكين فارزقوهم منه اي اعطوهم الذي ترك الميت قبل
القسمة نزل حين امر على اعطاء ذلك على سبيل الندب وكان المؤمنون
يفعلونه قبل نزول الاية يعني اذا اجتمعت الورثة وهؤلاء فليرضخ الولي
لهم شيء من المال قبل ان يقسمه الورثة وليس بفرض والا لكان له حد و
مقدار كما لغيره من الحقوق وقولوا لهم قولا معروفا اى وعدا حسنا لو كان
الورثة صغارا معتذرين اليهم بان يقول الولي لهم لو كان لي لاعطيتكم
منه واذا ادرك الصغار امرتهم حتى يعطوكم شيئا ويعرفوا حقكم واذا
كانوا كبارا اعطوهم بانفسهم منه ما شاؤوا اخص الاولياء على الاشفاق
بالايتام بقوله وليخش اي وليخف على ذرية الميت الضياع بالفقر
والاحتياج الى الناس الاولياء الذين لو تركوا من خلفهم اي بعد موتهم
ذرية ضعافا اي اولادا صغارا خافوا عليهم الفقر والتكلف فليقدروا
ذلك ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة على اليتامى الذين في
حجورهم ويخافوا عليهم خوفهم على ذريتهم فليتقوا الله في امرهم
من حضر الموت بتفريق ماله وتضييع صغاره بان يقال اوصى بكذا وكذا
وتصدق مالك فان الله رازق اولادك حتى يوصي بعامة ماله وليقولوا
له قولا سديدا اي صوابا وهو يامره بالتصدق بدون الثلث ويترك
الباقي لولده فيفعل الولي بالميت كما يجب ان يفعل به لو كان هو الميت
وقيل المراد منهم الذين يجلسون الى المريض فيقولون له قدم مالك واوصى بكذا
وكذا وان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فامروا بان يخشوا ذريتهم

ويخشوا

ويخشوا على اولاد المريض كما يخشون على اولادهم ويشفقوا عليهم شفقتهم
على اولادهم لو كانوا ونزل في شان اكل مال اليتيم بغير حق قوله ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما اي ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاة
انما ياكلون في بطونهم من قولهم اكل في بطنه او في بعض بطنه اذا
ملأه اي ياكلون ملء بطونهم نارا لانهم ياكلون ما يجرهم الى النار فكانه
نار في الحقيقة او يصير ذلك نارا يوم القيمة روي انه عم قال يبعث اكل
مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من دبره وانفه وفيه واذنيه و
عينيه فيعرف الناس انه ياكل مال اليتيم في الدنيا وسيصلون مجهولا
ومعلوما اى سيدخلون يوم البعث سعيرا اي نارا مسعرة وقيل مبهمة
الوصف من النيران يوصيكم الله اي يامركم في اولادكم اى في شانهم
من الذكور والاناث بما هو الاصلح عنده وهذا اجمال في قسمة المواريث وتفصيله
قوله للذكر مثل حظ الانثيين اذا اجتمع مع الاناث كما اذا مات الرجل والمراة
وترك الاولاد ذكورا واناثا فلكل ابن سهمان ولكل بنت سهم وان لم يجتمع معهن
فالذكر عصبة منفردا يحرز جميع المال وللواحدة منهن النصف منفردة وانما
جعل له مثل حظي الانثى لان من تزوج البنت قام بها وانما قدم الذكر ولم يقل للانثيين مثل حظ الذكر تفضيلا له على الانثى لان في القول الاول قصد الى بيان
فضل الذكر ولو قيل للانثيين في القول الثاني قصد الى بيان نقص غيره عنه
قيل لما دل هذا الحكم على ان حكم الانثيين حكم الذكور وهو الثلثان قال
فان كن نساء فوق اثنتين اي ان كانت المتروكات من الميت جماعة
فلهن ثلثا ما ترك الميت وان لم يجد له ذكر لانه تقدم معنى كما
اذا ترك الميت بنات ولم يترك ابنا فللبنات ثلثا الميراث اذا
كن اكثر من اثنين لا يتجاوزن ذلك لكثرتهن فحكم الجماعة حكم الواحد
للبنتين بغير تفاوت وان كانت واحدة بالنصب اي ان كانت
متروكة الميت بنتا واحدة فلها النصف من الميراث والباقي
للعصبة وقرئ بالرفع على ان كان تامة والواو في قوله ولابويه
للاستيناف وقوله لكل واحد منهما بدل بتكرير العامل من لابويه
والسدس مبتدا خبره لابويه وتوسيط البدل بينهما لاجل
البيان لانه لو لم يكن البدل لتوهم اشتراكهما في السدس لكن
لكل واحد من ابويه السدس مما ترك ان كان له ولد ذكرا وانثى

فان لم يكن له اي للميت ولد وورثه ابواه دون غيرهما فلامه الثلث
بضم الهمزة على الاصل وكسرها اتباعا اي الثلث لها من جميع الميراث فتعين
الثلثان للاب والثلث للام مما ترك الا ان يكون مع الابوين زوج او زوجة فلام
ثلث ما يبقى من التركة بعد فرض احد الزوجين دون ثلث الكل لان الزوج انما استحق
فرضه بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراء فرضه ولانها
لو ضرب لها ثلث الكل لادى الى نصيب الاب عن نصيبها وهو اقوى في الارث
من الام وان كان له اخوة اي ان كان للميت اخوة اثنان فصاعدا لاتفاق
الصحابة على اطلاق اسم الاخوة على اثنين فصاعدا فلامه السدس الا ان ابن
عباس قال لا يحجب الام من الثلث الى السدس الا بثلثة اخوة واتفقوا ان
الذكور والاناث فيه سواء فتاخذ الام السدس ويكون الباقي للاب قوله
من بعد وصية يتعلق بما سبق من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده
كانه قال قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها الميت مجهولا
ومعلوما مخففا او دين اي او بعد قضاء الدين واو فيه للاباحة لا للترتيب
لانها وضعت لاحد الامرين ولا ترتيب في الواحد نحو ادع زيدا او عمروا و
الدين مقدم على الوصية والميراث بالاجماع وانما قدمت الوصية على الدين
هنا لفظا ليدل على وجوب المسارعة الى اخراجها لان الوصية كالميراث في الاخذ
بغير عوض فيثقل اخراجها على الورثة بخلاف الدين فانه ليس كالميراث لانه اخذ
بعوض مقدم فيسهل اخراجه عليهم قوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون فيه حث
على قضاء الدين وتنفيذ الوصية اي اباؤكم وابناؤكم الذين يموتون ويرثون
اموالهم لا تعلمون ايهم اقرب لكم نفعا تميز والجملة في محل النصب بتدرون
اي انتم لا تعلمون ايهم من الاب والابن انفع لكم امن اوصى ببعض ماله
فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته ام من لم يوص وترك الوصية
ليكثر عليكم عرض الدنيا والله عالم ايهم انفع لكم فاجعلوا ثواب الاخرة اقرب
واحضر لكم بامضاء وصية الموصي من عرض الدنيا الذي لم يوص لاجل
نفعكم ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة
الا انه فان لا بقاء له فيكون ابعد في الحقيقة وثواب الاخرة وان كان اجلا
الا انه باق لا زوال له فيكون اقرب في الحقيقة فلذلك شرع الوصية واوجب
اخراجها بالسرعة قبل قسمة التركة والجملة من اباؤكم الى قوله نفعا جملة اعتراضية
مؤكدة للوصية واخراجها لا محل لها من الاعراب قوله فريضة من الله نصب على

فاجعلوا

المصدر

المصدر للتاكيد اي فرض الله الميراث فريضة لا يجوز تغييرها ان الله
كان في الازل عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث
لاهلها وهو الان على ما كان عليه ولكم نصف ما ترك ازواجكم اذا
متن وتقيموا بعدهن ان لم يكن لهن ولد منكم او من غيركم ذكرا كان
او انثى او ولد ابن فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي تركت
ازواجكم من بعد وصية يوصين بها او دين اي من بعد قضاء الدين
الوصية ولهن الربع مما تركتم ان متم وبقين ازواجكم بعدكم
ان لم يكن لكم ولد ذكرا او انثى منهن او من غيرهن او ولد ابن فان
كان لكم ولد او ولد ابن فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون
بها او دين اي بعد اخراج الوصية وقضاء الدين يعني الحكم في طائفة
الزوجات ان الزوج ان كانت له زوجة واحدة او اكثر فلها الربع بغير
الولد من الزوج والثمن مع الولد منه وان كانت اكثر الى الاربع شاركن
في الربع والثمن هذا كله اذا لم يمنع مانع من الموانع الاربعة كقتل واختلاف
دين ورق واختلاف دار وان كان رجل اي ذكر ميت يورث منه
صفة رجل كلالة اي من لا ولد له ولا والد خبر كان وهي في الاصل مصدر
بمعنى الكلال وهو الاعياء في التكلم ونقصان القوة منه فاستعيرت
للقرابة من غير جهة الولد والوالد لضعفها بالنسبة الى القرابة من
جهتهما او امراة اي ان الميت الانثى التي يورث منها كلالة وله اي
وللميت الموروث منه سواء كان رجلا او امراة اخ او اخت كلاهما
من الام بالاجماع لان حكم غيرهما سيبين في اخر السورة فلكل واحد
منهما اي من الاخ والاخت من الام السدس من غير مفاضلة
الذكر على الانثى عند وجود احدهما فان كانوا اي اولاد الام
اكثر في الوجود من ذلك اي من واحد فهم شركاء في الثلث بالسوية
اي لا يزيد نصيب ذكرهم على اناثهم من بعد وصية يوصى بها
او دين قوله غير مضار نصب على الحال من ضمير يوصى اي يوصي
الميت حال كونه غير مدخل الضرار على الورثة بان يوصي باكثر
من الثلث او يقع الميراث عنهم قوله وصية من الله مصدر
مؤكد لقوله يوصيكم اي يوصيكم الله وصية بها لا يجوز تغييرها
قال عم من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة

وقيل الضرار ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار ثم قال تعالى
والله عليم بمن جار او عدل في امر الميراث والوصية حليم اي ذو حلم
عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة تلك اي الفروض المذكورة حدود
الله قد بينها لكم لتعلموا بها وسماها حدود الله لان الشرائع كالحدود
المضروبة للمكلفين لا يجوز ان يتجاوزوا عنها الى ما ليس لهم فيه حق
ومن يطع الله ورسوله في الاقرار بها ويعمل كما امره الله بها يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك اي هذا الثواب
الفوز العظيم اي النجاة الوافرة يوم القيمة ومن يعص الله ورسوله
بجحد ما امره الله ويتعد حدوده اي يتخط فرايضه وينتهك حرماته
يدخله نارا خالدا فيها قرئ بالنون والياء في ندخله جنات وندخله
نارا وجمع خالدين وافرد خالدا نظرا الى معنى من ولفظه وله عذاب
مهين يهان فيه قوله واللاتي ياتين الفاحشة اي الزنا وهي المراة الثيب
من نسائكم مبتدا خبره فاستشهدوا اي اطلبوا للشهادة عليهن اربعة
منكم اي من المسلمين الاحرار العدول فان شهدوا عليهن بالزنا فامسكوهن
اي احبسوهن في البيوت حتى يتوفيهن الموت اي يقبضهن ملائكة الموت
فيمتن في السجن او يجعل الله لهن سبيلا اي طريقا يخرجن من الحبس وهو بان
تنكح فانه غنية عن السفاح او بان يظهر الحد بالوحي ثم صار حدهن الرجم
بقوله عم خذوا عني خذوا قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب
عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم والاكثر على انه لا جلد على المحصن مع
الرجم وقالوا الجلد منسوخ ونسخ الحبس بالحد لانه كان في ابتداء الاسلام اذا
زنت المراة حبست حتى تموت ولم يكن الحد مشروعا ثم ذكر حد البكرين
فقال واللذان اي الرجل والمراة اللذان تحصنا بتخفيف النون وتشديدها
ياتيانها اي الفاحشة منكم اي المسلمين الاحرار فآذوهما باللسان يعني سبوا
بتفسير ابن عباس رضه لينتدما على ما فعلا فان تابا من الفاحشة واصلحا
العمل فاعرضوا عنهما اي لا تؤذوهما بعد التوبة ان الله كان توابا اي
قابلا للتوبة متجاوزا عن الذنوب رحيما لمن اطاع امره ثم نسخ الايذاء
بالحد بقوله تعالى الزانية والزاني الاية انما التوبة اي المتقبلة مبتدا خبره
على الله اي الواجب قبولها عليه للذين يعملون السوء اي المعصية بجهالة
اي جاهلين حال من الضمير في الظرف قيل اجمعت الصحابة ان كل ما عصي الله

فهو جهالة عمدا كان او سهوا وكل من عصي الله فهو جاهل وقيل الجهالة
اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اي من زمان
قريب يعني قبل مرض موته او قبل معاينة ملك الموت ومن للتبعيض قال عم
ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اي ما لم يبلغ الروح الحلقوم فاولئك
يتوب الله عليهم تاكيد لقوله انما التوبة اي توبتهم البتة وهو عدة من
الله تعالى بان يفي بما وجب عليه كرما ولطفا وكان الله عليما حكيما اي عالما
باهل التوبة يحكم بقبولها بشرط الاستغفار بالقلب واللسان قال عم
ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي عبادك ما دامت ارواحهم
في اجسادهم فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا ازال اغفر لهم ما استغفروني
ثم اوضح معنى القريب بقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات
اي الذنوب دون الشرك مصرين على فعلهم حتى اذا حضر احدهم
الموت اي وقع في سكرات الموت سوى علامات الموت فان التوبة
تقبل فيها قال اني تبت الآن من ذنوبي يعني لا تقبل التوبة منه ثمه لانها
حالة الباس دون الاختيار قوله ولا الذين يموتون عطف على الذين
يعملون السيئات اي ليست التوبة للذين ماتوا وهم كفار اي مصرون
على كفرهم فسوى بين الذين مسوفون توبتهم الى حضرة الموت وبين
الذين ماتوا على الكفر تغليظا ولان حضرة الموت اول احوال الآخرة
فكانهم ماتوا بلا توبة على اليقين اولئك اعتدنا اي هيئنا لهم عذابا اليما اي
وجيعا دايما قوله يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها نزل
نهيا عن ارث نساء آبائهم بعد موتهم في اول الاسلام كما كانوا يرثونهن
في الجاهلية فان شاؤا تزوجوهن وان شاؤا زوجوهن واخذوا اصدقتهن
اي لا يباح لكم ارث نساء ابائكم كما يورث المواريث والحال انهن كارهات
لذلك فكرها مصدر في موضع الحال من النساء ونزل حين كان الزوج يضار
زوجته في نكاحه بانواع البلايا والظلم اذا لم تكن من حاجته لتفتدي منه
ولا تعضلوهن عطف على ان ترثوا اي ولا يحل لكم ان تمنعوهن عما يحل لهن من
النكاح من العضل وهو الحبس والتضييق ويجوز ان يكون الجزم فيه للنهي بلا استيناف
اي لا تمنعوهن من النكاح لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من الصداق وغيره
الا ان ياتين بفاحشة استثناء متصل من المفعول له اي لا تعضلوهن لعلة
من العلل الا لان يفعلن الزنا او النشوز فحينئذ يحل لكم ما اخذتم منها قوله مبينة

صفة فاحشة وفي بفتح الياء اي بينها غيرهما وبكسر الياء اي بتبيين هي بنفسها
قيل كان الرجل اذا اتت المرأة بفاحشة اخذ منها ما ساق اليها ويطلقها
فنسخ ذلك بالحدود والمعني انها اذا نشزت او زنت تحل للرجل ان يسئال
الخلع وتعطيه ما سألها بطيبة نفسها قوله وعاشروهن اي صاحبوهن
بالمعروف اي بالقول الجميل والنفقة والمبيت نزل حين كانوا يسيئون عشرة
النساء ثم قال فان كرهتموهن اي ان كرهتم صحبتهن فعسي ان تكرهوا
شيئا اي فاصبروا عليهن ولا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فقوله
فعسي الي آخره جزاء الشرط من حيث المعني الذي هو معللة وذلك الصبر
معهن يعني فاصبروا معهن فلعل كراهيتكم لهن مع الصبر اولي لكم و
اصلح ويجعل الله فيه اي في الصبر معهن خيرا كثيرا اي ولدا صالحا او
الفة ومحبة وصلاحا في الدين قوله وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج من الزوجات نزل فيمن كان اذا راي امرأة فاعجبته واراد ان يتزوجها
طلق امرأته التي تحته ليستبدل لها بها فقال تعالي اذا اردتم ذلك وآتيتم
احديهن قنطارا اي مالا عظيما من المهر قيل القنطار سبعون الف دينار
او ثمانون الفا من ورق فلا تأخذوا منه اي من القنطار شيئا اذا لم
يكن النشوز من قبلها ثم قال تشنيعا للاخذ اتأخذونه اي شيئا منه
بهتانا مفعول له اي للظلم العظيم او حال اي باهتين فيه والبهتان
ان يقذف الشخص بقبيح فيبهت لذلك اي يتحير من قبحه واثما مبينا اي
للذنب الظاهر او آثمين عيانا ثم استفهم علي سبيل الانكار والتعجب
بقوله وكيف تأخذونه اي كيف تستحلون اخذه وقد افضي اي
خلا بعضكم الي بعض اي مع بعض في لحاف واحد والواو للحال وهو
كناية عن الجماع قيل الافضاء ان يخلو الرجل والمرأة جامعها او لم
يجامعها فقد وجب كمال المهر والعدة واخذن منكم ميثاقا غليظا
اي عهدا شديدا بالافضاء او الميثاق قول الولي زوجتكها علي ما اخذ
الله للنساء علي الرجال عهدا وثيقا بقوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان فصار ذلك ميثاقا غليظا من النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح
اباؤكم من النساء نزل نهيا عن نكاح نساء الاباء وما بمعني من الموصولة
ومن النساء بيان لها اي لا تتزوجوا من تزوج اباؤكم من النساء
ثم طلقها او مات عنها الا ما قد سلف استثناء متصل اي الا بالنكاح الذي

عقدم

عقدم اباؤكم من النساء ثم طلقها او مات عنها بعينه من قبلكم فانكحوا به
ان امكنكم ان تنكحوا وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه لانه من باب
تعليق المحال في التأبيد او استثناء منقطع والا بمعني لكن ويكون الجملة مستأنفة
اي لا تفعلوا ذلك لكن ما مضي من فعلكم كذلك معفو عنه واتفقوا علي ان زوجة
الاب تحرم علي الابن بمجرد العقد لظاهر الاية واختلفوا في المرأة التي وطئها
الاب علي وجه الزنا منهم من حرمه ومنهم من جوزه انه اي نكاح ما نكح اباؤكم
كان فاحشة اي معصية شديدة ومقتا اي بغضا من الله وساء سبيلا
اي بئس الطريق في الدين ثم بين ما لا يحل للرجال من النساء بقوله حرمت
عليكم امهاتكم اي حرم نكاحهن والمراد الامهات والجدات من الاب والام
او من قبل احدهما وان علون والامهات جمع الام واصلها امهة ولذلك
يثبت الهاء في الجمع وبناتكم اي حرم نكاح بناتكم جمع بنت والتاء عوض من
المحذوف اللام وليست بتاء التانيث لسكون ما قبلها ويكسر تاء بنات حالة
النصب تشبيها بمسلمات والمراد البنات الصلبية وبنات الاولاد وان
سفلن واخواتكم اي وحرم نكاحها جمع اخت وتاؤها كتاء بنت وردت
اللام في الجمع حملا لها علي جمع المذكر وهو الاخوة فيحرم علي الرجل اخواته من
قبل الاب والام ومن قبل احدهما ويدخل فيهن بنات الاخوة والاخوات
وعماتكم اي حرم نكاحها جمع عمة وهي اخت الاب ويدخل فيهن اخوات الاباء
والاجدات وخالاتكم اي وحرم نكاحهن جمع خالة وهي اخت الام ويدخل
فيهن اخوات الامهات والجدات وبنات الاخ وبنات الاخت اي وحرم
بناتهما من كل جهة هؤلاء كلها هن المحرمات من جهة النسب ثم ذكر المحرمات
من جهة السبب فقال وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة
اي حرم نكاح الامهات والاخوات كلتاهما من الرضاعة كما حرمتا من
النسب لقوله عم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب والرضاع لا يحرم
الا قبل استكمال الحولين لقوله تعالي حولين كاملين لمن اراد ان يتم
الرضاعة وعند ابي حنيفة مدة الرضاع ثلثون شهرا يعني حولين ونصف
حول وعند كثير الرضاع وقليله محرم وعند الشافعي عدد الرضاع
المحرم خمس رضاعات متفرقات يعني يكتفي الصغير لكل واحدة منها وامهات
نسائكم اي حرم نكاحها بمجرد عقد نكاح بناتها يعني يحرم علي الرجال نكاح ام زوجته
سواء دخل بالزوجة او لم يدخل بها وربائبكم اللاتي في حجوركم اي حرم نكاح

الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة لان زوج الام يربها غالبا وهي
التي يربيتها في حجره والمراد من الحجور البيوت لانها بمنزلة الولد في التربية
غالبا في بيته فالوصف يفيد التعليل للتحريم يعني لكونهن في تربيتكم بمنزلة
اولادكم فالعقد على بنات نسائكم كالعقد على بناتكم في التحريم وقيل ذكر الحجور
مبني على العرف قوله من نسائكم في محل النصب على الحال من ربائبكم اي
كاينة من ازواجكم اللاتي دخلتم بهن اي جامعتموهن فان لم تكونوا
دخلتم بهن فلا جناح عليكم في نكاح بناتهن اذا فارقتموهن او متن وحلائل
ابنائكم الذين من اصلابكم اي حرم عليكم ازواج ابنائكم الذين وجدوا
من ظهوركم جمع حليلة والمذكر حليل لان كل واحد حلال لصاحبه وفائدة
قوله من اصلابكم جواز نكاح امرأة المتبني اذا فارقها للمتبني لانه ع م
قد تزوج امرأة زيد وكان قد تبناه فعيره المشركون بذلك فنزل ما كان محمد
ابا احد من رجالكم الاية وان تجمعوا في محل الرفع على امهاتكم اي حرم
عليكم الجمع بين الاختين بالنكاح في حالة واحدة الا ما قد سلف متصل او
منقطع بمعنى لكن ما مضى من فعلكم في الجاهلية مغفور بدليل قوله ان الله
كان غفورا لمن فعل ذلك في الجاهلية رحيما لمن تاب من ذنوبه واطاع
لامر ربه في الاسلام والمحصنات عطف على امهاتكم نزل في مسلمات
هاجرن من مكة ولهن ازواج فيها فتزوجهن بعض المسلمين نهيا عن
ذلك اي وحرم الحراير المزوجات التي قد احصنهن ازواجهن من النساء لان
البينونة لم يقع لهن بتباين الدارين وهذا حجة للشافعي لان سبب البينونة
عنده السبي وعند ابي حنيفة لو هاجرن مسلمات او ذميات وقعت البينونة
لهن بلا عدة لتباين الدارين الا ما ملكت من سبايا فانها حلال لكم فالا
متصل اي حرم عليكم ذوات الازواج الذين هم في دار الحرب الا المسبيات
منهن فهي حلت لكم بمجرد السبي عند الشافعي وغيره بالاحراز عن دار الحرب الى
دار الاسلام بدون الزوج روي ان المسلمين اصابوا يوم اوطاس سبايا
لهن ازواج من المشركين في دار الحرب فتأثم المسلمون منهن وقالوا
لهن ازواج فانزل الله الاية فبهن تحل للرجال مسبيته اذا استبراء رحمها محصنة
وقيل معنى الاية حرم المحصنات من النساء وهي كل امرأة ليست تحتكم الا
ما تزوجتم من النساء مثنى وثلث ورباع ثم قال كتاب الله عليكم وهو مصدر
مؤكد اي كتب الله ما حرم عليكم كتابا فلا تغيروه ثم قال واحل لكم ما وراء ذلكم

معلوما معطوفا على المضمر العامل في كتاب الله اي كتب ذلك واحل لكم من سوى
المحرمات المذكورة ومجهولا معطوفا على حرمت فان الله تعالى بين المحرمات في قوله
ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم الى قوله والمحصنات وهن اربع عشرة سبع بالنسب
وسبع بالسبب ثم بين المحللات بقوله واحل لكم ما وراء ذلكم فظاهر الاية
يدل على جواز ما سوى المحرمات بالنكاح لكن رسول الله ع م قال يحرم من الرضاع
ما يحرم من النسب اي يحرم النكاح بين الرجل والمرأة بالرضاع كما يحرم بينهما
بالنسب وهو نص مطلق يتناول الام والبنت والاخت وغيرها من الرضاع
وقال لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا تنكح الامة على الحرة فوجب
اتباعه لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قوله
ان تبتغوا في محل النصب مفعول له ومعمول له محذوف اي احل لكم ما وراء
ذلكم لان تطلبوا النساء باموالكم حال كونكم محصنين اي متزوجين
واصل الاحصان الحفظ والمراد هنا العفة عن الوقوع في الحرام بدليل قوله
غير مسافحين اي غير زانين من قولك سفحت الماء اذا صببته وهو المني
والمعنى لا تضيعوا اموالكم في الزنا لئلا يذهب دينكم ودنياكم ولكن تزوجوا
بالنساء فهو خير لكم فما استمتعتم به منهن اي فالذي انتفعتم به
من النساء بالنكاح الصحيح من الجماع او خلوة صحيحة او غير ذلك فآتوهن
اي اعطوهن اجورهن اي ما شرطتم لهن من المال عليه الاستمتاع فحذف
عليه للعلم به فريضة نصب على الحال من الازواج اي حال كونها مفروضة
لهن عليكم والمراد مهورهن لان المهر جزاء البضع فلا بد من ايتائه بالاستمتاع
بهن وقيل نزل هذا في ترخيص نكاح المتعة في بعض المغازي ثم نسخ بقوله ع م
يا ايها الناس كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النساء وان الله حرم ذلك
الى يوم القيمة ولا جناح اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم اي في ان تتراضيا
بعد النكاح على زيادة المهر من جانب الزوج او على الحط من المهر من جانب
الزوجة وان تهب لزوجها جميع مهرها من بعد الفريضة اي بعد المفروض
للزوجة وقيل المراد المتعة قبل النسخ يعني لا جناح على الزوجين ان يتراضيا
على زيادة الاجل والمال ان الله كان عليما فيما رخص لكم من جانب الاجانب
حكيما فيما حرم عليكم من المحرمات ومن شرطية ومن لم يستطع منكم طولا
اي غنا وفضلا وقوله ان ينكح بدل من طولا يعني من لم يجد منكم سعة
من المال لان ينكح المحصنات المؤمنات بفتح الصاد اي التي احصنهن

غيرهن من ذوج او ولي وبالكسر هنا وفي جميع القرآن الا في قوله والمحصنات
من النساء فبل اي احصن انفسهن بالحرية فجزاؤه فمن ما ملكت ايمانكم
من فتياتكم المؤمنات اي فليتزوج امة مؤمنة اذا لم يكن تحته او اده
حرة ولا له قدرة من المال ان يتزوج حرة والفتيات المملوكات والاماء جمع
فتاة ويقول العرب للامة فتاة وللعبد فتى وانما كان نكاح الامة منحطا عن
نكاح الحرة لما فيه من اتباع ولد الامة في الرق ولانها ممتهنة بالخدمة دخولا
وخروجا وثبوت حق المولى عليها والعزة من صفات المؤمنين وذلك
كله مهانة لهن والله اعلم بايمانكم فيه تطييب لقلوبهم بنكاح الاماء
اي لا تستنكفوا عن نكاح الاماء فان الله اعلم بايمانكم فربما كانت الامة
افضل بايمانها من الزوج الحر فلا تفاخر بالحرية والحسب بعضكم من
بعض في الايمان اي بينكم تواصل وتناسب في الدين وانكم جميعا من
آدم فلا يفضل حر عبدا الا برجحان في الدين فلا اعتداد بالمال و
الحسب المعنى انهن مثلكم فانكحوهن باذن اهلهن اي مواليهن
لان هن وما في ايديهن مال الموالي او التقدير فاتوا مواليهن فحذف المضاف
محصنات اي حال كونهن عفايف غير مسافحات اي غير زانيات جهرا
ولا متخذات اخدان اي اخلاء في السر للزنا والخدن الصديق سرا
فنهي الله تعالى عن نكاح الفريقين جميعا فاذا احصن مجهولا اي زوجن
ومعلوما اي اسلمن او حفظن فروجهن لازواجهن فان اتين بفاحشة
اي بزنا فعليهن اي فالواجب عليهن نصف ما على المحصنات اي الحراير الا
من العذاب اي الحد لقوله ويدرؤا عنها العذاب ولا رجم عليهن لانه لا يتنصف
فحد الامة اذا زنت خمسون جلدة وفي التغريب قولان عند القايل به فان
غرب فنصف سنة ولما ذكر في الاية حد الامة دون حد العبد جعلوا العبد
مقيسا على الامة والجامع بينهما الرق واختلفوا في الرقيق الذي لم يتزوج
اذا زنا اكثرهم اوجب الحد عليه ولم يجعل التزويج شرطا لوجوب الحد
لان الله تعالى لم يذكر في الآية لذلك بل للتنبيه على ان الرقيق وان كان
محصنا انتفى عنه الرجم اذا زنا واقلهم لم يوجب الحد على الرقيق
الغير المتزوج لانه جعل التزويج شرطا للحد بالآية ذلك اي نكاح الامة لمن خشي
العنت اي الزنا منكم والعنت في اللغة الضيق والشدة فعندنا في
لا يجوز نكاح الامة للحر الا ان يكون عاجزا عن طول الحرة وان يخاف

وآتوهن اجورهن اي اعطوهن مهورهن بالمعروف اي من غير مطل فان تسليم الثمن الى مواليهن

الوقوع

الوقوع في الزنا ولا نكاح الامة الكتابية احتجاجا بظاهر الآية حيث
قيد المؤمنات فيها وعند ابي حنيفة الغنا والفقر سواء في جواز
نكاح الامة وتفسير الآية على تقدير ان النكاح بمعنى الوطئ بان لم
يملك فراش الحرة فله ان ينكح امة ويحمل من فتياتكم المؤمنات على الفضيلة
لا على كون الايمان في الامة شرطا فيجوز عنده نكاح الامة اليهودية
والنصرانية ولكن الافضل ان لا ينكح وان تصبروا في محل الرفع مبتداء اي
صبركم على نكاح الاماء والخير خير لكم من تزوجهن لئلا يخلق الولد رقيقا
روي عن النبي عم الحراير صلاح البيت والاماء هلاك البيت وقيل معنى
الآية صبركم على نكاح الامة خير لكم من ان تقعوا في الفجور والله غفور
لما فعلتم قبل تحليله رحيم حيث رخص في نكاح الامة قوله يريد الله
ليبين لكم ايماء الى وجه التحليل والتحريم اي يريد الله بما شرع من التحليل
ليفهم لكم شرايع الاسلام ويهديكم اي ويعلمكم سنن الذين من
قبلكم اي شرايعهم من الانبياء والصالحين في التحليل والتحريم ليقتدوا بهم
ويتوب عليكم اي يتجاوز عنكم بالتوبة وقبولها ان تبتم والله
عليم بمن تاب حكيم بقبول التوبة ثم قال والله يريد ان يتوب
عليكم بالتكرير اظهارا لرحمته وكمال شفقته على عباده المؤمنين اي الله
يريد ان يتجاوز عن ذنوبكم وخطاياكم بتوفيق التوبة لكم لانه لولا
ارادته لكم التوبة لكنتم بمعزل عن التوبة فلذلك شرع ما شرع من الحلال
والحرام ويريد الذين يتبعون الشهوات وهم اهل الباطل والزنا من
اليهود والنصارى والمجوس ان تميلوا ميلا عظيما اي تعدلوا عن الحق
الى الباطل فيكونوا مثلهم في كفرهم وزناهم قيل نزل ذلك حين قال
المجوس انكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام
فانكحوا بنات الاخ وبنات الاخت وكانوا يستحلون نكاحهن بالباطل
يريد الله ان يخفف عنكم اي يهون عليكم امركم ويرفع عنكم
اثقالا العبودية باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص واتباع
الشريعة السمحة السهلة فعلمه بجهلكم وضعفكم وخلق الانسان
ضعيفا هو نصب على الحال اي خلق ضعيف العقل والراي لا يصبر
عن النكاح واتباع الشهوات ولا على مشاق الطاعات الا من
ايده الله بنور اليقين فانه يصبر به لا بنفسه ثم قال تاكيدا لاتباع

الشريعة ونهيا عن اتباع الهوى يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم
بينكم بالباطل اي بما لم يبحه الشريعة كالظلم واليمين الكاذبة والسرقة
والخيانة والقمار والربوا وغير ذلك الا ان تكون تجارة بالرفع فكان تامة
يقع تجارة بينكم كالمضاربة او الشركة او البيع والشراء والسفر والحضر
بالنصب فكان ناقصة والاسم ضمير الاموال اي الا ان يكون الاموال
اموال تجارة بتقدير المضاف عن تراض منكم صفة تجارة اي تجارة
صادرة عن تراض المتبايعين والتراضي الافتراق عن مجلس البيع بتمامه
متراضيين عند الشافعي او رضا العاقدين بما تعاقدا عليه وقت الايجاب
والقبول عند ابي حنيفة رحمه الله وخص التجارة بالذكر لكونه اغلب اسباب
المكاسب ولا تقتلوا انفسكم اي لا تقتل بعضكم بعضا من جنسكم من
المؤمنين او لا تهلكوها باكل الاموال بالباطل واتباع هوى النفس والحرص على
الدنيا او لا تقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض من الجهلة ان الله كان
بكم رحيما لنهيه عما يضركم من القتل الحرام واخذ المال بغير حق ومن يفعل
ذلك اي ما حرم عليكم قتل عدوانا اي تجاوزا للحد وهو مصدر في موضع
الحال اي مستحلا ما ليس بحلال في الشرع وظلما اي وجورا يعني لا خطاء
ولا اقتصاصا فسوف نصليه اي ندخله في الآخرة نارا اي في نار جهنم
ليحرق كرة بعد كرة وكان ذلك اي عذابه على الله يسيرا اي هينا لا يعجز عنه
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اي ان تمتنعوا عن عمل الكبائر التي نهيتم
عنها وهي سبع الشرك بالله تعالى وقتل المؤمن عمدا والزنا واكل مال
اليتيم والفرار من الزحف واكل الربوا وقذف المحصنة وعقوق الوا لدين
وزاد بعضهم شهادة الزور والسحر وقيل الكبيرة ما نزل فيه الحد وقال
ابن عباس هي الى السبعمائة اقرب الا انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة
مع الاصرار فان شرط وجوابه نكفر اي نمح عنكم سيئاتكم اي ما دون
الكبائر وندخلكم بنون التكلم في نكفر وندخل مدخلا كريما اي في الجنة
بفتح الميم اسم مكان او مصدر كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات
لما بينهن اذا اجتنب الكبائر قوله ولا تتمنوا نزل نهيا عن الحسد اي لا تتمن
احد منكم ما فضل الله اي رجح به بعضكم على بعض بالانعام عليه
من المال وغيره من زهرة الدنيا يعني لا يتمن رجل مال اخيه ولا امرأته

ولا دابته او جاهه فان تفضيل الله صادر عن حكمة ومصلحة فمن تمنى
ما قدر له فقد اساء الظن بالله ثم قال في ترك الحسد وطلب الفضل
للرجال نصيب مما اكتسبوا اي خصتهم مما عملوا في الدنيا من الخير والشر
وللنساء نصيب مما اكتسبن اي ولهن حظ مما عملن ايضا فلا
يجازي احدا الا بعمله ولا يعاقب الا به وقيل نزلت الآية في ام سلمة
حيث قالت ليت الجهاد كتب على النساء وقيل ان الرجال قالوا ان
الله فضلنا على النساء في الدنيا فجعل لنا سهمين ولهن سهما ونرجوا
ان يكون لنا اجران في الاعمال فنزلت ثم قال واسئلوا الله اي شيئا بتخفيف
الهمزة من فضله اي من رزقه يعني لا تحاسدوا بل اطلبوا ان يتفضل
الله عليكم بشيء من خير الدنيا والآخرة وقرئ وسلوا بحذف الهمزة و
القاء حركتها على السين تخفيفا ان الله كان بكل شيء عليما فيما يصلح لكل
واحد من الرجال والنساء ولكل بتنوين العوض من المحذوف اي ولكل مال
بعد موت صاحبه جعلنا موالي جمع مولى اي ورّاثا ليرثوا مما ترك الوالدان
والاقربون ومن بيان كل مال والموالي هم اصحاب الفرائض والعصبات وغيرهما
من الوراث ويجوز ان يكون المعنى ولكل احد جعلنا موالي اي ورّاثا مما تركه
فمن متعلق بموالي وضمير ترك يرجع الى كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والا
قربون على تقدير من هم قبله قوله والذين عقدت ايمانكم وفي عاقدت
نزل تاكيدا لعقد المولى الموالات الثابت في الجاهلية فانهم كانوا
يتحالفون فيها فيكون للتحليف السدس اي الذين عاهدت ايديكم
نسب العقد الى اليمين لان الرجل كان يمسح يد معاهده عند المعاهدة
والموصول مبتدأ خبره فآتوهم نصيبهم اي حظهم من الميراث ثم نسخ
الميراث بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وبقيت النصرة والهبة
والنصيحة ان الله كان على كل شيء شهيدا اي شاهدا على اعطائكم اياهم
نصيبهم وعلى عدم الاعطاء فيه ترغيب على الاعطاء وتهديد عن
المنع قوله الرجال قوامون على النساء نزل حين لطم سعد بن الربيع
امرأته فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرها بالقصا ص
فرفع الله القصاص من ساعته وقال النبي عم ما اراد الله خير
مما اردنا اي الرجال مسلطون بالقيام على تاديب النساء بما فضل
الله اي بتفضيل الله بعضهم اي الرجال على بعض اي على النساء

بالعقل والعلم والتدبير والقوة والشدة في النفس والطبع وبما انفقوا
من اموالهم اي وبانفاقهم عليهن من مالهم من المهر والنفقة فجعل لهم
حق القيام عليهن بذلك فالصالحات اي المحصنات بالدين قانتات اي
مطيعات لازواجهن بما عليهن لهم من الحقوق حافظات للغيب اي
لغيب ازواجهن من الفروج واموالهم بما حفظ الله اي بحفظهن الله حيث
اوصي عليهن في كتابه الازواج بقوله وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج الاية وغيرها وقيل توعد الله لهن الثواب العظيم على حفظ الغيب
وايعادهن بالعذاب الشديد على خيانتهن لازواجهن فما مصدرية
واللاتي تخافون اي تعلمون نشوزهن اي عصيانهن لازواجهن فعظوهن
اي انصحوهن وخوفوهن الله واهجروهن اي باعدوهن ان لم يرجعن
عن النشوز في المضاجع اي المراقد يعني لا تدخلوهن تحت اللحاف وهو
كناية عن عدم الجماع بهن او المراد الاعتزال عن فراشها الي فراش آخر و
اضربوهن ان لم ينفع الوعظ فيهن مع الهجران ضربا غير شديد و يجتنب
الضارب الوجه وكسر العظم فان اطعنكم فلا تبغوا اي لا تطلبوا عليهن
سبيلا اي طريقا وعلة الي ضربهن ظلما وتوبوا عليهن ولا تنظروا الي ما وقع
منهن من الايذاء والنشوز فانه اعطف لهن ان الله كان عليا اي اعلا
عليكم قدرة منكم عليهن كبيرا اي اعظم حكما عليكم منكم عليهن
فاحذروه واعفوا عنهن اذا رجعن لانكم تعصونه على علو شانه
وكبرياء سلطانه ثم يتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن
يجني عليكم اذا رجع روي عن النبي عم انه راي ابا مسعود وقد رفع
سوطا على غلام له ليضربه فصاح يا ابا مسعود لله اقدر عليك منك
عليه فرمي السوط واعتق الغلام قوله وان خفتم شقاق بينهما امر الحكام
والاضافة كاضافة مكر الليل اتساعا اصله شقاقا بينهما اي علمتم خلافا
بين الزوجين ولا تدرون من قبل ايهما يقع النشوز فابعثوا حكما من اهله
اي اهل الزوج وحكما من اهلها اي اهل الزوجة والحكم رجل عدل
له عقل وتمييز يصلح للانصاف وخص الحكم بالاهل لان الاقارب اعرف
ببواطن احوالهم واطلب للصلاح بينهم وانصح لهم واسكن
لنفوسهم لان نفوس الزوجين تسكن اليهما وتبرز اليهما ما في ضمائرهما
عن حب احدهما الآخر وبغضه ان يريدا اي الزوج والزوجة اصلاحا

لهما

لهما وقيل ان يريد الحكمان اصلاحا لحال الزوجين يوفق الله بينهما
اي بين الزوجين بالصلاح ويبدل الوفاق بالشقاق والحب بالبغض
او بين الحكمين فيظهر لهما مصلحة الزوجين فان رايا الجمع بالتفتيش
عن حال الزوجين جمعا بينهما وان رايا التفريق فرقا ان الله كان عليما
بالتاليف بين المختلفين خبيرا بنصيحة الحكمين قيل هذه الآية دلالة
على اثبات التحكيم خلافا للخوارج قيل يجوز بعث الحكمين بغير رضا الزوجين
وان يطلق حكم الزوج بغير اذنه ويخلع الزوجة بغير اذنها روينا
عن مالك وقيل لا يجوز البعث بغير رضاهما ولا الطلاق بغير اذن الزوج
ولا الاختلاع بغير اذن الزوجة روينا عن ابي حنيفة رحمه واصحابه
ثم خاطب الناس جميعا من المؤمنين والمنافقين والكفار بقوله
واعبدوا الله اي اطيعوه فيما امركم به واثبتوا في عبادته بالاخلاص
ولا تشركوا به شيئا اي وحدوه ظاهرا وباطنا وبالوالدين احسانا
اي واحسنوا بهما برا بالانفس والاموال من غير منة عليهما وفيه
بيان حرمة الوالدين حيث قرن الاحسان بهما بعبادة نفسه قال
ما من ولد نظر الي والديه نظر رحمة الا كانت بها حجة وعمرة وبذي
القربى اي واحسنوا بالذي بينكم وبينه قرابة سوي الولادة كالاخ
والعم وغيرهما واليتامى اي واحسنوا بالايتام بالقيام على اموالهم
وهو خطاب للاوصياء والمساكين اي واحسنوا اليهم بالصدقة و
اطعام الطعام والجار ذي القربى اي واحسنوا الي الجار الذي بينكم
وبينه قرابة وهو من باب حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى الي
الذي قرب جواره في المنزل والجار الجنب اي واحسنوا الي الجار البعيد
من المنزل والصاحب بالجنب اي واحسنوا بالرفيق في السفر وبمن
يصحبكم طالبا للنفع منكم وقيل هي المراة التي تصاحب جنبها جنب
زوجها وابن السبيل اي واحسنوا بالمسافر المنقطع عن السفر بفقره او الضيف
فحقه ثلثة ايام وما زاد علي ذلك فهو صدقة ولا يحل له ان يقيم عنده حتى
يحرجه وما ملكت ايمانكم من المماليك والخدم يعني احسنوا الي جميع
هؤلاء تثابوا وتغفروا ان الله لا يحب من كان مختالا اي نباها يتكبر
في مشيته من الكرام اقاربه ومماليكه ولا يلتفت اليهم فخورا ينعم الله
انه لا يشكره ويتكبر على الناس قوله الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل

النباهة شهرة وشرف

بفتح الباء والخاء وبضم الباء وسكون الخاء مبتدا خبره محذوف اي يعذبو
بالعذاب المهين او هم الذين او بدل من من كان لانه جمع نظرًا الي المعني
نزل فيمن كان عادتهم الاخذ والمنع والامر للغير بعلمهم لان يعصي ربه
بامر بفعله غيره كي لا يظهر عيبه كحيي بن اخطب واصحابه قوله ويكتمون
ما آتيهم الله من فضله نزل فيمن يكتم نعمة الله وما آتاهم من فضله الغنا
ويتفاخرون الي الناس كيلا يخرجوا حق الله الذي اوجبهم به وقيل فيمن
كتم العلم او صفة النبي عم كروساء اليهود واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا اي شديدا يهانون به قوله والذين ينفقون اموالهم رئاء
الناس عطف علي الذين يبخلون نزل في المنافقين او المنفقين علي عداوة
الرسول عم يوم بدر من المشركين واليهود اي الذين يتصدقون جهرا
مرائين الناس فرئاء الناس مصدر في موضع الحال او مفعول له ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر في السر فقرينهم الشيطان الذي حملهم علي ذلك
العمل يقرن بهم في النار ومن يكن الشيطان له قرينا في النار بالسلسلة
فساء قرينا اي بئس صاحبا الشيطان ثم استفهم للتوبيخ والتجهيل
بقوله وماذا عليهم اي اي وبال يكون عليهم في الايمان والانفاق لو آمنوا
بالله واليوم الاخر مكان الشرك والنفاق وانفقوا مما رزقهم الله من
الاموال مكان البخل في غير رئاء يعني لا يضرهم ذلك بل ينفعهم في الدنيا و
الاخرة ثم هددهم بقوله وكان الله بهم عليما بانهم لم يؤمنوا فلا يثيبهم
الله بما ينفقونه من الاموال رئاء الناس ان الله لا يظلم احدا مثقال
ذرة اي نملة صغيرة او قدر ما يظهر من اجزاء الهباء في شعاع الشمس
في الكوة وهو نفي للظلم اذ لا وزن له يعني لا ينقص من ثواب اعمالهم
شيئا لو عملوها بالاخلاص لاستحالته عليه في الحكمة لا لاستحالته في العقل
وان تك حسنة بحذف النون تخفيفا لكثرة الاستعمال وبرفع حسنة
علي ان كان تامة وبنصبها علي انها ناقصة وانث مثقال بالاضافة الي
ذرة اي ان يكن مثقال ذرة حسنة يضاعفها اي يزيدها الله اضعافا
ويؤت اي يعط من لدنه اي من عنده من غير استحقاق اجرا عظيما
اي اعطاء كثيرا لا يقدر قدره غير الله لكثرته وسماه اجرا لانه تابع
للاجر لا يثبت الا بثباته وقيل هو الجنة قال عم ان الله يعطي لعبده
المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد

نزل

نزل توبيخا للكفار علي ترك الايمان والعمل بالسيئات اي كيف يصنع
الكفار وقت مجيئنا من كل امة من امم الانبياء بشهيد يشهد عليهم بعملهم
وهو نبيهم وجئنا بك يا محمد علي هؤلاء اي علي امتك الذين كذبوا شهيدا
تشهد بعملهم القبيح وقيل معني الاية ان الرسل يشهدون يوم القيمة
علي اممهم بتبليغ الرسالة اليهم من ربهم حين يسألهم الله هل
بلغكم الرسل فيقول الامم ما بلغونا رسالة ربنا فيقول الرسل قد بلغنا
ولنا شهود فيقول الله ومن شهودكم فقالوا امة محمد فاتي بامة محمد
فيشهدون انهم قد بلغوا الرسالة اليهم فيقول الامم ان فيهم
سراقا وفساقا لا تقبل شهادتهم فجاء النبي عم علي هؤلاء يعني علي امته
شهيدا يشهد بالتصديق لهم ويزكيهم فيقول الكافرون والله ربنا
ما كنا مشركين فيختم علي افواههم وتشهد ايديهم وارجلهم بما كانوا
يكسبون فقال الله تعالي مخبرا عن حالهم يومئذ اي يوم يقوم الناس
من قبورهم ويرون شدة الامر عليهم يود اي يتمني الذين كفروا بالله
وعصوا الرسول اي لم يقروا برسالته لو تسوي اي ان يدفنوا فتسوي
بهم الارض كما تسوي بالموت او انهم يودون ان يكونوا كالارض
سواء او ان يصيروا ترابا اذا راوا البهائم قد صارت ترابا بقوله
تعالي كوني ترابا المعني انهم يتمنون يوم القيمة ان يكونوا معدومين
لقوله ولا يكتمون الله حديثا اي والحال انهم لا يسترون من الله
حديثا بالكذب في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين او نعت محمد عم
لانهم كتموه في الدنيا وندموا في الاخرة ولا ينفعهم الندم فيها قوله
يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكاري بضم السين
جمع سكران والواو للحال نزل حين صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وجمع
عليه جماعة من الصحابة فاكلوا وشربوا الخمر قبل التحريم فاخذت منهم
العقل فقدموا واحدا منهم اماما قيل هو علي رضه فصلي بهم المغرب
فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبد بحذف لا الي آخر السورة
فنهي الله تعالي عن الصلوة بحال السكر وقيل معناه لا تقربوا مواضع الصلوة
وهي المساجد بتلك الحالة والسكر اسم حالة تعرض بين الشخص وعقله
حتي تعلموا ما تقولون اي حتي تصيروا بحال يعلمون ما تقولون
فيعرفون الحرمة قوله ولا جنبا عطف علي قوله وانتم سكاري اي ولا

بعملهم

يعني نبيهم ليشهد علي فساد عقايدهم وقبح اعمالهم

تقربوا الصلوة في حال الجنابة قبل الاغتسال الا عابري سبيل اي
الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء وجوز بعضهم ان يكون الا
بمعنى الغير ويكون صفة لجنبا اي غير عابري سبيل لان رجالا من الانصار
كانت ابوابهم في المسجد ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم
فالمعنى انكم لا تقربوها غير مغتسلين حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى
اي مرضا يضره مس الماء كالجراحة او الجدري يخاف من مس الماء التلف
او يزيد العلة من مسه او على سفر طويلا كان او قصيرا او جاء احد منكم
من الغائط وهو المكان المطمئن من الارض في الاصل فكني به عن قضاء
الحاجة او لمستم النساء وقرئ لمستم اي جامعتموهن وقيل هو اللمس
باليد فعند الشافعي ينقض الوضوء لمس النساء وفي مس المحارم قولان و
عند ابي حنيفة رحمه الله لا ينقض يعني اذا اصابكم المرض او السفر او الحدث
او الجنابة فلم تجدوا ماء لبعد الاسباب او العجز عن الوصول اليه وجواب
الشرط متعلق بالمرض والمسافرين والمحدثين واهل الجنابة وهو قوله
فتيمموا اي فاقصدوا صعيدا طيبا اي ترابا طاهرا قيل الشافعي لا يتيمم
الا بتراب له غبار يتعلق بالوجه واليدين وابو حنيفة يتيمم بكل ما صعد على
وجه الارض كالزرنيخ فلو ضرب على صخرة لا تراب عليها فمسح وجهه ويديه
اجزاه لان الصعيد عنده وجه الارض ترابا كان او غيره فامسحوا بوجوهكم
وايديكم والباء زائدة وفي الكلام حذف اي وايديكم منه اي من الصعيد الطيب
ومن فيه للتبعيض لا لابتداء الغاية نحو قولهم فلان مسح براسه من الدهن
فانه لا يفهم منه الا البعض ومن لابتداء الغاية عند من جوز التيمم بالصخر الذي
لا تراب عليه ان الله كان عفوا بالترخيص غفورا للتقصير قوله الم تر اي
الم ينته علمك ونظرك الى الذين اوتوا اي اعطوا نصيبا من الكتاب اي
حظا من علم التورية وهم اليهود يشترون الضلالة اي يستبدلون
الكفر والبقاء على اليهودية بالهدى ففي الكلام حذف ويريدون ان تضلوا
السبيل اي سبيل الحق كما ضلوا عليه بعد وضوح الايات لهم على صحة
نبوتك نزل نهيا عن الموالاة بهم واستبشارهم في الامور والله اعلم
باعدائكم ايها المؤمنون منكم فاحذروهم ولا تستشيروهم في اموركم
ولا تقبلوا نصيحتهم وكفى بالله وليا اي محبا فثقوا بولايته وكفى بالله
نصيرا اي معينا لكم ويكفيكم مكرهم والمنصوب فيهما تميز قوله من الذ

هادوا خبر مبتدا محذوف اي هم الذين مالوا عن سبيل الحق للذين اوتوا
لاحتماله اليهود والنصارى ومحل يحرفون الكلم اي يغيرونه عن مواضعه
حال من الضمير في هادوا او صفة لموصوف محذوف تقديره من الذين هادوا
قوم يحرفون الكلم عن مواضعه التي وضعه الله تعالى في التورية كتغيرهم
صفة محمد عم وتغيير الرجم وجعلهم الحد بدله وذكر الضمير في مواضعه
لان الكلم اسم جمع وليس بجمع على الاصح ويقولون سمعنا قولك وعصينا
امرك واسمع غير مسمع اي غير مقبول منك وهو نصب على الحال وراعنا
اي يقولون هذه الكلمة لاظهار التوقير والاكرام ومعناها ارقبنا نكلمك
وهي الشتيمة والاهانة باللسان العبري او السرياني لانهم كانوا يتسابون
بها او كان غرضهم نسبة النبي عم الى الرعونة وهي الحماقة قوله ليا
بالسنتهم اي قلبا للكلام بها مفعول له او مصدر في موضع الحال يعني
يقولون ذلك لاوين السنتهم استهزاء وطعنا في الدين اي قدحا فيه و
لو انهم قالوا اي ولو ثبت قولهم بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا
وبدل واسمع غير مسمع واسمع كلامنا وبدل وراعنا وانظرنا الينا رحمة
لنا لكان ذلك القول خيرا لهم لتحقيق الايمان واقوم اي اسد واصوب
من الطعن والتحريف ولكن لعنهم الله بكفرهم اي ولكن الله خذلهم
وابعدهم عن الايمان بكفر قلوبهم فلا يؤمنون الا قليلا اي الا ايمانا
ضعيفا وهو ايمانهم بموسى وكفرهم بمحمد عم ويجوز ان يكون ضعف
ايمانهم لكونه بمجرد السنتهم لا فائدة فيه مع عدم التوبة ويجوز ان يراد بقليلا
عبد الله بن سلام واصحابه من مؤمني اهل الكتاب ثم اوعدهم بالعقوبة
الشديدة لعدم ايمانهم بالاخلاص بقوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب
اي اعطوا من التورية آمنوا بما نزلنا اي بالقرآن مصدقا لما معكم
من الكتاب من قبل ان نطمس اي نمحو ونحول وجوها اي وجوه قوم
فنجعلها كخف البعير بلا انف ولا عين ولا حاجب كالاقفية قبل يوم القيمة
وهذا معنى قوله فنردها على ادبارها والمراد من الطمس تسويد القلوب
ودينها ومن الرد ردها عن بصر الهداية على ادبارها في الضلالة
والفاء للتعقيب يعني من قبل ان يعاقبوا بعقابين احدهما عقيب الآخر
او نلعنهم اي نطردهم من الرحمة بالمسخ كما لعنا اصحاب السبت اي كما
مسخناهم القردة وكان امر الله اي عذابه مفعولا اي كائنا لا محالة وهذا

تحريكا منهم السنتهم
بتحريف منه لمعناه

وعيد شديد لهم ليعتبروا ويرجعوا عن كفرهم الي الايمان بالتوبة والاستغفار
قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به مع عدم التوبة لعظم الشرك نزل حين اراد الوحشي
التوبة بعد قتله حمزة يوم احد وندامته عند الرجوع الي مكة ويغفر ما دون
ذلك اي دون الشرك مع عدم التوبة لمن يشاء اي لبعض عباده رحمة منه
لهم ثم قال وحشي لعلي ان اكون ممن لم يشاء الله فنزل يا عبادي الذين
اسرفوا علي انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فلما سمعها وجدها اوسع
مما كان قبلها دخل هو واصحابه في الاسلام وفيها رد علي من يقول من
مات علي كبيرة يخلد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اي اختلق علي الله
اثما عظيما اي كذبا كبيرا وهو الكفر قال النبي عم من مات ولم يشرك بالله شيئا
دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات علي ذلك الا دخل
الجنة قوله الم تر الي الذين يزكون انفسهم ثم نزل خطابا للنبي عم علي
وجه التعجب اي الم تنظر الي الذين يطهرون نفوسهم عن الذنوب
بالسنتهم ولم تزكوها حقيقة بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وبقولهم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وبقولهم نحن كالاولاد الصغار
فهل عليهم ذنب فانكر الله ذلك عليهم بصيغة الاضراب فقال بل الله يزكي من يشاء
اي يطهره ويبرئه باكرام الهداية ونور الاسلام يهدي الله لنوره من
يشاء لانه هو العالم بمن هو اهل التزكية ولا يظلمون فتيلا اي لا ينقص الذين
يثابون علي زكائهم من الثواب قدر فتيل النواة وهي القشرة الرقيقة حولها
والضمير في لا يظلمون يرجع الي معنى من يشاء ثم امر نبيه بالنظر في حالهم
تعجبا فقال انظر كيف يفترون علي الله الكذب بزعمهم انهم عند الله ازكياء
وكفى به اي بالافتراء اثما مبينا اي من بين اثامهم قوله الم تر الي الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب اي اعطوا حظا من التورية نزل حين خرج حيي بن اخطب
وكعب بن الاشرف في رؤساء اليهود الي مكة بعد قتال احد مع جماعة يحالفون
قريشا علي محاربة رسول الله عم فقال قريش انتم اهل كتاب وانتم الي محمد عم
اقرب منا اليه فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى تطمئن قلوبنا فسجد
لاصنامهم ثم سالوا عنهم انحن اهدى ام محمد عم واصحابه قالوا بل انتم
اهدى سبيلا منهم فقال تعالى تعييرا لهم يؤمنون بالجبت والطاغوت و
هما اسمان للصنمين لهم اي يصدقون بغير الله ورسوله ويقولون اي

اهل

اهل الكتاب للذين كفروا بالكتاب هؤلاء يعنون ابا سفيان واصحابه
من المشركين اهدى من الذين امنوا يعني محمدا واصحابه سبيلا اي ارشد
دينا منهم اولئك الذين لعنهم الله اي طردهم الله من رحمته ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا اي مانعا من عذابه فقال ام لهم نصيب
اي حظ من الملك اي من ملك الله وام بمعنى بل والهمزة لانكار ان يكون لليهود
حكم في ملك الله مع الاشارة الي بخلهم وحسدهم للنبي عم اي ليس لهم
نصيب من الملك اذ لو كان لهم ذلك فاذا لا يؤتون الناس اي لا يعطون
احدا منهم نقيرا لبخلهم والنقير النقطة في ظهر النواة وهو مثل في القلة
ولم يعمل اذا في لا يؤتون لاجل فاء العطف والنون فيها اصل وليس
بتنوين ولذا يكتب بصورة النون قوله ام يحسدون الناس ام فيه
كلام في ام لهم يعني بمعنى بل والهمزة لانكار الحسد واستقباحه اي يحسد
اليهود والعرب النبي عم علي ما اتاهم الله من فضله اي علي النبوة والاسلام
والعزة صح
والتقدم عليهم وازدياد النصرة كل يوم وكثرة التزوج فقد اتينا ال
ابراهيم اي داود وسليمان الكتاب المنزل عليهما من السماء والحكمة
اي النبوة والعلم واتيناهم ملكا عظيما فكان ليوسف ملك مصر ولداود
ملكا عظيما وتحته مائة امراة ولسليمان بن داود ملكا اعظم وتحته
ثلثمائة مهيرة بالنكاح الشرعي وسبعمائة سرية ولم يكن لمحمد عم الا تسع
نسوة فكما لم يمنع ال ابراهيم النبوة عن كثرة التزوج بالنساء لم يمنع
محمدا عم كثرة التزوج ايضا مع ان فيه قوة اربعين نبيا وهذا الزام لهم
بما عرفوه قيل ان من كان اتقى كان شهوته اشد وقيل ايضا كل شهوة تقسي
القلب الا الجماع الحلال فانه يصفي القلب ولذا فضل الانبياء كثرة التزوج
الحلال
والجماع فمنهم من امن به اي بابراهيم ومنهم من صد عنه اي
اعرض عن ابراهيم او من اليهود من صدق بحديث ابراهيم ومنهم
من جحد بحديثه او من اليهود من امن بمحمد عم واصحابه ومنهم من
كفر ككعب بن الاشرف ومن تابعه ثم هدد المعرضين بقوله وكفى بجهنم
سعيرا اي وقودا مسعرة لمن كفر به ثم بين مستقر الكفار يوم القيمة فقال ان
الذين كفروا باياتنا اي بمحمد والقرآن سوف نصليهم اي ندخلهم نارا في
الآخرة كلما نضجت اي احترقت جلودهم بدلناهم اي جددناهم
جلودا غيرها بان غيرها من شكل الي شكل والعذاب للجملة الحساسة العا

صية

لا النجس فقط قيل انهم اذا احترقوا خبت عنهم النار ساعة فبدلوا
خلقا جديدا ثم عادت النار لحرقهم هكذا دأبهم فيها ففيه ايذان
بدوام العذاب عليهم يدل عليه قوله ليذوقوا العذاب بلا انقطاع ان
الله كان عزيزا اي شديد النقمة حكيما في تعذيبه ورحمته يعني لا يعذب
ولا يرحم الا بحكمة ثم بين مستقر المؤمنين بقوله والذين امنوا بمحمد عم
والقران وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة التي امرهم الله بها سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اي مقيمين فيها لا يخرجون
عنها ولا يموتون حال من مفعول ندخلهم لهم فيها ازواج مطهرة من العيوب
الظاهرة والباطنة وندخلهم ظلا ظليلا اي دائما في نهاية اللذة والسن
وفي وصف الظل بالظليل الذي هو مشتق تاكيد لمعناه ومبالغة كقولهم
ليل اليل اذا كان شديد الظلمة وقيل في مكان له ظل فوق ظل لكثرة الافنان
بحيث لا فرج فيه لالتفاء الاشجار والازدحام الاوراق وقيل يكون ذلك من
ظلال الاشجار وظلال القصور في الجنة قوله ان الله يامركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها نزل بعد فتح رسول الله مكة حين اخذ علي مفتاح الكعبة
من سادنها عثمان بن طلحة الحجبي فطلب النبي عم عمه العباس بان يدفع
اليه المفتاح فنزل جبرئيل عم فاخبر النبي عم يا محمد ان السدانة في اولاد عثمان
ابدا يامركم الله ان ترد امانته الي اهلها فرده الي عثمان فاسلم ثم صار هذا
عاما في جميع الناس وفي كل ما يؤتمن عليه من حقوق الله تع والادميين
ثم قال لجميع الحكام والولاة والقضاة واذا حكمتم اي ويامركم اذا قضيتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل اي بالحق او بالبينة على المدعي واليمين على
من انكر فاذا معمول فعل محذوف وان تحكموا مفعوله ان الله نعما يعظكم
به اي نعم شيئا ينصحكم تاؤدونه الامانة والحكم بالعدل نعما نكرة بمعنى شي
ويعضكم به صفة والمخصوص بالمدح محذوف ان الله كان سميعا بمقالة
دفع المفتاح الي عمك العباس بصيرا اي لما يرد المفتاح الي اهله ولما امر الحكام
بالعدل امر المؤمنون بطاعتهم بقوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
في فرايضه واطيعوا الرسول في سنته واولي الامر منكم اي واطيعوا الولاة
اذا امروا بطاعة الله قال عم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد
عصي الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني قيل
كان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة

لي عليكم لقوله عم اذا امر المسلم بمعصية فلا سمع ولا طاعة وقيل المراد من
اولي الامر العلماء المتقون الذين يعلمون الناس معالم دينهم اي شرايعه
من الحل والحرمة ثم قال فان تنازعتم اي ان اختلفتم انتم وامراء العدل في شي
من الشرايع فردوه الى الله اي الي كتابه والرسول اي الي نفسه مدة حيوته
فان مات فالي سنته وقيل معناه اذا اشكل عليكم شي فقولوا الله ورسوله
اعلم ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر اي بالبعث بعد الموت ذلك
اي الرد الي كتاب الله والي سنة الرسول خير من التنازع واحسن
تاويلا اي اجمل من تاويلكم او اجمل عاقبة ومرجعا قوله الم تر الي الذين
يزعمون اي يدعون انهم امنوا بما انزل اليك اي بالقران وما انزل
من قبلك اي بالتورية وغيرها من الكتب المنزلة نزل حين وقع بين بشر
المنافق ويهودي خصومة فقال اليهودي انطلق بنا الي محمد عم حتى
يحكم بيننا وقال المنافق بل ناتي كعب بن الاشرف حتى يحكم بيننا اذ سمع
عمر بن الخطاب قولهما فقال ما شانكما فاخبراه بالقصة فقال عمر انا احكم
بينكما فاجلسهما ثم دخل البيت وخرج بالسيف وقتل المنافق فاخبر الله
عن حال المنافقين وقال الله تعالى يريدون ان يتحاكموا الي الطاغوت
وهو كعب بن الاشرف وسمي به لتجاوزه في الطغيان وقد امروا ان
يكفروا به اي بالطاغوت وهو يؤنث ويذكر ويريد الشيطان اي
كعب بن الاشرف او حقيقة الشيطان ان يضلهم عن الهدي
ضلالا بعيدا اي لا غاية له فلا يهتدون واذا قيل لهم تعالوا بفتح
اللام اصله تعاليوا امر لهم اي جيئوا الي ما انزل الله اي الي ما امره
في كتابه والي الرسول اي والي ما امره رسوله رايت المنافقين يصدون
اي يعرضون عنك صدودا اي اعراضا عن الحق ثم اخبر عن عاقبتهم
وحالهم بقوله فكيف اي كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة
وهي قتل عمر المنافق بما قدمت ايديهم اي بسبب عملهم القبيح وهو
التحاكم الي غيرك ثم جاؤك اي يجيئونك يعني اولياء المنافق لطلب
دية المقتول ويعتذرون اليك يحلفون بالله ان اردنا اي ما قصدنا
بالتحاكم الي غيرك الا احسانا اي طلبا للحق وتوفيقا بين الخصمين
لا اساءة ومخالفة لك ثم اشار الي كذبهم بقوله اولئك الذين
يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فاعرض عنهم يعني لا تعاقبهم

علي ما فعلوا وعظهم بلسانك بين الناس ليتوبوا وقل لهم في انفسهم
اي خاليا بهم ليس معهم غيرهم لان الوعظ في السر انفع وادخل في
الاخلاص فقوله في انفسهم متعلق بقل لهم لا بقوله قولا بليغا اي كلاما
يؤثر فيهم ويغتمون به لان الصفة التي موصوفها معها لا يعمل فيما قبلها
وفيه نظر لان ذلك اذا لم يكن معمولها ظرفا وههنا ظرف يجاز اعمالها فيما
قبلها نص عليه صاحب الكشاف يعني خوفهم وتوعدهم بالقول فانكم
ان فعلتم مرة اخري كذلك ولم يطيعوا اوي عاقبتكم بالقتل وغيره ونسخ
باية القتال ثم قال وما ارسلنا من رسول في امة من الامم الا ليطاع
يتعلق بارسلنا اي لكي يطاع باذن الله اي بسبب ان امر الله المبعوث
اليهم ان يطيعوه لان طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله وقيل
معناه بتيسير الله او بتوفيقه في طاعته وبطاعته يطاع الله ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الي الطاغوت جاؤك معتذرين اليك تائبين الي الله
فاستغفروا الله بالاخلاص من فعلهم ونفاقهم واستغفر لهم الرسول من
الله لوجدوا الله اي لعلموه توابا يقبل توبة التائبين رحيما يرحم المطيعين
بالتجاوز عن عقوبتهم وفي ايراد الرسول التفات من الخطاب الي الغيبة
تعظيما للنبي عم وتنبيها علي انه مستجاب الدعوة قوله فلا وربك لا يؤمنون
اظهار لكذبهم في ايمانهم ولا في فلا زائدة لتوكيد القسم او لتوكيد النفي في
لا يؤمنون والواو في وربك واو القسم وجوابه لا يؤمنون وهذا كقوله
لا والله لا يؤمنون حتي يحكموك اي يجعلوك حكما ويرضوا بحكمك يا محمد
فيما شجر اي اختلف بينهم واصل التشاجر الاختلاف والتنازع ثم لا يجدوا
في انفسهم اي في قلوبهم حرجا اي شكا وضيقا مما قضيت في انه الحق و
يسلموا تسليما اي ينقادوا لامر الله وامرك انقيادا بالخلوص والرضاء وقيل
نزلت الاية في الزبير وحاطب بن ابي بلتعة حين اختصما الي رسول الله عم
في مسيل الماء من الحرة فقال عم يا زبير اسق به نخلك ثم ارسل الماء الي جارك فغضب
حاطب ثم قال الله تعالي توبيخا علي نفورهم عن حكمه عم ولو انا كتبنا اي اوحينا
وفرضنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم كما اوحيناه علي بني
اسرائيل حين طلبوا التوبة من ذنوبهم ما فعلوه اي المكتوب عليهم الا
قليل منهم برفع قليل بدل من ضمير فعلوه وبنصبه استثناء والظرف
صفة لقليل والقليل جماعة من الصحابة كعمر وبياد وعمار بن ياسر وثابت

بن قيس وعبد الله بن مسعود فانهم قالوا والله لو امرنا محمد بذلك لفعلنا
فقال عم ان من امتي رجالا الايمان في قلوبهم اثبت من الجبال الرواسي ثم
زاد توبيخهم بقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من الطاعة والرضاء
بحكم الرسول لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا اي ولكان
اقوي تحقيقا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذا جواب سوال مقدر
كانه قيل ماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل ولو ثبتوا اذا لاتيناهم اي اعطيناهم
من لدنا اجرا عظيما وهو الجنة في الاخرة ولهديناهم اي وفقناهم لازدياد
الخيرات في الدنيا صراطا مستقيما وهو الاسلام قوله ومن يطع الله
والرسول نزل في جماعة من الصحابة قالوا يا رسول الله ان صرنا الي الجنة
تفضلتنا بدرجات النبوة فلا نراك وقيل نزل في شان ثوبان مولي
رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان شديد الحب له عم قليل الصبر
عنه حتي تغير لونه ونحل جسمه فقال له رسول الله ما غير لونك فقال
ما في مرض ولكن خشيت ان لا اراك يوم القيمة لعلو منزلتك فقال تعالي ومن
يطع امر الله وامر رسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و
الصديقين اي المبالغين في الصدق والشهداء كشهداء احد وبدر
وغيرهم ممن قتلوا في سبيل الله والصالحين من المسلمين بالاخلاص اي
لا يفوت المحبون مجالسهم في الجنة وحسن اولئك اي الموصوفون بهذه
الصفات رفيقا اي رفقاء في الجنة نصبه تميزا او حال وفيه معني التعجب
اي ما احسن اولئك رفيقا وهو مفرد بمعني الجمع كالطفل بمعني الاطفال ثم
اشار الي انهم قالوا ذلك بفضل الله لا بغيره بقوله تعالي ذلك اي المن والعطية
مبتدء خبره الفضل من الله وكفي بالله عليما اي كفي الله عالما بثواب من
اطاعه في الاخرة فانه يعطيهم ما علمه لهم من الثواب قوله يا ايها الذين
امنوا خذوا حذركم اي احترازكم بالسلاح لعدوكم ايما كنتم امرهم بالتيقظ
لاعدائهم فاذا انفرتم الي جهاد العدو فانفروا اي اخرجوا ثبات جماعات
متفرقة وفرق ثباتا نصب علي الحال اي متفرقين جمع ثبة وهي الجماعة المتفرقة
اي سرية بعد سرية او انفروا اي اخرجوا جميعا اي مع النبي عم باجمعكم وهو
ايضا حال بمعني مجتمعين قوله وان منكم لمن ليبطئن خطاب لعسكر الرسول
واللام في لمن للابتداء وفي الفعل جواب قسم ومن بمعني الذي والقسم
وجوابه صلة الذي والضمير الراجع اليه ما استكن في ليبطئن من بطأ

لازم بمعنى تأخر والمعنى وان منكم يا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للذي اقسم بالله ليتأخرون
عن الغزو تثاقلا ويجوز ان يكون متعديا اي ليثقلن غيره عن الغزو ومن
بطوء عن الشيء اي تثقل وهو ابن ابي واصحابه فان اصابتكم يا معشر المسلمين
مصيبة اي بلية وهزيمة من العذاب قال اي ذلك المنافق المتخلف عن الغزو
بالفرح والشكر لله قد انعم الله على بالقعود والتخلف عن القتال اذ لم اكن
معهم شهيدا اي حاضرا في ذلك الغزو ولئن اصابكم فضل اي فتح وغنيمة
من الله ليقولن متمنيا وقوله كان لم تكن بالتاء والياء بينكم وبينه مودة
اي معرفة اعتراض وقع حالا بين قوله ليقولن ومفعوله للتهكم باثبات
المودة لهم وهم اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم والمقول
يا ليتني كنت معهم في تلك الغزوة فافوز جواب التمني فوزا عظيما اي
آخذ حظا وافرا من الغنيمة والمنادي فيه محذوف اي يا قوم ليتني وقيل
ليس بمحذوف لانه دخل على ليت لزيادة التمني لا للنداء قوله فليقاتل
في سبيل الله امر للمنافقين بالقتال لوجه الله اي ليقاتل في طاعة الله
الذين يشرون الحيوة الدنيا اي يشترونها بالآخرة اي بدل الآخرة
وفيه توبيخ لهم ويجوز ان يكون امرا للمؤمنين ويكون المعنى الذين
يبيعون الحيوة الدنيا ويأخذون الآخرة بدلها ومن يقاتل في
سبيل الله اي في طاعته فيقتل اي يستشهد او يغلب اي يظفر
بعدوه فسوف نؤتيه اي نعطيه اجرا عظيما في الجنة يعني اذا غلب
يستوجب الثواب لا محالة ثم قال موبخا على ترك الغزو بالاستفهام
وما لكم اي اي شيء حصل لكم من العلل لا تقاتلون في سبيل
الله محل الجملة نصب على الحال والعامل فيها الحصول في لكم ثم عطف
على اسم الله والمستضعفين اي وفي سبيل الذين استضعفهم
الكفار بالتعذيب والاسر من الرجال والنساء والولدان الذين
بمكة فان المشركين منعوهم عن الهجرة وآذوهم وانما خصهم بالذكر
لان سبيل الله عام في كل خير ولكن خلاصهم من ايدي الكفار من
اعظم الخير واخصه ووصفهم مدحا بقوله الذين يقولون
داعين ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اي التي ظلم اهلها
بكفرهم وصدهم المسلمين عن الهجرة وهي مكة والظالم وصف
للقرية الا انه مسند الى اهلها وذكر لاسناده الى المذكر ولو قيل

الظالمة اهلها جاز ايضا لا للتانيث الموصوف ولكن الاهل يذكر ويؤنث
واجعل لنا من لدنك اي من عندك وليا اي مصلحا لامورنا واجعل
لنا من لدنك نصيرا ينصرنا على اعدائنا ففتحت مكة وولي النبي صلى الله عليه وسلم
عتاب بن اسيد وكان ينصف للمظلومين من الظالمين لدعائهم فصار
اعز من بها من الظلمة قبل ذلك ثم مدح المقاتلين في سبيل الله وذم
المقاتلين في سبيل الطاغوت فقال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
اي طاعته واعزاز الدين والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
اي طاعة الشيطان ثم حث المؤمنين على القتال فقاتلوا ايها المؤمنون
اولياء الشيطان اي جنده وهم المشركون ان كيد الشيطان اي مكره
كان ضعيفا اي واهنا لا يثبت للحق وهذا كما يقال للحق دولة وللباطل دولة
قوله الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي امنعوا ايديكم عن القتال نزل
حين فرض عليهم القتال في المدينة ثم امتنعوا عنه للخيانة وخوف الموت
لا للشك في الدين قيل ان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم حين كانوا بمكة استأذنوا في
قتل كفار مكة سرا لتاذيهم منهم وقال الرسول صلى الله عليه وسلم كفوا عن قتالهم فاني
لم اؤمر بقتالهم فلما هاجر رسول الله الى المدينة فرض عليهم القتال فكره
بعضهم فقال تعالى الم تنظر الى الذين قيل لهم بمكة امتنعوا عن القتل واقيموا
الصلوة اي اتموها وآتوا الزكوة اي اعطوها اذا وجبت عليكم فلما
كتب اي فرض عليهم القتال بالمدينة اذا فريق منهم اذا ظرف مكان
للمفاجأة اي فبتلك الحضرة فريق من الذين قيل لهم كفوا ايديكم يخشون
الناس اي يخافون عذابهم كخشية الله اي كخوفهم من عذاب الله و
محله النصب على الحال من الضمير في يخشون قوله او اشد خشية نصب
عطف على محل الكاف في كخشية الله اي مشبهين باهل خشية الله بل اشد
خشية من اهل خشية الله فاو بمعنى بل وقيل بمعنى الواو ويجوز ان يكون
جرا عطفا على مجرور الكاف تقديره كخشية الله او خشية اي كخشية اشد
خشية منها وقالوا عطف على قيل لهم اي والذين قالوا ربنا لم كتبت
اي فرضت علينا القتال مع الكفار لولا اي هلا اخرتنا الى اجل قريب
حتى نموت باجالنا قيل هم المنافقون وقيل هم قوم لم يكن الايمان
راسخا محكما في قلوبهم قل يا محمد لهم بيانا لفناء الدنيا متاع الدنيا
قليل اي منفعتها قليلة لا تترغبوا والآخرة خير اي ثوابها افضل لمن

لمن اتقى الشرك والمعصية ولا تظلمون فتيلا بالياء والتاء اي لا تنقصون
من ثواب اعمالكم مقدار ما يفتل بين الاصبعين من الوسخ او مقدار
ما يكون في شق النواة فلا ترغبوا في الدنيا وارغبوا في الآخرة بالجهاد
في سبيل الله وغيره من الخيرات ولا تخافوا من الموت فانه غاية كل
ساع ثم اخبر الله تعالى ان الحذر لا ينجي من القدر بقوله اينما تكونوا يدرككم
الموت المقدر بالاجل او العذاب ولو كنتم في بروج مشيدة اي وان كنتم
في قصور عالية الى السماء محكمة بالشيد وهو الجص لا يصعد عليها
بنو آدم نزل حين تغافلوا عن الخروج الى الجهاد مخافة القتل ثم اخبر عن حال
المنافقين بقوله وان تصبهم اي المنافقين ومن جرى مجريهم حسنة
اي خصب وغنيمة وظفر كيوم بدر يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم
سيئة اي جدب وهزيمة كيوم احد يقولوا هذه من عندك اي من
شومك يا محمد كما حكى عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه قل كل اي كل شيء من الرخاء والشدة من عند الله لا قدرة
لاحد غيره في قضائه وايجاده ثم قال تعجبا من جهل هؤلاء القائلين بغير
علم فما لهؤلاء القوم اي للمنافقين وامثالهم لا يكادون اي لا يقربون
يفقهون حديثا اي ما يحدثهم ربهم من القرآن ليعلموا ان القابض
والباسط هو الله تعالى لا غير وكل شيء يصدر عنه عن حكمة صواب
وفيه دليل على وجوب الاقبال والعمل بالقياس ثم خاطب النبي عم والمراد
غيره فقال ما اصابك اي الذي يصيبك من حسنة اي فتح وغنيمة فمن
الله اي فمن فضله واحسانه وما اصابك من سيئة اي ضيق و
هزيمة من العدو فمن نفسك اي بذنبك وكسب يدك وقضاء الله اياه
عليك به عن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه نصب ولا وصب
حتى الشوكة يشاكها العبد وحتى انقطع شسع نعله الا بذنب وما يعفو
الله اكثر ثم اشار الى الاعراض عنهم بقوله وارسلناك للناس رسولا
مصدر بمعنى ارسالا او حال مؤكدة اي ذا رسالة يعني ليس عليك الا تبليغ
رسالة اليهم ليتبعوك ويطيعوك فلا تنظر الى مقالتهم وفعلهم وكفى
بالله شهيدا اي شاهدا يشهد على اعمالهم قوله ومن يطع الرسول
فيما امره فقد اطاع الله لانه يدعوهم بامره نزل حين قال النبي عم من
اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله فقال بعض اليهود

ان محمدا لا يريد الا ان نتخذه ربا ثم قال ومن تولى اي اعرض عن طاعته
فقد خرج عن طاعة الله فما ارسلناك عليهم حفيظا اي حافظا تحفظ
احوالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم فكل امور الى الله قيل هذا منسوخ
بآية القتال قوله ويقولون طاعة بيان لامر المنافقين مع النبي عم اي
المنافقون يقولون بحضرتك عند تبليغ الرسالة امرنا وشاننا ان نطيعك
ونتبعك فاذا برزوا اي اذا خرجوا من عندك بيت اي دبر ليلا وزور
طائفة منهم قولا غير الذي تقول اي خلاف ما تامر به في مجلسك من
التبييت وهو تسوية الشيء في النفس وتدبيره ليلا للمكر وقرئ بادغام
التاء في الطاء ايضا والله يكتب اي يحفظ عليهم بكتابة الحفظة ما
يبيتون اي ما يزورون فاعرض عنهم ولا تعاتبهم اي ولا تخبرهم
وتوكل على الله اي ثق به في شانهم فهو كافيك شرهم وكفى بالله وكيلا
اي حافظا وثقة لك ثم نسخ باية السيف افلا يتدبرون اي افلا يتا
ملون بالنظر الصحيح القرآن اي معانيه ومواعظه ليعتبروا انه
من عند الله لعدم تناقضه بوجه ما ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي تناقضا وتفاوتا في موضع كثيرة نظما
ومعنى وبلاغة فكان بعضه معجزا وبعضه قاصرا عن حد الاعجاز
يمكن معارضته واما نحو قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
وقوله لنسئلنهم اجمعين فليس باختلاف فاذ السؤال يكون في مكان
دون مكان واذا جاءهم اي المنافقين امر اي خبر من الامن اي
امن السرية الغازية من العدو بالفتح والغنيمة سكتوا عن افشائه
او خبر من الخوف ببلاء وهزيمة نزلت بهم اذاعوا به اي افشوه
في الناس ليضعفوا قلوب المؤمنين ولو ردوه اي الخبر الى الرسول
والى اولي الامر منهم اي اصحاب الرأي كابي بكر وغيره من الخلفاء
الراشدين او كالذين امروا عليهم من المؤمنين قبل افشائه للناس
لعلمه الذين يستنبطونه اي لعلم الخبر الذين يستخرجون تدبيره
منهم اي من الرسول واولي الامر بفكرهم الصحيحة ومعرفتهم بامور
الحرب بالفطنة والتجارب فيفشون ما يفشى ويكتمون ما يكتم ولولا
فضل الله عليكم بالاسلام ورحمته بالقرآن لاتبعتم الشيطان اي
لظللتم وكفرتم باتباعه وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق

الا قليلاً منكم وهم الذين اهتدوا قبل بعثة النبي عم كزيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل وقيس بن ساعد فانهم ما اتبعوا الشيطان وما كفروا
فالاستثناء على هذا من فاعل لاتبعتم وقيل يجوز ان يكون الاستثناء
من فاعل اذاعوا الا قليلاً لم يذيعوه وهم المؤمنون قوله فقاتل في
سبيل الله عطف على قوله وما لكم لا يقاتلون في سبيل الله نزل حين
اراد الرسول عم ان يخرج الى بدر الصغرى لحرب ابي سفيان فكره ذلك
بعض المسلمين فامر الله نبيه بان يخرج وان كان وحده وقال لا تكلف
الا نفسك اي لا يكلف شيئاً الا ان تقدم نفسك الى الجهاد فان الله ناصرك
لا الجنود كما ينصرك وحولك الالوف وحرض المؤمنين على الجهاد عسى الله ان
يكف اي يمنع بأس الذين كفروا اي شدتهم وضربهم والله اشد بأساً
اي قوة من قريش واشد تنكيلاً اي عقوبة في الآخرة من عقوبة الكفار في
الدنيا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سبعين راكباً ولم يخرجوا
معه لخرج وحده امتثالاً لامر الله فكف الله بأسهم بتخلف ابي سفيان
عن الخروج الى بدر الصغرى تلك السنة لانه تعالى قذف في قلبه الخوف
من حرب النبي عم ثم قال من يشفع شفاعة حسنة لدفع شر في الاسلام
او لطلب منفعة مع جوازها شرعاً ويبتغي بها وجه الله وقيل هي
الاصلاح بين الناس والسعي للتجاوز عن ذنب التائبين فيما ليس
بحد من حدود الله يكن له نصيب اي حظ منها اي من اجل الشفاعة
الحسنة في الآخرة قال عم اشفعوا الي تؤجروا قيل الشفاعة تجري اجرها
لصاحبها ما جرت منفعتها ومن يشفع شفاعة سيئة اي قبيحة في
الاسلام كظلم للغير باخذ حق ومنع حق من حقوق الله او من حقوق
الناس بلا رضا منهم واخذ رشوة في ذلك وغيره مما لا يجوز شرعاً
يكن له كفل اي شدة منها اي لاجل الشفاعة السيئة في الآخرة و
اشتقاق الكفل من الكفل كثقة الركوب عليه ثم استعير للحد على كل
شدة وقيل معناه النصيب كقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته وقيل
الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم بالخير لانها في معنى الشفاعة
والشفاعة السيئة هي الدعاء بالشر عليه قال عم من دعا لاخيه المسلم
بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وكان الله على
كل شيء مقيتاً اي حافظاً له بقوته واقتداره لا يغفل عنه ولا يغيب

واذا حييتم بتحية اي اذا اهدي اليكم هدية فحيوا باحسن منها اي
فاهدوا الى صاحبها بافضل منها او ردوها اي كافئوها بمثلها او
هذا المعنى مروي عن ابي حنيفة رحمه الله تعالى واكثر المفسرين قالوا
معناه اذا سلمتم بتحية اي بقول السلام عليكم فسلموا باحسن
منها اي بقول عليكم السلام ورحمة الله وبركاته واذا قال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فردوا مثلها اي فقولوا وعليكم السلام
ورحمة الله وبركاته فانه مثلها قال ابن عباس رض انتهى السلام الى
البركة ففي قوله ردوها حذف مضاف اي ردوا مثلها او فيه
تخيير بين الزيادة والرد والسلام سنة على الكفاية والرد فرض
على الكفاية اذا قاله بعض سقط عن كل قبيل اذا قال رجل السلام عليك
بالافراد فقيل عليكم السلام بالجمع لان المؤمن لا يكون وحده ولكن حفظته
الملائكة واذا سلم رجل على الخطيب او على قاري القرآن جهراً او على معلم
العلم الشرعي او على الشارع في الاذان والاقامة لا يرد سلامه قال عم
لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا ادلكم على شيء اذا فعلتموه
تحاببتم افشوا السلام بينكم ولا سلام على امرأة اجنبية ولا على اهل بدعة
وكفر وملعبة ويبدأ الاعلى بالسلام على الادنى كالراكب والماشي على
خلف فيهما ويسلم الصغير على الكبير والاقل على الكثير واذا سلم الذمي فقل
عليك مثله ولا تبادره بالسلام الا للضرورة او لحاجة لك عنده ان الله
كان على كل شيء حسيباً اي محاسباً يحاسبكم على السلام وغيره وفيه تهديد
عظيم قوله الله لا اله الا هو مبتداء خبره القسم وجوابه تقديره الله
والله ليجمعنكم اي ليحشرنكم واللام في جواب القسم الى يوم القيمة اي في
قبوركم الى قيام الساعة للحساب والعذاب لمن كفر والثواب لمن آمن نزل
للذين شكوا في البعث لرفع الشك عنهم بقوله لا ريب فيه اي لا شك في
ذلك اليوم عند المؤمن او لا ينبغي ان يشك فيه عند كل عاقل ومن اصدق
من الله حديثاً قرئ بالصاد الخالصة وبالزاء المشممة اي لا احد اصدق
من الله كلاماً لانه منزه عن الكذب لقبحه وهو اخبار عن الشيء بخلاف
ما هو عليه وهو لا يليق بذاته تعالى فآمنوا بما قال ووعد قوله فما لكم في
المنافقين نزل في قوم هاجروا من مكة الى المدينة مسلمين ثم رجعوا
الى مكة وكتبوا الى رسول الله انا على دينك ولكنا اشتقنا الى بلدنا

ولم يحتمل هوا المدينة فاختلف المسلمون في امرهم من الاسلام والكفر فبين
لهم نفاقهم فقال ما لكم صرتم في شان المنافقين فئتين اي فريقين ولم
يقطعوا بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حالهم الاول وهو الكفر
بما كسبوا اي بسبب عملهم وهو ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين ثم قال
بالاستفهام للتوبيخ علي الذين طلبوا هداية من اضله الله اتريدون
ان تهدوا اي ترشدوا من اضل الله عن الهدي ومن يضلل الله عن الهدي
فلن تجد له سبيلا اي طريقا الي الحق وهو دين الاسلام ودوا اي احبوا
لو تكفرون اي ان ترجعوا الي الكفر كما كفروا اي كما رجعوا اليه فتكونون سواء
اي مستوين انتم وهم في الكفر فلا تتخذوا منهم اي من المرتدين اولياء في
الدين والنصرة وان يظهروا الايمان لكم حتي يهاجروا في سبيل الله هجرة
صحيحة لا يريدون الا الله تع فان تولوا اي ان اعرضوا عن الهجرة والايمان
فخذوهم اي اسروهم ومنه قولهم للاسير اخيذ واقتلوهم ان لم يتولوا
عن الكفر حيث وجدتموهم اي اين التقيتموهم من الحل والحرم ولا تتخذوا
منهم وليا ولا نصيرا اي اجتنبوهم مجانبة كلية في الدين والعون ثم استثني
من ضمير المفعول في واقتلوهم لا من الضمير في ولا تتخذوا منهم لفساد المعني
وان كان اقرب لان اتخاذ الولي منهم حرام مطلقا بقوله الا الذين يصلون
اي يتصلون وينتسبون بالحلف الي قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد
موثق وهم قوم هلال بن عويمر الاسلمي كان قد صالحهم رسول الله
قبل خروجه الي مكة علي ان كلا من اتاهم من المسلمين فهو آمن ومن
جاء منهم الي النبي عم فهو آمن وفي هذه الآية دليل علي ثبوت المصالحة
بين اهل الحرب واهل الاسلام اذا كانت مصلحة في المصالحة للمسلمين
قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي ضاقت قلوبهم وانقبضت ان
يقاتلوكم اي عن قتالكم من جهة العهد فاتركوهم والجملة حال بتقدير قد
اي والحال قد حصرت صدورهم عن المحاربة او يقاتلوا قومهم اي او حصرت
صدورهم عن قتال قومهم الذين معكم من جهة القرابة وهم بنو مدلج
جاؤا رسول الله عم غير مقاتلين ولو شاء الله لسلطهم عليكم لحكمة
يعلمها من الابتلاء وغيره فلقاتلوكم لكنه منعهم عن قتالكم وهذا اظهار لمنته
العظيمة علي المؤمنين ثم قال فان اعتزلوكم اي تباعدوا عن قتالكم فلم يقاتلوكم
والقوا اليكم السلم اي الصلح والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اي

طريقا

طريقا بالاخذ والقتل يعني انهم لو ثبتوا علي صلحهم فما اذن الله لكم
في قتلهم واسرهم قوله ستجدون آخرين نزل في شان اسد وغطفان
ومن جري مجراهم كانوا اذا جاؤا الي النبي عم يقولون آمنا بك واذا رجعوا
الي قومهم قالوا آمنا بالعقرب والخنفساء استهزاء للنبي عم فكفروا
بذلك فقال تع ستجدون قوما آخرين يريدون ان يأمنوكم بقولهم لكم
آمنا ويأمنوا قومهم بكفرهم عند عودهم اليهم كلما ردوا الي الفتنة
اي كلما دعوا الي الشرك والي قتالكم اركسوا اي ردوا ووقعوا فيها اشد وقوع
والركس قلب الشيء علي رأسه فان لم يعتزلوكم اي ان يعرضوا عن قتالكم
ويلقوا اليكم السلم اي ولم يصالحوكم ويكفوا ايديهم عن الحرب معكم
فخذوهم اي اسروهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي اين وجدتموهم
وادركتموهم واولئكم اي اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا
مبينا اي حجة واضحة لقتالهم وهي انكشاف حالهم في الكفر وعداوة
اهل الاسلام فاذنا لكم بذلك في قتلهم قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا
نزل في شان عياش بن ابي ربيعة حين قتل الحارث بن زيد معتقدا
انه كافر فاذا هو مسلم اي ليس لمؤمن ان يقتل مؤمنا لعلة من العلل
الباطلة الا خطأ اي الا للخطاء فنصبه مفعول له ويجوز ان ينصب
حالا اي لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطاء وهو ما ليس للانسان
فيه قصد وذلك اما ان يظن كافرا فاذا هو مسلم او يرمي شيئا فيصيب آخر
فاتلفه ثم بين حكم القتل الخطاء بقوله ومن قتل مؤمنا خطاء اي قتله
غير قصد فتحرير اي فالواجب علي القاتل عتق رقبة مؤمنة وقيد الايمان
لانه لم يجز اعتاق رقبة كافرة بالاجماع وسره انه لما اخرج نفسا مؤمنة
عن الحيوة وجب عليه ان يحيي نفسا مثلها بالتحرير لانه كالاحياء و
الرقيق كالميت لامتناع تصرفه وعدم حكمه في حكمه كالاحرار و
دية مسلمة اي وعليه دية مؤداة الي اهله اي الي ورثة القتيل
يقسمونها كالميراث للتركة سوي القاتل الوارث والدية مائة من
الابل علي قاتله وهم عصبة وان لم يكن له عاقلة فمن بيت المال والرقبة
في مال القاتل وان لم يكن له ورثة فالدية لبيت المال قوله الا ان
يصدقوا محله نصب علي الظرف بتقدير الزمان ويتعلق بمسلمة اي
تسلم اليهم الدية الا حين التصدق عليه بها يعني الا ان يعفو

عنه ورثة القتيل ولا ياخذ منه شيئا واصله ان يتصدقوا فادغم
التاء في الصاد والاستثناء متصل كما ذكرنا ويجوز ان يكون منقطعا
يعني لكن التصدق يمنع من تسليمها ثم قال فان كان اي المقتول من قوم
عدو لكم اي اهل حرب للمسلمين لا عهد بينكم وبينهم وهو مؤمن اي
المقتول مسلم بينهم لم يفارقهم فتحرير اي فعل قاتله عتق رقبة مؤمنة
ولا دية عليه ليسلم الي اهله لانهم كفار محاربون وان كان المقتول
من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي حلف وعهد يعني ان كان ذميا فدية
اي فعلي قاتله دية مسلمة الي اهله وتحرير رقبة مؤمنة لان حكمه
حكم المسلم واختلف العلماء في دية الذمي قال اصحاب ابي حنيفة هي
كدية المسلم سواء وقال الشافعي رحمه هي ثلث دية المسلم ونزلت الاية
في مستامنين دخلا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فكساهما
وحملهما فلما خرجا من عنده لقيهما عمرو بن امية فقتلهما ولم يعلم انهما مستامنين
فوداهما رسول الله بدية حرين مسلمين ثم قال فمن لم يجد اي رقبة
مؤمنة اما لعدمها في ملكه او لعدم قدرته علي تحصيلها فصيام اي فعليه
صيام شهرين متتابعين قوله توبة من الله اي شرع ذلك لتوبة حاصلة
من الله مفعول له او مصدر فعل محذوف يعني تاب الله عليه توبة وكان الله
عليما بمن قتل ومن قتل حكيما فيما حكم من الكفارة علي القاتل خطاء قوله ومن يقتل
مؤمنا متعمدا نزل في شان رجل قتل مؤمنا متعمدا ثم ارتد علي الاسلام وهو
مقيس بن ضبابة وهو قيس بن هلال قتل رجلا من بني فهر وكان رسول الله
بعثه الي بني النجار الذين قتل فيهم اخوه مقيس وامرهم بان يقول لهم اطلبوا
قاتل اخ مقيس وهو هشام فان وجدوه قتلوه وان لم يجدوه حلفوا خمسين
يمينا وغرموا الدية فلما اتاهم ذلك الرسول ومقيس اليهم قالوا ما نعرف
قاتله فحلفوا وغرموا الدية لمقيس فلما رجع مقيس مع مائة من الابل قال في
نفسه لحمية الجاهلية اقتل هذا الفهري مكان اخي ويكون الدية فضلة لي فقتله
وتوجه الي مكة فقال تعالي من يقتل قاصدا قتله مع علمه بايمانه فجزاؤه جهنم
خالدا فيها اي لابثا زمانا طويلا يعذب فيها ان شاء الله تعذيبه وقيل ابدا
ان استحل قتله لانه يكفر باستحلاله ثم اختلفوا في توبة القاتل عمدا الاكثر
علي انها يقبل لقوله تعالي بعد ذكر الشرك والقتل والزنا الا من تاب وامن
الي قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وغضب الله عليه

مِنَين

بان يقتل به قصاصا في الدنيا ولعنه اي طرده من رحمته في الاخرة واعد له
عذابا عظيما سوي خلوده في النار حكي عن سفيان الثوري انه قال كان اهل
العلم اذا سيلوا عن قاتل العمد قالوا لا توبة له وذلك محمول علي التغليظ
والتشديد اقتداء برسول الله صلي الله عليه وسلم فيه والا فكل
ذنب محو بالتوبة قال عم لزوال الدنيا اهون علي الله من قتل امرئ مسلم
وقال عم ايضا ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه
وقال عم ايضا من اعان علي قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب
بين عينيه ايس من رحمة الله قوله يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم اي
سافرتم في سبيل الله اي في الجهاد فتبينوا من البيان اي اطلبوا بيان
من يقتلونه في الحرب قبل القتل يعني قفوا حتي تعرفوا حاله امسلم ام
كافر وقرئ فتثبتوا من الثبات اي لا تعجلوا في امره حتي يظهر لكم الكافر
من المسلم نزل في اسامة بن زيد حين بعث في سرية للغزو فسمع رجلا
يقال له مرداس يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليك اني
مؤمن فقتله اسامة وساق غنمه ورجع الي النبي عم فاخبره حاله
فوجد عم وجدا شديدا فقال اقتلت رجلا يقول لا اله الا الله فقال
اسامة قاله بلسانه دون قلبه فقال عم اشققت قلبه فقال استغفر لي
يا رسول الله فقال فكيف لا اله الا الله وارا قال اسامة فوددت اني
لم اكن اسلمت الا يومئذ فقال تعالي ولا تقولوا لمن القي اليكم السلام
بالالف يعني التحية وبغير الالف اي الانقياد بقول لا اله الا الله محمد رسول
الله لست مؤمنا انما يقول ذلك لحفظ ماله ونفسه المعني اذا رايتم
امارة ظاهرة علي اسلام شخص فلا تقتلوه ولا تقولوا له لست بمسلم
تبتغون اي تطلبون عرض الحيوة الدنيا من الغنيمة والجملة في محل
النصب علي الحال من فاعل لا تقولوا فعند الله مغانم كثيرة اي لكم
من الاجر والفضل ثم ذكرهم انعامه عليهم قبل الهجرة بقوله كذلك اي
كهذا الرجل كنتم من قبل اي هجرتكم يعني اول ما دخلتم في الاسلام سمعت
منكم كلمة الشهادة فحصنت نفوسكم واموالكم بسببها من غير انتظار
الاطلاع علي ما في قلوبكم فمن الله عليكم بالاستقامة واظهار الاسلام
والتقدم به فصرتم اعلاما في الدين فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما
فعل لكم ثم كرر قوله فتبينوا اي تعرفوا حالهم اخصكم مخافة ان يقتلوا

استغفر لي

حالة ونفسه

مؤمنا خطاء للتاكيد والزجر عن الاقدام على الفعل من غير تحقيق ان
الله كان بما تعملون خبيرا اى عالما فلا تقدموا على القتل في الجهاد الا بعد
التحقيق قال زيد بن ثابت رحمه نزل قوله لا يستوي القاعدون عن الجهاد
في بدر او في تبوك حين كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغشيته السكينة من الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان
يرضها اي يكسرها ثم تسري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القا
عدون من المؤمنين حال من القاعدين فسمع ذلك ابن ام مكتوم وكان اعمى فقال
يا رسول الله لو استطعت الجهاد لجاهدت فنزل غير اولي الضرر اي
اصحاب المرض وكل عاهة من عمى وزمن وغيرهما بنصب غير استثناء
من القاعدين او حالا منهم وبرفعه صفة للقاعدين وهو من قبيل
الاكتفاء لان تقدير الآية لا يستوي القاعدون اولو الضرر وغير اولي الضرر
والمجاهدون في سبيل الله في الاجر والثواب وهو عطف على القاعدون
قوله باموالهم وانفسهم يتعلق بالمجاهدين ونفي التساوي بين المجاهدين
والقاعدين بغير عذر وان كان معلوما ليس الا للتوبيخ للقاعد عن الجهاد و
لتحريكه عليه ولذا قيده بقوله غير اولي الضرر صريحا قوله فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم جملة مستانفة توضيح نفي التساوي بين القاعدين مطلقا
اي بعذر وبغير عذر والمجاهدين كانه جواب سؤال مقدر وهو ما لهم لا يستوون
فقيل بالتفصيل بعد الاجمال فضل الله المجاهدين بالاموال والانفس على القاعدين
بعذر درجة مصدر اي تفضيلا واحدا او حال او ذوي درجة في الآخرة
ثم اشار الى منته على الفريقين بقوله وكلا اي وكل فريق من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الفضلى وهي الجنة وان كان المجاهدين مفضلين
على القاعدين درجة فقوله كلا اول المفعولين لوعد وثانيهما الحسنى
وفضل الله المجاهدين على القاعدين بغير عذر اجرا عظيما مصدر لان
فضل بمعنى آجر اي آجرهم اجرا كبيرا في الجنة والقاعدون بغير عذر هم الذين
اذن لهم النبي عم بالقعود اكتفاء بغيرهم لان الجهاد فرض كفاية قوله
درجات منه بدل من اجرا عظيما ويجوز بنصب درجات مصدرا كنصب
درجة اي فضلهم تفضيلات وبنصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة
التي هي درجات مقدمة عليها قوله ومغفرة ورحمة عطف على درجات
او نصب بفعل محذوف تقديره وغفر لهم مغفرة ورحمهم وهذا الكلام من

قوله

قوله لا يستوي الى قوله ورحمة من باب الجمع والتقسيم وكان الله غفورا
لمن جاهد في سبيله من ذنوبه رحيما يدخله الجنة برحمته او رحيما لمن
له العذر بتسويته في الفضل مع غيره قوله ان الذين توفيهم اي قبضتهم
الملائكة قيل يجوز ان يكون ماضيا ويجوز ان يكون مستقبلا اي تتوفيهم
ان يمكنهم الله من استيفاء انفسهم فيستوفونها ظالمي انفسهم نصب
على الحال اي في حال ظلمهم انفسهم بالكفر وترك الهجرة بعد الاسلام والمقام
في دار الشرك بعد وجوب الهجرة نزل في شان الذين اسلموا بمكة وتخلفوا
عن الهجرة وخرجوا مع المشركين الى بدر فلما راوا قلة المؤمنين وكثرة الكافرين
شكوا وكفروا فقتل بعضهم فاخبر الله تعالى عن حالهم بقوله حكاية عن
الملائكة عند قبض ارواحهم قالوا اى يقول لهم الملائكة توبيخا بانهم
لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على الهجرة ولم يهاجروا فيم كنتم
اي في اي شيء كنتم في امر دينكم فتركتم الهجرة قالوا اي قال المتوفون
معتذرين كنا مستضعفين اي عاجزين عن الهجرة في الارض اي
في ارض مكة فيمة قالوا اي الملائكة لهم توبيخا بالاستفهام الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقد كنتم قادرين على الخروج
عنها فلم تخرجوا الى بعض البلاد وهو المدينة فاولئك ماويهم جهنم
اي منزلهم النار وساءت مصيرا اي بئست مرجعا رجعوا اليها
جهنم وفيه دليل على ان من لم يستقم اقامة دينه في موضع يجب
الهجرة عليه الى ما يتمكن فيه فلذلك قال عم من فر بدينه من ارض الى
ارض وان كان شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق
ابراهيم ومحمد عليهما السلام قوله الا المستضعفين استثناء من
قوله ماويهم جهنم اي الا المقهورين من الرجال والنساء والولدان
وانما قرن بهم الولدان مع انهم عاجزون لا يتوجه عليهم الوعيد
لبيان ان الرجال والنساء صاروا في انتفاء الذنب عنهم بترك
الهجرة للعجز بمنزلة الولدان قوله لا يستطيعون حيلة يجوز ان يكون
استينافا ويجوز ان يكون صفة للمستضعفين بحكم زيادة حرف
التعريف اى لا يجدون سعة الخروج الى المدينة لفقرهم وعدم
قوتهم ولا يهتدون سبيلا اى لا يعرفون طريقا الى المدينة
وغيرها فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم اي يتجاوز عن ذنوبهم

وعسى من الله للوجوب وكان الله عفوا عنهم غفورا لذنوبهم
فلا يعاقبهم روي عن ابن عباس ان النبي عم قال يوم الفتح انه لا هجرة بعد
اليوم ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا اي اذا استنفركم الامام
فاخرجوا ثم قال تحريكا للهجرة لله ومن يهاجر في سبيل الله اي في دينه
يجد في الارض مراغما اي مهاجرا وملجأ على رغم انف قومه وقيل متحولا
من الكفر الى الايمان لغيظ قومه الكفرة والرغم الذل والهوان واصله
لصوق الانف بالتراب وهو الرغام اي مغايظا لهم كثيرا وسعة اي في
الرزق قوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله نزل لما خرج جندب
بن ضمرة من مكة حين قال والله لا ابيت الليلة بمكة فاني لست من المستضعفين
واني لا اهتدي الطريق وكان مريضا فحمله بنوه على سريرة متوجها الى المدينة
فمات بالتنعيم فقال المشركون استهزاء ما ادرك هذا مطلوبه فقال
بعض المسلمين لو وصل الى المدينة لكان اتم اجرا فقال تعالى ومن يخرج
من بيته وكان خروجه لله والرسول ثم يدركه الموت في الطريق
يعني قبل الوصول الى ما هاجر اليه فقد وقع اي وجب اجره على الله با
يجابه تعالى على نفسه وهو الجنة وكان الله غفورا لما كان فيه من
الشرك قبل الخروج رحيما له بقبول توبته بنيته الخالصة في الخروج ثم
قال بيانا لاحكام السفر في سبيل الله واذا ضربتم اي سافرتم في الارض
سفرا يبلغ مسيرة ليلتين متوسطتين بمشي الاقدام وسير الابل عند الشافعي
او مسيرة ثلثة ايام بلياليهن عند ابي حنيفة فليس عليكم جناح اي
اثم ان تقصروا من الصلوة اي بان تردوها من اربع الى اثنين ولا يعتبر
الاسراع ولا البطؤ في جواز القصر فلو سافر مسيرة ثلثة ايام في يوم
قصر وان سافر مسيرة يوم في ثلثة ايام لم يقصر وجعل بعض العلماء
الخوف شرطا لجواز القصر بقوله ان خفتم ان يفتنكم اي يقتلكم ويضركم
بما تكرهون الذين كفروا والصحيح انه ليس بشرط لما ثبت ان النبي عم سافر
بين المدينة ومكة لا يخاف الا الله وكان يصلي ركعتين فالشافعي يقصر و
يتم لان ظاهر الاية تخيير ورخصة لقوله تعالى ليس عليكم جناح لكن
القصر افضل لان العايشة رضه قالت اول ما فرضت الصلوة ركعتين
فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وعند ابي حنيفة عزيمة لا يجوز غير القصر
في السفر لقول الرسول عم لعمر حين سأل عن ذلك صدقة تصدق الله

عليكم فاقبلوا صدقته الا انه تعالى نفى الجناح انما يكون في الرخصة لا في العزيمة
لما انهم الفوا بالاتمام فكانهم خطر ببالهم ان عليهم نقصا وانما بسبب
القصر ونفى الجناح تطييبا لقلوبهم واطمينانا اليه والقصر ثبت بنص
الكتاب في حالة الخوف واما في حالة الامن فبالسنة كما مر ثم حذرهم
عن الاعداء بقوله ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اي ظاهر العداوة
لا تغفلوا عنهم اينما كنتم ثم بين لهم صلوة الخوف بالخطاب للنبي
فقال واذا كنت فيهم اي اذا كنت حاضرا في الخائفين من اصحابك
بحضرة العدو وحضرة الصلوة عليكم فاقمت لهم الصلوة اي للمؤمنين
فلتقم طايفة منهم معك في الصلوة وطايفة اخرى وجاه العدو وليأخذوا
اي غير المصلين معك اسلحتهم بازاء العدو اي ما شاؤا من السلاح او
المراد المصلون مع النبي عم فيأخذون من السلاح ما لا يشتغل عن الصلوة
كالخنجر والسيف كل ما يقاتل به ويمتنع فاذا سجدوا اي صلوا معك ركعة
واحدة واتموا الثانية بنفسهم فليكونوا اي المصلون من ورائكم حراسا
لكم بعد الصلوة بازاء العدو ولتأت اي وليجيء طايفة اخرى اي الذين
لم يصلوا معك بسبب العدو فليصلوا معك ركعة اخرى ويتوقف
حتى يتموا الثانية ثم تسلم بهم وليأخذوا اي الآتون او المصلون حذرهم
اي تحرزهم عن العدو واسلحتهم حاضرة بازاء العدو وانما جمع الحذر مع
الاسلحة مبالغة في التحرز عن العدو فان التيقظ للعدو يشبه بالة
يستعملها الغازي في موطن فيه خوف للتحفظ عن شرهم ولم يذكر في
الاية لكل طايفة الا ركعة واحدة لكن في الخبر ان النبي عم صلى في صلوة
الخوف بالطايفة الاولى وبالطايفة الاخرى ركعة كما ذكرنا وهو اختيار
الشافعي وقيل صلى النبي عم بطايفة اولا ركعة ثم ذهبت بازاء العدو
وجاءت الطايفة التي كانت بازاء العدو فصلى معهم ركعة اخرى وسلم
هو لا غير وجاءت الطايفة الاولى وذهبت هذه الطايفة الاخرى الى ازاء العدو
حتى ادت الطايفة الاولى الركعة الاخرى بغير قراءة وسلموا لانهم كانوا في
صلوة الامام حكما ولو كانوا في وجه العدو ثم ذهبت تحرس وجاءت الطايفة
الاخرى وادت الركعة الاولى بالقراءة لان الامام اتم صلوته فلا بد لهم
من القراءة في الركعة الثانية التي هي الاولى لانتفاء الاقتداء فيها بالامام
وسلموا حتى صار لكل طايفة ركعتان وهذا اختيار ابي حنيفة رحمه الله

في صلوة الخوف ثم اوحي تعالى الي زيادة التحذير بقوله وَدَّ الذين كفروا لو
تغفلون اي ان تغفلوا عن اسلحتكم وامتعتكم التي للحرب فيميلون
عليكم اي فيقصدونكم بالسوء ويحملون عليكم ميلة واحدة اي
جملة واحدة في الحرب فيكونوا بالحذر عنهم ثم رخص لهم في ترك السلاح
لعذر كالمرض والمطر فيثقل حمل السلاح عليهم بسبب ذلك بقوله ولا
جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى من السقم في المزاج
او من الجراحة في البدن في ان تضعوا اي تزيلوا عنكم اسلحتكم وخذوا
حذركم وان لم تحملوا السلاح لئلا يهجم العدو عليكم ولما كان الامر بالحذر
من العدو يوهم توقع غلبته نفي عنهم ذلك بقوله ان الله اعد للكافرين
بدين الحق عذابا مهينا يهانون فيه بنصرته لكم عليكم او بعقوبتهم
بالنار في الآخرة فامر بالحذر تعبدا من الله لا لغلبة العدو ثم قال فاذا
قضيتم الصلوة اي فرغتم من صلوة الخوف فاذكروا الله بالتسبيح والتهليل
قياما وقعودا وعلى جنوبكم ونصب الكل على الحال اي قائمين وقاعدين
ومضطجعين وقيل معناه صلوا الله في الامر صلوة الصحيح قياما وصلوة
المريض قعودا وصلوة شديد المرض المعجز على جنوبهم وقيل معناه اذا
شرعتم في الصلوة في حالة الخوف فصلوا لله محاربين بالسيف في الصلوة
بالقيام وجاثمين على الركب للرمي بالقعود ومثخنين بالجراح على جنوبكم
فالشافعي اوجب الصلوة على الخائف بكل حال وابو حنيفة يبطلها بحالة القتال
فاذا امن قضاها ثم قال فاذا اطمأننتم اي امنتم من الخوف واقمتم فاقيموا
الصلوة اي اتموا اربعا ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
اي فرضا مقدرا في وقتها فلا تأخر عنه وفيه دليل للشافعي على انها وا
في كل حال للمسافر ركعتان وللمقيم اربع ركعات واذا اتأخرت عن وقتها
بعد الخوف او غيره ثم زال عنه فعليه القضاء قوله ولا تهنوا في ابتغاء
القوم اي لا تضعفوا في طلب الكفار نزل حين اصابت المسلمين جراحات
يوم احد وكانوا يضعفون عن الخروج الى الجهاد فامرهم الله بان يظهروا
القوة والجد من انفسهم وهذا الخطاب يعم لهم ولجميع الغزاة الى يوم
القيمة ثم شجعهم على ذلك بقوله ان تكونوا تألمون اي تجدون الم الجراح
فانهم اي الكفار يألمون كما تألمون ذلك يعني الالم مشترك بينكم وبينهم
ولكم زيادة ليست للكافرين لقوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون

اي

اي الكفار من الثواب في الآخرة لانهم لا يؤمنون بالبعث فما لكم لا تصبرون
مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم وكان الله عليما بما صدر منكم ومنهم
حكيما يحكم لكم بالثواب ولهم بالعقاب قوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق
اي القرآن بالعدل في الاحكام والحدود لتحكم بين الناس بما اراك الله اي بما
علمك بالالهام او بالوحي اليك ولا تكن للخائنين في الامانة اي لاجلهم خصيما
اي مخاصما معينا لهم نزل حين سرق طعمة بن ابيرق وكان منافقا شاعرا
يهجو اصحاب النبي عم درعا من قتادة وكان جارا له من بني ظفر وتركها عند
اليهودي ثم حلف انه ما سرق شيئا فجاء قومه وكانوا اهل لسان وبيان فقالوا
ان قتادة وابن اخيه عمدوا الى اهل بيت منا يتهمونهم بالسرقة فوقع
قولهم عند النبي عم موقعا ثم ظهرت الدرع عند اليهود فاراد النبي عم
ان يقطع يد اليهودي فبين الله تعالى خيانتهم بقوله ولا تكن للخائنين
خصيما وهو طعمة وكل خائن واستغفر الله عند جدالك عن طعمة او مما
هممت من عقاب اليهودي ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب اليه و
ولا تجادل اي لا تخاصم عن الذين يختانون انفسهم اي يضرون نفوسهم
بالسرقة وهم طعمة وقومه الذين شهدوا له بالبراءة ويضرونه فكانوا
شركاء في الاثم قيل هذا خطاب للنبي عم والمراد غيره ان الله لا يحب من
كان خوانا اثيما اي خائنا بالسرقة فاجرا برميه على غيره وانما ذكره بصيغة
المبالغة لانه بالغ في الخيانة باليمين الكاذبة والسرقة والتهمة للغير قيل
ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون اي يستترون حياء من
الناس لانهم جعلوا الدرع تحت التراب في حفرة او لا خوفا من ضررهم
ولا يستخفون اي لا يستحيون من الله وهو معهم بالعلم والقدرة
اذ يبيتون اي حين يدبرون في انفسهم ويقولون ليلا ما لا يرضى
الله من القول ولا يحبه وهو تدبير طعمة في نفسه ان يرمي بالدرع
في دار زيد اليهودي ليسرقه ويحلف ببراءته وانما سمي التدبير قولا وهو
معنى النفس على المجاز لانه حدث بذلك نفسه فكانه قال له او المراد بالقول
الحلف الكاذب الذي حلف به وكان الله بما يعملون محيطا اي عالما
بخيانتهم وتزويرهم ثم خاطب قوم طعمة الذين خاصموا عن طعمة
السارق بقوله ها انتم هؤلاء بحذف حرف النداء من هؤلاء ويجوز
ان يكون انتم مبتدأ وخبره هؤلاء وما بعده بيان له او هؤلاء اسم

موصول بمعنى الذي صلته جادلتم اي خاصمتم عنهم في الحيوة الدنيا
اي عن الخائنين في الدنيا فمن يجادل الله استفهام على سبيل الانكار اي
من يخاصمه عنهم اي عن الخائنين اذا عذبوا يوم القيمة ام اي بل من
يكون عليهم وكيلا اي حفيظا ومحاسبا من بأس الله والوكيل من يفوض اليه
الامر ثم استعير الى الحفيظ لكون الحفظ لازما للوكيل قوله ومن يعمل سوءا اي
سرقة او معصية او شركا او يظلم نفسه باليمين الكاذبة وبرميه البرئ
من السرقة او بذنب آخر ثم يستغفر الله اي يتب عن الذنب يجد الله
غفورا رحيما نزل في شان طعمة وقومه روي عن ابي بكر الصديق رضي الله
ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله الا غفر
الله له وتلا هذه الاية ومن يكسب اثما اي ذنبا او شركا بالله فانما يكسبه
على نفسه اي يضر بنفسه لا يتعداه ضرره الى غيره فليحصن نفسه
من كسب السوء وكان الله عليما حكيما اي عن كسب الاثم وبما حكم عليه
من الجزاء ومن يكسب خطيئة اي صغيرة او اثما اي كبيرة وقيل الخطيئة
سرقة الدرع والاثم اليمين الكاذبة للسارق ثم يرم به اي بالاثم بريئا
اي اتهم به من هو بريء من الاثم كما رمى طعمة زيد اليهودي بالسرقة
فقد احتمل اي يحمل بهتانا اي ما يتهم به الانسان من الكذب واثما
مبينا اي ذنبا ظاهرا لا يعفى عنه ولولا فضل الله عليك يا محمد بعصمة
النبوة ورحمته اي وحيه اليك لاطلاعك على اسرارهم لهمت اي لقصدت
طائفة منهم اي من المنافقين ان يضلوك عن الحق ويخطؤك في الحكم
وهم قوم طعمة وما يضلون عن الحق الا انفسهم لان وبال ذلك الاضلال
راجع عليهم وما يضرونك من شيء لان الله يعصمك من الناس وانما يضرون
بانفسهم وانزل الله عليك الكتاب اي القرآن والحكمة اي الموعظة و
القضاء بالوحي وعلمك ما لم تكن تعلم من الغيب والاحكام قبل الوحي
وكان فضل الله عليك عظيما بالنبوة والتعليم والعصمة من الناس
لا خير في كثير من نجويهم اي من تناجيهم وتدبيرهم بينهم وهو صفة
لكثير والمراد تناجي قوم طعمة او تناجي جميع الناس فيما بينهم من الاحاديث
الردية الا من محله جر بدل من نجويهم بتقدير المضاف الا نجوى من امر
بصدقة اي كان له مال او امر غيره ان يتصدق ان لم يكن له مال او معروف
اي بكل فعل جميل في الشرع كالقرض للفقير واعانة الملهوف او الصدقة القرض والمعروف

التطوع او القول بالمعروف والنهي عن المنكر او اصلاح بين الناس لرفع العداوة
والبغضاء من بينهم قال عم الا اخبركم بافضل من درجة الصائم والقائم
قيل بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وافساد ذات البين هي الحالقة
التي تحلق الدين لا الشعر وقال ايضا كلام ابن آدم كله عليه لا له الا من امر
بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وفي الاية ذكر الامر بالخير ليدل به على انه
فاعله ثم ذكر الفاعل والوعد بالاجر ليدل به على انهما من زمرة الخيرين
المستحقين به فقال تعالى ومن يفعل ذلك اي الذي ذكر من الاشياء الثلثة
ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاه لا لسبب آخر لان العمل لغيره لا يقبل
عنده فسوف نؤتيه بالنون وياء الغيبة اي نعطيه في الاخرة اجرا عظيما
اي ثوابا كثيرا في الجنة قوله ومن يشاقق الرسول نزل حين قدم نفر
من قريش المدينة واسلموا ثم رجعوا الى مكة مرتدين اي من يخالف النبي
من بعد ما تبين له الهدى اي التوحيد وبعد وضوح الدليل ويتبع غير
سبيل المؤمنين وهو الكفر لان سبيل المؤمنين هو التوحيد والاسلام
نوله ما تولى اي نجعله واليا متصرفا لما تولاه اي لما مال اليه واحبه من
الكفر والضلالة في الدنيا بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره الى
يوم القيمة ونصله جهنم اي ندخله في الاخرة نار جهنم وساءت مصيرا
اي مرجعا هي دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفته كما لا يجوز مخالفة
الكتاب والسنة لانه جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين
في الشرط والجزاء وقرئ نوله ونصله بجزم الهاء وكسرها قوله ان الله
لا يغفر ان يشرك به اي الاشراك بالله ويغفر ما دون ذلك من المعاصي
لمن يشاء نزل في شان الوحشي كما ذكرنا من قبل وقيل نزل في شيخ اعرابي
جاء الرسول فقال يا رسول الله اني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا
الا اني لم اشرك بالله مذ عرفته وآمنت به واني لنادم مستغفر فما
حالي عند الله فقرأ الآية ثم قال ومن يشرك بالله شيئا فقد ضل عن
الهدى والحق ضلالا بعيدا اي بعدت غايته عن كل خير فلا يرجى له
الفلاح قوله ان يدعون من دونه الا اناثا جمع انثى نزل في ذم كفار
مكة واظهار جهلهم اي هم ما يعبدون من دون الله الا اصناما
مسماة باسماء الاناث كاللات والعزى وان يدعون اي وما
يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا اي خارجا عن طاعة الله

اوالمراد ابليس لعنه الله اي طرده الله من رحمته حيث لم يسجد لادم
قيل كان في كل صنم لهم شيطان يكلم خدامهم فكانهم عبدوا
الشيطان بعبادة الاصنام وقيل زين لهم عبادة الاصنام فكا
عبدوه وقال اي الشيطان لعنه الله لاتخذن من عبادك نصيبا
مفروضا اي طايفة مقطوعا بعينهم يطيعني لا لك فقيل كل ما اطيع فيه
ابليس فهو من مفروضه وقال الحسن من كل الف واحد في الجنة وسايرهم
في النار وهو النصيب المفروض للشيطان وقال ايضا ولاضلنهم عن
الهدي بالتزيين والوسوسة ولامنينهم اي القي في قلوبهم ما يتمنون
من الهواجس الباطلة كطول العمر وبلوغ الامل ووصول رحمة الله للمذنبين
بغير توبة والخروج من النار بالشفاعة وغيرها او بلا جنة ولا نار ولا
مرنهم فليبتكن اي ليقطعن اذان الانعام لانهم كانوا يشقون اذن
الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا ويحرمون الانتفا
بها وهي البحيرة وقال ايضا ولامرنهم فليغيرن خلق الله اي ليبدلن
ما خلقه الله لحكمة كالخصاء في البهايم والادميين لرغبة الخلق فقيل
جوز بعض العلماء في البهايم لان فيه غرضا صحيحا وحرمه في الادميين
حتى كره شري الخصيان واستخدامهم لمنع الرغبة في خصايهم وقيل
هو الوشم وغيره قال ع م لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات
والمتنمصات المغيرات خلق الله والواشمات هي اللاتي ينقشن علي اعضا
والنامصات هن اللاتي تنتف الشعور من وجوههن فقال تع ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله اي من يعبد الشيطان ويطيعه ويترك
امر الله وطاعته فقد خسر خسرانا مبينا اي غبنا بينا بترك الحق النافع واختيار
الباطل الضار يعدهم اي يخوفهم الشيطان بالفقر حتى لا ينفقوا في
خير ولا يصلوا رحما ويمنيهم اي يخبرهم بالباطل بان لا ثواب لهم في عمل
الخير وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي باطلا وهو ما يوسوسهم به من
طول العمر ونيل الدنيا وغير ذلك اولئك ماويهم جهنم اي تلك الطايفة مستقر
في الاخرة نار جهنم ولا يجدون عنها محيصا اي مخلصا ومهربا ثم اخبر
عن حال المومنين في الاخرة فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات باداء الفرايض
والانتهاء عن المحارم سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
نهر من ماء غير اسن ونهر من لبن ونهر من خمر ونهر من عسل مصفى

خالدين

خالدين فيها ابدا اي لا ينتهي عمرهم فيها ولا يتغير حالهم الحسنة من التنعم
بالمستلذات باطمينان القلوب وعد الله حقا مصدر موكد لنفسه و
مصدر موكد لغيره وقيل يجوز ان يكون حقا حالا من وعد الله اي وعدهم
الله هذا كله وعدا صدقا او كاينا منجزا لا خلف فيه وفايدة هذه التاكيدات
معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لاقرانه بوعد الله الصادق لاوليايه
ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عا
غصص اخلاق الشيطان مواعيده لكذبها ثم قال بالاستفهام لنفي الا
سوى الله تع ومن اصدق من الله قيلا اي قولا ووعدا فيه مبالغة
في التاكيد ليتركوا مواعيد الشيطان ويرغبون في مواعيد الرحمن قوله
ليس بامانيكم اي ليس ما قدرتم في انفسكم من استحقاق الثواب الذي
وعد الله لعباده بشهواتكم الباطلة ولا اماني اهل الكتاب اي ولا ما قدروا
في انفسهم من سبقهم علي المومنين لسبق كتابهم ونبيهم بشهواتهم الباطلة
نزل حين قال اهل الكتاب للمومنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن
اولي بالله منكم وقال المومنون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي علي الكتب
بالصدق وقد امنا بكتابكم ولم تومنوا بكتابنا فنحن اولي بالله منكم فقال
الله تعالى ردا علي الفريقين ليس ما ادعيتم من قولكم نحن اولي بالله منكم
اوليس ما وعد الله من الثواب لتمنيكم ولا بتمني اهل الكتاب بل ذلك بالعمل
الصالح وترك المعصية يوضحه قوله من يعمل سوءا يجز به اي يعاقب به ولا
ينفعه تمنيه وهو عام في حق غير التايب وقيل عام في الكل المروي انه
لما نزل شق ذلك علي المسلمين فقال ابو بكر كيف الفلاح بعد هذه الاية
يا رسول الله فقال ع م الست تمرض الست تحزن الست يصيبك
اللاوي اي الشدة فذلك كله جزاوه وقيل المراد من السوء الكفر ولا يجد له
من دون الله اي لا يجد الكافر لنفسه من غير الله وليا اي قريبا او محبا
ينفعه في الاخرة بالشفاعة ولا نصيرا اي مانعا يمنعه من عذاب الله
ثم قال ومن يعمل من الصالحات اي بعض الصالحات من ذكر او انثى بيان
لمن لما فيه ابهام وهو مومن حال من الضمير في يعمل اي والحال انه مصدق
بالثواب والعقاب يوم البعث فاولئك يدخلون الجنة في معلوما ومهم لا
ولا يظلمون نقيرا اي لا ينقصون من ثواب اعمالهم قدر النقير وهو
النقرة في ظهر النواة وذكر انتفاء الظلم في حق الصالحين فقط تفضيلا لهم

اوهو من قبيل الاكتفاء ثم قال تفضيلا لدين الاسلام على غيره من الاديان
ومن احسن دينا ممن اسلم اي اخلص وجهه اي دينه او انقاد
بجملته ظاهرا او باطنا لله وهو محسن اي موحد عامل للحسنات و
تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم حنيفا حال من ضمير اتبع او من ابراهيم
اي حال كونه مائلا عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابراهيم
خليلا اي صفيا وهو من ليس في مودته خلل والجملة اعتراض يفيد
تاكيد وجوب اتباع ملته والواو للحال لا للعطف المغيرات الاحسن
في الدين من يمتثل اوامر الله ويوافق رضاه لموافقة الخليل خليله روي
جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتخذ الله ابراهيم
خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلاته بالليل والناس
نيام ثم قال تاكيدا لامتثال اوامره ولله ما في السموات وما في الارض
اي الله مالك اهلهما فطاعته واجبة عليهم لكونهم عبيده وحكمه نافذ
فيهم وكان الله بكل شيء محيطا اي احاط علمه بكل شيء من الصلاح والفساد
وغيرهما فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما يصلح لهم قوله ويستفتونك
في النساء نزل في شان الذين يمنعون ميراث النساء وهي بنات لحة و
يمنعون عن نكاح اليتامى من النساء لدمامتهن ويكرهون تزويجهن
الغير من اجل مالهن اي يسئلونك عن ميراث النساء قل الله يفتيكم
فيهن اي يبين لكم ما لهن من الميراث وعطف وما يتلى عليكم على ضمير
الفاعل في يفتيكم او على الله اي يفتيكم والمتلو عليكم يفتيكم في الكتاب
اي في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ او القرآن ذكره تعظيما للمتلو عليهم
لان العدل في حقوق اليتامى من عظام الامور المرفوعة الدرجات
عند الله والاخلال به ظلم يتهاونون به ما عظمه الله ويتعلق قوله
في يتامى النساء بيتلى والاضافة فيه بمعنى من كقولك خاتم حديد
اي يتلى في ميراث اليتامى منهن اللاتي لا تؤتونهن اي لا يقطعون
ما كتب اي ما فرض لهن من الميراث والصداق وترغبون اي تزهدون
وتوضون ان تنكحوهن اي عن نكاحهن لدمامتهن عن عمر رضي الله عنه
انه كان يقول لولي اليتيمة اذا كانت جميلة عفيفة زوجها غيرك
وان كانت قبيحة فقيرة تزوجها انت قوله والمستضعفين من الولدان
جر عطف على يتامى النساء اي ويفتيكم الله والمتلو عليكم في المستضعفين

من الصبيان

من الصبيان قيل كان اهل الجاهلية يورثون الرجال ولا يورثون
النساء والاطفال ويقولون لا يغزون ففرض الله لهم الميراث بذلك
وامر لليتيم بالعدل بقوله وان تقوموا وهو جر عطف على يتامى النساء
اي ويفتيكم في القيام لليتامى بالقسط اي بالعدل والانصاف قيل
يجوز ان يكون للخطاب للاوصياء وان يكون للحكام بان يستوفوا لهم
حقوقهم وان ينظروا عليهم بنظر الرحمة ثم قال وما تفعلوا من خير فان
الله كان به عليما يجازيكم به قيل في الآية دليل على ان ما سوى الاب
والجد اذا زوج اليتيمة جاز وانه اذا زوجها من نفسه جاز اذا كانت
غير ذي رحم محرم منه قوله وان امراة خافت اي توقعت وعلمت
من بعلها نشوزا اي ايذاء وجفاء او ترك مضاجعة بغضا لها او اعراضا
عنها بوجهه ونفقته وقلة الالتفات اليها بمجالسة ومحادثة فلا جناح
عليهما ان يصلحا معلوما من اصلح وان يصالحا بالالف وتشديد الصاد
واصله يتصالحا اي يصطلحا بينهما صلحا نزل في شان بنت محمد بن
سلمة وفي زوجها اسعد بن الزبير تزوجها وهي شابة فلما كبرت
تزوج عليها شابة اخرى وآثرها عليها وجفا بنت محمد بن سلمة فاتت
رسول الله فشكت اليه فامر بالاصلاح بينهما وهو بان يتوافقا على
ما تطيب به انفسهما بان يترك احدهما شيئا مما يستحقه على صاحبه
طلبا بصحبته ثم قال والصلح خير اي افضل من الفرقة والنشوز والاعراض
واحضرت الانفس الشح اي الزمت البخل النفوس في الجبلة لا يفارقه ابدا
فهي حاضرته والغرض من ذلك بيان ان العدل بين الانفس امر صعب على
حد يوهم انه غير مستطاع اذ رعاية التسوية في القسمة والنفقة
والاقبال والممالحة والمناكحة والمواسة وغيرها كالخارج عن حد الاقتدار
هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فالامر بينهن
الصلح والصبر او الترك والاستراحة ثم قال وان تحسنوا العشرة مع
نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلكم مراعاة
لحق الصحبة وتتقوا اي الفرقة والجور والاذى فان الله كان بما
تعملون خبيرا من الاحسان والنشوز فيجازيكم به ثم قال ولن
تستطيعوا اي لن تقدروا ان تعدلوا بين النساء اي ان تسووا
بينهن في ميل القلب وحبه والقسم والنفقة ولو حرصتم اي جهدتم

بصرف الوسع على العدل بينهن بعد ان وجب عليكم التسوية في القسمة
والنفقة وغير ذلك مما يستحقونه فلا تميلوا كل الميل اي التي تحبونها في
القسمة والنفقة ولا تجوروا عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها ونفقتها
من غير رضا منها فتذروها كالمعلقة نصب جواب النهي او جزم بالعطف
على تميلوا المعنى فتتركوها بغير قسمة لا ايما ولا ذات بعل كالمسجونة قال عم
من كان له امراتان فمال الى احدهما جاء يوم القيمة وشقه مائل ودوى
ساقط كان عم يعدل بين نسائه في القسمة ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما
املك ولا تلمني فيما لا املك يعني الحب والجماع ثم قال تعالى وان تصلحوا بينهن
في التسوية والعدل والتوبة عما مضى من ميلكم عن التي كرهتموها و
الرجوع اليها وتتقوا الجور فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما حيث
تجاوز عن ذنوبكم ورخص لكم في الاصلاح وان يتفرقا اي الزوج والزوجة
يغني الله كلا اي كل واحد منهما من سعته اي من رزقه بان يتزوج
المراة غيره ويتزوج الزوج غيرها وكان الله واسعا اي واسع الرزق
والفضل حكيما يحكم بالتسوية والتفرقة لحكمة يعلمها ولله ما في السموات
وما في الارض اي حكمه نافذ على اهلهما يجب عليهم طاعته فيجب على الزوج
التسوية بين نسائه في القسمة والنفقة وعليه قضاء القسمة للمظلومة
والشرط في القسمة البيتوتة لا الجماع لانه مبني على النشاط وليس ذلك اليه
ثم قال تاكيدا لذلك ولقد وصينا اي امرنا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اي اهل التورية والانجيل واياكم يا امة محمد في القرآن ان اتقوا الله فيما و
صاكم به من التوحيد والعمل بالشرايع وان تكفروا عطف على اتقوا الله اي
وقلنا لكم ولهم ان تجحدوا بما وصيناكم به فان لله ما في السموات وما في الارض
من الملائكة وغيرهم لهم اطوع منكم وهو غني منكم وعن طاعتكم وكان
الله غنيا عن جميع خلقه حميدا اي محمودا في فعله وقوله ولله ما في السموات
وما في الارض اي كلهم ملكه ومخلوقه مفتقرون اليه لانه رازقهم ومدبر
امورهم دينا ودنيا كرره تقريرا لما يوجب التقوى منه فيجب ان يتقى وكفى
بالله وكيلا اي ربا حفيظا فيجب ان يتكلوا عليه لا على غيره ثم هدد
المشركين والعاصين بقوله ان يشا يذهبكم ايها الناس اي يعدمكم في
الدنيا اذا عصيتم امره ويات باخرين اي يوجد قوما اطوع منكم فيما يامرهم
وكان الله على ذلك اي على الاعدام والايجاد كما يريد قديرا اي بليغ القدرة

تمكن وصه

عليه قيل في هذه الاية تخويف وتنبيه لكل من كانت له ولاية وحكم على
الغير من الامراء والقضاة والنواب الذين لم يعدلوا بين الناس ومنهم
العالمون الذين لم يعملوا بعلمهم ولم ينصحوا الناس ليهتدوا في الدين
ثم قال من كان يريد ثواب الدنيا اي من يقصد بعمله الذي يعمل من
اعمال الآخرة حطام الدنيا ولذاتها كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة والقارئ
يريد بقرائته الاجر دون ثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اي
فعنده ثوابان الاعلا والادنى فلا تطلب شيئا الا منه او المعنى فماله يطلب
احدهما دون الآخر والذي يطلب اخستهما وهو كلا شيء في جنب الاعلا
وهو ثواب الآخرة فليعمل للآخرة روي عن النبي عم ان في جهنم واديا
تتعوذ منه جهنم اعد للقراء المرائين والمراد منهم العلماء والحفاظ
الذين يفتخرون بما فيهم ويأكلون به وقال النبي عم ان شر الناس من
اكتاب الله وتفقه في دين الله ثم بذل نفسه لفاجر اذا تفكه بقرائته
ومحادثته فيطبع الله على قلب القارئ والمستمع وكان الله سميعا
باقوالهم بصيرا اي بليغا في العلم باعمالهم ونياتهم فيجازيهم بها
ثم امر الناس بالعدل ونهاهم عن الجور بقوله يا ايها الذين آمنوا
كونوا قوامين بالقسط اي مجتهدين في العدل حتى لا تجوروا شهداء
لله نصب على الحال اي حال كونكم مقيمين شهاداتكم لوجه الله كما امرتم با
قامتها ولو على انفسكم اي ادوها اذا كانت عندكم شهادة ولو شهدتم على
انفسكم وذلك بان تقروا عليها فيكون اقراركم شهادة على انفسكم والمعنى
ولو كان ضررها على انفسكم وذلك بان تشهد الرجل على من يتوقع ضرره
من سلطان او ظالم او الوالدين والاقربين اي ولو كانت الشهادة على هؤلاء
ايضا ولا تكتموها ان يكن المشهود عليه او له غنيا او فقيرا يعني لا تميلوا الى الغني
لغنائه ولا تكتموا الشهادة على الفقير لاجل فقره ترحما عليه فالله اولى
بهما اي احرى بالاغنياء والفقراء بالنظر الى حالهما وارادة مصالحهما منكم
فكلوا امرهما الى الله والمراد من الغني والفقير جنساهما ولذا رد الضمير
بالتثنية اليهما بقوله بهما وحقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او
فقيرا في معنى ان يكن احد هذين ولا تتبعوا الهوى اي لا تشهدوا بهواكم
ولكن اشهدوا على ما علمتم واشهدتم عليه ان تعدلوا بين الناس بالحق
من العدل وان تلووا اي ان تحرفوا الشهادة عما هو الحق لتبطلوه قرئ

تفقه
عجبلك

بواوين اوليهما مضمومة من لوى اذا حرف وبواو قبلها لام مضمومة من
ولي اذا قرب اوتسلط بالحكم اي ان قربتم من اقامة الشهادة او تعرضوا
عن الشهادة فتكتموها ويجوز ان يكون خطابا للحكام اي لا تحرفوا
الحكم الحق او تعرضوا عن احد الخصمين وتميلوا الى الآخر في الحكم فان الله
كان بما تعملون خبيرا اي عالما بالتحريف في الشهادة والحكم فيجازيكم به
قال عم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقم شهادته على من
كان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجحد الحق هو عليه وليؤده
ولا يلجئه الى السلطان والخصومة ثم خاطب اهل الكتاب بالايمان
بمحمد عم واتباع شرايعه بقوله يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا
بالله ورسوله اي محمد عم والكتاب الذي نزل على رسوله بالتشديد
معلوما ومجهولا لانه نزله نجوما في عشرين سنة والكتاب الذي انزل
من قبل اي وبكل كتاب انزل قبل القرآن قرئ معلوما ومجهولا من الانزال
لان الكتب لم ينزل كالقرآن نجوما فالمراد من الكتاب الجنس يعني ولا
التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية اذ هم كانوا مؤمنين
بالكتابين فحسب فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ويجوز ان يكون
الخطاب للمسلمين فيكون معنى امنوا اثبتوا على الايمان والمراد برسوله
جنس الرسول ويجوز ان يكون الخطاب للمنافقين بمعنى الذين آمنوا
صدقوا باللسان ايقانا آمنوا بالقلب اخلاصا ثم هدد الجميع بقوله ومن
يكفر بالله اي بتوحيده وملائكته اي بانهم عبيده وكتبه المنزلة من السماء
ورسله المبعوثين اليهم واليوم الآخر اي بالبعث بعد الموت فقد ضل
ضلالا بعيدا عن الهدى لا يرجى فلاحه ثم هدد الذين ترددوا في الايمان
وارتدوا عن الاسلام بعد وضوح الدليل بقوله ان الذين آمنوا بموسى
والتورية ثم كفروا بعد موسى ثم آمنوا بعيسى والانجيل ثم كفروا بعد عيسى
ثم ازدادوا كفرا بمحمد عم والقرآن قيل يجوز المراد ان يكون منه المرتدين
عن دين محمد عم كابي عامر الراهب ومحارب وغيرهما فانهم آمنوا
بالنبي عم ثم كفروا به ثم آمنوا ثم كفروا ثم ماتوا على كفرهم فقال تعالى
لم يكن الله ليغفر لهم اذا ماتوا على كفرهم ولا ليهديهم سبيلا
اي طريقا الى الحق يعني لا يقبل توبتهم الى ان تابوا قبل الموت اضطرارا
وخوفا على انفسهم واموالهم قالوا اذا اسلم الكافر لغرة ودام

ايقانا

على

على اسلامه يغفر كفره السابق فان اسلم ثم كفر ثم اسلم ثم كفر لا يغفر
كفره السابق الذي غفر له لو دام على الاسلام ويطالب بجميع ما فعل في
كفره الاول قوله بشر المنافقين اي اخبرهم يا محمد وضع فيه بشر مكان
اخبر تهكما بهم بان لهم عذابا اليما ثم وصفهم بقوله الذين يتخذون
الكافرين اي اليهود والنصارى اولياء اي اصدقاء في الغزو والنصرة
من دون المؤمنين ثم قال باستفهام الانكار توبيخا ايبتغون عندهم
العزة اي ايطلبون عنهم المعونة والظهور على محمد عم فان العزة
لله جميعا اي القوة والغلبة لا لاولياء الله كلهم لا للكافرين فنصب
جميعا على الحال من الجار والمجرور بتقدير المضاف وقد نزل مجهولا من
التنزيل والواو للحال عليكم ايها المنافقون في الكتاب يعني سورة الانعام
مفعول المجهول ان المخففة من الثقيلة مع ما بعده واسمه ضمير الشان
اي انه اذا سمعتم آيات الله اي القرآن يكفر بها ويستهزئ بها وكان اليهود
يستهزؤن بالقرآن وهم يستمعون ذلك فلا تقعدوا جواب اذا اي
لا تجالسوا معهم اي مع الكافرين بالقرآن والمستهزئين حتى يخوضوا
في حديث غيره اي يشرعون في كلام آخر انكم اذا اي اذا اقعدتم
معهم وسمعتم استهزاءهم ورضيتم به مثلهم في الكفر لان ترك انكار
الكفر مع القدرة عليه رضا به والرضاء بالكفر كفر قال ابن عباس دخل في
هذه الآية كل محدث في الدين ومبتدع الى يوم القيمة وفيه دليل ان
من جلس في مجلس المعصية ولم يقدر الانكار على اهله يجب ان يقوم
عنهم حتى لا يكون معهم في الوزر سواء ثم هدد الخائضين والمستمعين
بالنفاق بقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا اي
ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم وقدم المنافقين هنا لانهم اشر من الكفار
ثم اخبر عن المنافقين بقوله الذين يتربصون بكم الدواير وهي عبارة
عن تغير الحال بالسوء عليكم قيل محل الموصول جر صفة للمنافقين او نصب
بدل من الذين يتخذون او على الذم او رفع بانه خبر مبتدا محذوف اي هم
الذين ينظرون بكم المصايب او العاقبة لكم ام لعدوكم فان كان
لكم فتح اي ظفر من الله قالوا الم نكن معكم في الجهاد وعلى عدوكم
فاعطونا نصيبا من الغنيمة وان كان للكافرين نصيب اي ظفر وغلبة
على المؤمنين وسمى ظفر المؤمنين فتحا لانهم يثابون به ويفتح لهم ابواب

السمآء للقبول وظفر الكافرين نصيبا لانه حقير بزوال ويعاقبون عليه
وجزآء الشرط قالوا اي المنافقون للكفار الم نستحوذ اي الم نغلب عليكم
بالموالاة لكم والاستحواذ وهو الاستيلاء على الشيء او الم نطلعكم
على سرهم ونخبركم عن حالهم بالارسال اليكم خبارهم واستعدادهم
لهم برجاء منالكم ونمنعكم من المؤمنين اي الم نجهم عنكم بان خذلنا
عنكم فغلبتم عليهم فقال تعالى فالله يحكم بينكم ايها المؤمنون والمنافقون
يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا اي حجة او
طريقا بالغلبة لا في الدنيا ولا في الآخرة واما الغلبة للكفار في بعض
الاوقات فهي لمظلة في الدنيا يصيبونها لا الاستيصال او ليس لهم
عليهم سبيل بالشرع وبهذا يحتج بعض العلماء على ان الكافر لا يملك العبد المسلم
ثم بين حال المنافقين في الدنيا فقال ان المنافقين يخادعون الله اي
يعاملونه معاملة الخادعين باظهارهم الايمان بالسنتهم وكتمانهم
الكفر في صدورهم وهو خادعهم اي والحال ان الله يجازيهم جزاء
خداعهم او يعطون نورا يوم القيمة كالمؤمنين فيمشون على الصراط مع المؤمنين
فيمضي المؤمنون بنورهم ويطفأ نور المنافقين فيبقون في ظلمة لا غاية لها
ثم قال واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى اي متثاقلين لا عن طيبة نفس
ورغبة فيها يراؤن الناس بفعلهم الخير لا يريدون به وجه الله ومعنى
المراءاة ان يري الناس عمله وهم يرونه استحسانه ولا يذكرون الله الا
قليلا اي الا ذكرا نادرا وهو ما يجاهرون به سمعة للناس او لا يصلون
الا قليلا وهو ما يصلون عند الناس لا في الغيبة عن عيونهم او المراد بالقلة
العدم اي لا يذكرونه اصلا لانهم يشتغلون بذكر الدنيا وحطامها و
يستغرقون اوقاتهم بحديثها وبحديث الناس واللغو قوله مذبذبين
نصب على الحال من ضمير يذكرون اي مرددين يرددهم الشيطان
بين ذلك اي بين الكفر والايمان او بين المؤمنين والكافرين لا الى هؤلاء
ولا الى هؤلاء اي ليسوا مع المؤمنين في التصديق ولا مع الكافرين
في ظاهر الكفر وهو ايضا حال بمعنى متلونين ومن يضلل الله عن الهدى
فلن تجد له سبيلا اي طريقا الى الهدى لانه خذله الله عنه ثم نهى
الله المؤمنين عن موالاة الكفار ظاهرا او باطنا فقال يا ايها الذين
آمنوا بالاخلاص لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين ثم

اكد

اكد النهي بقوله اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي حجة
ظاهرة على النفاق لتعذيبكم في الآخرة بقوله ان المنافقين في الدرك
الاسفل بفتح الدال والسكون اي في اخفض مكان من النار وهو قعر
جهنم وسمي هاوية ولن تجد لهم نصيرا اي مانعا يمنعهم من العذاب
قيل هم في توابيت من حديد مقفلة في النار وعذاب المنافق اشد من
عذاب غيره من الكفار لكفره ونفاقه واستهزائه بالدين ثم استثنى التائبين
من النفاق بقوله الا الذين تابوا اي رجعوا من النفاق واصلحوا
الفاسد من اعمالهم واعتصموا اي تمسكوا بالله اي بتوحيده
واخلصوا دينهم بقلوبهم لله لان النفاق كفر القلب واظهار الايمان
باللسان في الشريعة واما تسمية الفساق باسم النفاق فمجاز وتغليظ
ليمتنع عن فسقه كما قال عم ثلث من كن فيه كان منافقا وان صام
وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا اؤتمن
خان ثم قال تعالى في جزاء التائبين من النفاق فاولئك مع المؤمنين في الجنة
او معهم فيما لهم وما عليهم في الدنيا وسوف يؤت بحذف ياء يؤتي
خطا اتباعا للفظ لانه حذف لالتقاء الساكنين اي يعطي الله المؤمنين
اجرا عظيما في الآخرة فيشاركونهم ويساهمونهم ثم قال باستفهام التقرير اي
تقرير على انه لا يعذب المؤمن الشاكر تطييبا لنفوس المؤمنين ما يفعل الله
بعذابكم اي اي شيء يفعل بعذابكم ان شكرتم الله وآمنتم به اي وحدتموه
يعني ما حاجته الى تعذيبكم لو آمنتم بربكم وخالقكم ورازقكم وشكرتم له
على نعمه التي انعمها عليكم ايتشفى به من الغيظ ام يستجلب به نفعا او يستدفع
به ضررا كما يفعل السلاطين على رعاياهم بعذابهم وهو الغني الذي يستحيل عليه
شيء من ذلك فان اقمتم شكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق
العذاب ويجوز ان يكون ما نافية اي لا يعذبكم ان شكرتموه وكان الله شاكرا
عليما اي مثيبا موفيا اجوركم عالما بحق شكركم وايمانكم وتقديم الشكر على
الايمان هنا مع ان الامر بالعكس ابتداء بان اصل التكليف الشكر المبهم لان
العاقل اذا نظر الى ما انعم عليه تصور منعما فشكر شكرا مبهما فادى ذلك الى
تجديد النظر لدرك معرفة المنعم القديم فآمن به فشكر شكرا مفصلا فقدم
الشكر على الايمان من هذا الوجه قوله لا يحب الله الجهر اي ان يجهروا
بين الناس بذكر رجل منهم بالسوء من القول كالشتم والجبن وغير ذلك

من الالفاظ القبيحة الا من ظلم نصب على الاستثناء بتقدير المضاف اي
الا جهر من ظلمه شخص فيدعو عليه بقوله اللهم اعني عليه او خذ لي حقي
منه او يبري بالشتم فرد مثله نزل في شان ابي بكر الصديق رضي الله عنه
شتمه رجل فسكت ابو بكر مرارا ثم رد عليه وقيل نزل في ضيف الذي ينزل
بالقوم فلم يحسنوا اليه فله ان يذكر ما فعلوا به ويسب مثل ما يسبوه ما لم يكن
كلاما فيه حد والسكوت افضل وكان الله سميعا لاقوالكم ودعائكم عليما
باحوالكم وعقابكم ان ظلمتم ثم حث على التجاوز وترك الانتصار بقوله
ان تبدوا اي يظهروا خيرا اي حسنة او تخفوه اي الخير او تعفوا عن سوء
اي عن مظلمة ولا تجهروا بالسوء عن الظالم فان الله كان عفوا قديرا يعفو
عن الجانين مع القدرة على الانتقام فعليكم ان يقتدوا بسنة الله وسنة رسول
قوله ان الذين يكفرون بالله ورسله نزل اخبارا عن اهل الكتاب انهم يؤمنون
بموسى وعيسى ويكفرون بغيرهما من الانبياء ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله ولا يعلمون ان الكافر برسول من رسله كافر بالله ويقولون نؤمن
ببعض كموسى وعزير ونكفر ببعض كعيسى ومحمد م ويريدون ان يتخذوا بين
ذلك اي بين الكفر والايمان سبيلا اي دينا وسطا بين الكفر والاسلام و
لفظ ذلك يستعمل بمعنى المفرد وهو الاغلب وقد يقع بمعنى المثنى والجمع وهنا
بمعنى المثنى ثم بين الله ان ما فعلوه كفر يقينا بقوله اولئك هم الكافرون حقا
مصدر مؤكد اي كفرا كاملا لا شك فيه واعتدنا للكافرين بجميع الرسل او بعضهم
وبما انزل اليهم عذابا مهينا يهانون فيه ابدا ثم بين ثواب المؤمنين بجميعهم بقوله
والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم بالايمان ببعض والكفر
ببعض وادخل بين في احد وهو يقتضي المتعدد لان احدا بمعنى الجمع هنا لانه لفظ
يعبر عن المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث اي آمنوا بجميع رسل الله بلا تفرقة
بينهم اولئك سوف يؤتيهم بالياء والنون اي نعطيهم اجورهم اي ثوابهم
في الجنة وكان الله غفورا لمن تاب منهم رحيما بهم لطاعتهم ربهم قوله
يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزل حين قال علماء اليهود
ككعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا واصحابهما ان كنت نبيا يا محمد فاتنا
بكتاب من السماء جملة واحدة لا بالدفعات كما جاء به موسى تجهيلا لهم وتسلية
للنبي م فقال تعالى ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا اي سأل اباؤهم
وهم بمنزلتهم وعلى مذهبهم في الرضاء بسؤالهم موسى اكبر من ذلك اي مما سألوه منك

فقالوا

جواب سؤال مقدر اي اذا استكبرت ما سألوه منك

فقالوا ارنا الله جهرة اي عيانا وهم الذين ساروا مع موسى الى طور
سينا للاعتذار من ذنوبهم فاخذتهم الصاعقة اي احرقتهم النار
النازلة من السماء بظلمهم اي بكفرهم وسؤالهم للرؤية عيانا ثم اتخذوا
العجل الها مع ذلك السؤال وعبدوه في حال غيبة موسى من بعد ما جاءتهم
البينات اي العلامات لموسى على نبوته فعفونا عن ذلك كله بتوبتهم
ولم نستأصلهم فليتوبوا هؤلاء فنعفو عنهم كما عفونا عن آبائهم
وآتينا موسى سلطانا مبينا اي حجة ظاهرة عليهم وهي اليد (البيضاء) والعصا لتطيعوه
حين امرهم بالتوبة بقتلهم انفسهم حتى يتاب عليهم فاطاعوه و
انقادوا لامر القتل والسيوف تتساقط عليهم فتابوا الينا فتبنا عليهم
لدفع السيوف والخناجر عنهم ثم اخبر عن حالهم الاخرى بقوله
ورفعنا فوقهم الطور اي قلعنا الجبل فوقهم كانه ظلة بميثاقهم
اي بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه حين اقروا بما في التورية ثم
ابوا ان يقبلوا شرايعها وقلنا لهم ادخلوا الباب اي باب اريحا
سجدا حال اي منحنين اصلا بهم وقلنا لهم لا تعدوا اي لا تجاوزوا
ما حرم عليكم الى الاستحلال في السبت اي من اخذ السمك في يوم
السبت يعني لا تستحلوا ذلك بعد ما حرم فيه وقرئ لا تعدوا بالتشديد
مع فتح العين وباختلاف حركتها مع التشديد اصله لا تعتدوا او بالتخفيف
من عدا يعدو ثم قال تعالى واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا شديدا
في التورية ليفوا عليه ثم تركوا عهدنا في هذه الاشياء ونقضوا الميثاق
فبما نقضهم الباء متعلقة بمحذوف وما زايدة للتاكيد ومعناه
تحقق ان العقاب لم يكن الا بنقض العهد فبنقضهم ميثاقهم وكفرهم
بآيات الله اي بجحدهم ما في التورية ايضا وقتلهم الانبياء اي
وباهلاكهم انبياءهم بغير حق اي بلا جرم وقولهم قلوبنا غلف
وبقولهم لك قلوبنا ذات غلاف فلا ينفعه حديثك وقراءتك فعلنا
بهم ما فعلنا وهو اللعنة والخذلان فحذف المسبب بدلالة ذكر السبب
عليه تفخيما للشان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم
قلوبنا غلف فيتعلق به على وجه الاعراض اي خذل الله قلوبهم
بسبب كفرهم ومنعها الالطاف فصادفت كالمطبوع عليها لا انها
مغلوفة بالخلقة لا تقبل الذكر والايمان فلا يؤمنون الا قليلا اي ايمانا

قليلا

كالعدم وهو الايمان ببعض دون بعض والقليل منهم عبد الله بن
واصحابه ثم عطف قوله وبكفرهم وقولهم عطف قوله فبما نقضهم اي
ولعناهم ايضا بكفرهم وقوله على مريم ام عيسى بهتانا عظيما وهو التنز
فانهم قذفوها بيوسف بن ماثان خادم مسجد بيت المقدس او بابن عمها
فبين الله بهتانهم وكذا قوله وقولهم عطف على قوله فبما نقضهم وفائدة
العطوف المتعاقبة قبل الجواب تبيين انهم استحقوا العذاب بمجموع هذه الاشياء
الشنيعة اي لعناهم ايضا وخذلناهم بسبب كفرهم بعيسى وبسبب
قولهم في حقه بالافتخار انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله بالنصب
في عيسى ورسول الله عطفا بيان للمسيح وسموه برسول الله استهزاء به وهو
قول الله تعالى لا قول اليهود وذلك ان اليهود اجتمعوا على قتل عيسى فهرب منهم
ودخل في بيت فامر ملكهم رجلا بان يدخل عليه اسمه يهودا فجاء جبرئيل ورفع
عيسى عم الى السماء فلما دخل الرجل البيت لم يجده فالقى الله تعالى شبه عيسى
وشكله عليه فلما خرج من البيت ظنوا انه عيسى عم فقتلوه وصلبوه فقال
في شان عيسى عم وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم المقتول بعيسى عم
فاختلفوا فيه فقالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا
فاين عيسى ويجوز ان يسند شبه الى لهم بمعنى وقع التشبيه لهم
بعيسى ثم قال تعالى وان الذين اختلفوا فيه اي في عيسى لفي شك منه لان
بعض من الفريقين ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله الى السماء وما لهم
اي بقتله من علم اي يقين يعني لم يكن عندهم علم يقين انه قتل او لم يقتل
الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم اتبعوا ظنهم في قتل عيسى
لما لاحت لهم امارة ذلك ثم اكد كذبهم بقوله وما قتلوه اي عيسى يقينا
نصب على الحال اي متيقنين او مصدر اي قتلا يقينا بل رفعه الله اليه
اي الى حفظه في السماء في شهر رمضان ليلة القدر وقيل في يوم عاشوراء
بين الصلوتين وكان الله عزيزا اي منيعا حيث منع عيسى من القتل حكيما
اي صانعا بحكمه حيث رفعه الى السماء وشبه صاحبهم بعيسى قوله
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اخبار من الله لنبيه عم قبل
موتهم للوعيد وتعجيل الايمان به في وقت الانتفاع به بانه لا احد من
اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا والله ليؤمنن بعيسى بعد نزوله
من السماء على صخرة بيت المقدس ويقتل الدجال ويكسر الصليب ويهدم البيع

والكنائس حتى يكون الملة واحدة وهي دين الاسلام قبل موت عيسى
قيل يبقى عيسى بعد نزوله من السماء في الارض اربعين سنة نبيا اماما
مهديا على دين محمد عم ويقع الامنة في زمانه حتى ترتع الاسود مع الابل
والنمور مع البقر والذياب مع الغنم والصبيان مع الحيات والعقارب
ثم يموت ويصلي عليه هذه الامة وقيل الهاء في موته للكتابي والمعنى
ان كل كتابي قبل موته يسير يؤمن بعيسى حين لا ينفع الايمان سواء احترقوا
او غرقوا او قتلوا بالسيف لا بد ان يؤمنوا والضمير في به لله او لمحمد
ويوم القيمة يكون ايمانهم او عيسى عليهم شهيدا بانه قد بلغهم
الرسالة فيشهد على اليهود انهم كذبوه وقذفوه وامه وعلى النصارى
انهم ادعوا فيه الالوهية قوله فبظلم يتعلق بحرمنا بعده اي فبشرك
من الذين هادوا اي من اليهود حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
من المطاعم وغيرها او فبكل ظلم صدر منهم من الصغير والكبير حرم
عليهم بعض الطيبات وهي التي حرمت عليهم في سورة الانعام وبصدهم
اي وبصرفهم عن سبيل الله اي عن دينه كثيرا من الناس واخذهم
الربوا عطف على بصدهم وقد نهوا عنه اي والحال انهم نهوا
عن اخذهم الربوا في التورية واكلهم اي وباخذهم واكلهم اموال الناس
بالباطل اي بالرشوة في الحكم وتحريف الكتاب واعتدنا للكافرين بالقران
ومحمد عم منهم اي من اليهود عذابا اليما اي وجيعا دائما قوله لكن الراسخون
استدراك عن كفر اليهود وقولهم هذه الاشياء كانت حراما في الاصل
ولم يكن حرمت بظلمنا فقال تعالى لكن المبالغون في العلم اي في علم الدين
حقيقة وهم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه منهم
اي من اليهود والمؤمنون اي المصدقون بك وبالقران من الانصار والمهاجرين
يؤمنون بما انزل اليك اي بالقران وما انزل من قبلك اي بجميع الكتب والمقيمين
الصلوة نصب على المدح لبيان فضل الصلوة على سائر الطاعات لقوله عم
الصلوة وجه دينكم فلا تكدروه وقوله الصلوة خير موضوع ومثل هذا
كثير جدا في كلام العرب ومنه النصب على الاختصاص فمن زعم انه لحن
في خط المصحف لا يلتفت اليه لانه ثابت بالتواتر وقيل والمقيمين جر
عطف على بما انزل اليك اي ويؤمنون بما انزل اليك وبالمقيمين الصلوة
وهم الانبياء والاولياء وجه قوله والمؤتون الزكوة عطف على الراسخون

او على ضمير الفاعل في يؤمنون اي الذين يعطون الصدقة المفروضة
والمؤمنون بالله واليوم الاخر اي المصدقون بتوحيد الله وبالبعث
بعد الموت اولئك سنؤتيهم بالياء والنون اي سنعطيهم في الاخرة
اجرا عظيما اي ثوابا كثيرا وهو الجنة قوله انا اوحينا اليك كما اوحينا
نزل جوابا لليهود حيث قالوا للنبي عم ان كنت نبيا حقا فاتنا بكتاب
من السماء كموسى فاخبر الله تعالى اعلاما لهم بانه في شان الوحي كمن
تقدمه من الانبياء فقال انا اوحينا القران اليك مثل الذي اوحيناه
الى نوح والنبيين من بعده اي بعد نوح وانما بدا به لانه اول المنذرين لانه
لم يكن شرك قبله وانما ظهر في زمانه اي الموحى اليك مثل الموحى الى جميع
الانبياء من التوحيد والايمان يعني اوحي اليك لان تثبت على التوحيد
وتامر الناس بالايمان بالتوحيد كما اوحي اليهم لان يثبتوا على التوحيد
ويدعوا الناس الى الايمان بالتوحيد ودفع الشرك واوحينا الى ابراهيم
واسمعيل واسحق وهما ابنا ابراهيم ويعقوب وهو ابن اسحق والاسباط
وهم اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر سبطا فامر الله بانبائهم بالوحي
لان يثبتوا على التوحيد ويدعوا الناس اليه وعيسى وايوب ويونس
وهرون وسليمن اي اوحيناهم كذلك واتينا داود زبورا بضم الراء
جمع زبر مصدر بمعنى مزبور اي اعطيناه صحفا مزبورة اي مكتوبة و
بفتح الزاء اسم لكتاب داود عم كان فيه التوحيد والتمجيد والتحميد
والثناء على الله تعالى وكان لداود حسن صوت فيخرج الى البرية فيقوم
العلماء خلفه ويجتمع الانس والجن والدواب والطيور لحسن صوته
فلما اذنب الذنب المعروف لم ير ذلك فقال الله له ذلك حلاوة الطاعة
وهذا وحشة المعصية ورسلا نصب بفعل يفسره ما بعده وتقديره واوحينا
او ارسلنا انبياء قد قصصناهم عليك يا محمد من قبل اي سميناهم لك ورسلا
لم نقصصهم عليك باسمائهم فكما ارسلناهم الى الناس لدعوتهم الى التوحيد
ارسلناك لدعوة المشركين الى الايمان ودفع الشرك روي عن كعب الاحبار انه قال
كان الانبياء الفي الف ومائتي الف وروي عن ابي ذر انه قال قلت يا رسول الله
كم كانت الانبياء وكم كان المرسلون قال كانت الانبياء مائة الف نبي واربعة وعشرين
الف نبي وكان المرسلون ثلث مائة وثلثة عشر رسلا ولما لم يذكر موسى فيهم
قالت اليهود للنبي عم الم اكلم الله موسى ام لا فنزل وكلم الله موسى تكليما نصب

مصدر مؤكد وانما خص موسى بالتكليم مع ان الله كلم غيره لانه كلمه و
اوحى اليه من غير واسطة وقيل كلمه بكلام لم يبلغه الى قومه ولا امره بتبليغه
قوله رسلا نصب على التكرير او نصب على المدح مبشرين ومنذرين حال
اي ارسلنا رسلا مبشرين بالجنة ومنذرين بالنار ثم علل الارسال بقوله
لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيمة بعد ارسال الرسل اليهم فيقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا فكيف تعذبنا قيل لو لم يرسل الله اليهم رسولا
كان ذلك عدلا منه لموهبة العقل الذي به يعرف التوحيد لهم ولكنه ارسل
الرسول فضلا منه ليكون تنبيها على النظر مع تبليغ ما حملوه من التكليف
الديني وتعليم الشرايع وازاحة للعلة وزيادة في الحجة عليهم وكان الله عزيزا
بالنقمة لمن كفر به حكيما بارسال الرسل بحكمة منه لكن الله يشهد بما انزل اليك
نزل حين قال المشركوا مكة انا سئلنا عنك اليهود فلم يعرفوك فقال عم لليهود
والله انكم عالمون اني على الحق فقالوا ما نعلم ذلك فقال تعالى لا يشهد اليهود
لكن الله يشهد بانك نبي وبما انزل اليك من القرآن بان جعله معجزا على ورود
الازمان يشهد انك على الحق فانه اعظم شهادة من خلقه وفيه اختصار
لاقتضاء لكن الاستدراك عن نفي شيء قبلها لايجاب ذلك الشيء بعدها قوله
انزله بعلمه تفسير للمنزل ومحل بعلمه حال اي انزله ملابسا بعلمه الخاص الذي
لا يعلمه غيره وهو ما فيه من نظم واسلوب من البلاغة يعجز عنه كل بليغ وهو
المراد بكونه شاهدا عليه او انزله بما يعلم من مصالح العباد والملائكة يشهدون
اي انهم يشهدون ايضا على صدقك كالذي شهدت عليه لان شهادتهم
تبع لشهادتي وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد احد من خلقه اذ لا احد افضل
من الله لك ولغيرك باظهار المعجزات الدالة على صحة شهادتي على يدي من اشاء من
عبادي ثم قال ان الذين كفروا بالقران وبمحمد عم وصدوا اي صرفوا الناس عن
سبيل الله اي عن طريق الهدى بكتم نعت محمد عم قد ضلوا عن الحق ضلالا بعيدا
لا يدرك غوره ان الذين كفروا بالله وظلموا بكتم نعت محمد عم انفسهم وبجحدهم
نبوته لم يكن الله ليغفر لهم ما داموا على كفرهم وظلمهم بذلك ولا ليهديهم اي
ولا ليرشدهم طريقا من الطرق الا طريق جهنم وهو دين الكفر والعمل الذي يجرهم الى
جهنم او طريقا يوم القيمة ينتهي بهم اليها قيل يرفع لاهل الايمان في الموقف طريق
يأخذ بهم الى الجنة ويرفع لاهل الكفر طريق ينتهي بهم الى النار خالدين فيها ابدا
اي لا يخرجون عنها معذبين بها وكان ذلك اي خلودهم فيها وعذابهم في النار

علي الله يسيرًا اي هينًا عليه لا يعجز عنه قيل هذا لمن سبق علمه فيهم انهم
لا يؤمنون قوله يا ايها الناس خطاب لاهل مكة تحريضًا علي الايمان وترك الشرك
قد جاءكم اي ظهر فيكم الرسول وهو محمد عم بالحق اي ملابسًا بالصدق او بالشرع
او بكلمة لا اله الا الله وهو التوحيد من ربكم الذي خلقكم وصوّركم فآمنوا
اي صدّقوا به وبما جاء من التوحيد ونفي الشرك خيرًا لكم نصبه مفعول به اي
اقصدوا خيرًا لكم مما انتم فيه او صفة مصدر محذوف اي ايمانًا خيرًا او
خبر كان المحذوفة اي يكن الايمان خيرًا لكم ثم قال تهديدًا لهم باظهار غناه عنهم
وعن ايمانهم وان تكفروا بمحمد عم وما جاء به من الحق فان لله ما في السموات والارض
اي كله له عبيد واماء فهو غني عنكم وكان الله عليمًا بخلقه من يؤمن ومن
يكفر حكيمًا بامره في الثواب والعقاب ثم خاطب النصاري بقوله يا اهل الكتاب
اي اهل الانجيل لا تغلوا اي لا تجاوزوا الحد في دينكم بان تشركوا الله عيسي
الذي هو عبده في الالوهية ولا تقولوا علي الله الا الحق نصب علي انه
مقول تقولوا يعني تذكروا او تعتقدوا اي لا تذكروا علي الله الا القول الحق
وهو التنزيه عن الشريك والولد وغلوّهم في عيسي هو ان بعضهم
قال ثالث ثلثة آلهة عيسي ومريم والله وبعضهم قال هو الله
وبعضهم قال انه ولده وقالت اليهود هو ولد زنا والله تعالي
كذبهم كلهم بقوله انما المسيح عيسي بن مريم مبتداء وعطف بيان
خبره رسول الله وكلمته لانه وجد بقوله لعيسي كن فكان من
غير اب ومحل القاها الي مريم حال مقدرة اي والحال ان الله تع اخبرها
بالكلمة من غير اب ولا نطفة قيل القي جبرئيل فنفخ في جيب درع مريم فدخلت
تلك النفخة بطنها فتحرك عيسي في بطنها قوله وروح منه عطف علي رسول
وسمي روحًا لانه وجد بمجرد النفخ من غير جزء من ذي جسد حي كالنطفة المنفصلة
من الاب واضيف الي الله بقوله منه تشريفًا له ثم قال فآمنوا بالله ورسله
اي وبما جاءكم رسله منه انما الله واحد في الالوهية لا شريك له ولا ولد له
ولا نسبة بينه وبين عيسي فانه جزء مريم لا من الله تع خلق من غير اب
وتركيب مثلها ولا تقولوا ثلثة اي الآلهة ثلثة والله ثالث ثلثة انتهوا
عن التثليث لكن الانتهاء عنه خيرًا لكم من القول به يعني توبوا الي الله بالتوحيد
ولا تصرّوا علي الكفر انما الله اله واحد وتاكيد قوله سبحانه ان يكون
له ولد اي نزّه نفسه عن ذلك تنزيهًا ثم بين تنزيهه بقوله له ما في السموات

اخترعها

وما في

وما في الارض من الحق يعني كل ما فيهما ملكه فكيف يصح ان يكون بعض ملكه جزءًا له علي
ان الجزء انما يكون بالتركيب والجسم وهو منزه عن صفات الاعراض والاجسام
وكفي بالله وكيلًا اي شاهدًا يشهد علي انه واحد وان لم يشهد غيره او كفي وكيلًا
يكل الخلق اليه امورهم لافتقارهم اليه وهو الغني عنهم قوله لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدًا لله نزل حين قال وفد نجران للنبي عم عند المناظرة به في امر
عيسي انك لتسبّ عيسي بقولك انه عبد الله فقال تع لا يانف المسيح عيسي ان
يكون عبدًا لله يعني انه مقرّ بعبوديته لله تعالي يقال نكف واستنكف اذا انف
واصله تنحية الدمع من الخد ولا الملائكة المقربون عطف علي المسيح وهو
الظاهر في اداء الفرض من الكلام بخلاف عطفه علي اسم يكون اي ولا حملة العرش
يانفون ان يكونوا عبيدًا لله فانهم اقرب اليه من عيسي فكيف يانف عيسي
وهو عبد من عباده ويدل علي عبيد المحذوف قوله عبدًا لله ولو لم يقدر
الحذف فيه لم يصح العطف لان الملائكة جمع وعبدًا لله مفرد وقيل يجوز
ان يكون المراد من الملائكة كل واحد منهم فحينئذ يصح العطف قيل في الكلام
ارتقاء من الادني الي الاعلي وهو يدل علي ان الملائكة مفضلون علي البشر
واجيب عنه بان سوق الكلام ردّ علي الذين يقولون الملائكة آلهة كما
ردّ علي النصاري ان عيسي اله او ولد الله لا لتفضيل الملائكة علي البشر
ومن يستنكف اي يانف عن عبادته اي عن العبودية لله ويستكبر
اي ويتعظم عن طاعته فسيحشرهم اليه اي الي الله جميعًا فيلقيهم الي
النار ثم قال في شان الموحدين فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اي الطاعات التي بينهم وبين ربهم فيوفيهم اجورهم اي يتم ثواب
اعمالهم ويزيدهم من فضله اي من رزقه في الجنة ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر ثم قال الله تع تاكيدًا في شان
المستنكفين عن عبادته واما الذين استنكفوا اي انفوا واستكبروا
عن عبادته تع فيعذبهم عذابًا اليمًا اي وجيعًا دائمًا ولا يجدون لهم
من دون الله وليًا اي قريبًا يعينهم ولا نصيرًا اي مانعًا يمنعهم من عذابه
قيل التفصيل هنا غير مطابق للمفصل لانه غير مشتمل علي الفريقين بل علي فريق
واحد والمفصل ينبغي ان يشتملهما معًا اجيب بانه قد انطوي ذكر احدهما
كما هو طريق الاكتفاء بدلالة قوله لن يستنكف المسيح الاية عليه ثم قال
الله تع خطابًا لاهل مكة ترغيبًا في الايمان يا ايها الناس قد جاءكم برهان

من ربكم اي حجة واضحة عليكم وهو محمد عم بالمعجزات التي يعجز عنها البشر
وانزلنا اليكم نورا مبينا وهو القرآن الذي يصدقه بالبيان الشافي في الحلال
والحرام وفي الهدي والضلال فاما الذين آمنوا بالله اي بدينه الحق واعتصموا به
اي تمسكوا بتوحيده فسيدخلهم في رحمة منه اي في ثواب مستحق منه و
فضل اي وفي تفضل عليه في الآخرة ويهديهم اي ويرشدهم اليه اي
الي دينه الموصل الي معرفته في الدنيا حال كونه صراطا مستقيما وهو دين الاسلام
الذي لا عوج فيه علما وعملا قوله يستفتونك قل الله يفتيكم نزل حين جاء
النبي عم الي عيادة جابر بن عبد الله في مرض موته فسأله فقال ان لي كلالة
من الورثة لمن الميراث منها فقال الله تع قل الله يفتيكم في الكلالة وهي من
لا ولد له ولا والد له ان امرؤ ان شرط وامرؤ مرفوع بفعل يفسره هلك وتحل ليس له
ولد رفع صفة امرء والمراد بالولد الابن يدل عليه قوله وله اخت من ابيه او
من الاب والام لان الابن يسقط الاخت والبنت لا تسقطها اي ان مات
رجل ليس له ابن وله اخت فلها نصف ما ترك من المال ثم بين ميراث الاخ من
اختها بقوله وهو يرثها يجعله عصبة لها اي ان الاخت ولها اخ فالاخ
وارثها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان البنت لا تسقط الاخ ويسقطه الابن ولم
يذكر الوالد لان ذكر الولد يدل عليه اذ الاب نظير الابن في الاسقاط فاذا ورث
الاخ عند انتفاء الولد وهو اقرب فاولي ان يرثها عند انتفاء الوالد وهو ابعد
او كل حكم انتفاء الوالد الي بيان السنة وهو قوله عم الحقوا الفرايض باهلها فما
بقي فلاولي عصبة ذكر والاب اولي من الاخ ثم لو كان لاحدهما من الاخ والاخت
ولد فمات احدهما فالحكم فيه بين علي لسان رسوله لا في الآية لانه قال اذا
مات الاخ وترك ابنة واختا فللابنة النصف وما بقي للاخت ولو ماتت الاخت
وتركت ابنتها واخا فللابنة النصف وما بقي للاخ وهذا اجماعي وفي الاول اختلاف لان
ابن عباس قال لا ترث مع البنت شيئا وخالفه جميع الصحابة وجعلوا الاخوات
مع البنات عصبة بالحديث قوله فان كانتا اي الاختان اصلهم فان كان الوارث
مثني لتثنية الخبر وانث لتانيثه وهو اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك
الميت والمراد من ذكر اثنتين بيان مجرد العدد بالتاكيد لان كونهما اثنين معلوم من
كانتا وقيل انما جيء باثنتين تاكيدا ليعلم ان الصغيرة ترث كما ترث الكبيرة وان
كانوا اي الورثة اخوة رجالا ونساء اي ذكورا واناثا اصله وان كان الوارث
فجمع لجمع الخبر المشتمل علي الذكور والاناث واطلق عليه الاخوة تغليبا للذكورة علي

الانوثة فللذكر مثل حظ الانثيين منهم اي يكون لكل اخ بينهما ولكل اخت سهم
هذا اذا كان الكل من الاب او من الاب والام واما اذا كانوا من الام خاصة
فهم شركاء في الثلث علي السوية بالاجماع وقد ذكر في اول هذه السورة يبين
الله لكم اي الحق او قسمة المواريث ان تضلوا اي مخافة ان تخطئوا في قسمتها
فمحل ان تضلوا نصب مفعول له والله بكل شيء عليم من قسمة المواريث
وغيرها فاتبعوا ما انزله الله عليكم بعلمه من الكتاب روي ان قوله
يستفتونك الي آخره نزل في طريق حجة الوداع في الصيف ولذلك سمي آية

تخطئوا

الصيف

سورة المائدة مدنية مائة وعشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود قال المفسرون لما ابتدا الله في سورة
النساء بالامر بتقوى الناس ليوحدوه ويطيعوه مع بيان انه خلقهم
وكثرهم من نفس واحدة رجالا ونساء ووصاهم بقسمة المواريث بينهم
علي المقادير التي فرضها في الوصية وبيان الحدود والاحكام والعدل
والظلم ثم ختم السورة بقسمة المواريث التي لم يذكرها في الوصية
علي المقادير المفروضة فيها بين الاخوة والاخوات اكد حفظ ذلك كله
في هذه السورة بالامر بالوفاء بعهد المؤكد في دين الله من تحليل حلاله
وتحريم حرامه بالعدل بين عباده في القسم وغيره بقوله اوفوا بالعقود
جمع العقد وهو العهد الموثق وهو يشتمل كل واجب ذكر في القرآن
من الامر والنهي والنذر والايمان التي بين الله وبين عباده او فيما
بينهم وحفظ الامانة من المال والسر وتمييز الحلال والحرام والنهي هو
او مجمل ثم عقبه بالتفصيل بقوله احلت لكم بهيمة الانعام اي احل
الله لكم ذبحها واكلها والبهيمة كل حي لا يميز وانما سميت بها لانه ابهم عن
التمييز او لعدم النطق والانعام هي الابل والبقر والغنم واختلف
في اجنتها في البطن اباحها الشافعي اذا ذبحت امهاتها وحرمها ابو ح
واضافة البهيمة الي الانعام اضافة تبيين كاضافة ثوب خز اي
بهيمة من الانعام قوله الا ما يتلى عليكم نصب استثناء من بهيمة
الانعام اي احلت لكم هذه الاشياء الا ما يذكر لكم تحريمه منها بعد
غير محلي الصيد نصب علي الحال من الضمير في لكم من احلت لكم او من الضمير
في عليكم لكونه من تتمة الكلام الاول والعامل احلت علي الوجهين اي احلت

لكم غير مستحلين الصيد وانتم حرم اي والحال انكم في الاحرام والحرم جمع
حرام وهو المحرم والجملة حال من محل الصيد اي احللنا لكم بعض الانعام
في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا يضيق عليكم ان الله يحكم
بين عباده ما يريد من التحليل والتحريم لا اعتراض عليه قوله يا ايها
الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله نزل نهيا عن تحليل ما حرم والشعاير
جمع شعيرة وهي العلامة اي علامات طاعة الله والمراد هنا مناسك الحج كالوقوف
والرمي والطواف والسعي بين الصفا والمروة وغير ذلك ومعنى احلال الشعاير
ان تهاون بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين بها ولا الشهر الحرام
اي لا تحلوا القتال في اشهر الحج ولا الهدي اي لا تحلوا اكل ما يهدى الى البيت
جمع هدية وقيل مصدر صار اسما له ولا القلايد اي لا تحلوا الهدايا
ذوات القلايد جمع قلادة وهي ما تعلق في عنق راحلة الحاج من شعر او وبر
او لحاء شجر او غير ذلك ليا من في الطريق وكانوا في الجاهلية اذا اخرجوا
الى مكة قلدوا هداياهم فامنوا به لانه يعرف به انهم كانوا حجاجا فامرهم
الله بحفظ ذلك وان لا يستحلوها فنهوا عن التعرض لهم وعطفت على
الهدي وان كانت منها تفضيلا لها كعطف جبرئيل على الملائكة ولا امين
البيت الحرام اي ولا تحلوا قتال قاصدين المسجد الحرام سواء كانوا من المؤمنين
يعني الحجاج والعمار او كانوا من المشركين الذين ياتونه لقصد الثواب بزعمهم
ويا تون بالنعم الكثيرة توسعة لمعاش الحجاج ثم نسخ بقوله اقتلوا المشركين قوله
يبتغون نصب على الحال من امين اي يطلبون فضلا اي رزقا بالتجارة وثوابا
بالحج من ربهم ورضوانا اي رضى الله بان يغفر للمؤمنين ويصلح معايش المشركين
ولا يعجل لهم بالعقوبة ثم اباح لهم الصيد فقال واذا حللتم فاصطادوا
اي اذا خرجتم من احرامكم ومن حرم الله وامنه الى حل حل لكم الاصطياد
ولا يجرمنكم بفتح الياء من جرم بمعنى كسب وفاعله شنان قوم بفتح النون
وسكونها اي بغضهم يعني لا يحملنكم عداوة قوم وهم كفار مكة ان صدوكم
بفتح الهمزة اي لاجل صدهم اياكم عن المسجد الحرام عام الحديبية وبكسرها شرطا
مستقبلا اي ان صدوكم في المستقبل مثل ما مضى منهم في عام الحديبية
ان تعتدوا اي على ان تجاوزوا الحد عليهم في المكافات بالقتل واخذ المال
وهو مفعول لا يجرمنكم وتعاونوا اي تناصروا على البر اي على اتباع
امر الله والعمل به والتقوى اي وعلى اجتناب ما نهى الله عنه ولا تعاونوا

على الاثم

على الاثم اي الكفر والانتقام والتشفي والعدوان اي الظلم وجاء في الحديث
البر حسن الخلق والعدوان ما حاك في صدرك من الشر وكرهت ان
يطلع عليه الناس واتقوا الله اي اخشوه فيما امركم به واطيعوه ان
الله شديد العقاب لمن عاقب قوله حرمت عليكم الميتة نزل في تحريم
ما كانوا يحلونه والميتة كل ما مات حتف انفه بغير ذكاة شرعية اي حرم عليكم
اكلها والدم اي شربه وهو الدم المسفوح لان الدم الذي يبقى بعد الانهار
فهو مباح كالكبد والطحال ولحم الخنزير والمراد كله من الشحم والعظم وغيرهما
يلتحم به فانه حرام بالاجماع وما اهل لغير الله به اي وحرم عليكم اكل ما ذبح لغير الله
بذكره يعني بذكر اسم الصنم كقول الجاهلية عند الذبح باسم اللات والعزى
واصل الاهلال رفع الصوت فسمي الذبح باسم الاهلال لرفعهم الصوت عند
الذبح بذكر الهتهم والمنخنقة اي وحرم اكل المنخنقة وهي الشاة التي تخنق
او تختنق فتموت بان بعض الكفار يستحلونها وياكلونها والموقوذة اي وحرم
عليكم المضروبة بالخشب وغيره حتى تموت والمتردية وهي الشاة التي
تسقط من الجبل الى منخفض او في بئر فتموت والنطيحة وهي الشاة المنطوحة
التي تنطح بقرن صاحبتها فتموت وما اكل السبع اي وحرم اكل ما بقي مما اكله
السبع الا ما ذكيتم اي الا ما ادركتم ذكاته فذكيتموه قبل ان تموت فلا باس
باكله وهو استثناء مما يمكن ذكاته من المنخنقة الى ما اكل السبع يعني كل
واحدة من هذه اذا ادركت وبها حيوة فذبحت حلت نص عليه ابو حنيفة
او قبل ان تصير الى حالة المذبوح فذبحت حلت نص عليه الشافعي واحمد وما ذبح
على النصب عطف على قوله الميتة اي وحرم عليكم اكل ما ذبح على النصب جمع
نصاب وهي حجارة منصوبة حول البيت يعبدونها ويذبحون عندها
ويشرحون اللحم عليها تعظيما لها وتقربا الى الله بذلك وان تستقسموا
بالازلام عطف الميتة والاستقسام طلب معرفة ما قسم له مما لم
يقسم اي وحرم عليكم طلبكم القسمة والحكم بالازلام جمع زلم بفتح الزاء
وضمها وهو قدح صغير لا ريش له ولا نصل قيل كان اهل الجاهلية
يجتمعون عشرة انفس ويشترون جزورا ويجعلون لحمه على تسعة
اجزاء واعطى كل واحد منهم سهما من سهامه اي قدحا من قداحه
فتحفظ السهام كلها عنده ثم يخرج هذا الرجل واحدا واحدا من السهام وكل
من خرج سهمه ياخذ جزءا من اجزاء ذلك اللحم فاذا خرج تسعة من السهام لا يبقى

شيء من اللحم فيبقى الرجل الذي خرج سهمه آخراً بلا جزء من اللحم وكان ثمن الجزور
كله عليه بحكمهم هذا نوع من لعابهم فنهى الله تعالى عن ذلك ذلكم اي هذا
العمل يعني الاستقسام فسق اي معصية لانه دخول في علم الغيب الذي
لا يعلمه الا الله ويكفر مستحله قاله تاكيداً للتحريم قال عم من تكهن او استقسم
او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيمة
قوله اليوم اي في هذا الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية يئس
الذين كفروا من دينكم اي قطعوا رجاءهم من ان يبطلوا دينكم الحق ويرجعوكم
الى دينهم الباطل نزل بعد تكميل شرايع الاسلام بالسنن والاحكام ووافق
يوم عرفة في يوم جمعة وكان عيد اليهود والنصارى والمجوس ولم يجتمع
اعياد اهل الملل في يوم قبله ولا بعده وقيل نزل حين فتح مكة لثمان بقين
من رمضان سنة تسع ودخلها ونادى منادي رسول الله الامن قال
لا اله الا الله فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن
فانقادت قريش لامر الله ودفعوا ايديهم واسلموا فقال الله تعالى فلا تخشوهم
اي لا تخافوا صولة الكفار بعد اظهار الدين فانا معكم وناصركم واخشون
في ترك امري ولا تخشوا غيري اليوم اكملت لكم دينكم اي اوديتكم من الحلال
والحرام وشرايع الاسلام او ظهور دينكم ونصرته واتممت عليكم نعمتي باكمال
دينكم الاسلام وهدم مناسك الجاهلية ومنازلها ورضيت لكم الاسلام
ديناً اي اخترت لكم دين الاسلام من بين الاديان وهي المرضي وحده عندي
ومن يبتغ غيره ديناً فلن يقبل منه ونصب ديناً على الحال من الاسلام
قال عم حاكياً عن الله تعالى هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا
السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه قيل عاش النبي عم بعد نزول
هذه الآية احدى وثمانين ليلة وتوفي يوم الاثنين بعدما زاغت الشمس
لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة قوله فمن اضطر
شرط يتعلق بما تقدم من المحرمات اي فمن احتاج بالضرورة الى اكل ما حرم من
المحرمات في مخمصة اي في مجاعة غير متجانف لاثم نصبه حال اي حال كونه
غير مايل الى المعصية وهي اكله فوق الشبع او حال كونه غير متعمد للمعصية في
مقصده فيأكل منه مقدار ما ينجيه من الموت وهذا قول الايمة من الشافعي وابي ح
وغيرهما والاول قول اهل المدينة وجواب الشرط فان الله غفور رحيم فيما اكل
ورخص له في الاكل عند الاضطرار قوله يسئلونك ماذا احل لهم نزل حين سأل عدي

بن حاتم الطائي واصحابه وقالوا يا رسول الله انا قوم نتصيد بالكلاب
والبزاة فما يحل لنا من المطاعم والصيود وذلك السؤال عند نزول آية
تحريم المحرمات فقال تعالى قل احل لكم الطيبات اي الذبايح على اسم الله تعالى
او اكل ما لم يرد فيه نص من كتاب او سنة للتحريم وما علمتم من الجوارح
او احل لكم صيد الذي علمتم من الجوارح بحذف المضاف اي الكواسب
من الكلاب والطيور مكلبين نصب على الحال من علمتم وفايدته ان يكون
معلم الجوارح نحريراً في علمه مؤدباً به اي حال كونكم مرسلين الكلاب على
الصيود من التكليب وهو تاديب الكلاب للاصطياد وخص الكلاب لكثرتها
بالذكر والمراد من الكلب جميع السباع لان العرب تسمي كل السبع كلباً
تعلمونهن وايضاً حال من المكلبين اي تؤدبون الكلاب في طلب الصيد
مما علمكم الله على لسان رسوله فلا باس بصيد الكلاب اذا كان معلماً
فكلوا مما امسكن عليكم اي حبسنه لكم ولم ياكلن قيل المعلمة هي التي
اذا اشليت استشلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد لم
تاكل فاذا وجد ذلك ثلث مرات فهي معلمة قال عم اذا ارسلت كلبك
وذكرت اسم الله عليه فامسك فكل وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه
وقال ايضاً ما صدت بقوسك وذكرت اسم الله تعالى وما صدت
بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل واذكروا اسم الله عليه اي سموا
على المذبوح عند الذبح باسم الله وعلى الذي ارسل على الصيد من الكلب
والبازي عند الارسال فالضمير في عليه يجوز ان يرجع الى امسكن ويجوز
ان يرجع الى ما علمتم من الجوارح وهو المرسل على الصيد واتقوا الله من
اكل الميتة ومن ترك التسمية على المذبوح او المرسل ان الله سريع الحساب
اي المجازات اليوم احل لكم الطيبات اي المذبوحات يعني في هذا الزمان
بين حلها لكم بالقرآن ثم قال في ترخيص ذبايح اهل الكتاب وان كانوا كافرين
وطعام الذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم
كبني تغلب حل اي اكله حلال لكم وطعامكم حل لهم اي يحل لكم ان تطعموهم
من طعامكم وخص اكله لهم وان كانوا على غير ملتكم وانما اولناه بذلك
لان الحلال والحرام انما يعقدان على اهل الايمان قوله والمحصنات من المؤمنات
مبتداء خبره محذوف اي الحراير العفايف من المؤمنات حل لكم تزوجهن
وفيه تحريض للمؤمنين على التخيير لنطفهم وكذلك قوله والمحصنات من الذين اوتوا

لعدي بن حاتم

الكتاب من قبلكم اي العفايف منهم حل لكم نكاحهن اذا اتيتموهن اجورهن
اي مهورهن محصنين نصب على الحال من فاعل آتيتموهن اي اعفاء غير
مسافحين صفة لمحصنين غير معلنين بالزنا يعني كونوا بنكاحهن متعففين
عن الاعلان بالزنا ولا متخذي اخدان على غير مسافحين جمع خدن وهو
الصديق يشتمل الذكر والانثى اي ولا تكونوا زانين سرا نزل هذه الاية لرد
فعل الجاهلية فانهم كانوا يعيرون من زنا في العلانية دون السر فحرمهما الله
بها العلانية والسر ثم قال ومن يكفر بالايمان اي ومن يجحد شرايع الايمان
من الحلال والحرام فقد حبط عمله اي ثوابه وهو في الاخرة من الخاسرين
اي من المغبونين في العقوبة قيل ان الرجل اذا صلى او صام او حج ثم ارتد
ثم اسلم وجب عليه اعادة ذلك العمل لانه قد بطل ما فعل ما قبل ارتداده
وقيل لا يجب اعادته سوى الحج اذا وجد غنيا وقت اسلامه وعليه الفتوى
قوله يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة خطاب خاص للمحدثين بالوضوء
اي اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم محدثون وانما عبر عن ارادة الفعل
بالفعل لكونها يوخذ مع القدرة على ايجاده وهي قصده اليه وميله ويجوز
ان يكون للندب ولا يجوز ان يشتمل الامر الايجاب والندب معا للفريقين
لئلا يلزم الالغاظ والتعمية بتناول الكلمة على معنيين مختلفين وقيل كان
الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ لما روي انه كان يتوضا لكل
صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد
فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم يكن تصنعه يا رسول الله فقال عمدا
صنعته يا عمر يعني بيان للجواز وقيل معناه اذا قمتم من نومكم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق اي مع المرافق وامسحوا برؤسكم
والباء فيه زائدة وقيل تبعيض فمالك يوجب مسح جميع الراس كالوجه
في التيمم وابو حنيفة رحمه الله ربعه كاحمد والشافعي يوجب ما يطلق
عليه اسم المسح كشعرة واحدة بخلاف حلق الراس في الحج فانه لا يجزء عنده
اقل من ثلث شعرات لان الامر هنا مطلق المسح والامر هناك حلق شعور
الراس واقل الجمع ثلثة عندهم قوله وارجلكم بالنصب عطف على ايديكم
وبالجر عطف على رؤسكم على سبيل التبعية والجوار كما في قوله وحور
عين بالجر واوجب بعض الناس المسح عليها الظاهر العطف ومنع بان المسح
لم تضرب له غاية في الشرع وهنا جاء بالي وهي غاية فيحمل المسح على

الخفيف

الخفيف وقيل فائدة هذا العطف وان كانت غير ممسوحة هي الحث على الاقتصاد
في صب الماء على الرجلين لانها مظنة الاسراف في صب الماء الى الكعبين
اي يجب غسل الرجلين مع الكعبين كاليدين مع المرفقين والشعبي ومحمد
بن جرير لا يوجبان غسل المرفقين والكعبين مع اليدين والرجلين نظرا
الى كلمة الى قيل انما جمع المرافق وثنى الكعبين لان جمع المرافق بمقابلة جمع المخاطبين
فيلزم منه انقسام الاحاد بالاحاد وتثنية الكعبين لنفي توهم ان في كل
من الرجلين كعبين لو قال الى الكعاب وانما في كل رجل كعب واحد له طرفان
من جانبي الرجل فيكون التفسير على هذا ان كل مكلف يجب عليه غسل رجليه
الى الكعبين منهما بخلاف المرافق فانه لا يتوهم فيه وان كنتم جنبا فاطهروا
اي ان كنتم ملابسين بالجنابة فاغتسلوا والجنب لفظ مفرد يستعمل للواحد
وغيره كقوله والملائكة بعد ذلك ظهيرا واصل اطهروا تطهروا وادغمت التاء
في الطاء وزيد الف الوصل لابتدائه بالسكون وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغائط اي من قضاء الحاجة او لامستم النساء اي جامعتموهن
فلم تجدوا ماء للتوضي والاغتسال فتيمموا صعيدا طيبا اي ترابا نظيفا
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من الصعيد ما يريد اي لا يقصد
الله لكم الرخصة والتكليف بالتيمم ليجعل عليكم من حرج اي ضيقا في
دينكم ولكن يريد ليطهركم به من الاحداث والجنابة والذنوب وليتم
نعمته عليكم اي نعمة الاسلام بالترخيص لكم لعلكم تشكرون الله ونعمته
فيثيبكم واذكروا نعمة الله وهي نعمة الاسلام التي انعمها عليكم وازال عنكم
الكفر بارسال محمد عم اليكم واذكروا ميثاقه الذي واثقكم به اي عهده
الذي عهد اليكم وهو بيعة الرضوان على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر
اذ قلتم للنبي عم مبايعين سمعنا واطعنا فاحفظوا منة الله عليكم بذلك
واتقوا الله في نقض الميثاق المعهود ان الله عليم بذات الصدور اي
بسراير قلوبكم ثم قال ايماء لنفي الظلم عنهم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط اي مجتهدين في اقامة العدل شهداء لله على من كانت
ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم شنآن قوم اي بغض المشركين على ان لا تعدلوا اي
على ترك العدل فتعتدوا عليهم اعدلوا اي قولوا الحق في اوليائكم واعدائكم هو
اي قول الحق والعدل اقرب للتقوى اي لطاعة الله وابعد من عصيانه واتقوا
الله اي اخشوه فيما يامركم به وينهاكم عنه ان الله خبير بما تعملون من الطاعة

والمعصية ثم بين ثواب المطيع وعقاب العاصي فقال وعد الله الذين آمنوا
بالله ومحمد نبيه وعملوا الصالحات اي الخيرات بعد الايمان لهم مغفرة
من ذنوبهم في شركهم واجر عظيم لاعمالهم في ايمانهم في الآخرة وهذه
في محل النصب على انها المفعول الثاني لوعد والاول الذين آمنوا والذين
كفروا بالله وكذبوا بآياتنا اي بمحمد والقرآن وماتوا بلا توبة اولئك اصحاب
الجحيم اي ملازمون بها لا ينفكون عنها قوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمت الله عليكم نزل حين راي المشركون في غزوة انمار اسم موضع للنبي عم
واصحابه قاموا الى الصلوة يصلون معا وهي صلوة الظهر واردوا الفتك
بهم فلم يمكن الله تعالى للرعب الذي قذف في قلوبهم وهم بنو النضير فبلغ الخبر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم وفتح حصونهم واجلاهم
الى الشام فقال الله تعالى اذكروا نعمة الله عليكم ورحمته لكم واشكروه
عليها اذ هم قوم اي قصد وا ان يبسطوا ان يمدوا اليكم ايديهم بالقتل
فكف اي فمنع الله ايديهم عنكم اي عن قتالكم واتقوا الله اي اخشوه في كل
حال بالوفاء على ما امركم به وتوكلوا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
لينصرهم على اعدائهم قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل نزل اخبارا للنبي عم
وامته عن بني اسرائيل وميثاقهم بموسى على ان يطيعوه فيما امرهم ونقضهم اياه
بعد ذلك فلعنهم الله تعالى عقوبة به روي ان الله تعالى امر موسى وقومه بالخروج من مصر
حين استقروا فيها بعد هلاك فرعون الى اريحا من ارض الشام للجهاد وكان سكنها
الجبارون عوج واصحابه وقال هي دار وقرار لكم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط
نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به يوثقه عليهم فاخذ موسى من قومه
اثني عشر رجلا فعاهدهم ان يكفلوا بقومهم ولا يحدثوهم بما يرون من الجبارين
فاخبر تعالى عنه بقوله وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اي كفيلا ينقب عن الامور ويتعرفها
وقال الله في التورية اني معكم اي معينكم وناصركم على عدوكم فلما دنا موسى
من ارض الجبارين بعث النقباء يتجسسون منهم فراوا اجراما عظاما وقوة
وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم ما راوا من الجبارين فنقضوا العهد
الا كالب بن يوفنا ويوشع بن نون فانهما امرا قومهم بالقتال فقال تعالى لئن اقمتم
الصلوة اي والله لئن اتممتم الصلوة وآتيتم الزكوة لاهلها وآمنتم برسلي
وعزرتموهم اي نصرتموهم ووقرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا اي احسنتم
الى الناس بطيبة نفس وانفقتم في سبيل الله لاكفرن جواب القسم المحذوف

وجواب الشرط المذكور معا اي لامحون عنكم سيئاتكم اي ذنوبكم ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار يعني لانصرنكم في الدنيا ولاثيبنكم في الآخرة
فمن كفر بعد ذلك بنقض العهد والميثاق منكم فقد ضل سواء السبيل اي اخطأ طريق
الحق وتمادي عنه وزاد قبحه من الضلال الاول لان الضلال بعد نعمة الله العظيم
بكونها اظهر واعظم ثم اخبر تعالى بقوله فبما نقضهم ميثاقهم اي بسبب نقضهم
عهدهم بعد ذلك العهد لعناهم اي طردناهم عن رحمتنا او عذبناهم بالمسخ
او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية بالالف والتخفيف اي شديدة يابسة
او خالية عن حلاوة الايمان وقرئ قسية بطرح الالف وتشديد الياء اي ردية
مغشوشة يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لان من قسي قلبه يعصي ربه
اي يبدلون كلمات الله في كتاب الله وهو تغيير نعت محمد عم وبعض الاحكام
عن مواضعه التي وضع عليها من الصحة بعد ما وافق القرآن ونسوا حظا مما
ذكروا به اي تركوا نصيبا مما امروا في كتابهم ولا تزال تطلع اي تقف يا محمد
على خائنة اي على خيانة منهم وهي نقض العهد وموالاة الكفار لحربك يعني
ذلك عادتهم لان اباءهم كانوا يخونون الرسول وهؤلاء يخونونك و
ينقضون عهدك ويظاهرون المشركين على حربك الا قليلا منهم وهم
الذين آمنوا ولم ينقضوا العهد فاعف عنهم اي تجاوز عن عقوبتهم
واصفح اي اعرض عنهم ان الله يحب المحسنين اي الذين يعفون
عن الناس ونسخ باية السيف وبعد ذكر اليهود نزل في النصارى لبيان
قبح عملهم كاليهود ومن الذين قالوا انا نصارى نصران من النصرة اي
قالوا ادعاء لنصرة الله عن انصار الله اخذنا ميثاقهم اي عهدهم
الموثوق على التوحيد والايمان بالانبياء وفعل الخيرات كما اخذناه على
اليهود فنسوا حظا اي تركوا نصيبا مما ذكروا به اي مما امروا به في الانجيل
يعني نقضوا العهد كما نقض اليهود فاغرينا بينهم اي الزمنا بين فرق النصارى
المختلفة العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فكل فرقة تكفر الفرقة الاخرى
فيقع القتال بينهم بالاهواء المختلفة كالنسطورية القائلين بان عيسى
ابن الله واليعقوبية القائلين بان عيسى هو الله والملكانية القائلين
بان عيسى عبد الله ورسوله وكلهم من النصارى وسوف ينبئهم الله
في الآخرة بما كانوا يصنعون من العمل الباطل والحق قيل انما نشأ هذا الاختلاف
بينهم بسبب رجل اسمه بولس ولم يكن منهم وكان يقاتل معهم فقتل منهم

خلقا كثيرا فغاب عنهم زمانا طويلا ثم جاء وجعل نفسه اعور ليحتال بحيلة
يلقي بينهم العداوة والقتال ليقتل بعضهم بعضا فقال لهم اتعرفوني
قالوا انت الذي قتلت منا وفعلت ما فعلت فقال نعم قد فعلت
ذلك كله ولكني الآن تائب عنه لاني رأيت عيسى بن مريم في المنام نزل
من السماء فلطم وجهي لطمة وفقاء عيني فقالوا اي شيء تريد منا قال
اريد ان اكون معكم واعلمكم شرايع دينكم كما علمني عيسى في المنام فاتخذوا
له غرفة فدخل فيها وفتح كوة الى الناس وكان يتعبد في الغرفة دائما وكانوا
يجتمعون ويسئلونه من تلك الكوة فيجيبهم بما يعجبهم فانقادوا كلهم له
وكانوا يقبلون بما امرهم به فقال يوما اليس الله خلق لكم ما في الارض جميعا
قالوا نعم فقال لم تحرمون الخمر والخنزير والميسر فانهم منفعة لبني آدم فاخذوا
بقوله ثم قال بعد مدة من اي ناحية تطلع الشمس والقمر والنجوم قالوا
من قبل المشرق فقال ان الله من قبل المشرق فصلوا اليه فاخذوا بقوله ثم
دعا بطائفة منهم الى داخل الكوة فقال جاءني عيسى الليلة وقال رضيت
عنك لاجل عملك فمسح يده على عيني فبرأت فاعلموا اني اريد ان اجعل نفسي
قربانا الليلة لاجل عيسى فاخبركم بشيء تحفظونه عني وتدعون الناس اليه
ثم قال لهم هل يستطيع احد ان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص الا
الله فقالوا لا فقال ان عيسى فعل هذه كلها فاعلموا انه هو الله فخرجوا من عنده
ثم دعا بثانية واخبرهم بمثل ذلك وقال انه ابن الله ثم دعا بثالثة واخبرهم
بانه ثالث ثلاثة فقال للكل اني اريد ان اجعل نفسي قربانا لعيسى الليلة ثم خرج
في بعض الليلة وغاب عنهم فاصبحوا فجعل كل فريق منهم يقول انه علمني كذا
والآخر يقول انت تكذب بل علمني كذا فوقع بينهم قتال عظيم وبقيت العداوة
الى يوم القيمة قوله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا نزل في كتم اليهود والنصارى
آية الرجم وتحريم الخمر واكل الربوا ونعت النبي عم اي يا اهل التورية والانجيل
قد جاءكم الرسول منا محمد عم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون اي تخفونه
كنعت محمد عم وغيره من الكتاب في محل النصب على الحال من ضمير المفعول المحذوف
في تخفون اي كائنا من التورية والانجيل ويعفو عن كثير منه فلا يؤاخذكم على
اخفائكم اياه قيل جاء رجل من احبار اليهود فقال يا محمد ما الذي عفوت عنا
فاعرض عنه رسول الله ولم يبين له وغرضه ان يناقض كلامه بسواله
فلما لم يبين ما سأله قام من عنده وذهب وقال لاهله من اليهود اري من

ان محمدا صادق فيما يقول لانه الرجل قد كان وجد في كتابه انه لا يبين له
ما سأله ثم قال تعالى قد جاءكم من الله نور اي الاسلام او محمد عم وكتاب
مبين اي القرآن الذي يظهر ما كان خافيا او انه ظاهر في الاعجاز يهدي به الله
اي يرشد بالقرآن او محمد عم من اتبع رضوانه اي طلب الحق الذي فيه
رضاه بالاخلاص فمن مفعول اول لقوله يهدي وقوله سبل السلام
مفعوله الثاني اي طريق السلامة والخير وهو التوحيد ويخرجهم من الظلمات
الى النور اي من ظلمات التي في قلوبهم من الشرك والشك والجهل الى نور الايمان
الذي هو قسط من نور الله الذي هو حق اليقين فيصير المؤمن به قائما بالحق
مع الحق للحق باذنه اي بارادته تعالى ومشيته ويهديهم الى صراط مستقيم
اي يوفقهم الى دين الاسلام الذي هو طريق الجنة ثم قال لقد كفر الذين
قالوا وهم اليعقوبية من النصارى ان الله هو المسيح ابن مريم يعني عيسى عم
فقال الله تعالى لمحمد عم قل فمن يملك من الله شيئا اي من يقدر ان يمنع شيئا من
عذاب الله ان اراد الله ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا
اي لا يقدر عيسى على دفع الهلاك عن نفسه ولا على رد الهلاك عن غيره فكيف
يكون الها فيكون عبدا مخلوقا كسائر عباده ثم قال ولله ملك السموات والارض
وما بينهما من الملائكة والجن والانس من الذكور والاناث اي جميع الخلق عبيده
واماؤه حكمه نافذة فيهم وعيسى عم منهم بشر من جنس آدم فقال نصارى
اهل نجران لو كان عيسى بشرا من جنس آدم لكان له اب فاخبر الله تعالى انه
يخلق ما يشاء من ذكر وانثى من غير اب وام كآدم وحوا ومن ام بلا اب
كعيسى ومن اب وام كسائر الخلق لا اعتراض عليه والله على كل شيء قدير يقدر
على ايجاد ما يشاء ويختار لانه القادر الفاعل بالاختيار ثم قال تعالى وقالت
اليهود والنصارى نحن ابناء الله اي ابناء رسوله واحباؤه اي محبوبه فامر
الله نبيه بقوله قل منكرا عليهم فلم يعذبكم بذنوبكم اي بسببها وانتم تقرون
بذلك لقولكم لن تمسنا النار الا اياما معدودات وهي اربعون يوما فان الحبيب لا يعذب حبيبه
والوالد لا يعذب ولده فكيف يكونون ابناءه واحباءه فلما عجزوا عن الجواب
قال اضرابا عن مجادلتهم وردا عليهم بل انتم بشر ممن خلق اي انتم كسائر الخلق
لستم بابناء الله ولا باحبائه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اي يعفو عن
البعض فيرشده الى دينه ويعاقب البعض بذنبه فيخذله ويدخله النار
ولله ملك السموات والارض وما بينهما من الخلق كلهم في حكمه وتصرفه

مطلب تاريخ انبياء عليهم السلام

في الدنيا واليه المصير اي الى الله رجوعهم فيجازيهم باعمالهم من الخير والشر في الآخرة قوله يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى على وجه التعيير باضافتهم الى الكتاب اي يا اهل التورية والانجيل لم لا تعملون بكتابكم الذي تنسبون نفوسكم اليه قد جاءكم رسولنا اي محمد عم يبين لكم الدين الحق على فترة من الرسل اي على انقطاع الوحي وفتور الدين من رسل الله وكان الفترة بين محمد عم وعيسى عم ستمائة سنة والف قبل خمسمائة واربعون وقيل وستون سنة وكان بين عيسى وموسى الف وسبعمائة سنة والف نبي تترى من موسى الى عيسى عليهما السلام المعنى ان محمدا رسولنا جاءكم بعد عيسى مثبتا للحجة عليكم ان تقولوا اي مخافة قولكم معتذرين ما جاءنا من بشير ولا نذير بعد ما درس الدين ليبشرنا بالجنة وينذرنا من النار قوله فقد جاءكم بشير بالجنة ونذير بالنار متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم الرسول والله على كل شيء قدير من ارسال الرسل على عباده ومن المغفرة والعذاب ثم قال مخبرا عما قال موسى لقومه من الموعظة والتذكير ليشكروا نعمة الله عليكم ولا تكفروا بها واذ قال اي اذكر يا محمد حين قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله اي منته عليكم اذ جعل فيكم اي في بني اسرائيل انبياء فكان فيهم اربعة الآف نبي وجعلكم ملوكا بعد ان كنتم مملوكين في ايدي القبط وفرعون قيل جعلهم الله تع اصحاب خدم وحشم ولم يكن لبني اسرائيل قبل موسى لاحد خدم قال ابن عباس رضه الرجل اذا لم يدخل في بيته احد الا باذنه فهو ملك وآتاكم من المن والسلوى وتظليل الغمام في التيه وفلق البحر وغير ذلك من النعم ما لم يؤت احدا من العالمين اي عالمي زمانكم فامر موسى ان يجاهدوا في سبيل الله بعد تذكيرهم نعمة الله عليهم بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة اي المطهرة وهي المكان الذي يتطهر الانسان فيه من الذنوب يعني اسكنوا الارض الطاهرة التي كتب الله لكم في اللوح المحفوظ قبل خلقكم انكم تقتسمونها وتسكنونها بعد هلاك اعدائكم بالجهاد ولا ترتدوا اي لا ترجعوا على ادباركم منهزمين من خوف العدو فتنقلبوا بالجزم عطف على ترتدوا او بالنصب جواب النهي اي فتصيروا بالعقوبة او بالخيبة عن ثواب الدنيا والآخرة خاسرين اي مغبونين في سعيكم فبعث موسى اثني عشر رجلا من كل سبط رجلا يأتونهم بخبر الجبارين فلما اتوهم لقيهم بعض من اهل المدينة وهو

عوج

عوج بن عنق فاخذهم واحتملهم في نوبه وجاء بهم الى ملك المدينة وطرحهم بين يديه فنظر اليهم الملك وقال اهؤلاء قصدوا ان يأخذوا مدينتنا فامر بقتلهم فقالت امرأته ما تصنع بقتل هؤلاء الضعفاء انعم عليهم بعنقود من العنب فحملوه على عودين فرجعوا الى موسى وقومه فاخبر النقباء سوى الاثنين منهم بني اسرائيل احوال الجبارين وما هم عليه من القوة وعظم الاجساد فلما سمعوا ذلك جبنوا عن قتالهم ودخول ارضهم قالوا يا موسى ان فيها اي في المدينة قوما جبارين اي عاتين والعاتي هو الذي يجبر الناس على ما يريد قيل طول كل رجل ثمانون ذراعا يعني لا طاقة لنا بهم في القتال وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها اي من تلك المدينة واسمها ايليا ارض من الشام وقيل هي اريحا فان يخرجوا منها فانا داخلون فيها قال رجلان اي يوشع وكالوب من الذين يخافون الله تع صفة لرجلان وكذا انعم الله عليهما بالاسلام والتقوى او كانا من الجبارين فآمنا بموسى واتبعاه وشجعا بني اسرائيل بقولهما ادخلوا عليهم الباب اي باب المدينة عليهم فاذا دخلتموه فانكم غالبون بكثرتكم لان العمالقة اجسام لا قلوب لهم فلا تخافوهم وارجعوا اليهم قالا ذلك من جهة غلبة الظن او من جهة اخبار موسى بذلك وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بوعد الله لموسى عم بان يفتح هذه البلدة وقال لهم موسى ادخلوها ولا تخافوها قالوا يا موسى تأكيدا لنفي الدخول في المستقبل انا لن ندخلها ابدا وابدل منه قوله ما داموا فيها كالبيان له يعني لا ندخلها وهم فيها متمكنون انصدق الاثنين ونكذب العشرة فاذهب انت وربك فقاتلا اي قاتل انت وليقاتل معك ربك لينصرك عليهم انا هٰهنا قاعدون فانا لا نستطيع قتال الجبابرة فغضب موسى من قولهم الصادرة عن جهل وقساوة قلب وتمرد واستخفاف به وبربه قال متبرئا من فعلهم وداعيا عليهم رب اني لا املك الا نفسي واخي لان اخاه كان مطيعا له فهو يملك طاعته فافرق اي فافصل بيننا وبين القوم الفاسقين اي العاصين بان تحكم لنا بما نستحق وعليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولم يذكر الرجلين المؤمنين لانه لم يكن متعمدا عليهما كالاعتماد على اخيه هرون وتكرير بين هنا تأكيد لان الاصل عدم تكرره قال الله تع اذ لم يطيعوا امرنا في الجهاد بالدخول في الارض المقدسة فانها محرمة عليهم اي حرم دخولها تحريم منع لا تحريم تعبد وكانت مكتوبة لهم شرط الجهاد والاطاعة ويجوز ان يكون

التحريم موقتا فاذا امضت الوقت كان ماكتب وتنصب اربعين سنة
يتيهون في الارض اي يترددون فيها متحيرين ظرف للتحريم ليكون التيه
مجهولا والتحريم معلوما ولو نصبت بيتيهون كان التيه معلوما والتحريم مجهولا
والتيه المفازة التي يتباه فيها فعمي عليهم السبيل نهارا وسيرهم ليلا يسهرون
في التيه ليلتهم ويصبحون حيث امسوا وكان التيه بين ايلة وفلسطين
ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا فمكثوا فيها اربعين سنة لايجدون سبيلا
وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم
وينزل عليهم المن والسلوى رحمة وشفقة عليهم ومثل ذلك كمثل الوالد
المشفق يضرب ولده العاق حتى يتادب وهو لا يقطع عنهم احسانه
قيل اوحى الله تعالى الى موسى بي حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة
غير عبدي يوشع وكالوب ولاتيهنهم في هذه البرية اربعين سنة فكان
كل يوم تجسسوا فيه احوال الجبابرة سنة ولالقين جيفتهم في هذه
القفار واما بنوهم فيدخلونها فلما بقوا في التيه حزن وندم موسى
على دعائه فاوحى الله اليه انهم احقاء بذلك لفسقهم فلا تاس اي لا تحزن
يا موسى على القوم الفاسقين اي العاصين بامرنا روي ان موسى وهرون
ماتا في التيه وهلكت العصابة وبقي منهم يوشع وكالوب وذرياتهم
نخرجوا الى تلك المدينة وفتحوها عند غروب الشمس قيل دعا يوشع الله تعالى
بان يرد الشمس بعد غروبها فردت قدر ثلث ساعات حتى فتحوا البلدة
فاختلطت النجوم عن مجاريها من ذلك اليوم فخفي على المنجمين امرها وروي
ان هارون مات قبل موسى عم بسنة وان يوشع فتح المدينة بعد
موت موسى ثلثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالوب ويوشع
ولم يكن التيه لهما عقوبة بل كان راحة ورحمة كابراهيم عم حين القي في النار
وقيل ان موسى لم يمت وسار بالعسكر مقدمتهم يوشع نحو القرية فلما
وصلوا اليها نفخوا في القرون وضجوا ضجة واحدة فسقط سورها فدخلوها
وقتلوا الجبابرة وقتل موسى عوج بن عنق ولم يدخل القرية احد من الذين
قالوا انا لن ندخلها ابدا ومكث موسى بعد ذلك سنة ثم قبضه الله تعالى
قوله واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق نزل تقبيحا لاهل الكتاب والمشركين
حيث جحدوا رسالة النبي عم وكتموا نعته واصروا على كفرهم ولم يؤمنوا
به حسدا من عند انفسهم فامر تعالى محمدا عم ان يقص عليهم ماجرى بسبب الحسد

ليتركوه

ليتركوه ويؤمنوا به بقوله واتل اي اقرأ عليهم خبر ابني ادم ملتبسا بالصدق
والصحة والتوافق لما كتب الاولين اذ قربا اي وضعا للتقرب عند الجبل
قربانا اي قربانين والقربان ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة
ولم يثنه لانه في الاصل مصدر فتقبل القربان من احدهما اي من هابيل
بانها نزلت نار من السماء فاكلت قربانه ولم يتقبل القربان من الاخر
وهو قابيل فازداد قابيل حقدا وغيظا على هابيل وتهدده بان قال
لاقتلنك فقال هابيل لم تقتلني قال قابيل لان الله قبل قربانك ولم يقبل
قرباني قال له هابيل اذن لا ذنب لي انما يتقبل الله العمل الحسن من المتقين
اي الخائفين منه وانت غير متق لسوء نيتك وخيانتك روي ان
حواء كانت تحمل في بطن واحد غلاما وجارية وولدت كذلك في عشرين بطنا
فامر الله تعالى ادم ان يزوج انثى هذا البطن بغير ذكره فقال ادم لقابيل
امرني الله تعالى ان ازوج اختك اقليما لهابيل وكانت جميلة وازوج
اخته لبنودا فقبل هابيل امر الله واباه قابيل وقال ان الله لم يامر بهذا
ولكنك تميل الى هابيل لكونها جميلة فامرهما بان قربا قربانا فايهما يقبل قربانه
كان احق فقربا قربانين فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فاضمر في قلبه ان يقتله
وكان هابيل اقوى من قابيل وابطش ولكن كان في شريعتهم ان الرجل اذا
اراد ان يقتل رجلا لا يمتنع عليه وقيل انما دخل تحرجا عن قتال المسلم كفعل
عثمان فلذلك قال هابيل لقابيل لئن بسطت الي يدك اي مددت يدك
الي لتقتلني ما انا بباسط اي بماد يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله
رب العالمين اي عقابه انما جاء الجزاء بلفظ اسم الفاعل والشرط بلفظ
الفعل ليفيد انه لا يتصف بالوصف الشنيع فيقال هو باسط اليد
الى اخيه بالقتل ولما عزم قابيل على قتل اخيه ومخالفة امر الله وابيه
قال له هابيل اني اريد ان تبوء اي ترجع باثمي باثم قتلي اذا قتلتني
على حذف المضاف اليه واثمك اي وباثمك الذي هو عصيان امر الله
وابيك والمراد بالاثم وبال القتل وعقابه فتكون من اصحاب النار بالاثمين
وذلك جزاء الظالمين اي الكافرين بامر الله تعالى وامر نبيه عم وانما جاز ان
اراد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار لانه كان ظالما وجاز ان يريد
العبد جزاء الظالم كما اراد الله الا يراد ان قوله وذلك جزاء الظالمين
فطوعت له نفسه اي انقادت وتابعت له هوى نفسه قتل اخيه

اي على ان يقتل اخاه فجاءه اغتيالا فقتله بجبل بارض الهند وقيل عند
عقبة حراء والمقتول ابن عشرين سنة فاصبح اى صار قابيل بقتل اخيه
من الخاسرين اي المغبونين بالعقوبة في الآخرة مع كونه ابن نبي م هو صفي الله
روي انه لما قتل حمله على عنقه سبعة ايام لا يدري ما يصنع به فبعث الله
غرابا اي غرابين فقتل احدهما الآخر فجعل الغراب القاتل يبحث التراب في الارض
حفيرة وقابيل ينظر اليه فوارى فيها الغراب المقتول قوله ليريه متعلق
ببحث اي ليعلمه الله بفعل الغراب كيف يواري اي يستر سوءة اخيه
اي جيفته او عورته لانه قد كان سلبه ثيابه وكيف حال من فاعل
يواري والجملة في محل النصب بيرى على المفعولية ثم قال قابيل يا ويلتي
اعجزت اى اضعفت في الحيلة ان اكون مثل هذا الغراب فاواري بالنصب
عطفا على اكون وليس جوابا للاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت
لان ذلك يفيد معنى الشرط والجزاء كما قيل في معنى ابن بيتك فازورك
بالنصب لو عرفت لزرت وليس بمراد اي فاعطي سوءة اخي اي عورته
فاصبح اي فصار من النادمين على حمله حيث لم يدر فنه حين قتله قيل لو كانت
ندامته على قتله لكانت الندامة توبة منه قال ابن عباس لما قتل ولد آدم م
وهو بمكة اشتاك الشجر وحمضت الفواكه وقال قد حدث في الارض حدث
وكان قتل ابنه روي ان آدم لما سمع ان قابيل قتل اخاه دعا عليه
فانخسف به الارض وتزوج شيث اقليما من اجل ذلك من لابتداء الغاية
يتعلق بقوله كتبنا اي بسبب ذلك القتل فرضنا على بني اسرائيل في التورية
انه اي الشان من قتل نفسا بغير نفس اي بغير ان قتل نفسا يعني ظلما
او فساد اي بغير فساد في الارض والفساد فيها الشرك بالله وقيل هو قطع
الطريق فكانما قتل الناس جميعا وشبه قتل نفس واحدة بقتل الجميع تعظيما
للنفس وترهيبا للقلوب عن الجسارة على قتلها وترغيبا في المحاماة على
حرمتها وكذلك في قوله ومن احياها اي من تورع من قتلها وامتنع او عفي
عنه وخلاه فكانما احيا الناس جميعا في الاجر شبه احياء الواحد باحياء
الجميع لان في حيوة نفس واحدة تكون منفعة لجميع الناس بدعاء الخير لهم
فاذا علم ان حكمه باحياء الواحد حكمه باحياء جميع الناس رغب في احيائها
كما اذا علم ان حكمه في قتل الواحد حكمه بقتل الجميع رهب عن الاقدام
عليه ثم قال ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات اي بالحجج الواضحة اي نبيا الحلال والحرام

والظلم والعدل ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك البيان او المكتوب عليهم
في الارض لمسرفون اي لتاركون الامر والنهي بالقتل وهتك المحارم قوله
انما جزاء مبتدا اي عقاب الذين يحاربون الله اي بترك امره ورسوله
اي بمخالفة حكمه وسنته او يحاربون اولياء الله واولياء رسوله
من المؤمنين لان محاربة المؤمنين كمحاربة الله ورسوله حكما ويسعون
في الارض فسادا علة للسعي اي للفساد او حال يعني مفسدين فيها بالقتل
واخذ المال ان يقتلوا مع ما بعده من المعطوفات خبر المبتدا يعني جزاؤهم
ان يقتلهم الامام او يصلبوا بحكمه والصلب عند الشافعي ان يقتل
ثم يصلب وعند ابي حنيفة ان يصلب حيا ثم يطعن حتى يموت او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف اي تقطع يد قاطع الطريق اليمنى ورجله
اليسرى او ينفوا من الارض اي يطرد قاطع الطريق من بلد الى بلد هاربا
فزعا حتى لا يجد قرارا في موضع من الارض بحيث اذا ادرك اقيم عليه الحد
عند الشافعي والنفي عند ابي حنيفة الحبس لان المحبوس ينفى من سعة
الدنيا اي ضيقها فصار كانه نفي عن الارض نزلت الآية في شان قوم
هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله م عهد فنقضوا العهد
بقطع الطريق او في العرنيين الذين اسلموا ثم ارتدوا بعد ان خرجوا
من المدينة وقتلوا الراعي واستاقوا الابل واكثر العلماء ان هذه الآية
في حق قطاع الطريق من المسلمين لقوله تعالى الا الذين تابوا من قبل ان
تقدروا عليهم وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ثم الامام مخير
في المحاربين بين القتل والصلب والقطع والنفي فاو فيه للتخيير وقيل الآية
مرتبة على ترتيب الجرايم فمن جمع بين القتل واخذ المال في قطع الطريق قتل وصلب
ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة
السبيل ومن افرد الاخافة فله نفي من الارض ذلك اي القتل والقطع وغيرهما
لهم خزي اي ذل وفضيحة في الدنيا ولا يكون ذلك كفارة لذنوبهم
ولهم في الآخرة عذاب عظيم اي اشد مما كان في الدنيا وهو عذاب
النار ثم استثنى ممن عوقبوا بقطع الطريق بقوله الا الذين تابوا من
قبل ان تقدروا عليهم اي رجعوا عما فعلوا قبل ان يوخذوا في صنيعتهم
قبلت توبتهم فهم لا يعاقبون في الدنيا ولا في الآخرة بقطع الطريق لكن
القتل والجراح واخذ المال يتعلق حكمها الى الاولياء ان شاؤوا استوفوا ثم قال

تاكيدا فاعلموا ان الله غفور لذنوبهم بالتوبة رحيم لهم بقبول توبتهم
ثم حذرهم عن ارتكاب المعاصي وحثهم في العمل الصالح فقال يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وابتغوا اي اطلبوا اليه الوسيلة وهي مراعات سبيل الله
بالعلم والطاعة وكسب المال لتصلوا الفضيلة والقربة الى الله وجاهدوا
العدو بالغزو في سبيله اي دينه الاسلام لعلكم تفلحون اي استنجوا
من العذاب وتنالوا الثواب ثم ذكر تهديدا للكفار ليؤمنوا ان الذين
كفروا بالله واياته لو ان لو شرط فعله محذوف وان مع ما بعدها في محل
الرفع فاعله اي لو ثبت ان يكون لهم ما في الارض جميعا ومثله عطف
على اسم ان وهو ما في الارض اي وثبت ان لهم مثل ما في الارض جميعا
معه ليفتدوا به اي بكل واحد منهما يعني ليجعلوه فدية لانفسهم وعلى
اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك من عذاب يوم القيمة
فلو مع ما بعدها في محل الرفع خبر ان بالكسر وجواب لو ما تقبل منهم اي لم
تقبل منهم ذلك الفداء ولهم عذاب اليم اي وجيع دايم يريدون
ان يخرجوا من النار اي من ابوابها لشدة العذاب بهم وما هم بخا
رجين
منها لان الملائكة تردونهم اليها بمقامع من حديد ولهم عذاب
مقيم اي لازم لهم لا يزول عنهم ابدا ثم بين حكم السرقة بقوله والسا
رق والسارقة وانما بدأ بالذكر لان السرقة في الرجال اكثر وهو مبتدأ
اي الذي سرق والتي سرقت من المال خبره فاقطعوا الفاء فيه لتضمن الكلام
معنى الشرط الذي يدل على ان الاول سبب للثاني اي اقطعوا بسبب السرقة
ايديهما اي يديهما والمراد بها اليمين بالاتفاق ولم يثن لئلا يجمع في كلمة
واحدة بين تثنيتين لانه قليل في كلامهم والحكم في الشرع انه اذا سرق من حرز
نصابا لا شبهة له فيه قطع اليمين من الكوع لا من المنكب خلافا للخوارج ولا قطع
دون النصاب عند الجمهور وهو عشرة دراهم عند ابي حنيفة وربع دينار
او قيمته عند الشافعي فان سرق مرة قطعت يده اليمنى وحسمت بالنار فان
عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل الكعب ولا يقطع في الثالثة والرابعة
بل يحبس حتى يظهر توبته عند ابي حنيفة رحمه ويقطع عند الشافعي يده اليسرى
في الثالثة ورجله اليمنى في الرابعة فان عاد عذر وحبس كذلك جزاء مفعول له
اي للجزاء بما كسبا من السرقة في الدنيا نكالا من الله مثله في النصب اي لعقوبة
منه
والله عزيز اي غالب بالنقمة على من عصى امره حكيم بحكمه على السارق

بقطع

بقطع يده فمن تاب اي رجع عن سرقته من بعد ظلمه اي بعد ارتكاب
السرقة واصلح امره بعمل الخير فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته ويسقط
عنه عقاب الاخرة ان الله غفور لما سبق من ذنبه بالتوبة رحيم به اذا
اطاع امره واصلح عمله روي عن الشافعي انه اذا تاب ورد المال لا يقطع يده
في احد قوليه وعند ابي حنيفة لا تسقطه التوبة وقيل يسقط الحد عن الحربي
اذا سرق وتاب ليكون ادعى له الى الاسلام ولا يسقط عن المسلم لان فيه
صلاحا للمسلمين ثم قال الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يحكم في اهلهما
ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه يعذب من يشاء اذا اصر على الذنوب ويغفر
لمن يشاء اذا تاب عن الكباير ولم يصر على الصغاير قيل قدم التعذيب هنا
على المغفرة لتقدم السرقة على التوبة وقيل لتهويل شان السرقة تغليظا
لها
والله على كل شيء قدير من المغفرة والتعذيب ولما كيد المنافقين في الاسلام
بموالات الكفار كالسرقة قال الله تعالى تسلية للنبي عم واظهارا لكذبهم
في الايمان يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر نزل في شان
ابي لبابة حين حاصر النبي عم بني قريظة فاشار اليهم ابو لبابة وكان
خليفا لهم انكم ان نزلتم عن حصونكم قتلكم محمد فلا تنزلوا فقال الله تعالى
لا تهتم ولا تبال يا محمد بمسارعة المنافقين الذين يبادرون سريعا
في الكفر بموالات المشركين فاني ناصركم عليهم ومحل من الذين قالوا امنا بافواههم
اي بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم في الشر نصب على الحال من ضمير يسارعون
لبيان انهم منافقون قوله ومن الذين هادوا في محل الرفع خبر مبتداء
هو سماعون للكذب اي ومن اليهود قائلون لما يفتريه احبارهم من الكذب
على الله ورسوله بتحريف الكتاب وتبديل نعت محمد عم من قولهم سمع لك اي
اي في قولهم
قبل قولك ومنه سمع الله لمن حمده اذا قبل حمده او المعنى من اليهود سماعون
منك ليكذبوا عليك بالزيادة فيما يسمعون منك لانهم اذا جالسوا صدقوا
في ذلك وهم اهل خيبر قوله سماعون خبر مبتدأ محذوف اي هم سماعون
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم اخرين اي لاجل قوم اخرين
من اليهود وجهوهم اليه جواسيس ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون
الثاني قريظة والقوم الاخرون يهود خيبر وقوله لم ياتوك في محل الجر صفة
قوم اي سماعون لطائفة اخرى منهم لم يجيئوك لافراطهم في شدة البغضاء
والعداوة بك روي انه قد زنى يهودي بيهودية وكانا محصنين شريفين عند اهل

خيبر

وكان حدهما الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني
قريظة ليسئلوا رسول الله عن حدهما عنده وقالوا ان امركم محمد بالجلد
فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم النبي
بالرجم فلم يقبلوا فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا حكما
فدعاه النبي عم وجاءه وجعله حكما فقال عم له أنشدك الله الذي لا اله
الا هو هل تجد في كتابك الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود
فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سئل رسول الله عن اشياء
كان يعرفها عن علامات نبوته فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك النبي
الامي العربي الذي بشر به المرسلون فحكم النبي عم بالرجم فرجما عند باب
مسجده وقال اللهم اني اول من احيا امرك اذا اماتوه قوله يحرفون
الكلم خبر مبتدإ محذوف اي يميلونه ويزيلونه من بعد مواضعه
اى مواضعه التي وضع عليها من الصحة في بيان الحلال والحرام فيحلون
حرامه ويحرمون حلاله ويجوز ان يكون حالا من ضمير سماعون و
كذلك قوله يقولون اي هم يقولون ان اوتيتم هذا اي ان امرتم بالجلد
في التورية فخذوه اي فاقبلوه وان لم تؤتوه ويامركم محمد عم بالرجم
فاحذروا من حكمه ولا تقبلوه ومن يرد الله فتنته اي اضلاله
وعذابه فلن تملك له من الله شيئا اي لن تقدر على دفعه عنه اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لم يرد ان يعطيهم من اللطف والتو
ما يزكى به قلوبهم لانهم ليسوا من اهله في علمه لهم في الدنيا خزي
بالقتل والسبي والجزية مجازاة لكفرهم ولهم عذاب عظيم اي اشد
مما كان في الدنيا قوله سماعون للكذب نزل في شان كعب بن الاشرف
وفيمن كان مثله من علماء الاسلام الذين يقبلون شهادة الزور
ويحكمون بغير الحق ويرتشوا في حكمهم اكالون للسحت بضم الحاء
وسكونها الحرام الذي يلزم صاحبه العار او الاستيصال في العا
قيل يا رسول الله ما السحت قال الرشوة في الحكم ثم قال لعن الله الراشي
والمرتشي لتدفع عن دينك ودمك وكل فليس بحرام عليك قال ابن
مسعود انما الاثم على القابض دون الدافع فان جاؤك اي ان
جاءك اهل الكتاب واحتكموا اليك اذا خاصموا بينهم فانت بالخيار
ان شئت فاحكم بينهم وان شئت لا تحكم بينهم وهي معنى قوله

او اعرض

او اعرض عنهم وان تعرض عنهم اي عن الحكم بينهم فلن يضروك شيئا
مضدا اي ضررا بالاعراض عنهم وان شق ذلك عليهم لانهم لا يتحاكمون
اليك الا لطلب الايسر والاسهل كالجلد مكان الرجم فاذا اعرضت عنهم
وابيت الحكومة لهم شق ذلك وتكرهوا اعراضك عنهم فعادوك ولكن
الله يعصمك منهم وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل و
الاحتياط في الحكم ان الله يحب المقسطين اى العادلين في الحكم قيل
اختلف العلماء في الحكم اهل الكتاب اذا تحاكموا الينا قال اكثرهم الحكم بالخيار
استدلالا بهذه الاية وقيل يرد الى اهل دينهم الان يأتوا راغبين في حكم
الله وهو قول ابي حنيفة وقيل يجب الحكم بينهم ويجعل الاية منسوخة
بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله كما يجيء اما اذا تحاكموا الينا مسلمون
وذميون فيجب الحكم اجماعا لانه لا يجوز انقياد المسلم لحكم الكافر قوله
وكيف يحكمونك وعندهم التورية تعجيب من تحكيمهم للنبي الذي
لا يؤمنون بكتابه وهذا الحكم الذي هو مطلوبهم منصوص في كتابهم
التورية الذي يدعون الايمان به وكيف في محل النصب حال من ضمير يحكمونك
والواو في وعندهم للحال اي كيف يرضون بان يجعلوك حكما لهم للتحاكم بينهم
ومعهم التورية فيها حكم الله الجملة حال من التورية والعامل فيها ما في
عندهم من معنى الفعل قوله ثم يتولون عطف على قوله يحكمونك اي ثم يعرضون
من بعد ذلك الحكم الذي وافق حكم كتابهم وما اولئك بالمؤمنين اي على
قوله بالمصدقين لك في الحكم او بما عندهم من الكتاب وهم يدعون الايمان
به فهم كاذبون فيه انا انزلنا التورية فيها هدى من الضلالة ونور
اي بيان للشرايع والاحكام كنعت النبي عم والرجم وغيرهما والجملة الاسمية
حال من التورية يحكم اى يقضي بها النبيون الذين اسلموا اي دخلوا
في ملة الاسلام واخلصوا العمل والحكم بالتورية من لدن موسى وهم
اربعة الاف نبي او اكثر وهذا الوصف للمدح والتعريض باليهود الذين
يعدلون عن ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم القديم والحديث
وانهم بمعزل عنها قوله للذين هادوا يتعلق للحكم وفيه اضمار اى يحكمون
بما في التورية لهم وعليهم ولذلك حكم رسول الله عليه بالرجم بحكم
التورية قوله والربانيون عطف على النبيون اى ويحكم الزهاد العالمون
والاحبار اي العلماء بالشرايع والاحكام من ولد هارون الذين التزموا

طريقة الانبياء في الاسلام وجابنوا دين اليهودية وغيرة بما استحفظوا اي
بسبب الذي طلبهم الانبياء حفظه من التبديل والتغيير من كتاب الله
واستودعوه لهم بعد ان تعلموا منهم احكامه وكلفوهم العمل بها
وكانوا اي العلماء به عليه اي على ما فيه من الاحكام كالرجم وغيره شهداء
اي رقباء لئلا تبدل ثم قال للحكام بكتاب الله فلا تخشوا الناس اي اليهود
من المدينة وخيبر في اظهار نعت محمد عم واخبار آية الرجم والحكم بالحق
خوف الظلم واخشون في كتمان نعت محمد عم وترك الحكم بالحق ولا تشتروا
بآياتي اي لا تستبدلوا باحكامي ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا من احكام الدنيا
بالرشوة ومداراة الظلمة عن ابن مسعود من شفع شفاعة ليرد بها
حقا او يدفع بها ظلما فاهدي له فقبل فهو سحت ثم قيل له ما ترى
في الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون قال ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم
ردا للرواية عن ابن عباس انه في حق اهل الكتاب قوله وكتبنا عليهم
اي فرضنا على بني اسرائيل فيها اي في التورية حكاية ما خوطب به اليهود
من الاحكام التي فرضت عليهم ليكون ذلك فرضا على المسلمين ويعملوا بها
يعني اوجبنا عليهم ان النفس ماخوذة بالنفس اذا قتلها بغير حق
والعين مفقوءة بالعين كذلك والانف مجذوع بالانف والاذن مصلوم
بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص اي الجراحات ذات
قصاص وهو المقاصة في الحكم اذا امكن فيه المساواة وان لم يمكن
فلا قصاص بل فيه حكومة عدل قيل من قرأ بنصب الاسماء الخمسة اي
المعطوفات جعل خبر ان قصاص ومن قرأ بنصب الاسماء الاربعة
ورفع الجروح بالابتداء جعل قصاص خبر المبتدأ وخبر ان قرين كل
اسم منها من الجار والمجرور بتأويله وقرئ المعطوفات بالرفع عطفا
على محل اسم ان بتأويل كتبنا بمعنى قلنا لانه انما يعطف على محل اسم ان
المكسورة دون المفتوحة فلذلك احتيج الى هذا التأويل قيل قوله
والجروح قصاص رد لقوله اليهود وهم بنو النضير حيث قالوا الجراحات
على النصف اذا كانت لانفسهم لشرفهم على بني قريظة منهم فجعل
الله الدم والجراحة بين بني النضير وغيرهم سواء فقال كعب بن الاشرف
واصحابه للنبي عم لا نرضى بحكمك فقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك

فرض

هم الكافرون فصارت الآية عامة في جميع الناس لاجل القصاص في
الدم والجراحة فمن تصدق به اي بالقصاص وعفى عن مظلمته
في الدنيا فهو اي التصدق به كفارة له اي للمتصدق بان يكفر الله
عنه من سيئاته قال عم من اصيب لشيء في جسده فتركه لله تعالى
كان كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون انفسهم
كتعريض للعقوبة لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ثم قال و
قفينا على آثارهم اي اتبعناهم على آثار النبيين المذكورين فالمفعول
الاول من قفينا محذوف قام مقامه على آثارهم والمفعول الثاني
بزيادة الباء في قوله بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من
التورية اي مقررا للتورية بالصدق فهو حال من عيسى وآتيناه
الانجيل فيه هدى من الضلالة ونور اي بيان لاحكام الله تعالى
ومصدقا لما بين يديه من التورية اي موافقا للتورية في التوحيد
وبعض الشرائع قوله وهدى وموعظة منصوبان على انهما
مفعول لهما لفعل مقدر اي وآتيناه الانجيل للهدى والموعظة و
للحكم بما انزل الله فيه من الاحكام للمتقين اي للذين يخشون الله
من المعاصي قوله وليحكم بسكون اللام والميم امر مستأنف لالزام الحكم
اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل اي عيسى وعلماؤه بما انزل الله و
بكسر اللام ونصب الميم لام كي اي وآتيناه الانجيل لكي يحكم عيسى
قيل ان عيسى كان متعبدا باحكام التورية لان الانجيل مواعظ
واحكام فيه قليلة ومن لم يحكم بما انزل الله في الانجيل وكان حكمهم
العفو عن الجاني فاولئك هم الفاسقون اي العاصون امر الله
ثم قال خطابا لمحمد عم وانزلنا اليك الكتاب واللام فيه للعهد
اي القرآن بالحق مصدقا لما بين يديه اي لما قبله من الكتاب
واللام فيه للجنس اي من الكتب المنزلة ومهيمنا عليه يعني شهيدا له
بالصحة وحفظه من التبديل والتغيير فاحكم يا محمد بينهم اي
بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليك بما انزل الله اي بالقرآن ولا تتبع
اهواءهم اي لا تعمل بهواهم عادلا عما جاءك من الحق او المغيروه
تعرض عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم ومرادهم وان كان ذلك
مشروعا بشريعتهم لكل اي لكل نبي من الانبياء جعلنا منكم ايها الناس

شرعة اي شريعة ودينا ومنهاجا اي طريقا واضحا وفيه دليل
على انه لا يجب على احد التعبد بشريعة غيره قوله ولو شاء الله
لجعلكم بالقسم امة واحدة اي على ملة واحدة بشريعة واحدة
اشارة الى قدرة الله وحكمته ولكن جعلكم اُمما مختلفة ليبلوكم
في ما آتاكم من الكتب والشرايع المختلفة يعني ليظهر لكم الطايع و
العاصي منكم فيما امره ونهاه فاستبقوا الخيرات اي تقدموا
وعجلوا بالاعمال الصالحة والى الصف المقدم في الجهاد والى
التكبيرة الاولى مع ذكر في الصلوة الى الله مرجعكم اي اليه ترجعون
جميعا فاعملوا بالفرايض والسنن ولا تتبعوا الاهواء والبدع فينبئكم
اي يخبركم بما كنتم فيه تختلفون من الدين والسنن يوم القيمة
فهذا وعيد لهم ليستبقوا الخيرات ويتركوا السيات قوله
وان احكم بينهم بما انزل الله في محل النصب عطف على الكتاب
اي وانزلنا اليك الكتاب والحكم بينهم ويجوز ان يكون تقديره
وبان احكم عطفا على بالحق اي انزلناه بان احكم بينهم ولا تتبع
اهواءهم في الحكم واحذرهم مخافة ان يفتنوك اي يصرفوك
عن بعض ما انزل الله اليك نزل حين قال الاحبار من يهود
النضير فيما بينهم اذهبوا بنا الى محمد عم نفتنه عن دينه فانه
بشر فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود ان اتبعناك
اتبعتنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم
اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك فابى عن ذلك رسول
الله فاعرضوا عنه فقال تعالى فان تولوا اي اعرضوا عنك وعن
الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم
ببعض ذنوبهم اي بان يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض عملهم
وان كثيرا من الناس لفاسقون اي لخارجون عن حكم الله
وطاعته قوله افحكم الجاهلية يبغون بالتاء والياء نزل انكارا
على من يطلب حكما غير حكم الاسلام اي يطلبون منك شيئا
لم ينزله الله اليك ومن احسن استفهام بمعنى النفي مبتدا
وخبر اي لا احد احسن من الله حكما نصبه تمييز اي قضاء لقوم
يوقنون اي يعلمون باليقين ان الله هو الحاكم بالقرآن والحاكم بالعدل

واللام للبيان او بمعنى عند قوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء نزل نهيا عن موالاة اعداء الدين وذلك حين كانت
وقعة احد فان بعض الناس من المسلمين فيها خاف ان يظهر عليهم الكفار
فاراد ان يعاشرهم ويواليهم ليامن منهم فقال تعالى لا تتخذوهم اولياء
في العون والنصرة كالمؤمنين بعضهم اولياء بعض في النصرة لاتحاد ملتهم
واجتماعهم في الكفر ومن يتولهم اي من يتخذهم اولياء منكم فانه منهم
اي هو على اهل دينهم ومعهم في النار لنفاقهم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين اي لا يرشد هم اي الظالمين الذين ظلموا انفسهم بموالاة اعداء
الله ثم شرع في بيان المنافقين بقوله فترى الذين في قلوبهم مرض
اي شك ونفاق من رؤية العين يسارعون اي يبادرون فيهم اي
في معاونة الكفار في محل النصب على الحال وان كانت الرؤية بالقلب فالجملة
مفعول ثان لترى يعني تراهم يوالون بهم ويعتذرون بانهم لا يامنون
منهم يقولون حال من ضمير الجمع نخشى اي نخاف ان تصيبنا دايرة اي حادثة
تدور من دواير الزمان كغلبة المشركين وجدب وشدة ولا يتم امر محمد عم
فاحتجنا اليهم فنزل توبيخا لهم بالاشارة الى تتميم امر محمد عم فعسى الله
ان ياتي بالفتح اي بنصر محمد عم واظهار دينه وان ياتي في محل النصب
خبر عسى او في محل الرفع بدل من الله او امر من عنده اي بان يؤمر
النبي عليه من عند الله ليظهر اسرار المنافقين وقتلهم او ليقطع قوة
اليهود باجلائهم من بلادهم فيصبحوا عطف على ان ياتي اي فان
يصيروا على ما اسروا في انفسهم من النفاق وموالاة الاعداء نادمين فانهم
لما راوا امر بني قريظة والنضير ندموا على ما قالوا قوله ويقول بالرفع مع الواو
للاستيناف او لعطف جملة على جملة ومع عدمها وبالنصب عطف على
ان ياتي وهو بيان حال المؤمنين وقولهم فيما بينهم اي يقول الذين امنوا
بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين بعد ان وفقهم الله في الاخلاص
اهؤلاء الذين اقسموا لكم بالله جهد ايمانهم اي اغلظ احلافهم انهم
لمعكم اي اولياؤكم في المعاضدة على الكفار بالايمان ثم قال المؤمنون تعجبا
من صنع المنافقين وسوء حالهم والدعاء عليهم حبطت اعمالهم اي بطلت
خيراتهم بالحلف الكاذب يعني تعجب ما احبط اعمالهم فاصبحوا خاسرين
اي صاروا مغبونين في الدارين بفضاحتهم بين الناس بالنفاق في الدنيا

وعدم ثوابهم في الآخرة وقيل يجوز ان يكون هذا من قول الله تعالى شهادة
لهم بحبوط اعمالهم ثم قال تهديدا للمؤمنين يا ايها الذين آمنوا من
يرتدد بالفك وبالادغام اي من يرجع منكم عن دينه كافرا بعد موت النبي
نزل في الذين ارتدوا على عهد ابي بكر الصديق رضه حين قالوا نشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولا نعطي الزكوة من اموالنا بعد رسول
الله شيئا ثم خرج مسيلمة الكذاب فغلب على اليمامة وامتنعوا فشاور ابو بكر
اصحاب النبي عم في قتالهم فاتفقوا على قوله واجمعوا العساكر فذهبوا
على مسيلمة الكذاب مع اهل اليمامة واجتمع الاعراب معه وكان
بينهم قتال شديد فنصر الله المؤمنين على اعدائهم وقتل مسيلمة
الكذاب واصحابه وتاب اهل الردة فذلك قوله فسوف يأتي الله بقوم
مكانهم يحبهم اي الله ويحبونه اي الله يعني يرضى بفعلهم ويثيبهم
احسن الثواب ويرضون بربوبيته ويطيعونه ولا يعصونه فالمراد
بقوم الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكوة وهم ابو بكر واصحابه روي
انه قيل بعد نزولها يا رسول الله من هؤلاء قال قوم هذا واشار الى ابي
موسى الاشعري اذلة على المؤمنين صفة قوم وهي جمع ذليل يعني عطوف
ولين ولذا عدي بعلى والاصل اللام اعزة اي اشداء وغلاظ على الكافرين
المعنى انهم مع المؤمنين كالولد مع والده وعلى الكافرين كالسبع على صيده
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم اي ملامة الناس فيما
يعملون من الطاعات كالمنافقين الذين يخافون الكفار ذلك اي ما وصف به
القوم للمدح من الهدى فضل الله يؤتيه من يشاء بتوفيقه ولطفه به
والله واسع اي كثير الفضل واللطف عليم بمن يصلح به ثم قال بعد نهيه
عن موالاة الكفار حثا على موالاة المؤمنين انما وليكم اي ناصركم بالمحبة
والاصالة الله ورسوله والذين آمنوا بالمحبة والتبعية لله روي
ان عبد الله بن سلام قال للنبي عم ان اخواننا بني قريظة والنضير من اليهود
قد اظهروا لنا العداوة واقسموا ان لا يخالطونا في شيء فنزلت الآية فقال
ابن سلام رضينا بالله وبرسوله والمؤمنين اولياء قوله الذين
يقيمون الصلوة رفع على انه صفة والذين آمنوا او بدل منهم او هم
الذين يقيمونها اي يتمونها ويؤتون الزكوة اي المفروضة او الصدقة
وهم راكعون اي يفعلون الخيرات في حال ركوعهم لان عليا تصدق

بخاتمه

بخاتمه وهو في الصلوة فنزلت الآية في شانه وانما جمع ترغيبا لغيره في
مثل حاله ومن يتول الله اي احبه فاستنصره ورسوله والذين آمنوا
فان حزب الله اي انصاره واتباع دينه هم الغالبون اي القاهرون
على اعدائه والعاقبة لهم والاصل فانهم هم الغالبون فوضع حزب الله
موضع الضمير تنبيها على فضلهم وتبيهم عند الله قوله يا ايها الذين آمنوا
خطاب للمؤمنين باللسان دون القلب لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم اي
الكفار هزوا ولعبا اي سخرية وباطلا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اي اليهود والنصارى والكفار بالجر بتقدير من وبالنصب عطفا على الذين
اتخذوا اي مشركي العرب اولياء في العون والنصرة ويجوز ان يكون خطابا
للمخلصين نهيا عن موالاة الاعداء في الدين واتقوا الله عن ولاية الكفار
ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان الحق قطعكم عنهم فلم يبق بينكم وبينهم
الا البغضاء والشنآن قوله واذا ناديتم اي اذا نادى المؤذن منكم الى
الصلوة بيان لاتخاذ الكفار دين الاسلام باطلا اظهارا للعداوة وتهمة
للمسلمين لانهم اذا اذن المؤذنون وسمعوه اتخذوها اي المناداة
الى الصلوة هزوا ولعبا لانهم كانوا اذا سمعوا الاذان اورأوا المسلمين
في الركوع والسجود ضحكوا واستهزءوا قيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص
الكتاب لا بالمنام وغيره روي ان النبي عم سأل جبرئيل عم من اتخذه مؤذنا
فقال عليك بالعبد الاسود يعني بلالا فانه جهير الصوت ومشهور في الملائكة
واحب المؤذنين الى الله تعالى هو فدعا رسول الله وعلمه الاذان وامره
ان يصعد سطح المسجد ويؤذن فلما اذن سخر منه اهل النفاق واهل
الشرك فنزلت الآية قيل كان رجل من النصارى بالمدينة لما سمع المؤذن يقول
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الله الكاذب
فدخلت خادمته ليلة بنار وهم نيام فسقطت شرارة في البيت فاحرقته
واهله فاستجيب دعاؤه على ذلك اي الاستهزاء منهم بانهم اي بسبب
انهم قوم لا يعقلون اي لا يفهمون من الله شيئا بجهلهم وسفاهتهم
فكانه لا عقل لهم اصلا قل يا محمد يا اهل الكتاب هل تنقمون اي ما تنكرون
وتعيبون منا الا ان آمنا بالله اي سوى ايماننا به وما انزل الينا اي
وبالقرآن المنزل الينا وما انزل من قبل اي قبل القرآن من التورية والانجيل
وان اي وبان اكثركم فاسقون اي خارجون عن الايمان بعصيانكم المعنى

انكم لا تنكرون منا الا مخالفتنا اياكم بانا داخلون في الاسلام وانتم خارجون
منه ويجوز ان يكون الواو بمعني مع يعني لا تنقمون منا الا ايماننا مع كون اكثركم
فاسقين مقيمين علي الباطل بعد العلم به قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك
اي من المنقوم من اهل الايمان نزل حين قال اليهود للمؤمنين ما نعلم
احدا من اهل الاديان اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم فقال تعالي قل يا محمد
هل اخبركم بشر من اهل الايمان علي زعمكم مثوبة اي جزاء وعقوبة عند الله
ونصبه تمييز ووضعه موضع العقوبة وهو من الاحسان في الاصل توسع
او استهزاء لهم قوله من لعنه الله رفع بخبرية مبتداء محذوف اي هو
من طرده الله من رحمته وغضب عليه لقطع لطفه عنه وجعل منهم
القردة والخنازير في الدنيا وعبد الطاغوت عطف علي صلة من اي
ومن عبد الشيطان فعل ماض من العبادة وقرئ عبد الطاغوت بضم الباء
وجر التاء اضافة ونصبه بجعل لانه معطوف علي القردة وهو اسم جمع
وليس بجمع كعضد والمراد من عبادته الشيطان تسويله المعصية واطاعتهم
له فيها المعني من لعنه الله شر عقوبة من غيره في الاخرة اولئك شر مكانا
اي منزلة عند الله واضل عن سواء السبيل اي عن وسط طريق الحق
في الدنيا ثم اخبر عن حال منافقي اهل الكتاب بقوله واذا جاؤكم قالوا امنا
اي صدقنا بك لانا وجدنا نعتك في كتابنا وارادوا به ان يمدحهم المسلمون
ويحبونهم وقد دخلوا بالكفر اي ملتبسين به وهم قد خرجوا به اي
ملتبسين بالكفر الجملتان في محل النصب علي الحال اي هم دخلوا كافرين
وخرجوا كافرين حقيقة بنفاقهم ولا ينفعهم قولهم امنا والله اعلم بما كانوا
يكتمون اي يسترون في قلوبهم من النفاق فيجازيهم وهذا تهديد لهم
وتري كثيرا منهم اي من المنافقين يسارعون في الاثم اي في الكفر والمعاصي
والعدوان اي التعدي للغير وهو الظلم واكلهم السحت اي الرشوة في الاحكام
لبئس ما كانوا يعملون بتزودهم السحت من الدنيا للآخرة ثم نزل تخويفا للعلماء
بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لولا اي هلا ينهاهم اي اهل الظلم و
الاثم الربانيون اي الزاهدون والاحبار اي العلماء بالشرايع والاحكام
عن قولهم الاثم اي المنكر واكلهم السحت يعني لم لم ينهوا سفهاءهم عن
حكمهم الباطل واكلهم الحرام ورضوا بفعلهم السوء ولم ينكروا عليهم لبئس ما كانوا
يصنعون اي يتمكنون من ترك الاركان علي سفهائهم تمكن الصانع من صنعته

قوله وقالت اليهود يد الله مغلولة نزل حين بسط الله عليهم الرزق
حتي كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوه في محمد عم وكذبوه قتر الرزق
فقال فنحاص بن عازوراء وغيره من اليهود عند ذلك يد الله محبوسة
عن بسط الرزق علينا وكنوا به عن البخل فقال الله تعالي غلت ايديهم
اي امسكت عن فعل الخير فهم البخلاء لا يعطون الناس شيئا مما اعطاهم
الله تعالي وانا الجواد او غلت ايديهم في نار جهنم بالاغلال ولعنوا بما
قالوا اي ابعدوا عن الرحمة وعذبوا بسبب قولهم ذلك ثم اضرب الله
عنهم برد قولهم مبينا انه في غاية الكرم وليس ببخيل بقوله بل يداه
مبسوطتان اي رزقه واسع علي خلقه بانزال المطر من السماء واخراج
النبات من الارض وقيل نعمة الدنيا ونعمة الآخرة واسعتان عليهم
ينفق كيف يشاء علي مقتضي الحكمة من التوسيع والتضييق لا اعتراض
عليه والجملة تاكيد للوصف بالسخاء ونفي البخل عنه في المعني ولهذا ثني اليد
بعد الافراد فيما قبله وهو رد لقولهم علي وجه ابلغ لان غاية سخاء السخي
ان يعطي ماله بيديه جميعا ثم بين حسدهم بقوله وليزيدن كثيرا منهم
اي من اليهود وفاعل يزيدن ما انزل اليك من ربك اي يزيدهم القرآن
طغيانا وهو التمادي بالمعصية وكفرا اي جحودا بالقرآن لانه كلما نزل شيء
منه كفروا به فيزيد بجحودهم لحسدهم بنبوة محمد عم والقينا بينهم اي
بين اليهود العداوة والبغضاء اي جعلناهم مختلفين في دينهم متباغضين
فلا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد لان قلوبهم شتي وان كانوا متحدين
في الكلمة او المراد هو العداوة بين اليهود والنصاري الي يوم القيمة كلما
اوقدوا نارا للحرب اي لحرب النبي عم بافساد امره او المكر به عم وباصحابه اطفاها
اي اماتها الله نار مكرهم وسكنها بقهرهم ونصر نبيه فغلبوا ويسعون
في الارض فسادا بكفرهم والعمل بالمعاصي ودعوة الناس الي عبادة غير
الله تعالي والله لا يحب المفسدين اي لا يرضي بعملهم الفساد فيجازيهم به
ولو ان اهل الكتاب آمنوا اي صدقوا بمحمد عم والقرآن واتقوا اي
وقرنوا ايمانهم بعمل التقوي الذي هو طريق السعداء لكفرنا عنهم سيئاتهم
اي لمحونا عنهم ذنوبهم ولادخلناهم جنات النعيم في الآخرة ولو انهم
اقاموا التورية والانجيل اي عملوا بما فيهما من الاحكام وما انزل اليهم
من ربهم اي بالقرآن وجميع الكتب لاكلوا رزقا من فوقهم ومن تحت ارجلهم

يعني لو عملوا بما امرناهم في كتابنا لوسعنا عليهم الرزق بافاضة بركات
السماء وبركات الارض من الزرع المغلة والاشجار المثمرة ثم فصل بعضهم
على بعض بقوله منهم امة مقتصدة اي جماعة عادلة بالايمان والعمل
الصالح غير مقصر في الدين كعبد الله بن سلام واصحابه والاقتصاص
هو الاعتدال في الشيء وكثير منهم ككعب بن الاشرف واصحابه ساء
ما يعملون اي بئس شيئا عملهم قوله يا ايها الرسول بلغ نزل في حث المسلمين
على الجهاد والدعوة الى الايمان اي بلغ يا محمد ما انزل اليك من ربك اي جميع
المنزل اليك من القرآن ولا تخف من احد منهم الا الله وان لم تفعل اي
ان لم تبلغ جميعه فما بلغت رسالته قرئ مفردا وجمعا يعني اذا تركت
البعض من المنزل اليك صرت كالتارك للكل ثم شجع النبي عم على الجهاد
بهم بقوله والله يعصمك من الناس يحفظك من كيد جميع الكافرين فلا
يصلون اليك بقتل ولا بغيره قيل نزلت بعد ما شج وجهه وكسرت رباعيته
في وقعة احد وقيل يعصمه عن القتل ثم قال تاكيدا لذلك ان الله لا يهدي
القوم الكافرين اي لا يرشدهم الى دينه بل يقهرهم ويخذلهم روي
انه عم كان يحرس بالناس ليلا ويلبس الدرع ثم ترك بعد نزول هذه الاية
فقال لا تحرسوني فان الله قد عصمني من الناس ثم قال تع تعليما لنبيه عم
كيف تبلغ رسالته الى اليهود والنصارى وان زعموا انهم على ملة ابراهيم
ودينه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء من الدين لضلالتكم عن دين الحق
فلا ثواب لاعمالكم حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم اي
تعملون بما فيهما وبما في القرآن مع الايمان به ثم اكد ضلالتهم بقوله وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك وهو القرآن لحسدهم بنبوتك طغيانا
وكفرا اي تماديا في المعصية وجحودا بالقرآن فعليك التبليغ وان لم ينفعهم
ذلك فلا تأس اي لا تحزن على القوم الكافرين اي المكذبين بك وبالقرآن
ففي المؤمنين كفاية عنهم ففيه تسلية للنبي عم ان الذين آمنوا باللسان
والذين هادوا اي دخلوا في اليهودية والصابئون رفع على الابتداء وخبره
محذوف بنية التأخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها وهو كذلك كانه
قال ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم اي من
الكفار شرط مبتداء وخبر اي من صدق مخلصا بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
وجواب الشرط فلا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة والشرط

مم

مع

مع جوابه في محل الرفع خبر ان والصابئون كذلك وهم العادلون من دين الى دين
وانما قدرنا خبر المبتداء بعده كذلك فرارا من لزوم العطف على محل اسم ان قبل مضي
الخبر لئلا يلزم توجه العاملين على معمول واحد وهو ممتنع عندهم والجملة
اعني الصابئون كذلك عطف على الجملة قبلها وهي ان الذين آمنوا الى قوله
يحزنون ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للجملة المعطوف عليها من الاعراب
ووجه تقديم الصابئين على خبر ان قبل ذكر تمام المعطوف عليه هو التنبيه
على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح مع كثرة
ذنوبهم فما الظن بغيرهم ثم بين حال اليهود بقوله لقد اخذنا ميثاق
بني اسرائيل اي عهدهم في التورية وارسلنا اليهم رسلا صفتهم
كلما جاءهم رسول منهم بما لا تهوي انفسهم اي لا يوافق هواهم و
جواب كلما محذوف اي كذبوه بقرينة قوله فريقا كذبوا كمحمد وعيسى عليهما السلام
وفريقا يقتلون كيحيى وزكريا ولم يقل قتلوا كما قال كذبوا ليكون على
حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحالة الشنيعة
للتعجب منها وحسبوا الا تكون فتنة اي ظنوا انهم لا يبتلون ابتلاء
بتكذيبهم الرسل وقتلهم الانبياء قرئ بنصب تكون بان على ان حسب
بمعنى الشك وبرفعه على ان ان مخففة من الثقيلة فحسب يكون بمعنى علم
اي انه لا يكون فتنة وهو ساد مسد مفعول حسب والمعنى حسب
بنوا اسرائيل انه لا يصيبهم بلاء في الدنيا وعذاب في الآخرة فعموا عن
الحق بعبادة العجل فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه بعد موسى
ثم تاب الله عليهم اي تجاوز عن ذنوبهم بعد توبتهم عن عبادة
العجل ودفع عنهم البلاء ببعث عيسى والايمان به اتباعه فيما
امرهم ثم عموا وصموا بكفرهم لمحمد المبعوث اليهم رسولا كثير منهم رفع
من الضمير في الفعلين او خبر مبتدا محذوف اي العمي والصم كثير منهم
والله بصير بما يعملون بتكذيبهم الرسل وبقتلهم الانبياء فيجازيهم
بما عملوا ثم بين حال النصارى بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح ابن مريم مع زعمهم انهم مؤمنون بعيسى يكذبهم في مقابلتهم
بالايمان لان عيسى دعاهم الى التوحيد بالرسالة وهم اشركوا بالله
نفسه وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله اي وحدوه واطيعوه ربي
وربكم اي خالقي وخالقكم فلا تشركوا به شيئا انه من يشرك بالله وثبت عليه

فقد حرم الله عليه الجنة اي دخولها لانها دار الموحدين وماواه النار
اي مقره ومصيره نار جهنم وما للظالمين من انصار اي ليس للمشركين
مانع عنهم من العذاب وهو تعبير لهم فيما يعتقدون ان لهم انصارا
بالايمان بعيسى عم وقولهم الله هو الله قيل ان هذه الجملة يجوز ان يكون
من كلام الله على معنى انهم كذبوا وعدلوا عن سبيل الحق فيما يقولوا على
عيسى وخالف قولهم قوله فيعذبون في الاخرة وان يكون من كلام عيسى عم
على معنى ما قالوه بعيد عن العقول فلا ينصرهم احد على ما يقولون يوم القيمة
ثم بين حال الفريق الآخر من النصارى بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلثة اي ثلثة آلهة يعنون الله وعيسى ومريم فرد عليهم بقوله وما من
اله الا اله واحد وهو الله ومن فيه لاستغراق الجنس لتاكيد النفي ثم هدد
بقوله وان لم ينتهوا عما يقولون اي ان لم يتولوا عن مقالتهم الباطلة
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي وجيع دايم ان قاموا على كفرهم
واللام فيه لام القسم المحذوف قبله ولم يقل ليمسنهم ليكون التسجيل عليهم
بالكفر بتكرير الشهادة وانما قال منهم لان بعضهم لم يكفر ثم دعاهم الى
التوبة من ذلك القول لقوله توبيخا بالاستفهام افلا يتوبون الى الله
من النصرانية ويستغفرونه عن كفرهم وقولهم الاثم والله غفور رحيم
بهم ان تابوا اليه واستغفروه عما قالوه ما المسيح ابن مريم الا رسول كساير
الرسل من البشر قد خلت اي مضت من قبله الرسل بالموت فهو يموت ويمضي
كما مضوا ولو كان الها لكان باقيا ولم يفن ثم اكد ذلك بقوله وامه صديقة
اي امراة مبالغة في الصدق تشبه النبيين حين صدقت جبرئيل وما قال لها
من انا رسول ربك ثم زاد التاكيد في ثبوت البشرية لهما بقوله كانا ياكلان الطعام
اي يعيشان بالغذاء كالآدميين فكيف يجوز ان يكون من يحتاج الى الغذاء الها
لكونه من امارات الحدث المنافي للقديم ثم قال تعجيبا من كفرهم مع قيام الحجة
الواضحة على بشريتهما انظر كيف نبين لهم الآيات اي الدلالات على ذلك في
عيسى ومريم فلو كانا الهين لما اكلا الطعام ثم زاد في التعجب من تركهم الايمان مع
وضوح البرهان بقوله ثم انظر انى يؤفكون اي يصرفون عن الحق ويكذبون بالكا
وحدانيتي ثم قال تعبيرا لهم لقلة عقلهم وشدة جهلهم قل يا محمد اتعبدون
من دون الله اي من غيره ما لا يملك لكم اي الذي لا يقدر لاجلكم ضرا ولا نفعا
في الدنيا والآخرة يعني عيسى وكل معبود سوى الله وتركتم عبادة الله وحده

الفريق الآخر

هم

اي

دهم

والله

والله هو السميع لقولكم العليم بحالكم وعقوبتكم ثم نهاهم عن الغلو الباطل
لان الغلو في الدين نوعان غلو حق وهو التفتيش عن اباعد معاني الحق و
التفحص عن حقايقه بالاجتهاد في تحصيل البراهين ليظهر الحق كما يفعله اهل الحق
وغلو باطل وهو ان يتجاوز عن الحق بالاعراض عن الحجة الواضحة الدالة على الحق
لاتباع الشبه والاعراض كما يفعله اهل الاهواء لقوله قل يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق وهو الغلو الباطل اي لا تتجاوزوا الحد وتتركوا
الحق ولا تتبعوا اهواء قوم وهم روساءهم من اليهود والنصارى قد ضلوا
عن الهدى من قبل اي قبل نزول القرآن باتباعهم الشيطان في اليهودية
والنصرانية واضلوا كثيرا من اصحابهم وضلوا مرة ثانية حين بعث
النبي عم عن سواء السبيل اي عن طريق الهدى بتكذيبه حسدا لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل اي اليهود وهم اهل ايلة على لسان داود النبي عم
لما اعتدوا في السبت واصطادوا السمك فيه بعد النهي عنه فقال داود
اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة وعيسى بن مريم اي ولعنوا
على لسانه حيث دعا عليهم بسبب كفرهم بعد اكل المائدة فمسخوا خنازير
ذلك اي اللعن بما عصوا اي بعصيانهم امر الله وكانوا يعتدون اي وبكونهم
معتدين يعني متجاوزين الحد ظلما في دينهم ثم فسر العصيان والاعتداء
بقوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لم يمتنعوا من فعله بل تعودوه
ورضوا به فكان الاخلال بالتناهي عن المنكر معصية واعتداء ثم قال تعجبا
من سوء فعلهم وتوبيخا لهم لبئس ما كانوا يفعلون من عدم انتهائهم عنه
واللام في جواب القسم للتاكيد ثم قال في منافقي اهل الكتاب بعد الايمان ترى
كثيرا منهم اي من اليهود يتولون الذين كفروا من مشركي العرب او من اليهود
يعني يتوادونهم ويستمدونهم على حرب النبي عم لبئس ما قدمت لهم
انفسهم من العمل لمعادهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم يعني لبئس زادهم
الى الآخرة سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون اي لازمون فيه ثم قال
توبيخا لهم على اتخاذ غير المؤمنين اولياء ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اي
محمد وموسى عليهما السلام حقيقة وما انزل اليه من القرآن ما اتخذوهم اي اعداء
الذين يعني المشركين واليهود اولياء في العون والنصرة ولكن كثيرا منهم اي
من مؤمني اهل الكتاب فاسقون اي ناقضون العهد وخارجون عن الاسلام
ثم اخبر عن صعوبة اجابة اليهود الى الحق وعن سهولة ميل النصارى الى الاسلام

بقوله لتجدن اشد الناس عداوة تمييز والعامل فيه اشد اي بغضاء للذين آمنوا اليهود نصبه مفعول ثان لتجدن والاول اشد وهم بنو قريظة والنضير واصحابهم قوله والذين اشركوا نصب عطف على اليهود يعني مشركوا العرب كاليهود في شدة العداوة للنبي عم والمؤمنين ولتجدن اقربهم اي اقرب الناس مودة تمييز يتعلق به قوله للذين آمنوا والمفعول الثاني لقوله لتجدن الذين قالوا انا نصارى وهم الذين كانوا في عهد النبي عم ثم علل سهولة ميلهم وقرب مودتهم للمؤمنين بقوله ذلك مبتداء خبره بان منهم اي قرب مودتهم لاهل الايمان بسبب ان منهم قسيسين اي علماء خائفين ورهبانا اي عبادا زاهدين وفيه دليل على ان العلم والزهد انفع شيء واهداه لصاحبهما ولو كان كافرا قوله وانهم لا يستكبرون محله جر عطف على ان اي وبانهم لا يتعظمون عن الايمان بالحق واذا سمعوا ما انزل الى الرسول من القرآن ترى اعينهم تفيض اي تسيل بالامتلاء من الدمع مما عرفوا من الحق اي لاجل الذي عرفوه من الصدق فيه فمن الاولى لابتداء الغاية والثانية للعلة والثالثة للبيان لانهم عرفوا ان محمدا كما هو نعته في كتابهم والمراد منهم وفد النجاشي الذين جاؤا الى النبي عم وكانوا سبعين رجلا فلما سمعوا القرآن الذي قرأه النبي عم عليهم وهو سورة يس رقت قلوبهم وفاضت اعينهم بالدمع يقولون ربنا آمنا والجملة حال من ضمير عرفوا اي قائلين صدقنا بمحمد والقرآن فاكتبنا مع الشاهدين اي المقرين بنبوة محمد عم وكتابه وهم المهاجرون والانصار ثم عيرهم اليهود بالايمان فقالوا منكرين عليهم وما لنا لا نؤمن بالله وحده وكانوا مثلثين قبله وما جاءنا من الحق اي وبالذي نزل بنا من القرآن ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين اي الموحدين المطيعين في الجنة فاثابهم الله اي جزاهم بما قالوا من التوحيد بالاخلاص جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي ثواب الموحدين المطيعين ثم بين عقوبة من لم يؤمن منهم واصر على كفره بقوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا وماتوا على ذلك اولئك اصحاب الجحيم اي النار الشديدة الوقود قوله يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم نزل نهيا لجماعة من الصحابة اجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون فتواثقوا وعاهدوا ان يترهبوا برفض الدنيا ويلبسوا

المسوح

المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويخصوا انفسهم لئلا يقربوا النساء والفرش وحلفوا ان لا ياكلوا لحما ودسما وذلك حين وصف لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القيمة واهوالها واشبع الكلام في الانذار فبلغ ذلك رسول الله فقال اني لم اؤمر بذلك فنهاهم الله وقال يا ايها المؤمنون بالله ورسوله لا تحرموا على انفسكم ما طاب ولذ مما احل الله تناوله لكم ولا تعتدوا اي لا تجاوزوا الحلال الى الحرام ان الله لا يحب المعتدين من الحلال الى الحرام وعكسه وكلوا مما رزقكم الله حال كونه حلالا طيبا من الطعام والشراب واتيان النساء مستنين بسنة نبيكم فانه اكل الدجاج والفالوذج والعسل والدهن واللحم وكان ياتي بالنساء واكد ذلك بقوله واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون اي مصدقون باوامره ونواهيه فاحلوا حلاله وحرموا حرامه ثم امرهم بتكفير ايمانهم لانهم لما حرموا الحلال على انفسهم صار ذلك يمينا فعلم ان الرجل اذا حلف على شيء والحنث خير له ينبغي ان يحنث ويكفر عن يمينه وفيه دليل على ان الكفارة بعد الحنث لانه تعالى امرهم بالحنث اي بان ياكلوا ثم ياتوا بالكفارة بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم محله نصب على الحال اي كائنا فيها واللغو ان يحلف الرجل على شيء وهو يرى انه كذلك وليس كما يرى في الواقع هذا عند ابي حنيفة وقال الشافعي اللغو ما لا يعقد الرجل قلبه عليه كقول الرجل لا والله وبلى والله في كل شيء ولم يعقد قلبه على اليمين باللفظ والعزم عليها فلا يؤاخذكم الله بتركه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان مخففا ومشددا وبالالف قبل القاف اي حلفتم على شيء من فعل او ترك اذا حنثتم فيها يعني ان الرجل اذا حلف على شيء يفعله ولم يفعله او لا يفعله ففعله يؤاخذ به ويسمى به عقد اليمين وهو توثيقها باللفظ مع العزم عليها فكفارته اي ستر الحنث الفاء في جواب اذا حنثتم المحذوف بدلالة الكفارة عليه اطعام عشرة مساكين لكل مسكين عند ابي حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره او يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي لكل مسكين مد من غالب قوت بلده وهو رطل وثلث رطل بالعراقي وجاز صرف الكل الى مسكين واحد مسلما كان او ذميا او كان او عبدا في عشرة ايام عند ابي حنيفة رحمه ولم يجوزه الشافعي رحمه الا الى مسلم في عشرة ايام و منعا صرف الزكوة الى اهل الذمة ولما كان في الناس من يسرف في النفقة على اهله قال من اوسط اعدل ما تطعمون منه اهليكم او كسوتهم عطف على اطعام فيعطي

لكل مسكين ثوب واحد وهو سراويل او قميص او وقاية او تحرير رقبة عطف
اطعام اي عتق رقبة عبدا او امة مؤمنة او كافرة خلافا للشافعي فانه شرط
الايمان في عتق الرقبة قياسا على كفارة القتل فالحانث مخير بين الاطعام و
الكسوة والتحرير ان وجد ما يفضل عن قوته وقوت عياله فاو للتخيير وايجاب
احدى الكفارات الثلث على الاطلاق فمن لم يجد ذلك فصيام اي فعليه صوم
ثلثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة والتتابع افضل عند الشافعي لا الواجب
ولا يجب التكفير الا بعد الحنث عند ابي حنيفة وجوزه الشافعي قبل الحنث
الا كفارة الصوم لانه بدني ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم
والعامل في اذا كفارة اذ التكفير انما يكون وقت الحنث والحلف واحفظوا
ايمانكم عن النكث فيما يكون الحنث فيه معصية للحانث كذلك اي مثل ذلك
البيان يبين الله لكم اياته اي احكام شرعه وعلا يمه من الامر والنهي لعلكم
تشكرون رب هذه النعمة العظيمة حيث جعل لكم مخرجا من ايمانكم بالكفارة
ولما كان الاقدام على الايمان ونكثها ومخالفة الشريعة بتسويل الشيطان
ووسوسته بين طرقه ليحترز المؤمنون على الشروع فيها قال يا ايها الذين
آمنوا انما الخمر اي تناولها والميسر والانصاب جمع نصب بفتح النون والصاد
وهي حجارة ينصب عليها الذبائح او جمع نصب بضم النون وفتحها وسكون
الصاد وهي الاوثان التي ينصبونها للعبادة والازلام هي السهام المستقسم بها
رجس اي خبيث قذر من عمل الشيطان اي من تزيينه فاجتنبوه اي امتنعوا
المذكور او الرجس لعلكم تفلحون في الآخرة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في تناول الخمر والميسر ويصدكم اي يصرفكم عن ذكر الله
اي عن طاعته وعن الصلوة خصوصا فانها وجه دينكم وانتم نهيتم
عن اقامتها اذا كنتم سكارى لزوال عقلكم عن ادائها المعنى ان الشيطان
يريد ان يهلككم ويخرجكم عن دينكم بالخمر والميسر فهل انتم منتهون عن
تناولها والاستفهام بمعنى الامر ههنا يعني انتهوا عن شرب الخمر ولعب الميسر وانما
جمعهما مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما آخرا لان الخطاب للمؤمنين
بالنهي عما يستعملونهما من شرب الخمر ولعب الميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد
تحريم الخمر والميسر عليهم لقوله عم شارب الخمر كعابد الوثن فيؤذن بذلك
ان الكل من اعمال الجاهلية فوجب الاجتناب عن الكل ثم خصصهما بالذكر ليؤذن
به ان المقصود هنا تحريمهما لاهل الايمان والزجر عن استعمالهما بابلغ النهي قال عم

في بيان الخمر

في بيان الخمر اقسم الله بعزة جلاله ان من لم ينتهيها في الدنيا لاعطشته يوم
القيمة ومن تركها بعد حرمتها لاسقيتها اياه في خطيرة القدس قيل
وما خطيرة القدس قال الله تع هو القدس وخطيرته الجنة ثم اكد تحريمها
وتحريم غيرها من المحرمات بقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امركم
ونهاكم من اقامة الصلوة وشرب الخمر ولعب القمار واحذروا عن نهي
عن عقابه بترك الامر والنهي فان توليتم اي اعرضتم عن طاعة الله
وطاعة رسوله فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس عليه غيره
فهذا تهديد لمن شرب الخمر ولعب الميسر بعد التحريم قال عم كل مسكر حرام
وكان حتما على الله ان لا يشربه عبد في الدنيا الا سقاه طينة الخبال يوم
القيمة هل تدرون ما طينة الخبال قال عرق اهل النار ثم قال الصحابة يا رسول
فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزل قوله
ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح اي اثم فيما طعموا اي اكلوا
من مال الميسر ويشربوا الخمر قبل التحريم اذا ما اتقوا الكفر وآمنوا اي صدقوا او
ثبتوا على الايمان وعملوا الصالحات ثم اتقوا بتناول الخمر والميسر بعد التحريم
وآمنوا اي ازدادوا ايمانا ثم اتقوا محارم الله كلها واحسنوا العمل الطاعة
الله مع الامتناع عن المحارم واحسنوا الى الناس والله يحب المحسنين
في افعالهم قوله يا ايها الذين آمنوا بالله ورسوله ليبلونكم نزل في
تحريم الصيد ما داموا في الاحرام عام الحديبية وكان يكثر الصيد عندهم
بحيث يتمكنون الاخذ بايديهم والطعن برماحهم اي ليختبرنكم الله
بتحريم الصيد وهو اظهار ما علم من العباد بشيء قليل من الصيد حالة
الاحرام والوصف بالقلة ايذان بان من لم يثبت عند القليل لم يثبت فيما هو
اشد منه ومن الصيد للتبعيض اذ لا يحرم كل صيد للمحرم بل صيد البر والصيد
بمعنى المصيد وان كان مصدرا في الاصل بمعنى لتبلون بصيد تناله اي تأخذه
وتصله ايديكم من صغاره وبيضه بغير سلاح ورماحكم من كباره
بالسلاح وعلل الابتلاء بقوله ليعلم الله علم الظهور والتمييز من يخافه
بالغيب اي من يخاف عقابه فهو غايب منتظر في الآخرة فيجتنب الصيد
ويتبين فضيلة الخائف من الله على غير الخائف منه فمن استفهامية
في من يخافه وشرطية في فمن اعتدى اي ظلم واخذ الصيد بعد ذلك
اي بعد التحريم فله عذاب اليم في الدنيا بالتعزير والكفارة وفي الآخرة

الله

بالتعذيب في نار جهنم ان مات بغير توبة قال ابن عباس يسلب ثيابه ويوسع
بطنه وظهره جلدًا قوله يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي والحال
انكم محرمون والحرم جمع حرام اي المحرم نزلت في شان ابي اليسر حين قتل حمارًا وحشيًا وهو في
الاحرام ومن قتله منكم شرط متعمدًا نصبه حال من فاعل قتله والمراد من التعمد عند
البعض ان يكون الصائد ذاكرًا القتل ناسيًا الاحرام فلو قتل ذاكرًا لهما فلا كفارة له لعظم
ذنبه من الكفارة والاكثر على ان التعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او يعلم ان ما يقتله
مما يحرم عليه قتله وفيه الكفارة وحكم الخطاء كذلك وهو ان يقتل الصيد ناسيًا
لاحرامه او ظانًا بانه ليس بصيد او يرمي شيئًا فاصاب صيدًا وتخصيص التعمد
بالذكر شمول الحكم لانه الاصل والخطاء تابع له ولان الاية نزلت في المتعمد مع العلم
بتحريم الصيد للمحرم وسعيد بن جبير لا يوجب الكفارة بقتل الخطاء نظرًا لظاهر الاية
قوله فجزاء جواب الشرط وهو بالرفع والتنوين مبتداء مثل دفع غير منون صفة
جزاء ما قتل في محل الجر مضاف اليه لمثل وفي المعنى مفعوله اذ اصله فجزاء يماثل ما قتل
وخبر المبتداء محذوف اي فعليه جزاء يماثل المقتول من الصيد وقرئ جزاء بالرفع
بلا تنوين وجر مثل اضافة فمثل مقحم بينه وبينهما قتل لانه لا يجب جزاء مثل
المقتول قوله من النعم في محل النصب حال من مفعول قتل اي جزاء كاينًا من الابل
والبقر والغنم يماثل الصيد المقتول من حيث الخلقة لا من حيث القيمة وهو
قول الشافعي ومحمد فان لم يوجد مثله اي نظيره من النعم عدل الى قول ابي حنيفة
وهو ان يقوم الصيد حيث صيد ثم هو مخير بين ان يشتري لقيمته طعامًا
فيعطي لكل مسكين نصف صاع من بر او صاعًا من غيره وبين ان يهدي
من النعم ما قيمته قيمة الصيد ان بلغت ثمن الهدي وان شاء صام عن طعام
كل مسكين يومًا فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يومًا او تصدق
فاعتبر به ابو حنيفة قيمة الصيد حيث صيد لا قيمة المثل يحكم به اي
بالجزاء الذي هو مثل ما قتل من النعم ذوا عدل منكم اي عدلان من المسلمين
فينظران الى اشبه الاشياء الى المقتول من النعم فيحكمان به عند الشافعي
ومحمد او ينظران الى قيمة المقتول ان بلغت ثمن الهدي يحكمان عليه ان يشتري
به الهدي هديًا بالغ الكعبة نصبه حال ما بعده صفة في تقدير الانفصال
اي هديًا بالغًا الكعبة قيل يبلغ بالهدي الحرم فينحر فيه فالشافعي قال يتصدق
حيث شاء قوله او كفارة طعام مساكين عطف على جزاء او عليه كفارة
وقرئ برفع كفارة بالتنوين ورفع طعام عطف بيان لكفارة وبغير تنوين

لاضافتها الى طعام بالجر اي قاتل الصيد في الاحرام ان شاء اشترى بقيمة الصيد
طعامًا ويتصدق به على المساكين او عليه عدل ذلك الطعام صيامًا نصب
على التمييز من العدل وهو بمعنى المثل اي وان شاء قاتل الصيد في الاحرام يصوم مثل
طعام كل مسكين يومًا يعني في مقابلته قيل الخيار في ذلك للجاني عند الشافعي و
ابي حنيفة والى الحكمين عند محمد رحمه الله ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة على الجاني
الجزاء ليذوق جزاء معصيته كي يمتنع عن قتل الصيد في الاحرام عفا الله اي تجاوز الله
عما سلف اي عما مضى قبل التحريم اي في الجاهلية ومن عاد بعد التحريم الى ما نهي
عنه فينتقم الله منه اي فهو ينتقم من العائد الى المنهي عنه في الاخرة وانما
قدر المبتداء بعد الفاء لان الفاء الجزائية لا تدخل على المضارع قيل لا يحكم على
العائد المحرم الى ما نهي عنه بل يملاء صدره وظهره ضربًا وجيعًا ويقال له اذهب
فينتقم الله منك عملًا بظاهر الاية وهو المروي عن ابن عباس والفقهاء
يحكمون عليه بالكفارة لانه قاتل في المرة الثانية كما هو قاتل في المرة الاولى
والله عزيز ذو انتقام من العاصي بامره والمستخف لدينه ثم اخبر عما
ابيح للمحرم بقوله احل لكم صيد البحر في الاحرام وغير الاحرام والمراد من البحر
جميع المياه ومن صيده جميع ما صيد منه وطعامه اي طعام البحر والمراد ما
قيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه وقيل صيده ما صيد منه وطعامه
ما رمي منه قوله متاعًا لكم مفعول له اي تمتعًا لكم بان ياكلوه طريًا وللسيارة
اي للمسافرين بان يتزودوه لاسفارهم والمراد السمكة المالحة المعنى من هذه
الاية انه ابيح لكم اخذ حيوان البحر كله فبعض للانتفاع وبعض للاطعام وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرمًا اي محرمين فلا تاخذوا الصيد منه واتقوا الله
فيما نهيتم عنه الذي اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم قال الشافعي صيد البر
المحرم على المحرم كل حيوان يجوز اكله سواء صاده او صيد لاجله بامره وغير امره لانه
لا يجب الجزاء فيما لا يؤكل الا واحدًا وهو المتولد من الوحشي والاهلي وابو حنيفة
يوجب الجزاء فيما لا يؤكل ايضًا الا الحية والعقرب والحداة والفارة والكلب العقور
والذيب ويجوز عنده اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذ لم يدل عليه
ولم يشر وكذا ما ذبحه قبل احرامه ثم قال جعل الله الكعبة اي صير بيته المرتفع
والمنفرد عن البيوت البيت الحرام بدل من الكعبة لا صفة لان البيت الحرام
علم للمتعبد المخصوص وهو لا يوصف به ويجوز ان يكون عطف بيان وكلا
يشترط فيه ان يكون الثاني من الاسمين اوضح قيامًا للناس بالالف وبغيرها

مصدر بمعنى النهوض لمصالح الناس دينا ودنيا ونصبه مفعول ثان لجعل اي جعل الله
قصد الكعبة سببا لقيام الامن بين الناس لان العرب لا يتعرضون الى من يقصدها تعظيما
له ويجوز ان يكون المفعول الثاني محذوفا وقياما حالا والتقدير جعل قصدها فرضا
حال كونه نهوضا الى اغراضهم من المعاش والمعاد ولا يجوز ان يكون مفعولا له لعدم
شرط نصبه قوله والشهر الحرام عطف على الكعبة اي وجعل الله الشهر الحرام الذي هو شهر ذي
الحجة لقيام الحج فيه قياما للناس وجعل ايضا والهدي والقلائد قياما للناس و
امثالهم لصلاح دينهم ومعاشهم لانهم كانوا امنون بسوق الهدي وتقليده
ذلك مبتدا خبره محذوف اي جعل الكعبة قياما للناس او ما ذكر من تحريم الصيد
في الاحرام شرعناه لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض اي يعلم
صلاح اهلها معاشا ومعادا ولتعلموا ايضا ان الله بكل شيء عليم اي عالم
باحوال الخلق واعمالهم سرا وعلانية فيجازيهم بها فينبغي ان يتقوه ولا
يعصوه اعلموا ان الله شديد العقاب اي شديد عقوبته لمن عصاه
وان الله غفور رحيم لمن اتقاه واطاعه ما على الرسول الا البلاغ اي تبليغ
الرسالة للعباد وليس عليه غيره ففيه ايذان ان الرسول قد فرغ مما وجب
عليه من تبليغ الرسالة وتهديد لقيام الحجة عليهم ولزوم الطاعة بهم
فلم يبق لهم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون اي تظهرون من الاعمال
والاقوال وما تكتمون اي تسترون من السرائر والاحوال فليس على الرسول طلب
سرائركم ورد نياتكم ولم يؤثر به لان الله يعلم ذلك كله قوله قل لا يستوي الخبيث
والطيب نزل في حجاج اليمامة المشركين حين اراد المسلمون ان ياخذوا اموالهم
ويواقعوا بهم فنهى الله عن ذلك وان كانوا اهل الشرك منهم شريح بن ضبيعة
وكان كثير المال فقال الله تعالى لا يستوي المال الحرام والمال الحلال فان ماله حرام
لا تؤثروه ولو اعجبكم كثرة الخبيث وهو مال شريح فان الفضل المتوهم في الخبيث
الكثير لا يوازي فضل الطيب القليل فلا يستحلوا ما حرم عليكم فاتقوا الله
يا اولي الالباب اي اهل العقول المميزين بين الحلال والحرام لعلكم تفلحون
اي لكي تامنوا من عذابه قيل صدقة من الحرام لا يصعد الى الله ولا توضع
في خزائنه وصدقة من الحلال يقع في يد الرحمن يعني يقبلها بالرضا وقيل
مثقال حبة من صدقة الحلال ارجح عند الله من جبال الدنيا من الحرام والحكم
في الاية عام في حلال المال وحرامه وفي صالح العمل وطالحه وفي نافع العلم و
ضاره وفي صحيح المذهب وفاسده وفي جيد الناس ورديئهم قوله يا ايها

الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء لا ينصرف لانه جمع شيء على وزن
فعلاء واصله شيئاء بهمزتين بينهما الف عند سيبويه ثم تقلب الاولى
قبل الفاء فصارت اشياء على وزن لفعاء وعند الاخفش اصله اشيئاء
على وزن افعلاء جمع شيء ثم خفف وجمع فوزنه افعاء بحذف لام الكلمة
عنده نزل حين اكثر المسلمون السؤال على النبي عم فغضب وقال لا تسئلوني
عن شيء الا اخبركم فقام رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال حذافة يعني
رجلا غير ابيه فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله رضينا بالله ربا وبك نبيا
فقال تعالى تاديبا لهم لا تسئلوا نبيكم عن اشياء ان تبد اي تظهر بالجواب
لكم هذه الاشياء التي تسئلونها تسؤكم اي تضركم وتحزنكم وتندموا
على السؤال عنها قيل سال عكاشة يا رسول الله الحج علينا لكل عام فاعرض
عنه حتى اعاد سؤاله ثلث مرات فقال عم ويحكم لو قلت نعم لوجبت و
لو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك
من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم
بامر فخذوه واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وان تسئلوا عنها اي عن
التكاليف الصعبة حين ينزل القران اي في زمان الوحي ونبيكم بين اظهركم
تبد اي تظهر لكم تلك التكاليف التي تسؤكم فتؤمروا بتحملها فتعجزوا عن القيام
بها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها ومحل ان تبد لكم
اعني الجملتين الشرطيتين جر صفة اشياء والمعنى انكم اسكتوا عن السؤال حتى
تؤمروا عفا الله عنها اي عن مسئلتكم السابقة فلا تعودوا الى مثلها
والله غفور حليم اي متجاوز عن ذنوبكم لم يعجل عليكم بالعقوبة
لسؤ فعلكم ثم هددهم وحذرهم بما مضى على من قبلهم فقال قد سالها
ولم يقل سال عنها لان الضمير لم يرجع الى الاشياء حتى يجب تعديته
بعن بل يرجع الى المسئلة اي قد سال هذه المسئلة انبياءهم قوم
من قبلكم ثم اصبحوا بها اي صاروا بسببها او باحكامها كافرين
فان بني اسرائيل سالوا انبياءهم كموسى وعيسى عن اشياء فامروا
بها فتركوها ولم يعملوا بها فهلكوا باسخط الله تعالى قوله ما جعل الله
من بحيرة من زائدة لتاكيد نزل في بيان المحلل والمحرم بالشريعة هو الله وليس
لغيره ان يسن شريعة بها يحل ويحرم كعمرو بن لحي اخ بني كعب غير شريعة اسمعيل
فقال ان الله امرني بها افتراء على الله الكذب اي لم يجعل حراما من بحيرة وهي

لها

ناقة ولدت خمسة ابطن آخرها ذكر فبحرت اي شقت اذنها واسعًا مشبهًا بالبحر وحرم ركوبها وتركت لترعى في المرعى فاذا ماتت اشتركت فيها الرجال والنساء ولا سائبة اي ولم يجعل في الحيوانات حرامًا من سائبة و هي من الانعام التي خامس ولدها انثى فبحروا اذنها وتركت مع امها وحرمت منافعها على الرجال والنساء فاذا ماتت اشتركوا فيها والسائبة منها ما نذروا تسييبها لآلهتهم اذا برؤا من مرضهم او جاؤا من سفرهم ويسلمونها الى خدام بيت آلهتهم وكان صوفها واولادها للرجال دون النساء ولا وصيلة ولا حام اي ولم يجعل من الحيوانات حرامًا وصيلة بان يقال انه وصل اخاه اذا ولد ذكر مع انثى نحرا جميعًا فيكون للاصنام في زعمهم فاذا ماتت تشارك الرجال والنساء فيهما ولم يجعل ايضًا من الحيوانات حاميًا وهو الفحل الذي اذا ركب ولد ولده او نتج منه عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فيهمل ولا يركب ولا يمنع من الماء والمرعى واذا مات اكله الرجال والنساء وكانوا يقولون كل ذلك من احكام الله فقال الله تعالى ردًا عليهم ما حرم الله هذه الاشياء ولكن الذين كفروا بالله وانبيائه يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون ان الله هو المحل والمحرم لينسبوا التحليل والتحريم اليه لفرط جهلهم كالبهائم ثم اخبر عن عدم عقلهم واتباعهم باهوائهم بقوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله اي الى كتابه والى الرسول اي الى سنة رسوله قالوا حسبنا اي كافينا ما وجدنا عليه آباءنا اي دينهم وسنتهم فقال الله تعالى اولو كان اي احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا من الهدى بالحجة ولا يهتدون طريق الحق ففيه نهي عن التقليد بالجاهلية وامر بالاقتداء بالعلم المهتدي الذي يعرف اهتداؤه بالحجة قوله يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم بالنصب مفعول عليكم وهو اسم فعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم نزل في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا رد على الآمر والناهي ولم يقبل عند الفسقة والفجرة قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنه مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم لا يضركم من ضل اي ضلال الضال اذا اهتديتم اي اذا ثبتم على الحق الذي هو الهدى الى الله مرجعكم اي اليه جميعًا يوم القيمة فينبئكم بما كنتم تعملون اي يخبركم بما عملتم في الدنيا فيجازيكم عليه وقيل نزلت الآية في رجال ذاقوا حلاوة الاسلام وكانت لهم قرابة من المشركين او من الانصار واليهود فارادوا ان يذيقوهم حلاوة من الاسلام فلم يقبلوا

بالمعروف

منهم

منهم وتأسفوا على ذلك فمنعهم الله تعالى عن التأسف بهم والزمهم باصلاح انفسهم بالمشي بها في طريق الاهتداء فليس المراد ترك الامر والنهي على الاطلاق لان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد قوله يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم روي في سبب نزوله ان رجلًا من المهاجرين اسمه بديل بن مارية او ابن ابي مريم مولى عمرو بن العاص سافر مع النصرانيين الى الشام ومعه اناء من فضة في خرج يساوي ثلثماية مثقال فلما ثقلت مرضه دفع اليهما الخرج ليوصلاه الى مواليه وكتب كتابًا بتسمية امتعته والقاه في الخرج ففتشاه واخذا منه الاناء فلما اوصلا الوديعة الى اصحابها فتش اصحابها الخرج ورأوا الكتاب ففقدوا الاناء فطالبوا عما به فقالا ما رأينا شيئًا واختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسم النصرانيين تميم بن اوس الداري وعدي بن يزيد فنزلت الآية قال القراء شهادة مبتدأ مضاف الى بينكم اتساعًا لانه ظرف جعل اسمًا واضيف اليه المصدر وقيل اصله ما بينكم ثم حذف ما منه اي شهادتكم فيما بينكم اذا حضر احدكم الموت ظرف للشهادة حين الوصية بدل من اذا وخبر المبتدأ اثنان اي شهادة اثنين بتقدير المضاف و صفة اثنان ذوا عدل اي صاحبا امانة ودين منكم صفة اخرى لاثنان اي من المسلمين او من اقاريب الميت لانهم اعرف باحوال الميت و انصح له في السفر والحضر او آخران عطف على اثنان اي او شهادة رجلين آخرين من غيركم اي من غير ملتكم قيل شهادة اهل الذمة نسخت بقوله تعالى فاشهدوا ذوا عدل منكم وجازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وقال شريح يجوز شهادة اهل الذمة في الوصية اذا كان الرجل في السفر وتعذر الشهود من المسلمين عند مشارفة الموت ثم اعترض بين آخران وصفته قوله ان انتم ضربتم اي سافرتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت اي اسبابه وشدائده والفاء فيه لعطف الجملة على ما قبلها وجواب الشرط محذوف تقديره فاشهدوا اثنين آخرين وصفة آخران تحبسونهما اي او آخران محبوسان او استيناف بمعنى كيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما من بعد الصلوة وهي صلوة العصر خص بالذكر لان عادتهم ان يحلفوا بعدها الشرف ذلك الوقت لانه وقت العروب واهل الاديان يعظمونه ويذكرون الله فيه ويحترزون عن الحلف الكاذب

وقول الزور ومنذ بنا الله تعالى الى ستحلالهم في هذا الوقت الذي هم يعظمونه
ويجتنبون فيه الكاذب وتعطف على تحسبونهما فيقسمان بالله ان ارتبتم
اي ان شككتم في قول الآخرين الذين من غير اهل دينكم بان غلب في ظنكم
خيانتهما لتحلفوهما جواب الشرط والشرط مع جوابه اعتراض بين يقسمان
وجوابه وهو لا نشتري به اي بالله او بالقسم او بتحريف الشهادة
ثمنا اي شيئا ذا ثمن من حطام الدنيا ولو كان المشهود له ذا قربى اي
صاحب قرابة يعني لا نستبدل بعهد الله ثمنا بان نبيعه بعرض الدنيا
ولو كان ذا قربى وخص بالذكر لميل الناس الى قراباتهم وعطف على لا
نشتري ولا نكتم شهادة الله اي سألنا عنها بالاضافة اليه تعالى لامره
باقامتها والنهي عن كتمانها انا اذا لمن الآثمين اي انا اذا كتمنا الشهادة
لله لكنا من الفاجرين لو حلفنا كاذبين فاستحلفهما النبي عم على المنبر
بعد صلوة العصر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يخونا شيئا مما دفع
اليهما فحلفا فخلى سبيلهما ثم ظهر انهما باعا الاناء في السوق وقالا انا كنا
اشترينا منه فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل فان عثر اي اطلع على انهما اي ان الوصيين النصرانيين استحقا
اثما اي خيانة بسرقة الاناء وكذبهما في الحلف فآخران اي فشاهدان
آخران من اولياء الميت يقومان مقامهما اي مقام الوصيين الخائنين
من الذين استحق بصيغة المجهول في الفاعل فيه الضمير الراجع الى الاثم وهو
صفة آخران اي آخران كائنان من القوم الذين استحق بمعنى جنى جني
عليهم الاثم وهو الخيانة من النصرانيين وهم ورثة الميت وانما اضيف
اليهم الاثم لان اهل الميت صاروا سببا لاستحقاق الوصيين الاثم فاسند
اليهم مجازا ليكون بيانا لكونهم مجنيا عليهم باثم الوصيين قوله الاوليان
بدل من الضمير في يقومان او خبر مبتدا محذوف اي هما الاحقان بالشهادة
عليه لقرابتهما ومعرفتهما بحال الميت او القائم مقام الفاعل الاوليان
بتقدير اثم الاوليين وقرئ بصيغة المعلوم والفاعل الاوليان والمفعول
محذوف اي من الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالميت وصيته
التي اوصى بها الى غير اهل دينه او استحق الاوليان بالشهادة من بين
الورثة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ليظهر بها كذب الكاذبين وهو تثنية
اولى بمعنى احق وقرئ الاولين جمع اول ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في

الشهادة لكونهم احق بها وهو مجرور بالباء على انه صفة الذين في من الذين
استحق فيقسمان اى يحلفان بالله لشهادتنا يميننا احق اى اولى من
شهادتهما اى من يمين الكافرين يعنى اذا ظهر خيانة الحالفين يقوم
اثنان آخران من قرابة الميت فيحلفان بالله ان المتاع متاع صاحبنا ويميننا
احق من يمينهما لانا مسلمون وهما كافران خائنان وما اعتدينا اى
جاوزنا الحد فى الشهادة والقول بان شهادتنا احق من شهادتهما والمراد
بالشهادة هنا اليمين ووجهه ان اليمين كالشهادة على ما يحلف عليه
انه كذلك وقد يقول القائل اشهد بالله بمعنى اقسم بالله ويقولان
انا اذا لمن الظالمين اى ان حلفنا كاذبين لكنا من الظالمين ثم قال تعالى ذلك اى
الذى حكمنا به من رد الحالفين بكذبهما فيه يعنى عدم سماع الشهادة
منهما ورد اليمين الى المدعى بعد ايمان الاخرين ادنى اقرب الى ان يأتوا
اى الاوصياء والشهداء على نحو ذلك الحادثة بالشهادة على وجهها اى وجه
الشهادة يعنى ذلك الحكم اقرب الى ان يقيم الشهود الشهادة كما كانت
الواقعة فى الواقع بلا خيانة اذا علموا والمراد من ضمير الجمع تميم الدارى
وصاحبه عدى بن يزيد وكل من قام مقامهما من الخصوم ولذا جمع
ان يأتوا او قوله او يخافوا اى اقرب الى ان يحذروا من ان ترد ايمان بعد
اى ايمان الاوصياء بعد ايمانهم الى المدعى فيحلف على خيانتهم وكذبهم
فيفتضحون فيغرمون فلا يحلفون كاذبين بعد علمهم بذلك فقام
عمرو العاص والمطلب بن وداعه من اقرباء الميت وحلفا بعد صلوة
العصر فدفع الاناء اليهما والى الاولياء فانتقلت اليمين الى اوليائه بعد
ظهور الخيانة فيهما بحكم هذه الآية وهو قول الشافعى وعن تميمى وعدى
ما اخذ من ثمنه للمشترى وكان تميم الدارى بعد ما اسلم يقول صدق
الله وصدق رسوله انا اخذنا الاناء فاستغفر الله واتوب اليه
وابو حنيفه رحمه لا يرى رد اليمين الى المدعى فيحمل الآية على النسخ
ثم قال واتقوا الله من الايمان الكاذبة والخيانة فى الامانة واسمعوا
المواعظ سماع قبول والله لا يهدى القوم الفاسقين اى لا
يرشدهم الى الحق باختيارهم الفسق والخيانة قوله يوم يجمع الله
الرسل نصب بمضمر اى اذكر يوم القيمة الذى يجمع فيه الانبياء
فيقول الله لهم توبيخا لمكذبيهم ماذا اجبتم اى اى اجابة اجبتم

من قومكم في التوحيد قالوا اي الرسل يقولون ثمه بعد علمهم ان السؤال للتوبيخ
الكفار لا علم لنا فنفوا العلم عنهم وهم قد علموا بما اجيبوا اثباتا
للحجة على المكذبين او من شدة السؤال وهول القيمة انك انت علام الغيوب
اي ما كان وما لم يكن قيل هذا عند زفرة جهنم فلا يبقى ملك مقرب ولا
نبي مرسل عند ذلك الا قال نفسي نفسي فعند ذلك قالوا لا علم لنا وقيل ذلك
عند اول البعث ثم يشهدون بتبليغ الرسالة بعد ذلك قوله اذ قال الله بدل
من يوم يجمع او نصب بمضمر اي توبيخ للكفار بسؤال الرسل وقت قول الله
يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي بالنبوة عليك وعلى والدتك باصطفائها
على نساء العالمين بان وهبتك لها بلا اب دونهن اذ ايدتك اي حين قويتك
واعنتك بروح القدس اي بجبريل تكلم الناس حال من المفعول في ايدتك
في المهد وكهلا اي بعد ثلثين سنة وذلك حين اوحي اليه بالرسالة
يعني تكلمهم بالكلام المعجز في هاتين الحالتين من غير تفاوت كلامك
في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل قيل مكث
في الرسالة ثلث سنين ثم رفع الى السماء وهو ابن ثلث وثلثين سنة واذ
علمتك الكتاب اي الخط بالقلم والحكمة اي الفقه والمعرفة
والتورية والانجيل للحكم بهما بين الناس واذ تخلق من الطين كهيئة
الطير مفعول تخلق اي هيئة مثل هيئة باذني اي بارادتي وتيسيري فتنفخ
فيها والهاء يرجع الى الكاف في كهيئة اي هيئة مثل هيئة الطير ولا يرجع الى الهيئة
المضاف المضاف اليها لانها ليست من خلق عيسى ولا من نفخته بشيء فتكون اي تلك
طيرا بلا الف وطايرا باذني وتبرئ الاكمه اي تشفيه عطف على اذ تخلق
والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني اي تحييهم بالدعاء استجابتي اياه
واذ كففت اي منعت بني اسرائيل اي اليهود عنك حين هموا بقتلك
اذ جئتهم بالبينات اي بعلائم المعجزة والدلالة الواضحة فقال الذين
كفروا منهم اي اليهود ان هذا اي عيسى الا سحر مبين بالالف وبغيرها
اي ما هذا الفعل منه الا سحر ظاهر لا يخفى على من يراه او وصف عيسى بالسحر مبالغة
واذ اوحيت الى الحواريين اي الهمت اليهم او امرتهم على لسان رسولي ان امنوا بي
اي صدقوا بتوحيدي وبرسولي فلما بلغهم عيسى الرسالة قالوا امنا بالله
وبرسوله واشهد يا عيسى باننا مسلمون اي مخلصون من اسلم وجهه
لله اذا اخلص دينه له اذ قال ظرف لمسلمون او لمضمر اي اذكر وقت قال الحواريون

طلبا لنفس الفعل بالاستفهام لا شك فيه يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك
بالياء ورفع ربك كقولك لرجل هل تستطيع ان تقوم معي وانت تعلم انه قادر
على القيام معك او يستطيع بمعنى يطيع اي هل يجيبك ربك وبالتاء ونصب ربك
اي هل تقدر دعاء ربك بتقدير المضاف وهو يقتضي مفعولين الاول ربك
والثاني ان ينزل علينا مائدة من السماء اي خوانا فيه طعام قال عيسى ع م
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بالاخلاص فلا تسئلوا لانفسكم
البلاء قيل في هذا القول دليل على انهم كانوا شاكين في الايمان واجيب عنه
بان الخطاب ليس متوجها على الحواريين لما روي ان عيسى خرج الى المفازة واتبعه خمسة
الاف او اكثر من الناس يطلب بعضهم لمرض او علة من العمى والزمن او غير ذلك
ولم يكن معهم نفقة في ذلك فجاعوا فقالوا للحواريين قولوا لعيسى ع م ان
يسئل من الله مائدة من السماء فقال عيسى ع م قولوا لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين
قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا بانك رسول الله ونعلم ان قد صدقتنا
بانك الينا نبيا ونكون عليها من الشاهدين لله بالوحدانية والقدرة ولك بالرسالة
المدعوة اليه فثم قام عيسى ع م ولبس الصوف وصلى ركعتين وتضرع وبكى ثم قال
عيسى بن مريم داعيا ربه اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء صفة مائدة
اي كائنة منها تكون لنا عيدا حال اي كائنا لاولنا اي لمن في زماننا واخرنا
اي لمن ياتي بعدنا وانما سمي العيد عيدا لانه يعود مرة بعد مرة بالسرور ومن
عاد اذا رجع او المعنى نتخذ ذلك اليوم عيدا وكان ذلك يوم الاحد فصار عيدا لهم واية منك
اي ويكون نزول المائدة علينا علامة منك لرسالتي اليهم ثم قال تاكيدا
وارزقنا اي واعطنا تلك المائدة وانت خير الرازقين من غيرك وانما سال
ذلك عيسى ربه واجيب ليلزمهم الحجة بكمالها ويرسل العذاب عليهم اذا خالفوا
طاعته قال الله موحيا الى عيسى اني منزلها بالتشديد والتخفيف عليكم
بسؤالكم اياها مني فمن يكفر بعد اي بعد نزول المائدة منكم
بعيسى فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا لا اعذبه احدا من العالمين والضمير
فيه راجع الى العذاب بمعنى التعذيب يعني لا اعذب تعذيبا مثل تعذيب الكافر
بالله وبعيسى بعد نزول المائدة واكلها احدا من عالمي زمانهم ويجوز ان
يكون المراد جميع العالم مبالغة في الزجر لهم من الكفر روي ان المائدة نزلت
لانهم ردوها بعد التهديد والاصح انها نزلت بدعاء عيسى ع م في سفرة حمراء
بين غمامتين من فوقها وتحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم

فبكى عيسى عم وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا
تجعلها عقوبة فقال عيسى عم ليقم احسنكم عملاً فقال شمعون انت
اولى بذلك فقال بسم الله فكشف المنديل عنها فاذا فيها سمكة مشوية فيها
طعم كل شئ تسيل دسماً لا شوك فيها وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من جميع البقول ما خلا الكراث وخمسة ارغفة في واحد عسل وواحد زيتون
وواحد جبن وواحد قديد فقال شمعون امن طعام الدنيا ام من طعام
الآخرة فقال عيسى ليس منهما ولكنه شئ اختلقه الله بالقدرة العالية
كلوا من رزق ربكم واشكروا له يمددكم فقالوا له كن اول آكل منها فلنأكل من شالها
قبل فلم ياكلوا فاطعمها عيسى القافلة روى انه اكل منها الف رجل وقيل خمسة
آلاف رجل وشبعوا فاذا هي كهيئتها يوم نزلت وكانت تنزل ضحى وتطير
بعد الزوال فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال
يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها وكفروا فمسخوا قردة وخنازير
ثم هلكوا اجمعون قوله ﴿واذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ نزل تذكيراً لامة محمد عم
اي اذكر اذ قال الله حين رفع عيسى الى السماء ﴿ءانت قلت للناس﴾ بالاستفهام
عنه مع علمه تعالى لم يقل به اظهاراً لكذب بني اسرائيل حيث زعموا ان عيسى بن مريم
امرهم بقوله ﴿اتخذوني﴾ اي صيروني ﴿وامي الهين من دون الله﴾ للعبادة والصحيح ان
هذا السؤال عنه انما يكون يوم القيمة لان الاستفهام توبيخ واثبات للحجة
على قوم عيسى روى ان عيسى يدعى يوم القيمة ويدعى النصارى فيقفهم الله
ويسأله ليفضحهم على رؤس الاشهاد وقيل اذا سمع عيسى هذا الخطاب اخذته
الرعدة من هيبة ذلك السؤال حين سمع صوت عظامه في نفسه وانفجرت عين
دم من اصل كل شعرة ثم قال عيسى تبرئة لنفسه عن امره اياهم بذلك
﴿سبحانك﴾ اي انزهك تنزيهاً عن الشريك ﴿ما يكون﴾ اي ما يصح وما ينبغي
لي ﴿ان اقول ما ليس لي بحق﴾ اي قولاً لم ينسب لي بصدق وعدل ﴿ان كنت
قلته﴾ لهم ﴿فقد علمته﴾ اذ لا يخفى عليك شئ ما ﴿تعلم ما في نفسي﴾ اي معلومي
﴿ولا اعلم ما في نفسك﴾ اي معلومك وهذا من باب المشاكلة وهو من فصيح
الكلام ﴿انك انت علام الغيوب﴾ بضم الغين وكسرها اي
جميع غيب السموات والارض لانك خالقها ومالكها ﴿ما قلت﴾ اي ما ذكرت
﴿لهم الا ما الذي امرتني به﴾ اي بذكره لهم في الدنيا من التوحيد ثم فسر مذكوره

لهم بقوله ﴿ان اعبدوا الله﴾ اي وحدوه ﴿ربي وربكم﴾ صفة الله او القول
على معناه والمفسر هو المامور به المقول بتقدير قل بعد ان المفسرة لا الامر
لعدم استقامة المعنى لان الله تعالى لا يامر بان اعبدوا الله ربي وربكم
ولا القول لان الكلام يحكى بعده بلا توسط حرف التفسير ولا
يجوز ان يكون ان مصدرية فيكون بدلاً من ما امرتني او من
الهاء في به اما الاول فلانه يلزم ان يكون العامل فيه قلت
لان البدل في حكم تكرير العامل فيكون المعنى ما قلت لهم
الا عبادته والعبادة لا يقال واما الثاني فلبقاء الموصول بلا عايد
اليه لان البدل في حكم الساقط وقيل يجوز كونها مصدرية
بان يكون عطف بيان للهاء بدلاً وفيه نظر لعدم استقامة المعنى
بعين ما مر فالمعنى على ما قدرناه ما قلت الا ما امرتني ان قل لهم اعبدوا
الله وحدوه ﴿وكنت عليهم شهيداً﴾ اي على بني اسرائيل رقيباً امنعهم
من الكفر والمعصية بتبليغ الرسالة منك ﴿ما دمت فيهم﴾ اي
مقيماً بين اظهرهم في الدنيا ﴿فلما توفيتني﴾ اي قبضتني ورفعتني
الى السماء ﴿كنت انت الرقيب﴾ اي الشاهد والحفيظ عليهم
﴿وانت على كل شئ شهيد﴾ اي عليم بمقالتي وبمقالتهم وبما احدثوا
بعدي ثم بين الكلام على ان التي يدل على عدم الجزم بقوله ﴿ان
تعذبهم فانهم عبادك﴾ اي مالكهم ومتصرفهم لا اعتراض
عليك في تعذيبهم بعد استحقاقهم به ﴿وان تغفر لهم﴾ اي ان
تتجاوز عن ذنوبهم رد قولهم ﴿فانك انت العزيز﴾ اي القادر على الانتقام
من العاصي ﴿الحكيم﴾ في فعلك من الاثابة والعقوبة فانك لا تفعل
شيئاً الا عن حكمة وصواب لان المغفرة حسنة لكل مجرم
في العقل وان لم يكن في الشرع ﴿قال الله﴾ مخبراً عن كلامه
لعيسى عم بالسؤال الذي تقدم ذكره ﴿هذا﴾ اي هذا الكلام
الذي بيني وبين عيسى واقع ﴿يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ بالنصب
ظرف للخبر المحذوف لهذا وبالرفع خبر هذا ولم يبن لاضافته الى معرب
اي هذا اليوم ينفع الصادقين صدقهم المستمر بهم في الدنيا والآخرة
لصدق عيسى وغيره من الانبيا والمومنين ﴿لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابداً رضي الله عنهم﴾ بصدقهم وطاعتهم ﴿ورضوا عنه﴾

بالمغفرة وادخالهم الجنة برحمته ذلك اى الثواب المذكور
الفوز العظيم اى الظفر الكبير للمؤمنين الصادقين لله ملك السموات
والارض وما فيهن من الخلق فما عام يتناول العقلاء وغيرهم من
الاجناس كلها فهو الاحق بالالوهية والعبادة وحده لا كما زعم المشركون
ان عيسى اله او ابن الاله وهو على كل شئ قدير من الايجاد والاعدام كما يشاء
وخلق عيسى بنفخ الروح من غير اب كخلق ادم بلا اب وام

سورة الانعام مكية غير ست ايات او ثلث من قوله قل تعالوا وهى مائة وستون وخمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق السموات والارض حمد الله تعالى ذاته القديم على توحيده
الذى دل عليه خلق هذه الاجرام العظام التى يعجز عنه سواه اى جميع المحامد لله
الذى خلق السموات مع ما فيهما من الشمس والقمر والنجوم وخلق الارض مع ما فيها
من الجبال والبرايا والاشجار والثمار والبحار والانهار وجعل الظلمات والنور
اى احدثهما بعد خلق السموات والارض لان الظلمة الظل المنشاء من الاجسام
الكثيفة والنور الضوء المنشاء من النار وهما من الاعراض التى لا يقوم الا بالجواهر
قيل المراد بهما الليالى والانهار وانما جمع الظلمة دون النور لقلة النور وكثرة
الظلمات لان لكل كثيف ظلا وليس لكل شئ نور والفرق بين الخلق والجعل ان
فى الخلق معنى التقدير من العدم وفى الجعل معنى التصيير من الوجود ثم الذين
كفروا عطف على قوله الحمد لله بمعنى ان الله ما خلق ذلك كله الا نعمة للناس وغيرهم
فهو حقيق لكل الحمد على ما خلق ثم الذين كفروا اى جحدوا بربهم اى بتوحيده
يعدلون اى يشركون به غيره فيكفرون نعمته وثم لاستبعاد ان يعدلوا
به بعد وضوح ايات قدرته هو الذى خلقكم اى خلق اصلكم ادم من طين
اى كاينا منه لانه اخذ تراب من وجه الارض احمرها وابيضها واسودها
وغير ذلك ثم عجن بالماء العذب والمالح وغيرهما فتلونت ابدانكم واختلفت
اخلاقكم ثم جعل طينا ثم صور ادم منه ثم نفخ الروح فيه ثم قضى اجلا اى
مدة يعيشون بها الى الموت واجل مسمى مبتداء نكرة موصوفة خبره عنده
الى المدة التى هى من يوم الموت الى يوم البعث معلومة له مكتوب فى اللوح المحفوظ
ان البعث لواقع بعد انقضاء بها يوم القيمة وقدم الاجل تعظيما له وان كان
حق المبتداء النكرة التاخير ثم انتم تمترون اى تشكون فى البعث بعد الموت

وتستبعدونه بعد نصب الدلائل عليه وهى خلقكم من تراب وحيوتكم مدة وموتكم بعدها
وربكم اقدر على بعثكم من اول خلقكم وهو الله مبتداء وخبر وخبر اخر فى السموات وفى
الارض او متعلق بمعنى اسم الله اى هو الاله المعبود فيهما لا شريك له او المنفرد
بالتدبير فيهما او هو الذى يقال له الله فيهما لا يشرك به فى هذا الاسم كقوله هل
تعلم له سميا يعلم سركم اى علانية اعمالكم يعنى السر وجهركم عنده سواء فاخذركم
من عقابه ويعلم ما تكسبون من الخير والشر فيجازيكم بذلك فامنوا برسوله وما
انزل اليه قبل ان تجاوزوا ثم اخبر عن حال من اعرض عن الايمان بالرسول من المشركين
بقوله وما تاتيهم اى اهل مكة من اية اى علامة الوحدانية كانشقاق القمر واى
القران ومن زايدة فى الفاعل بعد النفى ومن فى من ايات ربهم تبعيض اى اية هى بعض
ايات خالقهم الا كانوا عنها معرضين اى تاركين الايمان بها بالتكذيب
نزل حين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم علامة على صدقه
فى دعوى الرسالة وقالوا نريد ان تدعو ربك لينشق القمر بنصفين وهم
ينظرون اليه فقالوا هذا سحر مبين فقال الله فقد كذبوا بالحق
الفاء فى جواب شرط محذوف تقديره ان كانوا معرضين عن الايمان
فقد كذبوا بما هو اعظم اية وهو الحق اى القران لما جاءهم يعنى استهزؤا
به وقالوا انه ليس بقران نازل من الله تعالى فسوف ياتيهم انباء اى اخبار
ما كانوا به يستهزؤن اى يستظهرون لهم وبال استهزائهم عند نزول
العذاب بهم اما فى الدنيا او فى الاخرة الم يروا كم اهلكنا من قبلهم
اى قبل اهل مكة من قرن اى جماعة متقرنين فى زمان واحد مكناهم اى
اعطيناهم مكانا فى الارض يعنى منزلا تمكنوا فيه بالمال والولد واسباب المعيشة
ما لم نمكن لكم يا اهل مكة فيه نقل من الغيبة الى الخطاب للتاكيد الا ذها وارسلنا
السماء عليهم مدرارا اى مطرا متتابعا عند الحاجة وهو حال من السماء
وجعلنا الانهار تجرى اى جارية من تحتهم فى بساتينهم الواسعة بانواع النعم
فكفروا بربهم كعاد وثمود وغيرهم فاهلكناهم بذنوبهم اى تكذيبهم
رسلهم وانشانا من بعدهم اى بعد هلاكهم قرنا اخرين اى جماعة اخرى لا تلوتهم
وذكر هذه الجملة لاظهار قدرته البالغة لاهل مكة ليحذروا فيؤمنوا يعنى لا يتعاظم
ان يهلك قرنا وبعدهم قرنا اخر اطوع ونصب قرنا على انه مفعول ثان لانشانا قوله
ولو نزلنا عليك كتابا اى مكتوبا فى قرطاس فلمسوه اى اخذوه بايديهم
معاينة لئلا يشكوا فيه لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين

... فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشق القمر بنصفين

اى ظاهر لكل انسان فلا يؤمنون به وقالوا لولا اى هلا انزل عليه ملك من
السماء نزل حين قالوا للنبى ع م انزل علينا كتابا مع ملائكة يشهد وان يصدقك
حتى نؤمن بك فقال الله ردا عليهم ولو انزلنا ملكا عليهم من السماء وعاينوه
ولم يؤمنوا لقضى الامر اى لوجب الحكم بهلاكهم عند حصول مرادهم ثم لا
ينظرون اى لا ينتظر بهم طرفة عين حتى يعذبوا او يهلكوا لعدم طاقتهم برؤيته ونوره
المحرق ارواحهم ولو جعلناه اى رسولهم ملكا لجعلناه اى الملك المرسل
رجلا اى على صورة البشر ليتمكنوا من رؤيته لضعف البشر عن مشاهدة
الملك وللبسنا اى ولخلطنا عليهم باذعاء الملكية لانه ملك
فى صورة رجل ما يلبسون اى ما يخلطون على انفسهم حينئذ فيقولون هذا
انسان وليس بملك فكذبوه فوقع الامر ملتبسا بالشك عليهم فخذلهم الله كما كانوا
مخذولين ثم سلى نبيه ع م ليصبر على اذائهم بقوله ولقد استهزئ برسل
من قبلك اى استهزاء هم قومهم المرسل اليهم كما استهزاء بك قومك
فى امر العذاب فحاق اى نزل واحاط بالذين سخروا منهم اى استهزؤا بالرسل
ما كانوا به يستهزؤن اى الشئ الذى استهزؤا به الرسل من الحق وهو
العذاب قوله قل سيروا فى الارض خطاب للنبى ع م ان يقول للمشركين
سافروا فى البلاد للتجارة وغيرها من المنافع او للاعتبار لمن مضوا من قبلهم
ثم انظروا بنظر العقل لا بنظر الغفلة كيف كان عاقبة المكذبين
بالكتب والرسل من المسخ والنسخ والخسف وغير ذلك من العذاب
وثم للتراخى والتباعد بين السير والنظر ثم قالوا للنبى ع م ان فعلت هذا الفعل
بنا لطلب المال فاترك هذا الفعل فنجمع لك ما لا تصير به اغنى اهل مكة فنزلت
قل لهم سائلا عنهم سؤال تبكيت لمن ما فى السموات والارض اى الذى فيهما
فان اجابوك بالحق فيها فنعمت والا فانت تقرر لهم قل ما فى السموات والارض
كله لله فلا تقدرون على ان يعطوا منى شيئا الى غيره هو القادر على الاعطاء
والمنع ثم قال استعطافا لهم ليؤمنوا به كتب على نفسه الرحمة اى
اوجبها على ذاته الكريم فلا يعاجلكم بالعقوبة فى الدنيا قال ع م ان لله مائة رحمة
انزل منها واحدة فقسمها بين الخلق فبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على اولادها
وادخر لنفسه تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة
ثم قال مقسما والله ليجمعنكم فى قبوركم الى يوم القيمة واللام فيه جواب

قسم محذوف دل عليه كتب او الى بمعنى فى اى فى يوم القيمة لا ريب فيه اى فى
الجمع وهو البعث ثم قال تخويفا لهم الذين خسروا انفسهم اى باغوائها فى
علم الله تعالى باختيار شهواتها بدل ما اعد لهم من النعيم فى الجنة وهو
مبتدا خبره فهم لا يؤمنون بالبعث لانه محكوم عليهم بالعذاب قوله
وله ما سكن مبتدا وخبر اى لله كل ما استقر فى الليل والنهار من
الدواب والطيور فى البر والبحر فمنه ما يحل فى الليل وينتشر فى النهار
ومنه ما يحل بالنهار وينتشر بالليل وهو السميع العليم فلا يخفى عليه شئ
مما يشتمل عليه الليل والنهار من الاقوال والافعال ثم قالوا للنبى ع م ان اباءك
كانوا على ديننا فارجع الى دين ابائك حتى نغنيك بالمال فقال الله تعالى قل اغير
الله اتخذ وليا اى اعبد ربا غير ربى الله فاطر السموات بالجر صفة الله
اى خالقها وخالق الارض والفطر انشاء الخلق من غير مثال وهو من الصفات
الخاصة بالله تعالى وهو يطعم ولا يطعم اى يرزق ولا يرزق قل انى امرت
ان اكون اول من اسلم من اهل مكة او من هذه الامة وقيل له ولا تكونن
من المشركين بقولهم لك ارجع الى دين ابائك يعنى امرت بالاسلام ونهيت عن
الشرك قل انى اخاف ان عصيت ربى بالرجوع الى ما دعوتمونى اليه من عبادة
غيره عذاب يوم عظيم وهو يوم القيمة من يصرف عنه مجهولا والضمير فيه
للعذاب ونفى عنه لمن فيكون يومئذ ظرفا ليصرف ومعلوما والضمير فيه
لله ونفى عنه للعذاب والمفعول محذوف اى من يصرفه الله عن العذاب
فقد رحمه اى فقد عصمه برحمته ومغفرته وذلك اى صرف العذاب عن
الانسان الفوز المبين اى النجاة الظاهرة قال ع م لا ينجو احد بعمله قالوا ولا
انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته ثم قال تعالى تخويفا
لنبيه من الرجوع عن دينه وان يمسسك الله اى ان يصبك بضر اى
بشدة وبلاء من المرض وغيره فلا كاشف له الا هو اى لا يقدر احد ان يدفعه
عنك الا الله لا الصنم وغيره من الهتهم التى يدعونك الى عبادتها
وان يمسسك بخير اى ان يصبك بسعة وصحة فهو يقدر على ذلك دون
غيره لانه على كل شئ قدير من اعطاء الخير ومنع الضر وهو القاهر اى الله
هو الغالب فوق عباده حال من الضمير فى القاهر اى مستعليا عليهم بتدبير
امورهم من النفع والضر حسب اقتضاء الحكمة والمراد من العباد المملوكون
لا من يصدر منهم العبادة وهو الحكيم فى امره وتدبيره الخبير بافعال عباده

ومصالحهم ثم قالوا للنبي عم اما وجد ربك رسولا غيرك اذ نا من يشهد
انك رسول وما نرى من اهل الكتاب احدا يشهد برسالتك فنزل
قل اي شيء اكبر شهادة نصبه تمييز اي اعظم حجة وبرهانا على صدق
رسالتي فان اجابوك والا فانت قل الله اكبر شهادة بحذف الخبر ليطابق
الجواب السؤال وقد ربعده هو مبتدا خبره شهيد اي الله شهيد بيني
وبينكم جملة اسمية وقعت موقع الجواب لان الله اذا كان شهيدا بيني
وبينهم فهو اكبر شيء شهادة له اي هو يشهد باني رسول الله اليكم
والشهيد بمعنى الشاهد وهو المبين للحق المبهم واوحي الي هذا القرآن
لانذركم به اي لاخوفكم بالقرآن يا اهل مكة وابشركم قوله ومن بلغ
عطف على كم في انذركم اي وانذر من بلغه القرآن وابشر الى يوم القيمة
قال عم بلغوا عني ولو آية ومن بلغه القرآن فهو نذير له قيل من بلغه
القرآن فكانما رأى محمدا عم ثم استفهم عنهم موبخا بقوله مع الانكار
ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى من الاصنام فان قالوا
نعم فانت قل لا اشهد مثل شهادتكم قل انما هو اله واحد اي بل اشهد انه
اله واحد لا شريك له وانني بريء مما تشركون به من الاوثان ثم قال تقريرا
لنبوة محمد عم الذين آتيناهم الكتاب اي التورية والانجيل يعرفونه اي
محمدا ونعته معرفة حقيقية بالكتاب كما يعرفون ابناءهم بنعوتهم
وحلاهم قال عبد الله بن سلام انا اعرف بالنبي عم مني لابني لاني اشهد انه
رسول الله ولا اشهد لابني انه ابني لاني لا ادري ما احدث النساء
بعدي ثم ميز عنهم بعضهم بقوله الذين خسروا انفسهم في علم الله تعالى
باختيار الشرك مكان التوحيد فهم لا يؤمنون بمحمد عم او بالبعث كعب
بن الاشرف واصحابه ومن اظلم ممن افترى اي اختلق على الله كذبا
حيث قالوا والله امرنا باتخاذ الآلهة وقالوا الملائكة بنات الله وغير ذلك
مما نسبوا اليه من الحلال والحرام كذبا او كذب باياته اي بالقرآن انه
ليس من الله انه لا يفلح الظالمون اي الكافرون من عذابه قوله ويوم
نحشرهم نصب بعامل محذوف ليكون ابلغ في التخويف بسبب الابهام
اي يكون كيت وكيت يوم نجمعهم اي العابد والمعبود من الصنم
جميعا يوم القيمة ثم نقول بالنون في الفعلين للتعظيم للذين اشركوا
بالله آلهة اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انهم آلهة تعبدون

من دون

قوله كذبوا وضل بصيغة الماضي للتحقق و توعه وان كان التعبير بصيغة المضارع

من دون الله باشراكهم معه ليشفعوا لكم ثم لم تكن بالياء والتاء ورفع
فتنتهم اي قولهم او معذرتهم اسم كان الا ان قالوا في محل النصب
خبر كان ونصب الفتنة خبر كان واسمها ان قالوا عكس الاول اي
ثم لا تكون ضلالتهم ونفاقهم الا قولهم والله ربنا بجر الباء
صفة لله ونصبها نداء وجواب القسم ما كنا مشركين بك شيئا
قالوا بهذا الكذب حيرة ودهشة من غير تمييز بين النافع وغير النافع
قال الله تعالى لمحمد عم تعجيبا من حالهم انظر كيف كذبوا على انفسهم
اي كيف صاروا بال كذبهم على نفوسهم وضل اي غاب عنهم
ما كانوا يفترون في الدنيا من الوهية اصنامهم وشفاعتها لهم
قوله ومنهم من يستمع اليك نزل في شان النضر الذي كان يخبر اهل
مكة بقصص المتقدمين وسيرهم فقالوا له ما نرى فيما يقول محمد عم
قال ما ادري ما يقول وما افهم شيئا منه ولا ادري الا انه من اساطير
الاولين كحديث رستم واسفنديار وهذا غاية في التكذيب فقال
تعالى تجهيلا لهم ومنهم من يستمع الى حديثك وقراءتك وجعلنا
على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه محله نصب على انه مفعول له
اي لئلا يفهموا القرآن وفي آذانهم وقرا اي ثقلا وصمما لئلا يسمعوا
يعني جعلناهم كانهم مجبولون على ذلك فلا ينفعهم استماعهم
لحسدهم وسوء نيتهم وان يروا كل آية اي علامة دالة على
صدقك لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك اي يخاصمونك
بالباطل ويدحضون به الحق وهو القرآن ويقولون انه ليس من
الله يقول الذين كفروا ان هذا اي ما القرآن الا اساطير الاولين اي
اكاذيب المتقدمين جمع اسطورة وهي التي سطرت في القرطاس مما
لا نظام له من البسابس قوله وهم ينهون عنه نزل في شان ابي
طالب واصحابه من اهل مكة كان يقول للنبي عم حين عرض الاسلام
عليه قال لولا ان تعيرني قريش بالاسلام لاقررت به عينك و
لكني اذب عنك ما دمت حيا فقال الله تعالى وهم اي بعض اهل
مكة ينهون الناس يعني قريشا عن ايذاء محمد عم وينأون عنه اي و
يتباعدون عن اتباع دينه وقيل نزل في حق المشركين اي انهم
ينهون الناس عن ان يتبعوا النبي عم والقرآن ويبعدون عن ذلك

فيحلفون بالكذب لحيرتهم ودهشتهم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم في الآخرة بنفع شركهم في الدنيا

ما كراهة ان يسمعوه

كراهة ان يفهموه

نهم يضلون ويضلون وان يهلكون اي ما يهلكون الا انفسهم
وما يشعرون بهلاكهم ولو ترى يا محمد اذ وقفوا اي حبسوا او عرضوا
على النار لرايت امرا عظيما قيل يوقف جميع الناس على متن جهنم
ثم ينادي مناد خذي اصحابك ودعي اصحابي فقالوا اي اصحاب النار
يا ليتنا نرد اي نرجع الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا اي بالقران
ونكون من المؤمنين بمحمد عم بنصب الفعلين في جواب التمني باضمار
ان بعد الواو والفاء وبرفعهما على معنى الخبر عن المبتدا اي نحن لا نكذب
ونكون وبرفع الاول اخبارا وبنصب الثاني تمنيا المعنى لو رددنا لم نكذب
ونكن من المؤمنين ثم ضرب الله تع عن تمنيهم ردا عليهم فقال بل بدا
اي ظهر لهم ما كانوا يخفون من الناس من اعمالهم القبيحة ونفاقهم
من قبل اي في الدنيا بالسنتهم يوم القيمة بشهادة جوارحهم بالشرك
والمعاصي فحينئذ يتمنون الرجعة الى الدنيا ولو ردوا الى الدنيا فرضا
لعادوا اي لرجعوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون
في قولهم لم نكذب ولم نكن من المشركين قيل المتمني لا يكون كاذبا فكيف
قال وانهم لكاذبون اجيب بان هذا التمني قد تضمن معنى الوعيد لا
فجاز ان يتعلق به الكذب وهذا كما ترى انسانا في الدنيا اصابه مرض
او حبس فاخلص بالتوبة لله ووعد الاحسان الى الفقراء ثم اذا
برأه من المرض او اطلق من الحبس رجع الى حالة الاولى وعطف قوله
وقالوا على لكاذبون اي وانهم الذين قالوا ان هي اي وما الحيوة الا
حيوتنا الدنيا فتنقضي اجالنا فنموت وما نحن بمبعوثين بعد الموت
فبين الله تعالى حالهم يومئذ بقوله ولو ترى يا محمد اذ وقفوا
اي عرضوا على ربهم للحساب والجزاء فيومئذ قال لهم الله اليس
هذا اي البعث والجزاء بالحق اي بالصدق قالوا اي الكفار مقرين
ومقسمين بلى البعث حق وربنا في وقت لا ينفعهم الاقرار والقسم
قال تع فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي تجحدون البعث فقال
قد خسر اي غبن الذين كذبوا بلقاء الله اي بالبعث حين اختاروا
العذاب على الثواب بالجحد في الدنيا حتى اذا جاءتهم الساعة اي
يوم القيمة بغتة اي فجاة وحتى غاية لكذبوا لا لخسروا اذ لا غاية
لخسرانهم قالوا يا حسرتنا اي ندامتنا دون حسرتهم لتفريطهم

في

في الدنيا وهي شدة الندامة قائلين يا شدة ندامتنا على ما فرطنا فيها اي
قصرنا في العمل بما امرنا الله في الدنيا وقيل المراد من الساعة الموت
فيحشرهم عند موتهم وتسمى بها لانه من مقدماتها وهم يحملون
اوزارهم اي اثامهم على ظهورهم وقيد الحمل بالظهر لان الحمل يكون
عليه غالبا الا ساء ما يزرون اي بئس ما يحملونه من الوزر وهو
الثقل وما الحيوة الدنيا اي اعمالها الا لعب ولهو اي باطل وغرور
واشتغال بما لا يعني لعدم النفع في عقبها كلعب الصبيان يبنون
بنيانا ويلهون به ساعة ثم يهدمونه ويرجعون كذلك اهل الدنيا
يجمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون
ثم يموتون وللدار الاخرة بلامين صفة وموصوف وبلام واحد
وجر الاخرة مضاف ومضاف اليه اي دار الساعة الاخرة وهي الجنة خير
للذين يتقون الشرك والمعاصي من الدنيا ولذاتها افلا تعقلون
بالتاء والياء ان الاخرة افضل من الدنيا قوله قد نعلم انه ليحزنك
بفتح الياء وضم الزاء وبضم الياء وكسر الزاء اي ليغمك الذي يقولون
نزل حين قال ابو جهل انا لا نكذبك يا محمد بل نكذب ما جئت به
تسلية له ووعدا ووعيدا لهم وقد نعلم للتحقيق او للتكثير اي
كثيرا علمنا ان الشان ليحزنك الذي يقولونه من التكذيب فيك و
فيما جئت به لانهم اذا كذبوا ما جاء به فقد كذبوه قيل جاءه
جبرئيل وهو حزين فقال ما يحزنك قال عم كذبني هؤلاء يعني قريشا قال
فانهم لا يكذبونك بالحقيقة لانهم يعلمون انك صادق قرئ
بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد ومعنى التخفيف لا يجدونك كاذبا
ومعنى التشديد لا ينسبونك الى الكذب ولكن الظالمين بايات الله
الدالة على صدقك يجحدون مع علمهم بانها حق منه تع لان
الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره والباء يتعلق بالجحد المتعدي
بنفسه لا بالظلم لتضمن الجحد معنى التكذيب وفيه تهديد لهم
يعني لا يكذبونك ولكنهم يكذبونني وهذه الطريقة ادل على اثبات
التكذيب له عم ثم قال تسلية له عم ولقد كذبت رسل من قبلك
فصبروا على ما كذبوا اي على كذبهم قومهم واوذوا اي صبروا
على ما اذاهم قومهم كما كذبك قريش واذوك حتى اتاهم نصرنا

يأملون

الذي وعدناهم من الاهلاك بالعذاب ولا مبدل لكلمات الله اي
لا مغير لوعد الله بالنصرة للانبياء ووعيده بالعقوبة للكفار ولقد
جاءك من نبإ المرسلين اي خبر من اخبارهم فالفاعل مضمر ونبإ
المرسلين ومن زائدة كما ذهب اليه الاخفش اي لقد جاءك
كيف انجيتهم وكيف اهلكت قومهم ونزل حين كان يكره النبي عم
كفر قومه وهلاكهم ويحب ان يجيء الايات على صدقه ليؤمنوا
به قوله وان كان الشان كبر اي عظم عليك اعراضهم عن الايمان
ولا تصبر على تكذيبهم اياك فان استطعت اي قدرت ان تبتغي
اي تطلب نفقا في الارض اي منفذا ينفذ الى ما تحت الارض حتى
تخرج لهم آية يؤمنون بها او سلما في السماء اي مصعدا اليها
فتاتيهم بآية كذلك فافعل وهو جزاء الشرط بالاضمار يعني انت عاجز
لا تقدر عليه بغير اذن الله فكيف يكره عليك اعراضهم عن الايمان
ولو شاء الله مشيئة قدرة لجمعهم على الهدى اي على الايمان
بآية ملجئة اليه ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة اذ هي في تكليفهم
وتركهم باختيارهم فلا تكونن من الجاهلين بقدرتي على ذلك او
بالحكمة والطالبين لما هو على خلافها وقيل خاطب النبي عم واراد
به قومه الذين آمنوا فانهم لما وعد الله النصرة للنبي عم تعجلوا
بذلك وبهلاك الكفار قوله انما يستجيب الذين يسمعون جواب
للنبي عم حين حرص على هدايتهم واجتهد ان يؤمنوا به وبالقرآن
ولم يؤمنوا لعدم سمعهم كالموتى اي انما يطيعك الذين يسمعون كلام
سماع قبول ليتعظوا ويهتدوا دون الذين لا يسمعون ولا يعقلون
المواعظ لانهم بمنزلة الموتى لا منفعة لهم في حيوتهم والموتى
مبتدأ وهم كفار مكة الذين لم ينتفعوا بكلامه يبعثهم الله خبره
اي يحييهم بعد الموت ثم اليه يرجعون فيسمعون فيجازيهم
باعمالهم وهذا مما يؤكد ان الله قادر على الهداية بمشيئة القهر
والجبر لان القادر على احياء الموتى قادر على هداية الضال قوله
وقالوا اي اهل مكة لولا اي هلا نزل عليه آية ملجئة من ربه نزل
حين لم يعتقد كفار مكة الايات المعقولة النازلة من اللوح على النبي عم
بل سألوا ان ينزل عليه آية ظاهرة من السماء فيبصروها بعيونهم

ليؤمنوا

ليؤمنوا فقال تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل آية كما سألوك بحيث تلجئهم
الى الايمان كنتق الجبل لبني اسرائيل ولكن اكثرهم لا يعلمون ما يكون عليهم
بعد ذلك فانها لو نزلت ولم يؤمنوا لاهلكوا بالعذاب في الدنيا والاخرة
وما من دابة اي ما حيوان يتحرك فمن زائدة بعد النفي للتاكيد الدال
على معنى الاستغراق المغني عن الجمع الدال على العموم في الارض اي في جميع
الارضين فذكره افاد زيادة التعميم والاحاطة ولا طائر بالجر عطف
على دابة اي ولا من طائر قط يطير بجناحيه في جو السماء وهو تاكيد
النفي المجاز اذ يقال لغير الطائر طائر في الامر اذا اسرع فيه الا امم اي
اصناف امثالكم في الخلق والموت والحيوة والغذاء وطلب الرزق
يعني هي تشبهكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها والغرض من ذكر
ذلك الدلالة على عظم قدرته تعالى ولطف علمه وسعة سلطانه
وتدبيره وقيل في المعرفة والتوحيد في التمييز بينهم لانها تعرف
باسمائها كبني آدم ما فرطنا اي ما اغفلنا في الكتاب اي في اللوح
المحفوظ من شيء اي شيئا من الاشياء فمن زائدة للتاكيد يعني
كل شيء ثابت فيه من غير نقصان فلا يخفى علينا علمه وتدبيره
ثم الى ربهم يحشرون اي الطيور والدواب كلها تحشر يوم القيمة
الى الله وينصف بعضها من بعض بعدله ثم يقول كوني ترابا فيتمنى
الكافر ان لو كان ترابا قيل هذا على سبيل الحقيقة لا على وجه المثل
لانه وان لم يجر عليهم القلم في الاحكام لكن فيما بينهم مواخذون
به كالعقلاء عند الله قوله والذين كذبوا باياتنا بالقرآن ومحمد عم
صم اي ذو ثقل في آذانهم لا يسمعون خيرا وبكم اي خرس لا ينطقون
خيرا نزل حين اعرضوا عن الايمان بعد نزول ما يدل على ربوبية الله
ووجوب الايمان به اظهارا لانقطاع لطفه عنهم وثبوت القساوة
في قلوبهم فاخبر بانهم في الظلمات اي في الضلالات البعيدة التي
هي خواص اهل الطبع من يشاء الله اي ضلاله يضلله اي يخذله لانه
ليس من اهل اللطف فيموت على الكفر ومن يشاء يجعله على صراط
مستقيم اي يلطف به فيستنقذه من الكفر فيموت على الايمان ثم
قال تبكيتا لهم قل ارأيتكم بتخفيف الهمزتين وبابدال الثانية الفا او
بجعلها بين الهمزة والالف وبحذف الثانية والتاء مفتوحة مع الكاف

الزائدة لبيان الخطاب في الواحد والاثنين والجمع مذكرا كان المخاطب
او مؤنثا ولا محل لها من الاعراب لكونها حرفا والاستفهام فيه
لطلب الراي منهم اي اخبروني عن عبادتكم الاصنام هل
تنفعكم ان اتاكم شرط اي ان نزل بكم عذاب الله في الدنيا
او اتتكم الساعة اي القيمة وجواب الشرط محذوف وهو من تدعون
لدفع العذاب عنكم ثم قال توبيخا لهم بالاستفهام اغير الله تدعون
عند نزول عذاب الدنيا بكم ان كنتم صادقين ان اصنامكم
تنفعكم فادعوه ليدفع عنكم العذاب وهذا تعجيز لهم يعني انكم
لا تدعون غير الله حينئذ بل اياه تدعون اي بل تخصونه بالدعا
دون الاصنام فيكشف اي الله ما تدعون اي العذاب الذي
تدعون الله اليه اي الى كشفه عنكم ان شاء كشفه لحكمة لاته
فضل منه وفضل الله يؤتيه من يشاء والمراد كشف العذاب
في الدنيا لان عذاب القيمة لا ينكشف عنهم ابدا وتنسون
اي وتتركون ما تشركون به من الاصنام لعلمكم انها لا ينفعكم
اذا نزل بكم بأسه ثم بين اخبار الامم الماضية لكي يعتبروا فيؤمنوا
بقوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك انبياء فكذبوهم
فاخذناهم بالبأساء اي بالشدة وهي الجوع والضراء اي النقص
في الانفس والاموال لعلهم يتضرعون اي يتوبون ويخشعون
لربهم قوله فلولا كلمة تنديم الامم على ترك التوبة اي هلا اذ
جاءهم بأسنا اي عذابنا تضرعوا اي يخشعوا وتابوا وهو عامل
في الظرف قبله يعني لم يتضرعوا اذا جاءهم عذابنا ليرفع عنهم العذاب
ولكن قست اي يبست بالكفر قلوبهم وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون من الشرك والمعاصي فلما نسوا اي تركوا ما ذكروا به
الامم الماضية من المواعظ والانذار يعني لما لم ينتفعوا بها ولم ينزجروا
عن افعالهم السوء فتحنا بالتخفيف والتشديد عليهم ابواب
كل شيء من نعم الدنيا كالصحة والسعة باصناف النعمة فتح ابتلاء
حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم والرخاء فلم يعتبروا ولم يتوبوا
اخذناهم بغتة اي اصبناهم بالعذاب فجاة فاذا هم مبلسون
اي آيسون من كل خير فقطع دابر اي آخر القوم الذين ظلموا انفسهم

بالشرك

بالشرك والمعاصي يعني استؤصلوا ولم يترك منهم احد والحمد لله رب العالمين
على هلاك الظالمين واستيصالهم وهذا كلام منه تعالى على وجه التعليم
لان ذلك من اجل النعم فيجب الحمد عليه على كل من آمن به ثم دل على توحيده و
قدرته على كل شيء يريد ان يفعله من الخير والشر مخاطبا لاهل مكة ليعتبروا
فيؤمنوا بقوله قل يا محمد لاهل مكة ارايتم اي اخبروني ان اخذ الله سمعكم شرط
اي ان اصمكم وابصاركم اي ان اعماكم وختم على قلوبكم اي طبعها بالختم
بان ينزل ما يذهب بفهمكم وعقلكم وجواب الشرط من اله غير الله يأتيكم به
اي هل احد غيره يرد عليكم ما اخذ منكم وختم عليه والاستفهام فيه تجهيل
لهم انظر كيف نصرف الآيات اي نبين العلامات الدالة على صدقكم ثم
هم يصدفون اي يعرضون عن الايمان بك بعد مجيء هذه الآيات قل ارايتكم
ان اتاكم عذاب الله بغتة اي حال كونه واقعا من غير ان يشعر به او جهرة
اي معاينة هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب الا القوم الظالمون انفسهم
بالكفر والاستفهام فيه للتقرير قوله وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
حث على الايمان بهم اي لم نرسلهم عبثا ولتتخذوا سخريا بل ارسلنا الرسل
مبشرين بالجنة لمن اطاع الله ومنذرين بالنار لمن عصاه فمن آمن بالرسل
واصلح اي اخلص بالعمل بعد الايمان فلا خوف عليهم من اهوال القيمة
ولا هم يحزنون من حرمان المغفرة ودخول الجنة والذين كذبوا بآياتنا
بالقرآن يمسهم العذاب اي يصيبهم بما كانوا يفسقون اي بفسقهم
وهو خروجهم عن طاعة الله فلا يعذب احد بغير ذنب قوله قل لا اقول
لكم عندي خزائن الله جواب لقولهم لولا انزل آية من ربه لنؤمن
اي ليس عندي مفاتيح الرزق حتى اعطيكم ما تسئلونه مني لان
ذلك خاصة الالوهية ولا اعلم الغيب من جملة المقول اي
ولا اقول لكم اعلم الغيب حتى اخبر بما كان وما يكون كنزول العذاب
بكم او المطر عليكم ولا اقول لكم اني ملك نزلت من السماء فتستنكروا
قولي بل ادعي اني بشير عليكم بشر مثلكم ارسلت اليكم كما ارسل النبيون
الى قومهم ان اتبع اي ما اتلوا الا ما يوحى الي من القرآن المعنى اني لا ادعي الالهية
ولا ادعي الملكية فاقدر ما لا يقدر عليه البشر بل ادعي ما مثله كان لكثير
من النبيين وهو الوحي بالنبوة فلا تستبعدوه مني قل هل يستوي
الاعمى اي الجاهل او الكافر والبصير العالم او المؤمن افلا تتفكرون في

عدم استوائهما فتؤمنوا وفي مواعظ القرآن وامثاله فلا تكونوا ظالمين
كالعميان قوله وانذر به اي خوف بالقرآن الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم امر للنبي عم بالانذار لاهل الكتاب بعد انذار المشركين لان الحجة
عليهم اوجب لاقرارهم بالبعث بتلاوة الكتاب ويجوز ان يكون
المراد المسلمين ليمتنعوا عن المعاصي بعد الايمان بالانذار ليس لهم
من دونه اي من عذاب الله ولي اي قريب في الدنيا ينصرهم ولا شفيع
لهم في الاخرة ومحل هذه الجملة نصب على الحال من ضمير يخافون يعني خوفهم
بالقرآن لعلهم يتقون الله فينزجرون عن الكفر والمعاصي قوله ولا تطرد
الذين يدعون ربهم اي يعبدونه ويتضرعون اليه بالدعاء بالغداة
وقرئ بالغدوة والعشي اي دائما وقيل المراد الصلوات الخمس نزل حين
قالت قريش كاقرع بن حابس واصحابه تدني اليك هذه السفلة يعنون
عبد الله بن مسعود وصهيبا وبلالا وامثالهم ونحن سادات
قومك فلو ادنيتنا لاسلمنا فهم النبي عم ان يفعل ذلك رجاء حسن اسلا[مهم]
فنهى الله عن طردهم تكريما لهم ثم وصفهم بالاخلاص في العمل بقوله
يريدون بعملهم وجهه اي ذاته تعالى لا شيئا آخر منه وهو نصب على
الحال من ضمير يدعون ثم تكلموا في دينهم وطعنوا في اخلاصهم عند
النبي عم فنزل ما عليك من حسابهم من شيء مبتدأ ومن زائدة وعليك
خبره ومن حسابهم بيان له اي حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم
اليك ان كان في باطنهم امر غير مرضي وما من حسابك عليهم من شيء اي
وحسابك عليك لا يتعداك اليهم والجملتان بمنزلة جملة واحدة في قصد
معنى واحد وهو لا يواخذ كل منكما بكسب صاحبه كقوله ولا تزر وازرة
وزر اخرى يعني لا يلزمك الا اعتبار الظاهر وسيرة الاتقياء وان كان لهم
باطن غير مرضي قوله فتطردهم نصب في جواب النفي اي لا تكلف امرهم
فتطردهم من مجلسك فتكون من الظالمين ان طردتهم من مجلسك ثم
قال تعالى وكذلك اي ومثل ذلك الاختبار فتنا اي اختبرنا بعضهم اي بعض
الناس ببعض يعني ابتلينا الغني بالفقير والشريف بالوضيع فاذا راى
الاغنياء الفقراء والشرفاء الوضعاء سبقوهم بالايمان امتنعوا ان
يؤمنوا تكبرا اي خذلناهم بالافتتان ليقولوا اي المشركون احتقارا
اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي انعمهم الله بالاسلام دوننا فضلهم

علينا ولو كان الايمان خيرا ما سبقونا اليه ثم قال الله مستفهما
تقريرا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يعرف الله ويشكر نعمته منكم
من غيرهم والعامل اعلم في بالشاكرين لانه ظرف ولا يعمل افعل
التفضيل في المفعول الصريح قوله واذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا وهم الضعفة من المسلمين نزل اكراما لهم اي اذا اتاك
المقرون بالقرآن العاملون به فقل سلام عليكم اي الله اعلمهم بالسلام
اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وبشرهم بقولك لهم كتب ربكم
اي اوجب على نفسه الرحمة لكم بقبول توبتكم وعذركم انه بفتح
ان بدلا من الرحمة وبكسرها استينافا فكان سائلا قال ما رحمته
فقيل انه اي ان الشان من عمل منكم سوءا اي ذنبا بجهالة
اي جاهلا بتحريمه او جاهلا بجلالة ربه لايثاره المعصية على
طاعته ثم تاب اي رجع اليه من بعده اي بعد عمله المعصية
واصلح اي اخلص العمل تائبا فانه بالفتح على انه مع ما بعده مبتدأ
وخبره محذوف تقديره فله انه وبالكسر استينافا اي ان الله
غفور بالتجاوز عن ذنبه رحيم بقبول توبته والفاء في جواب
شرط متقدم وهو من عمل وقيل نزلت الاية في قوم جاؤوا الى
النبي عم قد اصابوا ذنوبا عظاما فاعرض عنهم وكذلك اي مثل
ذلك البيان نفصل اي نبين شيئا بعد شيء الايات اي ايات القرآن
ليعرف المؤمنون لماذا يؤمنون ولتستبين اي ولتعرف سبيل
المجرمين اي طريق الكافرين لماذا لا يؤمنون فانهم اذا راوا الضعفاء
يؤمنون بك ابوا عن الايمان تكبرا وحسدا قرئ بنصب السبيل مفعولا
وتاء لتستبين على خطاب الرسول وبرفع السبيل مع التاء والياء
في تستبين فاعله والطريق يذكر ويؤنث ومعناه ليظهر طريقهم
ثم قال قل يا محمد استجهالا لهم اني نهيت اي زجرت من الظاهر
والباطن يعني سمعا وعقلا ان اعبد الذين تدعون اي تعبدون
من دون الله اي غيره من الاصنام وامرت ان اعبد الله وحده
فانتم في عبادة غيره على غير بصيرة باتباع الهوى قل لا اتبع اهواءكم
في طرد الضعفاء المسلمين عن مجلسي وعبادة الاوثان وترك دين
الاسلام قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم في ذلك وما انا من المهتدين

اي علي طريق الحق ان فعلت ذلك قل اني علي بينة اي علي حجة واضحة
وهي القرآن المنزل من ربي وكذبتم به اي بالقرآن وهو حال بتقدير
قد فقال النضر بن الحارث وان كان ما يقول حقا فاتنا بعذاب
من عند ربك فقال تعالى قل ما عندي اي ليس عندي الذي ما تستعجلون به
اي العذاب ان الحكم اي ما القضاء في نزول العذاب الا لله يقضي الحق
بالضاد المعجمة من القضاء اي يحكم الحكم الحق وبالصاد المهملة والتشديد
من القصص اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقرره من قص اثره اذا
اتبعه وهو خير الفاصلين اي الحاكمين قل لو ان عندي اي في قدرتي
واختياري ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم
اي لا تم امر حد الكم مني بان اهلكتم بالعذاب عاجلا وتخلصت منكم
سريعا والله اعلم بالظالمين اي بعقوبتهم يعني هو اعلم متى تنزل
بهم العذاب ويجب بالحكمة وعنده مفاتح الغيب اي لله مخصوص
بثبوت الطرق الموصلة عنده الى علم الغيب فلا يتوصل اليه غيره
جمع مفتح وهو المفتاح وقيل جمع مفتح وهو المخزن والمراد علم جميع المغيبات
كمجيء المطر ونزول العذاب وغيض الارحام من ذكر وانثى وما في غد و
الموت في اي مكان يقع وقيام الساعة قوله لا يعلمها الا هو نصب علي
الحال وعاملها الظرف الذي ارتفع به مفاتح اي حال كونه لا يعلم الطرق
الموصلة الى علم الغيب الا هو فهو يعلم فتح المغيبات لكون المفاتح في يده
كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها وما في المخازن ثم قال توضيحا
لذلك ويعلم ما في البر من النبات والحب والنوى والبحار اي ويعلم ما في
البحر من الدواب وغيرها وما تسقط من ورقة الا يعلمها اي لا تسقط
ورقة من الشجر الا يعلم متى وقعت سقوطها واين مسقطها وعددها
واحوالها قبل السقوط وبعده ولا حبة عطف علي ورقة اي و
لا تسقط حبة من الحبوب في ظلمات الارض اي خبايا الارض
التي تخرج منها النبات ولا رطب ولا يابس اي لا حي ولا ميت او لا قليل
ولا كثير عطف علي ورقة علي طريق الادخال في حكمها كالتذييل وما سقط
شيء من جميعها الا في كتاب مبين اي في علم الله او في اللوح وهو كالتكرير
لقوله الا يعلمها وهو الذي يتوفيكم اي يقبض ارواحكم بالليل اي فيه
اذا نمتم ويعلم ما جرحتم اي كسبتم من خير وشر بالنهار اي فيه من

به

الآنام

الانام وغيرها ثم يبعثكم اي يوقظكم من النوم فيه اي في النهار ليقضى
اجل مسمى اي ليتم اجلكم المعلوم عنده وهو مدة الحيوة ثم اليه مرجعكم
اي مصيركم بعد الممات الى موقف حسابه ثم ينبئكم اي يعلمكم بما كنتم
تعملون من خير وشر فيجازيكم به قيل اذا نام الانسان يخرج منه الذهن
وهو بلسان الفارسية روان ولا يخرج روحه والا لمات وقيل يخرج و
يبقى الحيوة وقيل النوم امر لا يعرف حقيقته الا الله ثم قال وهو القاهر
فوق عباده اي هو الغالب عليهم يتصرف فيهم ما يشاء ويرسل عليكم
حفظة اي ملائكة يحفظ اعمالكم بالكتابة وهم الكرام الكاتبون جمع الحافظ
قيل يرسل لكل انسان ملكين بالليل وملكين بالنهار يكتب احدهما الخير
والآخر الشر ويكون احدهما عند مشيه بين يديه والآخر خلفه ويكون
احدهما عن يمينه عند جلوسه والآخر عن شماله وفي ارسال الحفظة
عليهم مع غنائه بعلمه عن الكتابة لطف من الله تعالى لعباده لانهم
اذا علموا ان الملائكة يحفظون عليهم اعمالهم بكتابتها في صحايف تعرض
علي رؤس الاشهاد يوم القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبح وابعد من السوء
يعني يحفظ الملائكة عليهم اعمالهم حتى اذا جاء اي حضر احدكم الموت
عند انقضاء اجله توفته اي قبضته وقرئ توفاه بلفظ التذكير بالامالة
ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه اي تقبضه رسلنا وهو ملك الموت واعوانه
قيل ان الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة يقبض من هنا وهنا
فاذا كثرت عليه الارواح يدعوها فتجيب وقيل جعلت له الارض مثل
الطست يتناول له يتناول وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم
مرتين وهم لا يفرطون اي الملائكة لا يقصرون بالزيادة والنقصان
فيما يؤمرون ثم ردوا اي الملائكة او العباد الى الله اي الى حسابه وجزائه
مولاهم الحق بالجر صفتان لله اي مالكهم ومتولي امورهم العدل الذي
لا يحكم بينهم الا بالحق الا له الحكم اي اعلموا ان الحكم لله يوم القيمة
لا لغيره وهو اسرع الحاسبين اذا حاسب لانه لا يحتاج الى فكرة وعد
ثم قال توبيخا لهم بشركهم قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي
من شدائدهما ومخاوفهما كالخسف والغرق يقال لليوم الشديد يوم
مظلم وان كان نهارا تدعونه اي الله تضرعا اي علانية وخفية
بكسر الخاء وضمها اي سرا اذا وقعتم في الشدائد يقولون لئن انجيتنا

فظ

بناء الخطاب وفي انجانا بالالف اي لئن خلصنا من هذه الشدايد لنكونن
من الشاكرين لله تع اي الموحدين له قل الله ينجيكم بالتشديد والتخفيف
اي يخلصكم منها اي من تلك الشدايد ومن كل كرب اي غم وشدة يعني
يكشف الله ظلماتها عنكم اذا دعوتموه ثم انتم تشركون الاصنام به
ثم قال وعيدا لهم باصناف العذاب ليؤمنوا قل هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم كالرمي بالحجارة والريح العقيم وصيحة جبرئيل
كما بعثها على من قبلكم او من تحت ارجلكم كالخسف لقارون و
كالغرق لفرعون وقيل هما حبس المطر والنبات وقيل من فوقكم
السلاطين الظلمة ومن تحت ارجلكم عبيد السوء او يلبسكم
اي يخلطكم فرقا مختلفة على اهواء شتى مع ايمة متحيرة ويذيق
بعضكم باس بعض اي يقتل بعضكم بعضا فتختلطوا وتشتبكوا في
مزاحم القتال انظر يا محمد كيف نصرف الآيات اي نبينها لعلهم
يفقهون اي يعقلون ما هم عليه من الشرك المحال فيتوبون عن ذلك
ويوحدون وكذب به اي بالقرآن وبالعذاب قومك اي القريش
وهو الحق اي الصدق لانه وحي من الله او له بد ان ينزل بهم قل
لست عليكم بوكيل اي بحفيظ مسلط لامنعكم من التكذيب اجبارا
والجيكم الى الايمان انما انا منذر وهذا قبل ان يؤمر بالقتال لكل نبإ
اي لكل خبر اخبرتكم به مستقر اي منتهى يستقر فيه فيتبين الصدق
من الكذب يعني لا تغفلوا عنه لا بد من حصوله قريبا او بعيدا وسوف
تعلمون اني صادق فيه لا كاذب حين اوم بقتالكم وفيه تهديد
لهم ونزل نهيا للنبي عم عن مجالسة المشركين حين استهزؤا بالقرآن
واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا اي يستهزؤن بالقرآن
فاعرض عنهم اي اترك مجالستهم حتى يخوضوا اي يشرعوا بالا
في حديث غيره اي غير القرآن فحينئذ لا باس بان تجالسهم واما ينسينك
الشيطان بتشديد السين وفتح النون من التنسية وبسكون النون
وتخفيف السين من الانساء والمفعول الثاني محذوف اي ان ينسينك
الشيطان النهي عن مجالستهم فتجالس معهم بوسوسة منه فلا تقعد
بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي تنبيها بالكل عليه مع القوم الظالمين بالا
ستهزاء ونزل حين تحرج المؤمنون عن مجالسة المشركين بعد النهي

وقالوا لا نستطيع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف لانا نقوم
كلما استهزؤا بالقرآن فيترك العمل منا ترخيصا لهم وما على الذين
يتقون الشرك والاستهزاء اذا جالسوهم من حسابهم من شيء
اي ليس عليهم شيء مما يحاسبون عليه من الاثم فمن الثانية زائدة
ومن الاولى بيان ولكن ذكرى اي ولكنهم يذكرونهم ذكرى اذا
خاضوا بالقيام عن مجالستهم واظهار الكراهة لهم او في تقدير
الرفع اي لكن عليهم ان يذكروهم بالقرآن لعلهم يتقون الخوض
بالاستهزاء قوله وذر الذين اتخذوا دينهم نزل حين كانوا اذا سمعوا
القرآن تلاعبوا لهوا واستهزاء به نهيا للنبي عم عن الالتفات اليهم
اي دع المشركين الذين اتخذوا دينهم الذي كان يجب عليهم ان
يتخذوه دينا ويعظموه وهو دين الاسلام والقرآن لعبا ولهوا
مكانيهما وغرتهم الحيوة الدنيا بالانتفاع بها وتركوا عمل الآخرة
لعدم ايمانهم بها فاعرض عنهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به
اي عظهم بالقرآن مخافة ان تبسل اي تهلك نفس بما كسبت اي
بسبب كسبها من الذنوب فتدخل النار يوم القيمة قوله ليس لها اي
للنفس من دون الله ولي اي قريب ناصر عنها من العذاب ولا شفيع
يشفع لها ليخلصها منه بالشفاعة محله رفع صفة نفس او نصب على
الحال من ضمير كسبت وان تعدل كل عدل اي كل فداء يعني
لو اتى رجل بما في الارض جميعا ليعادل به نفسه لا ينجيها من عذاب الله
لا يؤخذ منها اي لا يقبل مكانها اولئك اي هؤلاء المتخذون دينهم لعبا
ولهوا هم الذين ابسلوا اي اهلكوا في الآخرة بما كسبوا من الذنوب في
الدنيا لهم شراب من حميم اي ماء شديد الحرارة وعذاب اليم اي وجيع
دايما بما كانوا يكفرون بالقرآن ومحمد عم قوله قل اندعوا من دون الله
نزل حين دعا عبد الرحمن بن ابي بكر اباه الى عبادة الاصنام وكان
ابوه وامه يدعوانه الى دين الاسلام وقيل نزل في قريش عذبوا نفرا
من المسلمين بدعوتهم الى الشرك فقال تع خطابا للنبي عم وان كانت
الآية واردة في شان ابي بكر للاتحاد الذي كان بينه عم وبين الصديق
قل لكفار مكة انعبد غير الله النافع والضار ما لا ينفعنا من الاوثان
في الآخرة ولا يضرنا في الدنيا ونرد عطف على اندعوا اي وانرجع على

فران تهدى الله هو الهدى فاعداه ضلال وهلكة وامرنا عطف على ان هدى الله لنسلم لرب العالمين اى بان نسلم ونخلص له
العبادة او اللام للتعليل اى امرنا بذلك لنسلم وان اقيموا الصلاة واتقوه عطف على لنسلم وهو الذى اليه تحشرون
وهو الذى خلق السموات والارض بالحق بالعدل والحكمة ويوم يقول كن فيكون عطف على السموات فذكر بدء الخلق واعادته
او على مفعول اتقوه او بتقدير واذكر والمراد يوم القيامة فان الامور فيه غير تدريجي قوله الحق اى الصدق والواقع
لا محالة مبتداء وخبر او قوله مبتداء والحق صفته ويوم يقول خبره اى قضاؤه الحكمة والصواب حين يقول للشيء كن فيكون
ذلك الشيء يعني ما ظهر من مكنوناته
شيء الا عن حكمة وصواب فلا يكون
المراد من يوم يقول يوم القيامة صفوى

اعقابنا اي الى الشرك الذي تركناه خلفنا بعد اذ هدانا الله اي ارشدنا
الى دين الاسلام قوله كالذي كافه في محل النصب على الحال من ضمير نرد
اي انرجع خلفنا مشبهين بالذي استهوته اي اسقطته الشياطين
اي مردة الجن والغيلان وقرئ استهواه بالتذكير لتقدم فعل الجماعة
يعني طلبوا هويه بالاضلال عن الجادة والرفقاء في الارض اي في
مفازتها حيران نصب على الحال من الضمير المنصوب في استهوته
اي متحيرا مترددا لا يدري اين يذهب وكيف يصنع له اصحاب اي لهذا
الضال عن الجادة المتحير رفقة يدعونه الى الهدى اي الى طريق
هدايته قائلين له ايتنا اي ارجع الينا فانا على الطريق المستقيم فلم
يلتفت اليهم وبقي هائما في ضلالته فذلك مثلنا ان تركنا دين الاسلام
ورجعنا الى الشرك ثم قال تحريضا لهم على الاسلام قل ان هدى الله
وهو دين الاسلام هو الهدى اي هو الرشاد وحده وما وراءه ضلالة
وغواية وامرنا بالاسلام اي وقد قيل لنا اسلموا لنسلم اي لاجل ان
يعني نخلص الدين لرب العالمين قوله وان اقيموا الصلوة عطف على
محل لنسلم اي وامرنا ان اقيموا يعني باقامة الصلوة او على نسلم بتقدير
لان اقيموا يعني لنسلم ولنقيم الصلوة واتقوه اي ولان اتقوا الله
وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة فيجازيكم باعمالكم وهو تهديد
لهم ثم دل بصنعه على جلالته ليؤمنوا به بقوله وهو الذي خلق
السموات والارض بالحق اي قائما بالصدق والصواب لا بالعبث
والباطل ليعتبروا به ويوم يقول عطف على ضمير المفعول في اتقوه
اي واتقوا يوم يقول الله تعالى له يعني يوم البعث كن فيكون بلا مهلة
فتنتشر الخلائق كلهم في وجه الارض كالجراد المنتشر ويجوز ان ينتصب
يوم على الظرف ويرتفع محله خبر مبتداء او قوله الحق نعته او قوله مبتداء
خبره الحق والمراد الوقت ومن القول الحكم ومن الحق الثابت النافذ
بالحكمة المعنى انه يقول في ذلك الوقت للخلائق موتوا فيموتون وقوموا
فيقومون للحساب والجزاء لا للبعث وله الملك اي لله وحده ملك كل
شيء لا مالك سواه يوم ينفخ اي في يوم ينفخ اسرافيل الارواح في الصور
وهو قرن ينفخ فيه كهيئة البوق قال ثم كيف انعم وصاحب الصور
قد التقمه ينتظر متى يؤمر فينفخ فيه قوله عالم الغيب رفع خبر مبتداء

محذوف اي هو عالم ما غاب عن العباد والشهادة اي وعالم ما
علم به العباد وقيل عالم بامر الآخرة وامر الدنيا وهو الحكيم في امره
وصنعه الخبير اي العليم باعمال الخلائق واقوالهم ونياتهم وامر البعث
للحساب والجزاء قوله واذ قال ابراهيم لابيه آزر تحريض للنبي صلى الله عليه وسلم
على تذكير قومه اتباعا لابراهيم ثم حيث ذكر اباه الكافر ليثق من
بالله تعالى اي واذكر وقت قول ابراهيم لابيه اسمه آزر وهو عطف
بيان لابيه او بدل منه ولم ينصرف للعجمة والتعريف اتتخذ بالاستفهام
استفهام الانكاري اي اتعبد اصناما حال كونها آلهة ويجوز
ان يكون اصناما مفعولا اولا والهة مفعولا ثانيا لا تتخذ بمعنى
اتجعل الاصنام آلهة لك للعبادة اني اراك وقومك الذين اتبعوك
في ضلال مبين اي في خطاء ظاهر بعبادتكم الاصنام ثم قال تعالى وكذلك
اي ومثل ما بصرناه ضلالة ابيه وقومه نري ابراهيم اي نبصره
ملكوت السموات والارض اي خلقهما الدال على ربوبيتنا ووحدانيتنا
نبيتنا وقد رتنا يعني نهديه طريق الاستدلال ليستدل على معرفتنا
وليكون من الموقنين اي الثابتين على اليقين في التوحيد روي ان
ابراهيم رفع الى السماء فرأى جميع السموات والارض وما فيهما من العجائب
حتى العرش وما تحت الصخرة فرأى عبدا يزني في الارض فدعا عليه فهلك
ثم آخر فدعا عليه فهلك ثم آخر فدعا عليه فقال انزلوا عبدي فانك
مستجاب الدعوة كيلا يهلك عبادي بدعائه قوله فلما جن عليه الليل
عطف على قوله واذ قال ابراهيم الاية وما بينهما اعتراض اي فلما ستره
الليل بظلمته وكان ذلك بعد خروجه من الغار ونظره الى السماء
والارض فقال ان لهذه الاشياء خالقا خلقها وخلقني وكان قومه
يعبدون الكواكب والشمس والقمر رأى كوكبا وهو الزهرة المضيئة قرئ
رأى ونحوه بفتح الراء والهمزة وبامالتهما وبفتح الراء وامالة الهمزة وبكسر الراء
وفتح الهمزة قال هذا ربي مسمعا لقومه قول من ينصف خصمه مع علمه
انه مبطل لان ذلك ادعى الى الحق منبها لهم على الخطاء في دينهم و
مرشدا الى طريق النظر والاستدلال على عدم ربوبية الكواكب لانهم
اذا نظروا النظر الصحيح ادركوا ان شيئا من الكواكب لا يصلح ان يكون
ربا لقيام دليل الحدوث عليه وهو التغير والانتقال فيرجعوا عن عبادتهم

ويؤمنوا بالله الذي لا يجوز عليه الحدوث والتغير ويدل على انه اراد به
ذلك قوله فلما افل اي غاب قال لا احب الآفلين اي الغائبين يعني لا
احب ربا يتغير عن حال ويزول فلما رأى بفتح الراء والهمزة وبامالتهما
وبفتح الراء وامالة الهمزة وبكسر الراء وفتح الهمزة اي لما ابصر القمر بازغا اي
طالعا اول طلوعه بنصبه على الحال قال هذا ربي لكون ضوءه اكثر
من ضوء الكواكب فلما افل اي غاب قال تنبيها لقومه لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين على ان من اتخذ القمر الها وهو مثل الكو[اكب]
في التغير والانتقال فهو ضال وان الهداية الى الحق ليست الا بتوفيق
الله واسند الضلال الى نفسه ليكون ذلك ادعى الى هدايتهم فلما
رأى الشمس بازغة اي طالعة قال هذا اي الطالع ربي وهو ايضا
من باب استعمال النصفة مع الخصم هذا اكبر اي اعظم من الكوكب
والقمر وانور منهما لانها ملأت كل شيء ضوءه فلما افلت اي غربت
وانتقلت قال لهم يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الاجرام
التي تجعلونها شركاء لخالقنا فقالوا له من تعبد انت يا ابراهيم قال
اني وجهت وجهي اي خلصت ديني للذي فطر اي خلق السموات
والارض اي الذي دلت هذه المحدثات على وحدانيته حنيفا اي
مسلما عادلا عن كل دين باطل وما انا من المشركين مثلكم يعني لست
على دينكم وسيرتكم وانما احتج عليهم بالافول في تلك الاجرام دون
البزوغ لان الاحتجاج بالافول اظهر وابين لانه انتقال من خفاء واحتجا[ب]
وحاجه اي خاصمه قومه في دين الله حين عاب اصنامهم قال
ابراهيم تجهيلا لهم اتحاجوني مشددا ومخففا بحذف نون الوقا[ية]
اي اتجادلونني في الله اي في دينه وقد هدان اي ارشدني الى توحيده
ثم خوفوه ان تمسه اصنامهم بسوء فقالوا اما تخاف ان تخبلك الهتنا
فتهلك فقال ولا اخاف ما تشركون به اي الذي تجعلونه شريكا لله في
العبادة الا ان يشاء ربي شيئا استثناء من كما اي مما تعبدون قط
الا في حال مشية الله بي شيئا من الاضلال او من المكروه من جهته فا[نه]
من ذلك وسع ربي كل شيء علما اي ملاء علم ربي كل شيء سرا وعلانية يعني
ليس بمستبعد من ربي ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهة معبود[اتكم]
افلا تتذكرون اي اتعادون نبي الحق فلا تتعظون فتميزوا بين المعبود القادر

والمعبود

والمعبود العاجز وترجعوا عن الشرك وكيف اخاف ما اشركتم من الاصنام
التي لا تضر ولا تنفع لاحد بوجه ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل
به عليكم سلطانا اي برهانا وحجة لكم فيه فان اشراككم بالله مما
يتعلق به كل خوف يعني ما لكم تنكرون الامن علي في مقام الامن ولا
تنكرون على انفسكم الامن في مقام الخوف ثم استنطقهم تبكيتا
بقوله فاي الفريقين من فريق المشركين وفريق الموحدين احق اي اجدر
بالامن من العذاب قيل ولم يقل ابراهيم انا وانتم بدل قوله فاي الفريقين
خوفا من تزكية النفس المنهية بقوله فلا تزكوا انفسكم ان كنتم تعلمون
صدق القول قوله الذين امنوا ولم يلبسوا اي لم يخلطوا ايمانهم بظلم
اي بشرك مبتدأ خبره اولئك لهم الامن من العذاب وهم مهتدون
من الضلالة وهذا قول الله لبيان اهل الامن في الآخرة وقيل قول ابراهيم
لقومه ترغيبا لهم الى التوحيد وفي معناه قوله عليه السلام من جاء
بكلمة لا اله الا الله يوم القيمة ولم يخلط معها غيرها الى الشرك وجبت له
الجنة ثم قال وتلك اي محاجة ابراهيم قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى
قوله مهتدون حجتنا آتيناها اي اعطيناها ابراهيم حجة على قومه
يعني وفقناه لاجلها نرفع درجات من نشاء بالتنوين فمن محله نصب
مفعول نرفع درجات نصب على الظرف او على المصدر من غير لفظه
اي دفعات او على التمييز لانه ما دفع انفسهم وانما دفع درجاتهم وقرئ
بالاضافة الى من فدرجات مفعول نرفع اي في العلم والحكمة او بالحجة
في الدنيا وبالثواب في الاخرة ان ربك حكيم في امره عليم بمن هو اهل للنبوة
من خلقه ووهبنا له اي لابراهيم اسحق من سارة ولها مائة سنة
الا واحدة ولابراهيم مائة وعشرون سنة ويعقوب من اسحق كلا
هدينا اي هدينا كل واحد من اسحق ويعقوب بالنبوة والاسلام و
نوحا هدينا من قبل اي هدينا نوحا بالنبوة والاسلام قبل ابراهيم ومن
ذريته اي ذرية نوح هدينا داود عطف على نوحا وسليمان بن داود
وايوب وهو من ولد عيص بن اسحق ويوسف بن يعقوب وموسى وهرون
وكذلك اي مثل جزائنا لهؤلاء المذكورين بالفضائل نجزي المحسنين اي
نؤتي جزاء الموحدين وزكريا اي وهدينا من ذرية ابراهيم زكريا و
يحيى وعيسى والياس بالنبوة والاسلام قيل كان الياس من سبط يوشع بن

نون تلميذ موسى وقيل من ولد اسماعيل كلا اي كل واحد من هولاء
من الصالحين بالنبوة واسمعيل اي هديناه وهو من صلب ابراهيم
واليسع وهو تلميذ الياس النبي عم وكان خليفته بعده قرئ بلامين
مشدد الاحدهما لام التعريف وبلام واحدة مخففا ويونس بن متي
ولوطا بن هادان بن آزر اب ابراهيم وسادة كانت اخت لوط وكلا
اي كل واحد من هولاء فضلنا على العالمين اي عالمي زمانهم بالنبوة
ثم قال ومن آبائهم عطف على كلا اي وفضلنا بعض آبائهم وذرياتهم
واخوانهم كآدم ونوح وادريس وهود وصالح ثم قال توبيخا واجتبيناهم
اي اصطفينا بالنبوة والرسالة وهديناهم الى صراط مستقيم اي
دين الاسلام ذلك اي دين الاسلام هدى الله اي دينه الذي
ارتضاه لنفسه يهدي اي يرشد به اي بدينه من يشاء من عباده
الى كرامته باتباعه ولو اشركوا اي الانبياء المذكورون مع جلالة قدرهم
عندهم لحبط اي ليبطل عنهم ما كانوا يعملون من الطاعة يعني
لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم وهذا تعريض للمشركين ثم قال حثا
على اتباعهم اولئك الذين آتيناهم الكتاب اي الكتب السماوية
والحكم العلم والفقه والنبوة لدعوة الخلق الى الحق فان يكفر بها
اي بهذه الاشياء التي آتيناهم اياها هولاء اي اهل مكة فقد وكلنا
اي اكرمنا بها قوما وهم الانبياء المذكورون والصحابة او جميع اهل
الايمان والملائكة ليسوا بها بكافرين اي بجاحدين بل يحفظونها كحفظ
الرجل ما يوكل عليه والباء في بها يتعلق بما بعدها وفي بكافرين
زائدة لتاكيد النفي ثم اشار الى الانبياء المذكورين قبل بقوله اولئك
الذين هدى الله اي ارشدهم الله تعالى بالتوحيد والنبوة والصبر
على اذى اممهم ثم امر الله تعالى النبي عم باتباعهم في التوحيد واصول
الدين والتبليغ والصبر على المشاق دون الشرائع لكونها مختلفة بحسب
اختلاف الزمان بقوله تعالى فبهداهم اي بسنتهم وملتهم اقتده
اي اتبع قدم المفعول لافادة الحصر والهاء في فعله للسكت قرئ
باثباتها لثبوتها في الامام بالسكون وقفا ووصلا بالكسر وبصلتها
بياء التشبيه لها بما هو اصل وقيل الهاء كناية عن المصدر كما في
قوله لا اعذبه احدا ثم قال تحريضا لهم للاقتداء بالنبي عم قل لا اسئلكم

(والتبع) (هم) (دتهم)

اي قل للمشركين لا اطلب منكم عليه على الانذار بالقرآن اجرا اي جعلا ان هو
اي القرآن الا ذكرى اي موعظة للعالمين اي للجن والانس وانتم منهم
فاتعظوا به قوله وما قدروا الله حق قدره نزل حين قال عمر رضي الله
لمالك بن الضيف من اليهود في شان النبي عم وكان رئيسهم انه
مكتوب في التورية فغضب وانكر الوحي الى البشر عنادا فقال تعالى ما
الله حق عظمته او ما عرفوه حق معرفته بمجادلة محمد عم وانكار القرآن
اذ قالوا اي اليهود ما انزل الله على بشر من شيء فعزلته اليهود بهذه الكلمة
عن الرياسة ثم قال تعالى قل يا محمد تقريرا لهم بالاستفهام من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا حال من الكتاب اي ضياء من ظلمة الجهل
وهدى للناس اي ارشادا لهم الى الحق من الضلالة تجعلونه قراطيس
اي تكتبونه في الصحف المتفرقة تبدونها اي تظهرونها بعض ما فيها
وتخفون كثيرا مما فيها من نعت محمد عم وغيره من الاحكام قرئ بالتاء
في هذه الافعال الثلثة خطابا وبالياء غيبة وعلمتم بالطايفة اليهود
على لسان محمد عم في القرآن ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم في التورية فان
لم يجيبوا عن قولك الذي استفهمتم فانت قل انزله الله على موسى ثم
ذرهم اي اتركهم ان لم يصدقوا قولك في خوضهم اي في باطلهم يلعبون
اي يهزؤن محله نصب على الحال من مفعول ذرهم ثم وصف القرآن
بما يكون داعيا لهم على الايمان به بقوله وهذا اي القرآن كتاب انزلناه
عليك يا محمد مبارك اي كثير الخير لمن عمل به لان فيه مغفرة لذنوبه قيل
ومن بركاته انه اذا قرئ على ذي عاهة برأ واذا يتلى في بيت خرج منه
الشيطان مصدق الذي بين يديه من الكتب المنزلة ولتنذر عطف
على مقدر اي لتبشر به او لتخوفوا ولتعمل به او لتنذر بالتاء خطابا
للنبي عم وبالياء غيبة اي لينذر الكتاب ام القرى اي مكة يعني
اهلها وسميت به لعظم منزلتها او لان اهل القرى يأمونها
للزيارة مثابة لهم او لان الارض دحيت من تحتها فهي اصل
جميع القرى وعطف عليها ومن حولها اي ولتنذر اهل شرق الارض
وغربها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به اي بالقرآن وينكره
من ينكرها اي البعث وهم على صلواتهم المفروضة يحافظون
اي يداومون بوضوئها واركانها ومواقيتها قوله ومن اظلم

(عند) (عظموا) (غير) (يقصدونها)

ممن افتري على الله كذبا اي اختلق كذبا مفعول به نزل في مسيلمة
الكذاب صاحب صنعاء اليمن حين زعم ان الله اوحي اليه بالنبوة
او ممن قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء فنزل في عبد الله بن ابي السرح
القرشي كاتب الوحي حين قال ان كان محمد صادقا في قوله فلقد وحي الي
كما اوحي اليه وذلك عند مجيء جبرئيل بقوله لقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين الي آخر الآية فتعجب من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله
احسن الخالقين فقال دم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله فلحق بالمشركين
بالارتداد ثم اسلم قبل الفتح ومن اي او ممن قال سانزل مثل ما انزل الله
نزل في حق نضر بن الحارث حين قال لو نشاء لقلنا مثل هذا وكان يحدث
لكفار مكة عن الامم الماضية من حديث رستم واسفنديار ولو تري
اي لو تعلم يا محمد الكفار اذ الظالمون اي وقت كون الظالمين من المستهزئين
والمفترين وغيرهم من الكفار في غمرات الموت اي في شدايده وسكراته
والغمرة في الاصل ما يغمر الشيء من الماء ونحوه فاستعيرت للشدة وحذف
الجواب تعظيما اي لرأيت هم في عذاب وجيع والملائكة باسطوا ايديهم
اي في الحال انهم يبسطونها لقبض الارواح يقولون للكافرين تهويلا
لعذابهم اخرجوا انفسكم لنقبضها او خلصوها من العذاب ان استطعتم
اليوم ظرف لاخرجوا فيكون المقول عند الموت او ظرف تجزون فيكون
يوم القيمة اي تعذبون اليوم عذاب الهون اي الهوان الشديد
بما كنتم تقولون على الله في الدنيا غير الحق مفعول القول بان له شركاء
وغير ذلك وكنتم عن اياته اي القرآن ومحمد م تستكبرون اي تتعظمون
فلا تؤمنون قوله ولقد جئتمونا فرادي نزل حين قالوا افتخارا واستخفافا
للفقراء نحن اكثر اموالا واولادا في الدنيا وما نحن بمعذبين في الآخرة
فقال يوم القيمة ولقد جئتمونا متفردين عن اموالكم واولادكم
جمع فردان كسكران وسكاري كما خلقناكم صفة مصدر محذوف
اي مجيئا مثل خلقنا اياكم او نصب على الحال من فرادي متشبهين بكم
اول مرة اي في ابتداء خلقكم حفاة عراة غرلا وهو ظرف لخلقناكم وتركتم
ما خولناكم اي اعطيناكم من المال والولد وراء ظهوركم في الدنيا بغير
اختيار لكم وما نري معكم شفعاءكم اي لا نري الهتكم الذين
زعمتم في الدنيا انهم فيكم اي في استعبادكم شركاء لله يعني قلتم انهم

شركاء

شركاء في العبادة ولكم شفعاء عند الله لقد تقطع اي وقع القطع يعني
تقطع وصلكم بينكم بالنصب ظرفا وبالرفع فاعل تقطع لان البين كما يكون
بمعني التباين يكون بمعني الوصل ايضا لكونه من الاضداد وضل اي غاب
عنكم ما كنتم تزعمون من انهم شفعاؤكم يوم البعث ثم اخبر الله
عن اوصاف ربوبيته التي بها يستحق الوحدانية ليوحدوه بقوله
ان الله فالق الحب والنوي اي شاقهما او خالقهما بعد يبسهما عن
ورق اخضر والمراد من الحب كل الحبوب كالبر والشعير والذرة ومن
النوي كل ثمرة فيها نواة كالاجاص والتفاح والخوخ والمشمش يخرج الحي
من الميت كالجملة المبينة لفالق الحب والنوي اي يخرج بالخلقة الحيوان
والنامي كالنطفة والبيضة من الحيوان وكالحب والنوي اليابسين
من النامي لانه في حكم الحي ومخرج الميت من الحي اسم معطوف على فالق
دون الفعل لانه ليس بيانا لفالق الحب كبيان الفعل الذي يخرج الحي
لكونه ضده ذلكم الله اي هذا المحي والمميت هو الذي يحق له الربوبية
لا الاصنام منكم فاني تؤفكون اي كيف تصرفون عن ربكم الحق الي غيره
الباطل فالق الاصباح بكسر الهمزة مصدر سمي به الصبح اي شاق الصبح
وهو ظلمة الليل التي هي بقيته او خالقه وجعل الليل سكنا اي مسكونا
والسكني ما يسكن فيه ويستانس به وهو منصوب بمحذوف اي
وجعله سكنا لان جاعل مضاف الي الليل اضافة حقيقية لا نعمل الكونه
بمعني الماضي وقرئ وجعل الليل بنصبه مفعولا والشمس والقمر بالنصب
معطوف على جعل المقدر اي وجعلهما حسبانا اي ذوي حساب
معلوم في السير على منازل لانهما اذا انتهيا الي اقصي منازلهما
رجعا فيعرف بذلك الاوقات وهو بضم الحاء مصدر حسب بفتح السين
وبكسر الحاء مصدر حسب بكسر السين ذلك اي سيرهما بالحساب
المعلوم تقدير العزيز العليم اي سخرهما الغالب القاهر في ملكه العليم
بتدبيرهما وتدويرهما وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا
اي لتعرفوا بها الطريق الصواب في ظلمات البر والبحر اي في
ظلمات الليالي بالبر والبحر فاضافتها اليهما لملابستها لها قد فصلنا
الآيات اي علامات العبرة لتوحيد الله لقوم يعلمون اي
يفهمون من الله شيئا بالعلم الظاهر لانهم ينتفعون به وهو

انشاءكم اي احدثكم من نفس واحدة هي آدم فمستقر بفتح القاف وكسرها اي فمنكم مستقر في الدنيا فوق الارض الى الموت ومستودع اي ومنكم مستودع في القبور الى البعث قد فصلنا الايات لقوم يفقهون اي يفهمون بتدقيق النظر وخص ذكر الفقه مع ذكر الانشاء لان انشاء الانسان من نفس واحدة وتصريفه بين احوال مختلفة ادق والطف صنعة وتدبيرا فكان انسب له وهو الذي انزل من السماء ماء اي مطرا فاخرجنا به نبات كل شيء اي فجعلنا الماء سببا لنبات كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد والمسببات كثيرة مختلفة يدل على كمال قدرته فاخرجنا منه اي من النبات خضرا اي شيئا اخضر كالسنبل نخرج منه اي من الخضر حبا متراكبا اي يركب بعضه بعضا في السنبل كالحنطة والشعير ومحل الجملة نصب صفة خضرا ومن النخل خبر من طلعها بدل منه اي من غضنها مبتدأه قنوان دانية اي عذوق قريبة سهلة الاجتناء للقايم والقاعد ومنها ما هو قاصية يعني بعيدة التناول وحذفه اكتفاء بذكر القريب عن البعيد لان الامتنان بالقريب اتم وجنات من اعناب بالنصب عطف على نبات كل شيء اي اخرجنا ساتين من الكروم بالماء والزيتون والرمان عطف على نبات اي واخرجنا شجرهما مشتبها وغير متشابه حال من الجميع اي مشتبها ورقهما مختلفا ثمرهما فان ورق الزيتون كورق الرمان صورة او مشتبه المطعم مختلف المنظر كالتفاح وبعض السفرجل او بالعكس كالتفاح وبعض الاجاص او متشابها بعضه ببعض في القدر واللون والطعم وغير متشابه في الاكل وذلك دليل على التعمد من الفاعل القادر المختار دون الاهمال انظروا الى ثمره بفتح الثاء والميم جمع ثمرة ايضا كبدنة وبدن او هو اسم جنس وهو الاظهر اي انظروا نظر اعتبار الى ابتداء ثمره اذا اثمر حيث يكون ضعيفا لا ينتفع به وينعه اي والى ادراكه ونضجه ينتفع به ليستدلوا على قدرة صانعه ومدبره بالتنقل من حال الى حال معاشا للعباده فتومنوا به فتسعدوا ان في ذلكم اي في هذا الصنع من اخراج نبات كل شيء بالماء الواحد واختلاف الثمرات لونا وطعما وقدرا وتشابهها كذلك لايات اي لعبرات لقوم يومنون اي يرغبون في الحق بالصدق قوله وجعلوا لله شركاء الجن نزل في المشركين الذين جعلوا اصنافا

من الملائكة

من الملائكة مسمي الجن بنات الرحمن او في الزنادقة الذين قالوا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار اي صيروا الجن شركاء لله فالجن مفعول اول وشركاء مفعول ثان ولله صلته قدم معموله على الاول استعظاما لاتخاذ شريك اليه وخلقهم حال اي وقد خلق الجن فكيف يكونون لله شركاء وخرقوا بالتشديد والتخفيف اي افكوا وافتعلوا له اي لله بنين وبنات بغير علم اي بجهل وتخرص لا بحجة وبيان كالكفار اليهود الذين قالوا عزير ابن الله والنصارى الذين قالوا المسيح ابن الله وكمشركي العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عما يصفون اي تنزه وتجلل عما يصف الكفار بان له ولدا لامتناعه في حقه بوضحه بديع السموات والارض اي هو مبدعهما من ابدع اذا ابدأ شيئا لم يكن شيئا انى يكون اي كيف يوجد له ولد ولم يكن له صاحبة اي مجانسة توافقه اذ الولد انما يكون من جنس الولد والبرهان قايم على امتناعه منه ولان طلب الولد من جهة الاحتياج اليه وهو مستحيل في حقه تعالى وخلق كل شيء من عزير وعيسى والملائكة وغيرهم فهم خلقه وعبيده لحكمة مع عدم احتياجه الى الكل وهو بكل شيء عليم اي يعلم كله لاي حكمة خلقها ذلكم اي فعل هذا وعلم حكمته الله مبتدأ وخبر والخبر الثاني ربكم والثالث لا اله الا هو اي لا معبود غيره خالق كل شيء خبر رابع او مبتدأه محذوف اي هو الخالق لكل شيء لا غيره فاعبدوه اي هو المستحق للعبادة بهذه الصفات لا يجوز ان يعبد غيره ثم اكد وجوب عبادته فقال وهو على كل شيء وكيل اي كفيل بارزاقهم قيم بمصالحهم لا تدركه الابصار اي لا يراه الخلق في الدنيا للطافته وضعف القوة الباصرة فيهم وهذا اجماع العقلاء قالت عايشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله تعالى الفرية فمن قال بذلك فليس من العقلاء فلا يلتفت الى قوله والخلاف في رؤيته بالجارحة في الاخرة ولقد صح عن النبي عم انه قال سترون ربكم يوم القيمة كالقمر ليلة البدر لا تضامون فيه اي لا تشكون وهو يدرك الابصار اي الله يحيط بها لا يفوت منها بخلاف الخلق لانهم لا يبصرون ما يبصره لانه يبصر ابصارهم وهم لا يبصرون ابصارهم وهو اللطيف اي الخفي الذات عن ان يدركه بصر من اللطف وهو في الاصل الخفاء عن العيوب او دقة النظر في الاشياء الخبير اي العليم بكل لطيف

فالابصار لا يخفى عن ادراكه قد جاءكم بصائر هذا وارد منه مثله على
لسان النبي ع م جمع بصيرة وهي نور القلب الذي يستبصر كما ان البصر نور
العين الذي تبصر اي قل لقومك قد جاءكم من الوحي آيات تدل
على ما لا يجوز وهي للقلوب كالبصاير يعني قد جاءكم حجج بينة من ربكم
على صدقي في وصفه فمن ابصر اي من عرفها وآمن بها فلنفسه
اي فلها نفع ومن عمي عنها فلم يعرفها ولم يؤمن بها فعليها اي فعلى
نفسه ضر وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما
انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وهذا نسخ باية السيف وكذلك نصرف
اي مثل ذلك البيان نبين الايات ليعتبروا بهذا البيان وليقولوا
حين درست اي قرأت وتعلمت القرآن من جبر ويسار وقرئ
دارست اي قارأت اهل الكتاب بان اعنتهم واعانوك وقرئ درست بفتح
السين وسكون التاء اي قدمت هذه الايات وعفت كاساطير الاولين
لا اعتداد بها فاللام فيه مجاز لاجل التعليل لان الايات لم تصرف
ليقولوا درست حقيقة وهي لام العاقبة وفي قوله ولنبينه حقيقة
للتعليل لان الايات صرفت للتبيين وانما حسن العطف هنا لان حصول
قولهم كما ان تصريف الايات لكونها في معنى القرآن اي نظهره لقوم
يعلمون اي يفهمون الحق من الباطل فيسعد قوم ويشقى آخرون ثم امر
نبيه ع م بان يتبع القرآن ولا يجادلهم بقوله اتبع ما اوحي اليك من
ربك اي القرآن واعمل باوامره ونهيه نزل حين دعوه الى دين آبائه ونحل
لا اله الا هو نصب على الحال اي منفردا او هو اعتراض لا محل له ورد تاكيدا
لاتباع الوحي واعرض عن المشركين اي لا تجادلهم فدعهم على ضلالتهم
وشركهم ولو شاء الله ما اشركوا اي نجعلهم مؤمنين او اسلمهم
وما جعلناك عليهم حفيظا عن الشرك فيوحدوا الله بالقسر وما انت
عليهم بوكيل اي بمسلط لان يوحد وان عليك الا البلاغ قوله ولا
تسبوا الذين يدعون اي يعبدون آلهة من دون الله والمراد
الاوثان فيسبوا اي فيسب المشركون الله نصب الفعل بجواب
النهي عن السب عدوا مفعول له او نصب على الحال اي ظلما بغير علم
اي بجهل وهو حال مؤكدة نزل حين كان اصحاب النبي ع م يذكرون
آلهتهم بسوء فقال المشركون لينتهين اصحابك عن سب آلهتنا

اولتسبن

مطلب

اولتسبن ربك وفيه دليل ان الرجل اذا امر بمعروف فيقع المامور به في
ما هو شر منه ينبغي ان يترك الامر به وكذا اذا نهي عن شيء يكون النهي عنه
سببا لركوب معصية هي اعظم من المنهي عنه ينبغي ان يترك عنه
كالنهي عن المثلث حيث يكون سببا لركوب شرب الخمر كذلك اي مثل ذلك
التزيين الذي زينا للمشركين عبادة الاصنام زينا لكل امة من الكفار
عملهم من الشر ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون اي
يخبرهم اخبار توبيخ وعتاب باعمالهم ويجازيهم عليها قوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم نزل حين طلب المشركون من النبي ع م
ان ينزل الملائكة من السماء او يحيي الموتى آية لهم ليؤمنوا فحلفوا على
وطلب المؤمنون وقوع ذلك كله فقال تعالى انهم حلفوا بالله اغلظ
ايمانهم وكانوا يسمون اليمين بالله جهد اليمين فاكدوا ما يقسم به باللام
والنون في قوله لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل يا محمد انما الايات
عند الله لا عندي وهو يقدر على المجيء بها لحكمة لا انا ثم قال جوابا للمؤمنين
وما يشعركم مبتداء وخبر وما كلمة الاستفهام اي ما يدريكم ايها
المؤمنون ايمانهم بتقدير المفعول الثاني ثم ابتدا بكسر ان في قوله انها
ان الاية المقترحة اذا جاءت الكفار لا يؤمنون بالياء والضمير للكفار
اي لا يصدقون بها لسبق علمي بعدم ايمانهم وقرئ بفتح ان بمعنى لعل
نقلا عن الخليل فالمفعول الثاني ايضا محذوف ويجوز ان يجعل ان ومعمولها
في محل النصب مفعولا ثانيا ليشعركم ولا زايدة اي وما يدريكم انها
اذا جاءتهم يؤمنون وقرئ تؤمنون بالتاء ايضا خطابا للكفار في
الموضعين اي ما يشعركم يا اهل مكة انها اذا جاءتكم تؤمنون بزيادة
المعنى انهم اذا جاءتهم الاية المقترحة لا يؤمنون بها يدل عليه قوله
ونقلب افئدتهم اي ونحيل قلوبهم بالخذلان عن الايمان في
وابصارهم عن رؤية طريق الهداية فلا يؤمنون عند نزول الايات
المقترحة كما لم يؤمنوا به الكاف صفة مصدر محذوف اي تقليبا
مثل عدم ايمانهم بمجيء آية من الله من الايات السابقة كانشقاق
القمر اول مرة طرف زمان فختم الله على قلوبهم فيه فثبتوا على كفرهم ونذرهم
اي ونتركهم في طغيانهم اي في ضلالتهم يعمهون اي يترددون
متحيرين فيه لا يبصرون طريق الهدى وقيل كما لم يؤمنوا به اباؤهم

الاقدمون لما سئلوا الآية من انبيائهم قوله ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة متصل لقوله واقسموا بالله في النزول اي ولو انزلنا اليهم الملائكة
كما قالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وكلمهم الموتى بالاحياء
كما طلبوا وحشرنا اي وجمعنا عليهم كل شيء طلبوه قبلا بضمتين جمع
قبيل اي قبيلة قبيلة يعني فوجا فوجا وبكسر القاف وفتح الباء اي معاينة
مصدر في معنى الحال من كل شيء المعنى انا لو جئناهم بما طلبوه كله
ورأوا ذلك عيانا ليؤمنوا بانك رسول الله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
اي الا في حال مشيئة الله ولكن اكثرهم اي اكثر الكفار يجهلون تيقسمو
بالله جهدا بانهم على ما يعملون من حال اقتدارهم عند نزول الآيات
قوله وكذلك تسلية للنبي ع م ليصبر على عداوتهم اي كما جعلنا لك
اعداء جعلنا لكل نبي قبلك عدوا انتصب بانه المفعول الاول وما قبله الثاني
وابدل من عدوا شياطين الانس والجن قيل كل عات شيطان فللانس
شياطين كما ان للجن شياطين وشيطان الانس اشد من شيطان الجن
في الاضلال قال ع م لابي ذر هل تعوذت من شيطان الانس قال او لا
للانس شيطان قال هم اشر من شيطان الجن يوحي بعضهم الى بعض في
محل النصب على الحال من شياطين او صفة لعدوا اي يوسوس فتلقي شياطين
الجن الى شياطين الانس وبالعكس زخرف القول اي مزينة غرورا اي خدعا
مفعول له او نصب على المصدر يعني يزين القول باطلا يغرهم بذلك غرورا
ويغريهم على المعاصي واصل الزخرف الذهب المزين ولو شاء ربك ما فعلوه
اي ما فعلوا الايحاء من الزخرفة والغرور ولمنعهم من الوسوسة ولكن الله
يمتحن ايمانهم وقلوبهم بما يعلم انه ابلغ في الحكمة واجزل في الثواب واشد
في العقاب فذرهم اي فدعهم وما يفترون اي وما يكذبون من القول
والغرور قوله ولتصغى عطف على غرورا اي ليغروا ولتصغى او تقديره
وفعلنا لتصغى اي تميل اليه اي الى الايحاء السوء والى زخرف القول واللام
للصيرورة افئدة الذين لا يؤمنون اي قلوب الكافرين بالآخرة وليرضوه
اي وليقبلوه لانفسهم من الشياطين وليقترفوا اي يكتسبوا من الآثام
ما هم مقترفون اي مكتسبون يعني ليعملوا ما شاؤوا من المعاصي فيجازيهم
باعمالهم في الآخرة افغير الله ابتغي اي قل يا محمد ع ا أتبع اهواءكم فغير الله
اطلب حكما حال من غير المفعول به اي حاكما يحكم بيني وبينكم للفصل بين

منا

منا وبين الباطل وذلك حين طلبوا منه المحق قاضيا يقضي بينه وبينهم
وهو الله تعالى الذي انزل اليكم الكتاب القرآن مفصلا حال اي مبينا فيه الحق
من الباطل بلغة يعرفونها والذين آتيناهم الكتاب القرآن اي مؤمنوا اهل
الكتاب يعلمون انه اي القرآن منزل من ربك بالحق اي ملابسا بالصدق
فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في نزوله من عند الله او في علم اهل
الكتاب انه منزل من عند الله يعني لا يريبك جحود اكثرهم به خطاب للنبي ع م
والمراد امته ويجوز ان يكون الخطاب عاما لكل احد وهذا من باب التهييج
على الشيء يعني اذا تعاضد الادلة على صحته فما ينبغي ان يمترى فيه احد
وتمت كلمة ربك بالافراد والجمع اي تم ووجب كل اخبار الله تعالى بالوعد
والوعيد والتحليل والتحريم ومن ذلك نصرة المؤمنين وخذلان الكافرين
صدقا وعدلا حالان من ربك اي صادقا فيما اخبره وعادلا فيما حكم
لا مبدل لكلماته اي لا مغير لشيء منها مما هو اصدق واعدل وهو السميع
لما سألوا العليم بما نووا وان تطع اكثر من في الارض نزل حين خاصم المشركون
النبي ع م في اكل الميتة وقالوا انك تزعم تعبد الله فما قتل الله احق بان تاكل
من ما قتلت انت بيدك فقال الله تعالى وان تطع اكثر من في الارض مكة
او الكفار لان اكثر من في الارض كانوا كفارا يضلوك عن سبيل الله اي
يصرفوك عن دين الله لانهم يتبعون اهواءهم تو كرع قوله ان يتبعون
اي ما يتبع الكافرون الا الظن اي آباءهم بالظن لانهم ظنوا ان آباءهم
كانوا على الحق فهم يقلدونهم فاقتصروا على الظن بالجهل ولم يسعوا في
طلب الحق واتبعوا اهواءهم فلذلك استحق التعذيب وان هم الا يخرصون
اي يقدرون انهم على شيء او يكذبون في قولهم ان الله احل كذا وحرم كذا
ان ربك هو اعلم من يضل اي اي انسان ينصرف عن سبيله اي عن دينه
وشرايعه ومن مبتداء ويضل خبره والجملة في محل النصب بيعلم مقدرة
دل عليه اعلم لان افعل التفضيل لا يعمل النصب في اسم ظاهر ولا يجوز اضافة
اعلم الى من لانه لو جر بالاضافة لزم كونه بعضا لان افعل انما يضاف
الى ما هو بعضه وهو منزه عن ذلك ويجوز ان يكون من بمعنى الذي او
نكرة موصوفة المعنى ان الله اعلم بالضالين عن دينه وهو اعلم بالمهتدين
لدينه قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه نزل حين كان الكفار يحلون
بعض الذبايح ويأكلون بعض الميتات فامر الله المؤمنين بان يأكلوا مما

ذكر اسم الله على ذبحه خاصة اي كلوا مما ذبح بسم الله ولا تعدوه الى
الميتة ان كنتم بآياته مؤمنين اي مصدقين بآياته ثم خاطبهم بالاستفهام
توبيخا على ترك الاكل من المذبوح بالبسملة بقوله وما لكم اي اي مانع لكم
من ان لا تأكلوا شيئا مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وقد فصل لكم اي
والحال انه يبين لكم ما حرم عليكم في سورة المائدة وغيرها وقرئ الفعلان
مجهولان ومعلومان اي تبين الله ما حرمه الا ما اضطررتم اليه اي ما الجئتم
الى اكله من الميتة عند الجوع فانه حلال لكم للضرورة وان كثيرا من الكفار
ليضلون معلوما من اضل اي يدعون غيرهم الى اكل المحرم ومن ضل
اي يحلون ويحرمون باهوائهم اي بشهواتهم بغير علم اي من غير
شريعة من شرائع الله ان ربك هو اعلم بالمعتدين اي المتجاوزين من الحلال
الى الحرام قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه نزل حين كانوا يحرمون الاثم كالزنا
في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فقال الله تعالى اتركوا علانية المعصية
وسرها وقيل ظاهر الاثم العمل وباطنه النية وقيل ظاهره مخالة النساء وباطنه
الزنا ثم هددهم بقوله ان الذين يكسبون الاثم اي يعملون المعاصي سيجزون
اي سيعاقبون بما كانوا يقترفون اي يرتكبون منها ثم نهوا عما اوما بذكر
الاكل مما لم يذكر اسم الله عليه بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
من المذبوح على اسم غير الله والميتة وانه اي ان الاكل منه لفسق اي المعصية
فلو ذبح المسلم ولم يسم الله على الذبيحة عامدا او ناسيا تحل عند الشافعي
واحمد لانهما حملا الآية على ما ذبح على اسم غير الله لان الفسق لا يطلق على
المختلف فيه بين العلماء وابو حنيفة يحملها على الترك عمدا لانه تأكل ان ترك
ناسيا لا عامدا لقوله عم اذكروا انتم اسم الله وكلوا قوله وان الشياطين
ليوحون نزل حين سألوا عن النبي عم من قتل الشاة اذا ماتت فقال النبي
الله قتلها قالوا تزعم ان ما قتله الانسان والصقر والكلب حلال وما قتله
الله حرام فقال الله تعالى ان الشياطين ليوسوسون الى اوليائهم من
المشركين ليجادلوكم اي ليخاصموكم بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وهلم
تعرج تأويل من اول الآية بالميتة وان اطعتموهم في اكل الميتة واستحلالها
انكم لمشركون اي انتم مثلهم في الشرك وفيه دليل ان من استحل شيئا مما
حرمه الله او حرم شيئا مما احله الله فهو مشرك قوله او من كان ميتا اي
كافرا فاحييناه اي فهديناه نزل في حمزة وابي جهل ومثلهما بادخال همزة الاستفهام

على سبيل الانكار على نفي التسوية محله مرفوع بالابتداء اي أمن كان ضالا
فارشدناه الى الاسلام وجعلنا له نورا اي نور المعرفة بسبب الاسلام
يمشي اي يعمل به في الناس اي بينهم متبصرا بنوره فيعرف الحق من الباطل
والحلال من الحرام كمن اي كالذي مثله اي صفته وحاله في الظلمات
يركب بعضها بعضا من الشرك والعصيان والخذلان ليس بخارج منها
اي لا يجد من الله فرجا من الظلمات الى النور يعني ليسا سواء والجملة في
محل النصب على الحال من الضمير المرفوع في الظلمات كذلك اي مثل ذلك المثل
زين للكافرين ما كانوا يعملون يعني زين لهم الشيطان عبادة الاصنام
وصنعها وكذلك اي كما جعلنا فساق اهل مكة اكابرها جعلنا في كل قرية
اكابر مجرميها وانما ذكر الاكابر دون الاصاغر لان الاكابر هم الصادون
عن دين الله ليمكروا فيها بالتكذيب والصد عن الايمان وبنسبة النبي
الى السحر والجنون وما يمكرون اي وما يصنعون المكر الا بانفسهم لان
وبال مكرهم راجع عليهم وما يشعرون ان وباله عليهم وهذا تسلية
للنبي عم وتقديم موعد بنصرته عليهم قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن
نؤمن نزل حين قال الوليد بن المغيرة واصحابه لو اراد الله ان ينزل الوحي
لانزل علينا وقيل قال ابو جهل زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى صرنا
كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه بالايمان
به حتى يأتينا وحي كما يأتيه فقال تعالى واذا جاءتهم اي كفار مكة دلالة
على صدق محمد عم كانشقاق القمر قالوا حسدا لن نؤمن بك ولا بالآية حتى
نؤتى مثل ما اوتي اي حتى نعطى مثل ما اعطي محمد عم مما اعطي رسل الله
من الوحي فقال تعالى انكارا لصلاحيتهم للرسالة الله اعلم من غيره يعلم
حيث يجعل رسالته مفردا وجمعا اي الله يعلم مكان وضع رسالاته من
الناس يعني يعلم من يصلح للنبوة ومن لا يصلح فخص بها محمدا من بينهم فحيث
مفعول به وعامله محذوف وهو يعلم لا اعلم وليس ظرفا لفساد المعنى
ثم هددهم لتكذيبهم الرسل واستهزائهم بقوله سيصيب الذين اجرموا
من اكابر الكفار صغار اي هوان وذل لكبرهم عند الله اي من الله في الآخرة
وعذاب شديد في الدنيا بالاسر والقتل ثم بالنار بعد البعث بما كانوا يمكرون
من تكذيب الرسل واستهزائهم فمن يرد الله ان يهديه اي يرشده ويوفقه
لدينه يشرح صدره اي يوسع قلبه ويلينه للاسلام اي لقبول الاسلام

فيدخل فيه نوره وحلاوته وتطمئن اليه نفسه فبعد نزول هذه الآية
قالوا يا رسول الله وكيف ذلك قال النبي عم اذا دخل النور في القلب انشرح
وانفسح قالوا هل لذلك علامة تعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة
الي دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله عن الاسلام
يجعل صدره ضيقا مخففا ومشددا وهو الاصل اي غير واسع حرجا بفتح الراء
وكسرها اي شديد الضيق مشوبا بالشك بوجه لا ينفذ فيه نور لقبول الاسلام
وهو اما مصدر وصف به او جمع حرجة بدل منه وهي الشجرة الملتفة بعضها
ببعض لا يصل اليها الراعية يعني يمتنع الوصول الي الهداية كانما يصعد
في السماء اي كامتناع الصعود لمن يطلبه الي السماء قرئ يصعد مخففا و
يصاعد مضارع تصاعد بادغام التاء في الصاد ويصعد بتشديد الصاد
والعين اصله يتصعد كذلك اي مثل هذا الجعل يجعل الله الرجس اي العذاب
واللعنة علي الذين لا يؤمنون اي لا يرغبون في الايمان وهذا اي الذي
انت فيه من التوحيد والاسلام صراط ربك مستقيما اي قائما برضاء
الله حال من صراط ربك قد فصلنا اي بينا الايات في امر الهداية والضلالة
لقوم يذكرون اي يتيقظون بها فلم يبق لهم عذر في التخلف عن الاسلام
لهم اي للذين يذكرون ويؤمنون دار السلام اي دار الله يسلم علي
داخليها او دار السلامة وهي الجنة لانه يسلم من الآفات من داخلها
عند ربهم في محل النصب علي الحال اي حال كونها في ضمانه كما يقال لفلان
عندي حق وهو اي الله وليهم اي ناصرهم علي اعدائهم في الدنيا
ومتوليهم بجزاء اعمالهم في الآخرة بما كانوا يعملون اي بسبب اعمالهم التي
عملوها في الدنيا من الخير ويوم يحشرهم بالياء والفاعل الله والنون اي
اذكر يوم نحشرهم جميعا يعني الجن والانس وغيرهم ونقول للجن يا معشر الجن
اي الشياطين قد استكثرتم من الانس اي جعلتموهم اتباعكم باضلالكم اياهم
فحشر معكم كثير منهم وقال اولياؤهم اي احباء الشياطين من الانس الذين
اطاعوهم واستمعوا الي وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع
بعضنا باطاعة بعض في الدنيا حيث دلوهم علي الشهوات وعلي اسباب
التوصل اليها واستمتاع الانس لهم قول الرجل اذا نزل بالليل مكانا مخوفا اعوذ
بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في جوارهم آمنا حتي يصبح و
استمتاع الجن بالانس انهم قالوا لقد سدنا الانس فيزدادون شرفا في قومهم

يعني فيما بين الجن والانس وقالوا وبلغنا اي ويقولون ايضا يوم القيمة بلغنا
اجلنا الذي اجلت لنا اي جعلته اجلا لنا وهو البعث والحشر فاعترفنا
بالبعث الذي وعدته للخلق قال الله تعالى النار مثواكم اي منزلكم والمخاطب
هم الجن والانس خالدين اي مقيمين فيها الا ما شاء الله استثناء من
الزمان اي خالدين في كل زمان الا قدر ما بين النفختين او من المكان اي
خالدين في كل مكان الا ما شاء الله نقلهم منه الي غيره في النار او هم
مخصوصون من اهل الايمان فيخرجون من النار بما شاء الله يعني من
ان ربك حكيم في امره عليم بخلقه وكذلك اي مثل ذلك التولية نسلط
بعض الظالمين بعضا باعمالهم الخبيثة فيهلكهم او يذلهم وهذا الكلام
لتهديد الظالم كي يمتنع عن ظلمه لانه لو لم يمتنع عنه لسلط الله عليه
ظالما آخر فيعذبه به قال ابن عباس رضي الله عنه اذا اراد الله بقوم خيرا
ولي اميرهم خيارهم واذا سخط الله علي قوم ولي اميرهم شرارهم
بما كانوا يكسبون من المعاصي ثم قال تعالى توبيخا لهم بالاستفهام
يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون اي يقرؤون عليكم
آياتي اي آيات القرآن النازل مني وينذرونكم ويخوفونكم لقاء يومكم
هذا بالبعث قيل بعث الله رسولا من الجن الي الجن ومن الانس الي
الانس لظاهر الآية وقيل لم يجئ الرسول الا من الانس وجاء من الجن
نذر يبلغونهم ما يسمعون من الانبياء فالخطاب في الآية للانس خاصة
وان تناولهما اللفظ كما في قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وان خرج
من المالح وحده قال ابن عباس رضي الله عنه كانت الرسل يبعث الي الانس
وان محمدا عم بعث الي الجن والانس قالوا جوابا للاستفهام واعترافا شهدنا
علي انفسنا اي اقررنا ان الرسل قد بلغونا وكفرنا بهم قيل قوله والله ربنا
ما كنا مشركين يناقض هذا الاقرار اجيب بانه تعترف السنتهم في موطن
وتنكر وتخرس في موطن آخر وتشهد عليهم ايديهم وارجلهم بما كانوا
يكسبون فقال مخبرا عن حالهم في الدنيا والآخرة وغرتهم الحيوة الدنيا
من زينتها ولم يؤمنوا وشهدوا علي انفسهم يوم القيمة انهم
كانوا كافرين في الدنيا وانما كررت الشهادة لان الاولي حكاية لقولهم
والثانية تخطئة ومذمة لهم والاولي اخبار عن التبليغ والثانية
اخبار عن كفرهم قوله ذلك مبتداء وخبره ان لم يكن بتقدير اللام الجارة

المحذوفة من ان المصدرية او ان مخففة بتقدير ضمير الشان
اي ارسال الرسل الي الجن والانس ثابت لان لم يكن ربك او لان الشان
والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وهو حال من ربك اي حال
كونه ظالما والباء للملابسة يعني لا يهلك قرية من القرى بغير ذنب
واهلها غافلون عن الانذار بالرسل لان الذنب لا يوجد الا بعد الامر والنهي
وهما لا يوجدان الا بارسال الرسل اثباتا للحجة عليهم ومحل الجملة نصب
على الحال ولكل اي لكل واحد من العاملين حسنة وسيئة درجات جزاء
مما عملوا من الثواب والعقاب بعضهم ارفع درجة وبعضهم اسفل درجة
من بعض يعني اشد عذابا ممن فوقه وما ربك بغافل عما تعملون بالياء
والتاء اي ليس بناس للطاعة من اهلها ولا للمعصية من اهلها
فيجازي كل نفس بما عملت وربك الغني ذو الرحمة اي ربك هو الغني عن
طاعة خلقه واهل الرحمة لمن تاب عن المعصية او ذو الرحمة بتاخير
العذاب عن اهل الكفران يشأ يذهبكم اي يهلككم ويستخلف خلقا
غيركم من بعدكم ما يشاء ان شاء مثلكم او اطوع منكم كما انشاكم اي
خلقكم من ذرية قوم آخرين قرنا بعد قرن انما توعدون من البعث و
الجزاء لآت اي لكائن لا خلف فيه وما انتم بمعجزين اي بفائتين عن عذاب
باعمالكم الخبيثة عجز واعجز بمعنى فات قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
مفردا وجمعا اي قل لكفار مكة اجتهدوا في اهلاكي على وسع قوتكم وحالكم
او اثبتوا في كفركم اني عامل على مكاني بما اوحي الي فسوف تعلمون من
اي الذي يكون بالتاء والياء له عاقبة الدار اي آخر الامر في الدنيا من
النصرة وفي الاخرة من الثواب فمحل من نصب بتعلمون ويجوز ان يكون
بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم انه لا يفلح الظالمون بالكفر والتكذيب
في الآخرة قوله وجعلوا لله مما ذرأ اي خلق من الحرث والانعام
نصيبا وللاصنام نصيبا وهذا من قبيل الاكتفاء نزل تجهيلا لهم
وتهجينا لحالهم حيث كانوا يجعلون نصيبا من زروعهم وانعامهم
لله ونصيبا منها للاصنام فنصيب الله للمساكين والاضياف ونصيب
اصنامهم لخدامها فما يسقط من نصيب الله في نصيب اصنامهم
تركوه فيه وما سقط من نصيب اصنامهم في نصيب الله ردوه
الي نصيب اصنامهم وكانوا يقولون انها محتاجة والله غني عن هذا

فيوفرون نصيب اصنامهم به فقالوا اي فكانوا يقولون هذا اي
هذا النصيب لله بزعمهم بفتح الزاء وضمها اي بقولهم الكاذب لانه
لم يامر الله لهم بذلك وهذا اي وهذا النصيب لشركائنا اي للاصنام
فما كان لشركائهم اي الذي وضع لاصنامهم فلا يصل الى الله
اي لا يصرفونه الى الجهات التي كانوا يصرفون نصيب الله اليها
وما كان لله فهو يصل الى شركائهم اي يصرفونه الى الجهات
كانوا يصرفون نصيب اصنامهم اليها فقال تعالى ساء ما يحكمون
حيث وضعوا له شريكا ووضعوا له نصيبا وما عدلوا في القسمة
قوله وكذلك زين لكثير من المشركين الآية نزل تعييرا لاهل الجاهلية
وتهجينا لاعمالهم حيث كانوا يقتلون اولادهم بمخافة الفقر
والحمية الجاهلية يدفنون بناتهم اي مثل ذلك التزيين الذي
ثبت لهم من الشيطان في قسمة القربات من الزروع والانعام
بين الله واصنامهم زين لهم معلوما مع نصب قتل في قتل
اولادهم شركاؤهم مفعولا صريحا له ورفع الشركاء فاعلا له والمراد
شياطينهم اي زين الشيطان لاكثر المشركين وأد البنات
واضيفوا اليهم لطاعتهم اياهم وقرئ مجهولا مع رفع قتل قائم مقام
الفاعل ونصب اولادهم مفعول قتل وجر شركائهم لاضافة القتل
اليهم وقد فصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول وهو
الاولاد والتقدير زين لهم قتل شركائهم اولادهم فعلى هذا
المعنى يعني الشركاء اولادهم الذين في اموالهم فيكون نصب
اولادهم نصب التفسير وللاختصاص اي اعني اولادهم و
قيل الشركاء سدنة اصنام لانهم كانوا يحسنون لهم ذلك العمل
وبعضهم رد هذه القراءة للفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير
ظرف والمجيب عنه بان القران محكوم بصحته بل بتواتره وهو قراءة
ابن عامر والطعن فيه يكون طعنا في علماء الامصار الذين جعلوه احد
القراءة السبعة المرضية وطعنا في الفقهاء الذين يعاصرونهم حيث
لم ينكروا عليهم والكل اجمعوا على صحته بقراءتهم في محاريبهم
والله اكرم من ان يجمعهم على الخطاء فلو كان كما زعم لكان قرآنا
غير عربي ذا عوج ومثله موجود في القرآن على قراءة من قرأ ولا تحسبن

اوله فنزحجتنا متمكنا بزحة

الله مخلف وعده رسله بنصب وعده وجر رسله وايضا احتج ابو علي
في كتابه على هذه القراءة بقول الشاعر زج القلوص ابي مزادة يعني قد جاء
في الشعر الفصل على حد ما قرأه ابن عامر فطعن الجاهل بعلة الحكم لا يكون طعنا
في صحة ذلك الحكم قوله ليردوهم علة للتزيين اي زينوا ذلك للمشركين ليهلكوهم
من الردى وهو الهلاك وليلبسوا اي ليخلطوا عليهم دينهم الذي وجب
ان يكونوا عليه وهو دين ابراهيم بادخال الشك فيه ولو شاء الله ما فعلوه
اي لمنع المشركين عن القتل والشياطين والسدنة عن التزيين منع جبر وقهر
فذرهم وما يفترون اي دعهم وما يختلقون من الكذب بان الله امرهم
بذلك الى الوقت الذي توقع بقتالهم والى موعد الحساب والمجازاة وقالوا
هذه انعام وحرث هذا بيان كيفية التزيين للتحريم والتحليل بهواهم
في الظاهر اي قال المشركون هذه انعام للبحيرة والسائبة والوصيلة وحرث
لنوع من الزرع حجر اي حرام يوصف به الواحد والجمع والذكر والانثى واردوا
به انها عينت للاصنام فلا يتناولها احد من الانسان الا بحكمهم ويقولون
لا يطعمها الا من نشاء من الرجال والنساء وغرضهم منع الاكل من النساء
بزعمهم يتعلق بقوله وقالوا وكان يفتيهم بالجهل والحرمة بالزعم مالك بن
عوف وانعام حرمت ظهورها وهي الحوامي فلا يركب وانعام اي تذبح على
اسم الهتهم لا يذكرون اسم الله عليها وينسبوا حكم هذه الاقسام الثلثة
من الانعام الى الله وقالوا هذا حكم الله افتراء اي اختلاقا عليه بنصبه
مفعول له سيجزيهم تهديد لهم اي سيعاقبهم الله بما كانوا يفترون
اي يختلقون بانه حكمه وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة اي
الذي في بطون البحاير والسوايب غير الحوامي جملة مخصوصة لذكورنا
اي يأكل الرجال من اجنتها اذا ولدت حية ويشربون من البانها فتأنيث
خالصة باعتبار المعنى لان ما في بطون الانعام انعام ومحرم على ازواجنا
اي لا تأكل منه النساء ولا يشربن من لبنه وتذكير محرم باعتبار ما وان
يكن ميتة بتأنيث الفعل ورفع الميتة اي ان يحدث من بطون الانعام ميتة
فكان تامة وقرئ بتأنيثه ونصب ميتة فكان ناقصة اي ان يكن اجنتها
ميتة وبتذكير الفعل حملا على لفظ ما ونصب ميتة اي وان يكون ما في بطون
الانعام ميتة وبرفع ميتة فكان تامة يعني ان وضعت الناقة من الاجنة
حيا فمختص بالرجال وان ولدت ميتا فهم اي الرجال والنساء فيه اي

في المولود والضمير يرجع الى ما شركاء اي اشترك الرجال والنساء في اكل لحم الفصيل
ولبن الناقة سيجزيهم اي سيعاقبهم الله وصفهم اي جزاء وصفهم
الكذب على الله في التحليل والتحريم انه حكيم في امره عليم بخلقه قوله
قد خسر الذين قتلوا بالتشديد والتخفيف نزل في الذين دفنوا بناتهم
احياء مخافة السبي والفقر وهم ربيعة ومضر اي اهلكوا اولادهم
سفها اي لخفة عقل بنصبه مفعول له بغير علم اي بغير حجة او بجهل
منهم ان الله رازق اولادهم دونهم وعطف وحرموا اي جعلوا
ما رزقهم الله حراما عليهم من البحاير والسوايب وغيرهما على قتلوا
اي وخسر الذين حرموا ما لم يحرمه الله بتحريمه افتراء على الله اي لكذبهم
عليه بانه امرنا بذلك قد ضلوا عن الهدى ودين الاسلام وما كانوا
مهتدين من قبل فخذلهم الله بكذبهم وافترائهم عليه ثم قال لبيان
ان المحلل والمحرم هو الخالق لا غير وهو الذي انشأ اي خلق جنات
اي بساتين في الارض معروشات اي منبسطات على وجه الارض
كالقرع والبطيخ وغير معروشات اي قايمات على ساق كالاشجار
او المعروش ما دعم كالكروم وغير المعروش ما لم يدعم كالنخل وغيره
والنخل والزرع اي وخلق كلا منهما مختلفا اكله بضم الكاف وسكونها
حال مقدرة لانه وقت الانشاء لا اكل فيه وهو الثمر الذي يؤكل اي
حال كون النخل مختلفا طعمه من الحامض والحلو والمر او الاختلاف
في الطعم واللون والحجم والرايحة والزيتون والرمان متشابها
في المنظر وغير متشابه في الطعم ثم احل الاكل من الثمرات اول ما يبدو
بقوله كلوا من ثمره اذا اثمر قيل ان قوله اذا اثمر كالزايد لما علم انه
اذا لم يثمر لا يؤكل قلنا انما قيده للتاكيد يعني ابيح لكم الاكل من ثمره
وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع
وآتوا اي اعطوا حقه اي زكوته المفروضة من العشر ونصف
العشر ان جعلت الآية مدنية او اعطوا صدقة منه على
المساكين ان جعلت مكية يوم حصاده بفتح الحاء وكسرها اي
يوم كيله او يوم صرامه وكان ذلك واجبا قبل الزكوة فنسخته
الزكوة المعنى انكم تصدقوا على الفقراء مما اعطيتم ولا تسرفوا
باخراج جميع المال في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم

صرمت النخل اذا قطعته
صرم النخل اي جذع
الانصرام
الانقطاع

خمسمائة نخل ففرق ثمرها كله ولم يدخل شيئا منه في منزله انه لا يحب
المسرفين باخراج الكل وايجاع الاهل ومن الانعام اي وانشاء من الابل
والبقر والغنم حمولة اي ما يحمل عليه كالابل والبقر وفرشا وهو
ما يفرش للذبح كصغار الابل والغنم والبقر فقال كلوا مما رزقكم الله
من الحرث والانعام حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان
بدعوته اياكم اليها في التحريم والتحليل والمعاصي انه لكم عدو مبين
اي ظاهر العداوة لانه يضلكم ولا ينصح لكم قوله ثمانية ازواج
بدل من حمولة اي خلق لكم من الانعام ثمانية اصناف والازواج
جمع زوج والمراد الذكر والانثى الا انه يقال للواحد زوج اذا لم ينفك عن
صاحبه ثم فصل ما اجمل بالثمانية فقال من الضأن اثنين وهو
بدل من ثمانية والبواقي معطوفة عليه والمراد من الضأن الذكور
والاناث ومن المعز اثنين الذكر والانثى بفتح العين وسكونها لغتان
نزلت الآية في مفتيهم مالك بن عوف واصحابه حيث حرموا تارة
بعض الانعام بسبب الذكورة وبعضها تارة بسبب الانوثة كما سبق
في السوائب والبحيرة فامر الله نبيه ع م ان ينكر عليهم ويناظرهم بقوله
محمد قل آلذكرين من المعز والضأن حرم ام الانثيين منهما ام حرم
ما اشتملت عليه ارحام الانثيين منهما يعني قل لهم بينوا علة الحرمة
من الذكورة والانوثة واشتمال الرحم عليهما فان كان الذكورة
لزم ان يكون كل ذكر حراما لوجود العلة وان كانت الانوثة فكذلك
ينبغي ان يكون كل انثى حراما لوجود العلة وان كان اشتمال الرحم
وجبت حرمتها جميعا لوجود العلة فيهما فمن اين جاء التحريم
نبئوني اي اخبروني عن سبب ما حرمتم من الانعام بعلم اي
بتحقيق حجة ان كنتم صادقين ان الله حرمهما وهذه الجملة
اعترضت بين المعدودات والاصل ان يكون متوالية ليفيد
تاكيد الاحتجاج على من حرمها وتشديد التحليل ثم قال ومن الا
بل اثنين اي وخلق من الابل ذكرا وانثى ومن البقر اثنين ذكرا
وانثى قل انكارا عليهم آلذكرين حرم ام حرم الانثيين ام حرم
ما اشتملت عليه ارحام الانثيين من الابل والبقر يعني بينوا لي
من اين جاء التحريم فيها ام كنتم شهداء اي حضورا ان لم يستطيعوا

على اثبات الحرمة بالبرهان العقلي اذ وصاكم الله بهذا اي بالتحريم
في زعمكم وهذا الكلام تجهيل لهم فتحير مالك بن عوف من كلام
النبي ع م فقال النبي ع م مالك لا تتكلم فقال بل انت تكلم فاسمع انا
فنزل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة تحريم ما لم يحرم اليه
ليضل الناس عن دين الحق بغير علم اي بلا حجة واضحة
وقيل المراد منه عمرو بن لحي وهو الذي سيب السوائب
وبحر البحيرة ان الله لا يهدي اي لا يرشد الى الحجة القوم
الظالمين بكفرهم وكذبهم ثم بين لهم ما حرم عليهم من
المطعومات بقوله قل لا اجد فيما اوحي الي من القرآن محرما
اي شيئا حرمه الله بوجه على طاعم يطعمه اي آكل ياكله الا ان
يكون بالتاء والياء ورفع ميتة فاعله فكان تامة وبنصبها
فكان ناقصة اي الا ان يكون المحرم او الماكول ميتة او دما مسفوحا
اي سائلا جاريا في العروق او منفصلا عن اللحم لا كالكبد والطحال
ولا كالدم المختلط باللحم والمخ فانهم كانوا ياكلون دماء الذبيحة
قيل لولا هذه الآية لتتبع المسلمون من العروق ما يتتبعه
اليهود او يكون الماكول لحم خنزير فانه رجس اي حرام او فسقا
عطف على لحم خنزير اي او يكون المذبوح خارجا عن امر الله تعالى
وصفة فسقا اهل لغير الله به اي رفع الصوت بالفسق لغير
الله اي لمعبودهم يعني يذكر اسمه على المذبوح عند ذبحه
وسمي فسقا لتوغله في المعصية بذكر اسم غير الله عليه احتج
بعض بهذه الآية على ان ما سوى هذه الاشياء مباح ولكن
الاكثر قالوا قد حرم الله اشياء غير هذه على لسان رسوله ع م
ومن ذلك كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير
قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه
فانتهوا فمن اضطر اي من احتاج الى اكل شيء من المحرمات
فاكل غير باغ اي غير ظالم لغير المضطر ولا عاد اي ولا متجاوز
عن مقدار ما يسد به الرمق الى ما فوقه فان ربك غفور
رحيم اي لا يؤاخذه بذلك ولكل من تاب عن الذنوب
واطاع امر ربه وعلى الذين هادوا اي وعلى اليهود حرمنا

سوى المحرمات الاصلية المذكورة في الآية قبلهم اشياء كانت
حلالاً في الاصل بسبب معصيتهم يعني كل ذي ظفر اي الابل
والبط والنعامة قيل كان بعض ذوات الظفر حلالاً لهم في الاصل
لهم فلما ظلموا حرم عليهم ذلك فعمّ التحريم كل ذي ظفر والظفر
ما يكون في طرف الايدي والارجل للانسان وغيره من الحيوانات
ثم تسمى بعض خفاً وبعض مخلباً وبعض حافراً وبعض ظفراً والمراد
ما ليس بمنشق كالبط وغيره وقيل كل ذي مخلب من الطيور وكل
ذي حافر من الدواب ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
اي شحوم البقر والغنم وهي الكلى وشحوم البطون وهي الرقيقة التي على
الكرش الا ما حملت ظهورهما وهو الشحم المعلق بالظهر والجنب من
داخل فانه احل لهم او الحوايا عطف على ظهورهما اي او ما حملت
المباعر جمع حاوية من الشحوم وهي ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط
بعظم وهو شحم الالية لما فيها من العظم وقيل هو المخ الذي التزق بالعظم
ذلك اي الجزاء يعني تحريم الطيبات عليهم جزيناهم اي عاقبناهم
ببغيهم اي بسبب ظلمهم وشركهم لانها كانت حلالاً لهم في
الاصل وانا لصادقون فيما اخبرنا به من كونها حلالاً ثم حرمناها
عليهم بمعصيتهم وانما قال ذلك لان اليهود قالوا ان هذه الاشياء
كانت حراماً من الاصل رداً عليهم فان كذبوك فيما جئت به من التحريم
والتحليل فقل استعطافاً بهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعجل عليكم
بالعقوبة ولا يرد بأسه اي عذابه عن القوم المجرمين يعني اذا
جاء لا يؤخر عنهم قوله سيقول الذين اشركوا بالله غيره نزل اخبا[را]
عما يقولونه استهزاءً بعد لزوم الحجة عليهم لو شاء الله ما اشركنا
ولا آباؤنا زيد لا للفصل بين ضمير الفاعل في اشركنا والعطف عليه
بما بعده ولا حرمنا من شيء من البحائر والسوائب وغير ذلك يعنون
ان كل ما فعلناه بمشيئة الله قالوا ذلك لتكذيبك لا لتعظيم الله
كذلك اي مثل هذا التكذيب الذي كذبوك كذب الذين من
قبلهم من الامم انبياءهم حتى ذاقوا بأسنا اي عذابنا فهلكوا
قل هل عندكم من علم اي حجة واضحة على صحة دعواكم ان
الله حرم هذه الاشياء التي تحرمونها فتخرجوه اي فتظهروه

لنا ليثبت ما تدعون من التحريم والشرك ثم بين تعالى انهم
قالوا ذلك بلا علم وبيان بقوله ان تتبعون الا الظن اي
ما يقولون ذلك الا بالظن من غير يقين وان انتم الا تخرصون
اي تكذبون في قولكم ان ذلك من الله فلما لم يظهر منهم حجة
قال الله تعالى قل يا محمد فلله الحجة البالغة اي التامة الوثيقة
وهي آيات القرآن ونبوة محمد عم في تبيين ما احل لهم وما حرم
عليهم فلو شاء الله مشيئة الجاء لهديكم اجمعين اي
لارشدكم الى دينه الحق بلطفه وتوفيقه لو كنتم اهلاً له
بادني توجه اليه قل يا محمد هلم اي احضروا وهو اسم فعل
بني لوقوعه موقع الاسم يستوي فيه الواحد والجمع والذكر
والانثى عند اهل الحجاز شهداءكم الذين يشهدون لكم
مع علمكم انهم شهداء وان كانوا شهود باطل ان الله حرم
هذا اي الذي حرمتموه امره باستحضارهم ليلزمهم الحجة و
يلقمهم الحجر بهدم ما يشهدون من شهادتهم بقوله فان شهدوا
كاذبين فلا تشهد يا محمد معهم اي لا تصدقهم ولا تسلم لهم
ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا اي بالقرآن وبمحمد عم من
اهل الكتاب والذين اي ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون اي
لا يقرون بالآخرة اي بالبعث وهم بربهم يعدلون اي يشركون
من مشركي العرب قل تعالوا اي جيئوا من العلو والاصل ان يقول
هذا اللفظ من هو بمكان عال لمن هو في مكان احفض منه ثم
استعمل الامر بالمجيء لكل مكان اتل اي اقرأ ما حرم اي الذي حرمه ربكم
عليكم ان مفسرة اي ان لا تشركوا فلا اصلية للنهي او مصدرية
ومحل المصدر نصب بحرم فلا زيدة للتأكيد اي حرم ان تشركوا به شيئاً
وكونه نهياً انسب لعطف قوله وبالوالدين فانه متعلق بالامر
المقدر اي واتل ما امركم الله ان احسنوا بهما احساناً يعني امركم
ببر الوالدين ونهاكم عن عقوقهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق
اي من اجل فقر نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر
منها وما بطن بدل من الفواحش والمراد زنا السر والعلانية
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق كقصاص وقتل ردة

ودجم فان ذلك كله حق يوضحه قوله ذلكم وصاكم به اي امركم
الله به في القرآن لعلكم تعقلون ما حرمه وما احله في هذه الايات
التي هن ام الكتاب يعني محكمات يقتدي بها في التورية والا
نجيل والزبور والفرقان لا يرد عليها النسخ ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتي اي بالخصلة التي هي احسن عملا وهي حفظه واصلاحه و
تثميره بوجه معروف حتى يبلغ اشده وهي ما بين ثماني عشرة الى ثلثين
او البلوغ والعقل وهو جمع شد كفلس وافلس واوفوا الكيل والميزان اي
اتموهما عند البيع والشري بالقسط اي بالعدل لا نكلف الله نفسا
الا وسعها اي طاقتها في العدل يعني لو وقع بعد الاجتهاد زيادة قليلة
او نقصان قليل في الكيل والوزن لا يواخذ به الانسان ثم قال واذا
قلتم اي اذا تكلمتم في الحكم والشهادة فاعدلوا اي قولوا الحق ولو كان
المحكوم عليه ذا قربى اي صاحب قرابة لكم وبعهد الله اوفوا اي اتموا
كل عهد بينه وبينكم او بين الناس وبينكم يعني كل واجب من امتثال
امر ونهي ونذر وحفظ امانة كنز ومال وعقد وموثق ذلكم اي الذي
تلوته عليكم وصاكم به اي امركم الله باخذه والعمل به في كتابه لعلكم
تذكرون بالتخفيف والتشديد اي تتعظون فيمتثلون باوامره ونهيه
قوله وان بالكسر استيناف اي قال تعالى هذا اي الذي وصاكم به صراطي
مستقيما في الدين لا عوج فيه الى دخول الجنة التي هي دار السلامة
وبفتح ان اي ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه لاستقامته ولا
تتبعوا السبل اي الطرق المختلفة في الدين وهي طرق الشيطان وجواب
النهي فتفرق اصله فتتفرق اي فتميل بكم ضالين باتباع الاهواء عن
سبيله اي دين الله المستقيم وهو الاسلام ذلكم وصاكم به لعلكم
تتقون اي تحذرون الاهواء المختلفة فتستقيمون في دينه قوله
ثم آتينا موسى عطف على وصاكم به بكلمة ثم للتراخي وان كانت التوصية
في القرآن وايتاء التورية قبل نزوله لان هذه التوصية قديمة يوصي
بها كل امة على لسان نبيهم لما ذكرنا ان آية التوصية محكمات لم يرد
عليها نسخ من جميع الكتب فكانه قال تعالى ذلكم وصاكم به يا بني آدم
قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب التورية
تماما مفعول له اي لتمام النعمة على الذي احسن اي على المحسنين

سنة

آيات ح

من الانبياء

من الانبياء والمومنين للعمل بشرايعه في الاسلام او على الذين احسنه الله
لموسى فالضمير في احسن لله والمفعول محذوف وتفصيلا اي وبيانا
لكل شيء من الحلال والحرام وهدى من الضلالة ورحمة اي وامنا من
العذاب لعلهم بلقاء ربهم يومنون اي يقرون بالبعث وهذا اي
ومن تمام النعمة هذا القرآن كتاب انزلناه مبارك اي فيه بركة لمن
آمن به ومغفرة للذنوب تلاوة وعملا بما فيه فاتبعوه اي اقتدوا
به للعمل باوامره ونواهيه واتقوا اي اجتنبوا عن اتباع غيره لعلكم
ترحمون اي لكي ترحموا ولا تعذبوا قوله ان تقولوا مفعول له لقوله
انزلناه قبله اي انزلناه مخافة ان تقولوا يا اهل مكة انما انزل الكتاب
على طايفتين اي اليهود والنصارى من قبلنا وتقولوا ايضا وان
كنا اي ان الشان اصله انه كنا عن دراستهم اي عن قراءتهم
الكتاب لغافلين يعني لا نفهمها لانها ليست بلغاتنا قوله او تقولوا
عطف على ان تقولوا اي لئلا تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم اي ارشد دينا من اليهود والنصارى فانزلناه عليكم
لقطع حجتكم ثم قال على سبيل التحدي بهم حاذفا للشرط اي ان كنتم
صادقين فيما تدعونه فقد جاءكم بينة اي حجة واضحة من ربكم
وهي القرآن مع محمد عم وهدى من الضلالة ورحمة اي وامن من العذاب
لمن اتبعه ثم قال توبيخا لهم بالاستفهام فمن اظلم ممن كذب بايات
الله بعدما عرفها اي لا احد اشد ظلما ممن عرف حقيتها وصدف
عنها اي عرض عن الايمان بها ثم قال تهديدا سنجزي الذين
يصدفون اي سنعاقب المعرضين عن آياتنا سوء العذاب
اي شدته بما كانوا يصدفون اي يعرضون عن الايات قوله
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة بالياء والتاء تبكيت لهم
واستبطاء الايمان منهم بعد انزال الكتاب عليهم واقامة
الحجة على صدق محمد عم بالاستفهام لمعنى النفي اي ما ينتظرون
بترك الدخول في الاسلام الا ان يجيئهم الملائكة لقبض ارواحهم
او ياتي ربك اي امر الله وقضاؤه بالعذاب من حيث لم يحتسبوا
في الدنيا او في الاخرة او ياتي بعض آيات ربك وهو الموت او طلوع
الشمس من مغربها يوم ياتي بعض آيات ربك كطلوع الشمس من

التحدي المجادلة والمحاجة

مغربها ظرف عامله لا ينفع نفسًا ايمانها اذا آمنت فيه
وصفة نفسًا لم تكن آمنت من قبل اي قبل ظهور الايات
او للجملة حال من ها في ايمانها وعطف على آمنت او كسبت
اي لم تكن كسبت في ايمانها السابق على ظهور الآيات خيرًا
اي توبة او عملًا صالحًا وفي ظاهر هذه الكلام دلالة على ان
الايمان السابق الخالي عن فعل الخير لا ينفع مطلقًا ولكنه ينفع
في عدم التخليد في العذاب لورود النصوص في ذلك والعقل
لا ينافيه ولا ينفع في دفع العذاب جزاءً على الاثم والايمان
عند ظهور الآيات لا ينفع مطلقا وكذا توبة الفاسق لا ينفع
عنده ولا يقبل خيره قال النبي عم ثلث اذا خرجن لم ينفع نفسًا
ايمانها لم تكن آمنت الدخان والدابة وطلوع الشمس من
مغربها قال ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل الله من كافر
عملًا ولا توبة اذا اسلم حين يراها الا من كان صغيرًا
يومئذ فانه لو اسلم بعد ذلك قبل منه ومن كان مؤمنًا
مذنبًا فتاب من الذنب قبلت منه لمعرفته السابقة معرب
ثم امر الله نبيه بقوله قل يا محمد لهم تهديدًا انتظروا العذاب
انا منتظرون بكم حتى ننظر اينا اسعد حالا واحمد عاقبة قوله
ان الذين فرقوا دينهم بالتشديد اي آمنوا ببعض الرسل ولم
يؤمنوا ببعض وقرئ فارقوا بالالف اي تركوا دين الاسلام
ودخلوا في اليهودية والنصرانية نزل في اليهود والنصارى
اي ان الذين تركوا دينهم وكانوا اي صاروا شيعًا اي فرقًا
باديان مختلفة لست منهم في شيء اي من قتالهم يعني
لم تؤمر بقتالهم ونسخ باية السيف وقيل نزلت الاية في
اهل الاهواء والبدع فمعنى الكلام انت بريء منهم وهم
براء منك او ليس بيدك توبتهم ولا عذابهم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تفرقت بنو اسرائيل اثنين وسبعين ملة
وستفترق امتي على ثلث وسبعين ملة كلهم في النار الا واحدة
وهي ما انا عليه واصحابي وفيه حث للمؤمنين ان لا يتفرقوا في
الدين ويجتنبوا عن البدع ما استطاعوا ثم قال انما امرهم اي

على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ...

مفوض

مفوض حكمهم الى الله ثم ينبئهم اي يخبرهم بما كانوا يفعلون في
الدنيا فيجازيهم بما فعلوا فيها من جاء بالحسنة اي من عمل بعد
الايمان عملًا حسنًا فله عشر امثالها باضافة عشر الى امثالها ولم
يقل عشرة وان كان الامثال مذكرًا لان التقدير عشر حسنات
امثالها فحذف الموصوف واقيم الصفة مقامه اي يعطي في الآخرة
ثواب عشرة للواحدة ومن جاء بالسيئة اي ومن عمل عملًا رديًا من
المعاصي فلا يجزى الا مثلها اي لا يعاقب الا عقابًا يماثلها وهم لا يظلمون
اي لا ينقصون من ثواب اعمالهم شيئًا ولا يزادون على سيئاتهم
كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
قال النبي عم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها يكتب
له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها يكتب له بمثلها
حتى يلقى الله تعالى ثم قال اهل مكة انت بشر مثلنا فمن اين لك هذه
الفضيلة فنزل قل انني هداني اي ارشدني بلطفه ربي اي سيدي
ومولاي الى صراط مستقيم اي الى دين ذي استقامة وهو الاسلام
قوله دينًا قيمًا نصب بمضمر هو جواب سؤال مقدر كانه قيل كيف
هداك ربك الى صراط مستقيم فقال عرفني دينًا محكمًا ثابتًا في غاية
الثبوت وقرئ بفتح القاف وكسر الياء مع التشديد فيعل من قام
كسيد من ساد صفة دينًا وبالعكس مع التخفيف مصدر بمعنى
القيام وصف به الدين مبالغة كرجل عدل قوله ملة ابراهيم
بدل من دينًا حنيفًا نصب على الحال من ابراهيم اي دين ابراهيم
حال كونه مخلصًا في الاسلام وما كان من المشركين اي لم يكن على
دينهم قل ان صلوتي المفروضة علي وعلى من تابعني ونسكي اي وعبادتي
او حجي او قرباني المذبوح بمنًا ومحياي اي وحيوتي في الدنيا بالعمل
الصالح ومماتي اي وموتي بعد الحيوة على الايمان فخلوص العمل
لله رب العالمين اي خالص لله الخالق لكل شيء لا شريك له في الاصنام
وغيرها وبذلك اي بهذا الاخلاص امرت في الكتاب المنزل علي وانا
اول المسلمين من امتي لان اسلام كل نبي سابق على اسلام امته
او انا اول المخلصين بالثبات على الاسلام فانا مقدمهم وامامهم
وانهم يأتون بي في ذلك ثم قال اهل مكة للنبي عم ارجع الى ديننا ونحن

كفعلة لكن بما يصيبك من الرجوع الى ديننا وان نحمل اوزارك فنزل قل يا محمد انكارًا عليهم اغير الله ابغي اي اطلب سوى الله ربًا وهو رب كل شيء من خلقه وما سواه مربوب له فكيف يصلح ان يكون ربا ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب لقولهم ولنحمل خطاياكم اي وبال كسبها عليها لا على غيرها والكذ ذلك بقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل غيرها والتاء في وازرة لتانيث النفس واصل الوزر الثقل ثم الى ربكم مرجعكم اي مصيركم في الآخرة فينبئكم اي فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون من الدين فيتبين لكم الحق من الباطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض اي خلقكم وجعلكم سكان الارض نيابة عن الامم قبلكم لان النبي عم وامته خلفوا جميع من مضى قبلهم بان سكنوها بعد اهلاكهم الله تعالى ورفع بعضكم فوق بعض درجات اي فضل بعضكم على بعض بالخلق والخلق والدين والعلم والرزق والمال ليبلوكم اي ليختبركم في ما آتاكم من الغناء وطلب الشكر والفقر وطلب الصبر يعني يبتليكم ليظهر لكم من يطيع ومن يعصي ثم هدد عباده بالخطاب الى النبي عم فقال ان ربك سريع العقاب اي قريبة للعاصي لان كل ما هو آت فهو قريب وانه لغفور رحيم لمن آمن وتاب عن الذنوب وعمل عملا صالحا وقيل سريع العقاب لمن لم يحفظ عهد الله فيما اعطاه من فضله وترك حقه فيه غفور رحيم لمن اطاعه في كل حال من الفاقة والغنا بعد التوبة قال النبي عم من قرأ سورة الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك سبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يومًا وليلة

سورة الاعراف كلها مكية مائتان وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص اي انا الله اللطيف المجيد الصادق في قوله نزل نهيًا للنبي عم عن اتباع المشركين في اهوائهم وتحذيرًا من مثل حالهم وفيه تسلية له عم ليصبر على اذاهم كتاب اي هذا كتاب والمراد هذه السورة انزل اليك محله رفع صفة كتاب فلا يكن في صدرك حرج منه اي ضيق من تكذيبهم به او شك في انه من الله ومن حال تبليغ الكتاب توجه النهي الى الحرج ظاهرًا وفي الحقيقة الى المخاطب بمعنى لا تحرج لتنذر به اي لتخوف بالكتاب متعلق بانزل او بالنهي

لان الموقن مسرور بالتوكل على الله للانذار المعنى انه انزل اليك لتنذر به اهل مكة فلا تكن في صدرك حرج ان عليك الا البلاغ وذكرى للمؤمنين رفع عطف على كتاب او نصب بفعله محذوف عطف على لتنذر اي وتذكر تذكيرا او جر عطف على محل تنذر اي انزل للانذار والذكرى لمن آمن به والتذكير والذكرى واحد اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم من القرآن اي على نبيكم الذي يقرأ عليكم واعملوا به ولا تتبعوا من دونه اي دون الله تعالى اولياء اي اصدقاء وارباب من الشياطين والاصنام يعني لا تعبدوا غير الله قليلا ما تذكرون بتخفيف الذال وتشديدها وبالياء والتاء معًا يعني يتذكرون وما زائدة لتاكيد القلة اي لا تتعظون شيئا ونصب قليلا بما بعده من الفعل ثم قال تهديدا لكفار مكة وكم من قرية اهلكناها اي وكثير من القرى اردنا اهلاكها فكم مبتداء ومن قرية صفته وخبره اهلكناها فجاءها بأسنا اي عذابنا بعد تكذيب الرسل بياتا اي ليلا كقوم لوط اهلكوا وقت السحر وهو مصدر سمي به الليل لانه يبات فيه كما سمي البيت بيتا لانه يبات فيه او هم قائلون اي هم في حال القيلولة وهي النوم نصف النهار كقوم شعيب والجملة الاسمية في محل النصب على الحال معطوفة باو على بياتا وحذفت الواو الرابطة استثقالا للجمع بين حرفي عطف لان اصل واو الحال العطف ثم استعيرت للوصل تقديره جاءها بأسنا بائتين وقائلين يعني ليلا ونهارا والواو فيه لتفصيل العذاب فبعض نزله ليلا وبعض نزل نهارا وانما خص البيات والقيلولة بالذكر لانهما وقت غفلة وحلول العذاب فيهما اصعب ثم اخبرهم عن حال من جاءهم العذاب بقوله فما كان دعواهم اي لم يكن قولهم وتضرعهم اذ جاءهم بأسنا اي عذابنا الا ان قالوا خبر كان اي قالوا نادمين انا كنا ظالمين انفسنا بترك التوحيد وبفعلنا المعاصي فاعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف اذ لم يبق لهم حيلة سواه قال عم ما هلك قوم حتى يعتذروا من انفسهم فاعتبروا يا اهل مكة بهم فانكم اذا جاءكم العذاب لا ينفعكم التضرع قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم اخبار عن كيفية حال الامم والانبياء يوم القيمة اي لنسئلن توبيخا ...

الغفلة الاستراحة ونصف النهار اذا اشتد الحر وان لم يكن معه نوم

للامم عما بلغهم الانبياء يعني هل بلغتم به ولنسئلن المرسلين
اي الانبياء عما بلغوا وما اجيبوا تقريرا للذكر فلنقصن عليهم
اي لنخبرنهم يومئذ بما عملوا في الدنيا بعلم اي عالمين بجميع
ما صدر منهم حقيقة من التبليغ والرد وما كنا غائبين اي
غافلين عن ذلك لنخبر بما لم يكن المعنى انا ما كنا نسئلهم لنعلم
ما لم نعلم بل سألناهم ليكون حجة عليهم باعترافهم و
الوزن يومئذ الحق اي وزن الاعمال الذي هو الحق كائن
يوم القيمة لا محالة بالعدل فالوزن مبتداء والحق صفته و
يومئذ خبره والعامل في الظرف محذوف وهو الخبر حقيقة و
هو ضعيف لاستلزامه الفصل بين الموصوف والصفة بالخبر
والاولى ان يكون الظرف خبرا والحق بدلا من الضمير في الظرف
قال النبي عم يوزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان
وكفتان قيل يجعل الاعمال مصورة فيوضع في الميزان وقيل
يوضع فيه صحف الاعمال وقيل يوضع الاشخاص فيه اظهارا
للعدل وقيل لا ميزان في الحقيقة ولكن ذكره هنا على وجه
المثل والكناية عن العدل وهو قول اهل الاعتزال فالمراد منه
السؤال والقضاء بالقسط والحق ان الميزان حق يوضحه فمن
ثقلت اي رجحت موازينه جمع ميزان لان لكل عبد ميزانا
او هو جمع موزون اي حسناته على سيئاته فاولئك هم
المفلحون اي الناجون من النار الفائزون بالجنة ومن
خفت موازينه اي رجحت سيئاته على حسناته فاولئك
الذين خسروا انفسهم اي غبنوا حظ نفوسهم بما كانوا
بآياتنا اي بالقرآن ومحمد عم يظلمون اي يجحدون بانها
ليست من الله قيل حق لميزان يوضع فيه الحق ان يكون ثقيلا
وحق لميزان يوضع فيه الباطل ان يكون خفيفا قوله ولقد
مكناكم في الارض تذكير لهم النعم ليشكروا ربها ولا يكفروا
بها اي اقدرناكم فيها بالتصرف وملكناكم وجعلنا لكم فيها
معايش اي ما تعيشون به من الرزق او ما يتوصل به كالزرع
والضرع والياء بعد الالف لا يهمز فيها لانها اصلية من المعيشة

اصلها معيشة مفعلة من العيش فاعلت تبعا لاعلال فعلها وهو
يعيش ثم وبخهم بقوله قليلا ما تشكرون اي لا تشكرون ذ
هذه النعم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا آدم من تراب
واباكم من نطفة نسلا بعد نسل ثم صورنا آدم في الارض و
صورناكم في الامهات او يوم الميثاق من ظهره او خلقنا اباكم آدم
طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك وجمع تعظيما له ويوضح هذا التأ
قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجدة التحية وقيل سجدة
العبادة فثم على هذا للتراخي في الزمان وعلى المعنى الاول بمعنى الواو
فسجدوا لآدم الا ابليس لم يكن من الساجدين اي لم يسجد مع
الملائكة لآدم كبرا وحسدا قال الله توبيخا بالاستفهام لابليس و
اظهارا لما اضمر في نفسه من الكبر والحسد ما منعك الا تسجد
اي شيء منعك من السجود يا ابليس فلا زائدة لتوكيد معنى الفعل
الذي تدخل عليه والغرض هنا اظهار وجوب السجود بصورة
النفي اذ امرتك اي وقت امري لك بالسجود لآدم وفيه دليل على
ان الامر للوجوب وللفور قال ابليس منبها على فضله من اول
الامر وقد كان جوابه ان يقول منعني كذا انا خير منه اي افضل منه
مرتبة ثم بين وجه الفضل على زعمه فقال خلقتني من نار وخلقته
من طين فاخطاء اللعين بمخالفة الامر والاعتقاد بان السجود
لآدم حسب والاشتغال بالقياس في موضع النص ولم يعلم
بان القياس في موضع النص باطل ولانه فضل النار على الطين
ولم يعلم بان الفضل لما فضله الله قيل ان الخطاء اذا احتج له
صار عمدا والذي يدل على فساد قياسه انه لم يجب بل طرد
بالاهانة بان قال تعالى له فاهبط اي انزل منها اي من الجنة
لكونها للمطيعين فما يكون اي ما ينبغي او ما يصح لك ان تتكبر
فيها اي تتعظم في الجنة على بني آدم فاخرج اي ابعد منها
انك من الصاغرين اي الذليلين لتكبرك واباك من السجود
يقال صغر فلان صغرا اذا ذل قال ابليس طالبا لاستيفاء حظه
من الدنيا آيسا من نعيم الآخرة انظرني اي امهلني لاغويني الى يوم
يبعثون اي يخرجون الناس من قبورهم وهو النفخة الاخيرة

قال ابن عباس اراد اللعين ان لا يذوق الموت اذ لا موت بعدها
فابى الله تعالى ذلك عليه قال انك من المنظرين اي الى النفخة الاولى فيموت
مع من يموت وانما انظره مجيبًا الى استظهاره مع علمه انه يغوي عباده
ابتلاءً وفتنة للعباد وليظهر به المطيع والعاصي وليعظم الاجر والوزر
قيل الخطاب قد يكون شرفًا للمخاطب اذا كان في محل التضرع والابتهال
وقد يكون مقتًا اذا كان على سبيل الخصام والجدال ومنه مخاطبة
اللعين قال اللعين لارادة الانتقام من ذرية آدم الذي صار سببًا
لهلاكه فبما اغويتني اي اضللتني وخيبتني منك والباء للسببية تتعلق
بفعل القسم لا بجوابه لمنع اللام عن ذلك يعني بسبب اغوائك اقسم
بالله لاقعدن لهم اي له جلسن لاغواء الناس صراطك المستقيم
اي على دين الاسلام فاصدهم عنه ثم لآتينهم بوسوستي من
بين ايديهم اي من جهة الاخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم اي
من جهة الدنيا فادعوهم اليها بالتزيين في اعينهم وقلوبهم
وعن ايمانهم اي عن طرق الاسلام والخيرات فاوقع الشبهات
فيها وعن شمائلهم اي عن طرق السيئات والشهوات فارغبهم
فيها واستعمال من في الاولين وعن في الثانيين سماعي لا قياسي روي
ان الشيطان لا ياتي العبد من فوقه لئلا يحول بينه وبين رحمة الله
النازلة من جهته المعنى اني لاغوينهم من جميع الجهات ولا تجد اكثرهم
شاكرين اي اكثر ذرية آدم مؤمنين او شاكرين للنعم كقوله وقليل
من عبادي الشكور قال الله تعالى اخرج منها اي من الجنة مذؤمًا
بالهمزة من ذامه اذا ذمته مدحورًا اي مطرودًا من الجنة او من
الرحمة او عن كل خير من الدحر وهو الابعاد لمن تبعك اللام فيه
موطئة للقسم ومن شرط اي والله لمن اطاعك فيما دعوته اليه
منهم اي من بني آدم لاملان جهنم منكم يعني من الجن والانس
واللام فيه زائدة في جواب القسم للتاكيد اي لاملأن بهم وبك النار
اجمعين ممن اطاعوك من الفريقين وجواب القسم ساد مسد جواب
الشرط ثم اخبر تعالى عن قوله لادم في الجنة ويا آدم اي وقلنا يا
آدم اسكن انت وزوجك الجنة اي اثبت انت ولتثبت حواء
جنة الخلد فكلا من حيث شئتما اي حيثما بالتوسعة عليكما ولا تقربا

هذه الشجرة اي لا تاكلا منها فتكونا من الظالمين اي ضارين انفسكما
فوسوس اي القى الوسوسة لهما اي اليهما الشيطان وهو
تكرير الكلام في خفية لعل التزيين يعني زين لادم وحواء اكلها ليبدي
اي ليظهر لهما ما وري عنهما من سوآتهما اي ما ستر من عورتهما
فان عورتهما لم تكن لترى لهما من قبل هذا فلما اذنبا ذويت لهما
ليخزيهما ولذلك سميت سوءة وفيه دلالة على ان كشف العورة قبيح
في كل زمان ولما راى اللعين نفسه طريدًا من الرحمة وراى آدم الذي
حسده ساكنًا في الجنة لم يصبر فاحتال لاخراجه مع زوجه حواء
فاباهما وقال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكل ثمرها
الا ان تكونا اي الا مخافة كونهما ملكين اي كالملكين العالمين بالخير والشر
في الجنة او تكونا من الخالدين اي او مخافة كونهما من الباقين في الجنة
لا تموتان ابدًا وقاسمهما اي حلف لهما يمينًا موثقة كذبًا وهي مفاعلة
من واحد وكان منه القسم ومنهما التصديق فكانهما من اثنين
اني لكما لمن الناصحين بقسمي ان من اكل منها لم يمت فاول من حلف كاذبًا
هو ابليس عليه اللعنة فدلاهما اي اسقطهما عن منزلتهما بغرور اي
بخداع منه والغرور في الاصل اظهار النصح مع ابطان الغش فلما ذاقا
الشجرة اي وجدا طعمها آدم وحواء بعد الاخذ منها ليتعرفاها بدت اي
ظهرت لهما سوآتهما اي لكل واحد منهما عوراتهما وكانا لا يريان ذلك
من انفسهما ولا احدهما من صاحبه قالت عائشة رضي الله عنها
ما رأيت منه ولا راى مني اي العورة من النبي عم قيل اخذهما العقوبة
قبل ابتلاع اللقمة من الحلق وكان لباسهما نورًا او كلباس بني اسرائيل
في التيه وهو مثل الظفر فاستحييا فانطلق آدم هاربًا فتعلقت به
شجرة من شجر الجنة فناداه ربه اتفر مني يا آدم قال ربي اني استحي
وطفقا اي اخذا يخصفان اي يلصقان عليهما من ورق الجنة
اي من ورق تينها قيل او صلاه ورقة بورقة حتى صار كالثوب
فاستترا به وناداهما ربهما اي قال لهما عتابًا لهما وتوبيخًا الم
انهكما عن تلكما الشجرة اي عن اكل ثمرتها واقل اي الم اقل لكما
نصحًا ان الشيطان لكما عدو مبين اي بين العداوة فيه دلالة على
ان الله قد عرفهما قبل ذلك عداوة ابليس لهما وحذرهما من شرة قال

اي آدم وحواء معتذرين عن خطيئتهما ربنا ظلمنا انفسنا بترك
امتثال امرك فاغفر لنا ذنوبنا وان لم تغفر لنا ذنوبنا وترحمنا لقبول
عذرنا وتوبتنا لنكونن من الخاسرين اي المغبونين بالعقوبة مكان
المرحمة وقد تقدم ان الله قبل توبتهما حيث قال فتاب عليه قيل
فيه دليل علي ان المذنب اذا اصر علي ذنبه يعذبه الله واذا تاب
يتجاوز عنه ولما لم يتب ابليس بل سأل النظرة جعل الله مثواه
قعر جهنم ثم قال تعالى اهبطوا اي انزلوا من الجنة يا آدم وحواء و
ابليس بعضكم لبعض عدو الجملة حال من فاعل اهبطوا اي متعادين
لان الابليس يعاديهما وهما يعاديانه ولكم في الارض مستقر اي
منزل قرار ومتاع الي حين اي ومعاش الي وقت الموت قال الله تعالى
فيها اي في الارض تحيون اي تعيشون وفيها تموتون ومنها تخرجون
للبعث يوم القيمة قرئ معلوما ومجهولا ولما كان ستر العورة نعمة عظيمة
لآدم وبنيه حيث يفتضحون بعدمها وهي لا تحصل الا باللباس الحاصل
من النبات الحاصلة بالماء المنزل من السماء قال مخاطبا لهم بالاشارة
الي الامتنان به عليهم يا بني آدم قد انزلنا عليكم اي خلقنا لكم لباسا
بانزال الماء الذي ينبت به النبات الذي تأخذون منه ذلك بحيث
يواري اي يستر سوآتكم اي عوراتكم وريشا مفردا وجمعه رياش اي
وانزلنا عليكم لباس الزينة كالريش للطائر فانه لباسه وزينته يعني
انزلنا عليكم لباسين لباسا لستر عوراتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة
غرض صحيح كقوله لتركبوها وزينة ولباس التقوى اي لباس الورع
والخشية بالرفع مبتدء خبره ذلك خير اي هو افضل من هذا اللباس
لانه يستر منكم عيوب الدنيا والآخرة وضع اسم الاشارة موضع الضمير
وبالنصب عطف علي لباسا وقيل لباس التقوى ما يتقي به في الحرب
كالدرع والجوشن والمغفر وغيرها ذلك اي انزال اللباس من آيات الله
الدالة علي فضله ورحمته علي عباده لعلهم يذكرون اي يتعظون
فيعرفون عظيم نعمته فيه قيل هذه الآية وردت علي سبيل الاستطراد
عقيب ذكر كشف سوأة آدم وحواء وخصف الورق عليهما اظهارا
للمنة فيما خلق من اللباس ليستر عورات الناس الموجبة للفضاحة
والمهانة واشعارا بان الستر باب عظيم من ابواب التقوى ثم قال

تحذيرا

تحذيرا لهم من طاعة الشيطان الذي اضل اباهم آدم فاخرجه
من الجنة يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان اي لا يبطلنكم عن
طاعتي باتباعه فيمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم
من الجنة حين ترك طاعتي بفتنته وفيه نهي للشيطان لفظا
وللناس معنى قوله ينزع عنهما لباسهما في محل النصب علي
الحال من ضمير اخرج الفاعل اي اخرجهما من الجنة نازعا ثيابهما
اسند هما الي السبب وهذه الحال محكية لكون نزع اللباس
سابقا علي الاخراج ليريهما سوآتهما فان اطعتم الشيطان
بفتنته ينزع عنكم ثياب دينكم وتقويكم فيبدي عوراتكم
اي عيوبكم اي عيوبكم في الدين كما فعل بابويكم فاظهر عورا
في البدن ثم بالغ في التحذير فقال انه يريكم اي الشيطان يبصركم
هو وقبيله اي وجنوده من حيث لا ترونهم اي لا تبصرونهم
لان اجسادهم لطيفة تخرقها الابصار فلا يريهم يعني كونوا
بالحذر منه ومنهم قال ع م ان الشيطان ليجري من ابن آدم
مجرى الدم اي كجري الدم في العروق انا جعلنا الشياطين اولياء
اي اصدقاء وقرناء باتباعهم للذين لا يؤمنون اي لا يصدقون
برسلي وما انزل اليهم من الامر والنهي كاهل مكة قوله واذا
فعلوا فاحشة اخبار عن حال المشركين التابعين لابائهم الجهلة
دون محمد ع م وكتابه اي اذا فعل اهل مكة ومن حواليها فعلة
فاحشة هي طوافهم عراة بالبيت وطواف رجالهم بالنهار
ونسائهم بالليل وقيل هي الشرك وكل معصية ثم قيل لهم
لم فعلتم تلك الفاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا
تقليدا لهم ثم قالوا افتراء علي الله والله امرنا بها اي
بالفاحشة وكذبوا في قولهم فقال تعالى لنبيه ع م قل ان
الله لا يأمر بالفحشاء اي بالمعاصي لاستحالة الامر بها
في حقه لكونه حكيما بالذات اتقولون علي الله ما لا تعلمون اي اتكذبون
عليه بما لا تعلمون حقيقته ثم امر نبيه ان يبين لهم ما امرهم
بقوله قل امر ربي بالقسط اي بالعدل وهو التوحيد وقل لهم
اقيموا وجوهكم عند كل مسجد اي حولوا وجوهكم الي الكعبة

عند كل صلوة وادعوه اي اعبدوه مخلصين له الدين اي العبادة
لانكم تموتون وتبعثون وتحاسبون كما بدأكم اي مثل ما انشأكم
حفاة عراة غرلا تعودون الي الحيوة بعد الموت وهو احتجاج عليهم
حيث انكروا العود الي الحيوة يوم القيمة ثم بين ان الهادي والمضل
هو الله تعالى بقوله فريقا هدي اي الله بلطفه وهم المؤمنون
لانه علم منهم الطاعة فاكرمهم بالمعروف والتوحيد وفريقا
حق اي وجب بخذلانه عليهم الضلالة وهم الكافرون لانه
علم منهم العصيان فاهانهم بالشرك والجهالة المعنى انه
هدي فريقا من عباده وخذل فريقا منهم لان من حقت عليه
الضلالة مخذول انهم اي لان الكافرين اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله اي من غير الله واوليائه تعليل لوجوب
الضلالة عليهم ويحسبون انهم مهتدون اي يظنون
انهم علي الاهتداء قيل فيه دليل علي ان من لا يعلم انه كافر
في حال كفره فهو كافر له نعذره جهله قوله يا بني آدم خذوا
زينتكم عند كل مسجد نزل حين كانوا يطوفون بالبيت عريانا
ليلا ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا فيها ويحرمون اللحم والودك
واللبن في حجهم فقال تعالى البسوا زينتكم اي استروا عوراتكم عند
كل صلوة كل مسجد من البيت وانما ادخل فيه كل لان كل موضع من البيت
مسجد وكلوا واشربوا اي وكلوا اللحم والدسم واشربوا اللبن ولا تسرفوا
في شيء ما او في التحريم وقيل الاسراف ان ياكل الرجل ما لا يحل اكله له او ياكل
مما يحل له فوق الاعتدال ومقدار الحاجة انه لا يحب المسرفين تحريم
ما احل الله وتحليل ما حرمه قيل الطب كله في قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا
قوله قل من حرم زينة الله نزل حين عيرهم المشركون طواف البيت
بلبس الثياب بعد نزول قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد فامر الله
نبيه عم بان يقول للمشركين بالاستفهام الانكاري علي تحريم الحلال من
حرم زينة الله اي لبس الثياب الذي يستر به العورة ويتجمل به
حلالا التي اخرج لعباده اي خلقها لهم والطيبات اي الحلالات
من الرزق اي من المأكل والمشارب كاللحم والدسم واللبن وغيرها
قل هي اي الزينة والطيبات ثابتة للذين آمنوا في الحيوة الدنيا

وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة

بالاستحقاق

بالاستحقاق لانها خلقت لهم وان كان الكفار مشتركين فيها
معهم في الدنيا وهو من قبيل الاكتفاء قوله خالصة بالرفع خبر
بعد خبر اي هي مخصوصة للمؤمنين يوم القيمة ظرف لخالصة وهذا
يدل علي الاشتراك في الدنيا وبالنصب علي الحال من الضمير في للذين
آمنوا الراجع الي الزينة المعنى ان المؤمن والكافر يشتركان
في الزينة والطيبات في الدنيا ويختص بهما المؤمن يوم القيمة
كذلك اي مثل هذا التبيين نفصل اي نبين الايات من الامر
والنهي وما يكون في الدنيا والآخرة لقوم يعلمون اي يعرفون
الله ويفهمون ما امرهم ثم قال آمرا لنبيه عم مخبرا عما حرم
عليهم قل انما حرم ربي الفواحش اي الاشياء التي قبح
فحشها وابدل منها ما ظهر منها وما بطن وهو الزنا سرا
وعلانية وقيل الطواف عريانا ليلا ونهارا وعطف علي
ما ظهر والاثم اي الذنب كله والمراد منه كل ما لا حد فيه وقيل
الاثم الخمر كقول الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلي والبغي اي الظلم
والكبر بغير الحق اي بغير بيان من الله وحرم ان تشركوا بالله ما
لم ينزل به سلطانا اي كتابا فيه حجة لكم وحرم ان تقولوا علي الله
ما لا تعلمون اي الافتراء عليه والتحليل والتحريم الذين لا يعلمون
انهما منه ثم قال تخويفا لهم ولكل امة اجل اي لكل اهل دين وقت
معلوم للعذاب فاذا جاء اجلهم اي قرب مجيء وقت عذابهم
لا يستأخرون اي لا يمهلون ساعة بعد الاجل ولا يستقدمون
اي ولا يتقدمون ساعة قبل الاجل وقيل فيه مبالغة لنفي التأخير
بتسوية طرفي الزمان الذين احدهما ممكن والآخر محال وانما قيد
بالساعة لان الساعة اقل الازمنة المستعملة في الامهال ثم
قال مبشرا ومنذرا لهم يا بني آدم اما يأتينكم اما مركبة من
ان الشرطية وما الزائدة للتأكيد ولذلك يلزم فعلها النون
المشددة او المخففة لزيادة التأكيد ان يجيئكم رسل منكم
اي من جنسكم يقصون اي يقرؤن ويعرضون عليكم آياتي
اي القرآن لبيان احكامي وجواب الشرط جملة فمن اتقى اي
الشرك وتاب عن المعصية واصلح اي زكى العمل واطاع الرسول

فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم من العذاب ولا هم يحزنون
على ما خلفوا في الدنيا من المعاصي والذين كذبوا باياتنا اي باحكا
واستكبروا اي تعظموا عنها اي عن الايمان بها اولئك اي المكذبون
اصحاب النار هم فيها خالدون اي الدائمون في العذاب بالنار
ثم قال تهديدا بالاستفهام الانكاري للمفترين عليه فمن اظلم اي
شخص اشد ظلما يعني لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا
بشركه او كذب باياته اي القرآن اولئك اي المفترون ينالهم
اي يصل اليهم نصيبهم اي حظهم من الكتاب اي مما كتب لهم
من الرزق او من العذاب في الدنيا حتى هي غاية لما يصل الى الكفا
اي يصل اليهم رزقهم وعذابهم هنا حتى اذا جاءتهم رسلنا
اي ملك الموت واعوانه يتوفونهم اي حال كونهم يميتونهم بقبض
ارواحهم قالوا اي يقول رسلنا الملائكة اينما كنتم تدعون اي
اين الذي كنتم تعبدونه يعني آلهتهم التي عبدوها في الدنيا
من دون الله فيدفعوا عنكم الموت قالوا اي الكفار ضلوا عنا
اي آلهتنا غابوا الآن فلم نرهم وشهدوا على انفسهم اي اقروا
عليهم عند الموت انهم كانوا كافرين في الدنيا اعترفوا حين لا ينفع
بهم الاعتراف ثم اخبر الله تعالى عما يقول لهؤلاء الكفار بقوله قال
ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اي يقول الخزنة بامره تعالى ادخلوا
النار في زمرة امم سبقوكم بالكفر والزمان من الجن والانس في النار
كلما دخلت في النار امة لعنت اختها اي امة دخلت قبلها في النار
لضلالها بها لانها وضعت مذهب الضلالة في الدنيا قبلها كقابيل
وولده وكفرعون وهامان حتى اذا اداركوا اي تلاحقوا فيها اي في النار
جميعا اي مجتمعة القادة والاتباع قالت اخريهم اي آخر الامم وهم الاتباع
لاوليهم اي لاجل اوائلهم وهم المتبوعون حكاية عنهم لله تعالى
ربنا هؤلاء اضلونا عن الهدى فآتهم اي اعطهم عذابا ضعفا اي
مضعفا بالازدياد من النار قال الله تعالى لكل ضعف اي لكل واحد من القادة
والاتباع زيادة من العذاب لانهم كانوا ضالين ومضلين ولكن لا تعلمون
بالتاء وبالياء اي لا يعلم كل فريق منهم ما للفريق الآخر من العذاب وقالت
اوليهم لاخريهم دخولا ان القادة للاتباع ضللتم كما اضللنا فما كان

منا

القادة جمع قائد

185

لكم من فضل في شيء من الكفر وترك الايمان في الدنيا المعصية يعني نحن
وانتم متساوون في الضلالة فثم يقول تعالى لهم فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون من الكفر وترك الايمان في الدنيا ان الذين كذبوا
باياتنا اي بالقرآن ومحمد عم واستكبروا عنها اي تعظموا عن
الميل اليها بالايمان لا تفتح لهم ابواب السماء بالتاء المضمومة
مخففا ومثقلا وبالياء المضمومة مخففا اي لا يصعد بارواحهم
عند الموت الى السماء بل يهبط بها الى سجين اهانة لهم ولا
يجاب ادعيتهم اذا دعوه او ليس لهم عمل صالح يفتح لهم
ابواب السماء لاجله كما يفتح للمؤمنين ولا يدخلون اي لا يدخل
المكذبون الجنة حتى يلج الجمل اي يدخل البعير في سم الخياط اي
في ثقب الابرة يعني لا يدخل الكافر الجنة ابدا كما لا يدخل زوج الناقة
في ثقب الابرة ابدا وكذلك اي مثل ذلك الجزاء وهو حرمان الجنة
نجزي المجرمين اي المشركين بالله لهم من جهنم مهاد اي فراش
من النار ومن فوقهم غواش اي لحاف تغشاهم منها وكذلك
اي مثل ذلك الجزاء من النار نجزي الظالمين انفسهم بترك الايمان
واختيار الشرك ثم اخبر عن حال المؤمنين بعد خبر الكافرين بقوله
والذين آمنوا اي صدقوا باياتنا مبتدأ وعملوا الصالحات مع الا
لا نكلف نفسا الا وسعها اي الا بقدر طاقتها من العمل الصالح
وهي جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب النعيم
الابدي بامكان الوسع من الطاقة لا الضيق وهو اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ابدا ونزعنا ما
في صدورهم اي في قلوبهم من غل اي حقد كان بينهم في
الدنيا فسلمت قلوبهم وطهرت فلم يكن بينهم الا التواد
والتعاطف في الجنة تجري من تحتهم الانهار اي من تحت
غرفهم والا شجار بارادتهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا اي
اي اكرمنا لهذا اي لهذا النعيم بتوفيقه لدين الاسلام ايانا
وما كنا لنهتدي لهذا بالواو وبغير واو لولا ان هدانا الله اي
لولا هداية الله ما كنا لنهتدي له وجواب لو محذوف والجملة موضحة
للجملة قبلها قيل لما انتهوا الى باب الجنة فاذا هم بشجرة يخرج من ساقها

قة

مودة

غيان

فيشربون من احديهما ويغتسلون من الاخرى فيطيب الله تعالى
اجسادهم من كل درن وجرت عليهم النضرة وعاينوا الجنة
وزينتها فقالوا سرورا وتلذذا بذكر ما فيها لا تعبدا وتقربا لقد
جاءت رسل ربنا بالحق فآمنا بهم وعلمنا بما قالوا لنا فتم اكرمنا
من رب العزة فتلقاهم خزنة الجنة فينادونهم قبل ان يدخلوها
وهو معنى قوله ونودوا اي قال لهم خزنة الجنة باعلى صوت ان
اي بانه وان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف وهو ضمير الشان
وخبرها تلكم الجنة التي وجدتم بها اورثتموها حال من الجنة و
العامل فيها تلك من معنى الاشارة اي اعطيتموها بما كنتم تعملون اي
بسبب عملكم في الدنيا قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار اخبار بما قال اهل
الجنة عند دخولهم الجنة لاهل النار اعترافا بنعم الله وتغيظا عليهم
ان اي انه قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقا اي صدقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقا اي صدقا وحذف المفعول
من وعد الثاني لدلالة مفعول الاول عليه وهو نادى ووعد يستعمل
في الخير والشر قالوا نعم فاعترفوا على انفسهم حين لا ينفعهم الاعتراف
قرئ بكسر العين وفتحها من نعم حيث وقع في القرآن وهو تصديق
ما سبق من الموجب وهو وجدتم ولم يقل بلى لانه جواب استفهام
دخل على النفي فاذن اي نادى لاعلام الفريقين مؤذن بينهم
ان لعنة الله على الظالمين بتشديد ان ونصب لعنة بها وبتخفيفها
من الثقيلة ورفع لعنة اي انه عذاب الله على الكافرين الذين
يصدون اي يصرفون الناس عن سبيل الله اي عن ملة الاسلام
ويبغونها اي يطلبون سبيل الله وهو ملة الاسلام عوجا
اي زيغا عن الهدى وهم بالآخرة اي بالبعث كافرون اي
جاحدون وبينهما اي الفريقين من اهل الجنة والنار حجاب
للامتياز بينهما بعد الاجتماع وهو السور المضروب بينهم
فوق الصراط وهو نوع من العذاب للكفار وقيل هو السور المسمى
بالاعراف بمعنى العوالي لارتفاعه المضروب بين الجنة والنار و
قيل من المعرفة لان من كان عليه يعرف الجنة والنار وعلى
الاعراف اي اعراف الحجاب وهي عالية جمع عرف له شعر من عرف

اصحاب الجنة

الديك

الديك والفرس رجال من المسلمين وهم الذين يحبسون فيه
لقصور اعمالهم الى ان يأذن الله لهم في دخول الجنة قيل هم
الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم لا فضيلة ترجح احديهما
الى الجنة او الى النار او قوم قتلوا في سبيل الله مع عصيان
آبائهم او خرجوا الى الغزو بلا اذن آبائهم فقتلوا وهم اولاد
الزنا من الصالحين او الشهداء العدول في الآخرة الذين
ينظرون ما يقضي بين الناس او هم اهل الفضل من المؤمنين
اعني الذين لا عمل لهم وقفوا حتى يدخل الجنة بفضله تعالى
يعرفون كلا من السعداء والاشقياء بسيماهم اي بعلامتهم
من بياض الوجوه لاهل الايمان وسوادها لاهل الكفر واذا
نظروا الى اهل الجنة نادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم حين
مروا بهم بياض الوجوه ليدخلوا الجنة لم يدخلوها اي لم يدخل
اهل الجنة الجنة حتى يسلم عليهم اهل الاعراف وهم يطمعون
اي يطمع اهل الجنة دخولها وقيل لم يدخل اهل الاعراف الجنة
فيسلم اهل الاعراف على اهل الجنة الذين دخلوها وجملة لم يدخلوها
مع بعدها استيناف كأن سائلا يسأل كيف اهل الاعراف فقيل لم
يدخلوها وهم يطمعون دخولها ايضا قال الحسن والله ما
جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا كرامة يزيدهم بها واذا صرفت
اي قلبت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي جهتهم يعني اذا نظر
اهل الاعراف الى ناحية اهل النار ورأوا ما هم فيه من العذاب
قالوا مستعذين بالله داعين اليه ومونجين لهم ربنا لا
تجعلنا مع القوم الظالمين انفسهم بالكفر والضلالة ونادى
اصحاب الاعراف رجالا من الكفار في النار يعرفونهم بسيماهم
اي بعلامتهم معرفة سابقة قالوا توبيخا لهم ما اغنى عنكم
اي اي شيء نفع بكم جمعكم من المال والولد وما كنتم تستكبرون
اي وتكبركم عن الايمان في الدنيا من نزول العذاب بكم هنا ويقول
اهل الاعراف ايضا اذا رأوا رجالا من رؤس الكفرة كابي جهل واصحابه
تنبيها للابرار من المسلمين كبلال وصهيب والضعفة منهم
اهؤلاء الذين اقسمتم اي حلفتم لاجلهم لا ينالهم الله برحمة

اي لا يدخلهم الله جنته ثم يقول الله تعالى لاصحاب الاعراف
ايضا ادخلوا الجنة لا خوف عليكم فيما يستقبل ولا انتم تحزنون
فيما مضى وفائدة حبس اهل الاعراف في الاعراف ثم ادخالهم الجنة
الاعلام بان الجزاء على قدر الاعمال وان التقديم والتاخير
على حسبها يعني لا يسبق احد عند الله الا بسبقه في العمل ولا
يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وترغيب السامعين في حال السا
بقين
فيزيد المحسن في احسانه ويرتدع المسيء عن اساءته ليأمن من
التوبيخ والفضاحة يوم القيمة ونادى اصحاب النار اصحاب
الجنة ان افيضوا اي ينادي الكفار في النار الابرار في الجنة ان صبوا
لسقينا علينا من الماء او طعاما مما رزقكم الله من ثمار الجنة
وانما طلبوا ذلك مع يأسهم عن الاجابة اليه حيرة في امرهم وفيه
ايذان على ان ابن ادم لا يستغني عن الطعام والشراب وان كان
في العذاب وان الجنة فوق قالوا اي اهل الجنة مجيبين اياهم ان
الله حرمهما اي الماء والثمار على الكافرين الذين اتخذوا دينهم
اي الاسلام الذي جعله الله دينا لهم لهوا ولعبا اي باطلا
وفرحا وغرتهم الحيوة الدنيا اي زينتها فاليوم ننساهم اي
نتركهم في النار كفعل الناسين كما نسوا لقاء يومهم هذا تركوا
الايمان والعمل لاجله لانكارهم البعث وما كانوا باياتنا اي وما كانوا
بالقرآن يجحدون في الدنيا بانها ليست من الله ولقد جئناهم
بكتاب اي اكرمناهم بقرآن فصلناه اي بينا آياته واحكامه
ومواعظه وقصصه وامثاله حتى جاء قيما غير ذي عوج على
علم اي عالمين كيف نفصله هدى اي هاديا من الضلالة ورحمة
اي نعمة منجية من العذاب لقوم يؤمنون اي فصلناه لمن آمن
به ويعمل بما فيه وهم لم يؤمنوا به بل اعرضوا عنه بالتكذيب هل
ينظرون الا تاويله اي ما ينتظرون الا عاقبة امره وهي ظهور
صحة ما نطق به من الوعد والوعيد يوم القيمة يوم يأتي تاويله
يقول الذين نسوه اي تركوا ولم يلتفتوا اليه بالايمان والعمل
من قبل اي في الدنيا اعترافا لا ينفعهم قد جاءت رسل ربنا
حقيقة بالحق اي بالصدق بان البعث كاين فكذبناهم فيه

فهل

فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا وذلك حين رأوا ان الشفعاء
من الله يشفعون للمسلمين فيقال لهم ليس لكم شفيع فقالوا
او نرد برفعه الى الدنيا فنؤمن بالرسل فنعمل بنصبه جواب
الاستفهام عملا غير الذي كنا نعمل فيقول الله قد خسروا انفسهم
اي غبنوا حظ انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون بان
لهم آلهة يشفعون لهم عند الله ونزل لما عير النبي عم
المشركين بعبادتهم آلهة من دون الله فقالوا من ربك
الذي تدعونا اليه يا محمد ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام اي في مقدارها ان لم يكن ثمة شمس
وقيل في ستة ساعات من ستة ايام الدنيا وقيل في ستة
ايام من ايام الاخرة طول كل يوم الف سنة ولو شاء لخلقها
في ساعة واحدة وانما خلقهن في الستة تعليما لخلقه التثبت
في الامور وقيل لا امتداد لخلق الباري تعالى اصلا لا تحقيقا
ولا تقديرا فالتفسير بذلك خطاء بين والصحيح ان يقال ان الله
خلقها في هذه الايام الستة لا بالامتداد وقد كانت موجودة
قبل خلق السموات والارض لان الايام قبلها لفلك النجوم الثوابت
وفلكها كان دائرا قبل خلق السموات والارض واليوم عبارة
عن دورته واما النهار والليل فقد حدثا بحدوث السموات
والارض والشمس والقمر وغيرهما من الكواكب ولذلك لم يقل في
ستة نهار ولا في ستة ليال والله اعلم بحقيقته ثم استوى
على العرش بعد خلقه لا لحاجة بنفسه استواء يليق بعظمته و
هو الحكم وقيل استعلى عليه واستولى والعرش ما علا فاظل
وقياس من قاس الصفات الازلية على الصفات الزوالية
غير منتظم لعدم الجامع اذ الباري تعالى مقدس عن الانتقال
والحلول وانما خلقه ليعلم المتعبدون الى اين يتوجهون بقلوبهم
بالعبادة والدعاء في السماء كما خلق الكعبة ليعلموا الى اين
يتوجهون بابدانهم في العبادة في الارض يغشي الليل النهار
بالتخفيف والتشديد في محل النصب على الحال من ضمير خلق
اي يغطي الله الليل بالنهار وبالعكس ويلحق احدهما بالآخر

يطلبه في محل الحال من احدهما حثيثا نصب على الحال ايضا
اي سريعا في طلبه دوام الدنيا والشمس والقمر والنجوم برفع
الكل للابتداء والخبر مسخرات اي مذللات بالجر اي لبني ادم
وبالنصب للعطف على منصوب خلق ونصب مسخرات على الحال
بامره اي بتصرفه ومشيئته الا كلمة التنبيه يعني تنبهوا له
الخلق كله لا اشتراك لاحد في خلق من الاشياء والامر اي له الامر
كله بان يامرهم ويحكم فيهم بما يشاء وينفذ امره فيهم لا راد
لذلك تبارك الله اي تعاظم وتزايد خيره في خلقه من البركة
وهي تزايد الخير رب العالمين اي مربيهم ومالكهم ثم امرهم بان
يدعوه لا غيره بقوله ادعوا ربكم تضرعا اي تذللا وخفية اي
سرا كلاهما نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية يعني ادعوه
سرا وعلانية قيل بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا
انه لا يحب المعتدين المتجاوزين الحد في الدعاء برفع الصوت
او بسؤال منازل الانبياء فانه ظلم وحرام وقيل هو الدعاء بما لا يحل
او الدعاء باللعن والخزي او بالشر ولا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها بارسال الرسل وانزال الكتاب اذ المعصية تفسد
الارض واهلها او لا تظلموا فيها فتخربوها اذ الارض قامت
بالعدل وادعوه خوفا وطمعا اي ادعوه في حال الخوف والطمع
الى لقائه او اعبدوه خوفا من عذابه وطمعا في رحمته ان
رحمة الله قريب من المحسنين ولم يقل قريبة لارادة المطر
او الخير او لكونه صفة شيء اي شيء قريب او بمعنى الترحم والمعنى
ان المحسنين قريب من الجنة وهم الموحدون بالاخلاص
وهو الذي يرسل الرياح بشرا بضم الباء وسكون الشين من البشا دة
جمع بشير وبضم النون والشين نشورا اي ناشرة للمطر وبضم النون
وسكون الشين تخفيف نشر وبفتح النون وسكون الشين مصدر
نشرا بين يدي رحمته اي قدام نعمته وهي المطر حتى اذا اقلت اي
حملت الرياح سحابا جمع سحابة ثقالا بالمطر سقناه اي نسوق
السحاب لبلد ميت اي لاحياء مكان يابس لا نبات فيه فانزلنا به
اي بالبلد او بالسوق الماء فاخرجنا به اي بالماء او بالسحاب او بالبلد

من كل

من كل الثمرات اي من الوانها كذلك اي مثل اخراج النبات من الارض
بالماء نخرج الموتى من القبور يوم نفخة الصور الثانية قيل اذا كان
وقت النفخة الاخيرة امطرت السماء اربعين ليلة مثل مني الرجال
الاجساد تحت الارض بذلك الماء ثم نفخ في الصور فاذا هم قيام
فيحيي
ينظرون لعلكم تذكرون يا اهل مكة فتؤمنون بالبعث ثم ضرب
مثلا لمن ينتفع بالوعظ ولمن لا ينتفع به بعد هذا البيان تشبيها
به فقال والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه اي المكان العذب
المنبت اللين من الارض يخرج نباته حسنا فينتفع به كذلك المؤمن
اللين القلب اذا سمع الموعظة يدخل في قلبه فينتفع بها والذي خبث
اي البلد الذي لا ينبت لكونه سبخا اذا امطر السحاب عليه بالماء
العذب لا يخرج نباته الا نكدا اي عسرا بالمشقة واصل النكد الضيق
والشدة كذلك الكافر القسي القلب اذا سمع الموعظة من القران
وغيره لا يدخل في قلبه لقساوته فلا ينتفع بها بالتوبة والايمان
كذلك اي مثل التصريف اي بيان الكلام نصرف الايات اي نرددها
ونبينها لقوم يشكرون اي يعرفون الله ويشكروا نعمته التي هي
هذا البيان ثم هددهم بذكر قصة من كان قبلهم بقوله ولقد
ارسلنا وهو جواب قسم محذوف اي والله لقد بعثنا نوحا الى
قومه بالرسالة وكان ابن خمسين سنة او مائتين ولا يستعمل لام
القسم الا مع قد للتوقع تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابه
فيكون مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع
المخاطب كلمة القسم فاتاهم نوح فقال يا قوم اعبدوا الله اي و
حدوه واطيعوه ما لكم من اله غيره قاله بيانا لوجه اختصاصه
بالعبادة اي لا رب سواه بجر الغير صفة لاله وبرفعه بدلا منه
موضع اله لان من زائدة وهو مرفوع بالابتداء ثم قال ببيان الداعي
الى عبادته اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وهو الغرق
بالطوفان قال الملا اي الاشراف من قومه الكفرة انا لنريك في
ضلال مبين اي في خطاء ظاهر عند العقلاء قال نوح يا قوم ليس
بي ضلالة فردهم في الجواب بنفي ما قالوه وهو من حسن الادب
في الجواب وانما لم يقل ضلال بلا تاء كما قالوا لانه ابلغ في نفي الضلال

عن نفسه لكونه مفردًا في سياق النفي يفيد العموم اي ليس بي
شيء ثم قال ولكني رسول من رب العالمين اي مالكهم ورازقهم
ابلغكم بالتخفيف من الابلاغ وبالتشديد من التبليغ لمعنى المبالغة
اي انهيكم رسالات ربي جملة مبنية قبله يعني اوصل اليكم احكام
سيدي من اوامره ونواهيه وانصح اي واريد لكم بهذه الرسالة
الخير يقال نصحته ونصحت له واللام للمبالغة في النصح وهو ارادة
الخير لغيرك كما تريد لنفسك ثم قال تاكيدًا لنصحه واعلم من الله ما
لا تعلمون وهو نزول العذاب بكم ان لم تؤمنوا الآن علمه اوجب
عليه نصحهم ثم قال بالاستفهام الانكاري حين قال الاشراف
للاتباع لا تتبعوه لانه بشر مثلكم اوعجبتم اي اكذبتم وعجبتم ان
جاءكم ذكر اي موعظة من ربكم على لسان رجل منكم تعرفون
نسبه لينذركم بالنار ان لم تؤمنوا ولتتقوا اي وليوجد منكم
التقوى من الشرك والمعصية ولعلكم ترحمون اي لتغفروا وتنجوا
من العذاب بسببها ان تؤمنوا فكذبوه فانجيناه والذين معه
اي اتبعوه بالايمان في الفلك اي السفينة من الغرق ومتعلق بمعه
اي صحبوه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما
عمين عن الحق وعن نزول العذاب جمع عم اي جاهل او فاقد البصيرة
او فاقد البصر والاصل عميٌ كقوله والى عاد اخاهم هودا عطف على نوحا
وكان عاد قبيلة من اليمن وقيل كان في الاصل اسم ملك ينسب القوم
اليه اي وارسلنا الى عاد الاولى هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام
بن نوح وهو عطف بيان لاخاهم في النسب لا في الدين وكانوا بالاحقاف
رمال طويلة بين عمان وحضرموت يعبدون الاصنام فيها ويقهرون
الناس بالظلم فاتاهم بالرسالة من الله لاجل التوحيد وترك الظلم
فذكرهم ووعظهم قال ولم يقل فقال لانه في تقدير سؤال سائل مما قال
لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه ما لكم من اله غيره
اي لا رب سواه لكم افلا تتقون اي اتشركون فلا تخافون من عذابه
بترك الشرك قال الملأ الذين كفروا من قومه اي من قوم هود انا لنريك
في سفاهة اي من جهالة وخفة عقل وانا لنظنك من الكاذبين
بانك رسول الله من الله قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول اليكم

من رب العالمين اي خالقكم ورازقكم وخالق الخلق ورازقهم اجمعين
ابلغكم رسالات ربي اي احكامه وانا لكم ناصح امين اي مأمون
من الخيانة اليوم كما كنت امينا لكم قبل هذا اليوم فكذبوا هودا
فقال اوعجبتم ان جاءكم ذكر اي بيان ورسالة من ربكم على
لسان رجل منكم تعرفون نسبه وحسبه لينذركم عذاب الله
واذكروا اذ جعلكم مفعول به اي وقت جعلكم خلفاء جمع خليفة
اي خلائف في الارض من بعد هلاك قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة
اي طولا وقوة قيل كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا
وكان اقواهم من يضرب برجله الارض فيغور الى ركبته وقيل
وكان قوتهم في المال والعدد والعُدد وقال لهم فاذكروا آلاء الله
اي اشكروا نعم الله فيكم جمع الى بالحركات الثلث للهمزة قيل الآلاء
النعم الظاهرة والنعماء النعم الباطنة ومنها دفع البلية وقيل
كلاهما بمعنى واحد لعلكم تفلحون من عذابه قالوا اجئتنا لتأمرنا
لنعبد الله وحده من معبدك الذي اعتزلت به عنا مصدر في
موضع الحال من الله اي اتيتنا ان نعبد الله منفردا ولا نعبد
ربا سواه ونذر ما كان يعبد اباؤنا اي ونترك عبادة الهتنا التي
كان اباؤنا عابديها من قبل فقال لهم هود ان لم تعبدوا
الله وحده ياتيكم العذاب وهو الريح العقيم فاستهزؤا و
قالوا فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين
في رسالتك قال هود قد وقع عليكم اي وجب من ربكم
رجس اي عذاب وغضب اي ومذمة في الدنيا اتجادلونني
في اسماء هي آلهة لاصنامكم سميتموها الها انتم واباؤكم آلهة
يعني اتجعلون قولكم وقول اباءكم بانها الهة ما نزل الله بها
من سلطان اي حجة وبيانا قصدوا بان يهلكوه فقال فانتظروا
الهلاك اني معكم من المنتظرين بهلاككم بالعذاب من ربي فقال
تعالى فانجيناه اي هودا والذين امنوا معه برحمة منا اي بنعمة
عليهم منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي قطعنا آخر
المكذبين باستيصالهم وما كانوا مؤمنين اي وهم كانوا
كافرين حال الهلاك والمؤمنون قد نجوا منه وقت تعريض

برهانا

لمن لم يؤمنوا بهم قيل ارسل عليهم الريح العقيم التي تحت
الارضين السبع مقدار ما يخرج من حلقة الخاتم فجاءتهم وهربوا
منها فدخلوا بيوتهم فاخرجتهم الريح منها وحملت الرجال
والدواب كالاوراق في الهواء فاهلكتهم كلهم واحالت عليهم
الرمال سبع ليال وثمانية ايام ثم رمت بهم في البحر ثم قال تعالى والى
ثمود اي وارسلنا الى ثمود اخاهم في النسب صالحا نبيا وثمود
اسم القبيلة لا ينصرف للتعريف والعجمة وقيل هو ثمود بن
عابر بن ارم بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الحجر بين الشام
والحجاز الى وادي القرى فخوفهم صالح بعذاب سنين كثيرة
قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم اي علامة لنبوتي وهي ما سألتم به من
خروج الناقة من هذه الصخرة فقال هذه ناقة الله لكم آية لكي
تعتبروها فيؤمنوا بربكم قيل دعاهم الى الله وكانوا تسعمائة
الوفا وخمسمائة اهل بيت وانذرهم ليلا ونهارا فكذبوه
وارادوا قتله فقالوا والله ان كنت نبيا فاخرج لنا من هذه الصخرة
ناقة عشراء حتى نؤمن بك فقام صالح وصلى ركعتين ودعا
ربه فتحركت الصخرة فانشقت عن ناقة عشراء تصوت فلم يؤمنوا
فولدت الناقة ولدا وكان في القرية تسعة رهط يفسدون
في الارض ولا يصلحون فاجتمعوا قتل الناقة فقال صالح ع م لا تفعلوا
فذروها تأكل في ارض الله اي دعوها ترتع في ارض الحجر فانها
ارض والناقة ناقته ولا تمسوها بسوء اي بعقر ولا ضرب فيأخذ
بالنصب جواب النهي يعني ان تمسوها بسوء يأخذكم عذاب اليم
وهو صيحة جبرئيل وصاعقة تحرقهم ثم زاد في التذكير بقوله
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي بعد هلاكهم وذلك
انه لما هلكت عاد جعل الله ثمود خلفاء بعدهم وعمروا القصور
ونحتوا البيوت في الجبال فاخبرهم بان الله فعل ذلك بكم و
بوأكم اي انزلكم في الارض اي في ارض الحجر تتخذون من سهولها
اي من سهول الارض قصورا بالجص والطين والآجر تسكنون فيها
في ايام الصيف وتنحتون الجبال بيوتا حال مقدرة يعني تتخذون

بيوتا في الجبال ايام الشتاء فاعرفوا هذه النعم فاذكروا آلاء الله
اي واشكروا نعمة الله التي عليكم ولا تعثوا في الارض مفسدين
اي لا تفسدوا فيها بالمعاصي في مقابلة تلك الآلاء فاحفظوا ناقة
الله بترك القتل وكان الناقة تضيق على مواشيهم في المآكل
والمشارب والمقتل والمسرح لكبر خلقها قيل كان مبركها ستين
ذراعا قال الملأ بغير واو وبواو اي وقال الاشراف الذين استكبروا
اي تعظموا عن الايمان بصالح من قومه للذين استضعفوا
اي لسفلتهم لمن آمن منهم بصالح بدل من للذين بتكرير العامل
والضمير في منهم للمستضعفين او لقومه اتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه اليكم فآمنتم به قالوا نعم انا بما ارسل به مؤمنون
يعني لا شك عندنا في رسالته الينا واليكم لكنها امر معلوم مما
مسلما لا كلام فيه لوضوحه وانما الكلام في وجوب الايمان به
فنخبركم انا به مؤمنون ولذا لم يقولوا في جوابهم انه مرسل من
ربه قال الذين استكبروا اي المتكبرون انا بالذي آمنتم به كافرون
فلما اضرت بهم الناقة لانها تأتي مراعيهم فتنفر منها دوابهم
وتأتي العين فتشرب جميع الماء الذي فيها فجعل صالح الماء قسمة
بينهم يوما للناقة ويوما لاهل القرية ومواشيهم بشرط ان لا
يحضر واحد منهم العين في يوم الناقة فتأتي الناقة وتشرب
الماء كله ويحلبونها في ذلك اليوم مقدارا يكفيهم من لبنها
فلم يتحملوا تلك القسمة فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم
اي عصوا امر الله بترك الايمان بصالح بعد ثبوت الحجة عليهم
ثم قتلوا ناقة الله التي امر بحفظها واقتسموا لحمها قبل قتلها
في طريقها فتوجهت الى العين اشقاهم قدار بن سالف وانما
جمعوا معه لرضاهم بفعله فجاء صالح فراه الفصيل فبكى ثم رغا
ثلاثا وذهب الى الجبل قائلا اين امي اين امي فانفجرت الصخرة
التي خرجت منها امه فدخلها وكان يوم الاربعاء فقال صالح
يا قوم تعيشون بعد ثلثة ايام بثلث علامات تصفر
وجوهكم اول يوم وتحمر في اليوم الثاني وتسود في اليوم
الثالث ويأتيكم العذاب في الرابع وكان القول كذلك فكذبوه

وقالوا استهزاء يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من
المرسلين اي رسولاً فيهم فاخذتهم الرجفة اي زلزلة الارض
وجاءتهم صيحة من السماء وهي صيحة جبرئيل فيها صوت كل ذي
صوت فتمزقت قلوبهم لما تواكلها بها فاصبحوا اي صاروا في
دارهم جاثمين اي في منازلهم ميتين قعوداً لا يتحركون يقال
جثم الطائر اذا قعد وقيل اصابهم العذاب بكرة يوم الاحد فتولى
اي اعرض عنهم صالح بعد هلاكهم وناداهم ميتين متحزناً على
ما فاته من اسلامهم وموبخاً لهم معجزة له قوله وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم اي دعوتكم الى التوبة من الكفر
وحذرتكم عذاب الله وغضبه ولكن لا تحبون الناصحين حكاية
حال ماضية اي لا تطيعون الداعي الى الخير قيل ثم خرج صالح عمن آمن
به الى حضرموت فمات بها وقيل مات بمكة وهو ابن ثمان وخمسين
سنة لما روي ان نبياً من الانبياء كان اذا اهلك قومه جمع المؤمنين
به بمكة يعبدون الله حتى توفوا ولوطاً اي واذكر لوطاً وهو ابن قابل
امه هاران بن تارخ بن اخ ابراهيم عم اذ قال اي وقت قوله
لقومه سدوم في حمس مداين اتاتون الفاحشة اي السيئة القبيحة
وهي اتيان الذكران ما سبقكم بها اي بعمل الفاحشة من احد
من زائدة لاستغراق النفي وهو فاعل سبق من العالمين من فيه للتبعيض
ومحل الجملة حال او استيناف للتوبيخ بعد انكار الفاحشة عليهم اي
انتم اول من عملها فلا تعملوا ما لم تسبقوا به ائنكم لتاتون الرجال
بلا استفهام مع كسرات بيان الفاحشة وبهمزتين مخففتين الاولى
لاستفهام التوبيخ والتهديد وتاتون من اتى فلان المراة اذا جامعها
وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وبهما مع ادخال الالف بينهما و
بتخفيفهما كذلك اي انكم لتجامعون الذكور من جنسكم شهوة نصبها
حال اي مشتهين او مفعول له اي للاشتهاء من دون النساء
محله نصب صفة الرجال بحكم زيادة الالف واللام فيه اي رجالاً
هم دون النساء اي مغايروها في الشهوة لان محلها النساء باذن الله
تعالى وفيه زجر وتجهيل لهم فلما لم ينزجروا اضرب عنهم بقوله
بل انتم قوم مسرفون بالمبالغة في تحصيل اللذات البهيمة بالجهل او

يجاوزون

او يجاوزون الحلال الى الحرام وما كان جواب قومه بالنصب خبر كان
اي لم يكن جوابهم بعد موعظة لوط اياهم الا ان قالوا فيما بينهم
محله رفع اسم كان اخرجوهم اي لوطاً ومن آمن به من قريتكم
ثم قالوا مستهزئين انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون من عملنا
وهو اتيان الفاحشة وهو ليس بجواب عن انكاره وانما هو
كلام وقع منهم عقيب انكاره تضجراً منه فكانه هو الجواب ثم
قال تعالى فانجيناه اي لوطاً واهله اي المؤمنين به الا امراته وهي
واغلة كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب لانها والت
بهم فهلكت معهم وامطرنا عليهم مطراً اي بحجارة يقال مطر في
الرحمة وامطر في العذاب وقيل هما واحد يعني انذرهم لوط
انذاراً بليغاً فكفروا فاهلكوا بغضب الله فانظر كيف كان عاقبة
المجرمين اي الكافرين بالانبياء روي ان تاجراً منهم كان في حرم
مكة توقف له الحجر في السماء اربعين يوماً حتى قضى تجارته فيها
وخرج من الحرم فوقع ذلك الحجر عليه قال ابو حنيفة رضي الله عنه
ان من عمل عمل قوم لوط يعزر ويحبس حتى يتوب ولا يحد وقيل
يلقى من اشرف البناء منكوساً ثم يتبع بالحجارة وقيل يرجم ان كان
محصناً ويجلد ان كان غيره كالزاني وقيل يرجم في كل الاحوال ومن
تاب تاب الله عليه والى مدين اي ارسلنا الى اهل مدين وهو
كان اسم ابن ابراهيم خليل الرحمن فسميت المدينة باسمه روي ان
ابراهيم بعد خروجه من النار تزوج ابنة نمروذ اللعين فتولد منها
ابن ثم تزوج ابنة لوط فولدت آل مدين فتوالدوا وكثروا وعصوا
بالكفر والمعاصي فبعث الله اليهم اخاهم شعيباً في النسب لا في
الدين وقيل في المجانسة لانهم لم يكونوا قبيلته وكانوا
يظلمون الناس فدعا قومه الى الله بالتوبة من الكفر والظلم
قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه واطيعوه ما لكم من اله
غيره قد جاءتكم بينة من ربكم اي معجزة ظاهرة منه تعالى على
صدقي وبذلك ترد قول من قال لم يكن لشعيب معجزة سوى
مجيئه واخباره بان الله واحد لانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة
تشهد على صدقه والا لم يصح على دعواه فلم تقبل بغير آية

حمله

غير ان معجزته لم يذكر في القرآن وذكرها فيه غير لازم كما لم يذكر اكثر
معجزات نبينا محمد عم فيه ومن معجزات شعيب عم محاربة العصا التي
دفعها الى موسى ليرعى غنمه التنين وقتله حين نام موسى في المرعى
وترك الغنم يرعى فيه ولم يكن موسى نبيا فقد اشتهر ذلك بين اهل
مدين فامن به من آمن منهم ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة
في تلك السنة التي وعد ان يكون له الدرع من اولادها وغير ذلك
من الايات التي ذكرت في بعض التفاسير والدرع جمع ادرع وهو الشاة
الذي فيها سواد وبياض قيل كان اهل مدين باخسين الناس في مبا
ومكاسين في الثمن والكيل والوزن فقال فاوفوا الكيل اي آلة الكيل
وهي المكيال مصدر سمي به بقرينة قوله والميزان او المراد فاوفوا الكيل
ووزن الميزان او الميزان بمعنى المصدر كالميعاد بمعنى الوعد اي اتموهما
كما او تم بالاجل ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا حقوقهم
في البيع والشرى ولا تفسدوا في الارض بالمعاصي بعد اصلاحها اي
بعد اصلاح اهلها ببيان الحق لهم يعني بعد ان بين الله الحق فيها
ببعث الرسل واقامة الشرع لنشر العدل ودفع الظلم ذلكم اي ايفا
الكيل والوزن وترك الفساد في الارض خير لكم في الدنيا والاخرة ان
كنتم مؤمنين اي مصدقين بنبوتي وقولي الحق لكم ولا تقعدوا بكل
صراط توعدون من الايعاد وهو التخويف حال من فاعل تقعدوا
اي في كل طريق من طرق الناس تخوفونهم بالقتل وتصدون اي
عن سبيل الله اي عن دينه الاسلام من آمن به مفعول تصدون
اي من صدق بالله ودينه وتبغونها عوجا اي وتطلبون طريق
الحق ان يكون زيغا غير مستقيم بنهيكم الناس عن الاسلام وقطع
الطريق واخذ الاموال منهم ظلما واذكروا اذ كنتم قليلا في العدد
فكثركم اي كثر عددكم لان مدين تزوج بابنة لوط فكثر نسلها او كنتم
قليل المال فاغناكم بكثرته وانظروا نظر عبرة كيف كان عاقبة المفسدين
اي آخر امر من افسد في الارض قبلكم وكذب بالرسل كقوم نوح وعاد
وثمود فيه اشارة الى ان الله لا يعذب الكافر بكفره حسب حتى يضم
اليه ذنبا آخر غيره وان كانت طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت
اي ان كان جماعة آمنوا بي وانتم تحقرونهم وطائفة لم يؤمنوا بي

وانتم

وانتم تفضلونهم على المؤمنين فاصبروا اي انتظروا حتى يحكم الله بيننا
اي يقضي بين المؤمنين بانجائهم والكافرين باهلاكهم ثم تعلمون من افضل
عاقبة منهما وهو خير الحاكمين لانه يحكم بالعدل ودفع الظلم قال الملأ
الذين استكبروا اي اشرافهم الذين تعظموا عن الايمان بالله من قومه
اي من قوم شعيب لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا
او لتعودن اي لتدخل انت واتباعك بالايمان في ملتنا اي في ديننا الذي
نحن عليه والعود الرجوع الى الحال الاول ولم يكن شعيب قط على دينهم
وانما تناوله الخطاب تغليبا للجمع الذين دخلوا في الايمان منهم بعد الكفر على
الواحد لان من تبعه كان منهم قال شعيب اولو كنا اي انقيد ونتبع
ولو كنا كارهين هذه الحالة قالوا نعم فقال شعيب لهم بكلام فيه التعجب
قد افترينا على الله كذبا بتصديق دينكم اي ما اكذبنا عليه تعالى بقيد الشرط
وهو ان عدنا اي رجعنا داخلين في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها اي
بعد اذ اكرمنا الله بالاسلام فانقذنا من ملتكم ثم قال مشيرا الى ان
لا حكم له في ذلك وما يكون اي ما ينبغي لنا ان نعود فيها اي في ملتكم
الا ان يشاء الله ربنا ان نعود في ملتكم بخلاف لانه اهاننا ونزع المعرفة
عن قلوبنا لا بمشيتكم واكراهكم او الا ان يشاء الله ولا يشاء اذ لا يشاء
الكفر منا وسع ربنا كل شيء علما اي وسع علمه بما يكون منا ومن الخلق
كلهم على الله توكلنا في كل امر من الخير والشر جواب لقولهم لنخرجنك يا
شعيب ثم قال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اي اقض بيننا وبينهم
بالعدل ليرتفع اشكالنا او نامن آتين وانت خير الفاتحين اي الكا
الاشكال بين الخلق لانك تفعل بالحكمة والفتح كشف مغلق الامور
وفصله وقال الملأ الذين كفروا من قومه لسفلتهم لئن اتبعتم
شعيبا اي والله لئن اطعتم في دينه انكم اذا اي حينئذ لخاسرون
اي لمغبونون بترك دينكم وهذه الجملة سادة مسد جواب القسم
وجواب الشرط ولما لم يتعظوا بموعظة شعيب عم اخبرهم بان
العذاب نازل بهم فلم يصدقوه فخرج شعيب مع المؤمنين
من بين اظهرهم فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة عند صيحة
جبرئيل عم واصابهم حر شديد فخرجوا من القرية ودخلوا
في غيضة لهم وهي الايكة فاتتهم صاعقة فاحرقت الاشجار

ومن فيها من الناس فأصبحوا اي فصاروا في دارهم اي في منا
جاثمين اي ميتين ثم اخبر تعالى عنهم فقال الذين كذبوا شعيبا مبتدأ
خبره كأن لم يغنوا اي لم يقيموا فيها اي في دارهم يعني ماتوا كأن لم
فيها قط بعد اهلاكنا اياهم في طرفة من داهم وكرر ذكرهم بقوله الذين
كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين مبالغة في تحذير غيرهم من الناس
فتولى اي اعرض شعيب عنهم وقال موبخا لهم معجزة له يا قوم لقد
ابلغتكم رسالات ربي اي اوامره ونواهيه ونصحت لكم بنزول العذاب
ان لم تطيعوه فكفرتم بالتكذيب وعذبتم فكيف آسى اي احزن بعد
انذاري ونصيحتي على قوم كافرين ترى ان عذبوا وما ارسلنا في قرية
من نبي اي نبيا من الانبياء فكذبوه الا اخذنا اهلها اي عاقبناهم بالبأساء
اي عصيبة شدة في اموالهم والضراء اي بمصيبة مؤثرة في انفسهم
لعلهم يضرعون اي لكي يتذللوا ويدعوا ربهم بالخشوع ويؤمنوا برسلنا
ويعرفوا ضعف معبود بهم حيث لم ينصروا من عذاب الله ثم بدلنا
اي اعطيناهم بالتحويل بعد التضرع مكان السيئة اي ما سوءهم كالفقر
والقحط والمرض والتعب الحسنة اي الغناء والخصب والصحة والراحة
حتى عفوا اي كثروا عددا واموالا فسروا به وطغوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء
والسراء اي الشدة مرة والرخاء مرة مثل ما مسنا يعني ليس ما اصابنا بابتلاء
من الله بل هو عادة الدهر فأخذناهم بالعذاب بغتة اي فجأة وهم لا يشعرون
بنزول العذاب قبله قيل وحي الله لموسى اذا رأيت الفقر مقبلا اليك فقل مرحبا
بشعار الصالحين واذا رأيت الغناء مقبلا اليك فقل ذنب عجلت عقوبتي ثم
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا اي لو ثبت ايمانهم وخافوا ربهم ووحدوه
واطاعوه لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي لكشفنا لهم باب
ويسرناه عليهم كتيسير الابواب المغلقة بفتحها وانزلنا عليهم بركات كالمطر والنبات
والرزق من كل جهة من السماء والارض ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم اي عاقبناهم
بما كانوا يكسبون من الشرك والمعاصي قيل اذا كان المرء شاكرا كان السعة في ذوقه
من السعادة واذا كان غير شاكر كان الغناء له من الشقاوة أفأمن الهمزة
للانكار دخلت على فاء العطف والمعطوف عليه فأخذناهم بغتة وقوله ولو ان
اهل القرى الى قوله يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه للتنبيه على
غفلتهم والمعنى انهم فعلوا وصنعوا ما صنعوا فاخذناهم بعد ذلك أفأمن
اهل القرى ان يأتيهم بأسنا اي عذابنا بياتا حال اي بايتين ليلا وهم نائمون

حال ايضا قيل ابنة الربيع بن خيثم قالت

يا ابتاه

يا ابتاه اري الناس ينامون وانت لا تنام فقال ان اباك لا ينام يخاف
البيات اراد هذا المعنى الذي في الآية ثم قال الله تعالى أوأمن اهل القرى
ان يأتيهم بأسنا اي عذابنا ضحى اي نهارا وهو اسم الضوء اذا ارتفعت الشمس
قرئ بفتح الواو للعطف وهمزة الاستفهام او بسكون الواو وعلى العطف به اي
او آمنوا ان يأتيهم هذه العقوبات ليلا او نهارا وهم يلعبون اي يشتغلون
بما لا ينفع لهم قوله أفأمنوا مكر الله تكرير لقوله أفأمن اهل القرى باعادة
الفاء اي أيأمنون من عذابه وهو استدراجه اياهم بتوارد النعم عليهم فلا يأمن
مكر الله اي عذابه الا القوم الخاسرون اي المغبونون بالعقوبة أولم يهد
بالياء اي أولم يبين مكره ولم يرشد ارشاد البيان للذين يرثون الارض
اي يسكنونها من بعد اهلها اي بعد هلاك اهل الارض يعني لاهل مكة بعد هلاك
الامم الماضية قبلهم وفاعل اولم يهد ان لو نشاء وان مخففة من الثقيلة يعني
الم يتبين لهم ان لو نشاء اصبناهم اي اهلكناهم بذنوبهم كما اهلكنا من كان
قبلهم بتكذيب رسلهم قوله ونطبع عطف على معنى اولم يهد لهم اي يغفلون
عن الهداية ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون اي لا يقبلون الحق سماع الموعظة
تلك القرى مبتدأ اي تلك البلاد التي اهلكنا اهلها قبل اهل مكة خبره نقص عليك
اي نخبرك بالقرآن يا محمد من انبائها اي من اخبارها واسباب هلاكها و
لقد جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج الواضحات كالمعجزات وغيرها بحيث لو نظروا
فيها نظر عبرة لاهتدوا فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالمعجزات بما كذبوا من قبل
اي مع تكذيبهم الرسل قبل قيام المعجزة فاستوت الحالتان عندهم ولم يؤثر فيهم النصح
والوعظ لمجيء الرسل واستمروا على الكفر والتكذيب كذلك يطبع الله اي مثل ختمنا
على الكافرين المهلكين قبل نختم على قلوب الكافرين من قومك فلا يؤمنون لذلك
بمجازاة لكفرهم وما وجدنا لاكثرهم من عهد اي عهدا فمن زائدة اي لم نجد من
اكثرهم اي اهلكوا وفاء فيما امروا به بالرسل او بما اقروا يوم الميثاق لانهم نقضوا العهد
بتكذيب الرسل وان وجدنا اي وجدنا اكثرهم لفاسقين اي لخارجين عن
الطاعة او ناكثين العهد فان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف والفارق بينها
وبين ان النافية هو اللام في لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم اي بعد هلاكهم
موسى بن عمران بآياتنا اي بالمعجزات التسع الى فرعون ملك مصر وملائه وجنوده
واتباعه وكان جبارا اظهر بمصر واستولى عليها بالظلم والكفر وهو غير فرعون يوسف
في الاصح فظلموا بها اي جحدوا بالآيات التسع من موسى ظلما وعلوا فانظر كيف كان

عاقبة المفسدين اي الكافرين المكذبين بالرسل وجملة كيف في محل النصب مفعول
انظر ثم عطف علي بعثنا قوله وقال موسي حين دخل مع هرون علي فرعون يا فرعون
اني رسول من رب العالمين اليك قال فرعون كذبت فقال له موسي حقيق
علي مشددا اضافه الي الياء اي واجب علي نفسي برسالتي تحقيق علي مبتدأ خبره
ان لا اقول وقرئ علي مخففا بمعني الباء اي بان لا اقول علي الله الا الحق اي القول
الصادق فكيف اكذب وافتري عليه قد جئتكم ببينة من ربكم اي بعلامة ظاهرة
دالة علي رسالتي اليكم فارسل معي بني اسرائيل الي الارض المقدسة ولا تستعبدهم
ظلما لان فرعون استعبدهم واخذهم سخرة اي من غير اجر قال له فرعون ان كنت
جئت باية اي بعلامة لنبوتك فأت بها اي فاظهرها لنا لتصح دعويك
ويثبت صدقك ان كنت من الصادقين بانك رسول من الله فالقي عصاه
من يده علي الارض فاذا هي ثعبان مبين اي حية عظيمة ذكر صفراء لاتين
فيها نفخت فاها نحو فرعون علي سريره فهرب منها وهرب الناس فصاحوا الي موسي
فنادي فرعون يا موسي خذها عني وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل
فاخذها موسي فعادت كما كانت وجعل الناس يضحكون مما صنع موسي ثم قال
له فرعون هل معك غيرها قال نعم ونزع يده اي اخرجها من جيبه فاذا هي بيضاء
للناظرين وهو يتعلق ببيضاء لانه فهي ببياضها شعاع الشمس فتحجب منه النظارة
وتحيرت قال الملأ اي الاشراف من نسب هذا الكلام الي فرعون كما في سورة الشعراء
بقوله قال للملأ حوله ونسب هنا الي الملأ ووجهه انه قد قال هو وقالوا
فحكي القولان في موضعهما قوم فرعون ان هذا اي موسي لساحر عليم
بالسحر علما تاما فقال لهم فرعون تنفيرا لهم يريد اي موسي ان يخرجكم
من ارضكم بسحره يعني من ارض مصر فماذا تأمرون اي اي شيء تشيرون في امره
قالوا اي قال الملأ ارجه بهمزة ساكنة مع الواو بعد الهاء ارجئهو وبلا واو
ارجئه وبكسر الهاء بلا ياء ارجه وبوصل الياء ارجهي وباسكان الهاء من غير همزة
ارجه اي اخر واخاه اي امرهما عنك واحبسهما ولا تقتلهما قبل ان يظهر حالهما
لئلا يظن الناس انهما صادقان في دعواهما وارسل في المداين اي مدائنك
حاشرين اي رجالا يجمعون الناس اليك يأتوك بالجزم جواب الامر بكل سحار
عليم مخففا علي وزن فاعل وهو من يعلم السحر ولا يعلم الغير ومثقلا علي وزن
فعال للمبالغة وهو من يعلم ويعلم الغير وجاء السحرة كلهم فرعون قيل بلغوا
ثمانين الفا متقدمهم شمعون الساحر قالوا اي السحرة لفرعون ولم يقل فقالوا

لانه

قال م.

لانه جواب سؤال سائل ما قالوا اذا جاؤه ءان بتحقيق الهمزتين وبه مع ادخال
الف بينهما وبتحقيق الاولي وتسهيل الثانية مع الف بينهما وبهمزة واحدة خبرا
بانهم يستحقون الاجر علي غلبتهم موسي والباقي علي الاستفهام وقدم في
لنا لاجرا الخبر علي الاسم لئلا يجتمع الفا التأكيد فيه اي تجعل لنا جعلا ان
غلبنا اياه ان كنا نحن الغالبين علي موسي قال فرعون نعم لكم علي اجر استحقاقا
وانكم لمن المقربين عندي في المجلس واول من يدخل علي واخر من يخرج سوي الاجر
والعطية وهو معطوف علي نعم لكونه سادا هذه الجملة فلما اجتمعوا في يوم
وعيده للخروج وهو يوم الزينة في الاسكندرية قالوا تأدبا يا موسي
اما ان تلقي عصاك علي الارض واما ان نكون نحن الملقين اي آلاتنا التي
معنا قبلك فقابلهم موسي بمثل تأدبهم قال بل القوا ما معكم قبلي فلما القوا
ما معهم من الآلات سحروا اعين الناس اي صرفوها عن ادراك حقيقة صنعهم
بالسحر واسترهبوهم اي ارهبوهم وخوفوهم وجاؤا بسحر عظيم اي بسحر تام
عندهم وقيل كانت عصيهم سبعين وحبالهم سبعين في صورة
الحيات امثال الجبال يركب بعضها بعضا وكان مكان الالقاء ميلا في ميل
فوقعت الهيبة في قلوب الناس منها وفي قلب موسي نوع من الخوف بشرية
فقال تعالي واوحينا الي موسي عند ذلك ان الق عصاك علي الارض
فالقي عصاه فصارت حية عظيمة سدت جميع حياتهم وما فوقها وفتحت
فاها ثمانين ذراعا فاذا هي تلقف بسكون اللام وتخفيف القاف وبفتح
اللام وتشديد القاف اي تبتلع ما يأفكون اي الذي يفتعلونه من الكذب
ثم قصدت اكل القوم فهلك من الزحام منهم خمسة وعشرون الفا وقصدت
الي فرعون فنادي موسي فاخذها موسي فصارت عصا فنظرت السحرة
قد ذهبت عصيهم وحبالهم جميعا فتحيرت في امر موسي فوقع الحق
اي فثبت ان الحق مع موسي دون السحرة وبطل ما كانوا يعملون
اي السحرة من السحر وقالوا لو كان موسي ساحرا لبقيت عصينا وحبالنا
فهذا امر الهي لا سحر ادمي فغلبوا هنالك اي عند هلاك الاتهم وانقلبوا
صاغرين اي صاروا ذليلين بين الناس فلما عجزوا في امرهم وعلموا ان الامر
لله العلي الكبير امنوا بموسي والقي السحرة ساجدين لله تعالي من سرعة
قالوا امنا برب العالمين رب موسي وهرون وانما اوردوا البدل
لئلا يظن الناس انهم ارادوا برب العالمين فرعون بناء علي زعمهم فظهر عند

جميع الناس انهم ارادوا به رب موسى وهرون وهو رب العالمين لا فرعون
قال للسحرة الساجدين فرعون آمنتم به بتحقيق الهمزتين بعدهما الف و
بتسهيل الثانية بعدها الف وبهمزتين بينهما الف الاولى في الكل للاستفهام
وبهمزة واحدة بعدها الف خبر بمعنى الاستفهام وقرئ فرعون وآمنتم بواو
منقلبة من الهمزة وبعدها الف مسهلة فيه استفهام اهنا والكل للانكار
اي اصدقتم بموسى قبل ان آذن لكم ان هذا اي الذي صنعتموه انتم وموسى
لمكر مكرتموه اي لحيلة صنعتموها في المدينة لتخرجوا منها اهلها اي من مصر
بسحركم فسوف تعلمون ما اصنع بكم ايضا وهو وعيد اجمله ثم فصله بقوله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا يعني اليد اليمنى و
الرجل اليسرى ثم لاصلبنكم اي لاعلقنكم بعد القطع اجمعين على شاطئ نهر
مصر عبرة للناس قالوا انا الى ربنا منقلبون في الاخرة بالموت والقتل فرضينا
حتما ويقينا فلا نبالي من فعلك ووعدك اذ لا بد من الموت ثم قالوا له توبيخا
وما تنقم منا اي وما تعذبك لنا بالانتقام الا ان آمنا اي لان صدقنا
بآيات ربنا لما جاءتنا اي حين ظهرت انها حق وبه الفخر والحب والفضل
عند الله ولا ذنب لنا به ثم سألوا الله تعالى على ما يصيبهم منه الصبر لكيلا
يرجعوا عن دينهم الحق فقالوا ربنا افرغ اي انزل من لدنك علينا صبرا
واسعا يفيض علينا عند القطع والصلب وتوفنا مسلمين اي ثابتين على
الاسلام الذي هو دين موسى وهرون قيل قد وقع القطع والصلب عليهم
وهم كانوا اول النهار سحرة وصاروا آخر النهار شهداء وقيل لم يقع ذلك
من فرعون لقوله تعالى لا يصلون اليكما اذهبا بآياتنا انتما ومن اتبعكما
الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر اي اتترك موسى وقومه
الذين امنوا به وهم السحرة ليفسدوا في الارض بتغيير دينكم في ارض
مصر ويذرك وآلهتك اي ويدعك ويدع اصنامك التي امرت الناس
بعبادتها قيل ان فرعون جعل لقومه اصناما يعبدونها امره وكان يقول لهم هؤلاء
اربابكم الصغار وانا ربكم الاعلى قال ابن عباس يعبد فرعون ولا يعبد
قال لهم فرعون بغيروا ايشنا فا سنقتل ابناءهم بالتخفيف والتشديد
ونستحيي نساءهم كما كنا فعلنا بهم قبل لانهم قد كانوا تاركين قتل الابناء
فامرهم ان يرجعوا اليه وانا فوقهم قاهرون اي غالبون يعني هم عبيد لنا
نفعل بهم ما نشاء من القتل وغيره فاعيد القتل عليهم فشكت بنوا اسرائيل الى موسى

لاعاقبتكم

فثم

195

فثم قال موسى لقومه بني اسرائيل استعينوا بالله اي اطلبوا النصرة
على اعدائكم واصبروا على اذاهم حتى يأتيكم مخرج منه ان الارض
اي ارض مصر لله يورثها اي يعطيها وينزلها من يشاء من عباده
بعد اهلاك اعدائه الكافرين والعاقبة اي عاقبة الامر بالخير
للمتقين اي للمطيعين مخافة عقاب الله ورجاء ثوابه او العاقبة
الجنة قالوا اي قال بنوا اسرائيل اوذينا اي عذبنا من قبل ان تأتينا
بالرسالة ومن بعد ما جئتنا باعادة القتل وشدة الاستعباد قيل
قوم فرعون كانوا لا يعرفون شيئا من الاعمال وكان بنوا اسرائيل حذاقا
في الاعمال وكانوا يأمرونهم بالعمل ولا يعطونهم الاجر فبشرهم موسى بان
العاقبة لهم قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم اي فرعون وقومه
ويستخلفكم في الارض اي يجعلكم سكانها من بعد هلاكهم فينظر
ربكم كيف تعملون اي فيبتليكم بهذه النعمة واليسر فيها فيظهر
عملكم من خير وشر ويجازيكم عليه كما ابتلاكم بالشدة والعسر في اعدائكم
قبل الاستخلاف ثم قال تعالى ولقد اخذنا آل فرعون مشيرا الى انه
ابتلى قوم فرعون بانباء كثيرة قبل الاهلاك ليتعظوا ويؤمنوا فلم يتعظوا
بها فاهلكوا اي ابتليناهم بالسنين اي بقحط سنة جمع سنة بالفتح
وكسرت السين في الجمع ليدل على انها جمعت على غير قياس واصلها سنوة
خففت بالحذف من اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات اي
بخسرانها وهلاكها قال ابن عباس كانت السنون لباديتهم ونقص الثمرات
لامصارهم لعلهم يذكرون اي يتعظون فيؤمنون قيل البلاء يرقق القلوب
ويرغب في الاخرة والعجب ان موسى بقي بعد ان غلب السحرة عشرين سنة
يريهم المعجزات فلم يتعظوا وروي ان فرعون هلك في ثلثمائة وعشرين سنة
من مدة عمره وهي اكثر من ستمائة سنة ولم ير مكروها كالصداع وغيره فلو
رأى فيها شيئا منه لما ادعى الالوهية فاذا جاءتهم الحسنة اي الخصب و
الرخاء والخير قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا بالاستحقاق ولم يشكروا
الله تعالى عليها وان تصبهم سيئة اي قحط وشدة وشر يطيروا بموسى
ومن معه اي يقولوا هذه بشؤم موسى وبشؤم من آمن معه وانما قال اذا في
جانب الحسنة مع التعريف وان في جانب السيئة مع تنكيرها لان اذا لتحقق الوقوع
في متيقن الوجود وان في جائز الوجود وقلته فالحسنة لكثرة حسنها اصلح

واجبة الوقوع والسيئة نادرة فلا يقع الا شيء نادر منها ثم قال تعالى الا انما طائرهم
اي اعلموا ان الذي اصابهم من الخير والشر لم يكن الا عند الله اي من عنده وارادته
بسبب فعلهم الحسن او فعلهم القبيح ولكن اكثرهم لا يعلمون انه من عند الله و
قالوا مهما تاتنا مهما كلمة شرط اصلها ما ما الاولى ما الشرط والثانية زائدة فقلبت
الالف هاء تخفيفا فصارت اسما واحدا محله نصب بما بعده او رفع بالابتداء
خبره ما بعده اي قالوا لموسى اي ما شيء تحضرنا به من آية والضمير في به يرجع الى
لفظ مهما ومن آية بيان له وسموها آية اعتبارا لتسمية موسى آية لتسحرنا بها
اي لتاخذ اعيننا عن ادراك حقيقة امرك بها يرجع الى معنى مهما لانها بمعنى
الآية وعود الضمير اليها يدل على انها اسم وجواب الشرط فما نحن لك بمؤمنين
اي بمصدقين بانك رسول من الله ولا نخدع بسحرك قيل قولهم اغضب موسى
فدعا عليهم فقال تعالى فارسلنا عليهم الطوفان وهو المطر الدائم من السبت
الى السبت حتى كادت يصير مصر بحرا واحدا فدخل بيوتهم فخافوا الغرق ولم يدخل
بيت بني اسرائيل مع اشتباكها ببيوتهم فاستغاثوا بموسى وقالوا اكشف عنا
نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى فرفع المطر وارسل الله الريح
فجففت الارض فخرج منها النبات والنعم بحيث لم يروا مثلها قط فقالوا ما كان
هذا المطر الا نعمة لنا ولدوابنا ولكنا لو نشعر به فلا والله لا نؤمن بك ومكثوا شهرا
لم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وارسل الله عليهم الجراد فاكل نباتهم وثيابهم وسقوف
بيوتهم ولم يضر باسرائيل فقالوا يا موسى اكشف عنا نؤمن بك فاشار بعصاه شرقا
وغربا فهبت الريح بامره تعالى واحتملت الجراد والقتة في البحر فقال لهم فرعون انظروا
هل بقي شيء فنظروا فاذا هو بقية من زرعهم وكلائهم ما يكفيهم عامهم ذلك فقالوا يا
موسى لا نؤمن بك ومكثوا على ذلك شهرا فدعا عليهم موسى وارسل الله القمل
عليهم وهو السوس الذي يخرج من الحنطة قرئ مخففا بفتح القاف وسكون الميم
ومشددا بضم القاف وتشديد الميم جمع القمل فاكل ما ترك الجراد وآذاهم قرضا واكلا
وخبث عليهم اطعمتهم لوقوعه فيها وفي افواههم ولم يضر باسرائيل فاستغاثوا موسى
فدعا موسى ربه فارسل لهم ريحا حارة فاحرقته فحملته الريح والقته في البحر فقال
لهم موسى آمنوا بربكم وارسلوا معي بني اسرائيل فقالوا يا موسى قد ذهبت الانزال
اي المنافع كلها منا فاي شيء تفعل بنا لا نؤمن بك فمكثوا شهرا فدعا موسى ربه
وارسل الله عليهم الضفادع من البحر فملأت بيوتهم وفرشهم وخبثت
اطعمتهم وان جلس الرجل على الارض يجلس فيها الى رقبته وان فتح فاه
دخله

دخله وكان الرجل يكلم صاحبه في الطريق فيجعل فمه في اذنه يسمع كلامه من
كثرة نعيق الضفادع فضاق الامر عليهم فصاحوا الى موسى فدعا ربه فرفعها
عنهم ومكثوا شهرا فلم يؤمنوا وارسل الله الدم عليهم فجرت انهارهم فلم يقدروا
على الماء العذب وبنو اسرائيل في الماء العذب واذا اخذ قبطي من ماء بني اسرائيل
ماء صار دما وجعل فرعون يمضغ الاشجار الرطبة فيصير ماؤها دما في فيه
وقيل المراد من الدم الرعاف سلطه الله عليهم عذابا فمات كثير منهم فاستغاثوا
بموسى عم فدعا ربه فذهب الدم وعذب ماؤهم فعادوا الى كفرهم فقال تعالى
ارسلنا عليهم المذكورات آيات مفصلات نصب على الحال من المذكورات
اي علامات متتابعات ليعتبروا فيؤمنوا وكان تفصيلها ان الآية اذا
جاءتهم قامت عليهم سبعا من السبت الى السبت ويعافون بين كل آيتين
شهرا فاستكبروا اي تعظموا عن الايمان بموسى عم وكانوا قوما مجرمين
باقامتهم على الكفر بعد مجيء تلك الآيات العظام ولما وقع عليهم الرجز اي
حل بهم العذاب قالوا يا موسى ادع لنا ربك اي سل لنا من ربك بما عهد اي
بحق الذي هو ثابت عندك من عهده وكرامته بالنبوة فالباء للقسم
لئن كشفت عنا الرجز اي رفعت عنا العذاب النازل بنا لنؤمنن لك
ولنرسلن معك بني اسرائيل قال تعالى فلما كشفنا عنهم الرجز اي العذاب
النازل بهم الى اجل هم بالغوه اي الى زمان فيه يعذبون لا محالة اذ لا ينفعهم
ما تقدمهم من الامهال بكشف العذاب اذا هم ينكثون اي ينقضون العهد
الذي عاهدوا عليه موسى وهو جواب لما يعني نكثوا ذلك فانتقمنا اي اردنا
الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره بانهم كذبوا
اي بسبب تكذيبهم بآياتنا اي علاماتنا التسع اليد البيضاء والعصا والقحط
ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وكانوا عنها
اي عن الآيات غافلين اي معرضين ولم يلتفتوا اليها ولم يتفكروا فيها فيؤمنوا
او كانوا عن نقمتنا قبل حلولها بهم غافلين جاهلين بها قيل لما تمت الآيات
عليهم امر الله موسى ان يخرج بني اسرائيل من ارض مصر ليلا فاستعارت نساؤهم
من نساء القبط ثيابهم وحليهم بعلة العرس فخرج بهم ستمائة الف من رجل
وامراة وصبي فاخبر بذلك فرعون فركب وقت الصبح ومعه الف الف وستمائة
الف لشكر فادركهم وقت طلوع الشمس وانتهى موسى الى البحر فضرب البحر بعصاه
فانفلق له اثني عشر طريقا فعبر كل سبط في طريق فلما دخل آخر الفرعون وهم

اولهم ان يخرج من البحر امر الله البحر فغرقهم فرجع بنو اسرائيل فسكنوا الارض فقال تعالى
واورثنا القوم اي اعطينا بني اسرائيل بعد هلاك القبط بالغرق الذين كانوا
يستضعفون صفة للقوم اي يستعبدهم آل فرعون مشارق الارض ومغاربها
والمراد من الارض ارض مصر والمراد من مشارقها الارض المقدسة ومن مغاربها
اردن وفلسطين او المراد من الارض الشام ومن المشارق والمغارب حواليها
التي باركنا فيها اي انزلنا فيها البركة بالماء والشجر والخصب وهي مشارق و
مغارب وتمت اي مضت وكملت كلمة ربك الحسنى تأنيث الاحسن وهي عدة الله
الجميلة على بني اسرائيل بنصره اياهم وتمكينه لهم في ارض عدوهم وجعله اياهم
ائمة فيها بما صبروا اي بسبب صبرهم على دينهم وتحمل عقوبة فرعون وعدم
دخولهم في دينه ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اي ابطلنا مكرهم
وعملهم وما كانوا يعرشون بضم الراء وكسرها اي واهلكنا ما كانوا يبنون من
القصور والكروم وغيرها من الابنية المشيدة الى السماء والجنان الملتفة
باشجار الثمار ثم اخبر تعالى عن جهالة بني اسرائيل بعد انجائهم من عذاب فرعون وقومه
بقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي عبرنا بهم البحر وكان ذلك يوم عاشوراء فأتوا
اي فمروا على قوم وهم قبيلة لخم يعكفون على اصنام لهم اي يقيمون على عبادتها
بكسر الكاف وضمها من العكوف وهو الاقامة والمواظبة على شيء ومنه المعتكف
لملازم المسجد مع النية قالوا اي الجهال من بني اسرائيل يا موسى اجعل لنا
الها اي صنما نعبده ونعظمه كما لهم آلهة اي اصنام يعبدونها قال لهم موسى
انكم قوم تجهلون خالقكم ومعبودكم وتتكلمون بغير علم وعقل ان هؤلاء
اي عبدة الاصنام متبر اي متفرق مهدوم ما هم فيه اي الذي هم ثابتون
عليه من عبادة الاصنام يعني يكسر الله اصنامهم ويهدم دينهم الذي
هم عليه على يدي من التبر وهو كسار الذهب وباطل ما كانوا يعملون
اي مضمحل عملهم لا ينتفعون به ثم قال موسى لهم توبيخا اغير الله ابغيكم
الها اي اطلب لكم غير الله معبودا وهو فضلكم على العالمين اي عالمي زمانكم
بانعامه عليكم ثم بين الله تعالى ما انعم اياهم بقوله واذ انجيناكم جمعا للتعظيم
المتكلم وقرئ مفردا انجاكم غيبة والفاعل الله تعالى اي اذكروا وقت انجائنا
اياكم من آل فرعون اي من عذابهم يسومونكم اي يعذبونكم سوء العذاب
اي الشدة يقتلون بالتخفيف والتشديد ابناءكم ويستحيون نساءكم للخدمة
وفي ذلكم اي في قتل الابناء واستخدام النساء بلاء اي ابتلاء من ربكم عظيم

اي

اي في الانجاء من عذابهم نعمة عظيمة من الله والبلاء يطلق على النعمة والبلية
قوله وواعدنا موسى ثلثين ليلة فيه اخبار عما سأل موسى ربه كتابا
لبني اسرائيل يعملون به آمرا وناهيا بعد اغراق آل فرعون في البحر وانجائهم منهم
فامر الله موسى بصوم ثلثين يوما وذلك بعد ان وعد موسى بني اسرائيل وهو
بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان الحلال والحرام
وقرئ ووعدنا بغير الالف وبالالف ومعناهما واحد امرنا موسى بان يصوم
ثلثين يوما وانما قال ليلة لان اول الشهور ليلة ولان الظلمة سابقة على النور
واتممناها بعشر لانه لما صام ثلثين يوما وهو شهر ذي القعدة فانكر خلوف
فمه لمناجاة ربه فاستاك بعود خرنوب فقالت له الملائكة كنا نجد من فيك
ريح المسك فافسدته بالسواك واوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم
الصائم عندي اطيب من رائحة المسك فامره الله تعالى بصيام عشر آخر وهو عشر اول
من ذي الحجة فتم ميقات ربه اي الوقت الذي وعده ان يكلمه بعده اربعين
ليلة ونصب اربعين حال اي بالغا هذا العدد ونصب ليلة تمييز وقال
موسى لاخيه هرون عطف بيان لاخيه حين ذهب الى مناجات ربه
اخلفني اي كن خليفتي في قومي اي عليهم واصلح اي مرهم بالصلاح كما امرتهم
به ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا توافقهم في طريق الفساد والمعصية و
انههم عنها ولما جاء موسى لميقاتنا اي للوقت الذي وعدناه ان نكلمه
فيه وكلمه ربه بلا واسطة كما يشاء قيل كان جبرئيل عم معه ولم يسمع ما كلمه
به وسمع موسى كلامه من كل جهة قال ابن عباس كلمه اربعين يوما وليلة
قال موسى اشتياقا قاله من شدة التذاذه بسماع كلامه رب ارني نفسك
انظر اليك بالجزم جوابا للامر اي لا تمكن من رؤيتك وقيل طلب الرؤية
لاجل الذين كانوا معه عند قولهم لموسى ارنا الله جهرة ليعلموا ان لا سبيل
الى رؤيته فيمتنعوا عن السؤال لانه اذا امنع عنها مع قربه فغيره اولى بالمنع
عنها قال الله تعالى في جوابه لن تراني ولم يقل لن تنظر الي كقوله انظر
اليك لان المطلوب هي الرؤية التي معها ادراك لا النظر الذي هو عبارة
عن تقليب الحدقة نحو المرئي لانه قد يتخلف عنه الادراك في بعض الصور
وانما قال بكلمة لن تراني لتدل على التأبيد في الدنيا لان السؤال كان فيها
كما في قوله تعالى ولن يتمنوه اي الموت ابدا اي في الدنيا ويدل على ذلك
تمنيهم اياه في الاخرة لقوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اي بالموت يعني

لا سبيل لك الي النظر الي يا موسي ولكن انظر الي الجبل وهو اعظم الجبال بمدين
اسمه جبل زبير فان استقر مكانه اي لم يتزلزل عند التجلي وخص الجبل لانه
اعظم وامنع للقوم عن سوالهم الرؤية جهرة فسوف تراني فستقدر علي ان
تراني وان لم يستقر الجبل مكانه فانك لن تطيق لرؤيتي فلما تجلى ربه اي
كشف نوره للجبل من حجبه قدر ما بين الخنصر والابهام اذا جمعتهما جعله
دكاء بالمد اي كارض دكاء اي مستوية لا شيء عليها وبالقصر مع التنوين للمصدر
مصدر بمعنى مدكوكا يعني متجزيا قيل صار الجبل رملا عالجا او ترابا او قطعا و
كانت ثمان فوقع ثلثة منها بمكة وثلثة بالمدينة واثنان بالشام فارتعدت
فرايص موسى وتغير لونه وخر موسى صعقا اي سقط مغشيا عليه لهول
ما راى فلما افاق اي جاء عقله وفهمه اليه من غشيانه قال سبحانك
اي انزهك عن الادراك تنزيها تبت اي رجعت اليك من قول ارني
انظر اليك ومن طلب شيء لا تحتمله نفسي وانا اول المؤمنين بانك لا ترى
في الدنيا من بني اسرائيل قال تعالى يا موسى اني اصطفيتك على الناس في زمانك
برسالاتي مفردا وجمعا اي بنبوتي او باسفار التورية المكتوبة وبكلامي اي وبتكليمي
معك من غير وحي ولا يشكل برسالة هرون لانه كان تابعا له فيها فخذ ما اتيتك
من شرف الرسالة والحكمة واعمل به وكن من الشاكرين لنعمتي عليك قيل خر موسى
صعقا في يوم عرفة واعطي التورية في يوم النحر ثم اخبر عما اعطاه اياه فقال وكتبنا
له في الالواح اي الواح التورية وكانت سبعة من سدر الجنة وقيل من زبرجد
من كل شيء من الاحكام وغيرها في محل النصب مفعول كتبنا وابدل منه قوله
موعظة وتفصيلا لكل شيء اي نصيحة من الجهل وبيانا للفرائض من الحلال و
الحرام وكل ما يحتاج اليه في دينهم من الفضائل والاخلاق الحسنة وقيل انزلت
التورية وهي سبعون وقر بعير من لوح كل لوح كطول موسى يقرا الجزء منه في
سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام فخذها
اي فقلنا له خذها هو عطف علي كتبنا والضمير للالواح بقوة اي باجتهاد ومواظبة
في العمل بما فيها وأمر قومك يأخذوا باحسنها اي يعملوا بالجمع بين فرائضها وفضائلها
او بالعفو دون القصاص وقيل الاحسن الواجب والندب فانه احسن
من المباح سأريكم من الاراءة دار الفاسقين اي دار فرعون وقومه وهي
مصر كيف خلت منهم لفسقهم فلا تفسقوا مثل فسقهم فتهلكوا مثل هلاكهم او سأريكم
منازل الهالكين كعاد وثمود والقرون الذين اهلكهم لفسقهم وتكبرهم عن الايمان

في

في اسفاركم لتتعظوا بهم سأصرف عن آياتي اي عن فهمها بخذلاني قلوب
الذين يتكبرون علي رسلي بتكذيبهم او علي الناس باستهانتهم في الارض
بغير الحق لان التكبر بالحق لله وحده او يتكبرون بما هم عليه من الباطل وهو
الكفر فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة باشتغالهم وافتخارهم بما هم فيه
من الشهوات الفاسدة ليؤمنوا بهم وان يروا كل آية منزلة عليهم دالة علي التوحيد
لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد بضم الراء وسكون الشين وبفتحها
اي طريق الهدى والفلاح لا يتخذوه سبيلا اي لا يتبعوه ولا يأخذوه دينا
وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اي يتبعوه ويأخذوه دينا ذلك
اي صرفنا قلوبهم عن الايمان بالايات بانهم اي بسبب انهم
كذبوا بآياتنا حين راوها وشاهدوها وهي الآيات التسع مع موسى
او آيات القرآن مع محمد عم وكانوا عنها غافلين اي تاركين التفكر فيها
بكبرهم وحب دنياهم والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي بالبعث بعد الموت
حبطت اعمالهم اي بطلت حسناتهم هل يجزون اي ما يثابون في الآخرة
الا ما كانوا يعملون اي الا جزاء اعمالهم السوء الذي عملوه في الدنيا ثم اخبر عن
ضلالة بني اسرائيل بعد احسانه تعالى اليهم بالانجاء من عدوهم واتباعهم
بموسى عم بالايمان وذلك حين وعدهم موسى ثلثين يوما فتأخر عنه بقوله
واتخذ قوم موسى من بعده اي بعد ذهابه الي المناجاة بالطور من حليهم
التي استعاروها من نساء القبط بعلة عرس كان لهم وجازت الاضافة
بادنى ملابسة وهو كونها عواري او لانهم ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا
غيرها من املاكهم قرئ بضم الحاء جمع حلي كثدي وثدي بالتشديد وبكسر
الحاء للاتباع بكسرة اللام يعني الاول وهو اسم المتحلى به من الذهب والفضة
واسند الاتخاذ اليهم وان كان المتخذ السامري وحده لرضاهم بفعله منها
فانها اتخذوا الها وعبدوه عجلا جسدا مفعول اتخذوا جسدا بدل منه
اي جسما ذا لحم ودم له خوار اي صوت كصوت البقر وذلك ان السامري
قال لهم منع الله عنا موسى بما اخذتم من آل فرعون بعلة العرس من الحلي
لانه خيانة عظيمة فاجمعوا الحلي التي اخذتم منهم حتى نحرقها فلعل
الله يرد موسى علينا فجمعوها وكان السامري صايغا فجعلها في النار
واتخذ منها صورة العجل وقد كان راى جبرائيل على فرس الحيوة الذي كلما
وضع حافره ظهر النبات في موضع حافره فاخذ من اثر حافره كفا من التراب

والقاه في صورة العجل فصار عجلاً جسداً فقال هذا الهكم واله موسى فجعله
سفهاؤهم معبوداً لهم فعجب الله تعالى بالاستفهام من عقولهم السخيفة بقوله
الم يروا بنظر العقل انه لا يكلمهم بالامر والنهي والنصح ولا يهديهم اي لا يرشدهم
سبيلاً اي طريقاً من طرق الفلاح مع دعواهم فيه الالوهية فكيف عبدوه
وهو اعجز عنهم ثم قال تعالى اتخذوه الهاً واقدموا على عبادته وكانوا ظالمين
اي صاروا اضارين انفسهم بعبادتهم اياه او كانوا ظالمين قبل ذلك فلم يكن
اتخاذ العجل منهم بدعاً ولا اول مناكيدهم ثم اخبر عن ندامتهم على فعلهم القبيح ورحمته
عليهم بقوله ولما سقط في ايديهم اي ندموا على عبادتهم العجل يقال سقط
في يده اذا ندم واصله سقط فوه على يده فهو من باب الكناية لان من اشتد
ندمه وحسرته شانه ان يعض يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها وفوه ساقطاً
واقعاً عليها فالسقوط مستند الى في ايديهم مجازاً لغوياً وراوا اي علموا انهم
قد ضلوا عن الهدى بعبادة العجل قالوا تائبين لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر
لنا بالياء فيهما والفاعل ربنا بالرفع وبتاء الخطاب فيهما ونصب ربنا بالنداء اي لئن
لم يتب الله علينا لنكونن من الخاسرين وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء
عند توبتهما ولما رجع موسى الى قومه من مناجاته بالطور مع الواح التورية
السبعة غضبان حال اي شديد الغضب اسفاً اي حزيناً وهو بدل منه قال
لقومه بئسما خلفتموني اي بئس شيئاً قمتم به مقامي اشراككم من بعدي اي بعد
ذهابي عنكم او بعد ما رايتم من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة
له تعالى ففاعل بئس مضمر فسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف يعني بئس خليفة
خلفتموني بها خلافتكم بعبادة العجل مكان عبادة الله تعالى اعجلتم اي اسبقتم امر ربكم
وهو اتياني لكم بالتورية بعد تمام ميعاد ربكم بعبادتكم العجل فاستوجبتم عقوبة
ربكم والقى الالواح من يده غضباً لدينه فتكسرت فرفع الكمالات التي فيها الى السماء
وهي ستة اسباع التورية وبقي سبعها وهو ما فيه الهدى والرحمة من الاحكام
وقيل الى محى وذهب اثر المكتوب منها وهو ما فيه تفصيل كل شيء واخذ براس اخيه
اي بشعر راسه ولحيته يجره اليه غضباً من تمكينه عبادة العجل لهم على ظن منه
ان هرون فرط في الكف عنها قال له هرون وكان اكبر من موسى بثلث سنين
واحب الى بني اسرائيل من موسى لانه كان في نفسه حديداً شديد الغضب وهرون
الين جانباً منه لرقته لهم ابن ام منادى حذف حرفه تخفيفاً بفتح الميم وبكسرها
بحذف الياء اكتفاء بالكسرة او اضافة الى اللام تذكيراً بحقها لانها قاست المخاوف فيه

وكان ذلك اعطف لقلبه ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبتها او كان اخاه لامه اي
يا ابن امي لا تاخذ بلحيتي ولا براسي ان القوم استضعفوني اي استذلوني وقهروني
وكدوا الجهد في كفهم عنها وكادوا اي قربوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء اي
لا تفرح اصحاب العجل او الشياطين باهانتك اياي ولا تجعلني مع القوم الظالمين
اي لا تعتقد اني احد منهم فاني بريء منهم ومن ظلمهم قال موسى رب اغفر لي ما فعلت
لاخي هرون او بالقاء الالواح من يدي ولاخي اي اغفر له ان كان منه تقصير في
دينك وادخلنا في رحمتك اي جنتك وانت ارحم الراحمين اي ارحم بنا منا
نفسنا قال بهذا الدعاء ليرضي اخاه ويسيء الشامتين ثم اخبر تعالى عن جزاء متخذي
العجل للعبادة بقوله ان الذين اتخذوا العجل الهاً سينالهم اي سيصيبهم غضب
من ربهم وهو قتل انفسهم توبة وذلة في الحيوة الدنيا اي غربة شديدة فيها لان
في الغربة ذلة وقيل المراد ابناؤهم كقريظة والنضير والغضب قتلهم واجلاؤهم والذلة
ضرب الجزية عليهم وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء نجزي المفترين اي نعاقب المتقولين
على الله بان له شريكاً في العبادة ثم رغبهم في التوبة من المعاصي بسعة رحمته بعباده
بقوله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا اي رجعوا بالاخلاص
من بعدها اي بعد عملوا السيئات وآمنوا اي صدقوا بوحدانيته تعالى ان ربك
من بعدها اي بعد التوبة لغفور رحيم بالتجاوز عن ذنوبهم وادخالهم الجنة
ثم رجع الى اخبار عن حال موسى بقوله ولما سكت اي طفئ عن موسى الغضب
والسكوت ضد النطق وهما من صفات المتكلم لكن لما كان الغضب كانه الامر
من شدته لموسى ان يقول لقومه ما قال وان يفعل باخيه ما فعل قال سكت مكان
سكن يعني لما زال الغضب عن نفس موسى اخذ الالواح التي القاها على الارض
من غضبه وفي نسختها اي فيما نسخ فيها اي كتب ولم يضمحل بعد ان كسرت
هدى من الضلالة ورحمة من العذاب مبتدا خبره في نسختها ومحل الجملة نصب
على الحال من الالواح للذين هم لربهم يرهبون اي للذين يخشعون ربهم فاللام في لربهم
زائدة لاجل تقدم المفعول على فعله لضعف الفعل عن العمل في المفعول المتقدم عليه
قال ابن عباس لما تكسرت الالواح صام موسى اربعين يوماً فردت عليه في لوحين
قوله واختار موسى قومه نزل اخباراً عما اراد موسى ان يذهب مع بعض بني
اسرائيل الى الجبل للاعتذار الى ربهم من عبادتهم العجل فامر الله تعالى موسى بان يختار
سبعين رجلاً منهم فاختار من كل سبط ستة رجال فبلغوا اثنين وسبعين قال
موسى اني امرت بسبعين فليرجع اثنان ولهما اجر من حضر فرجع يوشع بن نون فقال

الله تعالى مخبر النبيه م عن ذلك بقوله اختار موسى من قومه بحذف الجار واوصل
الفعل اليه بالعمل ومفعوله الصريح سبعين رجلا تمييز لميقاتنا اي للوقت الذي
واعدناه ان يأتينا فيه سبعين رجلا من خيار قومه يعتذرون الينا من عبادة
العجل فخرج موسى بهم الى الطور سيناء جبل بالشام بالاضافة الى سيناء بالقصر وهي
شجرة ثمة فلما قرب الى الجبل نزل عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله فدخل فيه موسى و
دخل القوم ايضا باذنه فوقعوا سجدا وكلمه ربه بامره ونهيه وهم سمعوا ذلك
ثم انكشف الغمام فقالوا يا موسى ارنا الله جهرة فوعظهم بنزول العذاب وزجرهم فلم
فلم ينزجروا فلما اخذتهم الرجفة اي رجف بهم الجبل فصعقوا وقيل نزلت نار
بهم فاحرقتهم فماتوا قال موسى ثمة ترحما بهم رب لو شئت اهلكتهم من قبل اي
قبل هذا اليوم عند عبادة العجل واياي عند قتلى القبطي اتهلكنا اي اتعمدنا بالهلاك
بما فعل السفهاء منا اي بسبب فعل سفهاء بني اسرائيل يعني انت لا تعذب احدا
بذنب غيره فاحياهم الله تعالى ثم قال ان هي اي ليست هذه الفتنة الا فتنتك اي
الا اختبارك ومحنتك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية
استدلالا فاسدا فلذلك اجترؤا على سؤال الرؤية تضل بها اي بالفتنة والامتحان
من تشاء من الجاهلين الغير الثابتين في معرفتك وتهدي من تشاء من
العالمين الثابتين بمعرفتك انت ولينا اي ناصرنا والقائم بامورنا بالحفظ و
الاصلاح فاغفر لنا وارحمنا اي لا تعذبنا بذنوبنا ووفقنا على التوبة منها
وانت خير الغافرين اي المتجاوزين عن الذنوب لانك تحب العفو والتجاوز
واكتب اي اثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة اي عافية وحيوة
طيبة او توفيقا في الطاعة وفي الآخرة حسنة وهي الجنة انا هدنا اي تبنا
اليك من هاد يهود اذا تاب قال الله عذابي اصيب به من اشاء ممن كان اهلا
له لاني المالك المتصرف ورحمتي وسعت كل شيء اي تبلغ البر والفاجر فالرجفة
عذابي اصبتها لهم لانهم كانوا اهلا لها وما شاء الله من الغفران فمن رحمتي ورحمتي
واسعة تعم كل شيء فغفرت لهم وقبلت توبتهم قيل لما نزلت الآية قال اللعين
انا داخل في كل شيء فاقنطه الله بقوله فسأكتبها اي سأثبتها للذين يتقون
الشرك والمعصية ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون فقالت
اليهود والنصارى نحن آمنا بالآيات وهي التورية ونؤتي الزكوة فهذه الكرامة
لنا فاخرجهم الله تعالى بقوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه
اي وصفه بالنبوة مكتوبا عندهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم في التورية

تعمدنا

والانجيل يأمرهم بالمعروف اي بشرايع الاسلام وينهاهم عن المنكر اي عما يعرف
في شريعة الاسلام ويحل لهم الطيبات اي الحلالات التي كانت محرمة عليهم من
اللحوم والشحوم وغيرهما ويحرم عليهم الخبائث اي الاشياء التي خبثت في الحكم
كالميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والربا والرشوة وغيرها من المكاسب الخبيثة ويضع
اي يزيل عنهم اصرهم مفردا واصارهم جمعا اي اثقالهم وهي العهود التي بينهم وبين
ربهم لا تحفظها لثقيل والاغلال التي كانت عليهم وهو الامور الشديدة التي
كانت عليهم في الشرايع كقتل النفس في التورية في صحة التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة
وتعيين القصاص في القتل عمدا كان او خطاء وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب
واحتراق الغنايم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت بان لا يعملوا فيه وغير ذلك
من الاعمال الشاقة فوضع ذلك كله عنهم فالذين آمنوا به اي بمحمد م وعزروه
اي عظموه ونصروه بالسيف على اعلاء كلمة الله ودينه واتبعوا النور الذي
انزل معه اي مع نبوته وهو القرآن او معه عليه اي انزل عليه او اتبعوا النور
مع اتباع النبي م اولئك اي المؤمنون بمحمد بهذه الصفة هم المفلحون من عذاب
النار ودخول الجنة برحمته الواسعة كل شيء قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا اي للنبي م باظهار ادعاء الرسالة بين الناس وهو اول نداء نادى
به النبي م في مكة وكان يدعوهم واحدا واحدا قبله لتبليغ الرسالة سرا ثم اظهر الدعوة
بعده فالمراد اهل مكة وقيل سبب نزوله ان كل نبي بعث الى قومه وبعث محمد م الى
جميع الانس والجن فامره الله ان يعلم ذلك بقوله قل يا ايها الناس فالمراد جميع
الناس لا اهل مكة خاصة بدلالة قوله جميعا وهو نصب على الحال من اليكم اي اني ارسلت
من الله الى جميعكم لدعوتكم الى الايمان به فقالوا من هو فقال م هو الذي له ملك
السموات والارض اي الذي خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون منصوبا
باعني وجرا على الوصف وان مفصل بقوله اليكم جميعا او بدل من الصلة لا اله
الا هو اي لا معبود سواه لانه مالك اهل السماء والارض وخالقهم ورازقهم يحيي ويميت
اي يحيي الخلق من الماء ويميتهم اذا انقضى اجلهم او يميت الاحياء في الدنيا ويحيي الاموات
في الآخرة فآمنوا بالله ورسوله ولم يقل بي ليجري عليه صفاته بالاسم الظاهري
بمحمد م النبي الامي الذي يؤمن بالله اي يصدق وكلماته اي وبالقرآن الذي انزل
منه واتبعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه يعني محمدا م لعلكم تهتدون اي ارادة
ان تهتدوا من الضلالة ثم اخبر تعالى عن مؤمني بني اسرائيل بمحمد نبينا م الثابتين
بالاستقامة فقال ومن قوم موسى امة اي جماعة يهدون اي يرشدون

بالحق اي بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون كعبد الله بن
سلام واصحابه وقيل هم سبط سالوا الله ان يفرق بينهم وبين ساير الاسباط
من بني اسرائيل الذين قتلوا انبياءهم وهم تبروا مما صنعوا ففتح الله لهم نفقا في الارض
فساروا فيها سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هناك حنفاء مسلمون
يستقبلون قبلتنا قال ابن عباس رضي الله عنه ليلة اسري بالنبي عم رفعه جبرائيل عم
اليهم وكلمهم وكلموه فقال لهم جبرائيل اتعرفون من يكلمون قالوا لا قال ان هذا محمد
النبي الامي فامنوا به فامنوا بمحمد عم ثم قراوا دم من موسى بايصائه لهم ذلك فرد
رسول الله عم على موسى عم وعليهم السلام وعلمهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة
ولم يكن فيها فريضة غير الصلوة والزكوة فعلمهما وامر بفعلهما وكانوا يعظمون
السبت فامرهم ان يصلوا يوم الجمعة ويتركوا تعظيم السبت وامرهم ان يقيموا
مكانهم ورجع من ليلته ثم قال تعالى وقطعناهم اي فرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة
اسباطا فنصب اثنتي حال ونصب اسباطا بدل او تمييز ومميز بالجمع لان اسباطا
وضع موضع قبيلة ولذلك انث اثنتي عشرة يعني اثنتي عشرة قبيلة كل قبيلة اسباط
قوله امما نعت لاسباطا او بدل من اثنتي عشرة اي قطعناهم امما لان كل سبط منهم
كان امة عظيمة واوحينا الى موسى في التيه اذ استسقاه قومه ان اضرب
بعصاك الحجر وذلك اذا استسقاه قومه فيها فضربه فانبجست اي انفجرت منه
اي من الحجر اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس اي سبط مشربهم اي موضع شربهم
من العيون وظللنا عليهم الغمام يدفع عنهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن اي الترنجبين
كل غداة والسلوى اي السماني وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم
اي من حلاوته ولا ترفعوا منه شيئا لغد فرفعوا عنهم ذلك ولو لم يرفعوا الدام عليهم
الانزال وما ظلمونا اي ما اضرونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث رفعوا
فمنعوا ولا باس باختلاف العبادة والقصد واحد اذا لم يكن بين العبادتين تناقض
ونصب الظرف بتقدير اذكر في قوله واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية واذ قلنا
ادخلوا هذه القرية اي بيت المقدس او اريحا قرية قريبة من بيت المقدس وكلوا
منها حيث شئتم اي بالسعة عليكم لا بالضيق وقولوا حطة اي مسئلتنا حطة
ذنوبنا عنا وادخلوا الباب اي باب القرية سجدا اي منحنين بالسجود لله تعالى
شكرا نغفر لكم بالجزم في جواب الامر مع نون المتكلم ومع ضم التاء مجهولا للتانيث
خطاياكم بالجمع المكسر جمع خطيئة اي يستر الله لكم ذنوبكم فلا يجازيكم بها وبالنون
مع الجمع السالم وقرئ بضم التاء للتانيث مجهولا وخطيئاتكم بالجمع السالم ايضا و

خطيئتكم بالافراد سنزيد المحسنين اي من احسن الى نفسه وغيره بفعله الخير
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم لطلب التوبة وهو حنطة مكان
حطة استهزاء فارسلنا اي انزلنا عليهم رجزا اي عذابا وهو الطاعون
من السماء بما كانوا يظلمون انفسهم بتبديل امر الله تعالى واستهزائهم به قوله واسئلهم
عن القرية التي كانت حاضرة البحر نزل حين قالت اليهود نحن ابناء ابراهيم فلا
يعذبنا الله الا مقدار عبادتنا العجل فامر الله النبي صلى الله عليه وسلم بان يسئلهم
عن اهل القرية التي كانت ملاصقة البحر من اليهود كيف عذبهم الله اذ يعدون اي
يجاوزون حدود الله يعني وقت عدوانهم في السبت واذ يعدون بدل من القرية
وهو عامل النصب على الظرفية في اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم اي في يوم السبت
وهو جمع حوت يعني السمك شرعا اي ظاهرة على وجه الماء جمع شارع ونصبه على
الحال من الحيتان والعامل تاتي واعتداؤهم وظلمهم فيه انهم استحلوا الصيد الذي حرم عليهم
اخذه فيه وهو يوم تعظيمهم امر السبت باشتغالهم التعبد فيه ويوم لا يسبتون
اي يوم لا يعظمون السبت بالعبادة من اسبت اذا دخل في السبت لا تاتيهم حيتانه
كذلك نبلوهم اي مثل ذلك البلاء الشديد والاختبار نختبرهم بما كانوا يفسقون
اي بسبب فسقهم وخروجهم عن امر الله واذ قالت عطف على قوله اذ يعدون
وحكمه كحكمه في الاعراب اي حين قالت امة اي جماعة منهم صالحة للجماعة الذين
نهوهم عن اخذ الحيتان بعد ياسهم من توبة الفاسقين باخذها لم تعظون قوما الله
مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وقد علمتم ذلك فلا ينفعهم الوعظ وكانوا ثلث فرق
فرقة صادت وفرقة وعظتهم وفرقة لم تصد ولم تنه قالوا اي قالت الامة الواعظة
معذرة بالرفع خبر مبتدا محذوف اي موعظتنا اظهار عذر منا الى ربكم لئلا ننسب الى
تقصير في النهي عن المنكر وبالنصب على انه مفعول له اي وعظناهم للمعذرة ولعلهم يتقون
اي ولطمعنا ان يخافوا من الله وينتهوا عن الفسق فلما نسوا اي ترك اهل القرية ما
ذكروا به اي الذي وعظوا به من النهي عن الصيد انجينا من العذاب الذين ينهون
عن السوء وهو اخذ الحيتان في السبت واخذنا اي عاقبنا الذين ظلموا بترك الامر
بعذاب بئيس اي شديد بما كانوا يفسقون اي يخرجون عن امر الله ويعصونه وقرئ
بئس بكسر الباء وسكون الياء بلا همزة كذئب وبئيس بفتح الباء والهمزة المكسورة مع الياء
الساكنة كرغيف وبئيس في بئس كفرد بكسر الباء المنقول من الهمزة بعد سلب الفتحة من
الباء وبسكون الهمزة وبئس بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة بعدها كجعفر قال ابن عباس
ما ادري ما صنع بالفرقة الساكتة فقال عكرمة نجت الناهية والساكتة لقولهم لم تعظون

قوتا الله مهلكهم نهم قد انكروا عليهم وقوله تعالى واخذ نا الذين ظلموا الآية دوي
ان قوله اعجب ابن عباس فوهب له بردين بسببه ثم قال تعالى فلما عتوا
اي تكبروا عن ما نهوا عنه اي عن امثال المنهي عنه من الصيد بعد تعذ
يبهم بعذاب شديد اولا قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي متعدين عن
رحمة الله وهو امر تحويل لمسخهم آخرا وقيل هو تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب
البئيس هو المسخ دوي انهم كانوا ياخذون الحياض في جنب البحر ويسيلون الماء
فيها يوم السبت فيدخل السمك فيها وياخذونه يوم الاحد فقالوا انما نهينا عن
اخذ الصيد يوم السبت ونحن ناخذه يوم الاحد فلما لم يعذبوا به استحلوا الاخذ
في يوم السبت فظهر عدوانهم به وقالوا انما حرم الله علي آبائنا ولم يحرم علينا فنهاهم
صلحاؤهم فلم يمتنعوا فضربوا حايطا بينهم وبين الظلمة فاصبحوا يوما من الايام
ولم يفتحوا الباب الذي بينهما فصعد واحد منهم الحايط فاذا القوم قد مسخوا قبل
صار الشبان قردة والشيوخ خنازير قوله واذ تأذن ربك عطف علي قوله
اذ يعدون اي سلهم كيف عذبهم الله اذ اعلم الله وهو اجري مجري فعل القسم كعلم الله
وشهد الله ولذلك جيء باللام ليبعثن المعني واذ اوجب ربك بعلمه وحكمه علي
نفسه ليرسلن كعلم الله وشهد الله ولذلك بالتسليط عليهم اي علي اليهود الي يوم
القيمة من يسومهم اي يعذبهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الي المجوس الي
ان يبعث الله محمدا عليه السلام فضربها عليهم فلم تزل الجزية مضروبة عليهم الي آخر
الدهر ان ربك لسريع العقاب لمن عصي امره وانه لغفور رحيم لمن تاب عن
المعصية وقطعناهم اي فرقنا اليهود في الارض امما اي فرقا مختلفة منهم الصالحون
وهو المؤمنون بمحمد عم ومنهم دون ذلك اي ومنهم ناس منحطون عن رتبة
الصلحاء وهم الكفرة والفسقة فمحل دون ذلك رفع صفة لموصوف محذوف وبلو
ناهم اي اختبرناهم بالحسنات اي بالنعم الوافرة والسيئات اي بالمحن الشديدة لعلهم
يرجعون عن الكفر والفسق الي الايمان والصلاح فخلف من بعدهم اي بعد انقراض
المذكورين خلف قيل هو بسكون اللام الاولاد وبفتحها البدل وقيل بالفتح الصالح
وبالسكون الطالح اي قايم مقامهم جماعة وهم عاصر النبي صلي الله عليه وسلم
من اليهود ورثوا الكتاب اي التورية ياخذون عرض هذا الادني اي متاع
هذا الشيء الدني من حطام الدنيا وفيه تحقير وتخسيس لنعم الدنيا قيل العرض
بالفتح متاع الدنيا قل او كثر وبالاسكان ما سوي الذهب والفضة يعني ياخذون
الرشوة لتغيير بعض ما في التورية من الاحكام ونعت محمد عم اضلالا للعوام منهم

ويقولون سيغفر لنا اي لا نواخذ به ومحل لنا رفع فاعل سيغفر والواو في وان
يأتهم عرض مثله واو الحال اي والحال انهم يحصل لهم عرض مثل ذلك يأخذوه ويرجوا
المغفرة غير تائبين ولا يحصل المغفرة الا للتائبين فالمعني انهم يصرون علي فعل الذنوب
واكل الحرام ولا يتوبون ثم قال تعالي توبيخا لهم بالاستفهام الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
اي العهد في التورية ان لا يقولوا علي الله الا الحق اي قول الحق وان ما بعده في محل
الرفع عطف لميثاق الكتاب قوله ودرسوا عطف علي الم يؤخذ لانه للتقرير اي اخذ
ميثاقهم فيه وقرؤا وعلموا ما فيه اي الذي في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران
الذنوب والمصر لا غفران له قيل مرويا عن مالك ابن دينار يأتي علي الناس زمان
اي قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الي الطمع خيا
رهم فيه المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه اولئك وقرأ الاية والدار الاخرة
خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون محارم الله من الرشي وغيرها افلا
تعقلون اي اتطمعون الي هذا الدني فلا تعملون بالمعلات الاخرة من الدنيا
الدنية فرابالياء غيبة وبالتاء خطابا والذين يمسكون بالكتاب بالتخفيف من
امسك وبالتشديد من مسك مبتدا اي الذين يعملون بالتورية ولا يغيرونها
واقاموا الصلوة اي اتموها وانما افردها بالذكر مع ان التمسك بالكتاب يشتمل علي
كل عبادة اظهارا لمزية الصلوة لكونها فارقة بين الكفر والايمان ووجه الدين وعماده
وخبر المبتدا انا لا نضيع اجر المصلحين اي العاملين بالصلاح وهم الذين يمسكون بالكتاب
والمراد لا نضيع اجرهم وضع المظهر موضع المضمر تنبيها الصفة من تمسك بالكتاب لان غير
المصلحين ليسوا بمتمسكين بالكتاب قوله واذ نتقنا الجبل اي قلعنا الجبل من
الارض ورفعناه فوقهم اي علي رؤسهم نزل اخبارا عما ابي اليهود تحمل احكام التورية
لمشاقها فانذروا بقلع الجبل فوقهم كانه ظلة وهي كل ما اظل من غمام وغيره وظنوا
اي ايقنوا انه اي ان الجبل واقع بهم اي ساقط عليهم فقبلوا التورية وما فيها
من الاحكام فقلنا لهم خذوا ما آتيناكم اي اعملوا بما اعطيناكم من التورية بقوة
اي بجد واجتهاد وان شق عليكم واذكروا ما فيه اي اعلموه واعملوا به ولا تنسوه
من الاحكام الامر والنهي لعلكم تتقون اي لكي تبلغوا مقام الاتقياء من العصيان
واذ اخذ ربك اي اذكر وقت اخذ الله تعالي الميثاق من بني آدم وابدل منه
من ظهورهم بدل اشتمال او بدل بعض من الكل اي اخذ من ظهور بني آدم ذريتهم
مفردا وجمعا اي ذرياتهم بالكسر مفعول اخذ حين استلوا من ظهر آدم واستل اولادهم
من ظهورهم ولم يقل من آدم للعلم بانهم كانوا اولاده قيل المراد من الذرية هي التي اخرجهم الله

من ظهر آدم قال ابن عباس رضي الله عنه مسح الله على ظهر آدم فاخرج ذريته
صلبه كهيئة الذر من هو مولود الى يوم القيمة واخذ ميثاقهم وبعضهم طعن في قوله
رواية ودراية اما الرواية فلانها رواية ابي صالح وهو ليس من الثقاة واما الدراية
فلانه لا يجوز من الحكيم ان يخاطب الذر الذي لا عقل له لاجل العقلاء ولانه حجة الله
بشيء انما يكون حجة اذا كان المخاطب ذاكرا له ولانه يلزم الاحياء ثلث مرات فيخالف
قوله ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين ولانه قال من ظهورهم ولم يقل من ظهر
آدم والصحيح ان الرواية من ابن عباس رضي الله عنه ثابتة لمجيئها عن كثير من
الصحابة فلا يجوز دفعها والا لرجع الطعن الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويجب للطاعن ان يطعن في فهم نفسه لا في الصحابة وقيل هي التي تخرج
وقتا بعد وقت الى يوم القيمة **واشهدهم على انفسهم** وهذا من باب التمثيل
لانه تعالى نصب ادلة على وحدانيته وشهدت بها عقولهم التي جعلها فيهم مميزة بين
الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم باقرارهم وقال **الست بربكم**
وكانهم **قالوا بلى** انت ربنا **شهدنا على انفسنا** باقرارنا مع وحدانيتك وباب
التمثيل واسع في كلام العرب وفي كلام الله ورسوله كثير لتصوير المعاني المبهمة
واورد بلى دون نعم ليثبت ايمانهم بجوابهم ولو قالوا في الجواب نعم لكفروا لان نعم
لتقرير ما سبق من النفي وبلى اثبات لما بعد النفي كما قررناه قوله **ان يقولوا**
بالياء والتاء في محل النصب مفعول له لفعل محذوف تقديره فعلنا ذلك بهم
من نصب الادلة العقلية الشاهدة على صحة الشهادة والاقرار كراهة ان تقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا الاقرار **غافلين** لم ننبه عليه فلم يبق حجة علينا
قوله **او تقولوا** عطف على ان يقولوا اي او فعلنا ذلك بهم كراهة ان يقولوا
انما اشرك آباؤنا من قبل اي قبلنا بنقض العهد **وكنا ذرية من بعدهم**
لم نشعر ذلك وانما الزمهم الميثاق الماخوذ عليهم وهم في اصلاب آبائهم مع نسيانهم اياه
لظهور الدلالة على الوحدانية فلم يبق لهم اعتذار بالنسيان وباشراك آبائهم و
كونهم من بعدهم لانه لا يمكنهم بعد هذا الاقرار ان يقولوا ذلك ولا ان يقولوا **افتهلكنا**
بما فعل المبطلون اي آباؤنا المعرضون عن الحق بالباطل وهو الاشراك فلا عذر
لهم حينئذ **وكذلك** اي مثل هذا البيان البليغ في امر الميثاق **نفصل الآيات**
اي نبينها لهم ليتعظوا بها **ولعلهم يرجعون** اي وليرجعوا الى الحق من الباطل بالتوبة
ثم امر نبيه عم بقوله **واتل عليهم** اي اقرأ على اليهود ان لم يتوبوا بذكر الميثاق **نبأ**
الذي آتيناه آياتنا اي خبر من اعطيناه علم التورية وهو بلعم بن باعوراء من

علماء

علماء بني اسرائيل من الكنعانيين قيل هو الذي دعا على موسى وكان مستجاب الدعوة
فانقلب دعاؤه عليه واستطال لسانه على صدره **فانسلخ** اي خرج **منها** اي من الآيات
بكفره كما يخرج الحية من جلدها يعني لم ينتفع بعلمه كالحية بجلدها **فاتبعه الشيطان**
فصار الجن تابعا له وقرينه فغره **فكان من الغاوين** اي فصار عالم الآيات من الضالين
عن طريق الهدى قيل هذه الآية اشد آية على العلماء الذين لا يعملون بما يعلمون لان
علمهم يكون وبالا عليهم ثم قال تعالى في شان ذلك العالم **ولو شئنا لرفعناه بها** اي لعظمناه
بالآيات واثبتناه في منازل الابرار من العلماء يعني لو لزم العمل بعلمه بالآيات بعد الاعطاء
ولو ينسلخ منها لرفعنا درجته في الدنيا والآخرة **ولكنه اخلد** اي امسك واطمأن قلبه
الى الارض اي الدنيا الدنية والاخلاد هو الاقامة والدوام **واتبع هواه** اي هوى
نفسه بالرضاء بها وترك رضاء الله تعالى **فمثله** اي فصفة ذلك العالم **كمثل الكلب**
اي كصفة الكلب شبه به تحقيرا له وحطا لقدره **ان تحمل عليه** اي ان تطرده
يلهث اي يطلع لسانه من فمه **او تتركه يلهث** اي ان لم تطرده يطلع لسانه ايضا ومحل
الجملة الشرطية نصب على الحال ومعناه كمثل الكلب ذليلا دائم الذل لاهثا في الحالين
قيل كل حيوان يلهث من تعب او عطش ما سوى الكلب فانه يلهث في كل حال من الراحة
والشدة يعني ذلك العالم الذي يشبه به لانه ضال وعظته او لم تعظه وقيل المراد منه
كفار مكة لانك ان قرأت عليهم آيات القران لم يقبلوها ويصروا على التكذيب والكفر
وان لم تقرأ عليهم لم يعلموا ما فيها فيبقون على الكفر ايضا **ذلك** اي مثل الكلب **مثل القوم**
الذين كذبوا بآياتنا اي صفة المكذبين بالقران **فاقصص القصص** اي اقرأ
عليهم قصص بلعم بن باعوراء وغيره فانه مثل قصصهم **لعلهم يتفكرون** اي لكي يتعظوا
بامثال القرآن ويحذروا من مثل عاقبة من كان مثله ذلك ذا اساد واتخوسين له
فيتوبوا او يؤمنوا **ساء** اي بئس **مثل القوم** اي مثل القوم **الذين كذبوا بآياتنا** فلم
يؤمنوا بها وهو مثل الكلب الذي به مثل بلعم الكافر المصر على كفره ففي ساء ضمير مبهم فاعله
يفسره المنصوب بعده والقوم مخصوص بالذم بتقدير مثل القوم فحذف مثل واقيم
القوم مقامه والذين في محل الرفع صفة القوم قوله **وانفسهم كانوا يظلمون** اي
وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدوها الى غيرها يشعر بالاختصاص بتقديم المفعول به كلام
منقطع عما قبله ويجوز ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين
جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم بالعناد وترك الايمان **من يهدي الله**
اي من يهده ويوفقه لدينه **فهو المهتدي** باثبات الياء اجماعا اي فهو الذي وجد
الموصول الى السعادة واصاب الفلاح اورد فيه المفرد حملا على لفظ من **ومن يضلل**

نصفته التي هي منزل الحية تاسع

عن دينه بجذ لابنه **فاولئك هم الخاسرون** باستحقاق العذاب اورد فيه الجمع حملاً
على معنى من **ولقد ذرانا** اي خلقنا **لجهنم كثيرا من الجن والانس** وهم الذين كتب
عليهم الشقاوة في علمه تعالى بترك الايمان بنبوة محمد عليه السلام والقران **لهم قلوب لا
يفقهون** الحق **بها ولهم اعين لا يبصرون** طريق الهداية **بها ولهم اذان لا يسمعون بها**
مواعظ القران اي لا يقبلونها سمعا وطاعة **اولئك كالانعام** في عدم الفهم والنظر
للاعتبار والتغافل عن الحق لا في الصورة يعني الكفار في غفلة عن الامر والنهي والوعد
والوعيد وهمهم الاكل والشرب والنوم كما هو شان الانعام **بل هم اضل** من الانعام
لانها اذا احست خروجها عن الطريق عادت اليها والكفار لا يرجعون الى طريق الحق بعد
ما عرفوا ضلالتهم عنه ولان الانعام تعرف اصحابها وهم لا يعرفون ربهم ولانها تطلب ما ينفعها
وتهرب ما يضرها **اولئك هم الغافلون** عما ينفعهم من الايمان بالله وعما يضرهم من الشرك
به قوله **ولله الاسماء الحسنى** نزل حين قال المشركون ان محمدا واصحابه يزعمون انهم
يعبدون ربا واحدا فما لهم يدعون في صلوتهم الله والرحمن والرحيم فقال الله تعالى
ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لدلالتها على معان حسنة من تحميد وتقديس
وتمجيد وغير ذلك **فادعوه** اي سموه **بها** اي بتلك الاسماء قال عم ان لله تسعة
وتسعين اسما مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة قوله مائة الا واحدة تاكيد و
تانيث لفظ واحدة على تاويل الكلمة وقيل انما اكد بذلك لئلا يلتبس بنحو تسعة وسبعين
ومعنى من احصاها علم عددها حصلا وعلما وايمانا وقيل من حفظها على قلبه وقيل
من قراها كلمة كلمة تبركا واخلاصا دخل الجنة وفي رواية وهو وتر يحب الوتر اي فرد
لا نظير له يحب من الاذكار والاعمال ما كان على وصف التفرد والاخلاص له وهي هو الله
الذي لا اله الا هو ابتداء بلفظ هو تنبيها للسامع على تاهبه لاستماع اسم ذاته بعده يعني
الله وقدمه لتقدم الموصوف على الوصف وهو علم لذاته تعالى لا وصف والا لكان كليا
وهو ممتنع الرحمن من الرحمة بمعنى التعطف في الاصل فاستعمل للانعام مجازا وهو عام
معنى لا لفظا الرحيم خاص معنى لا لفظا الملك اي الذي ملك كل شيء وحده القدوس
اي البليغ في النزاهة عما لا يليق بعظمته السلام اي ذو السلامة من العيوب المؤمن
الذي امن الخلق من ظلمه المهيمن اي الرقيب على كل شيء بالحفظ له العزيز اي الذي لا يعجزه شيء
عما اراد الجبار اي القاهر لخلقه على ما اراد المتكبر اي الذي لا يرى الكبرياء الا لنفسه
الخالق اي المقدر لما يوجده البارئ اي المميز بعض خلقه من بعض من الاشكال المختلفة
المصور اي الذي يصور الاشياء بكيفياتها الغفار اي الذي يستر ذنوب عباده القهار
اي الذي يغلب على خلقه بالقدرة الوهاب الذي يهب لخلقه من خزائنه نعمة ودر

اي لا يعظم

بلا غرض له الرزاق اي الذي يوصل كل شيء يتغذى رزقه الفتاح الذي يفتح ابواب الخير على
خلقه العليم اي البليغ في علمه بكل شيء في الارض والسماء القابض اي الذي يمسك الرزق
ويقتره الباسط اي الذي يبسط الرزق ويكثره الخافض اي الذي ينزل الى منزلة الدنيا
الرافع اي الذي يرفع الى منزلة الاخرة المعز اي الذي يعظم بطاعته المذل اي الذي يحقر بمعصيته
السميع اي الذي يعلم كل مسموع البصير اي الذي يعلم كل مبصر الحكم اي الحاكم بالنعمة والنقمة
العدل اي الذي يقضي بالحق بين الخلق اللطيف اي العالم بدقائق الامور او الذي لا يدركه
حس او الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم بمصالح خلقه الخبير اي العالم المطلع على
كنه الشيء الحليم اي الذي لا يستخفه شيء عن عصيان العباد العظيم اي الذي تجاوز
قدره عن ان يتصوره العقل الغفور اي البليغ في ستر الذنوب الشكور اي البليغ في
قبول طاعة العباد العلي اي الذي لا شيء فوقه في الرتبة والحكم الكبير اي البليغ في
رتبة الجلالة الحفيظ اي الذي لا يغيب كل شيء عنه او الذي يحفظ كل شيء عليه المقيت
اي المعطي لكل شيء قوته الحسيب اي الذي يحاسب خلقه يوم البعث الجليل اي الذي
الجلالة في الصفات الكريم اي الذي يكثر منافعه لخلقه الرقيب اي الذي دام نظره
في خلقه على وجه الحفظ المجيب اي الذي يجيب دعوة الداعي اذا دعاه الواسع الذي
يسع غناه كل فقير الحكيم اي الذي يعلم كل شيء بكمال علمه ويفعل كل شيء باتقانه
الودود اي الذي يحب فعل الخير لكل مخلوق المجيد اي الشريف بالذات والممدوح
بحسن الفعال الباعث اي الذي يحيي الخلائق يوم القيمة الشهيد اي الذي لا يخفى
عليه شيء من المخلوقات الحق الذي دام ذاته بلا تغير وزوال الوكيل اي الذي يكفل
ارزاق خلقه القوي الذي لا يلحقه مشقة في فعله الحي اي الذي يبقى حيوته من الازل
الى الابد القيوم اي الذي يقوم به كل موجود الواجد اي الغني الذي لا يفتقر الماجد
اي الذي تعظم بشرف ذاته الواحد اي المنفرد بالذات في عدم المثل والنظير الاحد
اي المنفرد بالمعنى من كل وجه يعني لا يتجزى ولا يحتاج لغيره ولا يماثله شيء الصمد اي الدائم
الذي لا جوف له او الذي يحتاج اليه الخلق القادر اي الذي في ذاته قوة الخلق و
التكوين المقتدر اي البليغ بالقدرة الذاتية في ايجاد كل شيء بلا مزاحم المتين اي
الذي لا يزيله احد ولا يغلبه الولي اي الذي يتصرف في ملكه وينصر عباده الحميد
اي المحمود في افعاله على كل حال المحصي اي الذي يحيط اعداد الاشياء بعلمه المبدئ اي
الذي انشا الاشياء بلا امثال المعيد اي الذي يعيد الخلق بعد الحيوة في الدنيا الى
الممات وبعد الممات في الدنيا الى الحيوة في الاخرة المحيي اي الذي يحيي الخلائق من
العدم المميت اي يفنيهم بعد الحيوة في الدنيا المقدم اي الذي يقدم بعض الاشياء

علي بعض في الوجود والعدم المؤخر اي الذي يؤخر بعضها عن بعض في الوجود والعدم الاول
اي الذي لا ابتداء لوجوده الاخر اي الباقي بعد فناء خلقه الظاهر اي الذي وجوده تبين
بالايات الباطن اي المحتجب عن نظر الخلق بحجب كبريائه الوالي اي الذي تولي امور
الخلق كلها المتعالي اي البليغ في مرتبة العلو بالذات البر اي العطوف بالاحسان علي
الخلق التواب اي الذي يقبل التوبة عن عباده وييسر عليهم اسبابها المنتقم اي البليغ
في العقوبة لمن يشاء العفو اي المتجاوز بكرمه عن ذنوب خلقه الرؤف اي البليغ في رافته
وشفقته علي خلقه مالك الملك اي الذي ينفذ حكمه في ملكه كيف يشاء ذو الجلال والاكرام
اي الذي لا شرف ولا كرم علي الكمال الا له فالجلال مستقر في ذاته والكرم فائض
في خلقه المقسط اي الذي لا يجور احدًا من خلقه الجامع اي الذي يجمع الخلايق ليوم الحساب
الغني اي الذي لا يحتاج لاحد من خلقه المغني اي الذي يغني الخلق لافتقادهم اليه
الضار اي الذي يضر من يشاء ببلية وشدة النافع اي الذي يوصل الخير لمن يشاء
النور اي الذي الظاهر في نفسه والمظهر لغيره الهادي الذي يرشد من يشاء هداه
البديع اي الخالق لا عن مادة الباقي اي الدايم الوجود بلا نهاية الوارث اي
الذي يبقي بعد فناء الخلق ويرجع اليه الملك كله الرشيد اي الذي عرف الخلق
مصالحهم ويقيمهم عليها الصبور اي الذي لا يعجل بعقوبة العصاة قيل ان لله
في الكتاب والسنة اسماء سوي ما في هذا الحديث فما وجه الحصر بتسعة و
تسعين اجيب بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد به الحصر بل اراد
تخصيصها بالذكر لانها اشهر لفظًا ومعني قيل من احصي من اسمايه تسعة وتسعين
اسمًا سواء احصي مما جاء في الحديث او من ساير اسمايه في غيره دخل الجنة
قوله **وذروا الذين يلحدون** بفتح الياء والحاء من لحد اذا مال وبضم الياء
وكسر الحاء من الحد اي جادل **في اسمايه** نزل حين قصد الكفار ان يسموا بعض
اصنامهم الله تجري علي لسانهم اللات وبعضها العزيز تجري علي لسانهم العزي وبعضها
المنان تجري علي لسانهم المناة وبقيت تلك الاسماء للاصنام فقال تعالى واتركوا
الذين يميلون ويجادلون في اسماء الله تعالى بالاشراك بها وحقيقة الالحاد
وهو الميل عن الحق وقيل الحادهم تسميتهم اصنامهم آلهة واشتقاقهم اللات
من الله والعزي من العزيز والمناة من المنان وتسميتهم الله عالم يسم واسماء الله تعالى
توقيفية لا يجوز تسميته باسم الا باذن الشارع **سيجزون ما كانوا يعملون** اي
سيعاقبون بعملهم من الشرك والالحاد في الاسماء ونسخت الاية باية القتال قوله
وممن خلقنا امة اي جماعة **يهدون بالحق** اي يدعون الناس بالحق الي الحق
وبه يعدلون اي وبالحق يحكمون نزل حين قال من اصحاب النبي عم يا رسول الله

بنجد

قد ذكر الله بني اسرائيل بالخير بقوله ومن قوم موسي امة يهدون بالحق ونحن
قد امنا بك وبالرسل والكتب فقال تعالى ذلك تسلية لقلوبهم قيل كان النبي عم
اذا قرا هذه الاية قد اعطي القوم بين ايديكم مثلها وقال عليه السلام ان من امتي قومًا
علي الحق حتي ينزل عيسي قيل هم العلماء بالله الذي يدعون الناس الي الدين **والذين**
كذبوا باياتنا اي القران ومحمد عم **سنستدرجهم** اي سنستدنيهم قليلًا قليلًا
اي ما يهلكهم من العذاب بان نرادف النعم عليهم وننسيهم الشكر فيهمكوا في الغي فكلما
زاد نعمتهم جددوا معصيتهم فيقربون بذلك الي الهلاك **من حيث لا يعلمون** ما يراد
بهم **واملي لهم** عطف علي سنستدرجهم فيؤدي في حكم السين اي وسأطيل اعمارهم
ليتمادوا في المعصية **ان كيدي** اي اخذي واستدراجي **متين** اي قوي وسماه كيدًا
لشبهه به حيث انه احسان في الظاهر وخذلان في الحقيقة قوله **اولم يتفكروا ما بصاحبهم**
يعني محمد عم **من جنة** نزل حين دعا النبي صلى الله عليه وسلم قايمًا على الصفا به ذات
ليلة قريشًا فخذًا فخذًا باسمايهم يحذرهم من عقاب الله تعالى ليؤمنوا ويعبدوا الله ويتركوا
عبادة غيره فقال بعضهم انه مجنون بات يهوت الي الصباح اي يقولون انه لمجنون
ولم ينظروا في معجزاته ليعلموا ما بالرجل الذي يصاحبهم ويجالسهم ويكلمهم من جنون **ان**
هو الا نذير مبين اي ما هو الا نبي ورسول نذير ظاهر الحجة ينذرهم ليعتبروا فيؤمنوا وهو
تاكيد لكن بهم انه مجنون ثم قال توبيخًا عن ترك النظر الموصل الي معرفة الله وتوحيده بالا
ستدلال من صنعه **اولم ينظروا** نظر استدلال **في ملكوت السموات والارض** اي
في ملكه العظيم الذي يدل عليه خلق السموات والارض **وما خلق الله** اي وفي ما خلق الله
من شيء فيهما من الشمس والقمر والنجوم ومن الجبال والبحار والاشجار وغيرها فيعلموا انه
رب واحد لا شريك له قوله **وان عسي** في محل الجر عطف على ملكوت وان مخففة
من الثقيلة واسمه ضمير الشان اي الم ينظروا واستدلالًا في ان الشان عسي **ان يكون**
الشان قد **اقترب** قرب **اجلهم** فيموتوا حتي يؤمنوا بالنبي عم والقرآن فماذا ينظرون
بعد وضوح الحق قبل حلول العقاب **فباي حديث بعده** اي بعد القرآن **يؤمنون**
ان لم يؤمنوا به فان هذا آخر الكتب المنزلة ليس بعده كتاب وهذه الجملة يتعلق بقوله
عسي ان يكون قد اقترب اجلهم والمعني لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يؤمنون بالقران قبل
الفوت **من يضلل الله فلا هادي له** اي يخذله الله بالضلالة عن دين الاسلام
ولا يوفقه فلا مرشد له اليه **ويذرهم** بالياء وبالنون وضم الراء علي الاستيناف
اي الله او نحن نتركهم **في طغيانهم** اي في ضلالتهم **يعمهون** اي يترددون بالتحير
وقرء بالجزم لجواب الشرط اي من يضلل الله يذرهم ثم قريش او اليهود سألوا النبي عم عن الساعة فنزل

يسئلونك عن الساعة اي عن قيامها ايان مرسيها اي متى مرسيها اي ارساؤها
يعني اثباتها وسميت ساعة لسرعة حسابها او لوقوعها بغتة فالساعة اثنتان ساعة
يموت فيها خلايق وساعة يبعثون بالحيوة بعد الموت والمراد هنا الاولى بدليل ما بعدها
قل انما علمها اي علم قيامها ومجيئها عند ربي لا عندي لا يجليها اي لا يكشفها لوقتها اي
في حينها الا هو اي الله دون غيره لاختصاص ذلك به ثقلت اي عظمت وخفيت
معرفتها في السموات والارض اي على اهلهما لان الشيء اذا خفي ثقل علمه لا تأتيكم الا بغتة
اي فجأة يعني على غفلة منكم قال النبي عم ان الساعة تهيج بالناس يسئلونك كأنك
حفي عنها اي عالم مبالغ في السؤال عنها والتغيير ليستحكم علمه بها من الحفاوة وهي
المبالغة في السؤال عن الشيء او العناية به وكرر يسئلونك وقوله انما علمها عند الله للتاكيد
وما جاء به من غير زيادة قوله كانك حفي عنها في المكرر تمام لتنبيه ان يتبين لهم ان علم الغيب
يختص بالله وحده بقوله قل انما علمها اي علم قيام الساعة عند الله لا عندي ولا عند
غيري يعني ان الساعة لا يعلم وقت مجيئها ولا تأتي بها بغتة الا الله تع ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انها آتية ولا يؤمنون باتيانها اذ انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قيل سئل النبي
صلى الله عليه وسلم رجل متى الساعة فقال عم ما المسئول عنها باعلم من السائل يعني كلنا
مساوٍ في عدم العلم بوقت مجيئها قوله قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا نزل حين قال
المشركون ان كنت تعلم الغيب من ربك هلا تشتري الطعام قبل الغلاء بالبيع الرخيص
فتستريح به او هلا تستخرج الكنوز من الارض لتغنيني وتخلص من الفقر فامره الله تعالى
بان يعترف انه عبد محكوم عليه بالوحي اي قل لا اقدر لنفسي ان اوتي لها نفعا او خيرا
او ادفع عنها ضرا اي فقرا بل القادر عليه هو الله المالك الا ما شاء الله ان يوصل
الي من النفع والضر لانه ان شاء اغنى عبده وان شاء افقره ولو كنت اعلم الغيب
كعلم مواضع الكنوز لاستخرجها ولاستكثرت من الخير اي المنافع وما مسني السوء
اي المضار من القحط والشدة ان انا اي ما انا الا نذير اي عبد مخوف للمشركين بعذاب
النار وبشير اي ومبشر بالجنة لقوم يؤمنون اي يصدقون بقيام الساعة بعد الموت
قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة تعجيب للمشركين من اهل مكة من اشراكهم بالله
مع علمهم بانه خالقهم ورازقهم اي الله الذي خلقكم من نفس آدم وجعل منها زوجها
اي وخلق من نفس آدم حواء وجعل من جنسها زوجها ليسكن اي آدم ذكر الضمير
في ليسكن ردا الى معنى نفس وهو آدم يعني ليطمئن اليها ويأنس بها ليتغشيها لان الجنس
الى الجنس اميل لا سيما اذا كان بعضه فلما تغشيها اي جامعها حملت حملا خفيفا
بحمل النطفة لم يثقل عليها كما يثقل عليها بعض الحبال فتكرب وتتاذى لانه اول الحمل فمرت به

اي

اي تمضت بالحمل قياما وقعودا ما دردت اهي حبلى ام لا فلما اثقلت اي حان وقت
ثقل حملها في بطنها وقرب وضعها فاحست به دعوا الله ربهما اي دعا به آدم وحوا
خالقهما ومالك امرهما قيل لما قرب وضع حملها جاءها ابليس فقال ما هذا الذي في بطنك
قالت ما ادري فقال لا اخاف ان يكون بهيمة واني من الله بمنزلة وقربة فان دعوت الله
وولدت ولدا صالحا انسانا تسميته باسمي قالت نعم وما اسمك قال عبد الحارث
فكذب وكان اسمه في الملائكة الحارث فقالت ذلك لآدم فدعوا الله الذي هو الحقيق
بان يدعى ويلتجأ اليه قائلين لئن آتيتنا صالحا اي ولدا انسانا سويا صحيح البدن
بريئا من العيب لنكونن من الشاكرين لك على كل حال فلما آتيهما اي اعطى آدم و
حواء ولدا صالحا اي صحيح البدن كما طلبا جعلا اي جعل آدم وحوا له اي لله تعالى
شركاء بكسر الشين اي ذو شرك اذ الشرك ليس لهما او الشرك بمعنى الاشراك اي احدثا
اشراكا له تع وقرئ شركاء جمع شريك واراد بلفظ الجمع الشيطان للمبالغة يعني جعلا شريكا
له تع فيما آتيهما اي في الولد الذي اعطاهما بتسمية عبد الحارث من غير اعتقاد لذلك
روي ان ابليس خدعهما مرتين في السماء ومرة في الارض وقيل الضمير في جعلا وفي آتاهما
لاولادهما ففيه حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه تقديره فلما اتى اولا
دهما بان سمى بعضهم ولده عبد شمس وبعضهم عبد العزى وبعضهم عبد يغوث او عبد
يعوق الى غير ذلك وهذا التاويل حسن لان آدم وحوا بريان من الشرك ويؤيد ذلك
التاويل قوله فتعالى الله عما يشركون اي الله علا وجل من ان يصفه بالشرك ثم قال
تعالى بهمزة الانكار توبيخا لمشركي مكة ايشركون ما لا يخلق شيئا وهو آلهتهم وهم يخلقون
اي يصنعون بايديهم وجمعوا بالواو والنون على زعمهم انهم آلهتهم وابليس معهم ولا يستطيعون
اي لا يقدرون اي آلهتهم لهم اي لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون اي انفس الآلهة
من كسر غيره من النوازل بهم بل عبدتهم يدفعون عنهم فالمعبود اضعف من العابد
واذل وان تدعوهم اي وان تدعوا الاصنام ايها المشركون الى الهدى اي الى
اي مصالحهم وصلاح دينكم لا يتبعوكم تخفيفا ومشددا اي لا يجيبكم آلهتكم
لانهم اجساد لا ارواح فيها والله تع يجيب من دعاه بالاخلاص سواء عليكم
يا اهل مكة ادعوتموهم ام انتم صامتون عن الدعاء يعني آلهتكم لا يجيبونكم في
حدقتكم سواء عليكم دعوتكم اياهم وصمتكم عن دعائهم في انه لا فلاح لكم معهم و
وضع انتم صامتون الجملة الاسمية مقام صمتم الجملة الفعلية ليتساوى رؤوس الآي
وليدل على ان عادتهم الصمت للدعاء لانهم كانوا اذا نزل بهم امر دعوا الله دون
اصنامهم ان الذين تدعون اي تعبدونهم من دون الله اي غير الله

من الاصنام عباد امثالكم اي مخلوقة مملوكة متصرف فيها اشباهكم وليسوا بآلهة
ليعبدوا ثم قال بيانا لعجزها فادعوهم فليستجيبوا لكم دعاءكم ان كنتم صادقين
في انهم آلهة ثم قال توبيخا لهم عبادة من هو اعجز منهم الهم ارجل يمشون بها ام
لهم ايد يبطشون بها اي ياخذون بالايدي ام لهم اعين يبصرون بها
ام لهم آذان يسمعون بها يعني انهم عجزة وانتم اقدر منهم فكيف تعبدونهم وتشتغلون
بشيء لا منفعة لكم فيه ثم امر النبي عم بقوله قل اي ان يقول احتقارا بهم وبمعبوديهم
ادعوا شركاءكم اي آلهتكم التي وصفتموهم بالشرك له ليعاونوكم في اهلاكي ثم كيدون
بالياء حال الوصل وبغير ياء اي اسعوا في كيدي للاهلاك انتم وشركاؤكم بالسرعة فلا
تنظرون اي لا تمهلون بقوله لهم لانهم خوفوه بآلهتهم ثم قال تع قل ان وليي الله اي
ناصري وحافظي الذي نزل الكتاب اي القرآن علي لا ولي لي سواه وهو يتولى
اي يحاكم بالنصرة والحفظ الصالحين اي المؤمنين العاملين بالصلاح والذين
تدعون اي تعبدونهم من دونه اي من غير الله لا يستطيعون اي لا
يقدرون نصركم اي حفظكم ومنعكم مما يوذونكم ولا انفسهم ينصرون اي
يمنعون مما يوذيهم قيل ان الكفار كانوا يلطخون العسل في فم الاصنام وكان الذباب
يجتمع عليه فلم تقدر دفعها عن انفسها ثم قال للنبي عم بلفظ الجمع تعظيما دون المفرد
لثبوت الواو مع الجازم وان تدعوهم الى الهدى اي ان تدعوا كفار مكة يا محمد
الى دين الاسلام لا يسمعوا اي لا يقبلوا ان تدعوهم اليه وهو نفع لهم وترك
ضرهم وقيل يجوز ان يكون خطابا للمشركين اي ان تدعوا اصنامكم الى مصالحكم
لا يستجيبوا لكم كرره للمبالغة في التوبيخ والاول اوجه بدليل قوله وتراهم
اي ترى يا محمد المشركين ينظرون اليك باعينهم وهم لا يبصرون بقلوبهم ليؤمنوا
ثم امر النبي عم بمكارم الاخلاق بقوله خذ العفو اي المساهلة بالناس في
الدين ولا تشق عليهم بالكلفة حتى لا ينفروا ومنه قوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا
وقيل معناه خذ ما عفا اي فضل من اموال الناس عن قوت العيال وكان ذلك
قبل آية الزكوة وقيل خذ العفو عمن ظلمك وأمر بالعرف اي بما يرتضيه العقل والشرع
من الخصال كتقوى الله وصلة الرحم وغض البصر وحفظ اللسان عما لا يعني
صاحبه واعرض عن الجاهلين عليك من المشركين بما يصدر عنهم من السوء يعني
اصم عنهم ولا تغضب عليهم وهذا قبل آية السيف وقيل اعرض عن السفهاء
اذا سفهوا عليك ولا تقابلهم بالسفاهة قيل ليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق
من هذه الآية روي ان النبي عم سأل جبرئيل عن هذه الآية فقال جبرئيل عليه السلام

له معناه ان تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك فقال النبي عم
يا رب كيف والغضب فنزل قوله واما ينزغنك اي يوسوسك فيما امرت به
لتعمل على خلافه واصل النزغ ادنى حركة خفيفة في القلب من الشيطان نزغ اي
وسوسة ما وهو مصدر بمعنى النازغ كرجل عدل فاستعذ بالله ولا تطع الشيطان
انه اي ان الله سميع لدعائك بالاستعاذة به عليم بنيتك وبوسوسة
الشيطان ان الذين اتقوا الذنب لخوف عقاب الله اذا مسهم اي اصابهم طائف
اي ما يطوف حول الشيء وهو ذنب ينزل على صاحبه بوسوسة من الشيطان
اي من جنسه وقرئ طيف بالتخفيف طيفا اي مصدر من طاف طيفا بمعنى الطائف
اي لمة من الشيطان وهي معصية نازلة منه بسبب اغوائه عليها تذكروا ما امرهم
الله به ونهاهم عنه فاستغفروا الله من خطاياهم واستعاذوا به فاذاهم مبصرون
اي فجاءتهم بصيرة من الله فابصروا السداد والصواب ودفعوا ما وسوس به
اليهم ولم يتبعوا انفسهم واخوانهم مبتدأ اي الشياطين من اخوان الذين
ليسوا بمتقين وهم الجاهلون فالضمير لهم والخبر يمدونهم اي يكونون
مددا لهم ويعاونونهم قراءة معلومة من الامداد والمد ومعناهما الزيادة اي يزيدونهم
في الغي اي في الضلال ويجوز ان يراد بالاخوان الجهال وبالضمير الشياطين فيكون
الخبر جاريا على غير ما هو له وهذا اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا المعنى
الشياطين يريدون الكافرين ضلالة ثم لا يقصرون اي لا يمتنعون عن اغوائهم
والجاهلون لا يقصرون في عمل السيئات اي لا يبصرون ولا يرجعون بالتوبة قوله
واذا لم تأتهم بآية نزلت حين سأل اهل مكة النبي عم شيئا من العلامات على صدقه
وابطأ عليه جبرائيل فقالوا الم لا يقول من تلقاء نفسه فقال تعالى اذا لم تجئهم يا محمد
بآية من الآيات المقترحة لهم قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جمعتها واختلقتها من
تلقاء نفسك وغرضهم ان تكذب لاجلهم قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي ولست
بمفتعل للآيات من عندي هذا اي القرآن بصائر اي حجج واضحة من ربكم يبصر من
آمن بها بصيرا بعد كونه اعمى يعني اياته بمنزلة بصائر القلوب وهدى ورحمة اي
سبب هداية من الضلالة وسبب امان من العذاب لقوم يؤمنون اي يصدقون
بالقرآن ويعملون به قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا نزل حين كانوا يتكلمون
في الصلوة نهيا للمتكلم فيها ثم صار سنة في غير الصلوة ان يسكت القوم في مجلس
يقرأ فيه القرآن وقيل معناه اذا قرأ عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا
له اي للنبي صلى الله عليه وسلم او للقرآن وانصتوا اي اصغوا التفهموا معناه

وتعملوا به **لعلكم ترحمون** اي لكي ترحمون في الاخرة ولا تعذبوا وقيل كانت الصحابة خلف
النبي صلي الله عليه وسلم يقرؤن القرآن مع قرائته وقيل كانوا يرفعون الاصوات عند ذكر
الجنة والنار وقيل كانوا يتكلمون في الجمعة والامام يخطب فنهوا عن ذلك كله فالاولي
ان يكون الآية عامة الا ان يرد دليل الخصوص قوله **واذكر ربك في نفسك** عام في كل
ذكر من التهليل والتسبيح والتحميد وقراءة القرآن والدعاء **تضرعا وخيفة** اي متضرعا
بالاستكانة وخائفا من الله **ودون الجهر من القول** اي ومتكلما بكلام في الصدور
دون رفع الصوت به لان الاخفاء ادخل في الاخلاص من الجهر **بالغدو والآصال** اي
بكرة وعشية واراد الدوام وانما قيد الوقتين لفضلهما علي غيرهما ومعني بالغدو
باوقات الغدو ليطابق الاصال جمع اصيل وهي العشي **ولا تكن من الغافلين**
اي من الذين يغفلون عن ذكر الله وعن قراءة القرآن وتدبرها قال النبي صلي الله عليه وسلم
اذكروا الله ذكرا خاملا قالوا يا رسول الله وما الذكر الخامل قال الذكر الخفي اي الذي
لا يسمعه غيرك وقال المسر بالقراءة كالمسر بالصدقة والمعلن بالقراءة كالمعلن بالتصدق
قوله **ان الذين عند ربك** اي الملائكة **لا يستكبرون** اي لا يتعظمون
عن عبادته اي عن طاعته نزل حين قال اهل مكة وما الرحمن قالوا انسجد ولم
اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن فاستكبروا عن السجود له فقال تعالي ان الملائكة المكرمين
عند الله لا يستنكفون عن السجود له تعالي **ويسبحونه** اي يذكرونه بقوله سبحان
الله **وله يسجدون** اي يعبدونه بالسجود في الصلوة وغيرها لا يشركون به سبحانه
وتعالي وفيه تعريض لغيرهم من المكلفين قال النبي صلي الله عليه وسلم ما من عبد يسجد لله
سجدة الا رفع الله له درجة في الجنة وحط بها عنه خطيئته صدق الله العظيم وبلغ
رسوله الكريم **سورة الانفال كلها مدنية وآيها ست وسبعون آية**
بسم الله الرحمن الرحيم **يسئلونك عن**
الانفال نزل حين قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم بدر بعد نزول آية السيف
تحريضا علي البلاء في حرب الجاهلين من المشركين من اسر اسيرا او قتل قتيلا فله سلبه
او قال للسرية ما اصبتم فهو لكم كله او نصفه او ربعه فتسارع الشبان وثبت الشيوخ
والسادات عند الرايات فلما فتح الله عليهم غنايم بدر وقع الاختلاف بين المسلمين في
قسمتها فقال الشبان نحن المقاتلون وقال غيرهم نحن عند الرايات وكنا ردا
لكم وفئة تحاذون اليها ان انهزمتم فسألوا رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف
تنقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين او للانصار او لهما جميعا فقال تعالي يسئلك
المسلمون عن كيفية قسمة الانفال وهي جمع نفل بمعني الغنيمة ويطلق علي ما ينفله الامام

تجتمعون

ان عودنا

الغاذيه

الغاذي ايضا واصله الزيادة فعلي تفسير الانفال بالغنايم يكون السؤال بمعني
الاستخبار عن قسمتها وعلي تفسيرها بالزوايد المشروطة علي سهام الغزاة من المغنم
يكون السؤال بمعني طلب المشروط من الغنايم فيكون عن زايدة او بمعني من اي يقولون
لك اعطنا من الغنايم ما شرطتنا به واختلف العلماء فيه الاصح انه يلزم الامام الوفاء
بما وعد منه ولا يخمسه ثم امر النبي صلي الله عليه وسلم في جواب ذلك بقوله **قل الانفال لله والرسول**
اي حكم الغنايم لله ولرسوله مختص بهما لا حكم لاحد فيها يجعلها حيث شاء او قيل
ان الملك لهما فيعطي الرسول منها ما امر الله بالاعطاء بالمشروط لمن يشاء علي ما يقتضيه
حكمته ولا يستأثر منها لمن شرطه لانه لو فعل ذلك لارتفع التحاب والتصافي من بين
المسلمين ثم نسخ هذا بقوله واعلموا انما غنمتم الآية ثم قال **فاتقوا الله** في الاختلاف
والتخاصم بسبب حطام الدنيا وكونوا متحدين متحابين في الله **واصلحوا ذات**
بينكم اي حقيقة وصلكم يعني اصلحوا الاحوال التي بينكم من الاجتماع ما امركم الله ورسوله
والالفة والمحبة وسميت الاحوال ذات البين لكونها ملابسة للبين ومنه ذات
الصدور اي مضمراتها **واطيعوا الله ورسوله** في امر الصلح والعدل في الغنيمة
ان كنتم مؤمنين اي كاملي الايمان وشرط بذلك لانهم كانوا مؤمنين بلا شك في الايمان
واللام في قوله **انما المؤمنون** اشارة اليهم اي كاملو الايمان **الذين اذا ذكر الله** وعدهم
واقتداره علي عقوبتهم **وجلت قلوبهم** اي خشيت من الله وقبلت عنده بالوجل
اذا تليت اي قرئت **عليهم آياته** بالامر والنهي في امر اصلاح ما بينهم وغيره من الوعد
والوعيد والقصص والامثال والناسخ والمنسوخ **زادتهم ايمانا** اي تصديقا ويقينا
يعني ازدادوا بها طمانينة نفس بحكم الله كيف يشاء من غير اضطراب في التصديق به لان
تظاهر الادلة الدالة علي صدق محمد والقرآن اقوي واثبت وقد حمل علي زيادة العمل
الخير انضمام تصديقهم بالله روي ان للايمان سننا وفرايض وشرايع فمن استكملها
استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان **وعلي ربهم يتوكلون** اي يثقون
به في الرزق وغيره لا علي ما تكسب ايديهم من الغنايم وغيرها ثم استانف **الذين يقيمون**
الصلوة مبتدا اي المؤمنون الذين يتمون الصلوة سجودا وركوعا في مواقيتها
ومما رزقناهم ينفقون اي مما اعطيناهم من الاموال يتصدقون في سبيل الله خبره
جملة **اولئك هم المؤمنون حقا** اي اهل هذه الصفة هم المصدقون بالله
يقينا لا شك فيه ذلك تحقيقا مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون المفلحون
المؤمنون او صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا **لهم درجات عند ربهم** اي علو
منزلة وكرامة وشرف عنده **ومغفرة** لذنوبهم **ورزق كريم** اي ثواب حسن في الجنة

خطام

قيل سأل الحسن رجل أمؤمن أنت فقال الايمان ايمانان فان كنت تسألني
عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث
والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون الآية فوالله
لا ادري امنهم انا ام لا فبهذا الجواب تعلق من يستثني في الايمان ومن لا يستثني
قوله كما أخرجك ربك الكاف فيه مرفوع المحل على انه خبر مبتدا محذوف تقديره
حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة اخراجك ربك الى
حرب بدر من المدينة وهم لا يعلمون ان ذلك خير لهم فكرهوه ويجوز ان يكون
منصوب المحل على انه صفة مصدر منصوب تقديره استقرت الانفال لله و
للرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك اي من
المدينة التي هي مهاجرته ومسكنه كبيته المخصوص به الى حرب بدر اخراجا ملتبسا
بالحق باذن الله وحكمته وان فريقا من المؤمنين لكارهون الواو للحال يعني
اخرجك ربك منه وهم كارهون ذلك حال كونهم يجادلونك في الحق اي في خروجك
للقتال بالحكمة التي اقتضته بعد ما تبين اي ظهر لهم خروجك الحق لانك لا تفعل الا حقا
ثم تشبه حالهم في الجدال لاجل الخروج الحق في فرط رغبتهم مع ما اعلمهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالنصرة والغنيمة بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت المتيقن
وهو يشاهد اسبابه لا يشك فيها بقوله كأنما يساقون الى الموت اي الى اسبابه
وهم ينظرون اليها قيل انما كره الخروج الى الحرب بعض المسلمين لا كلهم وجدالهم قوله
يا رسول الله ما كان خروجنا الا العير وانت لم تعلمنا انك تلقى عدوا ابدا فنستعد لهم
ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال وكان ذلك في السنة الثانية من مقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة وفيها حولت القبلة ووقعت غزوة بدر في شهر رمضان
وقصته ان النبي صلى الله عليه وسلم اعلمه جبريل عم ان عير قريش في اربعين
رجلا من تجارهم خرجوا من الشام فيهم ابو سفيان بن حارث بن حرب فقال النبي عم
لاصحابه قد اقبلت عير قريش من الشام فاخرجوا اليها لعل الله ان يفتح عليكم
وتتقووا على جهاد عدوكم فتشروا به فبلغ الخبر الى ابي جهل بمكة ان محمدا واصحابه اجتمعوا
على قصد العير التي اقبلت من الشام فاجتمع قريش من مكة مع ابي جهل ليخرجوا اليهم
ذابين عنها فقالت عاتكة بنت عبد المطلب لاخيها العباس اني رأيت في المنام
كان راكبا نزل من السماء فاخذ صخرة من جبل ابي قبيس ثم رماها على اهل مكة
فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابته فلقة منها فحدث بها العباس الوليد بن عتبة
وكان صديقا له فذكر ذلك عتبة لابي جهل فقال ابو جهل عليه اللعنة ما يرضى رجالهم

ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذ
طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر
الجزور ونشرب الخمور ونقيم الملاهي في بدر فتسامع العرب بخروجنا وبأن محمدا
لم يصب العير فسار بمن معه الى بدر ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين
اما العير واما النفير وهم قريش فاستشار النبي عم اصحابه رضي الله عنهم ان العير احب اليكم
ام النفير فقالوا العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا الكلام فقال المقداد رضي الله عنه امض بنا يا رسول
الله لما امرك الله فانا معك حيث احببت فسر رسول الله بقوله ودعى له ثم قال اشيروا
علي ايها الناس وهو يريد الانصار وكان متخوفا ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمهم
بالمدينة فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال كانك تريدنا يا رسول الله فقال
اجل فقال امض بنا يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا
هذا البحر فخضته لخضناه معك فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال سيروا على بركة الله
وابشروا فان الله قد وعدني العير والنفير والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم فساروا
واجتمعوا مع قريش في بدر وهزموهم باذن الله فلما فرغ رسول الله عم من بدر قال اصحابه
عليك بالعير يا رسول الله ليس من دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح هذا
الرأي فقال له النبي عم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك
فامتنع من ذلك ولما علم ثبوت الكراهة من بعضهم بقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون
اخبر عن تحقيق ذلك بقوله وإذ يعدكم الله اي واذكر وقت وعد الله لكم إحدى
الطائفتين العير والنفير أنها لكم اي احدهما والمراد النفير وتودون اي وتحبون
أن غير ذات الشوكة اي طائفة غير صاحبة القوة في الحرب والشوكة في النفير لكثرة عددهم
وعددهم وانتفاء الشوكة في العير لقلة فرسانها يعني انكم تتمنون ان العير تكون لكم ويريد
الله أن يحق الحق بكلماته اي يظهر الاسلام الذي هو الحق ويروج باياته المنزلة عليكم ويقطع
دابر الكافرين اي يستأصلهم بالهلاك ففعل كما اراد ليحق الحق ليثبت الاسلام ويبطل
الباطل ويمحق الكفر ولو كره المجرمون اي مشركو مكة قوله إذ تستغيثون نصب بالجد
اي اذكر وقت استغاثتكم ربكم حين رأيتم العدو في قتال بدر الفا وانتم ثلثمائة فطلبتم
الغوث وهو النصر عليه قائلين اللهم اغثنا يا غياث المستغيثين وقال نبيكم اللهم انجز لي ما
وعدتني ماد ايديه مستقبل القبلة اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فاستجاب
اي اجاب لكم ربكم دعاءكم أني ممدكم بالفتح باني معينكم وزايد في مددكم بألف من الملائكة
مردفين بكسر الدال اسم فاعل من اردفته اياه اذا اتبعته اياه وكان الف الملائكة متبعين

ابشروا
متخوفا
عرض

انفسهم غيرهم منهم وبفتح الدال اسم مفعول منه ايضا اي اتبعهم غيرهم من الملائكة آخرين قيل نزل جبرئيل بخمسمائة ملك علي الميمنة وفيها ابوبكر ونزل ميكائيل بخمسمائة علي الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صورة الرجال عليهم ثياب بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت مع المؤمنين الاعداء يوم بدر دون يوم حنين ويوم الاحزاب **وما جعله الله** اي لم يجعل الله الامداد بالملائكة **الا بشرى** اي للبشارة **لكم** بالنصرة والظفر **ولتطمئن به** اي بالامداد **قلوبكم** فلا تجزعوا لقلتكم وكثرة عدوكم **وما النصر الا من عند الله** لا بكثرة العدد **ان الله عزيز** اي غالب علي كل شيء بالنقمة **حكيم** حيث هزم المشركين ونصر المسلمين باقتضاء حكمته قوله **اذ يغشيكم** من التفعيل ومن الافعال معلوما وما بعده مفعول له بدل من اذ يستغيثون او نصب بمقدر اي اذكروا وقت تغشية الله وهي القاء النوم عليكم وقرئ يغشاكم معلوما فاعله **النعاس** من غشيه النعاس اي اخذه النوم **امنة منه** اي للامن من الله فنصبه مفعول له ومنه صفته اي امنة حاصلة لكم من الله ويجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا وليس كذلك هنا ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس وتنعسون صح كون امنة مفعولا له وفي غير هذه القراءة الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم الله ايمانا منه قيل النعاس في الحرب امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان وكان اصحاب رسول الله نازلين علي كثيب اعفر وهو رمل احمر تدخل وتغيب فيه الاقدام واجنب بعضهم تلك الليلة وعطشوا لفقد الماء فوسوس لهم الشيطان بانكم لو كنتم علي الحق لما كنتم كذا وكان المشركون علي ماء بدر فانزل الله تعالى مطرا من السماء فتطهروا من الاحداث والجنابة وارتووا من العطش وذهبت عنهم وسوسة الشيطان فاخبر تعالى عن ذلك منة عليهم ليشكروا علي انعامه عليهم بقوله **وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به** اي بماء المطر من الاحداث **ويذهب عنكم رجز الشيطان** اي وسوسته واصل الرجز العذاب وسميت به لانها سبب العذاب **وليربط** اي وليحبس **علي قلوبكم** بالصبر الحاصل عند القتال **ويثبت به** اي بالمطر او بالربط **الاقدام** اي في الحرب علي اليقين او لتستقر ارجلكم علي الرمل بسبب المطر حتى امكنكم الوقوف عليه للحرب قوله **اذ يوحي ربك الي الملائكة** بدل من اذ قبله او ظرف ليثبت اي وقت قول ربك للملائكة **اني** اي باني **معكم** اي معينكم وناصركم **فثبتوا الذين آمنوا** اي بشروهم بالنصر فكان الملك يمشي بين الصفين في صورة انسان فيقول ابشروا ايها المؤمنون بالنصرة من الله فانكم كثير وعدوكم قليل وان الله ناصركم قوله **سالقي** اي ساقذف **في قلوب الذين كفروا**

الرعب

ليسكن اليه قلوبكم

الرعب اي الخوف من النبي عم ومن آمن به تفسير لقوله اني معكم لان القاء الخوف في قلوب المشركين نصر للملائكة **فاضربوا** تعليم للمؤمنين كيف يقتلون الكافرين اي اضربوا بسيوفكم **فوق الاعناق** اي فوق رؤسهم لانها اوجب للقتل او علي الاعناق التي هي المذابح لانه نظير الرؤس لوقتها **واضربوا منهم كل بنان** اي اطراف الاصابع التي بها يقاتلونكم والمفاصل لسرعة القتل فيها **ذلك** اي ذلك العذاب الواقع بهم **بانهم شاقوا الله ورسوله** اي بسبب مخالفتهم اوامر الله واوامر رسوله **ومن يشاقق الله ورسوله** اي ومن يخالف اوامرهما **فان الله شديد العقاب** اذا عاقبه **ذلكم** مبتدأ خطاب للكفار علي سبيل الالتفات اي ذلك العقاب النازل بكم يوم بدر **فذوقوه** خبره والفاء للسببية او محل ذلكم نصب بقوله فذوقوه والفاء زائدة للتاكيد وتعطف **وان للكافرين من عذاب النار** بفتح ان علي المبتدأ والخبر محذوف تقديره كون عذاب للكافرين عقاب لهم يوم القيمة ويجوز ان يكون محله نصبا علي ان الواو بمعنى مع يعني ذوقوا هذا العقاب العاجل مع العقاب الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع للكافرين موضع الضمير ولا تظنوا ان هذا العقاب صار كفارة لكم من عذاب النار يوم القيمة ثم قال حثا علي القتال وتصبيرا عليه **يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا** بتوحيد الله والقرآن **زحفا** حال من الكافرين اي متزاحفين بمعنى متكاثرين في غاية الكثرة واصله السير ببطوء ويوصف الجيش العظيم به كانه يزحف في الارض لعظمته اي بطاء في سيره او من زحف الصبي اذا دب علي جلوسه يعني اذا لقيتم الكافرين ودنوتم للقتال **فلا تولوهم الادبار** اي لا تعرضوا عنهم الي ظهوركم منهزمين **ومن يولهم** اي يصرف عنهم **يومئذ** اي يوم قتالهم **دبره** اي ظهره منهزما ليلا او نهارا **الا متحرفا لقتال** نصب علي الحال من الضمير الفاعل اي الا منصرفا بعد الفرار يريد الكرة للقتال يعني بان يخدعهم ويريهم الفرة وهو يريد الكرة **او الا متحيزا** من حاز يحوزه اذا ضمه واصله متحيوز اي الا منضما اذا كان منفردا من فئة هو فيها **الي فئة** اي جماعة من اصحابه يمنعونه بالعدو **فقد باء** اي رجع **بغضب من الله** اي باستحقاقه **ومأويه** اي مستقره **جهنم وبئس المصير** هي قال ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر يعني به الا متحرفا للقتال او متحيزا الي فئة قيل حكم هذه الآية عام في كل فار وقيل خاص بيوم بدر لانهم لم يتجاوزوا الا الي المشركين اذا لم يكن في الارض يومئذ مسلمون غيرهم ليحاذوا اليهم فاما بعد فالمسلمون فئة لكل فار فلا يكون كبيرة وقيل هي منسوخة بقوله الآن خفف الله عنكم قوله **فلم تقتلوهم** بقوتكم لضعفكم عن قتلهم نزل حين افتخروا بعد انهزام قوم بدر من المشركين بقولهم قتلنا فلانا قتلنا فلانا نهيا عن الافتخار والاعجاب بانفسهم والفاء فيه في جواب شرط محذوف

كيد

اي لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم

تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم بنصره اياكم بانزال الملائكة
والقاء الرعب في قلوبهم وتشجيع انفسكم على القتال باذهاب الفزع والجزع عنكم وروي
ان النبي عم لما التقى الجمعان اخذ قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوه الكافرين
وقال شاهت الوجوه فلم يبق كافر منهم الا شغل بعينه فانهزموا فاتبعهم المسلمون
بالقتل والاسر فقال لهم فلم تقتلوهم وقال للنبي صلى الله عليه وسلم وما رميت اذ رميت
اي لم تفعل رميك بالكافرين ما فعلت بقوتك لان قوة البشر لا تؤثر ذلك الاثر العظيم
ولكن الله رمى بفتح النون وتشديدها ونصب الله وقرئ بكسرها والتخفيف ورفع الله
اي ولكن الله فعل الرمي واثر رميه فيهم ليقهر الكافرين فاثبت الرمية للنبي عم صورة
ونفاه عنه حقيقة لضعف الطاقة البشرية عنها فكان الفاعل في الحقيقة هو الله تعالى
قوله وليبلي المؤمنين عطف على ليقهر المقدر المذكور وهو من الابلاء بمعنى الاعطاء اي
ليعطي الموحدين بالله منه اي من فضله بلاء حسنا اي عطاء جميلا وهو
الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة ان الله سميع الدعاء للرسول عليه السلام
عليم بنيته وباجابة دعائه ذلكم اي البلاء الحسن خبر مبتدأ محذوف اي
الغرض ذلكم وان بالفتح مع ما بعده عطف على ذلكم اي والغرض ان الله موهن اي مضعف
كيد الكافرين ببدر قرئ بالتخفيف والتشديد مع الاضافة وتركها اسم فاعل من
اوهنته ووهنته اذا جعلته ضعيفا قوله ان تستفتحوا نزل خطابا لاهل مكة على
سبيل التهكم حين قال ابو جهل واصحابه اللهم انصر اعز الجندين اليك واهدى
الفئتين في دينك فاستجيب دعاؤهم على انفسهم اي تطلبوا الفتح حين قلتم ذلك متعلقين
باستار الكعبة والقضاء بالحق فقد جاءكم الفتح اي النصر وهو القتل من المؤمنين
وان تنتهوا عن الكفر وقتال الرسول عم فهو خير لكم من الاقامة عليها وان تعودوا
لقتاله مع الكفر نعد لنصره فقتل ابو جهل وغيره من اصحابه المشركين حيث لم ينتهوا
ولن تغني اي لا ينفع قط عنكم فئتكم اي جماعتكم شيئا من النصرة ولو كثرت
في العدد وان الله مع المؤمنين بكسر ان على معنى الاستيناف وهو الاوجه وقرئ
بالفتح بتقدير لكثرتكم وعددكم ولان الله معين المؤمنين قوله يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله ورسوله نزل حثا للمؤمنين على طاعة الرسول وامتثال
امره في الحرب معه والصلح في امر الغنيمة وغير ذلك ولا تولوا عنه اي لا تعرضوا عن
الرسول لان طاعته طاعة الله وانتم تسمعون المواعظ في القرآن قوله
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا باذاننا وهم لا يسمعون بقلوبهم نزل في الذين
لم يفهموا الحق ولم يتفكروا فيما سمعوا وهم المنافقون من بني عبد الله فانه لم يسلم

منهم

منهم الا رجلان ان شر الدواب اي يتحرك على وجه الارض عند الله الصم عن استماع الحق
البكم اي الخرس الذين لا يعقلون الحق ولا يتكلمون عند سماعهم اياه وكانوا يقولون
نحن صم بكم عما جاء محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا في حرب احد ولو علم الله
فيهم اي في هؤلاء الصم البكم من الحق بعلم الازل خيرا اي انتفاعا لاسمعهم اي
لخلقهم سامعين بلطفه بهم سماع المصدقين ثم قال مستانفا ولو اسمعهم اي لو لطف
بهم فرضا حال كونه عالما ان لا خير فيهم فسمعوا وصدقوا لتولوا اي لارتدوا بعد ذلك ولم ينفع
فيهم اللطف وهم معرضون الواو للحال اي معرضين عن الايمان عنادا فلم يستقيموا فيما
سمعوا لعلمه تعالى عاقبتهم على خلافهم واستحالة بان يقع غير ما علمه الله تعالى قوله يا ايها
الذين آمنوا استجيبوا اي اجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الرسول لما يحييكم
اي للقرآن الذي به يحيي القلوب او للقتال الذي فيه الحيوة الدائمة في الاخرة لانه سبب
الشهادة التي تورث تلك الحيوة نزل ترغيبا للمؤمنين في اجابة النبي عم اذا دعاهم لامر
الدين او الدنيا قيل دعا النبي صلى الله عليه وسلم ابي بن كعب وكان على الصلوة في بيته
فلم يجبه فعجل في صلوته ثم جاءه فقال عم ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تسمع
فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول فقال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك بعد اليوم وهو
مما اختص به النبي عم او كان دعاؤه لامر لا يحتمل التاخير فاذا وقع للمصلي مثله فله ان
يقطع الصلوة ويجيبه قوله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه نزل حين جبنوا
عن القتال فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله يحول بين الانسان وارادة
قلبه واخلاصه له تعالى فلا يستطيع شيئا الا بمشيئته واذنه فالجئوا اليه معتمدين
عليه لانه هو الهادي والمضل وقيل يحول بين المؤمن ومعصيته التي تجره الى النار
وبين الكافر وطاعته التي تجره الى الجنة ولذلك كان عليه السلام يقول كثيرا يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك وانه اليه تحشرون في الاخرة فيجازيكم بما في قلوبكم
واعمالكم واتقوا فتنة اي ذنبا وعذابا ان اصابكم لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة يعني لا تصيبهم بالاختصاص بل يعمكم اثرها فلا تعملوا المنكرات قال النبي عم ان الله
لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه
فلا ينكرونه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة قيل يجوز ان يكون لا تصيبن
نفيا مجزوما في جواب الامر اكد بالنون مبالغة في تحقيق اصابة الفتنة للظلمة الا لا على
صالحة وذلك لان دخولها مختص بالطلب ولا طلب في جواب الامر وانما دخلت فيه
لان في هذا النفي معنى النهي وفي النهي طلب وهو عدول عن الخبر الى الانشاء لضرب
من المبالغة اذ لا يقال ذلك الا في امر لا يتردد القائل فيه فلذلك اكد بالنون ومن مجيء منكم

نفع

للتبعيض اي لا تصيبن بعضكم وهم الذين ظلموا خاصة وان يكون صفة لفتنة حال
كونه منفيا ويكون دخول اللام على المنفي في غير القسم شاذا وان يكون نهيا بعد الامر فكانه
قيل احذروا فتنة ثم قيل لا تعرضوا للظلم فيصيب اثر الفتنة وهو العقاب الذين ظلموا
خاصة وهم انتم فمنكم للبيان والتفسير حسن لان النهي في لا تصيبن وان كان متوجها
الى الفتنة في الظاهر لكن المراد نهيكم عن التعرض لها فيؤل المعنى الى قوله لا تتعرضوا الى آخره
فيكون من قبيل لا يحطمنكم سليمان في ان النهي لسليمان لفظا وللنمل معنى ويجوز ان يكون
صفة الفتنة حال كونها على تقدير فتنة مقولة فيها لا تصيبن واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن تعرض للظلم ثم ذكر لاصحاب النبي عم نعمه التي انعمها عليهم بقوله واذكروا اذ انتم قليل
خطاب للمهاجرين اي وقت كونكم ضعفاء بقلة العدد مستضعفون اي مقهورون
في الارض اي ارض مكة قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس بالمدينة وايدكم
الى قواكم بنصره اي بان نصركم بالملائكة والانصار يوم بدر بعد الهجرة فارتفع ضعفكم
ورزقكم من الطيبات اي من الغنائم التي لم تحل لاحد قبلكم لعلكم تشكرون اي لكي
تعرفوا ذلك منه وتطيعوه قوله يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
نزل فيمن كان يفشي الحديث الذي سمع من النبي عم حتى يبلغ الكفار بمكة نهيا عن ذلك
وقيل نزل في شان ابي لبابة حين حاصر النبي عم قريظة وشاوروه في النزول على حكم
سعد واشار بيده الى حلق نفسه ان حكمه الذبح فلا تنزلوا لكون ماله واولاده معهم اي
لا تفعلوا الخيانة في امر الله ورسوله واصل الخون النقصان اي لا تنقصوا ما ائتمنتم
عليه بالافشاء او الاظهار للاعداء وتخونوا اماناتكم جزم بالعطف على النهي قبله او
نصب بواو الصرف بعد النهي اي احفظوا عهد الله ورسوله بالوفاء لهما وفي الامانات
بينكم وانتم تعلمون ان الخيانة قبيحة في كل شيء وهو ان يؤتمن الرجل على شيء من غيره
فلا يؤديه اليه وقد سمي العاصي خائنا لانه قد اؤتمن على دينه فنقصه ثم نصحهم بقوله
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اي محنة وبلاء من الله ليبلوكم كيف
تحفظون فيهم حدود الله فعليكم ان تزهدوا اليه في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال
وحب الولد حتى تهلكوا انفسكم واعلموا ايضا ان الله عنده اجر عظيم لمن صبر
ولم يخن وهو الجنة يا ايها الذين آمنوا بالله ان تتقوا اي تطيعوا الله سبيل الخشية
من عقابه ولا تعصوه يجعل لكم فرقانا اي امرا يفرق بين الحق والباطل بنصركم في
الدين على اهل الكفار لاعزازكم واذلالهم في الدنيا والاخرة ويكفر عنكم سيئاتكم
اي ويمح كبائركم ويغفر لكم ذنوبكم اي ويستر عليكم عيوبكم والله ذو الفضل
العظيم اي التجاوز عن سيئات عباده قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وهم اكابر

قريش

قريش مجتمعين في دار الندوة متشاورين في القتل بالنبي عم في مضجعه وذلك بعد
الانصار حول المدينة وتمثل لهم ابليس عليه اللعنة في مشاورتهم بصورة شيخ نجدي
فقال بعضهم خذوه واحبسوه في بيت وسدوا عليه مع طعامه وشرابه حتى تهلك
فقال اللعين بئس الرأي ذلكم يأتيكم من يخلصه من البيت وقال بعضهم اخرجوه من بين
اظهركم وغربوه فلا يضركم ما صنع فقال اللعين بئس الرأي ذلكم يذهب الى قوم فيستميل
قلوبهم فيأتيهم ويخرجكم من بلادكم وقال ابو جهل خذوا من كل بطن شابا بسيف
صارم فيضربوه ضربة رجل واحد حتى يقتل فنستريح من يده فقال اللعين ذلكم الرأي
فتفرقوا على ذلك الرأي ليأتوه ليلا فاخبر جبرئيل النبي عم بذلك وامره ان لا يبيت في
مضجعه فامر النبي عم عليا كرم الله وجهه ان يبيت مكانه وامره ان يلبس برده ليأمن
ببركته ثم خرج النبي عم ومعه ابو بكر رضي الله عنه الى الغار ونام علي رضي الله عنه
مكانه فلما اصبحوا دخلوا البيت فاذا هو علي فسألوه عنه فقال لا ادري فطلبوا
فلم يجدوه فاخبر تعالى عن ذلك اي واذكر وقت الكافرين بك ليثبتوك اي يحبسوك
في البيت بالوثاق او يقتلوك بالسيف او يخرجوك من مكة ويمكرون اي وهم يمكرون
بالشر ويمكر الله اي ويجازيهم جزاء مكرهم حين اخرجهم الى بدر فقتل بعضهم فيه واسر بعضهم
والله خير الماكرين لان مكره انفذ من غيره وابلغ تاثيرا او لان مكره حق وعدل
لا يصيب احدا الا بما هو يستوجبه قوله واذا تتلى عليهم اياتنا اي القران قالوا سمعنا
قولك هذا يا محمد لو نشاء لقلنا مثل هذا اي مثل القران ان هذا اي ما القران الا
اساطير الاولين اي اكاذيب المتقدمين نزل حين كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ القران ويذكر اخبار الامم الماضية فقال النضر بن الحارث لو اشاء لقلت مثل الذي
جاء به محمد فقال له عثمان بن مظعون اتق الله يا نضر فانه ما يقول الا حقا واذ قالوا اي
اذكر قول النضر ومن مثله من الكفار اللهم ان كان هذا اي ما يقوله محمد هو الحق بنصبه
بكان وبرفعه خبر هو والجملة خبر كان اي ان كان القران من عندك لا من رأيه
فامطر علينا حجارة من السماء كاصحاب الفيل قيل فائدة قوله من السماء والا
لا يكون الا منها انه اراد حجارة من سجيل فوضع من السماء موضع من سجيل ليكون
اشارة الى عذاب اصحاب الفيل وقيل يقال في الرحمة مطر وفي النقمة امطر ثم قال او ائتنا
بعذاب اليم فاستجيب دعاؤه على نفسه فقتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
صبرا قيل سأل معاوية لرجل من سبأ ما اجهل قومك بتمليكهم امرأة عليهم فقال الرجل
اجهل منهم قومك حين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء ولم يقولوا فاهدنا به قوله وما كان الله ليعذبهم وانت يا محمد فيهم اي بين

ظهراني قريش حتي يخرجك عنهم كما اخرج الانبياء قبلك عن قومهم ثم عذبهم لان العذاب
اذا انزل عم فامروا بالخروج مع المؤمنين منهم نزل حين اسر النضر المقداد فجاء به الرسول
فقال اسيري فقال عليه السلام هو الذي كان يقول في شان الله ورسوله ما يقول
قال يا رسول الله اسيري فقال عليه السلام اللهم اغن المقداد من فضلك فقال
هو الذي اردت منك فاخبر تعالي بذلك انه لا يعذبهم وانت فيهم وهم اخرجوك من بين
ظهرانيهم ثم قال تعالي وما كان الله معذبهم وهم اي الكافرون يستغفرون من الكفر
فيؤمنون او لا يعذب الكافرين والمؤمنون مستغفرون فيهم لان النبي عم لما خرج بقي
بقية من المؤمنين بمكة مستغفرين فآمنوا من العذاب بسببهم ثم رجع الي ذكر حال
المشركين فقال وما لهم الا يعذبهم الله اي اي شيء لهم من انتفاء عذاب الله عنهم يعني
لا حظ لهم فيه وهم معذبون البتة وكيف لا يعذبون وهم يصدون اي وحالهم
انهم يمنعون المؤمنين عن المسجد الحرام اي عن الطواف به كما صدوا رسول الله صلي
الله عليه وسلم عام الحديبية والمسلمين معه لقولهم نحن اولياء البيت فنترك من الطواف
به من نشاء ونصد من نشاء فقال وما كانوا اولياءه اي ولاة امر البيت وارباب
لانهم اعداء الدين القيم فلم يستحقوا ولايته بعداوتهم ان اولياؤه اي ما اربابه
الا المتقون اي الموحدون الابرار المطيعون بالتقوي من المسلمين يعني لا يصلح
كل مسلم ايضا ان يلي امره فكيف يصلح له الكفرة عبدة الاوثان ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك ويطلبون الرياسة بالجهالة او يعلمون ويعاندون في طلبها لا بمقتضي العلم ثم
قال توبيخا لهم وما كان صلاتهم عند البيت اي بيت الله الا مكاء بالنصب خبر
كان اي صفيرا وهو بان يشبك الرجل اصابعه فينفخ فيها وتصدية اي تصفيقا
وهو ضرب احدي اليدين بالاخري وهو من قبيل قولهم اكرامه في الضرب والشتم وكانوا يفعلون
ذلك في طوافهم البيت عراة رجالهم ونساؤهم مختلطون وهم قد امروا بالصلوة في المسجد
مع تعظيمه فجعلوا المكاء والتصدية صلاتهم فيه وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرا
رسول الله صلي الله عليه وسلم في صلوته يخلطون عليه قيل عنه فذوقوا العذاب
اي فقلنا لهم ذوقوا عذاب القتل والاسر يوم بدر بما كنتم تكفرون اي بسبب
كفركم واقدامكم علي اعمال الكفرة قوله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم نزل في
المطعمين من المشركين الذين خرجوا لحرب رسول الله واصحابه في طريقهم الي بدر قيل
كانوا ثلثة عشر رجلا وكان كل واحد منهم يطعم كل يوم عشرة جزاير جمع جزور ليصدوا
اي ليصرفوا الناس عن سبيل الله اي عن دينه فسينفقونها ثم تكون اي نفقتهم
في العاقبة عليهم حسرة اي ندامة لانها تكون لهم زيادة العذاب يوم القيمة ثم يغلبون

اي

اي يهزمون في الدنيا فيرجعون اسراء قتلاء والذين كفروا منهم ولم يؤمنوا
الي الموت الي جهنم يحشرون بعد الموت في الآخرة ولم يكن الاسر والقتل كفارة
لذنوبهم كما كان للمؤمنين ليميز بالتخفيف من ماز وبالتشديد من ميز بمعني
واحد اي ليظهر الله الخبيث بالكفر والمعصية من الطيب بالايمان والعمل الصالح
ويجعل الخبيث اي الفريق الطالح بعضه علي بعض فيركمه اي فيضمه جميعا
اي مجموعا حتي يتراكموا فيجعله اي المجموع المتراكم في جهنم اي في جملة من يعذبون
فيها من الكفار اولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون اي المغبونون في العقوبة
بانفاقهم اموالهم في عداوة رسول الله صلي الله عليه وسلم قل للذين كفروا اي
لابي سفيان واصحابه ولمن مثلهم الي يوم القيمة ان ينتهوا عن الكفر وعداوة
رسول الله صلي الله عليه وسلم والمؤمنين بالاسلام يغفر لهم ما قد سلف
اي الذي مضي من ذنوبهم قبل الاسلام وان يعودوا الي كفرهم بالله وقتال رسوله
فقد مضت سنة الاولين منهم ومن غيرهم بان يهلكوا اذا لم يؤمنوا فالحربي
اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط واما الذمي اذا اسلم يلزمه قضاء حق الادمي
دون حق الله وبه احتج ابو حنيفة في المرتد اذا اسلم يلزمه قضاء حق الله قبل
الردة وبعد ها ثم حث المؤمنين علي قتال الكفار المصرين بقوله وقاتلوهم
حتي لا تكون فتنة اي الي ان لا يوجد فيهم شرك قطعا ويكون الدين كله جميعه
في الناس لله ويضمحل عنهم الدين الباطل اينما كان فلا يكون غير دين الاسلام
فان انتهوا عن الكفر وقتال المسلمين فان الله بما يعملون بالياء غيبة بصير
فيجازيهم باعمالهم وان تولوا اي اعرضوا عن الايمان فاعلموا ايها المؤمنون
ان الله موليكم اي ناصركم وحافظكم فتوكلوا بولايته ونصرته نعم المولي اي
الحافظ ونعم النصير اي المعين المانع من العدو قوله واعلموا انما غنمتم من شيء
نزل تعليما لقسمة الغنيمة الحاصلة من الكفار عنوة بقتال اي الذي اخذتموه
منهم بالقهر من الاموال حتي الخيط والمخيط فما موصولة اسم ان والعايد عليه
محذوف ومن شيء بيانه والخبر فان لله خمسه بفتح الهمزة محلها مع ما بعدها رفع
خبر مبتدا محذوف اي فالحكم ان لله خمسه وللرسول ولذي القربي اي ولاقاربه
كبني هاشم وبني المطلب دون بني شمس وبني نوفل لان هؤلاء لم يفارقوه في الجاهلية
والاسلام واليتامي والمساكين وابن السبيل قيل كان النبي صلي الله عليه
وسلم يؤتي بالغنيمة فيقسمها علي خمسة اسهم فيعطي اربعة منها لمن قاتل عليها ثم
يقسم الخمس الآخر خمسة اقسام فياخذ قسما منها لنفسه ويعطي قسما لاقاربه

والاقسام الثلثة لليتامى والمساكين وابن السبيل لكن ابا حنيفة رحمه الله
اسقط قسم النبي صلى الله عليه وسلم بموته وخص قسم ذي القربى لفقرائهم دون
اغنيائهم وما فضل يقسم على الطوايف الثلث والشافعي رحمه الله يجعل قسم النبي
للجهاد ولما فيه قوة الاسلام ويقسم قسم ذي القربى بين الفقير والغني على السوية
لقرابتهم لكنه يعطي الذكر مثل حظ الانثيين فعلى هذا كان ذكر اسم الله تبركا واضيف
اسمه الى المال تشريفا له وجعل بعضهم الخمس على ستة اسهم سهم لله فيجعل للكعبة
والباقي كما ذكر ومن جعل الفيء والغنيمة واحدا وهو ما اصابه المسلمون من الكفار
وجعل آية قل الانفال لله والرسول منسوخة بهذه الآية ومن جعله غير الغنيمة وهي
المأخوذة من الكفار عنوة بالقتال ويكون الفيء ما اصابوه من الكفار عن صلح بغير
القتال فلا نسخ قوله ان كنتم آمنتم بالله شرط جوابه محذوف يدل عليه اعلموا او
اقروا بحكمه ان قسمة الغنيمة كذلك فالمراد من العلم العلم المتضمن بالعمل والطاعة
لا العلم المجرد لانه يستوي فيه المؤمن والكافر قوله وما انزلنا عطف على قوله بالله
ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الايات والملائكة
والنصر يوم الفرقان اي يوم بدر فرق فيه الحق من الباطل وابدل من يوم الفرقان قوله
يوم التقى الجمعان اي الفريقان من المؤمنين والكافرين والله على كل شيء قدير اي
على نصرة المؤمنين وهزيمة الكافرين قوله اذ انتم بدل ايضا من يوم الفرقان والاوجه
ان ينتصب بفعل مقدر اي اذكروا وقت كونكم بالعدوة الدنيا بضم العين وكسرها
اي في شط الوادي القربى الجهة المدينة فالدنيا تانيث الادنى وهم بالعدوة القصوى
اي البعدى عن المدينة مما يلي مكة تانيث الاقصى والقياس القصيا كالدنيا والعليا
فثبوت الواو فيها شاذ والركب مفرد لفظا جمع معنى للراكب اي العير التي فيها ابو سفيان
واصحابه من التجار اسفل منكم اي مكانا اسفل من مكانكم وهو نصب على الظرف
محله رفع خبر المبتداء وفايدة هذه القيود كلها هي الاخبار عن قوة العدو وشوكته وضعف
المسلمين وقلة اسباب الحرب وان غلبتهم في مثل هذه الحالة ليست الا بحول الله وقوته
وباهر قدرته يعني من الله عليكم بتدبير النصر لكم ولو تواعدتم اي انتم واوليكم المشركون
بالاجتماع للقتال لاختلفتم في الميعاد لانهم خرجوا للذب عن العير وانتم خرجتم لطلب
العير ولكن الله جمع بينكم عن غير ميعاد ليقضي الله امرا من اعزاز دينه واعلاء كلمته
كان مفعولا اي ثابتا واجبا بتقديره هزيمة الكافرين ونصرة المؤمنين ويتعلق قوله
ليهلك بيقضي او بمفعولا اي ليموت من هلك اي من مات بالكفر عن بينة اي حجة
قائمة عليه لانه بين له الحق كذلك قرئ حيي بياء واحدة مشددة وبيائين ظاهرتين على الاصل

ان

ان الله سميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه واذكر اذ يريكهم الله
اي المشركين في منامك يا محمد قبل ان يلتقوا بكم قليلا لتقدموا عليهم ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم اي لجبنتم وتركتم الصف ولتنازعتم اي اختلفتم في الامر اي
امر القتال ولكن الله سلم اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع عليكم
انه عليم بذات الصدور اي بحقيقة ما في القلوب من المضمرات واذ يريكموهم
اذ يريكموهم اي يبصركم الله اياهم ... اي وقت قتالكم اياهم في
اعينكم قليلا لئلا تجبنوا ولتصديق رؤيا النبي عم ويقللكم في اعينهم ليقدموا
عليكم بقلة المبالاة بكم ليقضي الله امرا كان مفعولا من نصرة المؤمنين
وذل الكافرين بالهزيمة والقتل والى الله ترجع الامور اي عواقب امور الخلق
في الآخرة من اثابة المؤمنين وعقاب الكافرين لا الى غيره تعالى ثم قال تحريضا
للمؤمنين على قتال الكفار يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة اي جماعة من
المشركين المحاربين فاثبتوا لقتالهم مع نبيكم واذكروا الله ذكرا كثيرا اي ادعوه
بالنصر في مواطن الحرب لعلكم تفلحون اي تظفرون بمرادكم من النصرة فتامنوا من
عدوكم والمراد من الكثرة الدوام واطيعوا الله ورسوله فيما امركم من القتال
وغيره ولا تنازعوا في امر القتال بينكم فتفشلوا اي تجبنوا من عدوكم وتذهب
ريحكم اي دولتكم بالغلبة ونصرتكم كما وقع ذلك يوم احد ونصب الفعلين
على انه جواب النهي يعني لا تختلفوا عند لقاء عدوكم واصبروا على القتال كون
الله ان الله مع الصابرين بالنصرة والعون ثم اكد ذلك بقوله ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم لاجل القتال بالرياء والسمعة وهم كفار مكة الذين خرجوا منها
بطرا اي فرحا بطغيانهم في النعمة وهو مصدر في موضع الحال او مفعول له وعطف
عليه قوله ورئاء الناس اي لان يروا الناس مسيرتهم ويسمعون اياهم فنهاهم
الله ان يكونوا مثل اولئك مرائين بطرين فرحين باعمالهم بل امرهم ان يكونوا من
اهل التقوى والتحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله وعطف على المصدر
ويصدون اي ويصرفون الناس عن سبيل الله اي عن دينه الحق وهو
الاسلام والله بما يعملون محيط اي عالم بجميع اعمالهم قرئ بالياء غيبة ثم اكد
كون خروجهم لا لوجه الله بقول الله واذكروا اذ زين لهم اي لكفار مكة الشيطان
اعمالهم بان جسرهم على قتال المسلمين قيل جاء ابليس على صورة سراقة بن مالك
شريف كنانة فقال حين وجدوا العير وارادوا الرجوع الى مكة لا ترجعوا حتى
تستاصلوهم فانكم كثير وعدوكم قليل وقال اي الشيطان للمشركين لا غالب كاين

يكرهم الله

من الاقدام

اذ التقيتم صح

معنى ...

لكم اليوم من الناس لقوتكم وكثرتكم واني جار اي معين لكم من كنانة وهولاء بنو كنانة تأتيكم على اثري فلما ترآءت الفئتان اي الطائفتان المؤمنة والكافرة ورأى ابليس الملائكة مع المؤمنين نكص اي رجع على عقبيه هاربًا وراءه فقال له حارث بن هشام اين اما ضمنت لنا نصرًا في صدره وقال اني بريء منكم ومن جواركم اني ارى ما لا ترون قيل رأى الملائكة وجبرئيل معتجرًا بردائه ويقود فرس النبي عم وابدل من اني ارى اني اخاف الله ان يهلكني ويعاقبني والله شديد العقاب قال ابن العباس رضي الله عنهما خاف ابليس ان يأخذه جبرئيل اسيرًا فيعرفه الناس فلا يطيعوه بعد ذلك لانه لم يخف على نفسه بناءً على الانظار الذي طلبه من الله الى نفخ الصور فلما تولى ابليس قال الكفار هزم الناس سراقة فبعد رجوعهم الى مكة وجدوا سراقة وساءلوه عن ذلك وقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغكم هزيمتكم فحلفوه عليه فحلف انه لم يحضر هنالك ولما اسلم القوم علموا انه كان ابليس قوله اذ يقول المنافقون في عبد الله بن ابي واصحابه الذين لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين اي اذكر وقت قول المنافقين بالمدينة والذين في قلوبهم مرض الواو فيه للعطف التفسيري اي هم في صدورهم ريب وقيل هم المشركون هم من اهل مكة لان فيهم مرض الشرك غر هولاء يعنون المؤمنين دينهم اذ هم توهموا ان نصرتهم بسبب دينهم ثم قال تعالى جوابًا لهم ومن يتوكل على الله اي ومن يتوجه لله دون غيره فان الله عزيز بالنقمة حكيم بالهزيمة على المشركين وفضاحة المنافقين ولو ترى يا محمد اذ يتوفى بالياء اي يقبض الله الذين كفروا في قتال بدر والملائكة مبتداء خبره يضربون وجوههم وادبارهم اي استاههم بالسياط عند الموت والمراد بوجوههم وادبارهم ما اقبل منهم وما ادبر قال من الذين كفروا والجملة حال لان الملائكة كانوا يضربون وجوههم بالسيف اذا اقبلوا واذا ادبروا يضربون ادبارهم بالسيف ايضًا وقرئ تتوفى بتائين وفاعله الملائكة ويضربون حال منهم فالمراد من التوفي على هذه القراءة الموت وعلى قيل تضربهم الملائكة بمقامع من حديد كلما ضربوهم بها تلتهب عليهم نار ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق بشارة لهم بعذاب الآخرة لانه مقدمة لعذاب النار فيها وجواب لو محذوف اي لو ترى ذلك لرأيت امرًا عظيمًا يعني منكرًا فظيعًا ذلك اي العذاب النازل بكم بما قدمت ايديكم اي بسبب عملكم القبيح من الكفر والتكذيب وترككم الايمان وهو يحتمل ان يكون من كلام الملائكة وهو الظاهر وان يكون من كلام الله تعالى وعطف عليه قوله وان الله اي وبان الله تعالى ليس بظلام للعبيد يعذبهم بغير ذنب والتكثير في ظلام لاجل تكثير العبيد

اي اخاف الله بيان

حال من الذين كفروا او من الملائكة او منهما قاضي

كدأب آل فرعون اي عادتكم يا كفار مكة كعادة قوم فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب والذين من قبلهم اي وكعادة الذين قبل عادة آل فرعون من الامم المتقدمة ثم فسر دأبهم بقوله كفروا بآيات الله اي بالبيان التي جاءتهم رسلهم بها من الامر والنهي وخبر العذاب فلم يؤمنوا بها فاخذهم الله اي عاقبهم بذنوبهم اي بكفرهم ومعاصيهم ان الله قوي في اخذه بالقدرة والمشية شديد العقاب لمن اعرض عن الايمان به وعصاه ذلك اي العذاب الذي نزل بهم مسبب بان الله لم يك مغيرًا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم كما ان الله انعم اهل مكة بمحمد والقرآن وكفروا به وبالقرآن فنقلهما الى الانصار بالمدينة وقيل اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف فلم يشكروا لذلك فجعل لهم الخوف مكان الامن والجوع مكان الرخاء قيل ما عذب الله قومًا ولا سلبهم النعم حتى كذبوا رسلهم فاذا فعلوا ذلك سلبهم العز والزمهم الذل والمسكنة وان الله اي وبان الله تعالى سميع بمقالتهم عليم باعمالهم كدأب آل فرعون تأكيد لما قبله محله رفع خبر مبتداء محذوف اي دأب آل فرعون في الهلاك والذين من قبلهم اي قبل آل فرعون كذبوا بآيات ربهم التي جاءتهم بها رسلهم فاهلكناهم بذنوبهم اي بكفرهم ومعاصيهم واغرقنا آل فرعون معه لادعائه الربوبية واطاعتهم اياه بالعبادة وكل اي كل من غرق القبط وقتل قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي قوله ان شر الدواب اي شر الناس عند الله الذين كفروا بالله ورسله فهم لا يؤمنون اي يصرون في كفرهم نزل في شان بني قريظة كعب بن الاشرف واصحابه وتبدل من الذين كفروا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة اي في كل وقت من غير مبالاة بالنقض وهم لا يتقون عذابه بنقض العهد روي انهم عاهدوا النبي عم ان لا يعينوا الكفار عليه فعاونوا المشركين بالسلاح على قتاله وقالوا بعد ذلك اخطئنا ونسينا العهد ثم عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثانية فاعانوا الاحزاب يوم الخندق وذهب كعب بن الاشرف الى مكة فعاهد المشركين فيها فهم شر الكافرين هم الذين هم شر الناس بنكث العهود بعد الاصرار في الكفر مع ظهور الحق لهم فاما تثقفنهم اي تدركنهم يا محمد في الحرب وتظفرنهم في القتال فشرد اي فرق بهم اي بعقوبتهم من خلفهم اي من وراءهم من اعدائك لانه اذا عاقبت هولاء تفرق الاعداء من وراءهم ولم يتقدموا عليك واما تخافن اي ان علمت يا محمد من قوم عاهدوك خيانة اي امارتها اللائحة بنقض العهد فانبذ اي اطرح اليهم عهدهم على سواء محله نصب على الحال من النابذ والمنبوذ اليهم اي حاصلين على استواء في العلم والعداوة يعني كن انت وهم في

سبحان الله

تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذوا به من الاغراق وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم قاضي

الذين يعاهدون نعمة الله ... بالنعمة قاضي

لعل المشركين يتعظون قاضي

فاما تصادفنهم وتظفرن بهم قاضي

على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره قاضي

العلم بنقض العهد سواء حذرا من ان تتبعهم بخيانة ان الله لا يحب الخائنين بنقض
العهد فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع قوله ولا يحسبن بالكسر والفتح الذين
كفروا بالياء فالفاعل الكافرون والمفعول الاول مضمر والثاني سبقوا اي فاتوا لا تعذيبه
لا يحسبن الكافرون انفسهم فائتين من العذاب وبالتاء خطابا للنبي عم فالمفعول
الاول الذين والثاني سبقوا نزل في القوم الذين انهزموا من المشركين ببدر اي لا تظن
الذين كفروا من العرب وغيرهم مفلتين من ان يظفر بهم باعمالهم الخبيثة انهم بالكسر
استينافا في معنى التعليل وبالفتح تعليل صريح اي لانهم لا يعجزون اي لا يجدونه
عاجزا عن ادراكهم واعدوا لهم اي اتخذوا العدة لقتالهم ايها المؤمنون لما نقض العهد وهم للكفار ما استطعتم من قوة
اي مما يتقوون به في الحرب من السلاح وكثرة العدد في محل النصب حال من ما بمعنى
الذي قال عليه السلام الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي
وفي خبر اخر زاد لهو المؤمن في الخلاء وقوته عند القتال وقال من ترك الرمي بعد ما
علمه فقد كفر او عصى ومن رباط الخيل اي واعدوا ايضا من اجناس الخيل
الذكور والاناث للغزو واصل الربط الشد الاناث لقلة صهيلها وخص الخيل
بالذكر تفضيلا لها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الاجر والمغنم الى
يوم القيمة ترهبون اي تخوفون في محل النصب حال من فاعل اعدوا به اي بالقوة
والسلاح عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة وآخرين من دونهم اي وتخوفون
قوما اخرين من غيرهم كاليهود والنصارى واهل فارس لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم
الله يعلمهم اي يعلمهم يعرفكم اياهم فاعدوا لهم ايضا بالانفاق في تحصيله من
القوس والسلاح وما تنفقوا من شيء شرط في سبيل الله اي في دين الاسلام
جزاؤه يوف اي يكمل اليكم ثوابه وانتم لا تظلمون بنقص ثواب اعمالكم وان
جنحوا اي مالوا للسلم بكسر السين وفتحها اي الى الصلح هي مؤنثة كنقيضها
الحرب لقوله فاجنح لها اي مل اليها قيل هذا اذا لم يكن للمسلمين قوة القتال
واما اذا كانت فينبغي ان يقاتلوهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية ان لم يكونوا من
العرب واعلم ان تضع الجزية على العرب لدفع الكفر من انساب النبي صلى الله عليه
وسلم لان العرب كلهم من نسبه فام بالقتل او بالاسلام وتوكل على الله اي ثق
بالله ولا تخف من ميلهم الى الصلح فانه حافظك فلا يخذلك انه هو السميع
لاقوالكم واقوالهم العليم باحوالكم واحوالهم من نقض العهد وغيره وان يريدوا
ان يخدعوك بان يكيدوك بالصلح وهم بنو قريظة من اليهود ارادوا ان
يصالحوك لتمتنع عن قتالهم وجاء ان يصل بهم مشركوا العرب فيعينوا هم عليك

فان

فان حسبك اي كافيك الله بالنصرة من خدعهم وهو مصدر بمعنى المحسب
هو الذي ايدك اي قواك بنصره اياك بملائكته وبالمؤمنين من الانصار وهم
الاوس والخزرج وكان بينهم عداوة واحن والف بين قلوبهم اي جمع بين قلوب
القبيلتين بالتليين ورفع القساوة والعداوة التي كانت بينهما في الجاهلية
فائتلفت بسبب محبتك والايمان بك لو انفقت ما في الارض جميعا من الاموال
ما الفت بين قلوبهم اي لما قدرت ان تالف بين قلوبهما وتجمعها على اتفاق كلمتهم
ولكن الله الف اي جمع بينهم بالايمان لانه مالك القلوب يقلبها كيف يشاء انه
عزيز بالانتقام من الاعداء حكيم بما لا يتلاف بينهم واماطة التباغض عنهم و
احداث التحاب فيهم قيل المؤمن يالف ويؤلف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف
قوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين في بيداء غزوة
بدر قبل الحرب وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة و
ثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت الآية وقيل نزلت في اسلام عمر
حين كمل اسلامه اربعين رجلا من المسلمين وظهر الاسلام بمكة باسلامه فالسورة
مدنية الا هذه الآية اي كافيك الله ناصرا فالجملة مبتداء وخبر والواو في ومن بمعنى
مع فيكون من مع ما بعده في محل النصب على انه مفعول معه نحو حسبك وزيدا
درهم ومعناه كفاك الله وكفى اتباعك ناصرا ويجوز ان يكون من في محل الرفع
عطفا على الله اي كافيك الله والمؤمنون ايضا ويكون مبتدا محذوف الخبر بمعنى
ومن اتبعك حسبهم الله ثم قال حثا لهم على الثبات في القتال يا ايها النبي حرض
المؤمنين على القتال ابلغ تحريض ان يكن منكم عشرون صابرون عليه محتسبين
في الجهاد يغلبوا مائتين بنصر الله وان يكن بالياء والتاء منكم مائة يغلبوا الفا
باذن الله من الذين كفروا بالله ورسوله بانهم اي بسبب ان الكافرين قوم
لا يفقهون الله ودينه فيقاتلون بالجهل لا على احتساب وطلب ثواب كالبهائم
فيقل ثباتهم فلا يقاومون كالمقاتلين في سبيل الله بالبصيرة قيل الشرط في الآية
لفظا في معنى الامر يعني ليقاتل العشرون منكم مائتين منهم والمائة الفا فلا يثبت
الكفار لكم ان ثبتم انتم قيل معناه ان لا يفر الواحد من العشرة ولا المائة من الالف
ووقع ذلك يوم بدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز حمزة رضي الله عنه
في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب ثم شق نزول الآية عليهم فرفعوا الاصوات
بالدعاء وضجوا يوم بدر فاستثقلوا ذلك فنزل قوله الآن خفف الله عنكم
فنسخ ما قبله من التشديد بعد قتال بدر وعلم ان فيكم ضعفا بضم الضاد وفتحها

وهو ضعف البدن وقيل هو القلة في العدد والعدد فإن يكن بالياء والتاء منكم
مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين فنقص النصرة على قدر ما نقص من العدد وإن
يكن منكم ألف محتسبة يغلبوا ألفين بإذن الله اي بارادته والله مع الصابرين
بالنصرة ففرض على المسلمين ان لا يفر واحد من اثنين ولا المائة من مائتين قال ابن عباس
من فر من حليين فقد فر ومن فر من ثلثة لم يفر قيل من لم يكن معه سلاح وفي خصمه
سلاح جاز له ان يفر منه لانه ليس بمقابل قوله ما كان لنبي اي ما صح ان تكون له
اسرى بالتاء التانيث للجماعة وبالياء لتذكير الجمع نزل حين اسر المسلمون سبعين
رجلا من المشركين يوم بدر واتوه النبي عليه السلام وقال اصحابه له خذ منهم فدية تقوى
بها اصحابك فنهى الله عن ذلك فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء ينبغي كما ينبغي
للرسول عم ان يقبل الفدية عن الاسارى ولكن السيف حتى يثخن اي يبالغ في قتلهم
في الارض ليعز الاسلام ويقويه ويذل الكفر ويضعفه تريدون اي تقصدون
ايها المسلمون عرض الدنيا اي حطامها باخذكم الفداء من الاسارى وسمي حطامها
عرضا لحدوثه وقلة لبثه والله يريد الآخرة اي ثوابها لكم بالاثخان في القتل والله
عزيز في ملكه يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنكم منهم قتلا واسرا حكيم في امره ويوخر
اخذ الفداء الى ان يكثروا وهم يعجلون فلما نزل اية المن والفداء خيروا بين استعبا
الكفار وعتقهم وفدائهم وقتلهم قوله لولا كتاب من الله سبق نزل حين اسرع المسلمون
الى الغنائم يوم بدر وكانت قبل ذلك لا تحل لاحد بل كان تنزل من السماء نار فتاكلها
اي لولا ان الله احل الغنائم لهذه الامة في اللوح المحفوظ لمسكم فيما اخذتم اي لا
صابكم في اخذكم الفداء منهم عذاب عظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم لو نزل
من السماء عذاب لما نجا احد غير عمر رضي الله عنه لانه لم يترك القتال حين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاصحابه ماترون في هؤلاء الاسارى فقالوا هم بنوا العم والعشيرة نرى
لهم ان تاخذ منهم الفدية فيكون لنا عدة على الكفار وقال عمر رضي الله عنه ارى ان نضرب
عنقهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياخذ الفدية فهددهم الله تعالى بنزول
ذلك فامسكوا عن الغنائم ثم احلها لهم بقوله فكلوا الفاء للتسبيب والسبب محذوف
اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا اي اكلا حلالا مستلذا او هو
نصب على الحال من المفعول المحذوف المغنوم واتقوا الله اي اخشوه فيما امركم به ولا
تعصوه ان الله غفور اي متجاوز عما صدر منكم من اخذ الغنيمة قبل حلها رحيم بكم
اذا حلها لكم او بتوبته عليكم قوله يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اي في ملككم وتصرفكم
واخذتم منهم الفداء من الاسارى اي بيان لمن وفي قراءة الاسرى جمع اسير والاسارى جمع

الجمع

نزل

ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي ان يعلم اعتقاد الايمان والتصديق في قلوبكم
موجودا كما علمه قبل وجوده انه يوجد من تفسير التيسير

نزل حين وضع النبي صلى الله عليه وسلم الفداء على كل واحد من الاسرى اربعين اوقية
من الذهب وكان مع العباس الاسير عشرون اوقية من ذهب حمله يوم ليطعم
المشركين فاخذ منه ولم يحسب من فدائه فكلم العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يجعله من فدائه فابى عليه وقال حملته لتستعين به علينا فلا اتركه لك ووضع
عليه فداه وفدا ابن اخيه عقيل فقال العباس اتترك عمك يتكفف الناس فقال
صلى الله عليه وسلم اين الذهب الذي اعطيته ام الفضل فقلت لها لا ادري
ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله والفضل فقال
العباس من اعلمك بهذا يا ابن اخي قال صلى الله عليه وسلم الله اخبرني فاسلم
العباس وامر ابن اخيه ان يسلم وقال والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد
دفعته اليها في سواد الليل فلم يبق لي ريب في امرك فقال تعالى للنبي عم قل
للاسارى اي للعباس وابن اخيه وغيرهما ان يعلم الله في قلوبكم خيرا
اي صحة نية وخلوص الايمان يؤتكم اي يعطكم خيرا مما اخذ منكم اي افضل منه
وهو الفداء بان يضعفه بكم في الدنيا ويثيبكم عليه في الآخرة ويغفر لكم ذنوبكم
من الشرك والمعاصي التي كانت في الجاهلية والله غفور رحيم بقبول توبتكم
وبهدايتكم للاسلام ثم قال العباس انجز لي الله احد الوعدين وهو ان الله تعالى
اعطاه عشرين عبدا كل واحد منهم يتجر بعشرة آلاف فارجوا ان ينجز الوعد الثاني
وهو المغفرة وثواب الجنة قوله وان يريدوا خيانتك نزل حين منع الاسارى
ما ضمنوا من الفداء ومالوا الى الكفر بعد اسلامهم اي ان عصوا الله وارادوا وانكث ما
بايعوك فقد خانوا الله من قبل اي قبلك بكفرهم فامكن اي امكنك الله واظهرك
عليهم فانتقم منهم يوم بدر حتى اسرتهم وقتلتهم والله عليم بخلقه واعمالهم فيجازيهم
حكيم بان يمكنك لتفعل بهم مثل ما فعلتهم من قبل ثم قال في ترغيب الهجرة من دار الكفر
الى دار الاسلام بعد الايمان وفي احسان المسلمين الى المهاجرين باسكانهم ديارهم
واعطاء فضل طعامهم اياهم كما فعل الانصار بهم ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد عم
وهاجروا من مكة الى المدينة وجاهدوا الكفار باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي
في طاعته ورضاه والذين آووا اي انزلوا ديارهم النبي والمهاجرين ونصروا اي
واعانوهم على عدوهم اولئك اي اهل هذه الصفة بعضهم اولياء بعض في الدين
والنصرة والميراث وكان الانصار والمهاجرون رضي الله عنهم اجمعين يتوارثون
بالهجرة يدل عليه قوله والذين آمنوا في مكة ولم يهاجروا الى المدينة ما لكم من
ولايتهم بكسر الواو وفتحها اي من سلطنتهم وامارتهم من شيء في الميراث يعني لا توارث

ان يعلم الله في قلوبكم خيرا بان يتعلق علم الله بحصول ارادة ايمان واخلاص فيها في رسولك ويوتكم ان اسلمتم خيرا مما اخذ منكم من الفداء ويغفر لكم ما صدر قبل الاسلام عنكم والله غفور رحيم تفسير صفوري

نقض ما عاهدوك عليه

بينكم حتى يهاجروا اليكم وان كانوا اقرباءكم ثم قال وان استنصروكم اي ان طلب المؤمنون الذين لم يهاجروا عن مكة النصر والاعانة في الدين فعليكم النصر اي فيجب عليكم ان تنصروهم على عدوهم من المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد يعني انهم لو قاتلوا قوما بينكم وبينهم ميثاق وحلف فلا تنصروهم على عدوهم لان الميثاق مانع لكم عن القتال فاصلحوا بينهم ونسخ هذا باية السيف والله بما تعملون بصير في النصرة وعدمها فيجازيكم به والذين كفروا بالله ورسوله وهما بعضهم اولياء بعض في الميراث والتواصل فلا توالوهم انتم ولا تواصلوهم بنسبة القرابة والتوارث الا تفعلوه شرط مجزوم بان اي ان لم تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في الميراث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة وما نهيتكم عنه من المواصلة بالكفار بقطع العلائق بينكم وبينهم والتباعد عنهم وبقتالهم تكن اي تحدث فتنة في الارض بقوة الكفر وفساد كبير بضعف الاسلام لان الاسلام اذا لم يصيروا يدا واحدة على اهل الشرك ضعفوا فظهر الشرك وزاد الفساد ثم كرر الاية بقوله والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا اي انزلوا ووطنوا ديارهم المهاجرين ونصروا النبي صلى الله عليه وسلم على عدوه اولئك هم المؤمنون حقا اي هم الكاملون في الايمان لهم مغفرة من ذنوبهم ورزق كريم اي ثواب حسن في الجنة اشارة الى ان بعضهم هاجر قبل الحديبية وبعضهم هاجر بعدها وقيل ليست بتكرار لان الاولى لبيان التواصل بينهم والثانية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم ثم قال والذين امنوا من بعد اي بعد المهاجرين بالهجرة الاولى وهاجروا وجاهدوا معكم في دين الله فاولئك منكم اي على دينكم فلطف الله باللاحقين بالهجرة الثانية بان جعلهم من جملة السابقين في الثواب تفضيلا منهم قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث من المهاجرين والانصار نزل نسخا للتوارث بالاسلام والهجرة لانهم كانوا يتوارثون بالهجرة وبالموالاة التي اوقعها النبي عم بينهم و يتوارثون بالاسلام والهجرة معا فلو كان الرجل اسلم ولم يهاجر فلا يرث اخاه فنسخه الله بذلك وقال ذلك في كتاب الله تعالى اي في اللوح او في حكم الله كما قال كتب الله لاغلبن اي حكم الله والمراد منه ما ذكر في سورة النساء من المواريث وقسمتها ان الله بكل شيء عليم اي بما فرض التوارث اولا واخرا وغير ذلك فاعملوا بما امركم ولا تعصوه سورة التوبة مدنية الا لقد جاءكم رسول الى اخر السورة وانما لم يكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيها فقال بعضهم انها والانفال سورة واحدة وبعضهم قال هما سورتان

سورة التوبة

نعلي

فعلى القول الاول تركت التسمية بينهما وعلى القول الثاني تركت بينهما فرجة روي عن علي رضي الله عنه انها نزلت في المحاربة والسيف ولا امان في السيف والبسملة من الامان وقيل سال ابن عباس عثمان رضي الله عنهما عن ذلك فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه شيء من القرآن يقول ضعوه في موضع كذا فقبض ولم يبين لنا فقرنت بين السورتين لتشابه احديهما بالاخرى في القصة وتركت البسملة لعدم الاذن منه عليه السلام في ذكرها قوله براءة من الله ورسوله نزل حين عاهد النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق المسلمين في المعاهدة باذن الله اولا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا قبل الاجل الا اناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين فامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر بالامان ثم لا عهد لهم فبراءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون مبتدا موصوفا بما بعده والخبر الى معهود اي تبري وقطع لذمتهما من كل مشرك نقض العهد بالمسلمين حاصل الى الذين عاهدتم اي الى من كان له عهد بكم ايها المؤمنون من المشركين ومتى ذلك تعلقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين وهذا اخبار لكل من المسلمين بان المشركين نقضوا عهودهم قبل الاجل واوجب الله تعالى النبذ اليهم لئلا يغفلوا عنهم يعني اعلموا ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم البتة ومنسوخ وكان نزولها في شوال فامر الله ان يامرهم بالسياحة في الارض امنين من قتال اربعة اشهر لينظروا في كيفية الاسلام ويعلموا حقيقته فيؤمنوا بقوله فسيحوا اي فقل لهم سيحوا في الارض اي يسيروا فيها بالامان اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم غير خائفين محرم فيها قتلهم وقتالهم فمن كان عهده اربعة اشهر او اقل يقرر الى ان تمضي هذه المدة ومن كان عهده اكثر منها امروا ان يحطه الى اربعة اشهر ثم لا عهد لهم بعد مضيها بل هو حرب وقتال بالسيف والرمح ومن لا عهد له فاجله انسلاخ الاشهر الحرم فقال مشيرا الى ذلك واعلموا يا ناكثي العهود انكم غير معجزي الله اي كان يوم العيد اي غير فائتين الله باعمالكم بعد الاربعة الاشهر وهي الاشهر المذكورة وقيل اول التاجيل عند الاضحى الى اخر عشر من اول ربيع الاخر وكانت حرما لامنهم فيها وكونها حرما لهم على تغليب ذي الحجة والمحرم على غيرهما وان الله مخزي الكافرين واعلموا ان الله لا تفوتونه وان امهلكم

٧ نقضوا

فدلهم بالقتل في الدنيا وبعذاب النار في الآخرة قيل نزلت البراءة بعد الهجرة الي
المدينة سنة تسع بعد فتح مكة بسنة فتجهز رسول الله صلي الله عليه وسلم
للحج فقالوا له ان المشركين يطوفون بالبيت عراة فبعث ابا بكر ومعه عشر آيات
من هذه السورة ليقرأها علي اهل مكة ثم بعث عليا وامره ان يقرأ هو هذه الآيات
لان جبرائيل قال لا تبلغ رسالاتك الا رجل منك وان يؤذن بمكة ومنى وعرفة
ان قد برئت ذمة الله وذمة رسوله من كل مشرك فلا يطوف بالبيت عريان
فرجع ابو بكر وقال يا رسول الله أنزل في شأني شيء قال لا ولكن كان من عادة
العرب في عقد العهود ونقضها ان لا يتولي ذلك الا سيدهم او رجل من قومه
اقرب اليه نسبا فكن انت علي الموسم حاكما في اعمالهم وعلي ينادي بالآي وقيل لان
ابا بكر كان خفيض الصوت وعليا رضي الله عنه جهوري الصوت فاراد ان يسمعها
جميع الناس بالتأذين النازل من الله قوله وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وهو جملة
معطوفة علي مثلها من براءة من الله ورسوله الآية كالتأكيد في بيانها فارتفاع الا
ذان كارتفاع براءة في الوجهين وقيل الفرق بينهما ان تلك اخبار لثبوت البراءة وهذه
اخبار بوجوب الاعلام لان الاذان بمعني الاعلام اي هذه اعلام حاصل من الله
ورسوله إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ وهو يوم النحر لان معظم افعاله فيه من الطواف
والنحر والحلق والرمي او يوم عرفة لان الوقوف بعرفة معظم افعاله الواجبة لانه اذا
فات فات الحج لا يجبر بدم وقيل الاكبر نفس الحج والاصغر العمرة لنقصان عملها من عمل
الحج وانما علق الاذان بالناس وعلق البراءة بالذين عوهدوا من المشركين لان الاذان
عام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث العهد ومن لم ينكث واما
البراءة فمختصة بالمعاهدين الناكثين قوله أَنَّ اللَّهَ بفتح ان مع اسمها وخبرها نصب
بانه مفعول اذان اي اعلام منهما ان الله بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ بالرفع مبتدأ
خبر محذوف اي ورسوله بريء ايضا لنكثهم عهودهم فلم يبق منا عهد وامان لهم
فلما كان يوم التروية قام ابو بكر رضي الله عنه خطيبا للناس فحدثهم عن مناسكهم
واقام الحج للناس يوم عرفة ثم قام علي كرم الله وجهه يوم النحر عند جمرة العقبة واذن
في الناس بما امر به من الآيات العشر وبان لا يطوف عريان بالبيت وان لا يدخل
الجنة الا مؤمن وان من كان بينه وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم عهد فاذا
اجله الي اربعة اشهر فاذا مضت المدة فلا عهد له ومن لا عهد له فعهده اربعة اشهر
وبان فريق المشركين لا يجتمع مع فريق المسلمين بعد عامهم هذا فقال الناكثون منهم يا علي
ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا فليس العهد بيننا وبينه الا طعن

نقضنا

دفعنا

بالرماح وضرب بالسيوف ثم قال فَإِنْ تُبْتُمْ من الشرك ونكث العهد فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ من الاقامة
عليه وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ اي اعرضتم وابيتم الايمان واقمتم علي الكفر فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
اي غير فائتين من عذابه ثم قال للنبي عم وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وهو القتل
في الدنيا وعذاب النار في الآخرة ثم استثني من قوله براءة الي الذين عاهدتم من المشركين
من لم ينقض العهد بقوله إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وهم بنو كنانة وبنو ضمرة وقيل
من قوله فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ
شَيْئًا من عهودكم وَلَمْ يُظَاهِرُوا اي لم يعاونوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا من المشركين فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ
عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ اي تمام اجلهم وكان قد بقي لبني ضمرة من عهدهم تسعة اشهر
يعني أدوه اليهم كملا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ من نقض العهد والوافين به فَإِذَا انْسَلَخَ
اي خرج الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ التي حرمت دماء المشركين علي المؤمنين فيها وهي الاشهر الاربعة
المؤجلة لهم او هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ اي كسرة العهود
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ اي في الحل والحرم وَخُذُوهُمْ اي اسروهم بشد اليدين وَاحْصُرُوهُمْ
اي احبسوهم في حصونهم ان لم تظفروا بهم او امنعوهم عن البيت الحرام ان يدخلوا فيه
وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ اي ترقبوهم في كل طريق وممر لتاخذوهم وتشدوهم بالوثاق فَإِنْ
تَابُوا من الشرك وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ اي يقروا باقامة الصلوة الواجبة وَآتَوُا الزَّكَاةَ
اي يقروا باداء الزكوة المفروضة فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ اي اتركوهم ولا تقتلوهم فيدخلون
مكة ويتصرفون في البلاد مثلكم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر لهم ما مضي من الذنوب
ويرحمهم باسلامهم وطاعتهم قوله وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ شرط واحد
فاعل فعل محذوف لان ان لا يليها الا الفعل لفظا او تقديرا والدليل علي حذفه
استجارك روي ان رجلا من المشركين قال لعلي رضي الله عنه ان اراد واحد منا
ان يأتي محمدا بعد انقضاء الاجل لسماع كلام او لحاجة من حاجاته ايقتل فقال لا
لقوله تعالي وان احد من المشركين استجارك الآية فالمعني ان جاءك احد من المشركين الذين
امرتم بقتالهم بعد مضي الاشهر الحرم يطلب منك الامان فَأَجِرْهُ اي فامنه وان لم يكن
بينك وبينه ذمة وعهد حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ اي قراءتك بكلام الله فيعلم ما له
وما عليه من الشرائع في الاسلام ثُمَّ أَبْلِغْهُ اي اوصله مَأْمَنَهُ اي دار قومه
وان لم يسلم فان قاتلك بعده فقاتله ذَلِكَ اي ما امرتك به من الاجارة بِأَنَّهُمْ
اي بسبب انهم قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ حكم الله ودينه فلا بد من اعطائهم الامان حتي يسمعوا
ويفهموا الكلام الحق ففيه دليل علي ان حربيا لو دخل دار الاسلام بالامان يكون
آمنا الي ان يرجع الي مأمنه ثم قال مستفهما باستفهام الانكار والتعجب كَيْفَ يَكُونُ

لفظ احد

للمشركين عهد عند الله وعند رسوله اي لا عهد لهم عندهما يعني مستبعد و
مستحيل ان يثبت لهم عهد فلا تطمعوا فيه منهم ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا
في قتلهم الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام عام الحديبية قيل هم بنو كنانة وبنو
ضمرة فانهم لم ينقضوا العهد فتربصوا امرهم باتمام عهدهم فما استقاموا لكم اي
فما داموا علي وفاء العهد بكم فاستقيموا لهم بالوفاء علي التمام ان الله يحب
المتقين دينهم ان ينقضوا العهد ثم كرر الاستفهام لزيادة الاستفهام لثبات
المشركين علي العهد وحذف فعل الاستفهام لكونه معلوما مما قبله فقال كيف وان يظهروا
اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يغلبوا عليكم ويظفروا بكم لا يرقبوا اي لم ينظروا
ولم يحفظوا فيكم الا ولا ذمة اي قرابة ولا عهدا وقيل الا بمعني الاله اي لا يترقبوا الله
ولا عهدا يرضونكم بافواههم كلام مستأنف لبيان حالهم من مخالفة الظاهر
الباطن اي يظهرون لكم الجميل بالسنتهم كالمنافقين وتأبي قلوبهم الايمان و
الطاعة اي ويضمرون في صدورهم الكفر والمعصية ولا يجوز ان يكون حالا لفساد
المعني لانهم بعد ان يظفروا بكم لا يرضونكم اصلا واكثرهم فاسقون بنقض العهد
وغيره وقيد الاكثر لان منهم من وفي به اشتروا اي استبدلوا بآيات الله
اي بالقرآن ثمنا قليلا من حطام الدنيا ونيل الشهوات وذلك ان ابا سفيان
من المشركين كان يطعم الطعام ناقضي العهد منهم ويعطي الاكال الناقة وغيرها ليصد
بذلك الناس عن متابعة النبي م وقيل نزلت الآية في اليهود الذين كتموا صفة
النبي م في كتابهم بشيء من الاكلة يأخذونه من سفلتهم فصدوا الناس عن سبيله
اي عن دين الاسلام انهم ساء ما كانوا يعملون من صدهم الناس عن دين
الله ثم كرر بيانا لنقضهم العهد تأكيدا العداوتهم للمؤمنين بقوله لا يرقبون اي
لا يحفظون في مؤمن الا ولا ذمة اي قرابة ولا عهدا واولئك هم المعتدون
اي المجاوزون الغاية في الظلم بترك اوامر الله ونقض العهد الذي بينهم وبين المؤمنين
يعني لا تغفلوا عنهم فانهم اذا ظفروا بكم لا يرحمونكم لغاية ظلمهم وكفرهم فان تابوا من
الكفر وآمنوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم اي فهم مؤمنون مثلكم
في الدين فلهم ما لكم وعليهم ما عليكم قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء اهل القبلة
ونفصل الآيات اي نبين احكام القرآن لقوم يعلمون انها من عند الله وهو حث
علي تأمل ما فصله من احكام المحافظين علي العهود والناقضين لها كانه قال من تأمل
تفصيل الآيات فهو العالم وان نكثوا ايمانهم اي نقضوا عهودهم التي اظهروها
من بعد عهدهم بكم قبل اجله ورجعوا عن توبتهم وموافاتكم في الدين وطعنوا في

دينكم

دينكم اي عابوا دينكم الاسلام فقاتلوا ائمة الكفر بتحقيف الهمزتين علي الاصل وبه
مع ادخال الف بينهما تخفيفا وبهمزة واحدة بعدها ياء مكسورة بكسرة حقيقية تخفيفا
لاستثقال الهمزتين في كلمة واحدة جمع امام كعماد واعمدة والمراد المتمردون في الشرك
الذين يقولون ان دين محمد ليس بشيء بعد علمهم انه حق والاصل فقاتلوهم ووضع ائمة
الكفر موضع ضميرهم اشعارا بتمردهم وطغيانهم في الكفر بسبب نكثهم العهد في حال الشرك
انهم لا ايمان لهم بفتح الهمزة اي لا عهود لهم حقيقة لانهم لا يوفون بها وبكسر الهمزة اي
لا تصديق لهم في دينكم قيل فيه دليل علي ان الذمي اذا طعن دين الاسلام طعنا
ظاهرا جاز قتله لان العهد قد انعقد علي ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده
وخرج من الذمة وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله ان يمين الكافر لا يكون يمينا لقوله
لا ايمان لمن لا ايمان لهم فلا يوجب الكفارة علي الكافر اذا حنث وقال الشافعي
يكون يمينا بدليل وصفها بالنكث فيوجب الكفارة علي الكافر اذا حنث وهذا
الخلاف انما يظهر اذا اسلم بعد انعقاد اليمين وحنث فيه فالمعني فانهم اذا طعنوا
في دينكم فقاتلوهم لعلهم ينتهون اي لكي ينتهوا عن نقض العهد والكفر ثم حث المؤمنين
علي قتال المشركين قبل فتح مكة بقوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم اي عهودهم
قبل انقضاء اجلها وهموا اي قصدوا باخراج الرسول من مكة بعد المشاورة في
امره بدار الندوة خطاب للذين قعدوا عن المقاتلة والاستفهام تقرير بانتفائها توبيخا
علي تركها وههنا المعني انكم مستقرون علي ما كنتم عليها من عدم المقاتلة بعد ما
لكم لا تقاتلونهم وهم بدؤكم بالقتال اول مرة بنقض العهد لانهم بدؤوا بقتال خزاعة
لمعاونة بني بكر عليهم وخزاعة كانت حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فكانت البداية
منهم في نقض العهد ثم وبخهم علي خوفهم من المشركين الناكثين بقوله اتخشونهم فلا تقاتلونهم
فالله احق اي احري من غيره ان تخشوه بالهيبة في ترك امره فقاتلوا اعداءه
ان كنتم مؤمنين اي مصدقين به وبوعده ثم وعد لهم النصرة تشجيعا لهم عليهم
بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم اي يقتلهم بسببكم ويهزمهم ويخزهم اي ويذلهم
بالاسر والقتل وينصركم عليهم اي علي قريش ويشف صدور قوم مؤمنين وهم
خزاعة طائفة من اليمن جاؤا مكة فاسلموا فلقوا اذا كثيرا من اهل مكة فشكوا الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب اي ويبرئ اداء قلوبهم
ويفرحهم بقتلهم واسرهم ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم من المكاره وقد
حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فدل ذلك علي صحة نبوة رسول الله وصدقه
ويتوب الله علي من يشاء اي علي ناس من مكة وقد اسلم كثير منهم وحسن اسلامهم

والله عليم بعلم ما سيكون كما يعلم ما كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته حكمته
وعلمه قوله ام حسبتم ان تتركوا نزل حين امر الله المؤمنين بقتال المشركين
فشق ذلك على بعضهم فقال تعالى اظننتم ان تتركوا على الايمان ايها المؤمنون
ولم تبتلوا بالامر بالقتال ولما يعلم الله بعلم التميز في الوجود الذين جاهدوا
منكم من الذين لم يجاهدوا وان كان الله عالما بعلم الغيب ايّاه لكنهم لم يستحقوا
الثواب والجنة بذلك العلم ولم يتخذوا من دون الله عطف على جاهدوا
داخل في الصلة ولم يظهر المجاهدون منكم والمخلصون الذين لم يتخذوا من غير
الله ولا رسوله اي ومن غير رسوله ولا المؤمنين ومن غير المؤمنين وليجة اي
بطانة لصفيا بهم بالصداقة والتحاب يفشي به سره من ولج اذا دخل يقال فلانا
الرجل وليجة ودخيلة وقيل الوليجة كل من يتخذه الرجل معتمدا عليه من غير
اهله في حفظ سره والمراد الاصفياء والاولياء يعني ولم يتخذوا بينهم وبين
اهل الكفر صفوة وموددة والله خبير بما تعملون بالتاء من الجهاد والتخلف
والخلوص في الدين ومودة اهل الكفر وغير ذلك من الخير والشر فاخذروا
منه قوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله مفردا وجمعا والمراد بها الكعبة
وجمعت لارادة الجنس الذي يدخل فيه الكعبة او جعل كل شيء منها مسجدا نزل
حين اسر العباس يوم بدر وعيّر المهاجرون بقتال النبي عم وبقطيعة الرحم
واغلظوا له في القول فقال ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له
علي هل لكم شيء من المحاسن فقال مفتخرا في اشراكه انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة
ونحجها ونسقي الحاج ونفك العاني ونقري الضيف فرد الله عليه بقوله ما كان
اي ما جاز للمشركين ان يعمروا المسجد شاهدين حال من واو يعمروا اي حال كونهم يشهدون
على انفسهم بالكفر بنصبهم الاصنام حول المسجد وعبادتهم اياها والمسجد لله وعبادته
وحده اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا وفي النار هم خالدون اي دايمون
في الآخرة انما يعمر مساجد الله من آمن بالله اي بتوحيده ولم يذكر الايمان برسوله
اكتفاء بذكر الايمان بالله لما اشتهران هذا قرين ذلك لا ينفك احدهما عن صاحبه
فكانهما شيء واحد لاشتمال كلمة الشهادة على الايمان بهما واليوم الآخر اي بالبعث
يوم القيمة واقام الصلوة فيها اي يداوم على الصلوات مع الجماعة وآتى الزكوة
اي الصدقة المفروضة عن طيب نفس ولم يخش الا الله اي ولم يترك امر الله تعالى
خشية منه لا من غيره والكافر بالله ممتنع من ذلك كله قيل الكافر اذا اوصى بعمارة
المسجد لا يمتثل فعسى اولئك اي فلعل اهل هذه الصفة ان يكونوا من المهتدين

اي اهل كونهم من الراشدين لدين الله ولهم اجر اعمالهم عند ربهم وفيه قطع لاطماع
المشركين في الانتفاع باعمالهم وتبعيدهم عن الاتصاف بالاهتداء قيل مرفوعا عن الرسول
اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وقال صلى الله عليه وسلم
من بنى لله مسجدا بنى الله كهيئته في الجنة قوله اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام نزل حين تنازع المشركون والمسلمون في سقاية الحاج وعمارة الكعبة
والجهاد ايها افضل ردا للتنازعهم ونفيا للتسوية بينهم بالاستفهام الانكاري والسقاية
مصدر سقي والعمارة مصدر عمر وانما صحت الياء بعد الالف ولم تقلب همزة لاجل التاء
كالبداية من البدء اي اجعلتم اصحاب سقاية الحاج واصحاب عمارة المسجد الحرام
كمن آمن واجعلتم ايمان هولاء كايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد
في سبيل الله اي في دينه لا يستوون في الثواب عند الله اذ لا ثواب مع الكفر
والله لا يهدي اي لا يرشد الى الفلاح والمعرفة القوم الظالمين انفسهم بتكذيبهم
الرسول وما جاء به من الحق اذ الكفر ينافي الهداية ثم استانف الذين آمنوا بالتوحيد
وهاجروا من مكة الى المدينة وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم
درجة عند الله تمييزا اي افضل مرتبة في الجنة من الذين لم يؤمنوا ولم يهاجروا
واولئك هم الفائزون اي المختصون بالفوز والنجاة من النار لا انتم ايها
المشركون يبشرهم اي يفرح المؤمنين الموصوفين بهذه الصفات ربهم برحمة منه
اي بثوابه ورضوان اي وبالرضاء بالثواب الذي اعطاهم وجنات لهم فيها
نعيم مقيم اي تنعم دايم لا ينقطع عنهم خالدين فيها ابدا تاكيد الخلود لئلا يحمل على
المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا يوصف لكثرته قال ابن عباس رضي الله عنه
نزلت الآية في المهاجرين خاصة وكان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان
يهاجر ويترك اقاربه الكفرة فبشرهم الله تعالى بهذه الكرامة السنية قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم الذين بمكة اولياء اي اصفياء
وبطانة ان استحبوا اي اختاروا الكفر على الايمان بالجلوس مع الكفار نزل
فيمن امر بالهجرة بعد الايمان وتثبط اهله وقالوا عنها او نزل في تسعة ارتدوا عن الاسلام
ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم ومن يتولهم منكم بعد نزول هذه
الآية فاولئك هم الظالمون اي الضارون انفسهم بالكفر لان من احب قوما
فهو منهم قال النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب اي في الآخرة وقال ايضا
لا تطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله اي حتى يحب في الله
ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم

اقربائكم

وأزواجكم وعشيرتكم مفردًا وعشيراتكم جمعًا اي قومكم الذين بمكة وأموال اقترفتموها اي اكتسبتموها بمكة وتجارة تخشون اي تخافون كسادها اي عدم نفاقها فتبقي عليكم ومساكن ترضونها اي منازلكم الحسنة العلية تعجبكم الاقامة فيها احب خبر كان اي ان كان هذه الاشياء التي اعتدتم عليها احب اليكم من الله اي من الهجرة الي الله ورسوله بالمدينة وجهاد في سبيله اي الي الغزو في طاعة الله تعالي فتربصوا اي فانتظروا حتي يأتي الله بأمره وهو فتح مكة او الموت ثم البعث وقتال اقربائكم الذين تحبونهم والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الخارجين عن امر الله ورسوله وهذا وعيد شديد لمن يختار لذات الدنيا علي لذات الآخرة قيل قوله وان تكنوا الي هنا نزل قبل فتح مكة في المدينة ثم نزل بعد فتحها لقد نصركم الله في مواطن كثيرة اي في مواقف الحرب ومقاماتها تنبيها لهم علي ان الناصر لهم هو الله لا كثرتهم وقوتهم ودفعا لاعجابهم بكثرتهم وشجاعتهم والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة قوله ويوم حنين عطف علي مواطن بتقدير موطن قبل الظرف اي في موطن يوم حنين او اذكر يوم حنين فيكون عطف جملة علي جملة وهو الاوجه لكون اذ في اذ اعجبتكم كثرتكم بدلا من يوم حنين فلو عطف علي مواطن لعمل فيه نصركم فيكون المعني ان كثرتكم اعجبتكم في مواطن كثيرة وفي يوم حنين والحال ان كثرتكم لم يكن الا يوم حنين وفيه اعجبتم لان النبي عم بعد فتح مكة خرج الي غزو حنين وهو واد بين مكة والطايف في اثني عشر الفا عشرة آلاف وهم الخارجون معه من المدينة الي فتح مكة والفان من اهل مكة لحرب هوازن عليهم مالك بن عوف اميرهم وهم اربعة آلاف وكان فتح مكة في شهر رمضان وخروجه الي حنين في شوال فبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم اليهم عينا فاتي حنينا فسمع من امير القوم يقول لاصحابه انتم اليوم من اربعة الاف فاذا القيتم العدو فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا جفون سيوفكم والله عليهم فوالله لا تضربون باربعة الاف سيف شيئا الا افرجكم فاقبل العين الي النبي عم فاخبره بمقالة اميرهم فقال رجل من المسلمين فوالله يا نبي الله لن نغلب اليوم عن قلة فاوصل العين بعسكر النبي عم فساء رسول الله صلي الله عليه وسلم كلمته لانها كلمة الاعجاب بالكثرة ودل عنه ان الله هو الناصر في الكثرة فلما التقي الجمعان واقتتلوا قتالا شديدا انهزم المسلمون ولم يبق مع النبي صلي الله عليه وسلم سوي العباس وابو سفيان واول من انهزم من الناس اهل مكة وثبت رسول الله صلي الله عليه وسلم

حنين

عل

حمله

علي بغلته البيضاء والتفت عن يمينه وعن يساره يقول يا انصار الله وانصار رسوله انا عبد الله ورسوله بايرا ليوم ثم تقدم بحربته امام الناس وروي انه عم كان يحمل علي الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف فعل ذلك بهم بضع عشرة مرة قال العباس رضي الله عنه كنت اكف بغلته لئلا تسرع به نحو المشركين وابو سفيان ابن عمه اخذ بركابه فقال النبي عم يا عباس نادي اصحاب الشجرة وكان صيتا فناداهم نخذ نخذ يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة الي الي فعطفوا عليه عطف البقر علي اولادها يقولون لبيك لبيك فامدهم الله بخمسة الاف من الملائكة وعليهم البياض علي خيول بلق فاقتتلوا فقال عم الآن حمي الوطيس وهو التنور ثم اخذ كفا من تراب ورمي المشركين ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا وكان النبي عم يركض خلفهم ببغلته واخذ المسلمون اموالهم وهو الذي يسمي يوم اوطاس فاخبر الله تعالي ان الغلبة ليست بكثرتكم ولكن بنصر الله وعونه بقوله فلم تغن كثرتكم عنكم اي عن قضاء الله النازل بكم شيئا وضاقت عليكم الارض من الرعب بما رحبت اي مع رحبها وهو سعة الارض والجار والمجرور في موضع الحال يعني ملتبسة برحبها والمعني انكم لا تجدون موضعا تلتجئون اليه من شدة خوفكم ثم وليتم اي رجعتم مدبرين اي منهزمين ثم انزل الله سكينته اي طمانيته وهي التي تسكن القلوب بها من رحمته علي رسوله وعلي المؤمنين وانزل من السماء جنودا لم تروها يعني الملائكة قيل كانوا ثمانية آلاف وستة عشر الفا وعذب الذين كفروا وهم اهل هوازن بايدي المؤمنين وذلك اي العذاب من القتل والاسر والنهب جزاء الكافرين بالله ورسوله في الدنيا وفي الاخرة نار جهنم ثم يتوب الله من بعد ذلك اي بعد قتلهم وسبيهم وهزمهم علي من يشاء والله غفور لما سلف من الشرك والمعاصي رحيم بالتوبة والاسلام قيل لما انهزم مالك بن عوف سار مع ثلثة الاف الي منزله فندم من شركه فارسل الي النبي عم اني اريد ان اسلم فما يعطيني فقال عم اني اعطيك مائة من الابل ورعاتها فجاء واسلم فاقام يومين او ثلثة فلما راي المسلمين وزهدهم واجتهادهم رق قلبه لذلك فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم يا ابن عوف الا نفي بما وعدناك من الشرط فقال يا رسول الله امثلي ياخذ علي الاسلام شيئا فكان مالك بن عوف بعد ذلك ممن فتح بلاد الشام واسلم اهلها علي يده ثم نزل منع المشركين عن دخول الحرم قوله تعالي يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس اي ذو نجس بفتح الجيم والتخفيف فيه مبالغة الي قدر شركهم وترك غسل الجنابة وعدم تحاميهم عن النجاسة او جعلوا كانهم

نجس بعينه مبالغة في وصفهم بالنجاسة الحكمية العينية ولا لما طهر الاسلام وقال
ابن عباس رضي الله عنه ان اعيانهم نجسة كالكلب والخنزير ولذلك قيل من صافحهم
فليتوضأ ويمكن ان يقال ان الاسلام لا يطهر المطبوعين ويطهر الجاهلين بحقيقة
الامر فلا يقربوا المسجد الحرام من قرب بكسر الراء وفتحها اذا دني وفتحها اذا زاد
في الدنو اي لا يدخل الحرم او لا يعتمروا ولا يحجوا كما كانوا يفعلون في الجاهلية لانهم
انجاس بعد عامهم هذا اي بعد حج هذا العام وهو سنة تسع من الهجرة وبه استدل
الشافعي رحمه الله علي وجوب منع المشركين من دخول الحرم خاصة وعند مالك يمنعون منه
ومن غيره من المساجد وقال ابو حنيفة رحمه الله يجوز للذمي ان يدخل جميع المساجد لان
الكفار كانوا يدخلون مسجد المدينة اذا قدموا وافدين من قومهم فعنده الاية
نزلت في شان اهل الحرب اي لا يدخلون بغير امان ولا عهد ولا ذمة يعني يمنعون
من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ولما منع المشركون من دخول المسجد خاف
المسلمون الفقر لانقطاع الميرة عنهم ولان تجار المشركين قالوا لهم من اين تاكلون
اذا فعلتم هذا فوسوس اليهم الشيطان فحزنوا فنزل وان خفتم عيلة اي فقرا فسوف
يغنيكم الله من فضله اي من عطائه او من تفضله بوجه آخر ان شاء اذ لا مكره
له علي ما يشاء ففرحوا بذلك وقيل اسلم اهل جدة وصنعاء فحملوا الطعام الي مكة من
البر والبحر وقيل امرهم الله بقتال اهل الكتاب فاغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد
واخذ الغنائم ان الله عليم باحوال خلقه حكيم في امره لا يعطي ولا يمنع الا لحكمة
قوله تعالى وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي بالبعث بعد الموت
نزل في قتال اهل الكتاب من اليهود والنصاري الذين لا يعملون بما في كتابهم ولا
يحرمون ما حرم الله ورسوله في التورية والانجيل والقران ولا يدينون اي
لا يعتقدون ولا يقرون دين الحق اي الاسلام الذي هو دين الله بشهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله من الذين اوتوا اي اعطوا الكتاب
بيان للذين لا يؤمنون قيل اهل الكتاب يقرون بالله لكنهم قايلون بان له ولدا
ويقرون بالبعث لكنهم لا يقرون بنعيم الجنة بالاكل والشرب والجماع ويقرون
بالدين ولا يقرون بدين الحق الذي امرهم به فجعلوا كانهم لا يؤمنون اصلا فامر الله
بقتالهم حتي يعطوا الجزية وهي الخراج المجعول عليهم من جزي اذا قضي وسمي جزية
لانه مال معلوم ضرب علي اهل الذمة لان يقضوه بدل قتلهم كل سنة عن يد اي
عن قهر من الآخذ وعن يد الي يد نقدا لا نسية من المعطي ولا عن يد غيره باذنه
وبعثه بها او عن الانعام عليهم ببذل ارواحهم لهم وهم صاغرون اي ذليلون

بقهر من الآخذ قاعد وقيل ياخذها وتوطأ عنقه ويؤخذ في آخر الحول من الفقير المعتمل
دينار وعلي المتوسط ديناران وعلي الغني اربعة دينار وقيل اقل ما يؤخذ دينار و
اكثره ما وقع التراضي عليه وهذا عند الشافعي رحمه الله وقال يؤخذ في اول سنة من
الفقير الكاسب اثني عشر درهما ومن المتوسط ضعفها ومن الغني ضعف الضعف
ثمانية واربعون ولا يسقط لو مات او اسلم بعد الحول وفي اثناء الحول قولان
للشافعي رحمه ويسقط عند ابي حنيفة رحمه الله بالاسلام والموت وقالت
اليهود عزير ابن الله بالتنوين لكونها منصرفا عند البعض وهو اسم عربي مصغر
ومكبره عزر ساكن الوسط منصرف وبغير التنوين لكونه غير منصرف عند البعض جعله
اسما اعجميا فلم ينصرف للعجمة والتعريف وهو عربي حذف تنوينه لالتقاء الساكنين
التنوين والباء من ابن وهو مبتدأ خبره ابن ويجوز ان يجعل ابن صفته والخبر محذوف
اي عزير الذي هو ابن الله معبودنا وقالت النصاري المسيح ابن الله اي عيسي
او المسيح الذي هو ابن الله معبودنا نزل بيانا لافراط كفر الفريقين من اهل الكتاب
وتعديهما بنسبة الولد اليه تعالي الله عنه علوا كبيرا قيل سبب قول اليهود
ان عزير ابن الله انهم لما قتلوا الانبياء جاء بخت النصر وخرب بيت المقدس واحرق
التورية فحزنوا علي فوات التورية فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل
فقال له الي اين تذهب فقال اطلب العلم فحفظه التورية فجاء الي اليهود فامله
عليهم عزير عن ظهر القلب فتعلموها فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام
الا وانه ابن الله وسبب قول النصاري ان المسيح ابن الله انهم لما راوه يبرئ الاكمه
والابرص ويحيي الموتي باذن الله تعالي فقالوا لم يكن يفعل هذا الا وهو ابن الله تعالي
فافرط كل فريق في حب صاحبه فقالوا فيه ما قالوا حتي كفروا بربهم ولما لم يكن لقولهم هذا
برهان ولا تاثير في القلوب فهو لفظ مهمل من الالفاظ المهملة ليس تحته معني صحيح يقبله
العقل بالبرهان قال الله تعالي ذلك اي تكلمهم بنسبة الولد اليه قولهم بافواههم
اي مقولهم بالسنتهم فحسب لا معني له يؤثر في القلوب يضاهؤن بكسر الهاء وضم
الهمزة وبضم الهاء من غير همز من ضاهات وضاهيت بمعني شابهت اي يشابه قولهم
يوافق بتقدير القول قول الذين كفروا من قبل يعني يشابه قول اليهود والنصاري
الذين في زمانك في كفرهم قول المشركين الذين كانوا قبلك الملائكة بنات الله يشير الي
انه كفر قديم منهم غير مستحدث ثم دعا عليهم فقال قاتلهم الله اي لعنهم الله اني يؤفكون
اي كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان وهو توحيد الله اتخذوا اي اتخذ كل
اهل الكتاب احبارهم اي علماءهم من اليهود ورهبانهم اي اصحاب الصوامع المتعبدين

من النصارى اربابا اي كالارباب الذين يتبعهم المربوبون من دون الله لطاعتهم
اياهم في معصية الله وتحريم ما حرموه وتحليل ما حللوه دون الله تعالى قوله والمسيح
ابن مريم بالنصب عطف على احبارهم اي اتخذوه ربا من دون الله وما امروا اي
والحال انهم لم يؤمروا في جميع الكتب او لم يأمرهم عيسى عم الا ليعبدوا اي ليوحدوا الها
واحدا لا اله الا هو اي لا معبود غيره فينبغي لهم ان يعبدوه دون غيره ثم نزه نفسه تعالى
بقوله سبحانه عما يشركون اي هو منزه عن شركهم يريدون اي اهل الكتابين ان يطفئوا
اي يبطلوا او يغيروا نور الله اي القرآن او دينه بافواههم اي بالسنتهم تكذيبا واشراكا
ويأبى الله اي ولم يرد فيكون فيه معنى النفي ولذا جاز استثناؤه الا ان يتم نوره اي ان يظهر
القرآن والعمل به او يتم نعمة الاسلام ولو كره الكافرون اظهاره واتمامه هو الذي
ارسل رسوله بالهدى اي بالقرآن وما فيه من التوحيد والاحكام ودين الحق اي
الاسلام ليظهره اي دين الحق وهو دين محمد صلى الله عليه وسلم بالبراهين على الدين
كله اي جميع الاديان او بنصر محمد واصحابه رضي الله عنهم اجمعين وقهر اعدائه وقذف
الرعب في قلوب الكفار او يظهره بعد نزول عيسى عم وظهور المهدي فلا يبقى امة
الا دخلت في دين الاسلام ولو كره المشركون اظهار دين الاسلام عن جميع الاديان
يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار اي علماء اليهود والرهبان اي زهاد
ليأكلون اي ليأخذون اموال الناس بالباطل اي بغير الحق قيل انهم كانوا يأخذون الرشى
في الحكم والمسامحة في الشرائع ويصدون اي يصرفون الناس عن سبيل الله اي
عن دينه نزل بيانا لحالهم للمسلمين لكي يمتنعوا عن مثل صنعهم قوله تعالى والذين يكنزون
مبتدأ اي يجمعون ويدخرون الذهب والفضة وخصا بالذكر لفضلهما على سائر الاموال
من حيث انهما اصل التمول واثمان الاشياء ولان ذكرهما الكنز دليل على ثبوت
ما سواهما عند الكانز غالبا ولا ينفقونها اي الكنوز او الاموال صرفا للفظ الى المعنى او النقد
ولا ينفقون الفضة والذهب فيكون من قبيل الاكتفاء يعني لا يردون حقها في سبيل
الله والخير فبشرهم بعذاب اليم قيل كل مال تؤدى زكوته فليس بكنز وان كان في بطن الارض
وكل مال لا تؤدى زكوته فهو كنز وان كان على وجه الارض واصل الكنز الجمع وجعل الشيء
بعضه فوق بعض وكان الواجب في ابتداء الاسلام اخراج الفضل على قدر الحاجة
ثم نسخ باية الزكوة قيل يحتمل ان يكون هذا نعت الاحبار والرهبان ليدل على
اجتماع الوصفين المذمومين فيهم اخذ الرشوة وكنز المال من غير اخراج حق الله تعالى
في سبيله وان يكون المراد به المسلمين الذين لا يؤتون الزكوة فقرنهم مع المرتشين من اليهود
والنصارى في الذكر تغليظا لصالحيهم ودلالة على انهم من الفريقين في استحقاق البشارة

بالعذاب الاليم قوله يوم يحمى نصب بفعل مقدر اي اذكر يوم توقد النار عليها اي على الا
موال يشير الى ان الاحماء للنار حذفت النار واقيمت كلمة عليها مقامها اللفاعلية وهذا
من قبيل رفع الى الامير مكان رفعت القصة الى الامير بحذف القصة واسناد
الفعل الى الجار والمجرور فلذلك ذكر الفعل بطرح التاء منه المعنى ان النار تحمى على الكنوز
في نار جهنم فتكوى اي تحرق كيا بها اي بالاموال جباههم وجنوبهم وظهورهم اي
ظهور كانزيها وخصت الجباه والجنوب والظهور بالذكر لان صاحب المال قبض
وجهه وجبهته اذا راى الفقير او المسكين وولاه ظهره واعرض عنه بجنبه ويقال
لهم هذا ما التي كنزتم اي جمعتم لانفسكم فذوقوا ما الذي اي تكنزون اي عذابه
قال ابن مسعود رضي الله عنه والذي لا اله غيره لا يوضع درهم على درهم في عذاب
رجل يكنز ولا دينار على دينار بل يوسع جلده حتى يوضع كل دراهم على حدة وكل
دينار على حدة روي ان رجلا مات من اهل الصفة فوجد له في مئزره دينار
فقال عم كية ومات آخر فوجد ديناران في مئزره فقال عم كيتان وحمل هذا على
الوقت الذي كان الواجب عليه ان ينفق الفضل قبل ان يفرض الزكوة قوله تعالى
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا انزل لبيان عدد الشهور التي وجب الز
فيها على المسلمين ليقع صيامهم وحجهم وعيدهم على هذا العدد يعني بالاهلة على منازل
القمر في الشتاء ومرة في الصيف لا على حساب دوران الشمس وقيل كانت العرب
تنسئ الشهور فربما وقع الحج في رمضان والقتال في الشهر الحرام او ربما جعلوا السنة ثلثة
عشر شهرا او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت فقال تعالى ان عدة الشهور المعتد بها للسنة
بلا زيادة ونقصان اثنا عشر شهرا في كتاب الله اي في اللوح المحفوظ او في حكم الله
وهو في محل الرفع صفة لاثني عشر قوله تعالى يوم خلق السموات والارض يتعلق بكتاب
الله تعالى يعني كتبها عليكم يوم خلقها ولذلك قال عم في حج الوداع الا ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم
ثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب وسميت بالحرم لتحريم
القتال فيها فعادت الشهور الاول وضعها وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء اي التأخير
ذلك اي تحريم الاشهر الحرم الدين القيم اي المستقيم وهو دين ابراهيم عم فكانت العرب
على ذلك الدين الى ان غيره قبيلة كنانة بالنسيء ثم قال تعظيما لامر الاشهر الحرم فلا
تظلموا فيهن اي في الاشهر الحرم بجعلها حلالا انفسكم لان القتال فيها اعظم وزرا ثم
نسخ وصار مباحا بقوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا في الشهر
الحرام قيل غير منسوخ ومعناه ان الغزو حرام وافتتحها بعد مضيه واعلموا ان الله

مع المتقين اي المطيعين الخائفين منه بالنصرة انما النسيء بالياء المشددة واصله فعيل
من النساء وهو التاخير قلبت الهمزة ياء وادغمت في الياء وبالمد والهمزة واسكان الياء
على الاصل اي تأخير الشهر المحرم الى شهر آخر زيادة في الكفر لان معصية الكافر يزيده كفرا و
كان رجل كناني من العرب في الجاهلية وهو واهله كانوا اصحاب حروب وغارات
فيشق عليهم ترك المحاربة اذا جاء الشهر الحرام فيحلون الشهر المحرم من الشهور الاربعة
ويحرمون مكانه شهرا آخر فاذا ارادوا ان يغيروا اقام الكناني خطب الناس يوما
في منا وقال اني قد احللت لكم المحرم وحرمت صفر مكانه فقاتل الناس في المحرم
في العام الثاني قد احللت صفر وحرمت المحرم فقال تعالى يضل به معلوما من اضل
اي يضل بالنسيء والفاعل الذين كفروا اي الكافرون الناس الذين اتبعوهم و
جهولا اي عملهم بضلهم بالنسيء يحلونه اي النسيء عاما ويحرمونه عاما المعنى انهم
لم يحلوا شهرا للقتال من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه من الحلال ليواطئوا اي
ليوافقوا عدة اي عدد ما حرم الله من الاشهر الحرم وهي الاربعة فيحلوا القتال
في الاشهر الحرم بتحليلهم ما حرم الله فيها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين
زين لهم جهولا سوء اعمالهم اي قبيحها بتزيين الشيطان والله لا يهدي
القوم الكافرين اي لا يرشدهم بلطفه الى دين الحق مجازاة لاعراضهم عن الحق
وكفرهم به قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا اي اخرجوا
في سبيل الله اي في جهاده والعامل في اذا معنى الفعل في ما لكم اي ما تصنعون
اذا قيل لكم او ما دل عليه اثاقلتم اي تثاقلتم بمعنى قعدتم ولم تخرجوا او ملتم
الى الارض اي الى الدنيا وشهواتها وتركتم الجهاد نزل حين امر النبي عم الخروج الى
غزوة تبوك وكان في ايام الصيف وشدة حر وعسرة المسلمين وكثرة العدو وكانوا
يتثاقلون عن الخروج فعاتبهم الله تعالى وقال ما تصنعون اذا قيل لكم اخرجوا في
الجهاد تباطأتم ارضيتم باستفهام التوبيخ بالحيوة الدنيا ولذاتها من الآخرة
اي بدل الآخرة ونعيمها ثم قال تعالى لبيان عدم نسبة بين الدنيا والآخرة فما
متاع الحيوة الدنيا اي منفعتها في الآخرة اي بجنب منفعتها الا قليل اي الا
متاع يسير عند متاع اولياء الله في الجنة ثم قال مهددا لهم الا تنفروا اي ان لم
تخرجوا الى الغزو بعد الامر يعذبكم الله عذابا اليما بحبس المطر عنكم في الدنيا
وبالنار في الآخرة او يهلككم ويستبدل قوما غيركم خيرا واطوع له وللرسول
منكم ولا تضروه اي الله او رسوله بترك الجهاد شيئا من ملكه بالنقص فان
الله وعده العصمة من الناس والنصرة له ووعد الله كائن لا خلف فيه والله

على

220

على كل شيء قدير من اهلاككم والاستبدال بكم قوما غيركم الا تنصروه اي ان لا تنصروا
رسوله ولم تخرجوا معه الى غزوة تبوك فقد نصره الله اي فقد ينصره كما نصره ولم
يكن معه الا رجل واحد اذ اخرجه الذين كفروا اي كفار مكة ثاني اثنين بنصب
الياء حال من مفعول اخرج اي حال كون الرسول احد اثنين وهما النبي عم وابو بكر
يعني ان الله نصرهما ولم يكن معهما غيرهما اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه والغار
ثقب في جبل ثور قوله تعالى اذ يقول لصاحبه اي لابي بكر بدل ثاني من اذ اخرج
فبعدما دخلا في الغار نسجت على فمها العنكبوت وباضت في اسفلها حمامتان
وذلك حين قصد اهل مكة ليقتل النبي عم فهاجر من مكة الى مدينة فجاء الى بيت
ابي بكر فقال ما لك بابي انت وامي فقال عم ما ادري قريشا الا قاصدين بقتلي فقال
ابو بكر دمي دون دمك ونفسي دون نفسك فقال اذن لي بالخروج فقال
ابو بكر ان عندي بعيران فخذ احدهما واركبه فقال لا آخذه الا بالثمن فاخذ
بالثمن وهي ناقة القصوى فركبا واتيا الى الغار باسفل مكة وقيل اتيا اليه بالمشي
فمشى رسول الله ليلته على اطراف اصابعه حتى خفيت في ذلك ابو بكر فحمله
على عاتقه واتى به فم الغار فانزله فدخله ابو بكر رضي الله عنه وفتشه فلم ير
شيئا مكروها فحمله وادخله وكان في الغار نقب فيه حيات فخشي ابو بكر ان يخرج
منه شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع قدمه على النقب فجعلن
يضربنه ويلسعنه وجعلت دموعه تتحدر على خده من المه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا وقيل جاء
المشركون فطلعوا فوق الغار فابصرهم ابو بكر وخاف على نفس رسول الله فقال يا
رسول الله ان تهلك تذهب هذا الدين فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما لكن
ان الله معنا بالرعاية والحفظ فانزل الله سكينته اي طمانينته عليه اي على ابي بكر
وايده اي قوى النبي عم بجنود لم تروها اي ايها المؤمنون وهم الملائكة الذين صرفوا الكفار
عن رؤيتهما في الغار وفي يوم بدر ويوم حنين ويوم الاحزاب فهو ناصره وعاصمه في
كل خوف وجعل كلمة الذين كفروا وهي دعوتهم الى الكفر وارادة قتلهم النبي عم السفلى
اي المنخفضة المغلوبة وكلمة الله بالرفع مبتدا وخبره هي العليا اي الغالبة وهي
دعوته الى الايمان والاسلام او شهادة ان لا اله الا الله والله عزيز باطفاء كلمة
المشركين وبالانتقام منهم حكيم باعلاء كلمة الله ودفع ظلمة الشرك بنور التوحيد ثم اكد
امر القتال بقوله انفروا خفافا وثقالا اي اخرجوا في سبيل الله صحاحا ومراضا او
شبانا وشيوخا او ركبانا ومشاة او خفافا من السلاح وثقالا منه او فقراء واغنياء

ثاني من اذ اخرج

اثنين

يعني لا تهنوا عن الغزو وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله اي في دينه و
طاعته ذلكم اي الجهاد في سبيله خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون اي تصدقون
بان للخروج اليه ثوابا وللجلوس عنه عقابا قيل نسخت هذه الاية بقوله ليس على
الضعفاء الاية وقيل لا تنسخ لانه اذا وقع النفير عاما يكون فرضا عاما واذا لم يقع عاما فبخروج
البعض يسقط عن الباقين ثم قال تعالى للنبي ع م في شان المنافقين لو كان اي الذي تدعوهم
اليه لعلة الجهاد عرضا قريبا اي غنيمة سهلة المنال والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا وسفرا
قاصدا اي وسطا سهلا لاتبعوك ولم يتخلفوا عنك ولكن بعدت عليهم الشقة
بضم الشين اي المسافة الشاقة التي يقصد وبها في السفر وسيحلفون اي المتخلفون بالقعود
عن الجهاد بالله يقولون لو استطعنا اي لو قدرنا بسعة المال والزاد لخرجنا معكم وهو
ساد مسد جوابي القسم ولو يهلكون انفسهم بحلفهم الكاذب حال من فاعل سيحلفون
والله يعلم انهم لكاذبون في حلفهم لان لهم سعة للخروج ولكنهم لم يريدوه قوله تعالى عفا
الله عنك نزل حين استأذن بعض من المنافقين رسول الله ان يتخلفوا عن الخروج
الى غزوة تبوك ولم يكن لهم عذر فاذن لهم به فقال تعالى مقدما العفو على العقاب تطييبا
لقلبه ع م محا الله عنك ذنوبك او ادام لك العفو بتسليم القلب لم اذنت لهم بالتخلف
هلا اخرتهم حتى يتبين اي يظهر لك الذين صدقوا من عذرهم وحلفهم وتعلم الكاذبين
فيهما وحتى متعلق بالمحذوف وهو اخرتهم ولا يجوز تعلقه باذنت لانه يلزم ان يكون اذن لهم
الى غاية التبيين والعلم وهو فاسد وانما عاتبه مع اعتذارهم اليه ع م لانه كان عليه ان
يتفحص عن كنه مقالهم فقصر واغمض ذلك وعجل بالقبول ثم بين له علامة الصادقين منهم
والكاذبين بقوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر في السر والعلانية
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم لاجل التخلف عنك والله عليم بالمتقين اي بالمؤمنين
المطيعين فيجازيهم باجزل الثواب انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم
الاخر يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلثين رجلا شرا دون علة بينة وارتابت اي
شكت قلوبهم في ايمانهم فهم في ريبهم اي في شكهم ونفاقهم يترددون يتحيرون يعني الا
ستيذان للتخلف عن الجهاد صفة المنافقين وعادتهم ولو ارادوا الخروج اي
الجهاد معك لاعدوا له اي لهيؤوا للجهاد عدة من السلاح والزاد والكراع لانفسهم فتركهم
العدة دليل على ارادتهم التخلف المؤذن بالنفاق قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم
عطف على مقدر وهو ما خرجوا بارادتهم في الحقيقة ولكن كره الله خروجهم لسوء نيتهم وخبث
نفوسهم فثبطهم اي كسلهم ومنعهم عن الخروج لكون خروجهم مفسدة وقيل اي قال لهم
الشيطان بوسوسته او القول اذن الرسول ع م والقاء الله في قلوبهم ذلك وقال بعضهم

بينهما

لبعض

اجتزؤا

لبعض اقعدوا مع القاعدين اي النساء والمرضى والاطفال وهو ذم لهم وتعجيز عن عمل
الرجال والالحاق بالنساء والضعفاء للجبن ولو خرجوا فيكم اي معكم الى الجهاد ما زا
دوكم الا خبالا اي فسادا اخبار عن المنافقين بانهم لا ينفعونكم على تقدير خروجهم
معكم بل يضرونكم بافساد ذات البين وايقاع الجبن بين المسلمين بتهويل الامر ولا وضعوا
اي ولاسرعوا خلالكم اي بينكم بنصب على الظرف يعني ليسعوا بالنمائم مسرعين بينكم يبغونكم
اي يلتمسون لكم الفتنة اي ما يفتنكم من التربص يعني يطلبون هزيمتكم ووقوعكم في الشر
والجملة حال من ضمير اوضعوا وفيكم سماعون لهم اي وفي عسكركم جواسيس للمنافقين
يسمعون كلامكم وينقلون لهم ويطيعونهم والله عليم بالظالمين انفسهم بالنفاق
فيجازيهم بظلمهم لقد ابتغوا الفتنة اي طلبوا اللعنة واظهار الشرك والسعي في تشتيت
شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف باتباعه عنك
من قبل اي من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور اي الحيل ودوروا الاراء في
ابطال امرك ودبروا لاهلاكك بحيل من كل وجه حتى جاء الحق اي نصر الله و
تاييده لك وكثر المسلمون وظهر امر الله اي علا دينه وغلب وهو الاسلام وهم
كارهون ذلك ومنهم اي ومن المنافقين من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني
اي لا توقعني في الفتنة بعدم اذنك في القعود نزل في شان الجد بن قيس حين حثه
النبي ع م على الخروج الى الغزو ببنات الاصفر وكان الاصفر رجلا من اليمن ملك ناحية من
الروم فتزوج رومية فولدت له بنات اجتمع فيهن سواد الحبش وبياض الروم
وكن فتنة فقال الجد قد علمت الانصار اني حريص على النساء فاخشى ان لا اصبر
عنهن واضع يدي على الحرام فلا تفتني بهن ولكن اعينك بمال فاتركني فاذن له ع م
في القعود فقال تعالى الا في الفتنة اي اعلموا انهم في الاثم والنفاق سقطوا اي
وقعوا بالتخلف وان جهنم لمحيطة اي انها لتحيط بالكافرين يوم القيمة وهم
الجد بن قيس ومن تابعه في التخلف لكون اسباب الاحاطة معهم لا تنفك منهم
ثم بين حالهم التي من اثر النفاق بقوله ان تصبك حسنة اي غنيمة ونصرة بعد
تخلفهم تسؤهم اي تحزنهم تلك الحسنة وان تصبك مصيبة في بعض الغزوات
اي شدة و [illegible] هزيمة يقولوا قد اخذنا امرنا الذي نحن فيه من
الحذر بالتيقظ [illegible] والعمل بالحزم في الانحراف من قبل اي قبل هذه
المصيبة ويتولوا اي ويرجعون الى اهاليهم بالتحدث بذلك وهم فرحون
بحالهم في الانحراف عنك او بما اصابك من الشدة نحو ما جرى في احد قل يا محمد
لن يصيبنا اي لن يصل الينا الا ما كتب الله اي ما قدره واوجبه في كتابه

لنا واختصصنا بايجابه وابانته من النصرة عليكم او من الشهادة هو مولنا
اي الله الذي يتولانا بالنصرة والحفظ وغير ذلك وعلى الله فليتوكل المتوكلون
اي يثق عليه كل من آمن به لا على غيره فان ذلك حق المؤمنين فليفعلوا ما هو حقهم
قل هل تربصون اي ما تنتظرون انتم بنا الا احدى الحسنيين اي العاقبتين
الحميدتين وهي نصرة مع الغنيمة او الشهادة مع المغفرة ونحن نتربص بكم احدى
العاقبتين الذميمتين وهي ان يصيبكم الله بعذاب اليم من عنده هو الصواعق
والموت او بعذاب نزل عليكم بايدينا وهو قتلنا اياكم بكفركم فتربصوا بنا ما ذكرنا
من صواعقنا انا معكم متربصون بعواقبكم فلا بد ان يلقى بذلك نحن وانتم لا نتجاوز
عنه قل يا محمد للجد بن قيس ومن مثله من المنافقين انفقوا في سبيل الله ووجوه
البر امر جعل بمعنى الخبر والشرط لدلالة الكلام مع افادة معنى التسوية اي ان انفقتم فيه
طوعا اي طائعين من غير الزام من النبي عم ولا من رغبة فيه او كرها اي مكرهين
لن يتقبل منكم نفقاتكم عند الله تعالى لا ثواب لها في الآخرة ويجوز ان يراد بنفي التقبل
رده عليهم انكم كنتم قوما فاسقين بتخلفكم عن الجهاد في سبيل الله ثم بين سبب
عدم قبولها بقوله وما منعهم ان تقبل منهم بالياء والتاء وان تقبل نصب بدل من
هم في منعهم نفقاتهم رفع بتقبل مجهولا اي ما منع قبول نفقاتهم الا انهم كفروا في محل الرفع
فاعل منع اي الا كفرهم بالله وبرسوله في السر وهو عالم به ولا يأتون اي لا يعملون
الصلوة الا وهم كسالى جمع كاسل من الكسل وهو التثاقل اي الا متثاقلين ولو اضطروا
الى اتيانها لانهم لا يرونها فرضا عليهم ولا ينفقون في الجهاد الا وهم كارهون على النفقة
فيه لعدم احتسابهم في الآخرة يعني انهم لا يرجون ثوابا منها فيها ثم هدد النبي عم من
الميل الى الدنيا بقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم اي لا تستحسن منهم كثرتهما
فتميل اليهم بها واصل الاعجاب السرور بالشيء مع الرضاء به انما يريد الله ليعذبهم بها
اي بسبب الاموال والاولاد في الحيوة الدنيا وتعذيبهم فيها امرهم ان يخرجوا الزكوة
منها وان ينفقوا على كره في سبيل الله وان يميت اولادهم بين ايديهم وتزهق
انفسهم ان يخرج ارواحهم وهم كافرون عند الموت فيعذبهم في الآخرة بالنار والمراد
الاستدراج بالنعم الى ان يموتوا وهم كافرون غافلون بالتمتع عن النظر للعاقبة
ويحلفون بالله انهم لمنكم اي على دينكم الاسلام في السر كما في العلانية وما هم منكم
اي ليسوا على دينكم في السر وهم كاذبون في حلفهم ولكنهم قوم يفرقون من الفرق
وهو الخوف اي يخافون القتل والسبي فيتظاهرون بالاسلام ولذلك استروا النفاق
لو يجدون ملجأ اي ما يلتجأ اليه عند خوفهم او مغارات جمع مغارة وهي كالغار في

ولكنهم

الجبل

الجبل واصلها ما يغاب فيه او مدخلا اي موضعا يدخلونه بضم الميم وتشديد الدال مدخلا
مفتعل من الدخول وهو التسرب في الارض لولوا اي لانصرفوا وذهبوا عنك اليه
وتركوك منفردا وهم يجمحون اي يسرعون في المشي اليه لا يردهم شيء من قولهم هذا
فرس جموح اذا لم يرده اللجام في عدوه قوله تعالى ومنهم من يلمزك بضم الميم وكسرها
من لمز اذا عاب اي يعيبك ويطعن عليك في الصدقات نزل فيمن طعن النبي عم
في قسمة الصدقات والغنائم فقال اعدل يا رسول الله وهو ابن ذي الخويصرة التميمي
رأس الخوارج فقال عم ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقال عمر يا رسول الله ائذن لي
ان اضرب عنقه فقال عم دعه حتى لا يقال يقتل محمد عم اصحابه فان اعطوا منها اي
من الصدقات رضوا بالقسمة وان لم يعطوا منها لحكمة يعلمها ورسوله اذا هم
يسخطون اي فاجؤا السخط فاذا للمفاجاة بمعنى فاء الجزاء والعامل فيها يسخطون
والحكمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ
بتوفير اهل الغنائم عليهم فضج المنافقون منه ووصفهم الله تعالى بان رضاهم وسخطهم لا
نفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله ولو انهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله من
العطية والرزق وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله وعليه ثقتنا سيؤتينا الله
اي سيعطينا من فضله اي من رزقه ورسوله من العطية والرزق من الغنيمة
اكثر مما اتانا اليوم اذا كان عنده سعة انا الى الله راغبون اي الى رحمته راجعون
فيغنينا عن الصدقات وجواب لو محذوف وهو لكان خيرا لهم من الطعن عليك ثم
بين مصارف الصدقات بالاختصاص ليخرج اللامزين بالنبي عم عن استحقاقها فيها بقوله تعالى
انما الصدقات للفقراء والمساكين وهم الذين لا شيء لهم منه وابو حنيفة رحمه الله
يعكس التفسير فيعطي الشافعي رحمه الله منها من ليس له كفاية سنة ويمنعها ابو ح رحمه الله تعالى
ممن يملك مائتي درهم والعاملين عليها وهم الذين يجبون الصدقات من اصلها
فيعطون قدر عمالتهم وان كانوا اغنياء لا على قدر حاجاتهم وقيل لهم الثمن والمؤلفة
قلوبهم وهم الذين يتألف قلوبهم للتقوي على الايمان بالاعطاء منها وقيل من يتقي شدة
من الكفار وكانوا رؤساء في كل قبيلة منهم ابو سفيان واقرع بن حابس فيعطيهم الامام
ما يراه منها وفي الرقاب عطف على الفقراء وانما عدل عن اللام الى في هنا ايذانا بان
الاربعة الاخيرة ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للظرفية اي
وفي فكها من الكتابة او من الاسر او من الرق وهم المكاتبون او الاسارى من الكفار
اذ المسلمون المأسورون في ايدي الكفار فتبتاع الرقاب من الصدقات فيعتق عند
ملك واحد والغارمين وهم الذين عليهم ديون لغير فساد ولا وفاء عندهم فيعطون

علي قدر الوفاء بديونهم وقيل هم الذين استدانوا في اصلاح ذات البين او في عمل الخير
او للانفاق علي عيالهم من غير اسراف بعدم كفاية ما في ايديهم فيعطون ما يؤدون ذلك
مع غناءهم **وفي سبيل الله** وهم الذين خرجوا للجهاد فيعطون منها ما يستعان به
في غزوهم من زاد وحمولة وسلاح مع غناءهم **وابن السبيل** والمراد منه جنس المسافر
سفرا مباحا فيعطون منها ما يقطع به سفرهم ان لم يكن معهم ذلك وان كان لهم في البلد
المنتقل اليه عامل الغنا **فريضة من الله** نصب علي الحال من الضمير في للفقراء في موضع
الخبر اي ثابتة لهم مفروضة ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا للفعل المحذوف اي فرضت الصدقات
فريضة لهذه الاصناف الثمانية بحكمة اقتضته في ذلك الزمان قال الشافعي رحمه الله
اوجب صرفها الي الاصناف علي السوية وان انعدم صنف منها رد نصيبه علي الموجودين
واقل ما يجري عنده ثلثة من كل صنف وقد اجاز ابو حنيفة رحمه الله صرفها الي بعضها دون بعض
ويجوز صرفها الي فرد من صنف واحد **والله عليم** يعلم من يستحقها ومن لا يستحقها
حكيم يحكم بقسمتها وستره اهلها بحكمة علمها قوله **ومنهم الذين يؤذون النبي** ع م
نزل في جماعة من المنافقين كجلاس بن سويد وابي ياسر بن قيس وخشن بن خويلد
كانوا يعيبون رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال رجل منهم لا تفعلوا
مثله عسي ان يبلغه الخبر فيضركم فقال الجلاس نقول ما شاء ونأتيه ونحلف فانه
يصدقنا لانه اذن سامعة سمي الرجل الذي يصدق كل ما سمع ويقبل قول كل احد
بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة فيؤذونه **ويقولون هو
اذن** بضمتين وسكون الذال اي يسمع كل ما قيل ويقبله واراد الله تعالي نبيه بقوله **قل
اذن خير** بالاضافة اي هو اذن صلاح ونفع **لكم** فلا يكشف سركم ولا يفضحكم ولا
يكافيكم علي سوء فعلكم كما يفعل بالمشركين وهو مبالغة في الخير فيسمع قول الخير خاصة
يؤمن بالله اي يصدقه في مقالته بالاخلاص **ويؤمن للمؤمنين** اي ويصدق
المخلصين في مقالتهم بسماعها وتسليمها لهم ولا يصدق مقالتكم ولا يسمعها بالقبول
منكم فالمراد من الايمان الاول نقيض الكفر ولذا عدي بالباء ومن الثاني السماع والقبول
ولذا عدي باللام كقوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فهذا تعريض بهم
قوله **ورحمة** بالرفع عطف علي اذن وبالجر عطف علي خير اي هو اذن خير ورحمة
للذين آمنوا منكم في السر **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم**
اي وجيع دائما ثم انهم اذوا رسول الله وحلفوا علي صدق نيتهم فكذبهم الله بقوله **يحلفون
بالله لكم ليرضوكم** والخطاب للمسلمين اي انهم يعتذرون اليكم ويحلفون لترضوا عنهم
والله ورسوله احق ان يرضوه والهاء للنبي ع م وحده وفيه حذف تخفيفا تقديره

فانه

فالله احق ان يرضوه ورسوله والهاء لله تعالي لان رضاء الله رضاء نبيه ع م فلذا
وحد الضمير وانما لم يثنه تعظيما لله تعالي روي ان خطيبا قال في خطبته عند النبي ع م
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن عصاهما فقد غوي فقال ع م بئس الخطيب
انت قوله **ان كانوا مؤمنين** اي مصدقين بقلوبهم في السر شرط محذوف الجزاء
بدلالة احق قبله اي فهو احق ان يرضوه قوله **الم يعلموا** نزل حين كانوا يستهزؤن
الاسلام واهله ويحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم تهديدا لهم اي الم يعرفوا **انه**
اي ان الشان **من يحادد الله ورسوله** اي يخالف امر الله وامر رسوله فيما تبين
لهم شرط جزاؤه **فان** بالفتح مع ما بعدها في محل الرفع خبر مبتدا محذوف اي فجزاؤه
ان **له نار جهنم خالدا فيها** حال مقدرة من ضمير له في معني الجمع **ذلك** اي عذابه في
نار جهنم **الخزي العظيم** يوم القيمة علي رؤس الاشهاد **يحذر المنافقون ان
تنزل عليهم** اي علي المؤمنين **سورة تنبئهم** اي تخبر المؤمنين **بما في قلوبهم** اي
قلوب المنافقين يعني لما يضمرون من النفاق فيفتضحون وهم مع ذلك علي الاستهزاء
قل استهزؤا بالقرآن والاسلام والمسلمين **ان الله مخرج** اي مظهر **ما تحذرون**
من اظهار النفاق **ولئن سألتهم** يا محمد اي المستهزئين بالقرآن وبك ما هذا
الكلام الذي يتحدثون وذلك حين ساروا الي غزوة تبوك مع النبي صلي الله عليه وسلم
وكانوا ابدا يقولون انظروا الي هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها
هيهات هيهات فيضحكون فاطلع الله نبيه علي ما قالوا فقال احبسوا الركب
فجاءهم فقال قلتم كذا وكذا قالوا يا نبي الله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك
ولكنا كنا في شيء مما يخوض الركب ليقصر بعضنا علي بعض السفر فقال تعالي ولئن سألتهم
من استهزائهم **ليقولن انما كنا نخوض ونلعب** اي نتحدث ونقطع الطريق كراكبي
السفر **قل** يا محمد لهم **ابالله وآياته** اي القرآن **ورسوله كنتم تستهزؤن** ثم اعتذروا عن
فعلهم القبيح فقال تعالي **لا تعتذروا** اي لا تظهروا اعذاركم الكاذب فانه لا ينفعكم بعد ظهور
سركم **قد كفرتم** في السر **بعد ايمانكم** في العلانية قيل فيه دليل علي ان الجد واللعب في
اظهار كلمة الكفر سواء **ان نعف عن طائفة منكم** بالتوبة وترك الاستهزاء بالاخلاص
نعذب طائفة في الدنيا وفي الاخرة **بانهم كانوا** اي بسبب كونهم **مجرمين** اي مستهزئين
من غير توبة في بالنون في الفعلين وكسر الذال ونصب طائفة مفعولا وبالياء في
الاول وبالتاء في الثاني مجهولين ورفع طائفة لاسناد الفعل اليه **المنافقون و
المنافقات بعضهم من بعض** في الدين والنفاق لا في دين الاسلام بالاخلاص تكذيبهم
آيات الله ورسوله في السر وحلفهم بالله كذبا **الم يعلموا انهم** ثم بين آثار نفاقهم بقوله تعالي

يأمرون بالمنكر اي بالمعصية والكفر وينهون عن المعروف اي عن
الطاعة والايمان عكس شان المخلصين ويقبضون ايديهم عن
الانفاق في سبيل الله نسوا الله اي اغفلوا عن ذكره وتركوا طاعته
فنسيهم الله من هدايته ورحمته فحرموا وخذلوا ان المنافقين هم
الفاسقون اي الخارجون عن امره اصلا وفرعا وعد الله المنافقين
من الرجال والمنافقات من النساء والكفار من الفريقين نار جهنم خالدين
فيها اي مقدرين الخلود في النار هي حسبهم اي كافيهم جزاء لكفرهم و
لعنهم الله اي طردهم من رحمته في الدنيا والاخرة لاهانتهم مع التعذيب
ملحقين بالشيطان لان الكفر مؤثر في السر والعلانية ولهم عذاب مقيم في
الدنيا لا ينفك عنهم من تعب النفاق والخوف من المسلمين ومن الفضاحة بنزول
الايات للاطلاع على اسرارهم او نوع عذاب في الاخرة سوى الصلي في النار قوله
كالذين خبر مبتداء محذوف نزل ذكالك تزيين بحالهم القبيح من الكفار وتنبيها
للمخاطبين بهم في مثل حالهم اي انتم ايها المنافقون مثل الذين من قبلكم
من بني اسرائيل ويجوز ان يكون الكاف منصوبا محلا مفعولا لفعل مقدر اي فعلتم
بنبيكم مثل الذين فعلوا قبلكم بانبيائهم كانوا اشد منكم قوة اي منعة وعساكر
واكثر اموالا واولادا فلم ينفعهم منعتهم واموالهم واولادهم من عذاب الله شيئا
فلذلك لا ينفعهم جمعكم واموالكم واولادكم فاستمتعوا اي ينفع من تقدمكم
بخلاقهم اي بنصيبهم الذين اوتيتم في الدنيا من الحظوظ الفانية بدل حظوظ
الباقية في الاخرة فاستمتعتم ايضا بخلاقكم الذي اوتيتم في الدنيا من الحظوظ الفانية
ورضيتم بها وقطعتم النظر عن العاقبة وطلب الفلاح في الاخرة كما استمتع الذين
اي كاستمتاع الذين من قبلكم فاستمتعوا بخلاقهم اولا ان هذا التشبيه يغني عنه
لانه اراد ان ينبه المخاطبين على خساسة او الاستمتاع قبل التشبيه ليذلوا
يرضوا به ويرجعوا عما هم فيه فيؤمنوا وخضتم اي شرعتم في الباطل من تكذيب
رسول الله واياته كالذي خاضوا اريد به الجنس فاستعمل في معنى الجمع كقوله
والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون او الذي كما المصدرية وهو
نادر اي كخوضهم في الباطل على الذين احسن اي على احسانه اولئك اي
اهل هذه الصفة حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اي بطل ثواب حسناتهم
بسبب تلك الصفة واولئك هم الخاسرون اي المغبونون في الاخرة لانه
ما ربحت تجارتهم الم ياتهم اي الم يصل اهل مكة نبأ الذين من قبلهم اي خبر

المتقدمين من الامم الكفرة باخبار القران لهم عند تكذيبهم الرسل كيف فعلنا بهم
من التعذيب والاهلاك قوم نوح بالجر بدل من الذين اي اهلكناهم بالاغراق
لتكذيب نوح وعاد اي وقوم عاد بالريح العقيم لتكذيب هود وثمود اي
وقوم ثمود بصيحة جبرائيل لتكذيب صالح وقوم ابراهيم وهم قوم نمرود بن كنعان
بالبعوض الذي هو اضعف الخلق بسبب عتوه وتجبره على الخلق لتكذيب ابراهيم
واصحاب مدين اي وقوم شعيب بعذاب يوم الظلة لتكذيب شعيب والمؤتفكات اي مداين قوم لوط بجعلنا عاليها سافلها وامطرنا الحجارة عليها لتكذيب
لوط جمع مؤتفكة اي المكذبة وقيل بمعنى المنقلبة اتتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج الواضحة على صدقهم فكذبوهم او بالايات الظاهرة من الامر والنهي فتركوا طاعة الله
واتبعوا اهواءهم فاهلكناهم فما كان الله ليظلمهم اي ليهلكهم بغير ذنب ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بتكذيب رسله وترك طاعته ثم اخبر عن حسن حال المؤمنين
في الدنيا والاخرة في مقابلة حال المنافقين فقال والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض سرا وعلانية في الدين والاعانة يأمرون بالمعروف اي بالايمان واتباع
محمد في الشريعة وينهون عن المنكر اي الشرك والمعصية ويقيمون الصلوة اي
يتمونها في اوقاتها ويؤتون الزكوة اي يؤتونها على من يستحقها ويطيعون الله
ورسوله في الفرايض والسنن اولئك اهل هذه الصفة سيرحمهم الله بالامن من
عذاب النار والادخال في الجنة ان الله عزيز بالانتقام لمن لم يطعه ورسوله حكيم
يحكم بحكمته للمؤمنين بالجنة وللكافرين بالنار فهو واضع كل موضعه بحسب الاحكام
ثم صرح وعده بذلك اياهم في دار الكرامة لتنزع نفوسهم الى ما وعد لهم بالطاعة
والصبر فقال وعد الله المؤمنين والمؤمنات اي من الرجال والنساء جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة اي منازل طيبة طاهرة تطيب فيها
النفوس وهي القصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد في جنات عدن
علم لدار الله التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون
والصديقون والشهداء يقول الله تعالى لها طوبى لمن دخلك وقيل علم لنهر
جنات على حافاته ورضوان من الله اي شيء من رضاء الله اكبر اي اعظم من ذلك
كله وذلك اي الرضوان او ما وعدلهم من الثواب والنعيم هو الفوز العظيم اي الظفر
الكبير الذي لا ينال الا برضاه الاكبر دون ما يعده الناس فوزا ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يستعمل الغلظة على الكفار والمنافقين ما امكن منها فقال يا ايها النبي
جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحد وردعهم واغلظ عليهم

تهم

اي اشد على الفريقين جميعا في المنطق ولا يجانبهم وماويهم اي منزلهم ومقرهم
جهنم وبئس المصير اي المرجع الذي صاروا اليه في العاقبة ثم بين للنبي صلى الله عليه وسلم
سوء معاملتهم وخبث فعالهم بقوله يحلفون بالله ما قالوا اي لم يقولوا كلمة
الكفر نزل حين خطب رسول الله في غزوة تبوك ذات يوم فذكر المنافقين وسماهم
رجسا فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا فيما يقوله لنحن شر من الحمير فسمع عامر بن قيس
فقال والله ان محمدا لصادق ولانتم اشر من الحمير فاخبر بذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال الجلاس لقد كذب عامر علي وحلف ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم
انزل على نبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والمسلمون آمين فنزل جبرائيل ع م قبل ان يتفرقوا وقال يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي اظهروا الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا
بما لم ينالوا اي وقصدوا بشيء لم يصلوا ان يفعلوه وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلا عند مرجعه من تبوك فانه توافق خمسة عشر رجلا من المنافقين ان يقتلوه في
مضيق البني ع م من جبل وقد اخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة
خلفها يسوقها فبينما هم كذلك اذا سمع حذيفة بوقع اخفاف وقعقعة السلاح فالتفت
فاذا قوم متلثمون بعمايم فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا فنعهم الله بذلك عنه
فقال تعالى وما نقموا اي ما عابوا وما طعنوا على محمد والمؤمنين الا ان اغنيهم الله
اي الا بسبب ان وسع الله ورسوله عيشهم من فضله اي رزقه وكان اهل
المدينة في شدة وضيق من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فلما قدم
النبي ع م المدينة استغنوا فقال تعالى فان يتوبوا من نفاقهم يك خيرا لهم الاية
عليه قيل لما نزلت هذه الاية تاب الجلاس وحسن توبته وقتل مولى له خطاء فامر
رسول الله بديته اثني عشر الفا فاستغنى بذلك وان يتولوا اي ان ابوا عن
التوبة يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل واظهار سترهم والآخرة بالنار
وما لهم في الارض من ولي اي قريب ينفعهم ولا نصير اي مانع يمنعهم من العذاب
قوله ومنهم من عاهد الله نزل في شان حاطب بن ابي بلتعة وكان له مال كثير بالشام
فحلف بالله لئن آتانا اي اعطانا من فضله المال الذي بالشام لنصدقن اي
لنؤدين حق الله منه ولنكونن من الصالحين اي ولنعملن عمل اهل الصلاح به فلما
آتيهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله منه وتولوا اي اعرضوا عن ما عاهدوا
وهم معرضون عن الوفاء بما قالوا فاعقبهم اي اورثهم البخل او جعل الله البخل في
عاقبتهم نفاقا ثابتا في قلوبهم فلا يؤمنون الى يوم يلقونه وهو يوم القيمة

بما

بما اخلفوا الله اي بخلفهم ما وعدوه وبما كانوا يكذبون في حلفهم بانهم يتصدقون قال ع م
آية المنافق ثلثة اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا اؤتمن خان وفي رواية واذا
عاهد غدر وقد ذكر الثلثة في هذه الآية وقيل نزلت الآية في شان ثعلبة بن
حاطب حين جاء الى النبي ع م فقال ادع الله لي ان يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال يا رسول الله ادع لي الى ان يرزقني
مالا فوالله لئن آتاني مالا لاؤدين كل ذي حق حقه فقال اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ
غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمع
فسال عنه رسول الله ع م يوما فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة
اي يا هلاكا ماله فبعث رسول الله مصدقين لاخذ الصدقات فقال ما هذه الا
جزية وقال ارجعا حتى اري رأيي فلما رجعا الى المدينة فقال لهما رسول الله قبل
ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان
اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال ع م هذا عملك فقد امرتك فلم تطعني فلما
قبض رسول الله فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها
وهلك في زمان عثمان قوله الم يعلموا استفهام لتقرير عناد المنافقين متعلق بقوله
آتانا من فضله اي الم يعرفوا ان الله يعلم سرهم وهو ما اسروه في انفسهم من النفاق والعزم
على خلف ما وعدوه ونجويهم وهو ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين
والفتك بالنبي ع م حتى هموا به على العقبة وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها
عن مستحقيها وان الله علام الغيوب يعلم سر كل شيء وما يضمرونه في قلوبهم قوله الذين
يلمزون جاز ان ينصب ويرفع على الذم اي هم الذين يعيبون المطوعين اي المتبرعين
من المؤمنين في الصدقات يتعلق بيلمزون والمراد عبد الرحمن بن عوف جاء
النبي ع م باربعة الاف درهم صدقة حين حث الناس على التصدق عند الخروج الى
غزوة تبوك والذين اي ويعيبون الذين لا يجدون الا جهدهم اي قدر طاقتهم الجهد
بالضم الطاقة وبالفتح المشقة قيل جاء ابن قيس بصاع من تمر وجاء عاصم بن عدي
بسبعين وسقا من تمر فجاء كل واحد منهم بمقدار طاقته وكان نفر من المنافقين جلوسا
فيسخرون منهم اي من المؤمنين قوله سخر الله منهم خبر غير دعاء اي جازاهم بجزاء
سخريتهم ولهم عذاب اليم اي المولم لا ينقطع لعدم رجوعهم عن سوء فعلهم قوله استغفر
لهم او لا تستغفر لهم نزل حين جاء نفر منهم الى النبي ع م فقالوا يا رسول الله استغفر
لنا فقال الله تعالى لنفي الغفران عنهم استغفر لهم وهو امر في معنى الخبر يعني ان شئت
استغفر لهم وان شئت فلا تستغفر لهم اي للمنافقين وكذا لا تستغفر لهم نهي في

معنى الخبر وفيهما معنى الشرط واو بينهما لافادة التسوية كانه قيل لا يغفر الله لهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة نصب سبعين على انه مصدر
اذ العدد بعد ذكر الفعل يقع موقع المصدر نحو ضربته عشرين ضربة وانما ذكر هذا
العدد حسما لطمعهم عن المغفرة عن عادة العرب لانه مثل لغاية الكثرة عندهم يعني
وان بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم ذلك اي عدم غفر الله لهم بسبب بانهم اي
انهم كفروا بالله ورسوله في السر الذي هو منفر الايمان والله لا يهدي القوم الفاسقين
الذين يضمرون الكفر في قلوبهم بدل الايمان قوله فرح المخلفون اي رضي المتخلفون
عن الغزو نزل اخبارا عن حال المنافقين الذين استأذنوا رسول الله بالتخلف
عن الخروج الى الجهاد فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك فرضوا ضاحكين مترنم
بمقعدهم اي بقعودهم خلاف رسول الله عم نصبه ظرف اي بعد ذهابه او
المعنى المخالفة فنصبه لمفعول له اي لمخالفته او حال اي مخالفين وكرهوا
ان يجاهدوا كما فعل المؤمنون باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا
اي قال بعضهم لبعض لا تنفروا اي لا تخرجوا الى الجهاد في الحر فانه شديد قل
لهم نار جهنم اشد حرا من حر تبوك لو كانوا يفقهون اي يعلمون ذلك وهذا استجهال لهم
لان من صان نفسه من مشقة ساعة فوقع بذلك في مشقة الابد كان اجهل
من كل جاهل قوله تعالى فليضحكوا قليلا تهديد وتوبيخ لهم بصيغة الامر اي
سيضحكون قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا اي ويبكون كثيرا في الاخرة
جزاء اي عقوبة لهم بما كانوا يكسبون من الكفر والنفاق وانما اخرجهما في
صورة الامر ليدل على انه واجب الثبوت لا يكون غيره روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يرسل الله البكاء على اهل النار فيبكون حتى
ينقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود ثم
قال لنبيه عم فان رجعك الله اي ردك الله من غزوتك هذه الى المدينة
الى طائفة منهم اي من المخلفين من غزوة تبوك فاستأذنوك للخروج معك الى غزوة
اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا الى الغزو ولن تقاتلوا معي عدوا ولو كان اعتذارهم
صحيحا وعلله بقوله انكم رضيتم بالقعود اول مرة بالتخلف عن غزوة فاقعدوا
مع الخالفين اي مع النساء والصبيان واصحاب الاعذار قوله ولا تصل على
احد منهم مات ابدا ظرف لقوله لا تصل ومات صفة احد نزل حين طلب عبد
الله بن ابي بن سلول عند حضور الموت له ان يصلي النبي صلى الله عليه وسلم
عليه اذا مات وان يقوم على قبره ويكفنه في القميص الذي يلي جلده فقبل كله

فقال عمر اتصلي على عدو الله وتعطيه قميصك وهو كافر منافق فقال عم يا عمر ما يغنيه
قميصي وصلواتي لظاهر ايمانهم من عذاب الله ولكني ارجو ان يسلم به الف رجل
لما يرون من تبركه به روي انه اسلم الف من الخزرج لما راوه طلب ثوب رسول الله
للتبرك به وقالوا لو لا عرف لما تبرك بقميص نهيا للنبي عم ان يفعل ذلك كله اي
ولا تصل يا محمد ابدا على من يموت من المنافقين ولا تقم على قبره للدفن وكان
يقوم اولا على قبورهم ويستغفر لهم الى ان يدفنوا وعلل النهي بقوله انهم كفروا
بالله ورسوله في السر وماتوا وهم فاسقون بالنفاق ولا تعجبك اموالهم
واولادهم اي لا يحسن في عينك ذلك ولا تمل اليهم انما يريد الله ان يعذبهم
بها اي باموالهم في الدنيا وتزهق اي وتخرج انفسهم وهم كافرون ثم اكد فسقهم
بقوله واذا انزلت سورة بتمامها او اريد بعضها ان امنوا تفسير للسورة اي
صدقوا بالله بقلوبكم كما اقررتم بلسانكم وجاهدوا مع رسوله في سبيل الله
استأذنك اولو الطول منهم اي ذو السعة والغناء من المنافقين في القعود
وقالوا ذرنا اي اتركنا نكن مع القاعدين اي نقعد مع الذين تخلفوا عن الجهاد
من الناس بعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف اي مع النساء والصبيان بالمدينة
وطبع على قلوبهم اي قست وخرجت الرحمة منها فهم لا يفقهون اي ما في
التخلف من الشقا والاهلاك او لا يعلمون ثواب الخروج الى الغزوة ثم قال تعالى ان
لم يجاهد المنافقون ويتخلفون فقد قام الى الجهاد من هو خير منهم واخلص نية
وبينه بقوله لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم
او باموالهم ان لم يخرجوا اليهم اولئك لهم الخيرات جمع الخيرة وهي الزوجة وقيل
الفاضل اي الزوجات الحسان في الجنة والفاضلات من كل شيء وقيل من
حور عين كانهن الياقوت والمرجان قال ابن عباس لا يعلم معنى الخيرات
الا الله واولئك هم المفلحون اي الناجون من عذاب الاخرة اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم اي الثواب الجزيل
وجاء المعذرون اي الذين يعتذرون ولا عذر لهم من عذر في الشيء اذا قصر فيه
وهؤلاء قوم من الاعراب كاسد وغطفان جاءوا الى رسول الله وقالوا ان
لنا عيالا وبنا جهدا فاذن لنا في التخلف ليؤذن لهم فيه فاتوا بالعذر
الكاذب وبالعوافيه وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقون
من الاعراب الذين لم يجيئوا الى رسول الله ولم يعتذروا واظهروا بذلك انهم كاذبون
في ادعائهم الايمان ثم بين حال الفريقين بقوله سيصيب الذين كفروا منهم

من الاعراب عذاب اليم اي وجيع ليس على الضعفاء ولا على المرضى اي الشيخ الكبير
السن والزمن ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون في الجهاد حرج اي اثم في تخلفهم
قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة اذا نصحوا اي اخلصوا الايمان لله ورسوله
واطاعوا امرهما بالاخلاص ما على المحسنين اي ليس المعذورين الناصحين من
سبيل اي طريق الى العقوبة او الى العيب للعايب عليهم لان تخلفهم بالعذر والله
غفور لهم بتخلفهم عن الغزو مع نبيهم رحيم بهم بالاذن فيه ولا على الذين اذا ما اتوك
اي ولا حرج على الذين اذا جاؤك لتحملهم على الجهاد معك قلت لا اجد ما احملكم عليه
تولوا اي انصرفوا عنك واعينهم تفيض اي تسيل من الدمع الواو للحال ومن للبيان
وهو في محل النصب على التمييز اي تفيض دمعا حزنا مفعول له اي للحزن قوله
الا يجدوا اي لان لم يجدوا ما ينفقون في الجهاد يتعلق بحزنا قيل هم ستة نفر
من الانصار وقيل ابو موسى الاشعري مع اصحابه جاؤا الى النبي ع م وطلبوا ان يحملهم عليه
ليغزوا معه فلم يكن عنده ذلك فرجعوا باكين فقال تعالى ليس الى عقوبة هؤلاء
سبيل انما السبيل الى العقوبة على الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنياء
اي ذو سعة للخروج رضوا بان يكونوا مع الخوالف بالمدينة وطبع الله على قلوبهم
اي ختمها بقهره فهم لا يعلمون ثواب الخروج وعقاب التخلف ثم اخبر تعالى عن اعذارهم
الكاذب وامر بجوابه بقوله يعتذرون اي يعتذر المنافقون عن تخلفهم عن الخروج
الى الغزو معكم اليكم اذا رجعتم من الغزو اليهم قل لا تعتذروا الينا لن نؤمن لكم اي لن
نصدقكم ان لكم عذرا في تخلفكم عن الغزو قد نبانا الله من اخباركم اي انه اخبرنا
عنكم بانه ليس لكم عذر فيه فالجملة علة لانتفاء تصديقهم لان الاعلام عن سوء
ضميرهم وفساد عملهم بالوحي الى رسول الله يوجب عدم تصديقهم في معاذيرهم
وسيرى الله عملكم في المستقبل انكم ترجعون عن نفاقكم ام تثبتون عليه ورسوله
اي وسيراه نبيه وكل من آمن به ثم تردون اي ترجعون بعد الموت الى عالم الغيب
والشهادة اي الى من يعلم ما غاب من السر عن الخلق وما شاهدوه من العلانية فينبئكم
اي يخبركم بما كنتم تعملون من الخير والشر في الدنيا فيجازيكم على حسب ذلك ثم قال تعالى
سيحلفون بالله لكم اي لطلب رضاكم اذا انقلبتم اي اذا رجعتم اليهم من الغزو
لتعرضوا عنهم اي لتجاوزوا عن معاتبتهم فاعرضوا عنهم اي فتجاوزوا عن عتابهم
لان العتاب لا يصلحهم ولا ينفع فيهم انهم رجس اي لانهم نجس لا سبيل لكم الى تطهيرهم
قيل هم كانوا ثمانين رجلا منافقين حين قدم النبي ع م المدينة فقال لاصحابه لا تجالسوهم
ولا تكلموهم ومأويهم اي مستقرهم في الاخرة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون من النفاق

وعمل الكفر ثم جاء عبد الله بن ابي منهم الى النبي ع م يحلف ان لا يتخلف عن الغزو ابدا فقال
يحلفون لكم لترضوا عنهم اي غرضهم بالحلف طلب رضائكم لينفعكم في دنياهم فان ترضوا
اي ان ترض انت يا محمد والمؤمنون عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
بالنفاق والكفر والمعصية وفي هذه الاية دفع وهم من يتوهم ان رضا المؤمنين يقتضي
رضاء الله المعنى ان رضاء المؤمنين لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم ثم اخبر تعالى
عن حال اهل البدو وكان اكثر المنافقين منهم بقوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لقساوة قلوبهم وتوحشهم وبعدهم عن سماع القرآن والسنن وصحبة
العلماء العاملين لله كغطفان واسد وتميم واجدر اي هم اولى واحق الا يعلموا
اي منافقوهم حدود ما انزل الله على رسوله اي احكام الله في كتابه وشرايعه يعني دينه
هم احق بجهلها لعدم نفعها لهم ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة في الفدادين
والله عليم بحال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم بعقاب مسيئهم وثواب
محسنهم ومن الاعراب من يتخذ اي يحتسب ما ينفق في الجهاد مغرما اي غرما وخسرانا
لا يحتسب فيه اجرا وثوابا لانه لا يعطي الا خوفا من المسلمين ورياء لا لوجه الله تعالى
ويتربص بكم الدوائر اي ينتظر بكم دائرة الموت والهلاك قيل الدوائر دوائر الزمان
وهي صروفه التي تاتي الانسان مرة بالخير ومرة بالشر فقال تعالى عليهم دائرة السوء
اي عليهم عاقبة الاهلاك وهو دعاء معترض دعي عليهم بمثل ما دعوا به وقرئ بضم السوء
وهو العذاب او بالفتح وهو ذم الدائرة واجمع القراء على فتح سين امرء سوء وظن السوء
وقوم سوء لانه ليس فيها معنى العذاب ليضم بل هو ضد قولك رجل صدق والله سميع
بما يقولون اذا توجهت الصدقة عليهم عليم بحالهم وهلاكهم وهم الجد بن قيس
ومعتب بن قشير واصحابهما وقيل غطفان واسد وتميم ومن الاعراب من يؤمن
بالله واليوم الآخر وهم مزينة وجهينة وبنو مقرن ويتخذ ما ينفق في الجهاد قربات
عند الله نصبه مفعول ثاني ليتخذ وعند الله ظرف جمع قربة وهي ما يتقرب به الى الله
اي يجعل ما ينفقه في سبيله سببا لحصول التقربات اليه تعالى وصلوات الرسول
اي وسببا لحصول الدعوات من الرسول عليه السلام واستغفاره لان الرسول كان
يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم الا انها قربة لهم بضم الراء واسكانها اي
اعلموا ان نفقاتهم في سبيل الله تقرب وفضيلة لهم عند الله حقا وهو شهادة
من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقاته قربات وصلوات مع حرف التنبيه المصدر
وحرف التحقيق المؤكد المؤذنين بثبات الامر وتمكنه سيدخلهم الله في رحمته اي في
جنته ان الله غفور لذنوبهم رحيم بتكرمتهم في الآخرة قوله والسابقون مبتدأ

ان لا يعلموا

وخبر

الاولون اي السابقون الي الجنة هم الاولون الي الهجرة والذين صلوا الي القبلتين
من المهاجرين والانصار او اهل بيعة الرضوان منهم في الحديبية وهم اهل
بيعة العقبة الاولي وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين
او اهل بدر او كل من صحب النبي عم او اول من اسلم كابي بكر وعلي وخديجة
من الاحرار وزيد بن حارثة من العبيد لهم السبق علي غيرهم قوله والذين
بالواو عطف علي الاولون اي والسابقون الي الجنة ايضا هم الذين اتبعوهم
علي دينهم باحسان اي باحسانهم وهم بقية المهاجرين والانصار او جميع من
اتبعوهم الي قيام الساعة وقيل السابقون الاولون مبتداء والخبر رضي الله عنهم
باعمالهم الحسنة ورضوا عنه اي عن الله بافاضته عليهم نعم الدنيا والاخرة واعد
لهم جنات تجري تحتها الانهار بحذف من ونصب تحت لنزع الخافض وباثبات
من كما في مصاحف اهل مكة خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم اي الثواب الوفر
ثم اخبر عن حال المنافقين القاعدين حول المدينة بقوله وممن حولكم من الاعراب
منافقون وهم جهينة وغفار واسلم واشجع وعن حال المنافقين في المدينة
بقوله ومن اهل المدينة عطف علي ممن حولكم الخبر للمبتداء بعده ويجوز ان
يكون خبر مبتداء محذوف اي ومن اهل المدينة قوم مردوا اي استمروا علي النفاق
وتمرنوا فيه يعني استحكم نفاقهم فلا يرجعون عنه الي الاخلاص بالتوبة لا تعلمهم
بسبب ايمانهم باللسان نحن نعلمهم بما يبطنون في سويدات قلوبهم من النفاق
لا شك فيه اذ لا يخفي علينا السر والعلانية وتعرفك حالهم سنعذبهم مرتين
الاولي اخراجهم من المسجد باسمائهم يوم الجمعة والثانية عذاب القبر وقيل القحط
والقتل لما يصيبهم في الدنيا والاخرة من المصايب والشدايد ثم يردون الي
عذاب عظيم ان يخلدوا في عذاب جهنم وهو اعظم من كل عذاب قوله واخرون
اعترفوا بذنوبهم مبتداء وصفته وخبره خلطوا عملا صالحا وهو توبتهم و
اعتذارهم الصحيح واخر سيئا عطف علي عملا فيكون من قبيل خلطت الماء
واللبن اي جعلت كل واحد منهما مخلوطا بالاخر ويجوز ان يجعل الواو بمعني الباء
ليظهر المخلوط به الذي يقتضيه الخلط والاخر السيء وهو تخلفهم عن الغزو وهم
اوس بن ثعلبة ووديعة بن خزام وابو لبابة قيل ربطوا نفسه بعمود المسجد
ثم قال والله لا احل نفسي منه حتي يكون رسول الله صلي الله عليه وسلم هو
يحلني فجاء النبي عم فحله بيده ثم قال يا رسول الله ان توبتي ان اهجر دار قومي
التي اصبت الذنب فيها وان انخلع من مالي كله واجعله صدقة لله تعالي ولرسوله

فقال

فقال يجزيك الثلث يا ابا لبابة وفي قوله اعترفوا بذنوبهم اشارة الي طلب
التوبة منهم فقال تعالي عسي الله ان يتوب عليهم وفي ذكر عسي من الله
دلالة علي وجوب ان يتجاوز الله عنهم ان الله غفور رحيم يغفر ذنوب
التائبين ويرحمهم بقبولهم بالمحبة ثم جاؤا باموالهم الي النبي عم فقالوا هذه
اموالنا فخذها وتصدق بها فانا تخلفنا عنك بسببها فاستكره اخذها
لانه ما امر به فنزل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم من الذنوب وهي الصدقة
المفروضة وكان هذا ابتداء الفرايض وتزكيهم بها اي وتصلح بها اعمالهم لان
بالزكوة تصلح الاعمال للقبول وصل عليهم اي ادع لهم واستغفر ان صلوتك مفردا
وجمعا اي ان دعواتك عليهم سكن اي طمانينة لهم لانها تؤذن ان الله قد قبل
منهم الصدقة والتوبة والله سميع باعترافهم بذنوبهم عليم بما في ضمايرهم من الغم
والندامة قيل السنة للمتصدق ان يدعو لها حب الصدقة اذا اخذها فال الشافعي
احب الي ان يقول له آجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا تابوا من الشرك والمعاصي
توبة مقرونة بالصحة ويأخذ الصدقات اي ويقبلها منهم اذا تصدقوا بخلوص
النية فما منعهم عن التوبة والتصدق قيل ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان
تقع في يد السايل يعني يتقبلها ويضاعف عليها وفي رواية فيربيها كما يربي احدكم
فصيله حتي يكون اللقمة مثل احد قوله وان الله هو التواب الرحيم عطف علي
مفعول يعلموا اي الم يعلموا انه هو المتجاوز عن الذنوب بالتوبة لمن تاب الرحيم
له بادخاله جنته وقل لهم يا محمد اعملوا خيرا فسيري الله عملكم ويجازيكم به
ويراه رسوله والمؤمنون ويشهدون لكم يوم القيمة فلا تغفلوا عن التوبة وعمل
الخير وفيه تهديد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار علي الكفر وعمل الشر واكد ذلك بقوله
وستردون الي عالم الغيب والشهادة الذي لا يعزب عنه شيء في الارض
ولا في السماء بالبعث يوم القيمة فينبئكم اي يخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا قوله
وآخرون مرجون بالهمزة وغيره من ارجاته وارجيته اذا اخرته مبتداء وخبره اي قوم
آخرون من المتخلفين التائبين مؤخرون عن قبول توبتهم لم يتبين بالوحي شيء فيهم
لامر الله اي لان يحكم فيهم بما يشاء فانتظر رسول الله صلي الله عليه وسلم في توبتهم اما
يعذبهم ان لم يتوبوا واما يتوب عليهم اي يقبل توبتهم ان تابوا والله عليم بحالهم
حكيم يحكم بما يشاء فيهم قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا بواو العطف وتركها
مبتداء وخبره محذوف تقديره من قبل وهو يعذبون نزل في جماعة من المنافقين

كانوا اثني عشر رجلا وهم بنو غنم بن عوف بعد الي اخوتهم وقالوا نبني نحن ايضا مسجدا وندعو رسول الله ويصلي فيه بنا كما صلي بهم ثم يصلي بنا ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وكان النبي ع م سماه فاسقا وقال لهم لا تقولوا له راهب ولكن قولوا فاسق لانه قد آمن وترهب ثم رجع عن الاسلام وكان قد قال لهم ابنوا مسجدا فاني ذاهب الي قيصر فآتي بجنوده فاخرج محمدا من المدينة فاتوا رسول الله فاستاذنوه في بناء المسجد تعللا لبعد المسير عليهم الي الصلوة مع النبي ع م فاذن لهم في ذلك وغرضهم تفريق الجماعة من مسجد النبي ع م والايقاع بين المؤمنين وتقوية نفاقهم فقال تعالى اظهارا لنفاقهم والذين اتخذوا اي والقوم الذين بنوا مسجدا مضرة للمؤمنين وكفرا اي واظهارا الكفرهم المخفي في قلوبهم وتفريقا بين المؤمنين من مسجد قباء يعني لكي يصلي بعضهم في مسجدهم وبعضهم في مسجد قباء فتختلف كلمتهم وارصادا اي انتظارا لمن حارب الله ورسوله اي لمنافق كان يقاتل النبي ع م حتي هزم يوم حنين من قبل اي قبل بناء مسجد الضرار وهو الراهب المذكور وقيل من قبل يتعلق باتخذوا علي هذا المعني لا باتخذوا يعني هم يعذبون بالنار بسبب مسجدهم الذي بنوه واعدوا لاجله فاذا قدم من الشام يؤمهم ليثبت لهم الفضل علي اخوتهم ويظهر بذلك علي رسول الله فيتقوي نفاقهم وكفرهم فدعا رسول الله عليه فمات كافرا بالشام فلما ظهر نفاقهم جاؤا يحلفون ما اردنا ببنائه الا خيرا فنزل وليحلفن ان اردنا ببناء المسجد الا الفعلة الحسني وهي ان لا تفوتنا الصلوة بالجماعة وليرجع الراهب فيسلم ويصلي بنا ونذكر الله تعالى فيه والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم قيل كل مسجد بني مباهاة او رياء او سمعة او لغرض غير وجه الله او علي غير طيب فهو لاحق لمسجد الضرار ثم انهم طلبوا من رسول الله صلي الله عليه وسلم حين خرج الي غزوة تبوك ان ياتي ويصلي بهم فيه ليتبركوا بصلوته فقال النبي صلي الله عليه وسلم انا علي جناح السفر فان قدمنا ان شاء الله صلينا لكم فيه فنزل لا تقم فيه ابدا للصلوة فيه ثم قال لمسجد مبتداء موصوف بقوله اسس اي بني لان اصلي علي التقوي اي علي التوحيد ولوجه الله لا علي النفاق والرياء من اول يوم من ايام وجوده احق خبره اي اولي واجدر ان تقوم اي بقيامك للصلوة فيه وهو مسجد رسول الله او مسجد قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا اي يتوضئوا بالماء او يتطهروا من الذنوب بالتوبة والعمل الصالح والله يحب المطهرين اي المتطهرين بالماء او بالتوبة روي ان النبي صلي الله عليه وسلم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثني عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء والغايط

قالوا نتبع الغايط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فقرأ عليهم الاية فهم اول من استنجي بالماء ثم استن رسول الله ع م الاستنجاء بالماء قوله افمن اسس بنيانه بالنصب مفعول المعلوم وبالرفع فاعل المجهول الاستفهام فيه لنفي الاستواء بين الاخلاص والرياء اي امن اصل بنيان دينه علي تقوي بلا تنوين لانه فعلى لا ينصرف وبالتنوين الحاقا بجعفر فالالف للالحاق لا للتانيث كتتري علي قراءة الصرف اي علي قاعدة قوته من الله وهي خشية الله وتوحيده ورضوان اي ورضا منه خير امن اسس بنيانه علي شفا جرف بضم الراء وسكونها اي شفير جانب واد منخفر بجريان الماء فيه وصفه جرف هار اي منصدع مايل الي السقوط اصله هاير فقلب الي هاد فصار كقاض وهو كناية عن اضعف القواعد الذي اسس عليه البنيان فانهار به اي سقط معه من هار يهور او يهير اذا سقط في نار جهنم ومعني قوله فانهار به في نار جهنم انه لما جعل الجرف الهاير عبارة عن الباطل مجازا قال فانهار به يعني فطاح به الباطل وهو الكفر في قعر جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين انفسهم بكفرهم ونفاقهم روي انه ع م ارسل بعد رجوعه من تبوك وحشيا قاتل حمزة بجماعة فحرقوا مسجدهم وهدموه وتفرق اهله وجعل مكانه كناسة تلقي فيها الجيف قيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة اي شكا في الدين ونفاقا في قلوبهم ريبة نصب بلا يزال خبرا اي لا يزال هدم بنيانهم الذي بنوه بسبب شك ونفاق زايد علي شكهم ونفاقهم لا ينقطع وسمه عن قلوبهم لانهم غاظوا من ذلك فزاد مقتهم للاسلام وصمم النفاق في قلوبهم لا يخرج منها الا ان تقطع قلوبهم بفتح التاء معلوما والفعل للقلوب اي تصدع وتتفرق اجزاء فيتخلصون عنه لانها ما دامت سالمة لا يضمحل عنها الريبة او الآن تقطع قلوبهم ندما علي تفريطهم فيتوبوا وبضم التاء ورفع قلوبهم مجهولا والفعل لغير القلوب والله عليم بنياتهم حكيم حكم بهدم بنيانهم الضرار قوله ان الله اشتري من المؤمنين انفسهم التي هي خلقها واموالهم التي هو رزقها لهم بان لهم الجنة اي طلب الله منهم ان يفتدوا انفسهم واموالهم ويخرجوا الي الغزو ليثيبهم الجنة نزل حين بايع رسول الله صلي الله عليه وسلم الانصار ليلة العقبة ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وان ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه انفسهم واموالهم ولهم الجنة ان وفوا بذلك فقبلوا وقالوا لا نقيل ولا نستقيل يعني لا ننصرف من هذه البيعة ولا نطلب انصراف احد منها يقاتلون اي حال كونهم يجاهدون اعداء الله ورسوله في سبيل الله اي في دينهم

قال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله
صلي الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة
فقال ع م الا تبايعون رسول الله ثم قال الا تبايعون
رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال
قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك فقال
قايل منا قد بايعناك فعلام نبايعك فقال ع م
علي ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
والصلوة الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر
كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا

يشفع واحد منهم في سبعين من اهل بيته وجيرانه حتي ان الجيران يختصمون ويقولون انا اقرب جيرانك فينظر دون الي نورالله تعالي فيدخلون الجنة بغير حساب ويعطي الله تعالي لكل رجل منهم سبعين غرفة كل غرفة لها سبعون بابا علي كل باب سبعون سترا في كل غرفة سبعون خيمة في كل خيمة سبعون سريرا علي كل سرير زوجة من الحور العين لكل حور سبعون وصيفة وسبعون وصيفا يتنعم فيها الشهداء ابدالابدين

من زهرة الرياض

فيقتلون معلوما ويقتلون مجهولا وبالعكس فان قتل بعضهم قاتل من بقي عنهم وعدا عليه مصدر مؤكد حقا صفته اي وعد الله للمجاهدين في سبيله وعدا ثابتا في التورية والانجيل والقرآن يعني لا في القرآن وحده وهذا دليل علي ان الجهاد كان في شرايع المتقدمين علي هذه الامة ومن اوفي بعهده من الله مبتدا وخبر وفيه استفهام علي سبيل الانكار اي ليس احدا اوفي من الله في عهده وشرطه وفيه ترغيب في الجهاد اشد ترغيب وابلغ لان اخلاف الموعد قبيح من كرام المخلوقين ومستحيل من الله الغني الذي لا يجوز عليه فعل القبيح ثم قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اعلاما لهم بانهم ربحوا في تجارتهم ربحا وافرا يدل عليه قوله وذلك هو الفوز العظيم اي البيع الذي بايعتم به مع الله هو الثواب الجزيل والنجاة الوافرة يوم القيمة قوله التائبون رفع علي المدح بالابتداء والخبر محذوف اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين او التائبون مبتداء والخبر العابدون التائبون من الذنوب والكفر والنفاق هم الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرضوا الناس عليها وله الحامدون وما بعده من المرفوعات خبر بعد خبر اي التائبون علي الحقيقة هم الجامعون لهذه الاوصاف وهي العابدون المخلصون الحامدون لله علي كل حال من السراء والضراء السائحون اي الذين يصومون شهر رمضان والسيح في الاصل السير في الارض وسموا بذلك لان السائح يكون ممنوعا من الشهوات واللذات المطعم والمشرب والمنكح قال عم سياحة امتي الصوم وقيل هم السائرون لطلب العلم للعمل في مظانه او الي الغزو في سبيل الله الراكعون الساجدون في الصلوة المفروضة والمراد المحافظون علي الصلوات الخمس الآمرون بالمعروف اي بالتوحيد وباعمال الخير والناهون عن المنكر عن الشرك والنفاق والاعمال الخبيثة في الشرع ودخول الواو فيه ليدل علي ان السبعة عندهم عقد تام او هي الواو الداخل بين الضدين والحافظون لحدود الله اي العاملون بفرايضه ويداومون عليها وبشر المؤمنين اي المصدقين العاملين بهذه الشروطات لهم الجنة وان لم يجاهدوا المشركين ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين نزل حين سمع علي بن ابي طالب رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فمنعه عن ذلك فقال الرجل الم يستغفر ابراهيم لابويه وهما مشركان قال علي رضي الله عنه فذكرت ذلك للنبي عم فاوحي اليه ما جاز للنبي والمؤمنين الاستغفار للمشركين ولو كانوا

اولي قربي اي ذوي قرابة في الرحم من بعد ما تبين اي ظهر لهم اي للمؤمنين انهم اي المشركين اصحاب الجحيم اي اهل النار بالاستحقاق اذا ماتوا علي الكفر وعن ابي هريرة ان النبي عم قال استاذنت ربي ان استغفر لوالدتي فلم ياذن لي واستاذنت ان ازور قبرها فاذن لي فنزلت الآية ثم قال تعالي بيانا لعذر ابراهيم في الاستغفار لابيه وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه اي اياه بقوله لاستغفرن لك ان تؤمن او وعدها ابوه ابراهيم وهي ان اسلم وكان ابراهيم يستغفر له رجاء ان يؤمن لان العقل لا يابا فلما تبين له اي اظهر لابراهيم بالوحي انه عدو لله حين مات علي الكفر تبرأ منه اي اعرض عن الاستغفار لابيه آزر بعد الموت علي الكفر ان ابراهيم لاواه اي كثير الدعاء ملح فيه او كثير التاوه يعني كان يقول آه تضرعا وخشوعا واصل الاوه الرجوع في الشيئ والتردد فيه حليم اي متجاوز عن جهل الجاهل وذنب من اساء له قوله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم الآية نزل بيانا لعذر من خاف المؤاخذة في عمل الاشياء المباحة بالعقل قبل ورود النهي عنه كشرب الخمر والصلوة الي القبلة الاولي وبيع الصاع بالصاعين والاستغفار للمشركين قبل التحريم حين سئل النبي عم عنها فقال تعالي لم يكن الله ان يحكم بضلالة قوم وخذلانهم ويعاقبهم علي ذنب لا يعرف بالعقل بعد زمان هدايتهم للاسلام حتي يبين لهم

هم

اي يعلمهم ما يتقون اي الذي يجب عليهم اتقاؤه للنهي فاذا علمهم بانه ذنب لو لم يتقوا علي ارتكابه واما قبل الاعلام بذلك فلا يخذلهم ولا يؤاخذهم قيل في الآية دلالة علي ان المهدي للاسلام اذا اقدم علي بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال والخذلان ان الله بكل شيئ عليم مما يصلح للخلق وما لا يصلح لهم ان الله له ملك السموات والارض يحكم في اهلهما بما يشاء فيامر بشيئ ثم يامر بغيره وتفرد بما يشاء بقوته فلو ينسخه يحيي ويميت اي شانه الاحياء والاماتة في الدنيا وما لكم من دون الله اي من غيره من ولي اي قريب ينفعكم شيئا من عذاب الله ولا نصير اي مانع يمنعكم منه وفيه ترغيب في الجهاد كيلا يمنعوا عنه حذر الموت والقتل قوله لقد تاب الله علي النبي والمهاجرين والانصار نزل حين اذن النبي عم للمنافقين في التخلف فقال تعالي عفا الله عنك لم اذنت لهم فكانه قال اخطأت في هذه الاذن ومال الفريقان الي التخلف من الذهاب معه في الطريق الي غزوة تبوك لشدة الحر وقلة الزاد والماء والظهر اي تجاوز الله عن خطاء النبي عم وعن ذنوبهم لما اصابهم من الشدة في ذلك الطريق ثم وصفهم

بقوله الذين اتبعوه في ساعة العسرة اي في وقت الشدة لغزو تبوك وسمو جيش
العسرة لقلة الظهر قيل كان العسرة يعتقبون العشرة علي البعير الواحد ولقلة
الماء والزاد وشدة حر حتي كان تنقطع اعناقهم عطشا فاتبعوا النبي عم في
ذلك الوقت من بعد ما كاد فاعله ضمير الشان اي قرب الشان تزيغ بالياء والتاء
اي من ان تميل قلوب فريق منهم اي من الذين اتبعوه في تلك الغزوة الي التخلف
ثم تاب عليهم اي تجاوز عنهم بتوبتهم وكرر تاب لتاكيد التوبة عليهم انه بهم رؤف
رحيم تعليل للتوبة معنى اي تاب عليهم لغاية رأفته ورحمته بهم وعلي الثلثة الذين
خلفوا اي لقد تاب الله علي الثلثة الذين خلفهم الشيطان عن الغازين بالمدينة
وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع قعدوا في المدينة عن غزوة
تبوك حتي اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها يعني مع سعتها
وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس بشيء ولا يلحقها سرور لتا
خير توبتهم لان النبي عم اخر توبتهم حتي نزلت بعد خمسين يوما من انصرافه من تبوك
وظنوا اي وايقنوا ان لا ملجاء من الله اي لا مفر ولا منجا من عذاب الله الا
اليه اي الي الله بالتوبة والاستغفار ثم تاب عليهم ليتوبوا اي اكرمهم بتوفيق
التوبة لكي يرجعوا عن فعلهم السوء مرة بعد مرة ليستقيموا علي توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا
ايضا فيما يستقبل ان وقعت منهم خطية علما منهم ان الله يقبل توبة من
تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة او ليتوب الناس بعدهم ويقتدوا بهم ان الله
هو التواب الرحيم يرحم بعد التوبة بالمغفرة ودخول الجنة قال كعب بن مالك
لما رجع النبي عم من غزوة تبوك الي المدينة جيت اليه وسلمت عليه فرد علي
كالمغضب فتنكر لنا الناس فلم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت
اربعون ليلة امرنا النبي عم ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون
ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع اسمع الشيخ ابشر يا كعب فخررت ساجدا وكنت
كما وصفني ربي في كلامه فانطلقت الي رسول الله في المسجد وقعد له
المسلمون فيقول ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا
الاية سئل عن ابي بكر الوراق ما التوبة النصوح فقال ان يضيق علي التائب
بما رحبت ويضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه ثم خاطب
المنافقين توبيخا لهم بنفاقهم بقوله يا ايها الذين امنوا باللسان واعتذروا
بالكذب اتقوا الله وكونوا مع الصادقين الذين صدقوا في ايمانهم وصدقوا الله
نية وقولا وعملا وهم الثلثة الذين صدقوا في ايمانهم وتوبتهم وقيل هم المهاجرون

والانصار

والانصار الذين صلوا الي القبلتين وقيل هم الخلفاء الراشدون وقيل
خطاب لمن اسلم من اهل الكتاب اليهود والنصاري قيل لا يصلح الكذب في
جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيته ثم لا يفي لها دل عليه قوله وكونوا مع الصادقين
دقيق
قوله وما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب نزل في المنافقين الذين
تثاقلون عن الخروج الي الغزو مع رسول الله عم وهو في معنى النهي عن التخلف
اي لا يكون لاهل المدينة والذين حول المدينة ان يتخلفوا في الجهاد عن رسول
الله وان يكونوا ابر واشفق بانفسهم من نفس محمد عم وان يتركوا صحبته بل ينبغي
ان يلقوا انفسهم في الشدائد كما يلقي نفسه علما منهم بان نفسه اعز نفس عند الله
فاذا تعرضت للخوض في شدة مع كرامتها وعزتها عنده واجب علي ساير النفوس
ان تتهافت فيما تعرضت نفسه ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي لا يختاروا
بقاء انفسهم علي بقاء نفسه في الشدائد بل يتبعوه حيث ما يريد ذلك اي النهي
عن التخلف بانهم اي بسبب انهم لا يصيبهم ظماء اي عطش ولا نصب اي ولا تعب
ولا مخمصة اي جوع في سبيل الله ولا يطاؤن موطئا اي لا يدوسون ارضا
من اراضي الكفار من سهل او جبل يغيظ اي يحزن الكفار ولا ينالون اي ولا يصيبون
من عدو نيلا اي مصيبة من قتل او غارة او هزيمة الا كتب لهم به اي بكل واحد منها
عمل صالح اي ثوابه ان الله لا يضيع اجر المحسنين اي لا يبطل ثواب المجاهدين
بالاخلاص فيه دليل علي ان ما اصاب الرجل في دين الله من الشدة يكتب له بذلك
اجر وبه استدل ابو حنيفة رحمه الله علي ان المرء القادم بعد انقضاء المحاربة يشارك
الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم يغيظهم وعند الشافعي رحمه الله لا يشاركهم فيها الا
بالحرب ثم قال ولا ينفقون نفقة صغيرة كتمرة ولقمة وعلاقة سوط في الجهاد ولا
كبيرة كما انفق عثمان من الجمال المجهزة وكانت ثلثماية ولا يقطعون واديا من
الاودية بالدواب والمشي في طريق الغزو مقبلين او مدبرين الا كتب لهم به
ثواب ذلك ليجزيهم الله يوم القيمة احسن ما كانوا يعملون لانه يعطي بحسنة واحدة
عشرة الي سبعماية والي ما لا يدرك حسابه قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة نزل
حين وبخهم الله علي ترك النفير الي الجهاد فاذا ارسل الرسول عم سرية الي الغزو
نفروا جميعا وتركوا الرسول عم وحده بالمدينة فقال تعالى لا ينبغي للمؤمنين ان ينفروا
جميعا فاللام زايدة لتاكيد نفي النفير باسرهم وينفروا خبر كان المنفي واذا كان نفير
الكل عن اوطانهم غير ممكن لاجل النبي عم فلولا نفر اي فهلا خرج من كل فرقة اي جماعة
كثيرة منهم اي من المؤمنين طائفة اي جماعة يسيرة الي الغزو في دين الله ويقيم

مع النبي عم طائفة اخري منهم ليتفقهوا في الدين اي فيتعلموا الشرايع والاحكام في دين
الله ويقيم مع النبي عم ولينذروا اي وليخوفوا ويعظوا قومهم اذا رجعوا اليهم اي اذا
رجع السرايا من الغزو اليهم اي الي الطائفة القاعدة الذين تعلموا الفرايض النازل
علي النبي عم بعدهم فيعلمونهم اياه ويقولون ان الله انزل علي نبينا بعدكم كذا وكذا
لعلهم يحذرون اي يتعظون بما امروا به ونهوا عنه ويخافون عقاب الله
فيعملون بما فيعملون به لا يخالفونه وفيه دليل علي ان اخبار الاحاد مقبول
يجب العمل بها لان لفظ الطائفة يتناول الواحد فما فوقه وقيل نزلت الاية
تحريضا للمؤمنين ان ينفروا عن اوطانهم لطلب العلم النافع بصدق نيته و
غرض صحيح وهو انذار قومهم وارشادهم الي الصواب والنصيحة لهم لا قصد
التصدر والرؤس في البلاد وتحصيل الملابس والمراكب والعبيد والاماء
ومناقشة بعضهم بعضا بواسطة العلم فيحرمون بذلك عن ثواب الاخرة ويعذبون
بعذاب النار قوله يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار نزل
لقتال الاقرب فالاقرب منهم اي قاتلوا من حولكم ويقربكم من العدو كبني قريظة
والنضير وفدك وخيبر وغيرهم من المشركين فهو عام في ذلك يعني القتال مع جميع
الكفار قريبهم وبعيدهم واجب ولكن الاقرب فالاقرب اوجب وهكذا المفروض
علي كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخري وليجدوا
فيكم غلظة اي شدة وشجاعة وجفوة واعلموا ان الله مع المتقين
بالنصرة والعون علي عدوهم اذا اتفقوا علي الترادف عليهم بالنفاق ثم
بين تفاوت الحال بين المخلصين والمنافقين في نزول القرآن فقال واذا
ما انزلت سورة من القرآن فمنهم اي من المنافقين من يقول بعضهم لبعض
ايكم مبتدا خبره زادته هذه السورة ايمانا اي يقينا وتصديقا انكارا
بالسورة واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم
بالوحي والعمل به فقال تعالي فاما الذين آمنوا بالله وهم اصحاب محمد عم
فزادتهم هذه السورة ايمانا اي تصديقا مع تصديقهم بالله وهم
يستبشرون اي يفرحون بما انزل من القرآن واما الذين في قلوبهم مرض
اي شك وكفر فزادتهم هذه السورة رجسا الي رجسهم اي كفرا الي كفرهم وانما
الي اثمهم فتضاعف عقابهم واصل الرجس القذرة وماتوا وهم كافرون في الحقيقة
وان كانوا مؤمنين صورة لثبوت الكفر في سرهم اولا يرون بالياء اخبارا عن
المنافقين اي ايشكون في الايمان بالله ورسوله لا يرون انهم يفتنون اي

يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله وبالتاخطا بالمؤمنين اي
الاية يهدون انهم يتحيرون في كل عام مرة او مرتين بسبب نفاقهم وكفرهم
ثم لا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون اي يتعظون فيؤمنون واذا
ما انزلت سورة من القرآن فيها عيب المنافقين نظر بعضهم بعض
المنافقين الي بعض اي بعض المنافقين ويتغامزون يريدون الهرب
يقولون هل يراكم من احد اي احد من اصحاب النبي عم ثم انصرفوا
عن مكانهم بالخروج عن مجلسه صرف الله قلوبهم عن الايمان وخذلهم
عن الفهم بالقرآن بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون اي لا يتدبرون
حتي يفقهوا وقيل صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وصرف الانشراح
الذي يكون في قلوب اهل الايمان ثم خاطب جميع العرب من اهل مكة وغيرهم
بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من جنس العرب لانه لم يكن
قبيلة في العرب الا وله فيها قرابة اي لقد ظهر فيكم رسول عربي منكم بشرا
عزيز اي شديد عليه ما عنتم اي اثمتم وعصيتم والعنت دخول الضيق
في القلب حريص عليكم بالهدي لئلا يرجعوا عن اتباعه في دين الاسلام
بالمؤمنين رؤف اي دقيق قلبه بجميع المؤمنين رحيم بهم ليدخلوا الجنة و
يأمنوا من العذاب الاليم ثم قال تعالي للنبي عم فان تولوا اي اعرضوا عن الايمان
بعد دعوتك اياهم اليه فقل حسبي الله اي كفاني الله بالحفظ والنصرة لا
اله الا هو اي لا معبود لي اعتمد عليه الا هو عليه توكلت اي نثقت به لا بغيره
وهو رب العرش العظيم فهو ناصري عليكم روي عن ابي ان آخر ما نزل لقد جاءكم
رسول الي آخر السورة وعن النبي عم انه قال ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا
الا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صنف من
الملائكة سورة يونس مكية الا آية وهي ومنهم من يؤمن به فانه مدني
كذا روي عن ابن عباس بسم الله الرحمن الرحيم
قرئ الر بالفتح وبالامالة وبين بين ومعناه انا الله الرقيب قيل لما ختم سورة التوبة
بذكر النبي صلي الله عليه وسلم ووصفه بالرسالة واظهار حرصه علي اهل مكة
بالايمان به واتباعهم في دينه افتتح هذه السورة بما فيه دلالة علي صدق رسالته
ووجوب اتباعه بوحي الكتاب اليه فقال الر تلك اي هذه السورة آيات الكتاب
اي القرآن الحكيم اي المحكم من الكذب والباطل او الحاكم بالحلال والحرام او علي
الكتب كلها بالصدق اكان للناس عجبا الهمزة فيه لانكار التعجب من اهل مكة

كم

الذين انكروا نبوته وتعجبوا من بعثته رسولًا اليهم من بينهم وعجبًا خبر كان وللناس حال منه تقدم عليه لنكارته واسم كان أَنْ أَوْحَيْنَا اي اصار ايحاؤنا لاهل مكة تعجبا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ وهو محمد عم واصطفاؤنا اياه بالرسالة دون عظيم من عظمائهم أَنْ مفسرة لان الايحاء فيه معنى القول او معناه ان الشان قولنا أَنْذِرِ النَّاسَ فان مخففة من الثقيلة بتقدير انه اي خوفهم بما في الكتاب من الوعيد وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا بما فيه من الثواب في الجنة وهو معنى قوله أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ اي منزلة رفيعة سابقة عند ربهم وقدم صدق ما قدموه من اعمالهم الصالحة بين ايديهم وقيل هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو السعادة السابقة لهم قيل انهم كانوا يتعجبون ويقولون ابعث الله بشرا رسولا معه كتاب من السماء وَقَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ اي ظاهر بين وقرئ لساحر اي هذا الرجل الذي يقرأ الكتاب المعجز علينا لساحر يظهر لكل احد له عقل وفيه تعزية للنبي عم ان يصبر على اذاهم وتنبيه لمن بعده ان يأمر وينهى ولا يتأذى بما يسمع عليه من المكروه ثم امرهم بالتوحيد والطاعة وترك الشرك وعبادة الاوثان بقوله إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى اي استولى وعلا عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ اي يقضي امر الخلق بان يرزقهم في الدنيا مدة حياتهم وبان يحاسبهم في الاخرة على اعمالهم من الخير والشر مَا مِنْ شَفِيعٍ يشفع لاحد يوم القيمة إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ في الشفاعة وهو رد لزعم الكفار فانهم كانوا يقولون عند عبادتهم الاصنام والملائكة هم شفعاؤنا عند الله ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ اي الذي يفعل هذه الاشياء من خلق الاجرام العظام وتدبير الخلق فيهن هو خالقكم ورازقكم الذي يستحق العبادة منكم فَاعْبُدُوهُ اي وحدوه واطيعوه دون غيره أَفَلَا تَذَكَّرُونَ بالتشديد والتخفيف اي اتغفلون عنه فلا يتعظون بتذكره لئلا تعبدوا من لا تقدر على شيء ولا يملكه إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ اي الى الله مصيركم يوم القيمة جَمِيعًا اي لا رجوعكم الى غيره للحساب والجزاء وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا اي وعدكم الله الرجوع اليه وعدا كائنا بالصدق إِنَّهُ استيناف بالكسر في معنى التعليل تحقيقا للرجوع اليه اي لان الله يَبْدَأُ الْخَلْقَ اي يخلقه ابتداء ثُمَّ يُعِيدُهُ اي يحييه بعد الموت لِيَجْزِيَ اي ليثيب الَّذِينَ آمَنُوا بالبعث بعد الموت وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ اي العدل ففيه تفضيل المؤمنين على الكافرين يدل عليه قوله وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ اي من ماء حار شديد الحرارة وَعَذَابٌ أَلِيمٌ اي وجيع بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ برسالة محمد صلى الله عليه وسلم

فهم

والكتاب

والكتاب الذي معه ثم اخبر عن عظيم قدرته وانعامه عليهم بالنعم العظيمة التي يوجب لهم ان لا يعبدوا غيره بقوله هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً جمع ضوء كسوط وسياط او مصدر وصف به فياؤه من الواو لانكسار ما قبلها اي جعلها ذات ضياء بالنهار وقرئ بهمزتين بينهما الف وزنه فلاع بالقلب المكاني وَالْقَمَرَ نُورًا اي ذا نور بالليل والضياء اقوى من النور واثبت وانفع لان الشمس تضيء بالذات دون القمر وَقَدَّرَهُ اي وقدر له مَنَازِلَ وجعله ذا منازل ولم يقل قدرهما اكتفاء بذكر احدهما فان المنازل ينصرف اليهما وقيل ينصرف الى القمر خاصة لان بالقمر يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس وينزل القمر كل ليلة منزلا من منازله التي هي ثمانية وعشرون منزلا فتستتر ليلتين ان كان الشهر ثلثين وتستتر ليلة واحدة ان كان الشهر تسعة وعشرين فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل ويكون مقام الشمس في كل منزل لها ثلثة عشر يوما فيكون انقضاء السنة مع انقضاء تلك الايام في كل منزل لها فقوله لِتَعْلَمُوا علة لتقدير منازل القمر اي قدر الله المنازل للقمر لتعرفوا بذلك عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ اي حساب الشهور والايام والساعات مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ اي التقدير او المذكور لا الاعيان والا لقال تلك إِلَّا بِالْحَقِّ اي ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة يعني لم يخلقه عبثا بل اظهارا لصنعته ودلالة على قدرته نُفَصِّلُ الْآيَاتِ بالنون التفات للتعظيم وبالياء غيبة اي نبين ايات القرآن لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اي يفهمون بالعقل والتمييز فيؤمنون فقوله إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ نزل حين قال اهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم ائتنا بعلامة ظاهرة كما اتى بها النبيون من قبلك لنؤمن بك فقال تعالى ان في مجيء الليل وذهاب النهار وعكس ذلك وَمَا خَلَقَ اي وفيما خلق اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من العجايب النيران وغيرها لَآيَاتٍ اي لعلامات وعبرات لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ الله وعذابه وخص المتقون بالذكر لانهم يحذرون الاخرة فيدعوهم الحذر الى النظر في خلق الله فيؤمنون ثم بين حال الغافلين عن العاقبة بقوله إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا اي لا يخافون سوء العاقبة لانكارهم البعث بعد الموت الذي هو سبب لقاء الله اي لا يأملون ثوابنا في الاخرة لذلك وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا اي اختاروا القليل الفاني على الكثير الباقي وَاطْمَأَنُّوا بِهَا اي سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا اي عن القرآن ومحمد عم غَافِلُونَ اي معرضون او عن ادلتنا ذاهلون فلا يعتبرون أُولَئِكَ اي الموصوفون بهذه الصفات مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ من الكفر والتكذيب ثم بين ما اعده للمؤمنين الصالحين

فليس

بقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم اي يرشدهم ربهم على
الصراط الى الجنة بان يجعل لهم نورا يمشون به على الصراط الى دخول الجنة
فقال لهم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول انا عملك
فيكون له نورا وقايدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فيصور له سيئة
فيقول له انا عملك فينطلق حتى يدخله النار بايمانهم اي بسبب تصديقهم ايانا
في الدنيا المقرون به العمل الصالح يتعلق بيهديهم وقوله تجري من تحتهم الانهار
جملة حالية من ضمير يهديهم اي حال كونهم تجري بين ايديهم الانهار وهم متنعمين في
جنات النعيم لا يخرجون عنها دعويهم اي دعاؤهم فيها اي في جنات النعيم
سبحانك اللهم اي ننزهك تنزيها عما لا يليق بعظمتك وجلالك قيل
انهم يلهمون التسبيح عند دخولهم الجنة كما يلهمون النفس وقيل سبحانك اللهم علامة
بينهم وبين خدمهم قالوه اذا طلبوا ماكلا من مآكل الجنة فيجيئون بما يشتهون
ويضعون بين ايديهم الموائد كل مائدة ميل في ميل وعلى كل مائدة سبعون الف صحفة
لون من الطعام لا يشبه بعضه بعضا وتحيتهم فيها سلام اي تأتيهم الملائكة
به من ربهم او يحييهم الملائكة به او يحيي بعضهم بعضا بالسلام وآخر دعويهم بعد التسبيح
ان الحمد لله رب العالمين قالوه تلذذا وسرورا على ما اكرمهم بانواع الكرامات
واعطاهم من الخيرات واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان لكون ان مخففة
من الثقيلة قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير نزل في اهل مكة
حين استعجلوا العذاب بقولهم اللهم امطر علينا حجارة من السماء ان كان
القرآن حقا فقال تعالى لو عجل الله للناس في استجابة دعائهم في الشر تعجيله مثل
استعجالهم بالخير يعني كما يحبون ان يستجاب لهم ما طلبوا من الخير لقضي اليهم اجلهم
اي لاميتوا واهلكوا في الدنيا قرئ مجهولا ودفع الاجل ومعلوما ونصبه والمعنى
انا لا نعجل للناس الشر بدعائهم فلا نقضي لهم اجلهم بل نمهلهم فنذر عطف على مضمر
اي نترك الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون البعث بعد الموت في طغيانهم
اي في ضلالتهم مع افاضة النعم عليهم الزاما للحجة واستدراجا في العذاب يعمهون
اي يترددون متحيرين وانما عطف فنذرهم على محذوف لا على يعجل لان الترك دفع
في التعجيل لم يقع كما اقتضيه لو ثم بين حال الانسان الغير الصابر فقال واذا مس
اي اصاب الانسان الضر اي البلاء من المرض والفقر دعانا بالاخلاص لجنبه
اي مضطجعا ومطروحا على جنبه اذا اشتد بلاؤه فهو في محل النصب على الحال
بدليل او قاعدا اذا كان او قائما اذا انهض وبقي فيه اثر العلة يعني دعانا في جميع

حالاته

حالاته عند نزول البلاء فلما كشفنا عنه ضره اي ازلنا عنه بلاءه مر اي استمر
على ترك الدعاء الينا ونسيه كأن اي كأنه لم يدعنا الى ضر مسه اي بلاء
اصابه قبل ذلك كذلك اي مثل التزيين زين للمسرفين اي زين لهم الله بخذلانه
او الشيطان بوسوسته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الايمان والعمل للآخرة
ومن الاشتغال بالشهوات في الدنيا ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل
مكة بالعذاب لما ظلموا اي حين قاموا على كفرهم واتباع الشهوات وجاءتهم الواو
للحال اي وقد اتى القرون المتقدمة رسلهم بالبينات اي بالحجج والشواهد على
صدقهم والمراد المعجزات او الاحكام من الاوامر والنواهي وما كانوا ليؤمنوا
اي ليصدقوا الرسل ويرغبون في الايمان بهم والواو للعطف على ظلموا كذلك اي
مثل ذلك الجزاء وهو الاهلاك نجزي القوم المجرمين اي المشركين المكذبين برسلهم ثم
جعلناكم يا اهل مكة او هو خطاب لكل من بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم
خلائف اي قوما يخلفون بدلا من القرون الماضية في الارض من بعدهم اي
بعد هلاكهم لننظر كيف تعملون خيرا او شرا اعاملكم على حسب اعمالكم وفيه
تهديد شديد لهم فان الدنيا حضرة والله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون
وكيف يتعلق بتعملون لا بننظر لان الاستفهام يمنعه واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
اي واضحات وهي القرآن قال الذين لا يرجون لقاءنا وهم كفار مكة ائت بقرآن
غير هذا لم يكن فيه ذم آلهتنا ولا فيه وعيد لنا فنعطيك ونتبعك او بدله بان
تجعل مكان آية العذاب آية الرحمة لا غير فامر الله تعالى نبيه بقوله قل ما يكون
لي اي ما يجوز وما يصلح ان ابدله اي اجعله مكان آية العذاب آية الرحمة من
تلقاء نفسي اي من قبل رأيي كما طلبتم مني وان كنت قادرا عليه لانه داخل
تحت قدرة الانسان لما فيه عصيان عظيم لامر الله وسكت من الجواب
عن الاتيان بقرآن آخر لانه غير مقدور عليه للانسان ثم قال تاكيدا لنفي التبديل
ان اتبع الا ما يوحى الي اي لا اعمل الا بما تنزل علي من آيات القرآن اني اخاف
ان عصيت ربي بعمل ما لم امر به عذاب يوم عظيم اي يوم القيمة قل لهم ليعلموا
ان القرآن ليس من تلقاء نفسك لو شاء الله ما تلوته اي ما قرأت القرآن
عليكم ولا ادريكم به اي ولا اعلمكم الله بالقرآن وتركتكم على كفركم لو لم يجعلني
رسولا اليكم وقرئ ولأدريكم بغير الف اي ولو شاء لاعلمكم به على لسان
غيري لكنه من علي بالرسالة فقد لبثت فيكم عمرا من قبله اي قبل نزوله
ولم آتكم بشيء افلا تعقلون انه ليس من قبله قيل لبث النبي صلى الله عليه وسلم

ادريكم

بلام التأكيد

فيهم قبل الوحي اربعين سنة ثم اوحي اليه فاقام بمكة بعد الوحي ثلث عشرة سنة
ثم هاجر فاقام بالمدينة عشرة سنين وتوفي وهو ابن ثلث وستين سنة فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فزعم ان له شريكا او ولدا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ اي
بمحمد والقرآن إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ اي لا ينجو المشركون قيل هم مسيلمة الكذاب واتباعه
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ان عصوه وتركوا عبادته وهو
الاصنام وَلَا يَنفَعُهُمْ ان عبدوه وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ يشفعون
لنا في الاخرة قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ اي اتخبرونه بِمَا لَا يَعْلَمُ صحته فِي السَّمَاوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ من شفاعة آلهتكم اما تعلمون انها لا يكون ابدا او اتخبرون الله
بان له شريكا يشفع عنده ولا يعلم الله لنفسه شريكا فيهما سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ بالياء والتاء وكذا في موضعين في سورة النحل وفي سورة الروم
وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً اي على الاسلام على عهد آدم ثم على عهد نوح
بعد الغرق اذ لم يذر الله من الكافرين ديارا فكانوا كلهم مسلمين فَاخْتَلَفُوا
اي الى مؤمن وكافر وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ بان يجعل لكل امة اجلا
وان لا يهلكهم الا باجلهم لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ في وقت اختلافهم بنزول العذاب هو
تعجيل عقوبة المكذبين وكان ذلك فصلا بينهم فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وقيل
معناه لولا حكمه انه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون
القيمة يقضي بينهم في الدنيا فادخل المؤمن الجنة والكافر النار ولكنه سبق
من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيمة وَيَقُولُونَ اي اهل مكة لَوْلَا أُنزِلَ
عَلَيْهِ اي هلا انزل على محمد عم آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ اي من الآيات الذي اقترحنا ما
منه وذلك حين قال عبد الله ابن امية لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ اي انما سألتموني الغيب وهو نزول الآية وعلمه مختص
بالله لا يعلمه احد غيره فَانتَظِرُوا نزولها إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ وقيل معناه
فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على الباطل ثم قال ايماء الى جهلهم وعدم
اعمالهم عليه وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ اي كفار مكة وغيرهم رَحْمَةً اي مطرا او راحة
مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ اي يبس وقحط او بلاء وآفة مَسَّتْهُمْ اي اصابتهم إِذَا لَهُم مَّكْرٌ
وهو التكذيب والاستهزاء فِي آيَاتِنَا اي في نعمنا النازلة عليهم بقولهم سقينا
بنوء كذا ولما تضمن اذا للمفاجاة معنى الاسراع فقال بازائه قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا
اي اخذا وعقوبة فما يأتي منكم في دفع الحق إِنَّ رُسُلَنَا اي حفظتنا الملائكة
يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ من القول الكذب في شان الحق هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ اي يسهل

لكم

السير

السير من التيسير وقرئ ينشركم من النشر وهو البعث اي يبثكم فِي الْبَرِّ على الدواب
والاقدام وَالْبَحْرِ في السفن ويحفظكم فيهما حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم
وجرت السفن بالناس والفلك جمع هنا ولذا قال وجرين بهم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ اي
لينة وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة مبالغة في تعريف نعمه عليهم وَفَرِحُوا
بِهَا اي بريح طيبة جَاءَتْهَا اي السفينة رِيحٌ عَاصِفٌ اي شديدة ولم يكن عا
صفة لاختصاص الريح بالعصوف وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ اي من كل ناحية
وَظَنُّوا اي ايقنوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ اي دنوا من الهلاك دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ اي اخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا احدا سواه يقولون لَئِنْ أَنجَيْتَنَا
مِنْ هَٰذِهِ اي من الريح العاصف او من هذه الشدة لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ لك
بالايمان والطاعة فَلَمَّا أَنجَاهُمْ الله من الشدة التي يخافونها إِذَا هُمْ يَبْغُونَ
اي فهم يظلمون الناس ويتجاوزون الى غير امر الله فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ اي بعبادة
غير الله والدعاء له والعمل بالمعاصي والفساد ثم خاطبهم توبيخا لهم وتهديدا يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ اي ظلمكم وفسادكم عَلَىٰ أَنفُسِكُم اي وباله راجع عليها قال ابن
عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وقال عم اثنان ان يعجلهما الله تعالى في الدنيا
البغي وعقوق الوالدين وقال ايضا ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر وقرئ
مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خبر مبتداء محذوف اي هو يعني بغيكم بسبب تمتعكم في الحيوة
الدنيا ويجوز ان يكون خبر انما بغيكم وقرئ بالنصب اما مفعول له اي لاجل متاع
الحيوة الدنيا واما مصدر في موضع الحال اي يتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثُمَّ إِلَيْنَا
مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم اي فيخبركم الله في الآخرة بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ في الدنيا ثم ضرب مثلا الحيوة
الدنيا ومتاعها بقوله إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا في بقائها وفنائها كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ
اي كمطر منها فَاخْتَلَطَ بِهِ اي بالمطر نَبَاتُ الْأَرْضِ يعني دخل الماء في الارض فانبت
النبات فاشتبك بعضه ببعض بسببه واتصل من كل لون مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ
من الحبوب وَالْأَنْعَامُ من الوان الحشيش حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا
اي حسنها وزينتها وظهر الذي اخضر واحمر واصفر وابيض وَازَّيَّنَتْ اي وتزينت بالنبات
والزهر وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا بالحصاد والحطاف والضمير راجع الى غلة الارض
او الى الزينة أَتَاهَا أَمْرُنَا اي قضاؤنا بالاهلاك لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا اي غلتها
او زرعها حَصِيدًا اي محصودة مقطوعة كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ اي لم تقم بالزمان
الماضي من غني بالمكان اذا اقام به فليس المراد الزمان الذي قبل يومك قبل ان المشبه بالدنيا
ثا تيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون كَذَٰلِكَ اي مثل ذلك التفصيل والبيان نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

اي ايات القرآن وامثالها يعني نبتغي غرور الدنيا وزوالها كيلا يغتروا بها وليرضوا بها
وبتبن بقاء الآخرة ليرغبوا في طلبها يتفكرون في امثال القرآن واخباره فيعتبرون
والله يدعوا الى دار السلام اي يدعوا كل احد من الناس الى الجنة التي هي دار
السلام من الآفات او السلام بمعنى التحية لان اهلها يحيي بعضهم بعضا بالسلام
والملائكة يسلم عليهم ويهدي اي ويرشد من يشاء الى صراط مستقيم اي الدين
القيم هو الاسلام عمّ بالدعوة لاظهار الحجة وخص بالهداية لاستغنائه عن الخلق
والمعنى انه يدعوا العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون وهم الذين علم
ان اللطف منه يجري عليهم لان مشيته تابعة لحكمته للذين احسنوا العمل في
الدنيا مع التوحيد الحسنى الجنة وزيادة اي فضل وهو النظر الى وجه الله
الكريم قال عم اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل
الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد الم يثقل
موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب
فينظرون الى وجه الله عز وجل فقال فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه
وقيل المغفرة والرضوان وقيل التضعيف عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ولا
يرهق اي لا يغشى وجوههم قتر اي غبار فيه سواد وهو كسوف الوجوه عند
معاينة النار جمع قترة ولا ذلة اي مذلة وهوان وحزن وهذا بعد نظرهم
الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اي دايمون والذين كسبوا
السيئات مبتدا اي عملوا المعاصي مع الكفر والخبر جزاء سيئة بمثلها على الاضمار
اي لهم جزاء سيئة منها بسيئة مثلها بلا زيادة كقوله ومن جاء بالسيئة فلا
يجزى الا مثلها وقيل العذاب موافق للسيئة فان جزاء الشرك النار اذ لا ذنب
اعظم من الشرك ولا عذاب اشد من النار وترهقهم اي وتغشيهم ذلة اي
مذلة بكسوف الوجه اذا عاينوا النار ما لهم من الله من عاصم اي ليس
للكفار مانع يمنعهم من عذابه تعالى قوله كانما اغشيت وصف لسواد وجوههم
البتة وجوههم قطعا بسكون الطاء اي جزءا واحدا وبفتحها جمع قطعة من
الليل مظلما حال من الليل والعامل اغشيت اي في حال ظلمته اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون اي دايمون في العذاب ويوم نحشرهم نصب بمضمر
اي اذكر يوم نجمع المشركين ومعبوديهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا بالله
شركاء مكانكم اي الزموا انتم وشركاؤكم اي آلهتكم مقامكم ولا تبرحوا منه
فزيلنا اي فرقنا بينهم اي بين المشركين وآلهتهم من زيلته وازلته بمعنى واحد

يعني

يعني قطعنا ما كان بينهم من الالفة والتواصل في الدنيا وذلك حين تبرأ كل معبود
من دون الله من عابده وقال شركاؤهم اي آلهتهم ما كنتم ايانا تعبدون
بطلبنا في الدنيا ولا نعلم عبادتكم ايانا فيقول الكفار بل كنا نعبدكم بامركم
فيقول الاصنام بانطاق الله اياهم فكفى بالله شهيدا اي كفى الله بناعا
بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين اي ما كنا عن عبادتكم ايانا
الا غافلين لعدم عقلنا وسمعنا وبصرنا فان نافية واللام بمعنى الا و
الفائدة في احضار آلهتهم وانطاقهم اظهار ضعف معبوديهم عندهم فتزيد
لهم حسرة على ذلك هنالك تبلوا اي تختبر وتعلم بالتاء من البلوى وبتائين
من التلو والتلاوة اي في يوم القيمة تتبع كل نفس ما اسلفت اقدمت من
العمل خيرا كان او شرا كما يختبر الرجل الشيء ويتبعه ليعرف حقيقته او تقرأ
كل نفس صحيفتها لتعلم ما فيها وردوا في الآخرة الى الله الى حكمه مولاهم الحق
اي الذي يتولى ويملك امرهم حقيقة ولا يشكل بقوله وان الكافرين لا مولى
لهم لان المعنى فيه مولى الناصر وفي الاول المالك وضل عنهم اي غاب وزال
ما كانوا يفترون في الدنيا من الكذب والشفاعة لهم قل للمشركين مستفهما
من يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات امن يملك السمع والابصار
الذي معكم يعني من اعطاكم اياها وما فيهما من الحكم ومن يخرج الحي من الميت
كولد من النطفة ومن يخرج الميت من الحي كالنطفة من الحيوان ومن يدبر
الامر اي ومن يفعل ويسوي امر جميع العالم او من يرسل الملائكة بالا
ويقضي فسيقولون الله اي هو يفعل هذه الاشياء كلها لا الاصنام
لانه لا عقل ولا قدرة لهم فقل لهم افلا تتقون عذاب الله فيتركون
الشرك ويؤمنون به فذلكم اي فعال الله تعالى هذه الاشياء الله ربكم
الحق الذي لا شك لمن حقق النظر فيه انه رب كل شيء فماذا بعد الحق
اي فليس بعد العمل الذي هو الشرك وعبادة غيره بعد ظهور الحق الذي
هو الايمان بالله وطاعته الا الضلال عن الحق فانى تصرفون اي فمن
اين تعدلون عن عبادته وانتم مقرون بالحق كذلك اي هكذا حقت
اي وجبت كلمة ربك مفردا وجمعا هنا وفي آخر السورة وفي غافر اي حكم
ربك الذي سبق في علمه يا محمد على الذين فسقوا اي ضلوا وكفروا انهم
لا يؤمنون بفتح ان بدل من كلمة ربك اي حق عليهم انتفاء الايمان في علمه
تعالى ويجوز ان يكون المراد من الكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل

بتقدير اللام اي لانهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم استفهام على سبيل
التعجيز للكفار والمراد للحق الذي لا شبهة فيه المعترف بصحته بحسب اقتضا
العقل اي هل من معبوديكم من يبدأ الخلق اي من يقدر على خلق شيء
وانشائه من غير اصل ولا مثال ثم يعيده اي يحييه من بعد الموت كهيئته
فان اجابوك والا فانت قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون
اي من اين تكذبون انهم شركاء الله او تعدلون عن الهدي قل هل من
شركائكم من يهدي اي يرشد الخلق بالدعوة الى الحق اي الاسلام واذا
قالوا ولا بد لهم من ذلك قل الله يهدي للحق اي الى الاسلام يقال هدي
له واليه اذا بين طريقه أفمن يهدي الى الحق اي اخبروني عمن يدعو ويوفق
من كان اهلا للاسلام أحق اي اولى واجدر ان يتبع فيعمل باوامره وينتهي
بنهيه أمن لا يهدي فيه خمس قراءات بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف
الدال بمعنى لا يهتدي وبكسر الهاء بعد الفتح وتشديد الدال اصله لا يهتدي ادغم
التاء في الدال فالتقى ساكنان فحرك احدهما بالكسر وبفتح الهاء ايضا وتشديد
الدال لان حركة التاء وقعت على الهاء وسكون الهاء بعد الفتح وتشديد الدال
لان اصله لا يهتدي بسكون الهاء فادغم التاء في الدال واقيم التشديد مقامه
وبكسر الياء والهاء اتباعا وتشديد الدال والمعنى الذي يهدي الى الحق احق بالاتباع
ام الصنم المعبود الذي لا يتحرك بنفسه لكونه جمادا ولا ينتقل من مكان الى
مكان آخر الا ان يهدي اي بان ينقل يعني بان يحمله احد ويزيله من مكانه
لانه لا روح له ولا عقل فما لكم كيف تحكمون ايها الجاهلون بالباطل ان
لله شريكا ثم قال وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي ما يتبع جميعهم في قولهم ان الا
صنام آلهة وانها تشفع لهم في الآخرة الا ظنا لم يرد به كتاب ولا رسول او المعنى
ان اقرارهم بالله ظن لانه قول غير مستند الى برهان عندهم فلذلك يتركون
الحق ويتبعون الظن ان الظن لا يغني اي لا يدفع ولا ينفع من الحق اي من
عذاب الله شيئا ولا يقوم الظن مقام العلم والتحقيق ان الله عليم
بما يفعلون من عبادتهم الشركاء وتقليد الاباء وما كان اي ما صح هذا القرآن
ان يفترى اي يختلق من دون الله ويضاف الى غيره فان يفترى في محل
النصب خبر كان اي افتراء يعني مفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه
اي قبله من الكتب كالتورية والانجيل يعني المصدق لانه يصدق ما جاء من انبيا
الامم الماضية وقصص الانبياء السابقة وتفصيل الكتاب اي وتبين احكامه

من الحلال والحرام واكد خبر كان المضمر الذي دخل عليه لكن بقوله لا ريب فيه
اي منتفيا عنه الريب عند من آمن به وباقرانه كاينا من رب العالمين وهما
في محل النصب بان يكونان خبرين بعد الخبر او حالين ويجوز ان يتعلق من
وتفصيل ام يقولون اي بل يقول كفار مكة افتراه اي اختلق القرآن محمد صلى
الله عليه وسلم من ذات نفسه قل فأتوا بسورة مثله جر بدل من بسورة اي
بشبيه القرآن في الفصاحة والاعجاز على طريق الافتراء لانكم عرب مثله و
ادعوا من استطعتم من دون الله اي ممن تعبدون الاصنام ليعينوكم
على مثل ذلك الافتراء ان كنتم صادقين انه يقوله من ذات نفسه فلما سمعوا
ذلك سكتوا فبين عجزهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا اي بل هم سارعوا الى
تكذيب ما لم يدركوا بعلمه اي بما فيه من علم ما لهم من الثواب وما عليهم من العقاب
وهو القرآن ولما يأتهم تأويله اي ولم يأت لهم عاقبة ما وعد الله في القرآن انه يؤول
اليه امرهم وهو العقوبة في الدنيا او في الآخرة وهي كاينة لا محالة دل على ذلك
كلمة التوقع او كذبوا القرآن على البديهة بعد فهمه والوقوف على معانيه وتأويله
ولم يجيئهم ما يبين صدقه من كذبه وهو علامات الاعجاز بعد كذلك اي مثل ذلك
التكذيب قبل النظر في معجزات الانبياء كذب الذين من قبلهم من الامم الماضية
رسلهم فانظر كيف كان اي صار عاقبة الظالمين انفسهم بتكذيب رسلهم وفيه
حث للنبي صلى الله عليه وسلم على الصبر وتخويف لهم بالعقوبة ومنهم من يؤمن به
اي من المكذبين من يصدق بالقرآن في نفسه ولكن يعاند بالتكذيب او ومنهم
من سيؤمن به ومنهم من لا يؤمن به اي يصر في الكفر ولا يصدقه ابدا للعلم
السابق فيهم وربك اعلم بالمفسدين الذين لا يؤمنون به او اعلم بعقوبة
المعاندين والمصرين وان كذبوك يا محمد بما جئتهم به فقل لهم تحذيرا لي عملي
اي ديني وجزاؤه ولكم عملكم اي دينكم وجزاؤه يوم القيمة انتم بريئون مما
اعمل وانا بريء مما تعملون وهذه منسوخة باية السيف نظرا الى آخرها وان نظر
بالجزاء فمحكمة ثابتة قوله ومنهم من يستمعون اليك جمع الضمير فيه نظرا الى المعنى
من نزل حين قدم طائفة من اليهود فاستمعوا قراءة القرآن وتعجبوا به ولم يسلموا
لغلبة الشقاء عليهم وقيل في شان كفار مكة تسلية للنبي عم واعلاما له ان لا
هادي الى الايمان بالقرآن الا الله اي ومن المشركين ناس يستمعون اليك وقت قراءتك
القرآن باسماعهم الظاهرة فلا ينفعهم أفأنت تسمع الصم اي انت تفهم صم القلب
ولو كانوا لا يعقلون اي لا يفهمون بالقلب ومنهم من ينظر اليك بابصارهم

تعجبا منك او رد الضمير فيه نظرا للفظ من افانت تهدي اي ترشد الي الايمان
العمي اي عمي القلب ولو كانوا لا يبصرون اي لا يدركون بالبصيرة المعني انهم في اليأس
من قبول الحق وتصديقه كالصم والعمي الذي لا عقول لهم ولا بصاير فكيف يهتدون
بهدايتك وقد سلبت منهم السمع والبصر الذين هما من اسباب الاهتداء وحكمت
عليهم بان لا يؤمنوا وانما قرن بالاصم عدم العقل وبالاعمي عدم الادراك تفضيلا
بحكم الباطن علي الظاهر لان الاصم العاقل ربما يفطن بعقله واستدل علي
تحقيق شيء اكثر مما يحسه البصر الذي لا بصيرة له ان الله لا يظلم الناس اي
لا ينقص من اجورهم شيأ ولا يحمل عليهم من اوزار غيرهم شيأ لانه في جميع احواله
متفضل وعادل ولكن الناس انفسهم يظلمون بالكفر والمعصية وقرئ لكن بكسر النون
مع التخفيف وبفتحها مع التشديد وعليهما الاختلاف في الناس قوله ويوم يحشرهم
بالنون والياء ظرف ليتعارفون اي يوم يجمعهم الله بالبعث من قبورهم كان لم
يلبثوا اي مشتبهين بمن لم يمكثوا في الدنيا او في القبور لشدة ما يلقون يوم القيمة
الا ساعة من النهار فكان مخففة من المثقلة اي كانهم وساعة ظرف لللبث
وجملة كان نصب علي الحال من مفعول نحشر وجملة يتعارفون بينهم حال اخري
مبينة للاولي ويجوز ان يتعلق بالظرف اي يعرف بعضهم بعضا حين بعثوا من
قبورهم كمعرفتهم في الدنيا ثم ينقطع المعرفة اذا عاينوا اهوال القيمة قيل ان الانسان
يعرف من بجنبه يوم القيمة ولا يكلمه خشية وهيبة قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله اي بالبعث بعد الموت اي غبنوا في تجارتهم ببيعهم الايمان بالكفر وما كانوا
مهتدين اي عارفين بالتجارة وفيه معني التعجب والمراد من الخسران خسران
النفس ولا شيء اعظم منه واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب
في حيوتك يا محمد او نتوفينك قبل ان نريك تعذيبهم فالينا مرجعهم اي
مصيرهم في الآخرة ثم الله شهيد اي عالم رقيب علي ما يفعلون في الدنيا
من الكفر والتكذيب فيجزيهم به ثم يعني نحن نريكه في الاخرة فلا تحزن وكلمة ثم هنا
بمعني الواو اذ لا تراخي ثم في تعذيبهم وقيل اريد من الشهادة هنا مقتضاها وهو
العقاب كانه قال ثم الله معاقب علي ما فعلوا فثم بمعناها ولكل امة اي لاهل
كل دين مضوا رسول اتاهم يدعوهم الي الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات
وكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين المكذبين ورسولهم بالقسط اي بالعدل
فانجي الرسول وعذب المكذبون في الدنيا والاخرة ففيه ايماء الي ان لا ثواب
ولا عقاب قبل مجيء الرسل وهم لا يظلمون اي لا يعذبون بغير حجة يلزمهم

اولا يؤاخذون بغير ذنب ولا يزاد علي سيئاتهم ويقولون المشركون استهزاء
متي هذا الوعد بقيام الساعة او بنزول العذاب بنا ان كنتم صادقين
في ذلك انت يا محمد واصحابك وفيه استبعاد له منهم قل لا املك اي لا اقدر
لنفسي علي شيء ضرا اي دفع ضر من مرض او فقر ولا نفعا اي جلب نفع كصحة
وغناء الا ما شاء الله ان يقدرني عليه استثناء منقطع اي لكن ما شاء الله
يصيبني فكيف املك علي الاتيان بالساعة او علي انزال العذاب بكم لكل امة
اجل اي مدة معلومة وهي وقت فناء اعمارهم او وقت تعذيبهم اذا جاء
اجلهم اي ذلك الوقت فلا يستأخرون عنه اي لا يمهلون ساعة من الزمان
ولا يستقدمون اي لا يسبقون عنه ساعة فهذه الامة كذلك لا يتأخر
عنهم العذاب اذا نزل بهم وانما قيد الساعة لانها اقل زمان الامهال والاستعجال المعني
انه تعالي اذا جاء ذلك الوقت المحدود وانجز وعدكم لا محالة فلا يستعجلون وفيه
مبالغة في نفي التأخير بتسوية طرفي الزمان المحدود في نفي التقديم والتأخير اللذين
احدهما ممكن والاخر محال قل لكفار مكة ارأيتم اي اخبروني ان اتيكم عذابه
اي عذاب الله بياتا اي وقت بيات بمعني التبييت وهو الليل وانتم غافلون
عنه بالنوم فيه كما جاء الي قوم لوط وكذا لم يقل ليلا او نهارا اي وقتا فيه تشتغلون
بطلب الكسب والمعاش ساهين عنه كما جاء الي قوم شعيب وجواب الشرط محذوف
وهو تندموا واحسرة علي الاستعجال او الجواب ماذا يستعجل منه المجرمون علي معني
ان العذاب كله مكروه فاذا اتاكم ذلك فاي شيء يستعجل به من الله المشركون
وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يرجع الضمير في منه الي العذاب
ويتعلق الاستفهام بقوله ارأيتم وانما قال المجرمون ولم يقل ماذا تستعجلون بالخطاب
تصريحا بموجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب
علي اجرامه ثم استفهم علي تقدير نزول العذاب بهم علي حالهم تهديدا لهم بقوله اثم
اذا ما وقع اي بعد استعجالكم العذاب اذا وقع بكم العذاب آمنتم به اي بالله
وبمحمد او بالعذاب عند نزوله فقيل لكم وقت الباس الآن تؤمنون حين لا ينفعكم
الايمان وقد كنتم به تستعجلون اي تكذبون لان استعجالهم علي وجه التكذيب
والانكار قوله ثم قيل عطف علي قيل المضمر قبل الآن بمعني يقال اي يقال للذين
ظلموا اي اشركوا والقايلون خزنة جهنم ذوقوا عذاب الخلد الذي لا ينقطع عنكم
هل تجزون اي ما تجازون الا بما كنتم تكسبون في الدنيا من الكفر والتكذيب قوله
ويستنبؤنك اي يستلونك عن خبر العذاب نزل حين قدم حيي بن اخطب مكة

وقال النبي صلى الله عليه وسلم مستخبرا عن العذاب احق هو اي ما تعدنا
من العذاب وقيام الساعة فقال تعالى لنبيه عم قل اي وربي اي نعم والله انه
لحق لا شك فيه وجمع بين القسم وحرف الايجاب تاكيدا لحقيقة وما انتم بمعجزين
اي بفايتين من العذاب لان من عجز عن شي فقد فاته وهو ايضا داخل تحت القسم
ثم قال مخبرا عن حالهم التي ستكون لهم يوم القيمة ولو ان لكل نفس ظلمت
اي اشركت بالله تعالى صفة نفس واسم ان ما في الارض جميعا اي لو كان لها
جميع ما فيها من الاموال وغيرها لا فتدت النفس اي لاعطت فدية به اي
بجميع ما فيها مقابلة بخاتها من العذاب ولا يتقبل ذلك منها واسروا الندامة اي
واخفاء رؤساؤهم من السفلة لما راوا العذاب اي راي العين يوم القيمة حياء
وخوفا من لوم الضعفاء وتوبيخهم او عجزا عن النطق بها لشدة الامر لانهم بهتوا
لرؤيتهم ما لم يحتسبوا وقضي اي وحكم بين الخلايق بينهم بالقسط اي بالعدل
وهم لا يظلمون من ثواب اعمالهم ان كانوا مؤمنين صالحين ولا يزاد في عذابهم
ان كانوا كافرين او عاصين ثم قال منبها في بيان استغنائه عن الخلق وقدرته
عليهم الا ان لله ما في السموات والارض اي جميعه ملكه ينفذ حكمه فيه لانه
خلقهما وبما فيهما يدل على توحيده وقدرته على البعث بعد الموت الا ان وعد
الله حق اي وعده بالبعث كاين لا محالة ولكن اكثرهم لا يعلمون فيصدقون به
هو يحيي ويميت اي يحيي الخلايق ويميتهم واليه ترجعون بعد الموت في
الآخرة فيثيبهم ويعاقبهم بحسب الحال ثم خاطب اهل مكة او جميع الناس
ترغيبا في الايمان بالقران والعمل به فقال يا ايها الناس قد جاتكم موعظة
اي كتاب جامع من ربكم لفوايدهما يجب لكم وعليكم من الحلال والحرام
وشفاء لما في الصدور اي دواء لما في القلوب من داء الجهل وعمي القلب
وهدى ورحمة للمؤمنين اي لكل من آمن به وعمل بما فيه قل يا محمد للمؤمنين
بفضل الله الاسلام وبرحمته القرآن وقيل بالعكس فليفرحوا فبذلك
اي فبفضل الله وبرحمته فليفرحوا ~~وهذا التقدير اصل الكلام م كرر للتقرير و~~
~~التاكيد فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخل في جواب الشرط~~
~~معنى كانه قال ان فرحتم بشيء فليفرحوا~~ وهذا التقدير اصل الكلام كرر للتقرير
والتاكيد فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخل في جواب الشرط
معنى كانه قال ان فرحتم بشيء فليخصوا هما بالفرح فانه لا شيء احق ان يفرح به منهما
من فوايد الدنيا هو اي ذلك الفرح خير مما يجمعون اي مما يجمعه الكافرون من

به

ثم الصلاة له صح

اموال

اموال الدنيا قل يا محمد للمشركين ارايتم اي اخبروني ما انزل الله لكم اي
الذي اعطاكم اياه من رزق كالحرث والانعام وعبر الانزال لان كل ما في الارض
من خير مما انزل من السماء بالماء فجعلتم منه حراما على النساء ومنه حلالا
للرجال فبعضتموه وقلتم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على
ازواجنا قل مستفهما منهم والاستفهام متعلق بارايتم اي اخبروني الله
اذن لكم في هذا التحريم والتحليل ام اي بل على الله تفترون اي تختلقون
بنسبة ذلك اليه والاستفهام للمبالغة في الزجر على الافتراء في الحكم اذا سئل عنه
الحاكم وباعث على الاحتياج فيه لان من لم يحيط في الحكم فهو مفتر ثم قال تاكيدا
للزجر عن ذلك وما ظن الذين يفترون على الله الكذب وما فيه استفهام
لتقرير التهديد اي اي شي ظنهم في الافتراء على الله يحسبون ان الله لا يؤاخذهم
به يوم القيمة ولا يعاقبهم عليه ان الله لذو فضل على الناس اي لذو من
عليهم بتاخير العذاب عنهم او بالوحي ولكن اكثرهم لا يشكرون نعمة الله
وهو الاسلام ولا يتبعون مجاهدين اليه وهو القران قوله وما تكون في
شان خطاب للنبي عم بالخصوص تفصيله له وقيل المراد منه وما فيه للنفي
اي ما تكون يا محمد في عمل من الاعمال واصل الشان القصد والجمع شؤون وما
تتلو اي ما تقرا منه اي من الله او من الشان من قرآن ثم جمع النبي عم مع امته
تفضيلا لهم بقوله ولا تعملون من عمل من اعمال الدنيا والآخرة الا كنا عليكم
شهودا اي رقباء عالمين بكم وباعمالكم اذ تفيضون فيه اي حين تدخلون
في العمل سواء كان تلاوة القران والذكر والحكم على الناس بالعدل او بالظلم
او عملا مما يشتهي نفوسكم من اعمال الدنيا فعلى كل حال نحن شهداء عليكم وفيه
تهديد شديد بخلقه وما يعزب بضم الزاء وكسرها اي وما يغيب عن ربك
من مثقال ذرة وهو فاعل يعزب ومن صلة والذرة النملة الصغيرة الحمراء
او ما يرى في شعاع الشمس من الغبار اي وزنها في الارض ولا في السماء وحق
السماء ان يتقدم على الارض لكنه بما ذكر شهادته على سوء اهل الارض ووصل
قوله لا يعزب عنه بذلك قدم الارض على السماء لرعاية الملايمة بينهما على ان حكم
العطف بالواو فيه حكم التثنية اي لا يعزب منهما ثم استانف تاكيدا لذلك
بقوله ولا اصغر اي ولا اخف من ذلك اي من وزن الذرة ولا اكبر اي اثقل
من وزن الذرة الا في كتاب مبين اي الا ثابت في اللوح المحفوظ قرا بفتح الراءين
بناء على ان لا لنفي الجنس وبرفعهما لابتداء الكلام وقطعه عما قبله اذ لو عطف

على محل مثقال ذرة على الفاعلية لفسد المعنى وهو لا تغيب عن الله اصغر
من مثقال ذرة الا في كتاب مبين يعني تغيب عنه فيلزم الجهل به تعالى عنه
علوا كبيرا اللهم الا اذا اريد من لا يعزب لا يبتين او لا يصدر فيستقيم الا
ستثناء حينئذ يعني لا يظهر ولا يحدث عن الله شيء من الغيب في الارض
ولا في السماء الا وهو مكتوب في اللوح ونحن نشاهده في كل وقت الا ان
اولياء الله اي احباءه وهم العلماء بالله وحملة القرآن وقيل هم المجتنبون
عن عمل السوء في الخلوات لعلمهم ان الله مطلع عليهم وقيل هم الذين اذا
راوا ذكر الله والمراد السمت كقوله سيماهم في وجوههم من اثر السجود لا خوف
عليهم من شدائد الساعة ولا هم يحزنون بفوات الجنة ولا بحرمان اللقاء ولا
يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فوصفهم بقوله
الذين آمنوا بالله واقاموا بقلوبهم على موجب المعارف منه وكانوا يتقون
عن المخالفة بعد استقامة نفوسهم باداء الوظائف لهم البشرى وهي الرؤيا
الصالحة يريها العبد المؤمن لنفسه او يرى له غيره وهي جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة على الاصح وهي البشارة العظمى في الحيوة الدنيا
وقيل لهم البشرى عند الموت يبشرهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا الاية
وفي الآخرة اي يبشرهم الملائكة حين يخرجون من القبور بالجنة والفوز
وبياض وجوههم الذي يرونه لا تبديل اي لا تحويل لكلمات الله اي
لمواعيده تعالى التي وعدها في القرآن ذلك اي الموعود للمؤمنين هو الفوز
العظيم اي النجاة الوافرة في الآخرة ثم قال تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
ولا يحزنك يا محمد قولهم اي تكذيبهم وتهديدهم ومشاورتهم في ابطال امرك
قوله ان العزة لله في معنى التعليل كأنه قال ما لي لا احزن فقيل لان الغلبة
والقهر والقوة والقدرة لله جميعا فانه ناصرك والمنتقم منهم وكل من يتعزز
انما هو باذن الله هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم وعقوبتهم الا ان لله
من في السموات ومن في الارض اي كل ما فيهما في حكمه وتحت تصرفه من
الخلق والملك والانس والجن وغيرهم وذكر من تغليبا للعقلاء وما يتبع اي
لم يتبع الذين يدعون اي يعبدون من دون الله شركاء اي آلهة حقيقة
الشركاء وان سموهم شركاء لانهم انما يعبدونها على انهم شركاء فيشفعون لنا
وليس ذلك على ما يظنون فشركاء المذكور مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف
فتقديره ما يتبع الذين يدعون شركاء من دون الله شركاء فحذف الاول

ناصر بك

الا الظن

بدلالة الثاني عليه وقيل استفهام منصوب المحل بيتبع على وجه الاقناط
اي شيء يتبع فشركاء نصب بيدعوا ان يتبعون اي ما يتبع عابد الشركاء الا الظن
يعني لا يعبدونها الا بظن انها يقربهم الى الله وان هم المشركون الا يخرصون
اي يكذبون في قولهم انها شفعاء لنا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
من تعب الاشتغال في النهار والنهار مبصرا وجعله مضيئا يبصر فيه كقولك
ليل نائم طلبا للمعيشة ان في ذلك اي في تقليب الليل والنهار لآيات اي لعبرات
لقوم يسمعون سماع الاعتبار والاتعاظ فيعلمون ان لا يقدر على ذلك غير الله
وان لا اله الا هو فيؤمنون به على التوحيد ثم تنزه نفسه على افتراء آخر منهم
بقوله قالوا اي المشركون اتخذ الله ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله سبحانه
تعجيب من كلمتهم الخبيثة الحمقاء وتنزيه له عن اتخاذ الولد هو الغني عن اتخاذ الولد
وخلقه له ما في السموات وما في الارض اي ملك له يخلقه من العدم ان عندكم
من سلطان بهذا اي ما عندكم بهذا القول برهان ومن صلة بعد النفي
للتأكيد اتقولون على الله ما لا تعلمون حقيقة يعني لا تقولوا ما ليس لكم به علم
فانه جهل وافتراء قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون اي
لا ينجون من العذاب متاع افتراؤهم بلغة مسيرة في الدنيا لنيل رياستهم و
لذاتهم ثم تزول ثم الينا مرجعهم اي مصيرهم بعد الموت ثم نذيقهم العذاب
الشديد يوم القيمة بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم ثم امر نبيه ان يقرأ
على اهل مكة خبر نوح وقومه ليعتبروا ويؤمنوا بقوله واتل عليهم اي على كفار
قريش نبأ نوح اي خبره في القرآن اذ قال لقومه الكفرة وهم ولد قابيل
يا قوم ان كان كبر اي عظم وثقل عليكم مقامي اي قيامي بينكم واعظا بكم
وتذكيري اي وعظي لكم بآيات الله وهي قوله في سورة نوح استغفروا
ربكم انه كان غفارا الى قوله الم تروا الاية فعزمتم على قتلي وطردي فعلى الله
توكلت اي فوضت امري اليه ووثقت به لا بغيره ثم قال احتقارا لهم واستضعافا
لشأنهم فاجمعوا امركم اي فاحكموا كيدكم في اهلاكي من الاجماع وهو الاحكام
وشركاءكم الواو فيه بمعنى مع اي اجمعوا امركم مع شركائكم اي آلهتكم ذكرهم على
وجه التهكم وادعوا شركاءكم واستعينوا بها للجمع ثم لا تكن امركم عليكم غمة
اي سترة يعني خفيا مبهما يعني لا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن
مكشوفا مشهورا تجاهرونني ثم اقضوا الي اي امضوا ما في انفسكم من الشر واعلموا
ولا تنظرون ولا تمهلوني في قصد اهلاكي لكل طريق منكم وهذا قول على طريق

التعيير واظهار قلة المبالاة وثقته على وعد ربه بنصرته عليهم فاخبره
الله تعالى عن نوح انه كان واثقا بنصر الله غير خائف من كيد قومه علما منه بانهم
وآلهتهم ليس اليهم نفع ولا ضر الا ان شاء الله **فان توليتم** اي اعرضتم عن
نصحي وقبول قولي والايمان بالله **فما سألتكم من اجر** ينقص لكم في الدنيا
فما يضرني اعراضكم **ان اجري** اي ما ثوابي **الا على الله** في الآخرة **وامرت**
ان اكون من المسلمين اي المستسلمين لامر الله الذين لا يأخذون للوعظ
والنصيحة وتعليم الدين اجرا فان مقتضى الاسلام ذلك قال ع م تأخذون
للعلم والقرآن ثمنا فيسبقكم الدناة الى الجنة **فكذبوه** اي نوحا في خبر نزول
العذاب لهم وهو الطوفان بالماء واستمروا على تكذيبه **فنجيناه ومن معه**
من المؤمنين **في الفلك** من العذاب النازل بهم **وجعلناهم خلائف**
اي جعلنا الذين معه في الفلك سكان الارض خلفا عن الهالكين بالعذاب
واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اي بحججنا الواضحة على صدقه وتوحيدنا
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي عاقبة امر الذين انذرتهم الرسل
فلا تؤمنوا وفيه تعظيم لما جرى عليهم وتحذير للمشركين الذين انذرهم النبي
عن مثله وتسلية له ثم عقب خبر نوح باخبار رسل جاؤا بعدهم على اممهم
بالبينات فلم يؤمنوا فاهلكوا تحذيرا لها اهل مكة ليؤمنوا فقال **ثم بعثنا**
من بعده اي من بعد نوح واهلاك قومه **رسلا** كابراهيم وهود ولوط
وشعيب **الى قومهم فجاؤهم بالبينات** بالحجج الموضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا اي قومهم **ليؤمنوا** بعد دعاهم الرسل **بما كذبوا به** اي بمثل ما كذب
به قوم نوح من الحق نوحا قبلهم او بما كذب قوم الرسل به **من قبل** اي قبل ان يأتيهم
الرسل يعني انهم كانوا جاهلين مكذبين قبل بعثة الرسل ثم كذبوا بالحق بعد بعثة
الرسل اليهم فلم يفترق حالتاهم في التكذيب فكفار مكة كهؤلاء المكذبين فصاروا
كان لم يبعث اليهم احد من الرسل لقساوة قلوبهم وشدة اصرارهم على الكفر
كذلك مثل ذلك الختم على قلوبهم **نطبع** اي نختم **على قلوب المعتدين** اي المتجاوزين
من الحق الى الباطل **ثم بعثنا من بعدهم** اي بعد الرسل **موسى وهرون**
الى فرعون وملائه اي اشراف قومه **بآياتنا** اي بعلاماتنا التسع **فاستكبروا**
اي تكبروا عن الايمان بالجرءة على ردها **وكانوا قوما مجرمين** اي صادوا ذوي
آثام عظام ثم بين آثامهم بقوله **فلما جاءهم الحق** وهو ما جاء به موسى ع م
من المعجزات **من عندنا** لا من قبل الرسل **قالوا ان هذا لسحر مبين**

وزين

اي كذب مموه بالصدق عيانا قطعوا بكونه سحرا بينا **قال لهم موسى أتقولون**
للحق لما جاءكم من عند الله انه سحر وتعلمون انه الحق لا الباطل ثم قال منكرا
عليهم **أسحر هذا** اي ايكون مثل هذا سحر وهو علامة لنبوتي **ولا يفلح الساحرون**
اي لا ظفر لهم في الدنيا ولا في الآخرة **قالوا** اي قال فرعون وقومه لموسى ع م
أجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا **عما وجدنا عليه آباءنا** من عبادة غير الله
وتكون بالياء والتاء **لكما** يا موسى وهرون **الكبرياء** اي الملك والسلطان
في الارض اي في ارض مصر **وما نحن لكما بمؤمنين** اي مصدقين في دعوكما
بانكما رسولا رب العالمين **وقال فرعون لقومه ائتوني بكل ساحر عليم**
اي حاذق بالسحر وقرئ بكل سحار بمعنى المبالغة **فلما جاء السحرة قال لهم**
موسى القوا اي اطرحوا على الارض **ما انتم ملقون** اي طارحون من
الحبال والعصي **فلما القوا** ما معهم على الارض من السحر **قال موسى ما جئتم به**
السحر مبتدا وخبر وما موصولة اي الذي اتيتم به هو السحر لا الحق وقرئ
آلسحر بالمد على الاستفهام فما استفهامية ومحلها نصب بمحذوف فيكون
من باب الاضمار على شريطة التفسير تقديره اي شيء اتيتم وجئتم به تعبير
لا وتيتم ثم ابتدأ بقوله السحر هو المعنى اي شيء جئتم به هو السحر ثم قال **ان الله**
سيبطله اي سيمحقه **ان الله لا يصلح عمل المفسدين** اي لا يقويه ولا
يديمه لفساده **ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون** اي فرعون وقومه
ثم اخبر تعالى بنبيه عن مؤمني موسى بقوله **فما آمن لموسى الا ذرية** اي لم
يصدق بموسى الا اولاد **من قومه** اي قوم موسى بني اسرائيل لان موسى قد
دعا آباءهم الى الايمان فلم يجيبوه اجابة **على خوف من فرعون وملائهم**
واشراف الذرية ولم يؤنث الضمير نظرا للمعنى لانهم آمنوا وهم يخافون من فرعون
وقومه وانما لم يؤمن بآبائهم لانهم كانوا من القبط وكانت امهاتهم من بني
اسرائيل فجعل الرجل يتبع امه وخاله وقيل هلك آباؤهم من بني اسرائيل وبقي
ابناؤهم وقيل الضمير في ملائهم لفرعون جمع تعظيما له لكونه عظيما في نفسه
والمراد من فرعون آله كما يقال مصر ويراد قومه قوله **ان يفتنهم** في محل الجر
بدل من فرعون اي على خوف من ان يقتلهم **وان فرعون لعال** اي لطاغ غالب
متكبر **في الارض** اي في ارض مصر بادعاء الالوهية والقتل والظلم العظيم **وانه**
لمن المسرفين اي المجاوزين الحد لانه كان عبدا حقيرا فادعى الربوبية قيل
عاش فرعون ثلثمائة سنة او مائتين وعشرين سنة لم ير مكروها ودعاه موسى ع م

أذعن

غانين سنة وقال موسى لقومه الذين امنوا به يا قوم ان كنتم امنتم
بالله فعليه توكلوا اي به ثقوا ولا تخافوا من فرعون وقومه وذلك
حين قالوا له اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا فقال توكلوا على الله
ان كنتم مسلمين اي مخلصين في الايمان فقالوا على الله توكلنا في
جميع امورنا ثم دعوا بقولهم ربنا لا تجعلنا فتنة اي بلية للقوم الظالمين
اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وعتوا
ونجنا برحمتك اي بنعمتك واحسانك من القوم الكافرين بك وبانبيائك
يعني فرعون وقومه قال الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه هرون
ان تبوءا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا وهي المنزل يقال تبوء فلان
لنفسه بيتا اذا اتخذه مضجعا واراد بمصر هنا اما مصر فرعون او الاسكندرية
يعني اتخذا لاجلهم منزلا ومقاما فيها لاجل السعادة واغا حض بالخطاب بهما فقيل
تبوءا لانه مما يفوض الى الانبياء ثم سيقه الخطاب عاما لهما ولقومهما بقوله
واجعلوا بيوتكم قبلة اي في بيوتكم مساجد متوجهة الى القبلة وهي الكعبة
وكان بنو اسرائيل لا يصلون الا في كنائسهم وبيعهم فلما ارسل موسى امرهم فرعون
ان يخربوا بيعهم وكنائسهم ومنعهم من الصلوة لئلا يظهر عبادتهم وكان في ظاهره
فامرهم ان يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلون فيها سرا وخوفا من ال فرعون وقيل
معناه حولوا بيوتكم نحو القبلة قال ابن عباس كانت الكعبة قبلة موسى ومن
معه فامرهم بالتحويل اليها واقيموا الصلوة اي اتموها فيها بركوعها وسجودها
تقية من الكفرة حذرا من اذاهم قيل كان المسلمون على ذلك في اول الاسلام بمكة
لئلا يفتنوهم ثم خص موسى بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها بقوله
وبشر يا موسى المؤمنين اي المصدقين بالله المصلين في البيوت سرا بالجنة و
هذا يؤذن ان الصلوة كانت مفروضة على بني اسرائيل بمصر دون الزكوة لان
فرعون استعبدهم واخذ اموالهم فصاروا فقراء ومساكين وقيل وبشر خطاب
لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا خلاف الظاهر ثم اخبر تعالى عن موسى وقاله بقوله
وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون اي اعطيته وملأه اي اشرافه زينة
وهي كل ما يتزين به من متاع الدنيا قيل كانت لهم من فسطاط مدينة من نواحي مصر
الى ارض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وياقوت وزبرجد فطغوا
بها وضلوا ولذلك قال واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك
اي عن دين الاسلام قرئ بفتح الياء من الضلال اي ليمتنعوا عن دينك وبضمها

من الاضلال اي ليصرفوا الناس عن دينك واللام فيه للتعليل اي ليكون
سببا للضلالة او لام العاقبة اي ليكون عاقبة امرهم الضلال وقيل هو
دعاء بلفظ امر الغايب بدليل قوله ربنا اطمس على اموالهم اي امحقها
واهلكها والطمس المحو واشدد على قلوبهم اي اقسها ولما توفقهم للايمان
فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا والاولى عطفه على اشدد وقيل نصب بعد
الفاء في جواب الدعاء اي حتى يدخلها الايمان وقيل هو دعاء بلفظ النهي اي
اللهم اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وهو الغرق قيل
مسخ الله اموالهم حجارة من الدراهم والدنانير كهيئتها صحاحا ومن النخيل والثمار
والطعام والدقيق روي ان رجلا كان مع اهله في فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة
تختبز فصارت حجرا وتكرهم ايضا صار حجرا فكانت احدى الايات التسع وذلك حين
وعد له فرعون بان يؤمن ويرسل معه بني اسرائيل كما امر الله تعالى به ثم نقض العهد فدعى
عليهم موسى وهرون قال تعالى قد اجيبت دعوتكما قيل انهما كانا يدعوان جميعا
وقيل دعى موسى وامن هرون فاستقيما اي فاثبتا على الرسالة والدعوة الى
ان يأتيهم العذاب ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قرئ بتشديد التاء و
كسر الياء وبسكون التاء وفتح الباء مع تخفيف النون المؤكدة وكسرها لالتقاء الساكنين
وتشديدها اي لا تسلكان طريق الجهلة بعبادة الله ولا تعجلا في اجابة دعوتكما
فان التعجيل ليس بمصلحة اذ الامور يتعلق بالمصالح كما لبث نوح في قومه قريبا من
الف عام ولم يستعجل لزيادة الزام الحجة قيل ان الاجابة ظهرت بعد اربعين سنة
وقيل بعد اربعين يوما وقيل وقع الدعاء حين خرج موسى ببني اسرائيل من مصر و ايس
من ايمانه وايمان قومه لانه علم ان ايمانهم لا يدخل تحت الصحة بوحي من الله فاشتد
غضبه وافرط مقته فدعا عليهم بما علم انه لا يكون غيره وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر اي عبرنا بهم منه وهو بحر النيل وقيل بحر قلزم فاتبعهم اي فلحقهم يقال اتبعه
فلان اذا ادركه ولحقه واتبعه بالتشديد اذا سار خلفه واقتدى به يعني ادركهم
فرعون وجنوده بغيا اي ظلما في القول حيث قيل ان هؤلاء لشرذمة قليلون
وعدوا اي اعتداء في الفعل حيث قصد قتلهم وذلك حين انفلق البحر لموسى وقومه
بامر الله تعالى لموسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار اثني عشر طريقا يابسا فلما و
صل فرعون وجنوده الى البحر هابوا دخوله فتقدمهم جبرئيل على فرس وديق وخاض
البحر فاقتحمت خيولهم خلفه فلما دخل آخرهم وهم اولهم ان يخرجوا انطبق عليهم الماء
حتى اذا ادركه اي فرعون الغرق يعني غرق وقرب هلاكه قال آمنت انه بالكسر

على الاستيناف وبالفتح مفعول امنت اي ان الشان لا اله الا الذي امنت به
بنوا اسرائيل وانا من المسلمين اي على دينهم الاسلام او انا من المخلصين على التوحيد
كرر الايمان ثلث مرات حرصًا على القبول ولم يقبل لانه لم يكن وقت القبول فقال تعالى
خطابا لفرعون آلآن اي اتؤمن الآن وقد عصيت قبل اي قبل هذا الوقت و
كنت من المفسدين اي الضالين المضلين قبل ايمان البأس غير مقبول لقوله فلم ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا وفي التوبة البأس خلاف بين العلماء والاصح قبولها لانبساط
المعرفة السابقة بالايمان في المؤمن بخلاف الكافر فانه لا معرفة له مع ربه حتى ينبسط عند
البأس فترد ايمانه عليه روي ان جبرئيل عم اخذ من طينة البحر فدسه في فيه وهو
حول على غضب الله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه لا على معنى آخر يروى
فيه ثم قال تعالى لفرعون فاليوم ننجيك من البحر ببدنك اي بجسدك لا روح فيه او بدرعك
وكان له درع مشهور مرصع بالجواهر لتكون يا فرعون لمن خلفك اي لمن بعدك
من الكفار المتمردين آية اي عبرة لئلا يدعوا الربوبية قيل لما اخبر موسى قومه بهلاك
فرعون وقومه قال بنوا اسرائيل ما مات فرعون فامر الله البحر فالقاه ميتا على الساحل
احمر قصيرا كانه ثور فراه بنوا اسرائيل فصدقوا بموته ومن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا
ابدا فصار عظة للخلق وان كثيرا من الناس عن آياتنا وهي هلاك فرعون مع جنوده
وانجاء موسى مع قومه من البحر المغرق لغافلون اي لا يخافون فيعتبرون ثم اخبر عن
حال بني اسرائيل بعد هلاك اعدائهم بقوله ولقد بوأنا اي نزلنا بني اسرائيل مبوأ
صدق اي منزل وقف وكرامة وهو مصر وشام او الارض المقدسة ورزقناهم
من الطيبات اي الحلالات من ميراث اهل مصر وشام فما اختلفوا اي ما
تشعبت اليهود الذين كانوا في عهد النبي عم في تصديقه انبي فقال بعضهم هو هو وقال
بعضهم ليس هو وغيروا صفته بعد معرفتهم اياها في كتابهم حتى جاءهم العلم اي القرآن
والبيان بانه صادق ودينه حق فكانوا مقرين بنبوته قبل خروجه للرسالة او ما اختلفوا
في دينهم ولم يتفرقوا فرقا فيه حتى جاءهم موسى بعلم التورية فاختلفوا من بعد يوشع بن
نون فامن بعض وكفر بعض ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
من امر الدين ثم قال خطابا للنبي عم والمراد غيره على عادة العرب لعلمه تعالى انه غير
شاك او خطاب لكل انسان شاك لان الناس كانوا في عهده بين شاك وموقن فان
كنت في شك مما انزلنا اليك وهو نزل حين قالت كفار قريش ان هذا الوحي يلقي
اليه الشيطان فقال تعالى ان كنت في شك منه فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من
قبلك وهم مؤمنوا اهل التورية فيخبروك انه مكتوب عندهم في التورية او قيل

للنبي عم

للنبي عم هذا على سبيل الفرض ليكون لنفيه ابلغ ولهذا قال لا اشك ولا اسئل بل اشهد
انه الحق ثم قال تحقيقا لذلك لقد جاءك الحق واللام في جواب القسم اي والله
لقد اتاك الذي لا شك فيه وهو القرآن من ربك لا من الشيطان كما قال الاعداء
فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في انه من ربك ولا تكونن من الذين كذبوا
بآيات الله اي بكتابه ورسله فتكون من الخاسرين اي المغبونين في دينك ان
الذين حقت اي وجبت عليهم كلمة ربك وهو قوله هؤلاء في النار ولا ابالي لا يؤمنون
فيموتون كفارا لانه قدر عليهم الكفر ولو جاءتهم كل آية اي علامة دالة على التوحيد
حتى يروا العذاب الاليم اي الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة فلولا كانت قرية
اي فما كانت جماعة قرية كافرة فلولا كلمة التحضيض في الاصل استعملت هنا في النفي
لان في الاستفهام ضربا من الجحد يعني لم يكن قرية من القرى آمنت عند معاينة العذاب
فنفعها ايمانها في حال البأس الا قوم يونس فالاستثناء متصل لان المراد اهالي القرى
فيكون نصبه على اصل الاستثناء من آمنت ويجوز ان يكون لولا في معناها والا
منقطع من قرية يعني لكن قوم يونس لما آمنوا اي وقت بقاء الاختيار والتكليف
كشفنا عنهم عذاب الخزي اي الذل والهوان في الحيوة الدنيا فنفعتهم ايمانهم
لوقوع ايمانهم في وقت الاختيار لا في حال البأس ومتعناهم الى حين اي الى وقت
انقضاء آجالهم واختلفوا في انهم راوا العذاب عيانا فقال بعضهم وهو الاكثرون راوا
العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا وقال الاقلون راوا دليل العذاب وهو سواد السماء
بالغيم المظلم هايلا تدخر فيه الدخان الشديد ليؤمنوا ويطيعوا وهو بمنزلة رفع الجبل
لامتثال امر التورية وقصة الاية انه قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان قوم يونس
كانوا من ارض الموصل فارسل الله اليهم يونس يدعوهم الى الايمان فابوا فقال لهم يونس
ان العذاب مصبحكم الى ثلثة ايام فقال بعضهم لبعض ما جربنا عليه كذبا من كان معنا
فانظروا ان بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم
واحتالوا لانفسكم وخرج في تلك الليلة من عندهم فلما اصبحوا راوا غيما اسود فيه دخان
عظيم فهبط حتى غشي مدينتهم وتسودت سطوحهم فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا
بالهلاك فترادوا المظالم قيل كان يقلع الرجل الحجر الذي قد وضعه بالظلم في اساس
بنائه ويرده الى مالكه فتابوا واستغفروا الله ولبسوا المسوح وخرجوا الى الصحراء
مع النساء والصبيان والبهائم وفرقوا بين الاولاد والامهات من الاناس والبهائم
فحن بعض الى بعض ثم عجوا الى الله مؤمنين متضرعين تائبين اربعين ليلة فلما
عرف الله منهم صدق التوبة واخلاصها رحمهم فرفع عنهم العذاب بعد ما كان غشيهم ففيه

تخويف شديد لاهل مكة وغيرهم بانهم ان لم يؤمنوا النزل بهم العذاب فلا ينفعهم
الايمان ان آمنوا في ذلك الوقت روي انهم خرجوا الشيخ من بقية علمائهم وعرضوا عليه
حالهم من نزول العذاب بهم فقال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله
الا انت فقالوها فكشف عنهم العذاب وكان يوم عاشورا يوم الجمعة وقيل قالوا اللهم
ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل
بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك يا محمد ايمانهم لآمن من في الارض كلهم جميعا بتوفيقه
وهدايته اياهم او بالقسر والالجاء كما فعل بقوم يونس لكنه لم يفعل لان الدنيا دار ابتلاء
افانت تكره الناس اي المشركين حتى يكونوا مؤمنين ليس ذلك اليك وانما عليك
التبليغ قيل هو في شان عمه ابي طالب ثم اوفى الى ان الايمان لا يكون للمؤمنين الا باذنه
وارادته بقوله وما كان لنفس من النفوس التي علم انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله
اي بتسهيله وتوفيقه ويجعل الرجس بالنون والياء والجاعل الله اي الخذلان لانه
سبب الرجس وهو العذاب على الذين لا يعقلون من الله امره ونهيه قل
انظروا ماذا ما استفهامية وذا بمعنى الذي عند سيبويه اي انظروا انظر عبرة الذي
في السموات من دلايل التوحيد كالشمس والقمر والنجوم وفي الارض من الجبال والا
والثمار والبحار وغير ذلك فاعتبروا به وآمنوا وما تغني الآيات اي لا تنفع
العلامات والنذر جمع نذير اي الرسل عن قوم لا يؤمنون لعلمه السابق انهم
يموتون على الكفر ثم هدد كفار مكة بقوله فهل ينتظرون اي ما يترقبون بعدم
الايمان الا مثل ايام الذين خلوا اي وقايع الذين مضوا من قبلهم من مكذبي
الامم كقوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب والنعمة اياما كقوله وذكرهم بايام
الله اي بنعمه وقالوا كل ما مضى عليك من خير وشر فهو ايام قل فانتظروا بهلاكي
اني معكم من المنتظرين بهلاككم قوله ثم ننجي بالتشديد دون التخفيف رسلنا
من العذاب والذين آمنوا منصرف معنى الى قوله ايام الذين خلوا يعني اذا جاءهم
العذاب ينجي الله محمدا ومن امن معه دونهم قوله كذلك اي مثل ذلك الانجا
حقا اي انجاء ثابتا صادقا علينا يتعلق بقوله ننجي المؤمنين بالتشديد و
التخفيف ثم امر نبيه بان يقول لاهل مكة بقوله قل يا ايها الناس ان كنتم في
شك من ديني الذي ادعوكم اليه في صحته وسداده فهذا ديني يعني الاسلام
فاعرضوه على عقولكم لتعلموا انه دين لا مدخل للشك فيه فاني نظرت الى دينكم
وعرفت انه باطل فلا اعبد الذين تعبدون اي الاوثان والحجارة التي تعبدون
من دون الله ربكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي يميتكم ويقبض

ارواحكم

ارواحكم عند انقضاء اجالكم فهل يدل هذا على فساد ديني ام على فساد دينكم
ومع ذلك امرت ان اكون من المؤمنين اي الموقنين على دينهم من غير انصراف عنه
فلا انصرف عنه وان اقم عطف على ان اكون على ان ان مصدرية ومنع ذلك بعض
النحاة لان الصلة لا بد ان تكون جملة خبرية والامر والنهي للانشاء فلا يصلح ان يوصل
بهما وجوزه سيبويه لان الامر والنهي يدلان على المصدر كدلالة ساير الافعال عليه
فيكون عطف المصدر على المصدر اي وامرت بان اخلص وجهك اي عملك للدين
حنيفا اي مايلا عن الاديان غيره حال من فاعل اقم ولا تكونن من المشركين
لا ترجع عن دينك الحق الى دينهم الباطل ولا تدع اي لا تعبد من دون الله اي من غيره
ما لا ينفعك ان عبدته ولا يضرك ان لم تعبده وعصيته فان فعلت اي
فان عبدت غيره فانك اذا من الظالمين اي الظالمين انفسهم لان الشرك
ظلم عظيم قيل الظالم من طلب النفع ممن لا يملكه لنفسه واستدفع الضر ممن
لا يملك الدفع عن نفسه ثم قال وان يمسسك الله اي ان يصيبك بضر اي ببلاء
قليل كالمرض والفقر فلا كاشف له الا هو اي لا مزيل لما يصيبه من الضر غيره ولا يقدر
الاصنام على كشفه وان يردك الله بخير كالصحة والسعة في الرزق فلا راد
لفضله اي لا مانع لعطائه الذي يريده لك يصيب به اي بفضله وخيره او بكل واحد
من النفع والضر من يشاء من عباده اذا استحق له وهو الغفور الرحيم
بمغفرة ذنوب المؤمنين وبقبول حسناتهم ثم امرهم ايضا ان يقول لاهل مكة
بقوله قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق اي القرآن والاسلام من ربكم
فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة بعد هذا فمن اهتدى اي اختار الهدى
بالايمان بهما فانما يهتدي لنفسه اي ثوابه مختص بنفسه ومن ضل
عن الهدى ولم يختره فانما يضل عليها اي فوباله على نفسه لا على غيره وما انا
عليكم بوكيل لحفظ اعمالكم قيل نسخ هذا باية السيف واتبع ما يوحى اليك
اي ان لم يصدقوك فاعمل به واصبر على تكذيبهم وايذائهم حتى يحكم الله اي
يقضي بينك وبين اعدائك بالحق وينصرك عليهم في الدنيا والآخرة
بتعذيبهم وهو خير الحاكمين اي اعدل القاضين فحكم بقتل المشركين وباخذ
الجزية عن ساير الكافرين يؤدونها عن يد مع كونهم صاغرين سورة هود مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب احكمت آياته نزل بعد ختم يونس بالامر بالايمان واتباع الموحى
والصبر عليه لنفي الشرك وبيان الموحى المحكم المفصل والعمل به اي انا الله الرقيب على

كل شي هذا المنزل كتاب احكمت ايا ته من الاختلاف والتناقض اي احكمها بالامر والنهي
وبما يحتاج اليه العباد ثم فصلت اي بينت وشرحت بدلايل التوحيد واحكام
الحلال والحرام والمواعظ والقصص والامثال او فرقت في التنزيل آية فآية
وسورة فسورة ولم ينزل جملة واحدة وثم للتراخي في الوصف لا للتراخي الوقت
كما يقال فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل قوله من لدن حكيم خبير يتعلق باحكمت
وفصلت اي اتقنت وفسرت من عند الله حكيم في الاتقان خبير في التفسير
والبيان الا تعبدوا مفعول له لان لا توحدوا ولا تطيعوا الا الله فان نا
صبة للفعل ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هي ان لا تعبدوا غير الله فان
مخففة من المثقلة ويجوز ان يكون مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول اي
قيل لا تعبدوا الا الله فلا نهي في الوجهين او مفعول به اي بان لا تعبدوا فهو في
محل الجر بتقدير الباء قوله انني مفعول قول مقدر اي قل يا محمد لهم انني لكم منه
اي من جهة الله نذير اي مخوف وعذابه لمن كفر وبشير بالجنة لمن امن قوله
وان استغفروا يجوز ان يعطف على ان لا تعبدوا اي وحدوا ربكم بالاستغفار
من الشرك فان التوبة تكون من الشرك خلافا للمعتزلة لان عندهم لا تصح التوبة
الا بعد الايمان ففسروا استغفروا ربكم بآمنوا به ثم توبوا اي ارجعوا اليه بالطاعة
وترك المعصية او استغفروا بالتوبة ثم استقيموا عليها وقال الفراء ثم هنا بمعنى
الواو لان الاستغفار توبة اي توبوا اليه باللسان وارجعوا اليه بالاخلاص
او معناه استغفروا من ماضي الذنوب وتوبوا من مستقبلها يمتعكم اي
يعيشكم في الدنيا متاعا حسنا اي عيشا طيبا الى اجل مسمى اي الى حين
الموت قيل العيش الطيب هو الرضاء باليسير والصبر على المقدور ويؤت
كل ذي فضل فضله اي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره في الآخرة قيل
من كثرت طاعته في الدنيا زادت درجاته في الجنة لان الدرجات تكون
بالاعمال قال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت
سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من
اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة بالفضل وان تولوا اصله ان تتولوا اي
ان تعرضوا عن الايمان فاني اي فقل اني اخاف عليكم عذاب يوم كبير
اي عذاب يوم القيمة الى الله مرجعكم اي مصيركم في الآخرة وهو على كل
شي قدير اي قادر على ان يبعثكم بعد الموت فيجازيكم باعمالكم فقوله الا
انهم يثنون صدورهم نزل تنبيها للنبي عم والمؤمنين عن حال من كان

اذا مر برسول الله وهو يقرأ القرآن ثنى صدوره وطأطأ رأسه وغطى نفسه
بثيابه لئلا يعرفهم النبي عم ولئلا يسمعوا قراءته كراهة لها وهم كفار مكة وقيل نزل
في شان المنافقين اي اعلموا ان الكفار يزورون عن الحق ويميلون عنه بامالة صدورهم
عن النبي عم وارخاء الستر عليهم بثيابهم ليستخفوا اي ليستتروا منه اي من النبي
يعني لئلا يعرفه ولا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره الا حين يستغشون اي يغطون
ثيابهم على رؤسهم يعلم الله ما يسرون من العداوة في قلوبهم وما يعلنون بالسنتهم
من الكلام قيل منهم اخنس بن شريف فانه كان يظهر المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وله حلو الكلام وحسن النظر وتعجب النبي عم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما
يظهر والله مطلع على ما في نفسه ونفس غيره فيخبر عن ذلك بقوله انه عليم بذات
الصدور اي بما في قلوبهم من الخير والشر فيجازيهم به وما من دابة من صلة والدابة
كل حيوان يدب على وجه الارض اي دابة من الدواب في الارض الا على الله رزقها
اي ضامن لرزقها يعني انه يوصله اليها وجوبا لا انه لم يرزقها حتى يموت جوعا فحيثما
توجهت يرزقها هو وفي على معنى الوجوب والرزق من باب التفضل لكنه لما تفضل
برزق كل شي من الدواب صار التفضل منه تعالى كنذور العباد وقيل على بمعنى من
اي من الله رزقها ويعلم مستقرها اي مكانها ومسكنها ليله ونهارا كل اي كل واحد
من الرزق والمرزوق والمستقر والمستودع وبيان غيرها من الاشياء في كتاب
مبين اي مثبت في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقها فلا يفوت منه شيء وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام اي من ايام الآخرة قاله ابن عباس او من
ايام الدنيا قاله الحسن وكان عرشه على الماء قبل خلق السموات والارض لانه
لم يكن تحت العرش سوى الماء وكان ذلك الماء على متن الريح قيل خلق الله ياقوتة
خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء ترتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع
العرش على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم واللوح فكتب به ما هو كاين من
خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل ان يخلق شيئا من خلقه فالمعنى
ان العرش كان على الماء قبل خلق كل شيء ولا دليل فيه على قدم الماء لقوله تعالى هو الاول
والآخر قوله ليبلوكم يتعلق بخلق اي خلق السموات والارض بحكمة بالغة وهي
ان يجعلها مساكن لعباده وينعمهم بانواع النعم ويكلفهم بالامر والنهي فمن شكر
واطاع اثابه بالجنة ومن كفر وعصى عاقبه بالنار ولما كان ذلك مشابها باختبار
المختبر قال يبلوكم اي ليختبركم كاختبار المبتلي لاحوالكم ايكم احسن عملا
اي اتم عقلا وازهد في الدنيا واخلص دينا واسرع طاعة واورع معصية

ومستودعها اي يعلم الموضع الذي يموت فيه
وقيل مستقرها في الارحام ومستودعها في الاصلاب
او البيضات

ايها المؤمنون وخصهم بالذكر تشريفا لهم وطرح ذكر غيرهم تحقيرا لهم لانهم ليسوا اهلا للطف الخطاب اللطيف ولان اعمال المؤمنين تتفاوت الى حسن واحسن دون اعمال الكافرين والاختبار من الله اظهار ما يعلم من اسرار خلقه ولتضمنه معنى العلم جاز تعليق فعل البلاء من العمل في ايكم بالرفع ثم قال لنبيه عم ولئن قلت لهم يا محمد انكم مبعوثون من بعد الموت يوم القيمة ليقولن الذين كفروا اي اهل مكة ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا القرآن الا كذب باطل عيانا لاستحالة خبره بالبعث الظاهرة وقرئ ساحر بالالف اي كاذب مبطل ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه اي اي شئ يمنع العذاب عن المجي يقولونه استعجالا له ظاهرا ويعنون انه ليس بنازل فقال تعالى الا يوم ياتيهم العذاب ليس مصروفا عنهم اي ليس احد يصرف العذاب عنهم اذا انزل بهم في الدنيا او في الاخرة اي نزله بهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن انه ليس بنازل بهم او وباله وجزاؤه قوله يوم ياتيهم ظرف منصوب بمصروفا قدم على ليس وهو دليل لمن يدعي جوازه بتقديم خبر ليس عليها لانه اذا جاز تقديم المعمول كان تقديم عامله اجوز واولى اذ المعمول لا يقع الا حيث يقع العامل ولئن اذقنا الانسان اي الوليد بن المغيرة او الجنس منا رحمة اي نعمة كالعافية والغنا ثم نزعناها اي ازلنا تلك النعمة منه اي من الانسان انه ليؤس اي شديد القنوط من ان لا يعود اليه قاطع الرجاء من فضل الله بلا صبر وتسليم لقضائه ولا استرجاع كفور اي عظيم الكفران بانعام الله عليه النعم الوافرة فيما مضى من الزمان لا يشكره اصلا على ذلك ولئن اذقناه اي الانسان نعماء اي وسعة النعم وتمام الصحة بعد ضراء اي شدة مسته اي اصابته ليقولن اي الانسان ذهب السيئات اي زالت الشدايد عني انه لفرح اي بطر فخور اي متبجح على الناس بما اذاقه الله من نعمائه وقد شغله الفرح عن الشكر قيل الفرح لذة في القلب لنيل المشتهى والفخر التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه قوله الا الذين صبروا ان تاتيهم شدة استثناء متصل من الانسان او منقطع اي لكنهم ليسوا كذلك فمحل الذين صبروا رفع مبتداء وعطف على الصلة وعملوا الصالحات بينهم وبين ربهم يعني نالوا نعمة اقروا وشكروا وخبر المبتداء اولئك لهم مغفرة من الذنوب واجر كبير وهو الجنة واللقاء فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك نزل حين قال كفار مكة ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا وقالوا ايضا كيف لا ينزل اليه ملك نراه او كيف لا يكون له كنز من المال ينفقه حتى ننتفعه فهم النبي عم ان يترك سب آلهتهم ظاهرا فقال تعالى تقصد ترك بعض الموحى اليك

وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد قاضي

ولئن اعطينا نعمة بحيث يجد لذاتها

فلا

بما كلفت

النذارة ع

فلا تبلغه اياهم بما يسوءهم رجاء ان يتبعوك وضائق به صدرك اي ويضيق بما كلفت قلبك يعني بما تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا تكذيبا لولا اي هلا انزل عليه كنز ينفقه او جاء معه ملك يصدقه ويعينه ثم قال تعالى يا محمد انما انت نذير من الله برسالته فلا تترك النذارة واداء الرسالة فانما عليك الانذار وتبليغ الرسالة والله على كل شيء وكيل اي حفيظ يحفظ ما يقولون مما يقصدونك من السوء فيجازيهم به فعليه توكل وبلغ الوحي بقلب فسيح ولا تبال سفههم فانه ناصرك عليهم وذكر ضائق مكان ضيق ليدل على ان ضيقه كان عارضا لا مستمرا كسيد وسائد المعنى انهم لا يقرون بانك رسول الله والقرآن ينزل عليك من الله تعالى ام يقولون اي بل يقولون افتراه اي اختلقه من تلقاء نفسه قل فاتوا بعشر سور مثله اي مثل سور القرآن اي سورة كانت مفتريات اي مختلفات تماثله في حسن النظم والبيان ان كنتم تزعمون ان محمدا اختلقه من ذات نفسه فتكونون قيل كيف يستقيم هذا مع قوله في يونس فاتوا بسورة مثله وقد عجزوا عنه كقول رجل لآخر اعطني دينارا فعجز فقال اعطني عشرة دنانير واجيب عنه بان سورة هود نزلت اولا وللتحدي ومنعه المبرد لان نزول سورة يونس سابق عنده وقال المعنى ان عجزتم عن الاتيان بسورة مثله في الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فاتوا بعشر سور مثله من غير وعد ولا وعيد وانما هي مجرد البلاغة وادعوا من استطعتم من دون الله اي واستعينوا بالهتكم للمعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين في قولكم افتراه فسكتوا فلم يجيبوا فنزل فان لم يستجيبوا اي ان لم يجيبوا لكم يا محمد خوطب بالجمع بعد قوله قل بافراد الخطاب تعظيما له او خوطب اولا وحده ثم خوطب ثانيا مع اصحابه فاعلموا ايها المؤمنون انما انزل القرآن بعلم الله اي بعلمه يعني انزله عالما بانزاله بنظم معجز للخلق مشتمل على اخبار بغيوب وعلوم لا سبيل لهم اليه واعلموا ايضا ان لا اله الا هو اي الا الله الذي ينزل القرآن بعلمه على رسوله محمد فهل انتم مسلمون اي مخلصون في ايمانكم بذلك بعد هذه الحجة القاطعة يعني اثبتوا على العلم الذي انتم عليه وهو الله منزل من عند الله قيل الاستفهام فيه بمعنى الامر يعني اسلموا قوله من كان يريد الحيوة الدنيا بعمله وزينتها ولا يريد به وجه الله نزل في شان المنافقين واهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يعملون لغير الله نوف اي نتم اليهم اعمالهم اي جزاءها بسعة الرزق والصحة وطيب العيش ودفع المكاره فيها اي في الدنيا وهم فيها لا يبخسون اي لا ينقصون

من ثواب اعمالهم يعني يرزقونها وافية كاملة من غير بخس اولئك الذين
ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط اي هلك في الآخرة ما صنعوا فيها اي
ثواب صنعهم في الدنيا وباطل ما كانوا يعملون في نفسه اما لعدم مقارنة الايمان
اولانه لم يكن لوجه الله قال عم احوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول
الله وما الشرك الاصغر قال الرياء وفي رواية ان يصبح صايما ثم ينظر علي طعام يشتهيه
وقال ايضا ان الله لا يظلم المؤمن من حسنة يثاب عليها في الدنيا ويجزي بها
في الآخرة واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتي اذا افضي الي آخرة لم يكن له حسنة
يعطي بها خيرا ثم قال تعالي مشيرا الي ان ليس التساوي بين من يريد الدنيا بعمله
ومن يريد الآخرة به بقوله افمن كان علي بينة مبتدا، خبره محذوف اي افمن
كان علي دين وحجة ظاهرة من ربه كمن ليس علي بينة والفاء صلة والمراد
بالذي هو علي بينة محمد عليه السلام ويتلوه اي ويتبع محمدا شاهد وهو جبريل
رسول منه اي من الله يشهد بصدقه وقيل ملك يحفظه ويسدده وقيل
القرآن منظمة واعجازه من لسانه ومن قبله اي وقبل محمد او قبل القرآن كان
كتاب موسي وهو التوراة يشهد ايضا لصدق محمد عم اماما نصب علي الحال
اي حال كون كتابه مؤتما به في الدين قدوة في العمل به ورحمة اي وهديا
لمن اتبعه يعني التورية او امنا من العذاب للمنزل عليهم من المؤمنين به اولئك
اي المؤمنون بكتاب موسي يؤمنون به اي بالقرآن او بالنبي عم ومن يكفر به
اي بالقرآن او بمحمد عم من الاحزاب اي الكفار المتحزبين علي النبي عم فالنار
موعده اي مصيره بوعده اياه فلا تك يا محمد في مرية اي في شك منه اي
من الموعد او من القرآن انه الحق من ربك اي ان القرآن الصدق من الله وهو
رد لقولهم انه لقول شيطان رجيم اسمه الذي يلقيه الي محمد ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون وهم اهل مكة لا يصدقون بانه من عند الله ومن اظلم ممن
افتري اي اختلق علي الله كذبا بان له ولدا او معه شريكا او كذب
بآياته اي بالقرآن يعني لا احد اظلم منه اولئك اي المكذبون يعرضون
علي ربهم حين سيقوا اليه يوم القيمة يعني لا احد اظلم منه ويسئلهم عن
اعمالهم ويقول الاشهاد الرسل المبلغون بالرسالة او الملائكة الحافظون
للاعمال هؤلاء الذين كذبوا علي ربهم بان القرآن ليس منه او بنسبة الولد
او الشريك اليه الا لعنة الله اي غضبه وطرده علي الظالمين اي المشركين
ثم بينهم بالوصف بقوله الذين يصدون اي يصرفون الناس عن سبيل الله

س

اى

اي عن دين الحق وهو الاسلام ويبغونها ويطلبون دين الاسلام عوجا اي ميلا
عن الاستقامة وهم بالآخرة هم كافرون اي هم المخصوصون بانكار البعث يوم
القيمة فكرر الضمير تاكيدا لكفرهم وبيانا لاختصاصهم بالكفر اولئك اي الكاذبون
علي ربهم لم يكونوا معجزين اي فائتين الله لو اراد الله عذابهم في الارض وما كان
اي ليس لهم من دون الله اي من غيره من اولياء اي ناصرون يحفظونهم
من عذابنا في الدنيا او في الآخرة يضاعف لهم العذاب بتشديد العين من التضعيف
وبالالف من المضاعفة يعني يزاد للرؤساء منهم العذاب بكفرهم وبما اضلوا غيرهم
قوله ما كانوا بدل من خبر المبتداء وهو اولئك وهو خبر ثان له اي اولئك لم
يكونوا يستطيعون اي يقدرون السمع اي الاستماع الي الحق وهو كلام النبي عم
لفرط تصامهم عنه جحدا له وما كانوا يبصرون اي ينظرون الي النبي عم من بغضه
ويجوز ان يراد من اولياء آلهتهم ثم بين نفي كونها اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون
السمع علي الحقيقة وما كانوا يبصرون كذلك فكيف يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب
اعتراض بوعيد ثم اخبر ان وبال الافتراء يرجع الي انفسهم بقوله اولئك الذين خسروا
انفسهم اي غبنوها باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالي وضل عنهم اي وفات
ما كانوا يفترون اي يزعمون ان آلهتهم او الملائكة تشفع لهم عنهم لا جرم اي حقا
او لا بد واصل جرم قطع وقيل لا وجرم بنيا معا علي الفتح محله رفع بالابتداء خبره
انهم هم الاخسرون اي الحق كونهم الاخسرين يوم القيمة ثم اخبر عن حال المؤمنين
في الآخرة بقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم واخبتوا
اي اطمأنوا بالاخلاص الي ربهم اي الي عبادته بالخشوع من الخبت وهو المكان
المطمئن اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اي لا يخرجون ولا يموتون
قيل هذه الآية في شان الصحابة ومن مثلهم من المؤمنين والآية التي قبلها
في شان الكافرين ثم بين مثلا لكل من الطائفتين تحقيقا للفرق بينهما وعدم
تسويتهما في السنة ترغيبا في الايمان وتزهيدا عن الكفر فقال مثل الفريقين
اي الكافر والمؤمن كالاعمي والاصم اي كمثلهما وهو للكافرين والواو بينهما كالواو
الداخلة بين الصفة والموصوف للتاكيد وكذا في قوله والبصير والسميع اي
وكمثلهما للمؤمنين هل يستويان اي الفريقان مثلا اي تسميها تمييز يعني الرجل
الذي لا يبصر ولا يسمع لا يستوي بالذي يبصر ويسمع خاطب به النبي عم كفار
مكة فقالوا لا يستويان قال افلا تذكرون بالتخفيف والتشديد اي يتعظون
بعد العلم بانهما لا يستويان فتؤمنون ولقد ارسلنا نوحا الي قومه اني لكم نذير مبين

في الآخرة

نزل لتهديد كفار مكة يعني ان لم يتعظوا بما ذكرنا فاتل عليهم خبر نوح ولقد ارسلناه
الى قومه ملتبسا بالانذار من عذاب الدنيا والاخرة قرئ اني بالفتح اى باني وبالكسر
على ارادة القول المضمن في الرسالة اي ارسلناه اليهم وقال يا قوم اني لكم مخوف
من الله ذو بيان بلغة تعرفونها ان لا تعبدوا الا الله وهو بدل من اني اي بان
لا توحدوا ولا تطيعوا غير الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم اي مولم بالغرق
او بالنار يوم القيمة قيل بعث نوح بعد اربعين سنة او خمسين او ثمانية او مائتين وخمسين
سنة ومكث فيهم يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين
سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة فقال الملأ الذين كفروا ملؤن القلوب هيبة
صفتهم الذين كفروا من قومه يعني رؤساؤهم ما نراك يا نوح الا بشرا مثلنا وما
نراك اتبعك اي آمن بك الا الذين هم اراذلنا جمع ارذل وهو الدورة من كل شيء
اي ضعفاؤنا وسفلتنا بادي الراي اي اوله بالهمزة بعد الدال من بدأ اذا
فعل ابتداء اي آمنوا بك من غير تفكر فيك وبترك الهمزة من بدا يبدو اذا ظهر اي فيما ظهر
لنا او في وقت ظهور اول رايهم فنصبه على الظرفية بحذف الوقت المقدر المضاف
واقيم بادي مقامه وما نرى لكم خطاب لنوح ومن آمن معه اي ما نعتقد لكم
علينا من فضل اي من زيادة قدر ومال وملك توجب كونكم اهلا للنبوة
لانكم بشر مثلنا تأكلون وتشربون كسائر بني آدم بل نظنكم اي نحسبكم كاذبين
في قولكم قال نوح لقومه يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة اي يقين
وبصيرة يعني على برهان شاهد على صحة دعواي من ربي وآتاني اي اعطاني
رحمة او نعمة وهداية وهي الرسالة من عنده اكراما لي فعميت بالتخفيف معلوما
اي خفيت وبضم العين والتشديد مجهولا اي خفيت والتبست بالتنبيه عليكم
تلك النعمة انلزمكموها استفهام انكار اي انكرهكم على قبولها ولا اكراه في الدين
اي انحملكم معرفتها وانتم لها كارهون لا تريدونها قال قتادة لو قدر الانبياء
ان يلزموا قومهم لالزموا ولكن لا يقدرون اذ لا يقدر على ذلك الا الله تعالى
ثم قال نوح اخبارا عن شفقته وبيانا لقلة طمعه في اموالهم ويا قوم لا اسئلكم
عليه اي على تبليغ الرسالة وايمانكم مالا اي اجرا ان اجري اي ما ثوابي الا على
الله ثم قالوا لنوح اطرد المؤمنين بك عنك حسدا عليهم او لكونهم فقراء ضعفاء
فقال نوح وما انا بطارد الذين آمنوا اي صدقوا بالله ودينه انهم ملاقوا
ربهم اي صائرون اليه في الميعاد فيشكونني الى الله ان لم اقبل منهم الايمان
واطردهم فيعاقبني لطردي اياهم ولكني اراكم قوما تجهلون اي تسفهون على

واطردهم

على المؤمنين بتسميتهم اراذل الناس اولا تذكرون ما امرتكم به وهو دين الاسلام و
ما اخبرتكم به من البعث واللقاء ويا قوم من ينصرني اي يمنعني من الله اي من
عذابه ان طردتهم عن مجلسي فيعذبني بذلك افلا تذكرون اي الا تتعظون
ولا تفهمون ان من يؤمن بالله لا يطرد ولا اقول لكم عندي خزائن الله اي مفاتيح
رزقه فادعي الفضل عليكم بالغنا ولا اعلم الغيب اي ولا اقول لكم اعلم ما غاب
عني وعنكم بالادعاء حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء ولا اقول لكم اني ملك حتى
تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول اي ولا احكم للذين تزدري اي على الذين
تحتقرهم اعينكم من الضعفاء لن يؤتيهم الله خيرا اي ايمانا وتوفيقا لجهلي بحالهم
كما تقولون نزولا على هواكم ومساعدة لكم يعني لا ادعي ما ليس عندي علمه الله اعلم
بما في انفسهم من التصديق والانكار اني اذا لمن الظالمين انفسهم ان قلت شيئا
من ذلك وان طردتهم ولم اقبل منهم الايمان بسبب جهل ما في قلوبهم فلما عجزوا عن جواب
نوح قالوا يا نوح قد جادلتنا اي خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي زدت خصامنا
يعني غلبتنا بدعائنا وموعظتنا ونحن لا نقبلها فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل
ان كنت من الصادقين بان العذاب ينزل علينا قال لهم نوح انما يأتيكم به
اي بما يأتيكم بالعذاب الله ان شاء ان يعذبكم وما انتم بمعجزين اي فائتين
من عذابه ان شاء تعذيبكم ولا ينفعكم نصحي اي نصحي ووعظي ان اردت ان انصح
لكم لتستغفروا من الشرك فتؤمنوا ان كان الله يريد ان يغويكم اي يضلكم و
يهلككم على الضلالة هو ربكم اي خالقكم ومصرفكم كيف يشاء ليس له شريك
في خلقه له الحكم اي الامر كله له في الهداية والضلالة واليه ترجعون فيجزيكم
باعمالكم بعد الموت والبعث ووجه ترادف الشرطين ان الشرط الثاني جزاؤه ما دل
عليه لا ينفعكم نصحي فهو في حكم الجزاء توسعا فوصل بالشرط الثاني فهذا الشرط
مع جزائه يكون في حكم جزاء الشرط المقدم عليه وكذلك الحكم في كل شرط الى ان ينتهي
الشروط السابقة فلو قال رجل لامرأته انت طالق ان كلمت زيدا ان دخلت
الدار ان اكلت خبزا كان تقديره ان اكلت خبزا انت طالق فلو كلمت ثم دخلت
ثم اكلت لم تطلق لكن اكلت ثم دخلت الدار ثم كلمت طلقت فيكون تقدير الاية
ايضا ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي فمثل
هذه التعليقات حكمها ان يتقدم المؤخر ويتأخر المقدم في الوقوع كما عرفته ثم قالوا
انه افترى من نفسه التوحيد والدعوة اليه ما ارسل لتبليغه فقال تعالى لنوح عم
بالاستفهام للتقرير وبزيادة الميم ام يقولون اي قوم نوح افتراه اي اختلقه

نوح قل لهم يا نوح ان افتريته من ذات نفس فعلي اجرامي اي عقوبة افترائي وانا
بري مما تجرمون اي مما تتاثمون في اسناد الافتراء الي لاغراضكم ومعاداتكم
وقيل هو خطاب لاهل مكة في تكذيب النبي عم قوله واوحي الي نوح انه لن يؤمن
من قومك الا من آمن اقناطة له من ايمان قومه سوي من آمن به فدعا عليهم عند
ذلك رب لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا ثم قال تعالي له بعد ندامته علي دعائه و
تحزنه عليهم فلا تبتئس اي فلا تحزن يا نوح بما كانوا يفعلون اي بسبب فعلهم من
تكذيبك وايذائك فقد حان وقت الانتقام لك منهم قيل ان قوم نوح كانوا يضربون
نوحا حتي يسقطه فيلفونه في كبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج
اليهم في اليوم الثاني ويدعوهم الي الله تعالي فقال واصنع الفلك باعيننا اي بحفظنا
وهو في موضع الحال يعني اصنعها محفوظا انت من ان تزيغ في صنعتك عن الصواب
وان لا يحول بينك وبين عملك احد من اعدائك وقيل بنظر منا ووحينا اليك صنعها
وقيل بتعليمنا اياها لك قيل لما امر بعمل الفلك لم يعلم كيف يصنعه فاوحي اليه ان اصنعها
كجؤجؤ الطير وهو عظم الصدر منه فاذن القدوم وجعل يجز ولا يخطي ولا تخاطبني
اي لا تراجعني الكلام في الذين ظلموا اي في اهلاك الكفار من قومك وابنك كنعان
وامرأتك انهم قوم مغرقون اي محكوم عليهم بالغرق قوله ويصنع الفلك حكاية
حال ماضية قيل امر الله نوحا ان يغرس الاشجار فغرسها اربعين سنة حتي ادركت
وقطعها وجففها اربعين سنة ثم اتخذ منها السفينة ثلثين سنة واستاجر اجراء
يختون معه والواو للحال في وكلما مر عليه ملاء اي جماعة من قومه يعني اشرافهم
سخروا منه استهزوا به ومن عمله السفينة من مكان بعيد من الماء وهو جواب كلما
وقالوا يا نوح انك كنت تزعم انك نبي والآن صرت نجارا بعد النبوة ثم استانف قال
ان تسخروا منا اليوم فانا نسخر منكم عند هلاككم بالغرق او عند البعث يوم
القيامة كما تسخرون الان منا وهذا من ازدواج الكلام اذ لا يجوز من الانبيا
السخرية فسوف تعلمون من احق بالسخرية وهو وعيد لهم من ياتيه عذاب
هو الغرق يخزيه اي يهلك ويحل ويجب عليه عذاب مقيم اي دايم وهو عذاب
الاخرة فصنعها من خشب الساج وجعل طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا
وارتفاعها ثلثين ذراعا وكانت ثلث طبقات السفلي للسباع والهوام والوحوش
والوسطي للدواب والانعام والعليا للانس وما يحتاج اليه من الزاد وطلاها
بالقير قوله حتي اذا جاء امرنا غاية ليصنع اي كان يفعل السفينة الي ان جاء عذابنا
الموعود لاهلاكهم وفار التنور اي الذي يخبز فيه بارتفاع الماء منه خارجا عند

بناحية الكوفة قيل كان من حجارة لحواء تخبز فيه فصارت الي نوح وقيل معناه طلوع
الفجر وظهور نور الصبح وكان ذلك علامة لركوب السفينة قلنا لنوح احمل فيها
اي في السفينة من كل زوجين اثنين اي صنفين ذكر تاكيدا وقرئ من كل بالتنوين
وباضافته الي زوجين مفعول احمل اثنين اي صنفين من الحيوان وهما اللذان
لا يستغني احدهما عن الآخر من ذكر وانثي فيقال لكل منهما زوج قيل عند فوران
التنور بالماء حشر الحيوان لنوح عم بامره تعالي بعده قال يا رب كيف احمله فجعل يضرب
بيديه فيقع الذكر في اليمني والانثي في اليسري فيلقيها في السفينة قوله واهلك نصبه
عطف علي مفعول احمل اي احمل ولدك وعيالك الا من سبق عليه القول بالهلاك
يعني امرأته واعلة وابنه الكافر به كنعان ومن آمن اي واحمل من صدقك انك نبي
وما آمن معه اي لم يؤمن مع نوح الا قليل من الناس قيل عدد من في السفينة ثمانية
نفر بنوه الثلثة سام وحام ويافث وثلث نسوة لهم ونوح وامرأته غير الهالكة وقيل
ثمانون انسانا نصفهم رجال ونصفهم نساء وحمل معهم جسد آدم فجعله معترضا بين النساء
والرجال قال ابن عباس اول ما حمل نوح ذرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل صدره تعلق
ابليس بذنبه فلم يستطع ان يدخل حتي قال نوح عم ويحك ادخل وان كان معك الشيطان
فلما دخل قال نوح اخرج عني يا عدو الله قال تعالي مالك بد من ان تحملني معك وكان فيما يزعمون
في ظهر الفلك وروي ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالتا احملنا فقال انكما سبب الضرر
والبلاء فقالتا نحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرأ حين خاف مضرتهما سلام علي
نوح في العالمين ما ضرتاه ثم قال يا رب كيف اصنع بالاسد والبقر وبالعناق والذئب
وبالحمام والهرة قال يا نوح من القي بينهم العداوة يؤلف بينهم حتي تراضوا وقيل كثرت
الفارة في السفينة فخافوا علي حبالها فاوحي الله نوحا ان امسح جبهة الاسد فمسحها فعطس
فخرج منها سنوران الذكر والانثي فاهلكا الفارة وكثرت العذرة فيها فغلبهم الماء
فشكوا الي نوح فاوحي الله اليه ان امسح ذنب الفيل فمسحه فخرج منه خنزيران فاكلا
العذرة فلما غلبهم الماء وعلا دعاهم الي الركوب في السفينة وقال اركبوا فيها
اي في السفينة قيل ركبوا فيها يوم الجمعة من عين وردة لعشر مضين من رجب
فاتت السفينة الكعبة فطافت بها اسبوعا وقيل رفع البيت الذي بناه آدم
الي السماء السادسة وهو البيت المعمور وجعل الحجر الاسود علي ابي قبيس مودعا
وخرجوا من السفينة يوم عاشوراء فذلك ستة اشهر قوله بسم الله مجريها جملة
اسمية من الخبر المقدم والمبتداء ومرساها عطف علي المبتداء كلاهما بضم الميم والامالة
وبفتحها في الاول مع الامالة دون الثاني علي معني المصدرين يعني اذا ركبتموها قولوا

بسم الله اجراؤها اوجريها وارساؤها اي ثبوتها وكان نوح اذا اراد ان تجري السفينة
قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ومحل الجملة الاسمية
نصب بالحال المقدرة من الضمير في اركبوا اي قائلين بسم الله اجراؤها وارساؤها
وقيل لفظة اسم صلة اي بالله اجراؤها اي بمشيئته وقدرته ان ربي لغفور
رحيم بالتجاوز عن ذنوب المؤمنين وبانجائهم من الغرق فركبوا فيها وهي اي السفينة
تجري بهم وهم فيها في موج اي في ارتفاع الماء واضطرابه او الموج موج الطوفان
وهو ما علا فوق الماء كالجبال في تراكمها وارتفاعها وعظمها وذلك اذا اشتدت
عليه الريح فشبه منه كل موج بالجبل في ذلك قيل هذا قبل تطبيق الماء الارض واما اذا
طبق الماء الارض لم يكن موج ونادى نوح ابنه كنعان وكان في معزل اي مكان
منقطع عن نوح وعن مركب المؤمنين وقيل في معزل عن ابيه يا بني اركب معنا
بفتح الياء وبالكسر اقتصارا من بنيا ومن بني بالاضافة تصغير ابن لامه ياء
او واو وحذفت كما في اسم ثم لما جاء التصغير ردت اللام وجيء بياء المتكلم فاجتمعت
ثلث يا آت فحذفت ياء المتكلم تخفيفا لدلالة الكسرة عليها وكذا حذفت الالف
المبدلة عن ياء الاضافة في بنيا يعني اسلم وادخل في السفينة تسلم مع المسلمين
ولا تكن مع الكافرين اي تتخلف معهم بكفرك قال ابن نوح ساوي اي ساصعد
الى جبل يعصمني من الماء اي يمنعني من الغرق ولا اسلم ولا اركب السفينة قال
نوح لابنه لا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع من عذابه اليوم وهو الغرق
لا جبل غير الجبل اعظم منه الا من رحم اي الا الله الراحم من يشاء فمن في محل الرفع
خبر المبتداء او عاصم بمعنى المعصوم اي لا معصوم من الغرق الا من رحمه الله
او الاستثناء منقطع بمعنى لكن من رحمه الله ينجو من الغرق وحال بينهما الموج
اي فرق بين نوح وابنه كنعان الموج او بين الجبل وابنه فكان اي فصار
ابنه من المغرقين بالماء قيل علا الماء رؤس الجبال بقدر اربعين ذراعا وقيل
بخمس عشرة ذراعا وذلك بعد ما عقمت النساء اربعين سنة وادرك الصغار على
دين آبائهم وماتت البهائم باجالها ثم اهلكوا بالطوفان فاخبر الله تعالى ابانة الى
قدرته بقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك اي ادخلي الماء الذي خرج منك فيك
ويا سماء اقلعي اي امسكي عن انزال المطر وكانت قبل ذلك لا تقلع وغيض الماء
اي انتقص من غاض اذا انتقص وهو متعد ولازم وقضي الامر اي فرغ من اغراق
الكفار ومن انجاء المؤمنين واستوت اي استقرت السفينة على الجودي وهو
جبل بارض الجزيرة بقرب الموصل وقيل بعدا اي هلاكا من بعد بعدا وبعدا للقوم
الظالمين

اي

250

اي الكافرين المكذبين برسل الله من رحمة الله عن قتادة رحمه الله كانت السفينة
في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشورا
فصام نوح عم يوم الهبوط وامر من معه من المؤمنين فصاموا شكرا لله تعالى
وروي ان نوحا بعث الغراب لياتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع
فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجلها بالطين فعلم
نوح ان الماء قد نضب فدعا على الغراب بالخوف ولذلك لا يألف البيوت ودعا للحمامة
بالامان فمن ثمة تألف البيوت وروي انه ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج بن
عنق وكان سبب نجاته ان نوحا احتاج الى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه
نقله فحمله عوج اليه من الشام فانجاه الله من الغرق ونادى اراد الدعاء نوح
ربه فقال بالفاء ولو اراد الدعاء نفسه لقال قال بغير فاء استينافا
رب ان ابني كنعان من اهلي وان وعدك الحق وقد وعدتني ان تنجيني
واهلي ولا خلف في وعدك وانت احكم الحاكمين اي اعلمهم واعدلهم لان حكمك
بالعدل تحكم على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك لحكمة تعلمها ونحن لا نعلمها
قال الله يا نوح انه اي ان ابنك ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم
انه عمل غير صالح قرئ بكسر الميم وفتح اللام ونصب غير اي عمل عمل المشركين
دون عمل المؤمنين وبفتح الميم ورفع اللام وتنوين ورفع غير اي ذو عمل
غير صالح او جعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه وهو تعليل لانتفاء
كونه من اهله وقيل الضمير في انه لنداء نوح عم اي ان سؤالك اياي ان انجيه
عمل غير صالح لانه التماس غير صواب وانت لا تعلمه وليس شيء واغا لم يقل
عمل فاسد ليؤذن ان النجاة بسبب الصلاح فقط فلا تسألن ما ليس لك
به علم اي لا تلتمس مني شيئا حتى تقف على كنهه بالصواب او بغير الصواب
وذكر السؤال يدل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه وانما سمي
دعاء سؤالا مع انه لا سؤال فيه لان دعاءه قد تضمن معنى السؤال لذكره الموعد
نجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فداء بفتح اللام وتشديد النون
مكسورة تاكيدا لارادة الاضافة وبفتح النون ايضا مشددة وباسكان اللام
وكسر النون مخففا ثم اكده بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين اي امنعك
من ان تسأل ما لا تعرف كنهه جهلا وغباوة فتعد من الجاهلين بسؤال نجاة الكافرين
او بدعائك اهلاك الكفار ثم سؤال نجاة كافر منهم وانما عاتبه ونسبه الى الجهل مع انه
وعده ان ينجي اهله ولم يعلم ان ابنه كافر ولما رأى ان ابنه قد شارف الغرق فاشتبه

الدعاء

عليه الكلام فاقتضى المقام ان يسأل لاماطة الشبهة لان تقديم الوعد له بانجاء اهله
مع استثناء من سبق عليه القول منهم كان مستوجبا لان يعتقدان في جملة اهله
من ليس بناج لكونه غير صالح بلا شبهة فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه
والاكثر انه كان ابن نوح من صلبه بقوله ونادى نوح ابنه وقوله ليس من اهلك يعني
من اهل دينك قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط ولما كان نداء نوح ربه متضمنا
يعني السؤال قال رب اني اعوذ بك ان اسألك بعد اليوم ما ليس لي به علم يعني
اعذني واحفظني من سؤال ذلك حتى لا اعود اليه والى امثاله والا تغفر لي ما فرط
مني ذلك وترحمني بالتوبة اكن من الخاسرين اعمالا قيل هذه عادة الصالحين
انهم اذا وعظوا اتعظوا واذا انبهوا للخطأ استغفروا وتعوذوا وانما حكى الله
ما صدر من الانبياء من الاستغفار والتعوذ بعد ليقتدي بهم في ذلك من غير قنوط
عن رحمته قوله قيل يا نوح اهبط بسلام منا خطاب لنوح عم بالهبوط من السفينة
بعد ما استوت على الجودي انزل من السفينة مسلما محفوظا من الغرق فرحمتنا
وبركات اي بخيرات نامية وسعادات كاملة عليك وعلى امم ممن معك
في السفينة لانهم كانوا امما مختلفة بكثرة التوالد والتناسل ومن للبيان فالسلام
والبركة تختص بمن كان معه ويجوز ان يكون من ابتدائية يعني وعلى امم ناشية
ممن معك فيعم السلام جميع المؤمنين الى يوم القيمة قوله وامم مبتداء صفته سنمتعهم
خبره محذوف وهو ممن معك بتقدير التقدير وعلى امم يعني ينشاء من الذين مع ايم سنمتعون
بالدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة فدخل في التمتع والعذاب كل كافر وكافرة
الى يوم القيمة قيل مات الامم الذين كانوا معه في السفينة ولم يكن منهم نسل الا من
اولاد نوح بن سام وهو اب العرب واشرف الناس وحام وهو اب السودان والزنج
ويافث وهو اب الترك والخزر وياجوج وماجوج لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين
قوله تلك خطاب للنبي عم الى ما سبق ذكره من اخبار نوح وقومه يا محمد من انباء
الغيب اي من اخبار ما غاب عنك نوحيها اليك بجبرئيل ما كنت تعلمها انت ولا
قومك كفار مكة من قبل هذا اي قبل نزول القرآن اليك فاصبر على القيام بامر الله
وعلى تكذيبهم كما صبر نوح على تكذيب قومه ان العاقبة اي الآخرة بالسعادة والنصرة
للمتقين اي للموحدين المطيعين بالتقوى قوله والى عاد اخاهم هودا عطف
على نوحا اي ارسلنا الى قوم هود اخاهم في النسب نبيا هو هود قال يا قوم اعبدوا الله
اي وحدوه ما لكم من اله غيره اي رب سواه ان انتم الا مفترون اي
كاذبون في قولكم ان لله شركاء يا قوم لا اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة والايمان

اجرا اي رشوة وجعلا ان اجري اي ما ثوابي الا على الذي فطرني اي خلقني افلا
تعقلون ان الله هو احق بالعبادة دون غيره ولما حبس المطر عن قومه ثلث سنين
ويا قوم استغفروا ربكم من الشرك وآمنوا به ثم توبوا اليه اي الى الله من ذنوب
يرسل السماء عليكم مدرارا اي متتابعا كلما تحتاجون اليه لسقي الزروع
والبساتين ويزدكم قوة الى قوتكم اي شدة مع شدتكم الموجودة لكم في العدد
والعدد والمال والدين والجسد والولد وطول العمر ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما
ادعوكم اليه من الايمان والعبادة لله تعالى مجرمين اي مشركين اثمين قالوا اي قوم
يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة واضحة على قولك وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك
اي لا نترك عبادة آلهتنا بقولك هذا وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين بانك رسول
الله ان نقول اي ما نقول لك الا قولا هو اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا بسوء
وهو الجنون والتخيل لسبك اياها حتى قلت ما قلت فلا ننتفعك ثم قال هود ردا
عليهم واستخفافا بهم وبآلهتهم بتاكيد برائته من شركهم كما هو عادة الناس من
توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد اني اشهد الله على نفسي واشهدوا
انتم علي ايضا اني بريء مما تشركون اي من اشراككم آلهتكم من دونه اي من غيره
ولم يقل اني اشهدكم كما قال اشهد الله لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد
صحيح في معنى التوحيد وانما اشهادهم فما هو الا تهاون وتحقير بحالهم فجاء به بلفظ الامر
تهكما بهم فكيدوني اي اقصدوا اهلاكي انتم وهم جميعا ثم لا تنظرون اي لا تمهلوني
اني توكلت على الله اي فوضت امري اليه ربي وربكم اي خالقي وخالقكم ما من دابة
الا هو آخذ بناصيتها اي قادر ومالك يتصرف في كل دابة بالاحياء والاماتة وهو
يرزقها في ملكه وذكر الناصية ليدل على انه تعالى يقهر كل دابة بسهولة يقال ناصية
فلان اذا كان محكوما له بالمذلة ان ربي على صراط مستقيم فهو يدعوكم اليه
وهو دين الاسلام بارسالي اليكم فآمنوا به فان تولوا اي ان اعرضتم عن الايمان
به فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي فلا اعاتب بعد تبليغي اياكم ما امرت
به من الرسالة فلم يبق لي عذر بعده متى الكلام عليه وهذا التقدير يدفع قول
من قال الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء الشرط ثم قال مستأنفا ويستخلف
اي يستبدل ربي قوما غيركم ان شاء يعني خيرا منكم واطوع له تعالى ولا تضرونه
اي لا تنقصون من ملكه شيئا ان لم تؤمنوا ان ربي على كل شيء حفيظ لا يغيب
عنه شيء يحفظني ويجازي كلا بعمله ولما جاء امرنا اي عذابنا نجينا هودا والذين
آمنوا معه في الدنيا وهم كانوا اربعة الاف من الذكور والاناث برحمة منا

ونجيناهم في الآخرة من عذاب غليظ اي شديد بسبب الايمان كما نجيناهم من
العذاب في الدنيا بسببه وهو الريح التي اهلك بها عادا قيل ان الله تعالى بعث عليهم
ريح السموم وكانت تدخل في اذانهم وانوفهم وتخرج من ادبارهم فيقطعهم عضوا
قوله وتلك عاد اشارة الى اثار قوم هود المهلكين في طريق الشام ان تلك الاثار
اثار عاد يا اهل مكة جحدوا بآيات ربهم اي علامات توحيده وعصوا رسله
اي هودا وحده وذكره بلفظ الجمع لان من كذب رسولا كان كمن كذب جميع الرسل
واتبعوا امر كل جبار عنيد اي معاند معرض عن الحق قيل الجبار الذي يضرب
ويقتل عند الغضب والعنيد الذي لا يقول الحق ولا يقبله من القائل وان عرفه
المعنى انهم عملوا بقول المبطل واعرضوا عن قول الحق هذا هو جرمهم ثم بين عقوبتهم
بقوله واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي والحقوا في الحيوة الدنيا العذاب وهو
الريح العقيم ويوم القيمة اي والحقوا في الآخرة لعنة اخرى وهي عذاب النار
الى الابد الا ان عادا كفروا ربهم تنبيه لكفار مكة على انهم جحدوا نعمة ربهم
وهي دين الاسلام فاهلكوا بذلك ثم عقبه بتنبيه آخر الا بعدا لعاد قوم هود
الا سحقا وخزيا لهم من رحمة الله وهم قوم هود وهو عطف بيان بعد البيان
لقوله اخاهم هودا لقطع مادة الشبهة بوجه كلي لانهم عادا الاولى والثانية عاد
ارم وهم قوم صالح والبعد يستعمل بضد القرب من بعد يبعد بضم العين فيهما
وللهلاك من بعد بكسر العين يبعد بفتحها والدعاء بالهلاك عليهم بعد هلاكهم ليدل
على استحقاقهم به يقينا والى ثمود اي وارسلنا الى قبيلة ثمود اخاهم صالحا
في النسب لا ينصرف للتانيث والتعريف وفي موضع ينصرف هو اسم للقوم قال
يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه واطيعوه ما لكم من اله غيره هو انشاكم
اي خلقكم ابتداء من الارض يعني من آدم وآدم منها واستعمركم اي اطال
عمركم بطول الحيوة في الارض او اسكنكم فيها واسكن من بعدكم من العمرى يعني
جعلها لكم ما عشتم قيل كانت اعمارهم الف سنة الى ثلثمائة فاستغفروه اي
الله من الشرك ثم توبوا اليه بالطاعة والدعوة ان ربي قريب اي سهل الطلب
دان الرحمة مجيب لدعاء من دعاه من اهل طاعته قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا اي كنا نرجوا منك الانتفاع بك في ديننا وتدبير امورنا قبل هذا
اي قبل ان تدعونا الى دين غير دين ابائنا فلما نطقت بهذا القول انقطع رجا[ؤ]نا
عنك وعلمنا ان لا خير فيك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا من الآلهة
واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب اي موقع في الريبة والتهمة زاد ابنه

فلان

فلان اذا رايت منه ما يريبك وفي معناه دابني يعني لا طمانينة لنا فيما دعوتنا اليه
باليقين قال صالح لهم يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت على بينة من ربي
اي على حجة واضحة اتتني منه وآتاني اي اعطاني منه رحمة اي من عنده نبوة و
حكمة لا تبلغكم اياها ثم تركت اوه ودعوتكم الى دينه فمن ينصرني اي يمنعني من الله
اي من عذابه ان عصيته وتركت اوه لدينكم الباطل فما تزيدونني بقولكم
هذا غير تخسير اي الا نسبتي اياكم الى الخسران والضلالة يعني اقول لكم انكم خاسرون
او معناه تخسرون اعمالي و تبطلونها وهو كالتفسيق يعني النسبة الى الفسق
ثم قال ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية اي علامة لنبوتي وعبرة لتعتبروا بها
فتؤمنوا وهو نصب على الحال ولكم متعلق به معنى لانه ايضا حال من آية
متقدما عليها اذ لو تاخر لكان صفة لها وذلك ان قومه طلبوا منه ان
يخرج ناقة عشراء من هذه الصخرة فدعا صالح فخرجت تلك الناقة وولدت
في الحال مثلها ثم قال فذروها تاكل اي اتركوها ترتع في ارض الله اي في
وادي الحجر ولا تمسوها بسوء اي ولا تصيبوها بعقر فياخذكم ان عقرتموها
عذاب قريب اي عاجلا لا يتاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلثة
ايام ثم يقع عليكم وكانت لهم بئر واحدة عذبة فجعل صالح للناقة شرب يوم
لا يقربونها ولهم شرب يوم لا تحضرها وكانت امراة جميلة غنية تتاذى
بالناقة لاجل سائمتها فقالت من عقر الناقة ازوج نفسي منه فخرجت
جماعة منهم قدار بن سالف ومصدع بن دهر وجاؤا الى مرعاها فرماها
مصدع بسهم فاصاب رجلها ثم ضرب قدار بالسيف فعقرها وقسموا لحمها
على جميع اهل القرية فلذلك قال فعقروها اي قتلوها يوم الاربعاء فقال لهم
صالح تهديدا تمتعوا اي تعيشوا في داركم اي دنياكم ثلثة ايام ثم تهلكون
بالعذاب ذلك اي نزول العذاب بكم بعد ثلثة ايام وعد غير مكذوب
اي غير كذب وهو مصدر كالمصدوق بمعنى الصدق روي انه قال يأتيكم
العذاب بعد ثلثة ايام فتصبحون في اليوم الاول باصفرار الوجوه وفي الثاني
باحمرارها وفي الثالث باسودادها فكان كما قال واتاهم العذاب يوم السبت
فاهلكوا فيه فلما جاء امرنا اي عذابنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه
برحمة منا اي بنعمة من عندنا ومن خزي عطف على نجينا اي ونجيناهم
من هوان يومئذ بكسر الميم اعرابا لاضافة الخزي وبفتح الميم بناء لاضافة
يوم الى مبني وهو اذ لان ظرف الزمان متى اضيف الى مبني جاز فيه الاعراب

والنساء وخزيهم اما في الدنيا او في الآخرة ان ربك هو القوي اي المتين في اخذه
بالشدة العزيز اي المنتقم ممن عصاه واخذ الذين ظلموا اي كفروا بالرسل
الصيحة اي صاح جبرائيل وهو الصوت الذي سمعوا في السماء فتقطعت قلوبهم
في صدورهم فماتوا فاصبحوا اي فصاروا في ديارهم جاثمين اي صرعى خامدين
هالكين كأن لم يغنوا فيها اي كأن لم يكونوا مقيمين في ديارهم الا ان ثمودا
قرئ بالصرف اسم للحي وبعدم الصرف علم للقبيلة كفروا ربهم الا بعدا لثمود اي
تنبهوا يا كفار مكة فاخذوا من عقوبتهم كيلا يصيبكم بكفركم مثل ما اصابهم بكفرهم
ولقد جاءت رسلنا وهم الملائكة من السماء واختلفوا في عددهم والاصح وهو
قول ابن عباس رضه انهم كانوا ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل جاؤا ابراهيم
بالبشرى اي ببشارة الولد له وهم في صورة غلام امرد وسلموا عليه قالوا سلاما
قال ابراهيم سلام اي عليكم سلام وقرئ سلم بكسر السين وسكون اللام بمعنى
السلام او تقديره امري سلم بمعنى السلامة اي ما اريد عليكم الا الامن والصلح
فما لبث ابراهيم ان جاء عن المجئ بعجل حنيذ اي مشوي بحجارة في حفيرة
يقطر دسمه والعجل ولد البقرة قيل كان عامة مال ابراهيم البقر فلما قربه اليهم
ووضعه بين ايديهم كفوا عنه ولم يأكلوا منه فلما رأى ابراهيم ايديهم
لا تصل اليه اي الى العجل نكرهم اي استنكرهم وهو ضد الالفة وكان من
عادة ابراهيم وقومه انه اذا اكل الضيف من طعامهم امنوا فلما لم يأكلوا منه
خاف ان يريدوا به سوء ولم يعرفهم واوجس اي اضمر في قلبه منهم خيفة
اي خوفا فاظهر اثره عليه او عرفوه بتعريف الله اياهم قالوا اي الملائكة لا تخف
يا ابراهيم انا ملائكة ارسلنا الى قوم لوط اي لاهلاكهم وقيل علم ابراهيم
انهم ملائكة ولكنه خاف ان يكونوا جائين بعذاب قومه فردوا عليه ذلك
وامرأته اي سارة بنت هاران عمه قائمة خلف الستر تسمع كلامهم او قائمة تخدمهم
وابراهيم جالس معهم فضحكت سرورا بزوال الخوف عنها وعن ابراهيم بقولهم
لا تخف او تعجبا من عدم اكلهم وهم اضياف وقيل بمعنى حاضت من قولهم ضحكت
الارنب اذا حاضت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق اي وبعده يعقوب
اي بيعقوب عطف على باسحاق عند من قرأ بنصب الباء او هو مبتدأ خبره الظرف
قبله عند من قرأ مرفوعا كأنه قيل ومن وراء اسحاق يعقوب موجود او مولود
وهو ولد الولد قالت يا ويلتا كلمة نداء ندبة يقال عند ورود دام عظيم اي يا
ويلتي فالفه مبدلة من ياء الاضافة بمعنى يا عجبا ءالد وانا عجوز اي عقيم

لم الد

لم الد وقد كبرت في السن وهذا بعلي اي زوجي مبتداء وخبر ومحل الجملة
حال بما دل عليه ذا من معنى الاشارة كانها اشارت الى المعروف عندهم بقوله
هذا بعلي ثم قالت شيخا يعني اشير اليه في حال كبره ولو لم يقدر كونه معروفا
عندهم للزمان يكون ابراهيم بعلها مدة شيخوخته ولم يكن بعلها في مدة
شيبته ومثله قولك هذا زيد قايما فانك اخبرت به من يعرفه استقام المعنى
وان اخبرت من يعني لا يعرفه لم يستقم لانه يفهم انه زيد ما دام قايما فاذا زال
القيام لم يكن زيدا قيل بشرت سارة بالولد وهي بنت ثمان وتسعين سنة و
كان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة اكبر منها سنة وقيل كان ابراهيم ابن
مائة وعشرين سنة وسارة بنت تسعة وتسعين سنة فانكرت ذلك عادة
وقالت ان هذا اي حدوث الولد من الكبيرين لشيء عجيب اي لامر مستبعد
غريب من حيث العادة قالوا اي الملائكة انكارا عليها وهي من اهل بيت النبوة
اتعجبين يا سارة كساير النساء من امر الله بايجاد الولد من كبيرين يعني لا تعجبين
من امره ذلك رحمة الله اي نعمته ونبوته وبركاته اي وزيادات خيره تحل دائما
عليكم يا اهل البيت اي بيت النبوة يعني الا تعلمين ان نبوة الوحي من الله واكثر
الانبياء من الاسباط وهم من هذا البيت يعني من ولد ابراهيم روى ان جبرائيل
اخذ عودا من الارض يابسا فدلكه بين اصبعيه فاذا هو شجرة تهتز فعرفت انه من الله تعالى
ثم قال انه اي الله حميد اي محمود في فعاله مجيد اي واسع الكرم كثير الاحسان
فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي الخوف وجاءته البشرى باسحاق ويعقوب
حال بتقدير قد وجواب لما محذوف اي اقبل علينا يجادلنا في قوم لوط اي في شأنهم
حال اقيم مقام الجواب اي يجادل رسلنا لان ابراهيم لا يجادل ربه والمعنى انه يسأل
ربه ويطلب اليه تضرعا والحاحا وقيل مجادلته اياهم ان قال لهم اتهلكون قوما فيهم
خمسون مؤمنا من مداين قوم لوط قالوا لا قال او اربعون
قالوا لا قال او ثلثون قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها واحد
مسلم اتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم ع م عند ذلك ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن
فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين قال ابن عباس لو كان فيهم
خمسة يصلون لدفع عنهم العذاب ان ابراهيم لحليم اي غير عجول على المسيء
اواه اي يتأوه اذا ذكر الله منيب اي رجاع اليه بالتوبة والاستغفار
قيل هذه الصفات حملته على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب
ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة ثم قال له جبرئيل ع م يا ابراهيم اعرض

عن هذا اي عن جدالك فان الرأفة عادتك ولا تنفعهم الآن انه قد جاء
امر ربك بعذابهم واهلاكهم وحكم به وانهم آتيهم اي نازل بهم عذاب غير مردود
اي غير مصروف عنهم بجدال ولا بدعاء وشفاعة ثم خرجوا من عنده مقبلين الي
قوم لوط فوصلوا نصف النهار الي جوار يسقين من الماء فابصرتهم ابنة لوط
فقالت لهم ما شانكم ومن اين اقبلتم فقالوا اقبلنا من مكان كذا مسافرين
هل احد يضيفنا قالت ليس فيها احد يضيفكم الا ذلك الشيخ فاشارت الي ابيها
لوط وهو علي بابه فذهبوا اليه ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اي تحزن
بمجيئهم لانه رآهم علي صورة الغلمان وضاق بهم ذرعا اي ضاق صدره
اغتماما ومخافة عليهم من خبث قومه وعجزه عن مقاومتهم لا يدري ايأمرهم
بالنزول ام بالرجوع لما راي حالهم وقال هذا يوم عصيب اي شديد فجاء
بهم منزله سرا وقال لامرأته قومي واخبزي ولا تعلمي احدا وكانت امرأته منافقة
فانطلقت تطلب بعض حاجتها فاخبرت قومها ان عندنا اضيافا من هيئتهم
كذا وكذا وجاءه قومه يهرعون اي يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا
والهرع مشي بين مشيين لنيل شهوتهم ومن قبل اي قبل ان يبعث اليهم لوط
او قبل اتيان الرسل كانوا يعملون السيئات اي الفواحش وهي الاتيان
من الادبار فلما ارادوا الدخول في بيته قال لهم لوط يا قوم هؤلاء مشيرا
الي نساء امته او الي ابنتيه بناتي واضافها الي نفسه علي التقدير الاول لان
كل نبي اب امته هن اطهر لكم بالتزوج بشرط الاسلام وقيل كان في ذلك
الوقت تزوج المسلمة من الكافر جايزا كما زوج النبي عم ابنته من عتبة
ابن لهب قبل الوحي وكان كافرا وقيل ذكر ذلك علي سبيل الدفع واظهار
التواضع ليستحيوا منه لا علي التحقيق ولم يرضوا بهذا فقال فاتقوا الله
ولا تخزون اي لا تفضحون في ضيفي بفعلكم الخبث لانه اذا اخزي ضيف
الرجل او جاره فقد خزي ذلك والضيف مصدر يعم القليل والكثير اي في
اضيافي اليس منكم رجل رشيد اي مرشد صالح او عاقل يزجركم عن هذا
الفعل قالوا لقد علمت يا لوط ما لنا في بناتك من حق اي حاجة لان اتيان
الاناث ليس مذهبا لنا وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكور قال لو
ان لي بكم قوة اي بطشا او آوي الي ركن شديد اي او انضم الي
عشيرة مانعة لامنع بهم شبه القوي المانع بالركن في الالتجاء به تهيجا
لناصره لا شكاية منه في عدم ناصره وجواب لو محذوف اي لفعلت بكم

الي

٦

ما علمت او لقاتلتكم ولمنعتكم مما تريدون روي ان لوطا قد اغلق عليه وعلي
اضيافه بابه فجعلوا يستفتحون الباب وهو يعظهم ويناشدهم فثمة قالوا
اي الملائكة يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك اي لن يقدر قومك ان يصيبوك
بسوء ولن يخزوك فينا وان ركنك لشديد لان الله ناصرك فخل بيننا وبينهم
ففتح الباب وارادوا الدخول فمسح جبرائيل جناحه علي وجوههم فذهبت اعينهم
فرجعوا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الي بيوتهم وقالوا يا لوط جئت بالسحرة
حتي طمسوا اعيننا والله لنهلكنك غدا فلما سمع لوط تهديدهم اياه خاف وقالت
الملائكة عند ذلك فاسر يا لوط قرئ بسكون الالف من السير وبفتحها من الاسراء
وهو السير بالليل اي سر باهلك اي بابنتيك وامرأتك بقطع من الليل اي بقطعة
منه وهي آخر السحر ولا يلتفت اي لا يتخلف منكم احد الا امرأتك بالرفع بدل من احد
وبالنصب استثناء من الاهل لا من احد لانه غير فصيح لقوة البدل قيل علي قراءة
النصب استثناء من اهلك تناقض في الاخبار لانه يلزم ان يكون امراة لوط مسراة
وغير مسراة لثبوت القراءتين البدل والاستثناء اجيب بان الامر بالاسراء امر
بالنهي عن الالتفات بواو العطف الجامع بينهما في ملك واحد فالاستثناء اذن
واقع عن اسراء مقيد بترك الالتفات فهو كقولك يا قوم ايتوني راكبين الا زيدا فزيد
مستثني عن الاتيان المقيد بالركوب لا عن اتيان مطلق حتي انه لو اتاك راجلا له
يناقض الاستثناء فكذلك امرأة لوط مستثني من الاسراء المقيد بترك الالتفات لا عن
الاسراء المطلق فلا يناقض الاسراء بالتخلف يعني لا تسر امرأتك مع اهلك انه اي الشان
مصيبها ما اصابهم من العذاب المعنى انها لو سارت فتلتفت لتهلك قيل كان
لوط قد اخرجها معه ونهي من تبعه ممن اسري بهم ان يلتفت سوي زوجته
فانها لما سمعت صوت العذاب خلفها التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر
فقتلها وقيل سار لوط وخلف امرأته مع قومها لانها كانت منهم فقال للملائكة
متي وقت هلاكهم فقالوا ان موعدهم الصبح فقال لوط اريد اسرع من ذلك فقالوا
اليس الصبح بقريب فحمل جبرائيل لوطا وابنتيه وماله علي جناحه فاوصلهم الي
مدينة زغر من مداين لوط الخمسة ولم يكن قومها علي مثل عملهم الخبيث فلما كان
وقت الصبح ادخل جبرائيل جناحه تحت المداين الاربعة فاقتلعها من الماء
الاسود ورفعها الي السماء حتي سمعت الملائكة نباح الكلب وصياح الديكة ثم
قلبها فاخبر تعالي عن ذلك بقوله تعالي فلما جاء امرنا اي عذابنا جعلنا عاليها
سافلها فاقبلت تهوي من السماء الي الارض وامطرنا عليها اي علي اهلها حجارة

فقتلها

با بدان یار گشت همسر لوط
خاندان نبوتش گم شد
سگ اصحاب کهف روزی چند
پی نیکان گرفت و مردم شد
گلستان

من سجيل اي من طين وقيل سجيل كلمة فارسية معربة من سنك وكل
وقيل اسم جبل في السماء منضود اي متتابع نضد بعضه فوق بعض في
السماء معدًا للعذاب وهو صفة سجيل مسومة نصب على الحال من الحجارة
اي معلمة لا تشاكل حجارة الارض وقيل مكتوب في كل حجر اسم من يرمى به
عند ربك وما هي اي تلك الحجارة المعلمة عند الله من الظالمين اي المشركين
او من هذه الامة ببعيد اي بشيء او بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء
الا انها تهوي بسرعة للحوق بالمرمي وهو تهديد لاهل مكة وغيرهم لكيلا يعملوا
مثل عملهم روي ان الحجر اتبع شذاذهم ومسافريهم اينما كانوا في البلاد ودخل
رجل منهم في الحرم فكان الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى خرج منه فاصابه
فاهلكه والى مدين وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا نزل اخبارا
عن حالهم التي هي التطفيف في الكيل والاكتيال مع شركهم تهديدا لكفار مكة
قال شعيب يا قوم اعبدوا الله وحده واطيعوه ما لكم من اله غيره اي
رب سواه ولا تنقصوا المكيال والميزان في البيع والشرى اني اراكم بخير
اي موسرين في نعمة وخصب واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط اي يحيط
بكم فيهلككم جميعا ووصف اليوم بالاحاطة ابلغ من وصف العذاب بها لان اليوم
اذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل اليوم عليه منه قيل حذرهم بزوال
النعمة وغلاء السعر وحلول النقمة في الدنيا ان لم يتوبوا عن عملهم السوء وقيل
يوم القيمة نهوا اولا عن صريح النقص القبيح تعييرا لهم ثم امروا بالايفاء الحسن في
العقل ترغيبا فيه بقوله ويا قوم اوفوا الكيل والميزان بالقسط اي اتموهما
بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان وفي ورود الامر بالايفاء الذي هو
حسن في العقول بعد النهي عن النقصان زيادة ترغيب فيه وبعث عليه ثم
اكد ذلك بقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا حقوقهم
ولو بشيء قليل كالتطفيف ولا تعثوا في الارض مفسدين اي لا تسعوا
فيها بكثرة الفساد قاصدين بنقص حقوق الناس على وجه السرقة والغارة
وغيرهما بقية الله اي ما يبقى لكم من الحلال والحرام بعد ترك الحرام او طاعة الله
وعطاؤه خير لكم من التطفيف في البيع والشرى ان كنتم مؤمنين اي مصدقين
فيما اقول لكم وما انا عليكم بحفيظ اي بوكيل احفظ اعمالكم عليكم واجازيكم
عليها وانما علي البلاغ والتنبيه على الخير وانما قال ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم وكان
شعيب كثير الصلوة وكان قومه اذا راوه يصلي تضاحكوا واستهزؤا ولذلك

قالوا تطنزا وسخرية يا شعيب اصلواتك مفردا وجمعا تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا
من الاصنام فجعلوا اصلوته آمرة على سبيل التهكم بصلوته وعطف او ان نفعل
على ما يعبد اي او تامرك ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الزيادة والنقصان
وقيل كانوا يقطعون الدنانير والدراهم وحكم عليهم بانه حرام لينتهوا عن ذلك فقالوا
قالوا على سبيل المبالغة في الاستهزاء انك لانت الحليم الرشيد اي السفيه الضال
والعرب تصف الشيء بضده مدحا او ذما او تفئلا كما يقول للمخنث شجاع وللاسود كافور
وللزنج سليم وقيل هو حقيقة اي انك يا شعيب حليم رشيد فينا لا ينكى في مخالفة دين
قومك ولا تهددهم قال شعيب يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت على بينة اي
دين بالحق وبيان على بصيرة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا اي نبوة وعلما
من لدنه او حلالا طيبا وكان شعيب كثير المال وجواب الشرط محذوف للعلم به من
معنى الكلام واتبع الضلال منكم واشوب الحلال بالحرام كما تشوبون ولا امركم بترك الشرك
والمعاصي كالانبياء وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم اي الى الذي امنعكم عنه و
ارتكبه انا وليس بواعظ من يعظ الناس بلسانه دون عمله ان اريد اي لا اقصد بالعلم و
بيان ما فيه مصلحة لكم وهو العدل ما استطعتم في محل النصب على الظرف اي مدة
استطاعتي وما توفيقي اي وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما اعمل وادع الا بالله
اي الا بتاييده واعانته وفي ضمنه تهديد للكفار وقطع لاطماعهم فيه لانه
طلب من الله في امضاء امره التاييد والاظهار على عدوه واصل التوفيق تسهيل
سبيل العبادة والطاعة عليه توكلت اي اعتمدت واليه انيب اي ارجع
في جميع اموري والنوائب النازلة على قوله ويا قوم لا يجرمنكم من جرم ذنبا اذا
كسبه نهي عن مخالفتهم لشعيب فيما امرهم ونهاهم اي لا يحملنكم شقاقي اي مخالفتي
وهو فاعل لا يجرمنكم يعني مخالفتكم اياي وعداوتكم وبغضكم علي ومفعوله الثاني
ان يصيبكم اي على فعل يصيبكم بسببه بلا توبة عنه مثل ما اي الذي اصاب
قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط
منكم اي ليس عذابهم ببعيد ولذا لم يقل ببعيدة على تانيث القوم يعني ان طال
عهدكم بعذاب هؤلاء فاعتبروا بعذاب من هو قريب منكم وهو قوم لوط وقيل تقديره
بمكان او زمان بعيد واستغفروا ربكم عن الشرك ثم توبوا اليه عن عمل المعاصي
ان ربي رحيم بعباده بقبول توبتهم ودود اي محب لاهل طاعته منهم او محبوب
لهم فهو بمعنى الواد او المودود وقيل ان شعيبا كان خطيب الانبياء عليهم السلام
فهو يعظهم ويدعوهم الى التوحيد قالوا على سبيل الاستهزاء يا شعيب ما نفقه اي

ما تقول كثيرا مما تقول اي مما تدعونا اليه من الايمان ومن وفاء الكيل والوزن وترك
خلاف ما عليه آباؤنا وانا لنراك فينا ضعيفا اي ذليلا لا قوة لك لتمتنع عنه
او ضرير البصر لا تصلح للنبوة فينا قيل ذهب بصره من كثرة بكائه من خشية الله
او محبته له ولولا رهطك اي عشيرتك لرجمناك اي لقتلناك بالحجر والرجم اقبح
القتل وقالوا ذلك تألفا لقومه لا خوفا منهم لان الرهط ما دون العشرة وما
انت علينا بعزيز اي بكريم ليكون لك حرمة عندنا بل العزة لقومك فينا قال يا قوم
ارهطي اعز عليكم من الله والاصل ان يقول مني مكان من الله لان الكلام واقع
فيه وفي رهطه الا انه لما اعز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز من الله اي
ارهطي اهيب عندكم من خوف الله اي تركتم قتلي لكان رهطي فاولى ان تحفظوني
في الله لاني نبيه او هم اعظم عندكم من اوامر الله وكتابه واتخذتموه اي الله وراءكم
ظهريا اي منسوبا الى الظهر بكسر الظاء من تغيير النسب كما يقال امسي في النسبة
الى امس يعني جعلتم اوامر الله وراء ظهوركم فتركتموه تهاونا به ان ربي بما تعملون
محيط اي عالم بجميع اعمالكم فيجازيكم بها والاحاطة ادراك الشيء بكماله و
يا قوم اعملوا على مكانتكم اي قوتكم طالبين هلاكي وابطال امري اني عامل
في ابطال كيدكم وهلاك دينكم بقوة الله ونصرته والمكان والمكانة بمعنى
التمكن من عمل شيء ثم خذ رهم مستأنفا بترك الفاء التي للوصل الظاهر اكتفاء
بالوصل الخفي التقديري بكونه جوابا لسؤال مقدر كانهم قالوا ماذا يكون لنا بعد
ذلك فقال سوف تعلمون اينا الجاني على نفسه والمخطئ في فعله من يأتيه عذاب
من الله يخزيه اي يذله ويهلكه ومن هو كاذب على الحقيقة لا بزعمكم والاصل
ان يقول ومن هو صادق وانما قال ذلك تجهيلا لهم لانهم كانوا يدعونه كاذبا اي
ويجزي الكاذب على الله بان له شريكا فمن عطف على الضمير المفعول وارتقبوا
اي انتظروا بي العذاب اني معكم رقيب بمعنى الراقب اي منتظر بكم العذاب ونزوله
في الدنيا ولما جاء امرنا اي عذابنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا
واخذت الذين ظلموا اي اشركوا بالله وعصوا امره الصيحة اي صيحة جبرائيل
فخرجت ارواحهم من ابدانهم فاصبحوا في دارهم جاثمين اي ميتين في امكنتهم
لا يتحركون كان لم يغنوا فيها اي كان لم يقيموا في الارض ولم يعمروا متصرفين فيها
الا بعدا لمدين من رحمة الله كما بعدت ثمود من رحمته والبعد ضد القرب وقيل
الاهلاكا لمدين كهلاك ثمود قال لزيادة تذكير وتهديد لكفار مكة ولقد ارسلنا
موسى باياتنا اي بعلاماتنا التسع وسلطان مبين اي بحجة بينة الى فرعون

وملايه اي اشراف قومه فاتبعوا امر فرعون اي اطاعوا قوله حين قال ما اريكم
الا ما ارى فاطاعوه في ذلك وتركوا امر موسى عم وما امر فرعون اي قوله برشيد
اي بصواب بل هو ضلال ظاهر لمن له عقل وهو تجهيل لمتبعيه يقدم قومه
اي يتقدمهم يوم القيمة وهم خلفه كما كانوا يتبعونه في الدنيا فاوردهم
النار اي ادخلهم فيها اورده بلفظ الماضي لا بلفظ المستقبل المطابق قوله
يقدم ليدل على انه مقطوع به كانه قال يقدمهم فيوردهم النار لا محالة و
بئس الورد المورود اي الدخول المحضور النار وهو المخصوص بالذم حذف
للعلم به من وردت الماء اي حضرته جعل الورد عين النار مبالغة في التهويل
يعني بئس المورود النار لان الورود انما يراد لتسكين العطش وتبريد الكبد و
النار ضده واتبعوا في هذه الدنيا لعنة وهي الغرق ويوم القيمة لعنة اخرى
وهي عذاب النار يعني لعنوا في الدارين بئس الرفد المرفود اي العون المعان
او العطاء المعطى وذلك انه ترادفت اللعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة
او الرفد المردف فان اللعنة في الدنيا رفدت اي امددت باللعنة الاخرى يوم
القيمة ذلك النبأ الي الخبر مبتدأ خبره من انباء القرى اي بعض اخبار القرى
المهلكة نقصه خبر بعد الخبر اي مقصوص منا عليك بنزول جبرئيل لتقرأه عليهم
دلالة على نبوتك ثم استأنف قوله منها اي من القرى قائم اي عامر بقيام الحيطان
دون اهله وحصيد اي ومنها خراب هالك بهلاك اهله وحيطانه وهو بمعنى المحصود
وما ظلمناهم اي لم نهلكهم ظلما ولكن ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية فما
اغنت اي ما نفعت عنهم آلهتهم التي يدعون اي يعبدونها من دون الله
من شيء اي من صرف عذاب الله تعالى عنهم لما اي حين جاء امر ربك اي عذابه
وما زادوهم اي ما زادت آلهتهم اياهم بعبادتهم غير تتبيب اي غير تدمير
واهلاك وكذلك اي مثل ذلك العقاب اخذ ربك اي عقوبته اذا اخذ
القرى اي عاقبهم وهي ظالمة والحال ان اهلها جاحدون بتوحيد الله
ومختارون الشرك به ان اخذه اي عقوبته اليم شديد اي وجيع
صعب على المأخوذ وهو تحذير من عاقبة الظلم لكل قرية ظالمة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يملي للظالمين حتى اذا اخذه لم يفلته
ثم قرأ وكذلك اخذ ربك الآية ان في ذلك اي في الاخبار عن الامم الخالية الهالكة
بذنوبهم لآية اي لعبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة اي لمن ايقنه واقر بالحساب
ذلك اي يوم القيامة يوم مجموع له الناس اي يوم يجمع له الاولون والآخرون

الشيطان ...
حيطانه ديوارلري

والجزاء وصف اليوم بلفظ الاسم دون الفعل ليدل على ثبات الجمع في ذلك اليوم
وتمكنه البتة **وذلك يوم مشهود** اي يشهدون فيه من اهل السماء والارض
لا يغيب عنه احد منهم جعل اليوم مشهودا فيه لا مشهودا تهويلا له وتميزا من
بين الايام كتميز يوم الجمعة من ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها **وما نؤخره**
اي ذلك اليوم ونحن قادرون على ان نقيمه الآن **الا لاجل معدود** اي
لوقت معلوم محسوب بعد انقضاء الدنيا **يوم يأتي** اي ذلك اليوم او
الفاعل الله تعالى كما في قوله او يأتي ربك اي امره قرئ باثبات الياء وحذفها
كما في مصحف عثمان وهو لغة هذيل والعامل في الظرف محذوف اي اذكر يوم
يأتي هوله وشدائده او العامل **لا تكلم** اي لا تتكلم لهول ذلك اليوم وشدته
نفس في الشفاعة **الا باذنه** اي الا باذنه تعالى وللقيمة مواطن ففي بعضها
يتكلمون وفي بعضها يمنعون عن التكلم **فمنهم شقي** اي من سبقت له
الشقاوة **وسعيد** ومنهم من سبقت له السعادة **فاما الذين شقوا**
ففي النار لشركه واسائته **لهم فيها زفير** اي الصوت الشديد **وشهيق**
اي الصوت الضعيف وهما صفتا صوت الحمار يعني اول ما ينهق وآخر
ما ينهق عند الفراغ من نهيقه **خالدين فيها ما دامت السموات والارض**
اي سماء الجنة وارضها فانهما خلقتا للابد كقوله تعالى يوم تبدل الارض الآية
وقيل هو كناية عن التأبيد على عادة العرب اي مدة دوامها في ظنهم **الا**
ما شاء ربك اي لكن من آمن في الدنيا اخرجهم الله تعالى من الانقياد بايمانهم
فما بمعنى من والاستثناء منقطع لكون الاخراج من غير جنس الداخلين فيها
لانهم سعداء اخرجوا من النار او متصل من الداخلين في النار بالمعصية او من
الواردين فيها فاخرجوا وادخلوا الجنة بالشفاعة او برحمة الله او استثناء
من اوقات الخلود لانهم استحقوا الخلود في النار من حين اخرجوا من القبور لكنهم
اخروا عنه قدر الحساب في المحشر **ان ربك فعال** باهل النار **لما يريد** ان شاء
اخرج من يعذب في النار ويدخله الجنة بايمانه وان شاء ابقاه معذبا في النار
ابدا بكفره **واما الذين سعدوا** بضم السين وبفتحها اي الذين خلقوا في العلم
للسعادة او استوجبوا دخول الجنة بالايمان والطاعة **ففي الجنة خالدين**
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك استثناء من اوقات الخلود
وهو مقدار الحبس في المحشر وعلى الصراط او تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ
وهو ما بين الموت والبعث اربعين سنة قبل مصيرهم الى الجنة والنار او استثناء

من الواردين فيخرجون من النار ثم يدخلون الجنة خالدين فيها وقيل معناه سوى
ما شاء الله في الزيادة على قدر مدة بقاء السموات والارض وذلك هو الخلود في الموضعين
وقيل الا بمعنى الواو اي وما شاء ربك خلود هؤلاء في النار وهؤلاء في الجنة وقيل معناه
لو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لا يشاء لانه حكم لهم بالخلود فيهما **عطاء غير مجذوذ**
اي رزقا غير منقطع عنهم وهو مصدر منصوب بفعل المقدر اي يعطون عطاء غير منقوص
ثم قال تعالى لنبيه عم واراد غيره **فلا تك في مرية** اي في شك **مما يعبد هؤلاء**
في انهم ضلال يستحقون العذاب المؤبد **ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل**
يعني لا يرغبون التوحيد فيقلدون آباءهم من غير حجة في ذلك **وانا لموفوهم**
نصيبهم من العذاب **غير منقوص** هو نصب على الحال اي وافيا لهم والا بانهم بلا نقص
من كل واحد منهم وفيه تاكيد لتوفيه نصيبهم الكامل عن ابن مسعود ليأتين على
جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة مثله ومعناه
عند اهل السنة ان لا يبقى فيها احد من اهل الايمان اما مواضع الكفار فممتلية ابدا
ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية **فاختلف فيه** اختلف في القرآن
بعضهم آمن به وبعضهم كفر به وفيه تسلية للنبي عم ليصبر على تكذيبهم
كما صبر موسى عم عليه **ولولا كلمة سبقت من ربك** اي لولا وجب قول ربك
بتاخير العذاب عن امتك الى يوم القيامة **لقضي بينهم** اي لحكم في الحال بلا
مهلة بنزول العذاب بهم ولفرغ من اهلاكهم **وانهم لفي شك منه** اي القرآن
مريب اي موقع في الريبة والتهمة **وان كلا** قرئ ان بالتشديد والتخفيف
واعملت في كلا والتنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كل واحد من المختلفين
والخبر على الوجهين **لما** بالتخفيف وما نكرة بمعنى شيء واللام فيه لام ان للتاكيد
اي وان كلا لخلق ولو جعلت ما زايدة للفصل بين لام ان ولام القسم في **ليوفينهم**
كان خبران ليوفينهم فاللام الاولى لتوطية القسم واللام في ليوفينهم جواب قسم
محذوف اي وان كلا من المختلفين والله ليوفينهم اي ليعطينهم وافيا **ربك**
اعمالهم اي جزاء اعمالهم من خير وشر وقرئ لما بالتشديد اصله لمن ما بمعنى
لخلق ما قلبت النون ميما فاجتمع ثلث ميمات فحذفت الاولى تخفيفا
انه بما يعملون خبير اي عالم به فيجازي بالخير خيرا وبالشر شرا ثم خاطب نبيه
بقوله **فاستقم كما امرت** على دين ربك والعمل به والدعاء اليه وقيل افتقر
الى الله بصحة العزم وهو الوثوق به والتوكل عليه وربط القلب به قوله **ومن**
تاب معك عطف على الضمير في استقم للفصل بينهما اي وليستقم من تاب من الشرك

اي المتموت صح

معناه

وآمن معك على التوحيد والعمل بما امروا به ولا تطغوا اي لا تخرجوا عن حدود
الله ولا ترتعوا ادغان التغلب انه بما تعملون بصير لا يخفى عليه من
اعمالكم شيء قال ابن عباس رض ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية
هي اشد عليه من هذه الآية ولذلك قال عم شيبتني سورة هود واخواتها
ولا تركنوا اي لا تجعلوا انفسكم راكنين اي مائلين الى الذين ظلموا اي وجد
منهم الظلم فتمسكم النار اي فيصيبكم عذاب النار والركون هو الميل والمحبة
بالقلوب يعني لا تطيعوهم ولا ترضوا اعمالهم السيئة واقوالهم الباطلة ولا تدا
هنوهم وما لكم من دون الله من اولياء اي اعوان يتقونكم ثم لا تنصرون
اي لا تمنعون من عذابه حين تمسكم النار وثم فيه لاستبعاد نصرهم منه قال
سفيان ان في جهنم واد لا يسكن فيه الا القراء الزائرون الملوك قيل من دعا لظالم
بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه قوله واقم الصلوة عطف على فاستقم
كما امرت في معنى النهي عن اداء الصلوة قبل وقتها اي اد الصلوة طرفي النهار اي
في اوله وآخره وهو منصوب على الظرفية لاضافته الى الظرف وطرفاه الغداة و
العشي والمراد الصبح والظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وزلفا جمع زلفة وهي
قطعة من الليل او ساعة منه نصب على الظرف والمراد المغرب والعشاء
يعني اقم الصلوة في هذه الاوقات الخمسة ان الحسنات اي الصلوات الخمس
في اوقاتها يذهبن السيئات اي الخطيئات قيل نزلت الآية في شان ابي اليسر
التماري وقد جاءته امرأة لتبتاع منه تمرا فقال لها ان في البيت تمرا اطيب منه
فدخلت معه في البيت فقبلها فندم عليه فاتى ابا بكر فذكر له ذلك فقال استر
على نفسك وتب فاتى عمر وقال كذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه فذكر له ذلك
فاطرق عم حتى اوحي اليه الآية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الهذا
خاصة ام للناس عامة قال بل للناس عامة وقال عم الصلوات الخمس والجمعة
الى الجمعة ورمضان الى رمضان كفارات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وقيل
الحسنات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر او جميع الخيرات
ذلك اي المذكور من قوله فاستقم وما بعده من المواعظ ذكرى اي الموعظة
للذاكرين اي للتائبين المنقطعين واصبر يا محمد على الشدائد وعلى ما تلقى من
اذى قومك والصلوات الخمس فان الله لا يضيع اجر المحسنين في اعمالهم
من الصلوات وغيرها قوله فلولا من حروف التحضيض بمعنى هلا والمراد منه
النفي اذا لم يكن له جواب اي فما كان من القرون المهلكة من قبلكم اولو بقية اي

اهل

اهل خير واصحاب فضل يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة
ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم اي لكن قليلا منهم
نهوا عن الفساد وهم اتباع الانبياء فمن في ممن انجينا للبيان لا للتبعيض والا
ستثناء منقطع ولا يجوز ان يكون الاستثناء متصلا على ما عليه الظاهر من
الكلام لانه يلزم ان يكون معنى الآية تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد
دون القليل من الناجين منهم وهو فاسد وعطف على نهوا المقدر بمعنى قوله
واتبع الذين ظلموا انفسهم بشركهم اي اشتغلوا ما اترفوا فيه اي الذي انعموا
في الدنيا من المال والرياسة واسباب التنعم واللذات النفسانية من الحلال
والحرام ورفضوا ما وراء ذلك من اركان الدين وشرائع الاسلام فنبذوه وراء
ظهورهم ولم يهتموا بما هو خير لهم في الدنيا والآخرة وكانوا مجرمين عطف على
اترفوا اي صاروا امتاعين بذلك التنعم مستحقين للعقاب وما كان ربك
اي ما صح ولا استقام ليهلك القرى اي يعذب اهلها بظلم اي بغير جرم وهو
حال من الفاعل واهلها مصلحون اي موحدون مطيعون والجملة في محل النصب
على الحال من المفعول واللام في ليهلك لتاكيد النفي الداخل على كان يعني استحال في
الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها وهم مصلحون في اعمالهم ولكنه يهلكهم بكفرهم
وركوبهم السيئات وقيل معناه انه لا يهلكهم بكفرهم واهلها عادلون فيما بينهم
ولا يظلم بعضهم بعضا وانما يهلكهم اذا تظالموا ولو شاء ربك مشية قسر والجاء
لجعل الناس امة واحدة اي الخلق كلهم مكرمين بدين واحد وهو دين
الاسلام بالاضطرار ولكنه علم ان بعضهم ليسوا باهل لذلك فلم يضطرهم الى الاتفاق
على دين الحق ولا يزالون مختلفين على اديان شتى من نصراني ويهودي ومجوسي
ومشرك ومسلم لان الله مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار
بعضهم الباطل وبعضهم الحق غير مختلفين فيه فاختلفوا الا من رحم ربك اي الا ناسا
هداهم الله ولطف بهم بتاييده فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك
اي وللاختلاف الذي ينشأ من تمكين الاختيار خلقهم ليثيب مختار الحق ويعاقب
مختار الباطل فيكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقيل معناه وللرحمة خلقهم
يعني للاسلام والعبادة التي هي سبب الرحمة قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وتمت كلمة ربك اي سبق حكمه في علمه ووجب للمختلفين في دينهم
بكفرهم وهو لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار
الباطل ويترك الحق وكلا اي كل انباء فالتنوين عوض عن المضاف اليه نقص عليك اي

وروي عن ابن عباس انه قال ما اهلك الله تعالى قوما
الا بعملهم ولم يهلكهم بالشرك يعني لم يهلكهم بشركهم
وهم مصلحون لا يظلم بعضهم بعضا لان مكافاة
الشرك النار لا دونها وانما اهلكهم الله تعالى بمعاصيهم
زيادة على تركهم ما امروا مثل قوم صالح بعقر الناقة
وقوم لوط بالافعال الخبيثة وقوم شعيب
بنقصان الكيل والوزن وقوم فرعون
بايذائهم موسى عم وبني اسرائيل

نبيتن لك من انباء الرسل اي من اخبارهم واخبار اممهم وهو بيان لكل ما نثبت
به فؤادك اي الذي نقوي به قلبك عن الاضطراب وبدل من كلا يعني نحن نقص عليك
كل ما تحتاج اليه من اخبار الانبياء واممهم مما نثبت به قلبك لنزيدك يقينا وطمانينة
لان تكاثر الشواهد والادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم ولو ذكرت مكررة لان
النبي صلي الله عليه وسلم اذا سمعها كان في ذلك تقوية في قلبه علي الصبر علي اذي
قومه وجاءك في هذه اي في سورة الهود او في هذه الانباء المقتصة الحق
اي ما هو الحق من الاحكام والعلوم المتعلقة بالنبوة فاعمل به ومن تاب معك وانما
خص هذه السورة تشريفا لها وان كان قد جاءه الحق في جميع السور وموعظة
اي وجاءك تأدبة وذكري اي وتذكرة وعبرة للمؤمنين اي الموحدين المطيعين
لله ورسوله ثم قال تهديدا للكفار مكة وقل للذين لا يؤمنون بالله ورسوله
اعملوا علي مكانتكم اي علي جهتكم وقوتكم التي انتم عليها في امرنا انا عاملون في
امركم وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون اي يحل بكم العذاب كما حل باشباهكم
ولله غيب السموات والارض اي له علم ما غاب فيهما عن العباد فلا يخفي عليه
اعمالكم واليه يرجع الامر كله في المعاد فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم
لك منهم فاعبده وتوكل عليه اي ثق به في جميع امورك فانه كافلك وكافيك
وما ربك بغافل عما يعملون بالياء والتاء تغليبا للمخاطب عن كعب الاحبار انه
قال خاتمة التورية هذه الاية ولله غيب السموات الاية عن ابن عباس قال قال
ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال عم شيبتني سورة هود واخواتها يعني الواقعة
والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت سورة يوسف مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر اي انا الله الرقيب علي كل شئ تلك اي هذه السورة ايات الكتاب المبين
اي البين حلاله وحرامه من ابان اذا ظهر او مبين الحق من الباطل من ابان
اذا فرق نزل حين قالت اليهود لاصحاب النبي عم سلوا صاحبكم عن خبر يوسف
واخوته ونقلهم مع ابيهم يعقوب من كنعان الي مصر فبين الله تعالي ذلك بقوله
انا انزلناه قرانا وهو حال موطئة فالحال في الحقيقة عربيا او مصدر بمعني المفعول
فهو حال وعربيا صفته اي انزلنا الكتاب المتضمن خبر يوسف ويعقوب واولاده
في حال كونه قرانا بلسان العرب فعربيا وصف غير لازم للقران لانه ينسب الي
لغة العرب بعد نزوله علي النبي عم لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا ما فيه وتدركوا
معانيه فتؤمنوا نحن نقص اي نبين عليك في هذه القران احسن القصص

بفتح القاف وهو اسم بمعني المصدر من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث
يتبع ما حفظه شيئا فشيئا ويقال قص فلان الخبر علي اذا اداه علي وجهه وبالكسر جمع القصة اي نخبرك افضل اخبار القرون الماضية والمراد منه قصة
يوسف عم وانما كانت احسنها لانها تضمنت النكتة والعبر والحكم والعجائب
التي ليست في غيرها مما يصلح للدين والدنيا من سير الملوك والمماليك
والعلماء ومعجزات يوسف واحواله الغريبة واقواله اللطيفة والصبر
علي اذي الاعداء ومكر النساء وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء وغير ذلك
بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا القران اي هذه السورة المشتملة علي
قصة يوسف وان كنت من قبله اي وان الشان قد كنت قبل نزول
القران لمن الغافلين عن قصة يوسف لم تكن تعرفها فان مخففة واللام
فارقة لها من النافية قوله اذ قال يوسف ظرف لفعل مقدر ويوسف
اسم عربي والا لانصرف لخلوه عن سبب اخر سوي العلمية اي اذكر وقت قول
يوسف لابيه يعقوب يا ابت بكسر التاء المعوض من ياء الاضافة وبالفتح
لان اصله يا ابتاه اني رايت في المنام من الرؤيا احد عشر كوكبا اي نجما
من النجوم السماء ونصب كوكبا تمييز ورايت الشمس والقمر ايضا فيه
وانما اخر الشمس والقمر بالعطف علي الكوكب بيانا لفضلهما علي غيرهما ويجوز
ان يكون الواو بمعني مع في المفعول عند من قال به قيل جاء يهودي الي النبي عم
فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت النبي عم فنزل جبريل
فاخبره بذلك فقال النبي عم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال عم
جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح
والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء
وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها ثم استانف علي
تقدير كيف رايتهم بقوله رايتهم لي ساجدين نصب علي الحال من ضمير المفعول
وجمعهم جمع العقلاء لانه اخبر عنهم بفعل من يعقل وهو السجود وكان في التاويل
اخوته وكانوا احد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس ابوه
والقمر امه قاله قتادة وقال ابن جريج القمر ابوه والشمس امه لان الشمس
مؤنث والقمر مذكر وكان يوسف ابن اثني عشرة سنة حين راي هذه
الرؤيا ليلة القدر في ليلة الجمعة فلما قصها علي ابيه قال له ابوه يا بني
لا تقصص رؤياك علي اخوتك بواو ساكنة وبهمزة ساكنة قبل الف التانيث

يختص برؤية المنام والرأي بالقلب والرؤية بالعين وجواب النهي قوله
فيكيدوا لك فيحتالوا في اهلاكك كيدا اي مكرا قويا بتزيين الشيطان
لانهم يعلمون تأويلها فيحسدونك واللام في لك صلة لتاكيد التخويف بابلغ
التاكيد فيه الا يرى الى تاكيده بالمصدر المنصوب بعده وقوله منصوب
باضمار ان بعد الفاء ان الشيطان للانسان عدو مبين اي ظاهر العداوة
يحملهم على الكيد بعداوته القديمة قال ع م الرؤيا الصالحة من الله تعالى
فاذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث به الا من يحب واذا راى ما يكره
فلا يحدث وليتفل عن يساره وليتعوذ من الشيطان الرجيم من شر
ما راى فانها لا تضره وقال الرؤيا الصالحة جزء من اربعين او ست واربعين
جزءا من النبوة وهو على رجل طائر فاذا احدث بها وقعت قال الراوي احسب
قال لا تحدث بها الا حبيبا او لبيبا قوله وكذلك مقول يعقوب ليوسف
اي ومثل ذلك الاجتباء الذي اجتباك للرؤيا ورفع منزلتك بها يجتبيك اي
يصطفيك ربك لما هو اعظم منها ويعلمك من تاويل الاحاديث جمع احداث
وهو جمع حديث وليس بجمع احدوثة اذ لا يقال احدوثة النبي ع م كذا والمراد من
الاحاديث هنا الرؤى جمع الرؤيا ومن تاويلها تعبيرها بما يؤول اليه امرها عاقبته
ويتم نعمته عليك بالنبوة واظهار الاسلام وعلى آل يعقوب اي اخوتك بالنبوة
ايضا والاسلام لانهم كانوا انبياء والآل يستعمل في الاشراف فيقال آل الملك ولا يقال
آل الحايك كما اتمها اي نعمته على ابويك اي جدك وابن جدك من قبل اي قبلك ابراهيم
واسحق عطف بيان لابويك بجعلهما نبيين فاخبر يوسف بما اعلمه الله من انه
يتم نعمته عليه وعلى اخوته كما اتمها على ابائه يعني اجداده وسمى الجد ابا لانه في الاصالة
يقال فلان ابن فلان وان كان بينهما عدة اباء وقيل اتمام النعمة على ابراهيم بالخلة وانجائه
من النار وعلى اسحاق بانجائه من الذبح وقيل باخراج يعقوب والاسباط من صلبه
ان ربك يا محمد عليم باحوال الخلقة وعواقب امورهم من كون يوسف ممكنا في ديار
مصر ونبيا داعيا للخلق الى دين الله بعد كونه عبدا مشتريا بدراهم معدودة واحتياج
اخوته وابيه مع اهل بيته اليه وخرورهم كلهم لديه سجدا له كما راى في المنام و
توفيه ولحوقه بابائه الصالحين حكيم في جميع صنعه من ارادة هذه الرؤيا ليوسف
وتقدير كيد اخوته وتفريق الابن الصغير من ابيه المحب له قيل كان بين رؤيا
يوسف وتحقيقها اربعون سنة وقيل ثمانون سنة ولما سمع رؤياه اخوته قالوا
ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وكان ابوه يحبه ويميل اليه من

ميله

ميله اليهم لما يرى فيه من امارات القوى والصلاح فحسدوه وظلموه وكان بنو يعقوب
اثني عشر رجلا ستة من بنت ليان خالة يعقوب اسمها ليا واسماؤهم روبيل وهو اكبرهم
وشمعون ولاوي ويهوذا وريالون ويشجر واربعة من سريتين له زلفة وبلهة واسماؤهم
دان ونفتال وجاذ بالحاء المهملة والذال المعجمة واشر ثم ماتت ليا فتزوج اختها راحيل
فولدت له يوسف وبنيامين قوله لقد كان في يوسف واخوته اي في خبره وخبرهم
آيات اي عبرات ودلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للسائلين عن قصة
يوسف واخوته نزل حين جاء اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوا عن
قصصهم فلما قراها عليهم فوجدوها موافقة لما في التورية تعجبوا منه فقالوا يا محمد من
علمكها قال الله علمنيها فهذا معنى قوله ايات للسائلين اي للمعتبرين وقيل للسائلين
لانها يشتمل على صبر يوسف على الرق والسجن وقضاء الشهوة وعلى ما آل اليه امره من
الملك والنبوة وعلى حزن يعقوب وصبره وما آل اليه امره من الوصول الى مراده و
غير ذلك من الايات ليوسف اذ قالوا اي اخوته فيما بينهم عند سماعهم رؤيا يوسف
ليوسف واخوه بنيامين احب الى ابينا منا ولم يثن لان افعل التفضيل اذا
لم يعرف ولم يضف يستوي فيه القليل والكثير والمذكر والمؤنث والواو في
قوله ونحن عصبة للحال والعصبة من الواحد الى العشرة اي والحال انا جماعة
عشرة يتم بنا الامور ونحميكم وفينا كفاية ولا كفاية فيهما لصغرهما فهو يفضلهما علينا
ان ابانا لفي ضلال مبين اي لفي خطاء ظاهر في حبهما واختيارهما علينا والمراد
بالضلال سوء الرأي ثم قال بعضهم لبعض اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا اي مكانا
مجهولا او بعيدا من ابيكم ليهلك فيه يخل لكم وجه ابيكم اي يصف لكم اقباله
وشغله لا يلتفت الى غيركم ويكثر حبه فيكم وتكونوا من بعده اي بعد قتله او
غيبته عنكم قوما صالحين بان تتوبوا الى الله مما جئتم اليه فيتوب عليكم او صلحت
حالكم عند ابيكم بعد ذهاب يوسف فيه ايماء الى ان المؤمن ينبغي ان يتمم التوبة
قبل المعصية قال قائل منهم اي من اخوة يوسف وهو يهوذا وكان اعقلهم وقيل انه
روبيل وكان اكبرهم لا تقتلوا يوسف فان القتل اعظم والقوه اي اطرحوه في غيابت
الجب اي في قعر الجب الذي يغيب عن العين والغيابة ما غاب عن عينك وقرئ
غيابات الجب والجب البئر الذي لم تطو اي لم تبن بالحجارة بعد الاساس يلتقطه
اي يأخذه بعض السيارة اي المسافرين وهو من يمر عليه لطلب الماء ان كنتم
فاعلين ما عزمتم عليه من الشر فهذا هو الرأي فاطاعوا القائل بذلك وجاؤا الى
ابيهم وهم كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا انبياء بدليل قوله وتكونوا من بعده قوما

عليهم

صالحين

ولانهم ارتكبوا جرايم كبيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الذي
لا ذنب له والغدر بالامانة والكذب مع ابيهم النبي وهذه كلها لا يليق بالنبوة **قالوا**
يا ابانا ما لك لا تأمنا بالادغام واشمام النون مع الضم تنبيها على الاصل وهو اظهار
النونين مع الضم الاولى بدا وبالانكار عليه في تركه ارساله معهم حثا على الارسال
اي اي حال لك لا تأمنا **على يوسف** اتخافنا عليه **وانا له لناصحون** اي مريدون الخير له
او لحافظون بالشفقة ورادون اياه اليك **ارسله معنا غدا** الى الصحراء **نرتع و**
نلعب بالنون فيهما للاسناد الى الجميع قيل كان لعبهم المسابقة والنضال وما يتقوى
على حرب العدو ولذلك اجاز لعبهم يعقوب وبالياء فيهما للاسناد الى يوسف اي
يأكل ما يشتهي من الطعام ويلهو وبالنون في الاول والياء في الثاني اي نرتع نحن
ويلعب يوسف وقرئ بكسر العين في يرتع فهو من ارتعى يرتعي فلامه حذفت للجزم
في جواب الامر وباسكان العين جزما جوابا ايضا للارسال فهو من رتع يرتع اي يتسع
في اكل الفاكهة وغيرها **وانا له لحافظون** عن الاذى واصابة المكروه **قال**
ابوه يعقوب في الجواب معتذرا بشيئين **اني ليحزنني ان تذهبوا به** اي ذهابكم
بيوسف والحزن الم القلب بفراق المحبوب وقرئ مفتوحا من احزن او من حزن
والمعنى واحد واللام لام الابتداء لتأكيد الحال هنا **واخاف ان يأكله الذئب** بالهمزة
وبغير الهمزة **وانتم عنه غافلون** اي مشغولون بلعبكم بنقل اهتمامكم بحفظه
وانما قاله لانه رأى في المنام ان ذئبا قد شد وحمل على يوسف فانجاه بنفسه وقيل
قاله لان ارضهم كانت كثيرة الذياب لا لانه قصد تعليم العلة لهم في كيد يوسف
كما قالوه اذ لا يجوز تلقين الخصم حجة قيل ان اخوة يوسف كانوا لا يعلمون
ان الذئب يأكل الناس الى ان قال ذلك يعقوب عم فوقع كالتعليم لهم على سبيل
الاتفاق **قالوا** اي اخوة يوسف والله **لئن اكله الذئب ونحن عصبة**
اي جماعة عشرة **انا اذا لخاسرون** اي لهالكون ضعفا وعجزا حيث اكل بعضنا
الذئب ونحن حاضرون قيل اعتذر يعقوب اليهم بعذرين فاجابوا عن احدهما
دون الآخر لانه هو الذي يغيظهم لا غير فبعد قولهم هذا ارضى بذهابه معهم
وقيل ابى ان يرسله معهم حتى اتوا يوسف فقالوا اطلب من ابيك ليبعثك
معنا فطلب منه فرضي بذلك واوصاهم ان يحسنوا اليه ويتعاهدوا امره
ويردوه اذا طلب الرجوع **فلما ذهبوا به** الى البرية جعلوا يحملونه على عواتقهم
اكراما له فلما بعدوا به عن العيون اظهروا له العداوة به فجعل احدهم يضربه
فيستغيث بالآخر فيضربه هو ايضا ضرب القتل فقال يهوذا

البس

البس عهدكم بي ان لا تقتلوه فامتنعوا من ضربه **واجمعوا ان يجعلوه** اي اتفقوا
على جعل يوسف عم **في غيابة الجب** اي اسفلها فانطلقوا به الى بئر على غير الطريق
واسع الاسفل ضيق الرأس على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب او فرسخين فجعلوا يدلونه
في البئر فتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على القميص
اتوارى به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تونسك قال ان لم ارشيا فالقوه
فيها ارادة ان يموت فيها وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فيها فقام عليها
وبقي فيها ثلث ليال وكان يهوذا يأتيه الطعام وجواب لما محذوف اي جعلوه في البئر
بقرينة جملة واجمعوا وعطف عليه قوله **واوحينا اليه** اي الى يوسف في
الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى في صغرهما **لتنبئنهم** اي لتخبرنهم يا يوسف
فيما يستقبل **بامرهم هذا** اي بصنيعهم السوء الذي فعلوه بك بمصر ملكا و
يجازيهم عليه **وهم لا يشعرون** انك يوسف لعلو منزلتك وبعد عهدهم
عنك اذا طلبوا منك الطعام من الجوع والقحط قيل بعث الله اليه جبرئيل
ليونسه ويبشره بالخروج ويخبره بما اوحى اليه ربه في البئر وقال له اذا هبت
شيئا فقل يا صريخ المستصرخين ويا غياث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين
قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من امري فلما قالها حفته الملائكة
فاستأنس بهم وقيل خرج من ساعته قال ابن عباس رضي الله عنه ثم انهم ذبحوا سخلة
وجعلوا دمها على قميص يوسف ولم يشقوه **وجاؤا** اي اخوة يوسف وهم في ظلمة
اباهم عشاء يبكون اي وقت المساء في ظلمة العشاء يصيحون كذبا بالبكاء ليكونوا
اجرى على الاعتذار بالكذب روي ان يعقوب لما سمع صياحهم وعويلهم خرج فقال
يا بني ما لكم هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما اصابكم واين يوسف **قالوا**
يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نترامى وننتضل **وتركنا يوسف عند متاعنا**
اي امتعتنا وثيابنا **فاكله الذئب وما انت بمؤمن** اي بمصدق **لنا ولو كنا**
اي وان كنا **صادقين** عندك ان الذئب قد اكله لشدة حبك اياه فكيف وانت
تتهمنا به في هذا الامر لانك خفتنا في الابتداء او لانه لا دليل على صدقنا وان كنا
صادقين عند الله وعلى بمعنى فوق في قوله **وجاؤا على قميصه بدم كذب** فيكون
محل على قميصه نصبا على الظرف ولا يجوز ان يكون حالا لان حال المجرور لا يتقدم عليه
اي جاؤا فوق قميصه بدم ذي كذب يعني بدم اثره في قميصه ظاهرا او وصف بالمصدر
مبالغة كانه نفس الكذب وعينه لانه دم السخلة لا دم يوسف فاخذه يعقوب وجعله
على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بالدم **قال** ما كان هذا الذئب الا حليما اذ لم يشق

[margin notes:] ليختلطوا بالدم ويخالطوا به على ابيهم تامل — اي خفت — او غلاق

تو به كذبتم في قولكم بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا قال زينت واشتهت لكم انفسكم
امرًا فضيعتموه بيوسف اي فضيعتم يوسف به فَصَبْرٌ جَمِيلٌ اي فامري او فعلي
صبر جميل وهو ما لا شكوى فيه الى مخلوق وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ اي الذي اطلب
منه العون على الصبر عَلَى مَا تَصِفُونَ اي يقولون بالكذب عن شان يوسف
وَجَاءَتْ بعد ثلثة ايام سَيَّارَةٌ اي قافلة يسيرون من مصر الى مدين او بالعكس
فاخطاوا الطريق فنزلوا بقرب من البير التي فيها يوسف فكانت بعيدة من العمران وقيل
كان ماؤه مالحًا فعذب حين القي فيه يوسف فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ اي طالب الماء
الى البير ليسقي لهم من مائها وهو مالك بن ذعر فَأَدْلَى دَلْوَهُ اي ادخل الدلو في البير
فتعلق يوسف بحبلها فلما خرج فاذا بغلام احسن ما يكون قَالَ يَا بُشْرَايَ بلا ياء
بعد الالف كحبلى يعني السرور او هو اسم رجل ناداه مالك ليعينه على اخراج وبياء بعد
الالف اضاف البشرى الى نفسه فبشر بنفسه واصحابه فقال هَذَا غُلَامٌ او كانه
قال ابشروا لاصحابه وَأَسَرُّوهُ اي اخفوه من ساير التجار فقاوهم والمخفي الوارد
واصحابه ليكون لهم بِضَاعَةً اي قطعة من المال ليبيعوه بمصر وانما اخفوه منهم
خيفة ان يطلبوا منهم فيه المشاركة وقيل اسر اخوة يوسف شانه وقالوا انه
عبد ابق لان يهوذا اتى يوسف بالطعام فلم يجده في البير فاخبرهم بذلك اخوته فطلبوه
فاذا هو بمالك بن ذعر واصحابه وقد كانوا اهددوا يوسف بالقتل حتى لا يعرف حاله
ثم باعوه لهم وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ اي بما يصنع اخوة يوسف به فقيل لهم كان هذا
الغلام لا يشبه العبيد وانما هو يشبهكم فقالوا انه ولد جاريتنا وانه ابن وليدة
امنا امرتنا ببيعه فقال يوسف لهم ارجعوا الى ابي وانا اضامن لكم رضاه و
انا لا اذكر فعلكم هذا ابدًا فابوا عليه وَشَرَوْهُ اي اشتراه السيارة من اخوته
او باع اخوته بِثَمَنٍ بَخْسٍ اي مبخوس يعني حرام منقوص لان ثمن الحر حرام يمحو البركة
او البخس الزيوف او القليل الناقص عن القيمة وابدل منه دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ اي
قليلة لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان اقل من اربعين درهما ويعدون ذلك وكانت
الدراهم عشرين او اثنين وعشرين او اربعين وقالت المعتزلة باعه واخوه و
اصحابه لا اخوته بدليل قوله تعالى وَكَانُوا اي اخوة يوسف فِيهِ اي في يوسف يعني
في ثمنه مِنَ الزَّاهِدِينَ اي لم يكونوا محتاجين اليه وقيل كانوا من الراغبين عنه
ليبعد عنهم ومعناه انه لم يكن قصدهم تحصيل الثمن بل مرادهم تبعيده عن ابيه
وقومه او كان السيارة فيه من الزاهدين عنه لان اخوته اخبروا لهم انه ابق
فاستحقروه في البيع وليس الزهد الترك اصلًا انما الزهد التهاون النقطوه والملتقط

باالشيء

بالشيء متهاون لا يبالي بما باعه من الثمن بالشيء وان اخذ منه البلاغ وليس كلمة
فيه صلة الزاهدين لان الصلة لا يتقدم على الموصول وهو اللام الداخل في الصفة
وانما هو بيان له وبيان الشيء قد يتقدم عليه كانه قيل فيما اي شيء زهدوا فقال
فيه زهدوا ثم انطلقوا بيوسف وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يابق
فذهبوا به حتى قدموا مصر وعرضه مالك للبيع على البيع فزاد الناس بعضهم على بعض
حتى بلغ بحيث لا يقدر احد عليه فاشتراه عزيز مصر اسمه قطفير وكان خازن الملك
ريان بن وليد بن العمليق امن بيوسف عم ومات في حيوته لامرأته بوزنه مسكا
ووزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه حريرا وسلم اليه كلها وكان وزنه اربعماية
رطل وهو ابن ثلث عشرة سنة وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ اي قال العزيز
لِامْرَأَتِهِ زليخا أَكْرِمِي مَثْوَاهُ اي احسني اليه مدة اقامته فينا في المطعم والمشرب
والمقام عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا فيما نحتاج اليه في كفاية امورنا او نبيعه بالربح ان
اردنا بيعه وكان العزيز لا يوالد ولدا فقال أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا اي نتبناه فيكون
ابنا لنا لما راى فيه من مخايل الخير او ان يوسف عرفه نسبه فاراد تبنيه وَكَذَلِكَ
اي ارض مصر بان جعلناه حكما عليها ليتصرف فيها كيف يشاء من الامر والنهي
بالعدل وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ اي لكي نلهمه من تعبير الرؤيا وغيره من العلوم
وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ اي امر الله يفعل كيف يشاء لا يغلبه شيء ولا يرد حكمه
احد او امر يوسف اي مستول على تمام امره بالتدبير ولا يكله الى احد غيره حتى يبلغه
منتهى علمه فيه وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ما الله صانع وما يريد ان يفعله
وَلَمَّا بَلَغَ يوسف أَشُدَّهُ اي قوته جمع شدة او شد ولا واحد له من لفظه وهو
منتهى شبابه قيل ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلثين سنة وقيل هو ثلث وثلثون
وقيل اربعون آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا اعطيناه اي نبوة ليحكم بين الناس بها
وفقها في الدين وقيل الحكم الاصابة في القول والعلم تاويل الرؤيا وَكَذَلِكَ اي
كما آتيناه في الدنيا من الحكم والعلم نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ اي المطيعين مع التوحيد
في الاخرة وفيه تنبيه على انه كان متقيا في عنفوان امره وقيل من احسن عبادة
ربه في حال شبابه اتاه الله الحكمة في اكتهاله وَرَاوَدَتْهُ اي طالبته مرة زليخا
بعد مرة برفق وسهولة الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا اي المرأة التي يوسف في بيتها وهي
عَنْ نَفْسِهِ وهو كناية عما تريد النساء من الرجال يعني طلبت واحتالت عليه
لتناول غرضها منه وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ السبعة عليها وعليه وكانت تقول له
وتغره ويوسف يستعيذ بالله منها ويعظها بقوله اتقي الله وبزجرها وجعلت

نشابه اي لطيفه

ما احسن عينيك قال هما اول كل شيء يسيل الي الارض من جسدي ثم قالت
ما احسن وجهك قال هو للتراب ياكله ثم قالت ما احسن شعرك قال هو اول
ما ينتثر من جسدي قالت ان فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي قال
اذن يذهب نصيبي من الجنة **وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ** اي تهيأت لاجلك
او هلم واقبل الي واللام في لك للبيان كانه قيل لك اقول هذا وقيل العرب اذا
دعا احدا وصاح به يقول هيت لك وقرئ بكسر الهاء وفتحها مع فتح التاء وبكسر
الهاء مع همزة ساكنة بدلا من الياء وفتح التاء وبفتح الهاء وضم التاء وبنيت
هذه الالفاظ كلها لانها اسم فعل كشتان ومعناها اما امر او خبر فلما قالت
لك **قَالَ** يوسف **مَعَاذَ اللهِ** اي اعوذ بالله معاذا مما تطلبين مني وهو
مصدر مضاف فعله محذوف وجوبا **اِنَّهُ** اي الشان **رَبِّي** اي زوجك الذي
رباني **اَحْسَنَ مَثْوَايَ** حين اوصاك باكرامي فليس لي ان اخون امرأته بعد حسن
ظنه بي وامره بالاحسان الي وفيه دليل علي وجوب معرفة احسان المحسن
وشكره وقيل اراد بقوله ربي الله تعالى اي احسن الي بما اعطاني ومن الجب
عافاني **اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** اي المجاوزون الحسن الي القبيح او الظالمون الزناة
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ اي قاربت لمجامعة يوسف زليخا برضاها **وَهَمَّ بِهَا** اي قارب
يوسف لمجامعتها علي اقتضاء الطبع البشري لا مع العزم منه والهم في الاصل عقد
القلب علي فعل شيء قبل ان يفعل من خير او شر وهو القصد فهمها عزمها علي المعصية
من غير شروع فيها وهمه حل الهميان وجلوسه فيها مجلس الخاين بكراهتها والفرق
بينهما ان همها هم ثابت لكونه مع العزم وعقد القلب والرضا فالعبد ماخوذ به
وهمه هم عارض معبر بالخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم فان
العبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم او يعمل وقيل هم زليخا كبيرة لانه حقيقة منها
وهم يوسف بقدر حاله صغيرة والصغاير يجوز علي الانبياء وقيل ما هم يوسف
بها لقوله تعالى عقيبه لتدارك عبده ونبيه **لَوْلَا اَنْ رَاٰى بُرْهَانَ رَبِّهِ** وقيل
هذا الكلام يشعر بان يكون وهم به جواب لولا متقدما عليه وقد انكر النحاة
ذلك اذ العرب لا يقول لقد قمت لولا زيد لقمت لان الشرط والجزاء بمنزلة كلمة واحدة
ولا يجوز عندهم تقديم بعض الكلمة علي بعض ويجوز حذف بعضها اذا دل عليه دليل
فيكون جواب لولا محذوفا بدلالة ما قبله وهو وهم بها ولا جايز ان يكون كلا
الهمين قرينة لجواب لولا لان التفصيل بينهما بالعطف يدل علي طلب كل منهما
التوصل الي ما هو حظه من قضاء الشهوة ثم ذكر لولا ان راي برهان ربه قصدا

الي

الي الدلالة علي انه ترك التوصل الي حظه لئلا يلزم اغفال يوسف مع كونه نبيا
واما زليخا فلم تترك التوصل الي حظها ليدل ذلك بذكر لولا ان راي الي آخره
فتقدير الآية ولقد هم بها لولا ان راي برهان ربه لفعل ما طلبت منه لانه
تعالى تدارك عبده النبي بالبرهان وهو انه راي صورة يعقوب وهو يقول له
يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في الانبياء وقيل انفرج سقف البيت
ويعقوب عاضا علي اصبعه وقيل ضرب في صدره فخرجت شهوته من انامله
وقيل حل يوسف سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا بكف قد ظهرت
بينهما بلا معصم ولا عضد مكتوب فيه وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون
ما تفعلون فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الروع عادت وعاد فظهر
ذلك الكف مكتوبا عليه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فقام
هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الروع عادت وعاد فراى ذلك الكف مكتوبا
عليه واتقوا يوما ترجعون فيه الي الله فقام هاربا وقامت ثم عادا فقال
الله تعالى لجبريل عليه السلام ادرك عبدي ان لا يصيب الخطيئة فانحط جبريل فمسحه
بجناحه وخرجت شهوته من انامله فلذلك قيل ولد له احد عشر ولدا ولكل ولد من
يعقوب اثنى عشر ولدا من اجل نقصان شهوته وقال تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب
عند الله في الانبياء وقال الحسن البصري ان الله تعالى لم يذكر ذنوب الانبياء في
القرآن تعييرا لهم بها ولكن ذكرها ليكون الناس علي خوف من الله وليعرفوا منزلة
النعمة في الاعراض عن الزلة ولئلا ييأس احد عن رحمة الله لان الحجة للانبياء الزم
فاذا قبلت توبتهم كان قبولها من غيرهم اسرع وقيل انما ابتلاهم الله بالذنوب ليتفرد
بالعزة والطهارة يوم الحساب ويلقاه جميع الخلق فيه علي انكسار المعصية قيل لم
يذكر في القرآن توبة يوسف وذكر توبة من سواه من الانبياء الذين صدرت
منهم المعصية وان صغرت فلذلك يدل علي عدم معصيته **كَذٰلِكَ** اي الامر كذلك
او يتعلق بمحذوف اي فعلنا له مثل ذلك الفعل يعني من اظهار البرهان **لِنَصْرِفَ عَنْهُ**
اي عن يوسف **السُّوءَ** اي الاثم وهو خيانة السيد **وَالْفَحْشَاءَ** اي الزنا **اِنَّهُ مِنْ**
عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ بفتح اللام اي المختارين وبكسرها المطيعين بالاخلاص لله تعالى
في العبادة **وَاسْتَبَقَا** اي اسرعا متوجهين **الْبَابَ** اي الباب الخارج اما يوسف
فللهرب منها واما هي فلمنعه عن الخروج فادركته من خلفه فتعلقت بقميصه فجذبته
اليها لئلا يخرج من الباب **وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ** اي شقته **مِنْ دُبُرٍ** اي من خلف
وَاَلْفَيَا اي وجدا **سَيِّدَهَا** وهو زوجها قطفير العزيز ولم يقل سيدهما

بهامه

لعدم صحة ملك يوسف لدى الباب اي عند الباب جالسا مع ابن عم زليخا فلما
رأته هابته قالت سابقة بالقول لزوجها تنزيها لنفسها ما جزاء من اراد باهلك
سوءا اي ليس عقاب من قصد بزوجك الزنا ويجوز ان يكون ما استفهامية
بمعنى اي شيء جزاؤه ثم خافت عليه ان يقتله فقالت الا ان يسجن اي يحبس في
السجن او عذاب اليم اي ضرب بالسياط وانما لم يصرح بذكر يوسف وانه
اراد بها سوءا لانها قصدت العموم مبالغة في تخويف يوسف فلما سمع يوسف مقالتها
قال بناء على قولها ما جزاء من اراد الآية دفعا عن نفسه التهمة هي راودتني اي
طلبت عن نفسي الفاحشة فابيت وفررت منها وشهد شاهد اي قال قائل
من اهلها وهو اخوها او ابن عمها او كان الشاهد صبيا في المهد انطقه الله فقال
ان كان قميصه قد اي شق من قبل اي من قدامه فصدقت زليخا وهو
اي يوسف من الكاذبين لانه اذا طلبها دفعته عن نفسها فشقت قميصه من
قدامه وان كان قميصه قد من دبر اي خلفه فكذبت زليخا وهو من
الصادقين لانها اذا تبعته تعلقت بقميصه لتلحقه وتجذبه اليها فشقته
وسمي القول شهادة ولا شهادة ثمة لانه يقوم مقام الشهادة في ثبوت صدق
يوسف وكذبها فاورد كان للمضي بعد ان للاستقبال ليعلم انه كان قميصه قد
من قبل كما تقول لمن تمن عليك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل
فلما رأى قميصه الزوج او ابن العم قميص يوسف قد من دبر اي مشقوقا
من خلفه عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف ع م قال لها انه اي قد القميص
او قوله ما جزاء من اراد باهلك الآية من كيدكن اي مكركن وعملكن يا معشر
النساء ان كيدكن عظيم يخلص الى البريء والسقيم يوسف اي يا يوسف قاله
الشاهد او الزوج بحذف حرف النداء اعرض عن هذا اي هذا الامر لا تذكره
لاحد حتى لا يشيع فقد بان عذرك وبراءتك ثم قال لزليخا واستغفري
لذنبك اي توبي الى الله من عملك القبيح انك كنت من الخاطئين اي المتعمدين
الذنب وذكره بالتذكير تغليبا للذكور قيل معناه استحلي من زوجك لئلا
لا يعاقبك حين خنته شيئا اعن نفسه وقال نسوة في المدينة وهن خمس
نسوة من اتباع الملك بمصر امرأة حاجبه وامرأة امير الدواب وامرأة الخباز وامرأة
الساقي وامرأة صاحب السجن وقيل هن من اشراف وكن اربعين قلن امرأة
العزيز تراود اي تطلب فتاها اي غلامها عن نفسه لقضاء شهوتها منه
قد شغفها حبا اي اصاب حبه شغاف قلبها وهو غلافه وحجابه غيرتها

قوله

حتى

انا لنراها في ضلال
مبين اي في خطاء
ظاهر من حبها عبدها
وتبدلها عشق غلام الفعل
لا الفضلى عليه صح

حتى لا تعقل غيره فلما سمعت زليخا بمكرهن اي بغيبتهن لها وافشائهن سرها
بعد ان استكتمتهن ذلك وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية من المغتاب
كالمكر من الماكر ارسلت اليهن اي دعتهن اليها واعتدت اي هيأت لهن
متكأ وهو ما يتكأ عليه من وسائد وطعام لضيافتهن اكراما لهن لترين يوسف
وحسنه لتعتذر فيه لعلمها انهن اذا رأينه دهشن به وقيل المتكأ هو الاترج
بلغة الحبشة وقيل كل شيء يقطع بالسكين روي انها زينت بيتها بالوان الفرش
والوسائد والوان الفواكه والاطعمة ودعت النسوة فجئن الى بيتها فلما جلسن
مجالسهن جاءت وآتت كل واحدة منهن سكينا لقطع ما في ايديهن من الاترج
او الزماورد وهو الرقاق الملفوف المملو باللحم وقرأ بضم الزاء وتخفيف الميم وتشديدها
او لحز اللحم للاكل بالسكين وامرت يوسف ان يلبس احسن الثياب واجلسته في
موضع آخر ثم امرتهن بالاكل فشرعن يأكلن ويقطعن الطعام بالسكين وقالت
ليوسف اخرج عليهن فخرج وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر
ليلة البدر على سائر النجوم قاله عكرمة وكان يوسف اذا سار في ازقة مصر
يرى تلألؤ وجهه على الجدران قيل ورث الحسن من جدته سارة وهي
من حواء فلما رأينه اي يوسف اكبرنه اي اعظمنه قيل هابلن اوه وصرن
مدهوشات طائرة عقولهن او حضن في تلك الساعة يقال اكبرت المرأة اذا
حاضت وقطعن ايديهن اي جرحنها لما رأينه دهشا يعني ما احسسن الا
بالدم روي ان جماعة منهن ماتت بالنظر الى وجهه وقلن حاش لله بالالف
في الوصل وبحذف الالف في الوقف وبحذفها في الحالين تخفيفا وهو تنزيه لله
اي بجري على يوسف ما نقل عنه ثم دفعن قدره عن البشرية فقلن ما هذا بشرا
واعمال ما عمل ليس مجازي اي مثل هذا لا يكون آدميا ان هذا اي ما هذا الغلام
الا ملك كريم على ربه يعني انه من جنس الملائكة لا من جنس البشر مع علمهن انه بشر
لما ثبت في عرف الناس انهم اذا وصفوا الانسان بالحسن يشبهونه الملك اذ لا اكمل
ولا احسن من الملك عندهم فيه قالت زليخا توبيخا لهن فذلكن اي فهذا المشار اليه
لديكن يعني يوسف الذي لمتنني فيه اي في حبه ولم تقل فهذا مع حضوره تحت عين
تعظيما لقدره او اشارة اليه بعد ذهابه عنهن ثم صرحت بما فعلت بعد ظهور
عذرها لهن فقالت معترفة ببراءة يوسف ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
اي امتنع وطلب العصمة من الله تعالى مبالغة في الامتناع ثم اوعدته بطاعتها
بقولها ولئن لم يفعل ما آمره اي الذي امرته ان يفعل من قضاء شهوتي فالضمير في

لديهن صح

آره راجع الى الموصول لا الى يوسف لئلا يبقى بلا عايد ويجوز ان يجعل ما
مصدرية فيرجع الضمير الى يوسف اي لئن لم يفعل اوى اياه الى مقتضى من
ليسجنن بالتخفيف اي ليعاقبن بالسجن وليكونا بالالف في الخط الموافق
الامام من الصاغرين اي الذليلين يعني ان لم يطيعني فيما دعوته اليه لاذلنه
قيل جعلت الذل في حقه تهديدا لو طمعتها اياه قال يوسف عند ذلك رب
اي رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وجمع لانهن زين له طاعة
مولاته او لانهن دعون الى انفسهن وهو احب من سكنى السجن على قضاء
حاجتهن بالمعصية نظرا الى خوف العاقبة ونيل الكرامة بحسن الصبر على
احتمالها لوجه الله مع اقتضاء الطبع البشري قضاء حاجتهن ثم قال والا تصرف
عني كيدهن اي ان لم ترد عن نفسي شرهن اصب اي امل اليهن من صبا
الى كذا اذا مال واشتاق اليه واكن من الجاهلين بالمتابعة الى ما يدعونني اليه
من الزنا فيل هذا القول متضمن معنى الدعا وهو اللهم اصرف عني كيدهن
ولذا قال فاستجاب له ربه فيما دعاه فصرف عنه اي عن يوسف كيدهن
اي شرهن انه هو السميع للدعاء فيما دعاه يوسف العليم بحاله وحالهن
ثم بدا لهم اي ظهر لزوجها العزيز وزليخا رأي وهو السجن ففاعل بدا مضمر فيه
يفسره قوله ليسجننه بعده روي ان المرأة قالت لزوجها وهو جملة لها
ان هذا العبد العبري فضحني يخبرهم به في زعمه بين الناس فحقه ان تحبسه
مدة فاجمعوا على ذلك من بعد ما رأوا الآيات اي العلامات الدالة على براءة
يوسف من شق القميص من خلفه وكلام الشاهد الصغير او قضاء ابن عمها
بالحق وقطع الايدي ليسجننه اي ليسجن العزيز واهله يوسف حتى حين
اي الى مدة ينقطع كلام الناس في ذلك وقيل خمس سنين وقيل سبع سنين
وغرضها جعلها ذليلا بالسجن كما قالت من قبل لما آيست من طاعته لها روي
ان يوسف انما سجن لطلبه السجن بقوله رب السجن احب الي وان سأل العافية
عافاه الله والاولى بالمرء ان يسأل الله تعالى العافية عفانا الله واياكم في الدارين وقيل
ان الله قد حبسه تطهيرا ليوسف من همه بالمرأة ودخل معه نصب على الحال
اي مصاحبين بيوسف السجن فتيان وهما عبدان للملك احدهما ساقيه
والآخر صاحب طعامه وكان المصريون اعطوهما رشوة الطعام ليسما الملك
في طعامه وشرابه فابى الساقي وقبل الخباز فسم الطعام فلما احضروا الطعام
قال الساقي للملك لا تأكل هذا فانه مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم

فقال

فقال الملك للساقي اشرب فشرب فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فامر
تجربة بان يأكله دابة فاكلت فهلكت فامر الملك بحبسهما غضبا عليهما وكان
يوسف عند دخوله السجن قال للناس انا اعبر الاحلام لتنتشر علمه قال احدهما
وهو الساقي ليوسف اني اراني اعصر خمرا اي عنبا بلغة عمان بالتخفيف وقيل سمي
العنب خمرا باسم ما يؤل اليه وذلك انه قال اني رأيت كاني في بستان فاذا بكرم
عليها ثلاثة عناقيد من عنب في الغصان فجنيتها فكان كأس الملك بيدي فعصرت
فيه فسقيتها الملك فشربه وقال الآخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق رأسي
خبزا في ثلث سلال مع الوان الاطعمة تأكل الطير منه اي من الخبز الذي فوق
رأسي نبئنا بتأويله اي اخبرنا عن تعبير ما قصصنا عليك وتفسيره وعاقبة او هذه
الرؤيا انا نراك من المحسنين اي العالمين بتعبير الرؤيا او من الصادقين في القول
او من العاملين بالاحسان قيل من احسانه انه اذا مرض انسان في السجن عاده وقام
عليه واذا ضاق وسع له واذا احتاج جمع له شيئا وكان مع هذا يجتهد في العبادة
ويقوم الليل كله للصلوة ويقول لاهل السجن ابشروا واصبروا وتؤجروا فيقولون
بارك الله فيك يا فتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك
فمن اين انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن ابراهيم
خليل الله فقال له عامل السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكني
ساحسن جوارك تمكن في اي بيوت السجن شئت فلما قصى عليه الرؤيا كره ان يعبر
لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على احدهما فاعرض عن سؤالهما وشرع في
اظهار المعجزة والدعوة الى التوحيد قال لا يأتيكما طعام في منامكما ترزقانه
الا نبأتكما اي اخبرتكما بتأويله اي ببيان ماهية طعام الذي يأتيكما في القصعة
وبقدره والوانه والوقت الذي يصل اليكما قبل ان يأتيكما وان رأيتما ذلك في
النوم اخبرتكما بما يؤل اليه امره وهذا كمعجزة عيسى عم حيث قال وانبئكم بما تأكلون
وما تدخرون فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد
ويزينه لهما ويقبح فيهما الشرك بالله وهذا طريقة كل عالم ناصح لله فقالا هذا
فعل العرافين والكهنة وانت لست كاهنا فمن اين لك هذا العلم قال يوسف
ذلكما اي هذا العلم مما علمني ربي به بالوحي لا بالتكهن والتنجيم ثم اراد ان يبين
علامة نبوته لهما ليسلما فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله اي بتوحيده
اعني بهؤلاء اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وهم بالآخرة هم كافرون
اي بالبعث جاحدون وكررهم تأكيدا وقدمه تخصيصا للجحد بهم واتبعت

تقصاصه

بعرافيه

مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ اي دين هؤلاء وهو التوحيد مَا كَانَ
اي ما صح لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ من الآلهة لانه عصمنا من الشرك ذَلِكَ
اي التوحيد والعلم بالله مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ اي المؤمنين بارسال
الانبياء وبيان الهدى وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ اي اهل مصر لَا يَشْكُرُونَ نعمة الله
التي هي الاسلام بل يكفرونها ثم دعاهما الى الاسلام فقال يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ
اي يا ساكنيه او يا صاحبيّ في السجن اراد الساقي والخباز لكون السجن مصحوبا
فيه فاضافهما اليه بادنى ملابسة أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ اي آلهة متفرقة
هذا من ذهب وهذا من فضة وهذا من حديد وهذا اعلى وهذا ادنى وهذا اوسط
متباينون لا تضر ولا تنفع خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ اي الاله الذي لا ثاني له الْقَهَّارُ
اي الذي لا يغلب عليه احد وهو غالب على الكل ان شاء يحييهم وان شاء يميتهم
ثم قال لهما ولمن على دينهما مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ اي من غير الله إِلَّا أَسْمَاءً اي
مسميات تحتها سَمَّيْتُمُوهَا آلهة أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا اي بتلك الاسما
مِنْ سُلْطَانٍ اي برهانا في عبادتكم اياها إِنِ الْحُكْمُ اي ما القضاء فيكم إِلَّا
لِلَّهِ في الدنيا والآخرة ثم بيّن الحكم بقوله امر في الكتاب أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ اي
لا توحدوا الا الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ اي التوحيد هو الدين المستقيم الذي دلت
عليه البراهين من الله وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ اي من اهل مصر لَا يَعْلَمُونَ اي دين الله تعالى
الذي هو التوحيد او ما لهم وعليهم من الثواب والعقاب ثم شرع في تعبير رؤياهما
بعد ما نصحهما فقال يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا وهو الساقي فَيَسْقِي اي فيخرج
بعد ثلثة ايام من السجن فيسقي رَبَّهُ اي الملك خَمْرًا كما كان يسقيه وَأَمَّا الْآخَرُ
وهو الخباز فَيُصْلَبُ اي فيخرج بعد ثلثة ايام من السجن ويصلب فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ
مِنْ رَأْسِهِ ففسّر العناقيد الثلثة بثلثة ايام بعدان يبقى في السجن للساقي
وفسّر السلال الثلثة بثلثة ايام يبقى في السجن للخباز فلما سمعا قول يوسف
قالا انما كنا نلعب او قالا ما راينا شيئا فقال يوسف قُضِيَ الْأَمْرُ اي تم وقطع
ام من انكما الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ اي تسئلان في معناه من ان عاقبة
هلاك ام نجاة سواء صدقتما او كذبتما وَقَالَ يوسف لِلَّذِي ظَنَّ اي علم
أَنَّهُ نَاجٍ اي ينجو من السجن وهو الساقي مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ اي
سيدك الملك وقل له ان في السجن غلاما محبوسا ظلما طال حبسه فَأَنْسَاهُ
الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ اي وسوس اليه بما يشغله عن ذكره له وانما اوقع النسيان
بالوسوسة لان الانبياء لا يقدر عليهم الشيطان بل القادر عليهم هو الله تعالى

واضاف ذكر الى المفعول غير الصريح يعني انسى الساقي الشيطان ان يذكر
يوسف لربه او عند ربه الملك فجاز هذه الاضافة بادنى ملابسة وانما
انساه ذكره لان يوسف لم يستغث بالله بل استغاث بالملك والمعنى
انسى الشيطان يوسف ذكر ربه الخالق حتى ابتغى الفرج من غيره المخلوق
وانما انكر على يوسف استغاثته بغير الله في كشف الضر عنه مع جوازه
في الشرع قال تعالى وتعاونوا على البر وقال عم كان الله في عون العبد ما دام
العبد في عون اخيه المسلم لان الاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل
امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه عز شانه فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ
واكثر الاقاويل انه سبع سنين قال الاصمعي البضع ما بين الثلث الى
التسع او من واحد الى التسع وقيل لو لم يستغث يوسف على غير الله
لما لبث في السجن طول ما لبث وروي ان الله تعالى اوحى له احسبت
اني انساك في السجن حتى استغثت بغيري وانا اقرب اليك واقدر
على خلاصك لتلبث فيه بضع سنين قيل فيه دليل ان الانبياء
يعاتبون على الصغاير معاتبة غيرهم على الكبائر وتلك الصغيرة غفلة
بكلمة واحدة عرضت ليوسف من الشيطان فلبث ما لبث في السجن
اذ الاولى بالنبي عم ان لا يكل امره الى غير الله ولما قرب خروج يوسف
راى الملك الاكبر وهو ريان في المنام رؤيا عجيبة هايلة ولم يعلم
تأويلها وَقَالَ الْمَلِكُ لاشراف مجلسه إِنِّي أَرَى اي رايت في المنام سَبْعَ
بَقَرَاتٍ سِمَانٍ جمع سمينة صفة بقرات وهي تميز السبع بنوع من البقرات
وهي السمان منهن لا بجنسهن فقط ولو وصفت سمانا صفة لسبع
لكان القصد تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ووصف المميز الذي
هو السبع بالسمن يعني رايت تلك البقرات السمان خرجن من بحر النيل يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ اي سبع بقرات هزلى في غاية الهزال خرجن من النيل بعدهن فمن نعيم
ابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم ير منهن شيء ولم يظهر على
العجاف منهن شيء والعجاف جمع عجفاء واعجف وافعل وفعلاء لا يجمعان على
فعال لكنه حمل على سمان لانه نقيضه وهم يحملون النقيض على النقيض كما
يحملون النظير على النظير ولم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز لبيان
الجنس والعجاف ليس بجنس بل هو وصف وهو لا يقع بيانا للشيء الا اذا جرى
مجرى الاسم كقولك خمسة فرسان وَأَرَى سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ قد انعقد حبها

وادي سبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات
علي الخضر حتي غلبن عليهن فلم يبق منهن شيء فآخر صفة سبع سنبلات
ويجوز صفة السنبلات بالعطف علي خضر ولا يجوز ان يعطف علي سنبلات
اخر فيكون مجرور المحل لانه يؤدي الي تدافع الكلمتين اذ العطف عليها يقتضي
ان يكون الحكمين معها مميزا للسبع المذكور ولفظ الاخر يقتضي ان يكون
غير السبع وهو فاسد ثم قال يا ايها الملأ افتوني اي فسروا لي في رؤياي
ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تفسرون واللام للبيان قالوا رؤياك اضغاث
احلام جمع ضغث وهو الحزمة من النبات وجمع حلم وهو ما يرى
في النوم اي مربوطات الاحلام المختلطة لا يصح تاويلها والاضافة فيها
بمعنى من اي اضغاث من احلام وانما جمع مع ان المرائي حلم واحد لانه
اريد زيادة في وصف الحلم لبطلان فهو من قبيل فلان يركب الافراس
وما الا فرسا واحدا وما نحن بتاويل الاحلام المختلطة بعالمين
لبطلانها عند المعبرين وقال الذي نجا منهما من القتل وهو الساقي
وادكر اي تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك بعد امة اي بعد مدة
طويلة وهي سبع سنين انا انبئكم بتاويله فجثا بين يدي الملك وقال
ان في السجن رجلا يعبر الرؤيا فارسلون اي ارسلني ايها الملك اليه
انما خاطبه بلفظ الجمع تعظيما له كما يخاطب الملوك به ولم يكن السجن في
المدينة يومئذ قاله ابن عباس ووصف للملك تعبير يوسف الرؤيا وصدق
تعبيره واخبره بحال يوسف وعلمه وحكمته كما ينبغي فارسله اليه فاتي
السجن فلما دخل عليه اعتذر اليه بما انساه الشيطان ذكر ربه فقال
يوسف اي يا يوسف ايها الصديق وهو كثير الصدق وانما قاله لانه
تعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول افتنا
اي اخبرنا عن رؤيا الملك في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
اي هزلى وفي سبع سنبلات خضر وسبع اخر يابسات فان الملك راى
في المنام هذه الرؤيا وما عبرها احد من هو داخل في المصر لعلي ارجع الي الناس
اي الي الملك واصحابه من غير صادف لي في الطريق لعلهم يعلمون تاويل هذه الرؤيا
او يعلمون قدرك ومنزلتك من العلم والفهم فيكون ذلك سببا لخلاصك من السجن
فعبر يوسف رؤياه وهو في السجن قال له يوسف معبرا اما السبع البقرات
السمان والسبع السنبلات الخضر فهي سبع سنين خصب واما السبع العجاف

والسبع

والسبع السنبلات اليابسات فهي سبع سنين قحط ثم قال تزرعون معلما بمصالحهم
لهم وهو خبر بمعنى الامر اي ازرعوا سبع سنين دأبا اي عادة مصدر في معنى
الحال اي دائبين يعني اعملوا ازراعتكم علي عادتكم فما حصدتم من الزرع فذروه
في سنبله فهو ابقى لكم كيلا ياكله السوس اذا كان في سنبله وهذا الامر دليل علي
كون تزرعون في معنى الامر الا قليلا مما تاكلون اي تدرسون بقدر ما تحتاجون
للاكل امرهم بحفظ الاكثر والاكل علي قدر الحاجة ثم ياتي من بعد ذلك الخصب
سبع شداد اي سبع سنين قحط سميت بالشداد لشدتها علي الناس ياكلن
اي يفني السنون ما قدمتم لهن يعني يؤكل فيهن ما اعددتم لهن من الطعام اضاف
الاكل الي السنين علي طريق التوسع ثم استثنى بقوله الا قليلا مما تحصنون
اي تحرزون وتدخرون للبذر ثم بشرهم بعد الفراغ عن تاويل الرؤيا بقوله
ثم ياتي من بعد ذلك القحط عام فيه يغاث الناس اي يمطرون من الغيث وهو
المطر او ينقذون من الشدة بسعة الرزق من الغوث وهو الاغاثة عن قوي
وفيه اي في ذلك العام يعصرون العنب والزيتون بالياء والتاء او ينجون
من الشدة بسعة العيش قوله ثم ياتي الي قوله يعصرون بشارة لهم بعد
الفراغ من تاويل الرؤيا وتفصيل لحال العام الثامن المبارك ولا يعلم ذلك الا بالوحي
فذهب الساقي الي الملك فاخبره بقول يوسف في تعبير رؤياه وقال الملك ائتوني به
اي بيوسف لان الملك قد عرف ان الذي قاله كائن فلما جاءه الرسول وقال
اجب الملك فابى ان يخرج مع الرسول وتثبت في اجابة الملك حتى يظهر براءته عما
اتهم به وسجن فيه قال له يوسف ارجع الي ربك اي سيدك العزيز فاسأله
ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ليعلم اني مظلوم في الحبس ولم يصرح
بذكر امراة العزيز ادبا واحتراما ان ربي بكيدهن عليم بفعلهن القبيح لا يعلمه
غيره فيجازيهن به قال النبي عليه السلام رحم الله اخي يوسف ان كان الا ذا اناة
ولو كنت انا لاسرعت الاجابة يقول ذلك هضما لنفسه وفيما فعل يوسف دليل
علي وجوب الاجتهاد في نفي التهم لقوله عم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا
يقف مواقف التهم قال ابن عباس لو خرج يوسف حين دعي لم يزل في قلب
الملك شيء منه فجمع الملك النساء قال ما خطبكن اي ما شانكن وما حالكن اذ راودتن
يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ذنبا بالميل اليكن قيل ان امراة العزيز راودته
عن نفسه وساير النسوة امرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بقوله ما خطبكن قلن
اي قالت جماعة النساء اعترافا ببراءة يوسف وتعجبا عن عفته وتنزهه عن الذنب

خاش لله اي معاذ الله ما علمنا عليه من سوء اي شرٍّ وخيانة قالت
امرأة العزيز زليخا معترفة بذنبها خوفا ان يشهد عليها الآن حصحص اي
ظهر وتبين الحق انا راودته عن نفسه اي طلبت ان يمكنني من نفسه
وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي فلما سمع اعترافها قال
يوسف ذلك اي الذي فعلت من ردّ رسول الملك اليه والتلبث في السجن
عند دعوة الملك اياه ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب اي في حال غيبته
وان الله لا يهدي اي لا يحق ولا يسدد بل يمحو كيد الخائنين وقيل لا يرضى
عملهم وهو تاكيد لامانته فقوله ذلك ليعلم من كلام يوسف اتصل بقول
امرأة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تمييز لمعرفة السامعين ذلك
بقرينة المعنى قيل لما قال يوسف هذه المقالة قال له جبرئيل ولا حين هممت بها
فقال عند ذلك وما ابرئ نفسي من الزلل وقاله هضما لنفسه وخوفا
من دخول العجب فيها وتواضعا لله تعالى وفرارا من التزكية ان النفس اي
جميع النفوس لامارة بالسوء اي بالمعصية وبالميل الى شهواتها الردية
الا ما رحم ربي اي من عصمه الله برحمته كالملائكة فلم يركب فيهم الشهوة
او كالانبياء والاولياء الذين يعصمهم بلطفه وارائته البرهان اياهم
ان ربي غفور رحيم اي غفر لي للهم الذي هممت به ورحمني وعصمني
عن الخطاء والمعصية فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته
وعلمه احبه وقال الملك ائتوني به اي بيوسف استخلصه لنفسي
اي اجعله خالصا لامري ومصلحتي دون غيري فلما خرج يوسف من السجن
ودّع اهل السجن ودعا لهم وقال اللهم اعطف قلوب الصالحين عليهم ولا
تستر الاخبار عنهم فمن ثم تقع الاخبار عند اهل السجن في كل بلد قبل ان تقع
عند الناس غالبا فجاء الى الملك بعد الاغتسال من درن السجن ولبس الثياب
الحسان وقال في نفسه حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه
عزّ جاره وجلّ ثناؤه ولا اله غيره ثم سلم عليه بالعربية فقال الملك ما هذا
اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرية قال ما هذا اللسان قال
لسان آبائي ولم يعرف هذين اللسانين وكان الملك يتكلم سبعين لسانا
سواهما وكلما كلمه بلسان اجابه يوسف بذلك اللسان فاعجب الملك
ما رأى منه مع حداثة سنه وكان يوسف يومئذ ابن ثلثين سنة فاجلسه
فلما كلمه بما شاء شفاها قال له الملك انك اليوم لدينا مكين اي ذو مكانة

وجاه في ملكي امين اي ذو امانة على خزايني واموري فما ترى قال ارى ان تجمع
الطعام وتزرع كثيرا في هذه السنين المخصبة وتاخذ من الناس خمس زروعهم
من الطعام بقصبه وسنبله وتتركها في الخزاين محفوظة ليكون القصب
والسنبل علفا للدواب فيكفيك ولاهل مصر ومن حولها مدة السنين
المجدبة ويأتيك الخلق من الميرة ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال
الملك ومن لي بذلك ومن يجمعه ومن يبيعه ويكفي الشغل فيه قال يوسف
اجعلني على خزاين الارض اي ارض مصر وهي خزاين الطعام والاموال كلها
وانما قال لعلمه ان لا احد اقوم منه بذلك واكد ذلك بقوله اني حفيظ لما
تستودعني من الخزاين عليم بوجوه مصالحها وعما وليتني او حفيظ بتقديره
في السنين المخصبة وسنين المجاعة عليم بوقت الجوع حين يقع في الارض
المجدبة وبسياسة الملك والسنة الناسبة وكاتب حاسب امين وانما وصف نفسه
بذلك لانه مطلوب الملوك ممن يولونه ولانه اراد ان يتوصل به الى امضاء احكام
الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله يبعث الانبياء الى العباد
قيل اذا علم النبي عم او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين
الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وروي مجاهد انه اسلم على يده ففوض
الملك جميع امره الى يوسف وعزل قطفير او جعله مكانه ثم ان قطفير امات في تلك السنة
فزوج الملك يوسف امرأته زليخا فوجدها عذراء واخبرته ان زوجها كان عنينا
لم يصل اليها فقال لها يوسف اليس هذا خيرا مما كنت تريدين فولدت له
ولدين افرائيم وميشا واستوثق ليوسف ملك مصر فاقام فيه العدل
واحبه الرجال والنساء وهذا معنى قوله تعالى وكذلك اي مثل ذلك التمكين الظاهر
من كون الملك تابعا في كل حال اي مكنا ليوسف ملكا وانعمنا عليه في الارض
اي في ارض مصر يتبوء حال من يوسف اي ينزل ويتخذ منزلا منها اي من ارض مصر
حيث يشاء اي كل مكان يريد منها ويضع فيها ما يشاء ويحكم ما يريد بلا مزاحم له
قرئ بالنون اي حيث يريد الله وبالياء حيث يريد يوسف من اماكن مصر
وهي اربعون فرسخا في فرسخ نصيب برحمتنا اي نختص بنعمتنا من نشاء كالنبوة
والاسلام والنجاة وغيرها ولا نضيع اجر المحسنين اي الموحدين الصابرين
على بلائنا قيل لم يزل يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف له حتى اسلم الملك
وكثير من الناس فهذا في الدنيا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا اي ثواب الآخرة افضل
للموحدين المقرين بالبعث مما اعطي في الدنيا لهم وكانوا يتقون اي يخافون

اربعين سنة

الانبياء

الله ويطيعونه ولا يعصونه ثم جاء القحط بالناس بعد ما دبر يوسف في السنين
المخصبة ما دبر للسنين المجدبة من جمع الطعام في الخزاين مقدار ما يكفي للسنين
المجدبة للاكل والبيع حتى اكلوا جميع ما في ايديهم واحتاجوا الى ما عند يوسف
من الطعام فطفق يوسف ينفق من الخزاين لنفسه وللملك ولحاشيته نفقة
المجاعة في نصف النهار كل يوم مرة واحدة وينادي الملك يا يوسف الجوع الجوع
ويقول يوسف هذا اوان القحط فجعل اهل مصر يتبايعون من يوسف
الطعام فباعهم في السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق في ايديهم درهم ودينار
وفي الثاني باعهم بالحلي والجواهر كذلك وفي الثالثة باعهم بالمواشي والدواب
وفي الرابعة باعهم بالعبيد والاماء وفي الخامسة بالضياع والعقار والدور
وفي السادسة باولادهم كلها وفي السابعة برقاب انفسهم حتى لم يبق بمصر
حر ولا حرة الا صاروا ملكا له فقال الناس ما راينا ملكا اعظم من هذا ثم قال يوسف
للملك كيف رايت صنع ربي فيما خولني فما ترى فقال الملك الرأي رايك ونحن
لك تبع قال يوسف اني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم
اي باسرهم واجمعهم ورددت عليهم املاكهم روي ان يوسف كان لا يشبع من
طعام في تلك الايام فقيل له اتجوع وبيدك خزاين الارض فقال ان شبعت
نسيت الجايع ثم قصد الناس من كل ناحية وبلد يمتارون ووقع القحط في
كنعان اكثر مما وقع في ساير البلاد من الشام فارسل يعقوب بنيه الى مصر
للميرة فامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وقال لهم بلغني ان بمصر
ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا وسيروا لتشتروا منه الطعام فان
الحاجة قد اشتدت علينا فاخذوا بضاعة من ابيهم فذهبوا الى مصر
فذلك قوله **وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ** وكانوا عشرة **فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ** يوسف
باول ما نظر اليهم **وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ** اي لم يعرفوا يوسف لبعد عهدهم وذهابه
عن قلوبهم او لشدة جوعهم ولانه كان على سرير الملك وعلى راسه تاج الملوك
وفي عنقه طوق من ذهب بخلاف ما كانوا راوه في الصغر قال ابن عباس كان
بين ان قذفوه في البير وبين ان دخلوا عليه اربعون سنة فلذلك انكروه
فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرية قال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني
انكرت شانكم لتكلمكم بلسان غريب في مصر قالوا نحن قوم رعاة من اهل الشام
اصابنا الجهد فجئنا نمتار طعاما فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة
بلادي قالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة لاب واحد شيخ

صديق نبي من انبياء الله تعالى قال وكم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب واحد منا
الى البرية فهلك فيها وكان احبنا الى ابينا فقال فكم انتم هنا قالوا عشرة قال فاين
الاخر قالوا عند ابينا لانه اخ الذي هلك من امه وابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان قولكم
حق قالوا يا ايها الملك نحن في بلاد لا يعرفنا فيها احد فقال يوسف اتركوا بعضكم
رهنا عندي وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فانا ارضى بذلك فاقترعوا بينهم
فاصابت القرعة شمعون فتركوه عنده وكان يوسف يحسن اليه **فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ**
بِجَهَازِهِمْ اي اصلحهم بما يحتاجون اليه في السفر وقيل حمل لكل رجل بعيرا بعدهم
على عادتهم في القحط **قَالَ** يوسف **ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ** اي بنيامين **أَلَا**
تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ اي اتمه ولا نبخس الناس شيئا **وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ** اي افضل
من يضيف الضيف اذا نزل بي وقد كان احسن انزالهم وضيافتهم **فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي**
اي باخيكم من ابيكم **فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي** اي ليس لكم عندي طعام اكيله يعني تحرموا
من الطعام **وَلَا تَقْرَبُونِ** يجوز ان يكون داخلا تحت الجزاء مجزوما بالعطف عليه ويجوز
ان يكون مجزوما على النهي اي لا تقربوا داري وبلادي فاني لا اكرمكم ولا انظر اليكم
قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ اي سنجتهد بطلبه عن ابيه حتى ننزعه من يده
وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ما امرتنا به **وَقَالَ** يوسف **لِفِتْيَانِهِ** بالالف والنون المكسورة جمع
فتى جمع كثرة ولفتيته بالتاء من غير الف جمع قلة كذلك في المعني اي لغلمانه **اجْعَلُوا**
بِضَاعَتَهُمْ اي اثمان ما اخذوا **فِي رِحَالِهِمْ** جمع رحل اي في اوعيتهم وكانت بضاعتهم
النعال والادم **لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا** اي بضاعتهم يعني يعلمون كرامتي عليهم باعطاء
البدلين وقيل انه اخذ الثمن للطعام من ابيه واخوته لو كان من رده عليهم من حيث
لا يعلمون تكرما ليعرفوا حق ردها **إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ** بكنعان **لَعَلَّهُمْ**
يَرْجِعُونَ اي لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وليعلموا ان
طلبنا عودهم لم يكن لاجل الثمن او لانهم لا يستحلون اكله اذا داوا الثمن
لانهم انبياء فيرجعون اليهم **فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا**
الْكَيْلُ اي يمنع في المستقبل ان لم نحمل اخانا اليه وذكروا احسانه وانه
ارتهن شمعون لاجله **فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا** بنيامين **نَكْتَلْ** بالنون اي نرفع
المانع من الكيل فنشتري من الطعام بالكيل بسببه وبالياء يكتل هو يعني بنيامين
لانهم كانوا لا يبيعون من كل رجل الا وقرا واحدا **وَإِنَّا لَهُ** اي لاخينا **لَحَافِظُونَ**
من الضيعة حتى نرده اليك **قَالَ** ابوهم يعقوب **هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ** اي
على بنيامين **إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ** يوسف **مِنْ قَبْلُ** اي من قبل هذا الزمان

مثل ذلك القول يعني كيف آمنكم عليه فقد فعلتم بيوسف ما فعلتم بعد ان اخذ
عليكم من العهد الوثيق من قبل فلو لم يحفظ الله تعالى لا ينفع بحفظكم ولا حفظي
ثم قال فالله خير حافظا بالالف نصب على التفسير والتمييز كما يقال هو
خير رجلا وحال وبغير الالف حفظا تمييز ايضا والمراد ان حفظ الله خير من حفظكم
وهو ارحم الراحمين يرحمه بالحفظ من الضيعة كما حفظه من الجماعة ويرده
الي ولا يجمع علي مصيبتين ولما فتحوا متاعهم الذي حملوا من مصر وجدوا بضاعتهم
ثمن ميرتهم اي ثمن الطعام في جوالقهم ردت اليهم قالوا لابيهم يا ابانا ما نبغي
ما نبغي لنتزايد الكلام في وصف الملك بالاحسان اليهم كذبا اي ما نتزايد القول
فيما وصفنا لك من احسانه الينا او استفهام اي ماذا نطلب بالكلام الذي اخبر
به من احسانه الينا دليلا اكثر من رده البضاعة الينا لم ينقل ذلك عن حاله
ثم استانف التوضيح ما نبغي بقولهم هذه بضاعتنا اي ثمننا الذي اعطيناه
ردت الينا فنستظهر بها ونمير عطف علي المقدر او علي ما نبغي علي ما نقول ونأتي
بالميرة وهي الطعام من بلد الي بلد او هو كلام مبتداء اي نبغي ان نمير اهلنا
ليكون قوتا لهم من المجاعة فابعثه معنا ونحفظ اخانا في الذهاب والمجئ
عن الضيعة بتعدد قوتنا لكي نحمل الطعام لاهلنا بسببه ونزداد كيل
بعير اي حمل بعير من اجله علي عادتهم ذلك كيل يسير اي حمل بعير شئ قليل علي
الملك لا يحبس ولدك بسببه ان ارسلته معنا قال لهم يعقوب لن ارسله
معكم حتى تؤتون موثقا اي عهدا وثيقا بالقسم من الله قيل اراد ان يحلفوا له
بالله عز وجل لتأتنني به جواب القسم اي لن ارسله معكم حتي تحلفوا بالله
انكم تردونه الي الا ان يحاط بكم استثناء منقطع اي لكنكم تهلكون جميعا
بسبب القسم او لكنكم تغلبون فلا تطيعون الاتيان به او متصل اي
تأتون به في كل حال الا في حال الاحاطة بكم بان ينزل بكم امر من السماء او من الارض
فيغدركم فضاق عليهم الامر فحلفوا كما اراد ابوهم فلما آتوه اي اعطوه موثقهم
اي عهدهم المؤكد قال يعقوب الله علي ما نقول وكيل اي شاهد وحافظ وقال
لهم وقت الخروج من عنده يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
اذا دخلتم مصر وقيل من سكك مختلفة قاله لئلا يصابوا بالعين وليس ذلك كالطيرة المنهية
لان النبي عم كان يرقي من العين لان العين حق لما انهم اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة
وقيل يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الي النبي عم والاعجاب به نقصانا فيه
ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى لعباده ليتميز المحققون بقولهم هذا فعل الله عمن قال

هذا

هذا اثر العين وهو قول المعتزلة بطلانه ظاهر بصحة الحديث في تاثير العين
وقيل قاله لئلا يظن اهل مصر انهم جواسيس ولم يوصهم في الكرة الاولي التفرق
لانهم كانوا مجهولين بين الناس ثم اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك
والتكرمة الخاصة ثم قال وما اغني عنكم من الله اي لا ينفعكم من قضائه
ان اراد بكم سوء من شئ سواء كنتم مجتمعين او متفرقين لان المقدور كائن
ان الحكم اي ما القضاء الا لله ان شاء اصابكم العين وان شاء لم يصبكم
وهذا تفويض يعقوب امورهم الي الله تعالى مع التاكيد بقوله عليه توكلت
اي اعتمدت في كل حالي وعليه فليتوكل المتوكلون اي الموا ثقون بالله
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من السكك او الابواب المتفرقة وكانت
اربعة وجواب لما محذوف وهو امتثلوا امره او الجواب ما كان يعقوب برأيه
يغني اي يدفع عنهم من الله من شئ يعني اصابهم ما شاءهم مع تفرقهم من
اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بها واخذ اخيهم بوجدان الصاع في رحله
فلم ينفعهم رأيه وهو تصديق الله يعقوب فيما قال الا حاجة استثناء
منقطع علي معني لكن حاجة ومرادا في نفس يعقوب قضاها اي اظهرها
لهم وتكلم بها وهي شفقته عليهم اشفاق الاباء علي الابناء وانه يعقوب
لذو علم اي كان يعمل ويقول عن علم لا عن جهل لما علمناه اي لتعليمنا
اياه انه لا يصيبهم الا ما اراد الله وقدره وعلم ايضا ان دخولهم من ابواب
متفرقة لا ينفعهم من قضاء الله من شئ ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ما يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم قال ابن عباس رضي الله عنه
لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه ولما دخلوا علي يوسف اي اخوه
قالوا هذا اخونا الذي امرتنا ان نأتيك به فقال احسنتم واصبتم
وستجدون ذلك عندي ثم انزلهم واكرم منزلتهم ثم اضافهم واجلس
كل اثنين منهم علي مائدة فبقي بنيامين وحده فبكي وقال لو كان اخي يوسف
حيا لاجلسني الملك معه فقال يوسف بقي اخيكم هذا وحيدا وقال له تحب
ان اكون بدل اخيك الهالك قال من يجد مثلك اخا ولكن لم يلدك يعقوب
ولا راحيل فبكي يوسف فدعاه اليه واجلسه علي مائدته وجعل يواكله
ويتلطف به وهو معني قوله آوي اليه اخاه اي ضم الي نفسه بنيامين
وكالمه قال له في السر اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما
كانوا يعملون بنا فيما مضي فان الله قد احسن الينا وجمعنا ولا تعلم

اخوتك بما علمتك فقال بنيامين لا افارقك فقال يوسف لا يمكنني الا بعد
ان اضيف اليك السرقة بشيء فقال افعل ما شئت فلما جهزهم بجهازهم
اي اصلح لهم حاجتهم فوفى يوسف الكيل لكل واحد من اخوته حمل بعير وبنيامين
بعيرا باسمه جعل السقاية اي وضع بالخفية المشربة من ذهب مرصع بالجواهر
في رحل اخيه بنيامين فخرجوا وحملوا الطعام ودخلوا في الطريق فلما انفصلوا
عن مصر نحو الشام ارسل يوسف من استوقفهم فوقفوا ثم اذن مؤذن
اي نادى منادي الملك بامره ايتها العير اي القافلة تحمل الميرة واصل العير ان
يذكر لقافلة الحمير ثم كثر ذلك حتى قيل لكل قافلة عير والعير جمع العير انكم لسارقون
اناء الملك ظاهر المن لا يوقف الامر وقيل قالوه من غير امر يوسف وقيل قالوا على
تأويل انهم سرقوا يوسف من ابيه فلا يكون بهتانا في الحقيقة قالوا اي اخوة
يوسف واقبلوا عليهم اي والحال انهم قد توجهوا الى فتيان الملك المنادين
ماذا تفقدون اي ما الذي تطلبونه بفقده وهو طلب المعدوم بعد الوجود
قالوا نفقد اي نطلب صواع الملك اي الاناء الذي يشرب منه الملك وجعل
مكيالا لئلا يكال بغيره وكان الشرب من فضة وذهب مباحا في شريعته ولمن
جاء به اي بالصواع حمل بعير من الطعام وانا به زعيم اي كفيل بقوله المؤذن
وهو افرايم من فتية يوسف قالوا اي اخوة يوسف مقسمين تالله اي والله
لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض اي لنسرق في ارض مصر او نخون
احدا وما كنا سارقين اي لم نتصف بالسرقة قط او منذ قطعنا هذا
الطريق فاسئلوا من مررنا به هل ضررنا احدا وانما قالوا لقد علمتم
مستشهدين بعلمهم من اين علموا الا انهم كانوا معروفين انهم لا يتناولون
ما ليس لهم واذا دخلوا مصر عقدوا افواه دوابهم كيلا يتناولوا شيئا
من حروث الناس او لانهم ردوا الى الملك البضاعة التي جعلت في رحالهم
قالوا اي فتيان الملك فما جزاؤه اي اي شيء جزاء السارق عندكم ان
كنتم كاذبين في قولكم وما كنا سارقين وهو فرض لانتفاء براءتهم كان
اخذ السارق للمسروق منه بدل المسروق فاراد يوسف ان يحبس
اخاه بنيامين عنده فرد الحكم اليهم ليتمكن من حبسه عنده على حكمهم
قالوا اي اخوة يوسف جزاؤه من وجد المسروق في رحله اي في وعائه
فهو اي السارق جزاؤه اي يسلم الى المسروق منه للاستعباد وهذه
الجملة تقرير للحكم المذكور يعني ليس جزاؤه غيره كذلك اي مثل ذلك الجزاء نجزي

الظالمين

الظالمين اي الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير فقال الرسول
عند ذلك لا بد لي ان افتش امتعتكم واحدا واحدا وقيل امر يوسف
ان يردهم اليه ليفتش اوعيتهم بين يديه فبدأ يوسف باوعيتهم لازالة
التهمة عنه قبل وعاء اخيه بنيامين روي انه كان لا يفتح متاعا ولا
ينظر في وعاء الا استغفر الله تأثما مما قذفهم به حتى اذا لم يبق الا رحل
بنيامين قال ما اظن ان هذا اخذ ذلك فنتركه فقال اخوته والله لا نترك
حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك ولانفسنا ففتح رحله ثم استخرجها
اي السقاية او الصواع يذكر ويؤنث من وعاء اخيه اي من رحل بنيامين
اخي يوسف فنكس اخوته رؤسهم من الحياء فاقبلوا على بنيامين وقالوا
ماذا صنعت فضحتنا واسودت وجوهنا يا ابني راحيل لم يزل لنا منكم
بلاء متى ذهبتم باخي يوسف فاهلكتموه في البرية واني ما سرقت شيئا في عمري
وانما وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فاخذوا
بنيامين رفيقا وردوه الى يوسف كما يرد السارق ذلك ثم قال تعالى كذلك
اي مثل ذلك الكيد العظيم لهم يعني ما فعلوا في الابتلاء بيوسف من الكيد كدنا
ليوسف اي دبرنا جزاء الكيد له يعني علمناه اياه بالوحي في امرهم او فعلنا
بهم الكيد كما فعلوا بيوسف من قبل وقال يعقوب له فيكيدوا لك كيدا والكيد
من الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازاة اعمال الخلق ثم قال تعالى
ما كان اي لم يكن يوسف ليأخذ اخاه في دين الملك اي في حكمه لان حكمه
ان على السارق الضرب وغرم ضعفي قيمة المسروق الا ان يشاء الله
اي الا بمشيئة الله اخذه وقت شاءه بقضاء ابيه يعقوب فلولا شريعة
ابيه لما تمكن يوسف من اخذ اخيه نرفع درجات من نشاء بالعلم والعمل
كما رفعنا درجة يوسف على اخوته بالاضافة وتركها وفوق كل ذي علم
عليم قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله فانه تعالى
فوق كل عالم وهو العليم وقيل انه عام مخصوص بعلم الله اذ لا عليم اعلم منه
ولا يناسبه احد في علمه قالوا اي اخوة يوسف ان يسرق بنيامين
فقد سرق اخ له اي لبنيامين من امه يوسف من قبل اي قبل بنيامين
في حال صغره قيل كان لجده ابي امه صنم يعبده فاخذه سرا فكسره والقاه
في الطريق لئلا يعبده وقيل اخذ دجاجة من بيت يعقوب فاعطاها سائلا
وقيل كان يوسف عند عمته بالحضانة بعد موت راحيل امه وكانت عمته
حبا شديدا

لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينزع منها اخذت منطقة اسحاق
التي توارثت منه لانها كانت اكبر ولد اسحق وهم كانوا يتوارثون بالكبر فشدتها
على وسط يوسف تحت ثيابه وهو نايم وقالت لاهلها فقدت المنطقة فلما
ذهب الي ابيه يعقوب بعدما شب طلبت المنطقة فوجدتها في وسطه فقالت
يا يعقوب ان لي يوسف عبدا وكان في شريعتهم استرقاق السارق فقال يعقوب ان
كان كذلك فهو مسلم لك فامسكته حتى ماتت فلذلك قالوا فقد سرق اخ له من قبل
فاسرها اي اخفى كلمتهم يوسف في نفسه وهي انه سرق اخ له عنوا به يوسف
ولم يبدها اي لم يصرح بالكلمة لهم قال يوسف انتم شر مكانا نصب على التمييز
اي منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لان سرقتكم ظهرت وسرقتي لم تظهر
وقيل ان قوله فاسرها اضمار على شريطة التفسير وانما انث بتاويل الكلمة والجملة
وقوله قال انتم شر مكانا بدل من فاسرها فالمعنى انه لم يصرح لاخوته قوله بانتم شر مكانا
بل قاله في نفسه والله اعلم بما تصفون اي بما تقولون من الكذب يعني يعلم
ان وصفكم كذب لانه لم يصح لي ولا لاخي سرقة فليس الامر كما تصفون قالوا
استعطافا منه بذكر حال ابيهم يعقوب عنده يا ايها العزيز ان له اي لابن
يامين لبنيامين ابا شيخا كبيرا اي كبير السن او كبير القدر وانه احب اليه منا
وانه كان مستانسا به لاخيه الهالك فخذ احدنا مكانه اي بدله على وجه
الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين في افعالك فلا تغير عادتك
او المحسنين الينا بتوفية الكيل والفضل وحسن الضيافة ورد البضاعة فاتمم
احسانك الينا كما قلنا لك به قال معاذ الله اي اعوذ بالله معاذا من ان
ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل سرق تحرزا من الكذب انا اذا
لظالمون فاذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بريا بجرم لظلمنا
على قضية شريعتكم باخذ غير السارق مكان السارق او لان الله امرني
بالوحي الي ان آخذ بنيامين لمصالح كثيرة علمنا في ذلك فلو اخذت غير المأمور
لكنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي فلما استياسوا اي ايسوا وزيادة
السين والتاء للمبالغة في القنوط منه اي من يوسف ان يجيبهم الي ما سألوا
خلصوا اي اعتزلوا وانفردوا عن يوسف وساير الناس نجيا اي متناجين
في الخلق يعني يتشاورون لا يخالطهم غيرهم والنجي مصدر جعل نعتا كالعدل
وهو يصلح للواحد والجماعة والذكور والاناث قال كبيرهم في العقل والعلم
لا في السن وهو يهوذا وقيل هو شمعون وكان له الرياسة على اخوته

الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا اي عهدا من الله ولم تحفظوا
عهد ابيكم والم تعلموا من قبل اي من قبل هذه الحالة ما فرطتم اي
توريطكم اي تقصيركم في يوسف اي في شانه من الخيانة العظيمة فلن
ابرح الارض اي فلن افارق ارض مصر التي وقعت النايبة له فيها حتى
ياذن لي ابي بالخروج منها ويدعوني او يحكم الله لي بالخروج من مصر او
ترك اخي او بخلاص اخي من يد الملك بسبب من الاسباب او يحكم الله
لي بالسيف فاقاتلهم واسترد اخي وهو خير الحاكمين اي اعدل العادلين
واقضى القاضين في الحكم قيل في القصة انهم غضبوا غضبا شديدا
لهذه الحالة فقال منهم روبيل وكان اذا غضب لم يقم لغضبه شيء واذا
صاح صيحة القت كل امراة حامل سمعت صوته ولدها وكان اذا مسه
احد من اولاد يعقوب سكن غضبه كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة
فقال اكفوني انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك او عكس ذلك فدخلوا على يوسف
فقال روبيل لتردن علينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر امراة حامل
الا القت ولدها فقال يوسف لابن له صغير بعد رؤية غضبه وقيام كل
شعرة في جسده خرجت من ثيابه قم الي جنب روبيل فمسه فقام وذهب
الي جنبه وهو لا يعلم فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان ههنا البذر
من بذر يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب ثانيا فقام يوسف
اليه فركضه برجله واخذ بتلابيبه فاوقعه على الارض فقال يوسف
انتم معشر العبرانيين تحسبون ان لا احد اشد منكم قوة ولما صار امرهم
الي هذا خضعوا وذلوا فقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا رايناك
خير الحاكمين ثم قال يهوذا لاخوته ارجعوا الي ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
بنيامين سرق وما شهدنا اي ما قلنا لك الا بما علمنا وليست هذه
شهادة قطعية منا على سرقته انما هو خبر عن صنيع ابنك لانا راينا الصواع
قد اخرج من رحله وحسبك بهذا شاهدا وما كنا للغيب اي لما غاب من
اموره في ليله ونهاره حافظين اي ما علمنا انه سرق بالصحة ام دس
الصواع بالليل في رحله ولم نشعره يعني لم نطلع على انه سرق ولكنهم سرقوه
واسأل القرية التي كنا فيها اي اهلها وهي قرية من قرى مصر كانوا ارتحلوا
منها الي مصر والعير التي اقبلنا فيها اي القافلة التي كنا فيها وصحبناهم
وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وانا لصادقون في قولنا قيل كيف

استجاب يوسف ان يعمل هذا العمل بابيه واخوته مع وفور علمه وفيه معنى العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة اجيب بانه عمل ذلك بالوحي ليزيد في بلاء يعقوب وتضاعف له الاجر ويلحقه في الدرجة بابائه الماضين فرجعوا الى ابيهم يعقوب بذلك المقول فاتهمهم يعقوب قال يعقوب لبنيه بل سولت اي سهلت وزينت لكم انفسكم امرا وهو حمل اخيكم الى مصر لطلب نفع عاجل فصبر جميل اي فعلي صبر حسن من غير جزع لا شكوى فيه الى احد عسى الله اي لعله ان ياتيني بهم جميعا اي بيوسف وبنيامين واخاهم المقيم بمصر لاجلهم انه هو العليم بحزني ووجدي على فقدهم الحكيم في ابتلائي لحكمة ومصلحة وتدبير ذهم علي وتولى اي اعرض عنهم اي عن بنيه كراهة خبرهم وقال يا اسفى اي يا حزنا على يوسف والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء الاضافة لتطويل الصوت بالتاسف وانما تاسف على يوسف دون غيره من اخيه والثالث لان كل نائبة حلت له بعد يوسف كانت دون نائبة غيره وابيضت عيناه من الحزن اي من البكاء الذي بسببه الحزن لان البكاء يمحق سواد العين ويقلبه الى البياض قيل عمي بصره وقيل يبصر يسيرا فهو كظيم اي مكظوم من الكظم وهو شد السقاء على ملئه والمراد انه المملوء من الحزن الممسك عليه يعني كان يعقوب مملوا من الغيظ على اولاده ومع ذلك لا يظهر لهم ما يسوءهم قال قتادة يرد حزنه في جوفه ولم يقل الا خيرا قالوا اي بنوه تالله تفتؤا اي لا تزال والاصل لا تفتؤ حذفت منه لا مع ارادة النفي لانه لو كان اثباتا للزم اللام او النون او كلاهما للقسم تذكر يوسف وهو منصوب المحل على انه خبر لا تفتؤ لكونه من الافعال الناقصة المعنى انك لا تزال تذكره من شدة حبه حتى تكون حرضا اي قريبا من الموت او فاسد العقل والجسم ذايبا من الهم والحزن والحرض مصدر وضع موضع الاسم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث او تكون من الهالكين اي الميتين قيل مكث يعقوب ثمانين سنة لم تجف دموعه من فراق يوسف ولم يخل الحزن عن قلبه يوما وما ساءظنه بالله ساعة وانما جازت لنبي الله تلك المبالغة في الجزع لان الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند شدة الحزن لا بالقصد والاختيار قال يعقوب عند ذلك لما راى غلظتهم انما اشكو بثي اي همي الذي لا يصبر عنه فيفشى الى احد وحزني اي همي اليسير الى الله لا الى غيره يعني لا اشكوهما اليكم واعلم من الله ما لا تعلمون وهو ان يوسف

حي

الموت

حي وليس بميت قيل انما علم ذلك من تحقيق رؤيا يوسف وقيل سال ملك الموت هل قبضت روح قرة عيني يوسف قال لا انه في الدنيا حي فسكن قلب يعقوب فطمع في رؤيته ثم قال يعقوب يا بني اذهبوا الى مصر فتحسسوا من يوسف من التحسس وهو طلب الشيء بالحاسة والتجسس بالجيم في معناه وقيل انه بالحاء يستعمل في الخير وبالجيم في الشر اي اطلبوا الخبر منه ومن اخيه بنيامين قالوا اما بنيامين فلا نترك الجهد في شانه واما يوسف فانه ميت ونحن لا نطلب الاموات فقال لهم يعقوب ولا تيأسوا اي لا تقنطوا من روح الله من رحمته انه لا ييأس اي لا يقنط من روح الله الا القوم الكافرون بنعمته قيل ان سبب ابتلاء يعقوب بفراق يوسف انه ذبح عجلا بين يدي امه وهي تخور من ذبحه وقيل طبخه فقام مسكين ببابه فلم يطعمه وروي ان الله اوحى الى يعقوب اتدري لما عاقبتك وحبست عنك يوسف اربعين او ثمانين قال لا يا الهي قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك واكلت ولم تطعمه قوله فلما دخلوا عليه فيه اضمار تقديره امتثلوا امر ابيهم من تحسس يوسف واخيه فخرجوا راجعين الى مصر حتى وصلوا اليها فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز وهو لغة مصر للملك مسنا اي اصابنا واهلنا الضر اي الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة اي قليلة ردية كاسدة لا تؤخذ في الطعام وتؤخذ في غيره قالوا ذلك لان الطعام كان عزيزا في ذلك اليوم فلا يؤخذ الا الجيد قيل هو متاع الاعراب من الصوف والاقط وقيل الادم والنعال وقيل دراهم زيوف فاوف اي اتم لنا الكيل كما كنت تعطينا بالثمن الجيد من قبل وتصدق اي لا تنقص مما قلنا او تفضل بنا بالصدقة ايضا وكانت حلالا للانبياء في شرع بعضهم وقيل تصدق علينا برد اخينا بنيامين وهو قاعد عنده ان الله يجزي اي يثيب المتصدقين ولم يقولوا يجزيك لانهم ما علموا انه مؤمن قال يوسف هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حين فرقتم بينهما وهو اخوه لابيه وامه والقيتم يوسف في البير ليموت ثم بعتموه وكنتم تؤذون اخيه بعد فقد يوسف بانواع الاذى وهو لا يقدر ان يتكلم احد منكم الا كلام الذليل العزيز اذ انتم جاهلون اي مذنبون عاصون او جاهلون بجهل الشباب او جاهلون فيما يؤول اليه امر يوسف وروي انه اخرج كتابا فيه بيع يوسف ودفع اليهم ونظر فيه يهوذا فعرف خطه وقال نحن بعنا هذا الغلام وكان ملكنا اذ كنا نرعى الغنم فقال يوسف ظلمتم انكم بعتم الحر انا اعلم به فدعا السيافين وامرهم بان يقتلوهم جميعا

والقيتم

هلون

فاستغاثوا كلهم وقالوا ان لم ترحمنا فارحم الشيخ الضعيف فانه قد جزع على
ولد واحد فكيف وقد يهلك اولاده كلهم فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون ووصفهم ما فعلوا بهما وانما قال هذا الكلام لهم لانه لما سمع قولهم
مسنا واهلنا الضر الاية رق قلبه لهم ثم اشار تعالى الى تعريف نفسه وتعظيم
صنيعهم بالجهالة وتوبتهم وعفوه فلذلك قالوا أإنك لانت يوسف على التوهم
اذهم عرفوه بشمائله حين كلمهم بذلك وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه و
كانت كاللؤلؤ المنظوم قرأ انك بهمزة مكسورة على الخبر وبتحقيق الهمزتين و
بتسهيل الهمزة الثانية مع فصل الف بينهما قال انا يوسف وهذا اخي بنيامين
وذكر اخوه لبيان ما سئلوه عنه قد من الله اي انعم علينا بان جمع بيننا بالصبر
انه من يتق الله باداء الفرايض واجتناب المعاصي ويصبر عما حرم الله عليه
من الزنا والقتل وغيرهما او على العزوبة وعلى الشدة والحبس فان الله
لا يضيع اجر المحسنين اي الموصوفين بهذه الصفات ووضع المظهر موضع المضمر
تنبيها على قدرهم عند الله قالوا اي اخوة يوسف له معتذرين تالله لقد آثرك
الله اي اختارك وفضلك علينا وان كنا لخاطئين اي وما كنا في صنيعنا بك
الا مذنبين مجرمين يقال فلان خطاء اذا تعمد الذنب واخطاء اذا لم يتعمد ولما اعترفوا
بذنوبهم قال يوسف وكان حليما لا تثريب اي لا لوم ولا تعيير عليكم اليوم
اي لا اذكر لكم ذنبكم بعد اليوم للتثريب فاليوم ظرف لعليكم او تثريب ثم دعا لهم بمغفرة
ما فرط منهم بقوله يغفر الله لكم فيما فعلتم من القبيح وهو ارحم الراحمين من غيره تعالى
يرحم ويتجاوز عن ذنب من تاب اليه واطاع امره فلما عرف نفسه لهم سألهم
عن ابيه قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه
على وجه ابي يأت بصيرا اي يعد مبصرا كما كان اول خلقه او يأت الي بصيرا
صحيحا قيل هو قميص ابراهيم الذي البسه جبرائيل حين القي في النار فبردت عليه
النار وكان ثياب الجنة فصار الى يعقوب بالتوارث فجعله يعقوب في عوذه
وعلقه في عنقه وكان معه حين القي في البير فنشره جبرائيل والبسه في الجب
بعد نزع اخوته قميصه عنه وكان القميص معه الى ذلك الزمان فارسله الى ابيه
ليبرأ من العمى لان فيه ريح الجنة لا يقع على المبتلي ولا على سقيم الا عوفي ثم قال يوسف
لاخوته واتوني باهلكم اجمعين فاختلفوا فيما بينهم فقال كل واحد انا اذهب به
فقال يوسف ليذهب به الذي بقميص الاول فقال يهوذا انا ذهبت بالقميص الاول
واحزنته به فانا افرحه بهذا القميص بان اخبره انه حي صحيح سلم عليكم وام

ذهب هم

لهم

لهم بالهدايا والدواب والرواحل فتوجهوا الى كنعان فلما فصلت العير اي
بكنعان خرجت القافلة من عمران مصر قال ابوهم لولده وولد ولده اني لاجد ريح يوسف لولا
ان تفندون اي تسفهوني وتجهلوني لصدقتموني يقال فنده فلان اذا نسبه
الى الهرم وزوال العقل من الكبر قيل هي ريح القميص من مسيرة ثلثة ايام وقيل
كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل استاذنت الصبا ربها ان تأتي يعقوب بريح يوسف
قبل ان يأتيه البشير قالوا اولاد اولاده تالله انك لفي ضلالك القديم
اي لفي خطائك كما كنت في القديم من ذكر يوسف لا تنساه بمحبتك وتعتقد انه حي
تلقاه حديثا فلما ان جاء البشير اي المبشر عن يوسف وهو يهوذا قال ابن
عباس حمل القميص يهوذا وخرج حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة ارغفة لم
يستوف اكلها حتى اتى اباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا القاه اي طرح البشير
او يعقوب وضع القميص على وجهه فارتد اي رجع بصيرا بعد ما كان اعمى و
عادت قوته بعد ضعفه وشبابه بعد هرمه وسروره بعد حزنه قال يعقوب
لاولاد اولاده الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف ولا تيأسوا من روح
الله فالمفعول محذوف وما بعده كلام مستأنف او المفعول قوله اني اعلم من الله ما لا
تعلمون من حيوة يوسف ان الله يجمع بيننا وروي انه قال للبشير كيف يوسف
قال انه ملك مصر فقال يعقوب ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام
قال الآن تمت النعمة قالوا اولاد يعقوب يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا
خاطئين اي مذنبين قال لهم يعقوب سوف استغفر لكم ربي قال اكثر اهل التفسير
هو اخر الدعاء لهم الى السحر ليعتمد به وقت الاجابة وهو الوقت الذي يقول الله تعالى
هل من داع فاستجيب له وقيل هو ليلة الجمعة وقت السحر موافق ليلة عاشوراء
وقيل معناه سوف استغفر لكم ربي بعد ان سأل يوسف ان يعفو عنكم انه هو الغفور
الرحيم لمن تاب واطاع وروي ان يعقوب لما انتهى الى الموعد قام الى الصلوة بالسحر فلما فرغ
منها رفع يديه الى الله تعالى ثم قال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر
لولدي ما اتوا الى اخيهم يوسف فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم اجمعين وقيل كان
يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة واخوته خلفه يؤمنون ان لة
خاشعة حتى بلغ جهدهم ظنوا انهم الهلكة اذ نزل جبرئيل عليه فقال ان الله اجاب دعوتك
وتاب على ولدك وعقد مواثيقهم على النبوة بعدك وروي ان يوسف كان بعث
مع البشير الى يعقوب مائتي راحلة وجهازا كثيرا ليأتوا بيعقوب واهله وولده فاستعد
يعقوب للخروج الى مصر فخرجوا وهم اثنان وسبعون من بين رجل وامرأة وكانوا لما خرجوا

من مصر مع موسى هاربين من فرعون ستمائة الف وسبعين سوى الذرية والهرمى
فلما دنوا من مصر خرج يوسف والملك الاكبر باربعة الاف من الجند وعظماء المصريين
فيلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي متكئا على يهوذا فنظر الى الناس والخيل
فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من
الآخر ذهب يوسف يبدء بالسلام فقال جبرئيل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام
فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان وروي ان يوسف نزل في قبة ضربت
في الصحراء من قباب الملوك التي تحمل على البغال فاراد ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه
في القبة وتعانقا فيها وبكيا وقربهما منه وقال يا ابت بكيت حتى ذهب بصرك
الم تعلم ان القيمة يجمعنا قال بلى يا بني ولكني خشيت ان يسلب دينك فيحال
بيني وبينك فلذلك بكيت فلما دخلوا على يوسف اي في القبة المضروبة
آوى اليه ابويه اي ضمهما الى نفسه بالاعتناق والتقريب منه قيل اراد
بابويه يعقوب وخالته ليا وكانت امه ماتت في نفاس بنيامين وهو الاكثر
وقيل هو وامه كانت حية وهو الاظهر وقيل ان الله احيى امه حتى جاءت مع يعقوب
الى مصر وقال يوسف بعدما قاموا من القبة فجاؤا الى قريب من مصر ادخلوا
مصر ان شاء الله آمنين على تقدير ان شاء الله دخلتم آمنين فحذف الجزاء
لدلالة الكلام عليه وآمنين حال من ضمير ادخلوا والجملة الاستثنائية
اعتراض بينهما والمعنى ادخلوها آمنين سالمين من الخوف لانها ارض الجبابرة
او من الجوع اي من الجواز لانهم كانوا لا يدخلون مصر قبلهم الا بجواز من ملوكهم
وقيل ان يعني اذ يريد اذ شاء الله فعلى هذا لا يكون استثناء ورفع ابويه
على العرش اي على السرير اجلس اباه عن يمينه وامه عن شماله والرفع هو
النقل الى العلو وخروا اي سقطوا له اي لاجل يوسف على الارض سجدا نصبه
حال مقدرة من ضمير خروا لان السجود بعد الخرور ويكون يعني سجد له اخوته وابوه
وامه او خالته بوضع الجباه على الارض على طريق التحية والتعظيم لا على طريق
العبادة وكان ذلك جايزا في الامم السالفة فنسخت في هذه الشريعة وقيل
الانحناء والتواضع البليغ وقيل سجدوا على وجوههم شكرا لله تعالى لاجل اجتماعهم
بيوسف فاتفق انه كان في ناحية القبلة ويرد هذا القول لفظة له لدلالته على القصد
ليوسف وقال يوسف عند ذلك يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قيل قد
كان يوسف حين رآها ابن سبع سنين فظهر تأويلها على رأس اربعين سنة
وقيل ثمانون سنة واليه ينتهي الرؤيا قد جعلها اي رؤياي ربي حقا

صدقا او كاينا لا شك فيه وهو مصدر او صفة مصدر اي جعلها حقا
وقد احسن بي اي انعم علي صنعه اذ اخرجني من السجن ولم يقل من الجب
مع كونه اشد من السجن استعمالا للكرم كيلا تخجل اخوته بعد ما قال لا تثريب
عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن اعظم لانه بعد الجب
صار رقيقا وبعد السجن صار ملكا ولان وقوعه في الجب كان لحسد اخوته
وفي السجن كان مكافاة من الله لزلة صدرت منه وجاء بكم من البدو
اي البادية لانهم كانوا اصحاب ماشية والبدو في الاصل بسيط الارض
يسكنه اهل العمد والمواشي من بعد ان نزغ الشيطان اي افسد بالحسد
والقى العداوة بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف في فعاله لما يشاء اي
لمن يشاء او لطيف في فعله بالحكمة ان شاء فرق وان شاء جمع انه هو
العليم باعمال خلقه الحكيم في امره حيث فرق بيني وبين ابي واخوتي ثم رد
علي ابي وجمع بيني وبين اخوتي سالمين معافين من ارض كنعان الى ارض مصر
قيل اقام يعقوب بمصر عند يوسف اربعا وعشرين سنة في اهناء عيش واحسن
حال ثم مات بمصر وقد اوصى الى ابنه يوسف ان يحمله ويدفنه عند ابيه اسحق
ففعل يوسف ذلك ومضى به حتى دفنه بالشام ثم انصرف الى مصر فلما جمع الله
ليوسف شمله علم ان نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى الموت بحسن العاقبة
فقال رب اي يا خالقي ومنعمي قد آتيتني اي اعطيتني من الملك اي بعض الملك وهو ملك
مصر وعلمتني من تأويل الاحاديث اي بعضه ومن للبيان اي تعبير الرؤيا
فاطر السموات والارض نصب بحرف النداء المحذوف اي خالقهما لا شريك
لك في خلقهما او نصب على الوصف لرب انت وليي اي معيني ومتولي اموري
في الدنيا والآخرة توفني مسلما اي اقبضني اليك مخلصا بتوحيدك والحقني
بالصالحين بآبائي المرسلين قيل ما تمنى الموت نبي قبله ولا بعده الا هو لانه لما تم
امره في ملكه الزايل ووصال ابيه واهله اشتاق الى ربه وطلب الملك الدايم الذي
لا يزول ولما قال هذا القول لم يمض عليه اسبوع حتى توفي فيه وروي انه عاش بعد
لقاء ابيه يعقوب ستين سنة وقيل ثلاثا وعشرين سنة وتوفي وهو مائة وعشر سنين
هكذا في التورية ودفنوه وسط النيل في صندوق من رخام لان المصريين من
جانبي النيل تشاجروا في مدفنه حتى كادوا ان يقتتلوا ثم تصالحوا على ان يدفن سنة
في جانب مصر وان يدفن سنة في جانب آخر من البدويين فدفن في الجانب المصري
واخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الآخر للبدويين ثم نقل الى الجانب البدويين

واجدب الجانبه

فاخصب ذلك الجانب الآخر المصري ثم اتفقوا على دفنه في وسط النيل وقيد ذلك بسلسلة فاخصب الجانبان وبقي فيه الى ان جاء موسى عم واخرجه فدفنه بقرب آبائه بالشام ثم قال تعالى **ذلك** اي نبأ يوسف واخوته **من انباء الغيب** اي من اخبار ما غاب عنك علمه يا محمد **نوحيه اليك** بجبريل لانك لم تحضر ولا قرأته من كتاب وقد اخبرت به كما جرى في الواقع **وما كنت** يا محمد **لديهم** اي عند اولاد يعقوب **اذ اجمعوا امرهم** اي حين عزموا بالاتفاق على القاء يوسف في الجب **وهم يمكرون** اي يحتالون ويبغون الغوائل ليوسف **وما اكثر الناس** اي لا يكون اكثر اهل مكة وعام لقريش وغيرهم يا محمد **ولو حرصت** على ايمانهم **بمؤمنين** بك روي ان قريشا واليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم على ما وافق التوراة لم يؤمنوا فاغتم النبي عم بذلك فقال تعالى انهم لا يؤمنوا ولو كنت حريصا على ان يؤمنوا بالمبالغة في طلب الايمان منهم لتصميمهم على الكفر او لتقدير الكفر عليهم في علمي السابق **وما تسئلهم عليه** اي على الايمان والارشاد او على تبليغ الرسالة اليهم **من اجر** اي جعل **ان هو** اي ما هذا القرآن المرشد **الا ذكر للعالمين** اي عظة وتذكير للجن والانس **وكاين من آية** اي وكم من علامة للتوحيد **في السموات والارض** من الشمس والقمر والنجوم ومن الجبال والبحار والاشجار والاناسي والدواب وغير ذلك من الاشياء الدالة على الوحدانية والخالقية في اسفارهم حال كونهم **يمرون عليها** ويشاهدونها **وهم عنها معرضون** لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون ونزل فيمن يخلط الايمان بالشرك **وما يؤمن اكثرهم** في اقراره **بالله** وبانه خلقه وخلق السموات والارض **الا وهم مشركون** به وهم اهل الكتاب لانهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل القطر قالوا الله ومع ذلك يقولون في التلبية اللهم لبيك لا شريك لك لبيك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ثم قال تعالى **أفأمنوا** اي كفار اهل مكة فامنوا من **ان تأتيهم غاشية من عذاب الله** اي عذاب من الله يغشاهم في الدنيا **او تأتيهم الساعة بغتة** اي بغاتة نصب على الحال **وهم لا يشعرون** اتيانها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في اسواقهم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم تنبيها لهم على دين الحق ونفي الشرك **قل هذه سبيلي** اي هذه الدعوة التي ادعو اليها يعني الدعوة الى الايمان والشرائع طريقتي وسنتي **ادعو** الناس بها **الى الله**

اي

اي الى دينه **على بصيرة** اي مع يقين وحجة واضحة وهو نصب على الحال وعاملها ادعوا **انا** تأكيد للضمير في ادعو **ومن اتبعني** باثبات الياء فيه اجماعا عطف على ذلك الضمير للفصل يعني ادعو الخلق الى الله ويدعوهم اليه من آمن بي على بصيرة اي معرفة يتميز بها بين الحق والباطل ويجوز ان يكون فاعلا لقوله على بصيرة ومن عطفا عليه وقيل تم الكلام عند قوله ادعوا الى الله ثم استأنف على بصيرة انا ومن اتبعني على نية التأخير اي انا ومن آمن بي على بصيرة من الايمان قيل هم اصحاب رسول الله لانهم كانوا على احسن طريقة وافضل هداية وكانوا معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن قاله ابن عباس **وقل سبحان الله** تنزيها له عما اشركوا **وما انا من المشركين** فكذا من اتبعني ليس من المشركين وقال كفار مكة الرسول ينبغي ان يكون من الملائكة لا من البشر فنزل **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا** من البشر لم يكن من الملائكة **نوحي اليهم** بالنون معلوما والياء مجهولا **من اهل القرى** اي من اهل الامصار لانهم اعقل واحلم وقيل لم يبعث الله نبيا من اهل البادية لغلظهم وغلبة الجفاء والقسوة فيهم ولا من الجن لقوتهم وميلهم الى الفساد ولا من النساء لغلبة جهلها ونقصان عقلها **أفلم يسيروا** اي اكذب هؤلاء المكذبون افلم يسافروا **في الارض فينظروا** اي فيعتبروا **كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** اي آخر امرهم من الامم المكذبة للانبياء فيتعظوا فيؤمنوا **ولدار الآخرة** اي الجنة **خير للذين اتقوا** اي الشرك فآمنوا **أفلا يعقلون** بالياء والتاء ان الآخرة خير من الدنيا للمتقين دون العاصين قوله **حتى** متعلقة بمحذوف دل عليه سياق الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم واستبطئ حتى **اذا استيأس** اي آيس **الرسل** من ايمان قومهم او طلبوا علم فلاح قومهم **وظنوا** اي وخطر في بالهم **انهم قد كذبوا** بالتخفيف والتشديد اي يقنوا في انفسهم انهم كذبهم قومهم بحيث لا يرجى بعده ايمانهم **جاءهم نصرنا** اي جاء الرسل عوننا فجاءة من غير احتساب **فنجي** بنون واحدة مشددة مجهولا فعل ماض من التنجية فالقائم مقام الفاعل **من نشاء** من المؤمنين وبنونين مخففا معلوما مستقبلا من الانجاء اخبر الله تعالى عن نفسه نحن نشاء منصوب بانه مفعول له اي فيخلص من نشاء من عذاب الكفار هم المؤمنون بدليل قوله **ولا يرد باسنا** اي عذابنا **عن القوم المجرمين** اي المشركين **لقد كان في قصصهم** اي في قصة يوسف واخوته او في قصة الرسل **عبرة لاولي الالباب** اي لذوي العقول لكي لا يحسد احد احدا ولمن يعتبر بيوسف ويقتدي به ولا يكافي احد بسيئة وقيل العبرة الدالة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لمن اراد ان يؤمن به **ما كان** هذا القرآن **حديثا** اي كلاما **يفترى به**

يختلق من احد ولكن كان القرآن وذكر فيه تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء اي كان القرآن بيان كل شيء يحتاج اليه العباد من الحلال والحرام والامر والنهي وهدي اي وارشادا من الضلالة ورحمة اي امانا من العذاب لقوم يؤمنون اي يصدقون به ويعملون بما فيه

سورة الرعد مكية سوي ايتين وهما قوله ولا يزال الذين كفروا الآية وقوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا الآية بسم الله الرحمن الرحيم

المر قال ابن عباس معناه انا الله اعلم واري ما تحت العرش الي الثري او اعلم واري ما يقول الخلق وما يعملون او قسم اقسم الله به وجوابه تلك اي الاخبار المقصوصة عليك آيات الكتاب اي التورية والانجيل والكتب المتقدمة النزول علي الانبياء قبلك ثم استانف بالواو والذي انزل اليك اي هذا القرآن المنزل عليك من ربك اي من الله هو الحق لا الباطل فاعتصم به فمحل الذي رفع مبتداء والحق خبره ولكن اكثر الناس من كفار مكة لا يؤمنون اي لا يصدقون انه من الله قيل نزلت السورة حين قال مشركوا مكة ان ما يقوله محمد من القرآن من تلقاء نفسه لا من عند الله فرد قولهم به ثم بين دلايل دالة علي ربوبيته وتوحيده فقال الله الذي رفع السموات مبتداء وخبره الله رفعها بغير عمد ترونها بفتحتين جمع عمود او عماد علي سبيل الشذوذ اذ القياس بضمتين ومحل ترونها جر صفة لعمد فالمعني ان لها عمدا ولكن لا ترونها وقيل الضمير في ترونها راجع الي السموات ومحلها نصب علي الحال فالمعني نفي العمد اصلا يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها والقايل بالعمد يزعم انها جبل قاف وهو محيط بالدنيا والسماء عليها مثل القبة علي الارض ثم استوي علي العرش اي انه تعالي علا عليه من غير جهة وسخر الشمس والقمر لمنافع خلقه ليلا ونهارا كل يجري لاجل مسمي اي هما مقهوران جريان علي ما يريد الله الي وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا يدبر الامر خبر بعد خبر لمبتداء الاول اي انه يقضي امر خلقه وحده وكذا يفصل الآيات اي يبين البراهين الدالة علي وحدانيته بتنزيل القرآن علي الرسل لعلكم بلقاء ربكم توقنون اي لكي تصدقوا بوعده الذي هو البعث وهو الذي مد الارض عطف علي الجملة الاسمية قبله اي الله بسطها من تحت الكعبة علي الماء وجعل فيها رواسي جمع راسية من رسا الشيء اذا ثبت اي وخلق فيها جبالا ثوابت لارساء الارض بها لان الارض كانت تتكفأ باهلها كما تتكفأ السفينة بمن فيها قال ابن عباس اول جبل وضع علي وجه الارض ابي قبيس

وانهار

وانهارا اي وخلق فيها مياها جارية لمعاشكم ومن كل الثمرات جعل فيها اي وخلق فيها حين بسطها اجناس الفواكه زوجين اثنين اي زوجين زوجين من جميع الانواع ثم زادت وتكثرت او جعل من كل نوع منها خلقا حلوا وحامضا او المراد السواد والبياض او الصغير والكبير يغشي الليل النهار بالتخفيف والتشديد اي يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل بضوء النهار وهذا من قبيل الاكتفاء لدلالة الكلام علي احدهما ان في ذلك اي فيما ذكر من صنعه تعالي لآيات اي براهين لقوم يتفكرون فيستدلون بها علي التوحيد والتفكر تصرف القلب في معنا الاشياء لدرك المطلوب وفي الارض قطع متجاورات اي بقاع مختلفة متقاربات يعني يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة كالقطعة الطيبة تنبت في جنبها قطعة سبخة لا تنبت وكقليلة الريع في جنبها كثيرة الريع وجنات بالرفع عطف علي قطع اي وفي الارض بساتين كثيرة من اعناب متنوعة وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان برفع كلها عطف علي الجنات وبجرها عطف علي الاعناب فصنوان صفة لنخيل جمع صنو وهي النخلات يجمعها اصل واحد وغير صنوان هي النخلة المتفرقة باصلها ونظيرها قنوان جمع قنو ولا فرق بينهما في التثنية والجمع الا في الاعراب لان النون في التثنية مكسورة بعد الالف بلا تنوين وفي الجمع منونة مطلقا يسقي بماء واحد بالياء اي يسقي ما ذكر كله بماء واحد وبالتاء اي تسقي الجنات عامتها وهو الا وجه لقوله ونفضل بعضها علي بعض في الاكل في الريع حيث لم يقل بعضه وقيل الاكل بضم الكاف وسكونها الرزق وكل ما يؤكل والاكلة بضم الهمزة اللقمة وبالكسر الحالة التي يؤكل عليها وبالفتح المرة المعني ان الماء واحد والتراب واحد والثمار مختلفة في طعمها ولونها وريحها وشكلها فدل ذلك علي وحدانية الله علي من ضل عنها واشرك لانه لو كان المختلفة بالماء والتراب لكان في اقتضاء العقل عدم التفاوت في اللون والطعم والريح والشكل وعدم التفاضل في الجنس الواحد اذا نبت في جنة واحدة ويسقي بماء لكنه يختلف ويتفاضل بصنع الاله اللطيف الخبير ان في ذلك اي في الذي ذكر لآيات اي لدلالات وعبرات لقوم يعقلون ان ذلك كله من الله فيؤمنون قيل هذا مثل آدم اصلهم من اب واحد منهم صالح عاقل ومنهم خبيث غافل وقيل مثل القلوب الطيبة والسبخة كلاهما من قلب واحد اي من قلب آدم ثم فينزل من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع وتقسو قلوب فتلهو قال الحسن البصري

والله ما جالس القرآن احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان وان تعجب
يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم اي فقولهم حقيق بان يتعجب منه مع
اقرارهم بالابتداء الخلق من الله عز وجل وقد تقرر في الاذهان ان الاعادة
اهون من الابتداء وهو ءاذا كنا ترابا ءانا لفي خلق جديد اي اذا صرنا ترابا
بعد الموت نعاد خلقا جديدا كما كنا قبل الموت وقيل معناه وان تعجب من
تكذيب المشركين القرآن ومن عبادتهم الاصنام الجامدة فاعجب من قولهم
هذا ايضا فقوله اذا ظرف عامله محذوف وهو انبعث يدل عليه انا لفي
خلق جديد ومحل الجملة الاستفهامية نصب مقول قولهم او رفع بدل منه
قرئ بهمزة واحدة مع المد للاستفهام في ءاذا وءانا وبهمزتين مخففتين في
ءاذا وهمزة واحدة في انا وبهمزتين محققتين فيهما وبتسهيل الهمزة الثانية
فيهما وبهمزة واحدة في اذا والهمزة والمد في ءانا لان الشك في الثاني دون
الاول اولئك اي منكروا البعث الذين كفروا اي هم الكاملون في كفرهم
بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم اي يغل ايديهم على رقابهم يوم القيمة
حين خرجوا من قبورهم وحين دخلوا في النار او هم الذين منعوا عن الرشد
بالاغلال في قلوبهم فلذلك اخروا الكفر واولئك اصحاب النار اي ملازمون
هم فيها خالدون اي لا ينفكون عنها ولا يموتون قوله ويستعجلونك
بالسيئة قبل الحسنة نزل حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يأتيهم العذاب استهزاء منهم بذلك والاستعجال طلب تعجيل الامر قبل
مجيء وقته والسيئة هنا العقوبة والحسنة العافية اي يطلب كفار مكة العقوبة
قبل وقتها بدل العافية وهو قولهم ان كان هو الحق من عندك الآية وقد خلت
من قبلهم اي والحال انه قد مضت قبل قريش المثلات اي عقوبات امثالهم
من الامم التي عصت ربها وكذبت رسلها فما لهم لا يعتبرون بهم وهي جمع مثلة
بفتح الميم وضم الثاء مثل صدقة وصدقات وهي العقوبة المماثلة لجناية المعاقب عليه
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ان تابوا
او بتاخير العذاب عنهم فالمراد من المغفرة الامهال والستر ومحله نصب
على الحال يعني ظالمين انفسهم بالشرك والمعاصي وان ربك لشديد العقاب
لمن مات منهم على ظلمه ولم يتب قبل موته ثم قال تعالى ويقول الذين
كفروا لولا اي هلا انزل عليه اي على محمد آية من ربه اي حجة واضحة
تدل على نبوته فلم يعتبروا بالآيات المنزلة على النبي ع م عنادا فطلبوا

مثل ايات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى ليؤمنوا به
فقال تعالى لنبيه انما انت منذر اي مخوف لهذه الامة بتبليغ الرسالة
ولكل قوم هاد اي لكل امة نبي يرشدهم الى الله ودينه وانت مثلهم في
الدعوة والنصح وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك وهو حاصل بكل
آية تاتيك اذ الايات كلها سواء في ذلك ولكل قوم الله هاد يهديهم
ان شاء وانت منذر وهاد لكل قوم انما انت منذر اي مخوف لهذه الامة
بتبليغ الرسالة يا محمد بالدعوة الى الحق ثم اومى الى ان الهداية والضلالة
من الله لانه خالق بعلمه لا يعلم اهلهما الا هو بقوله والله اي الهادي هو الله
تفسير الهادي استانف فقال يعلم ما تحمل كل انثى من ذكر وانثى وتام الخلق
وناقصه وواحد او اثنين او اكثر وما تغيض الارحام اي وما تنقص من تسعة
اشهر في الحمل من غاض الماء اذا نقص وما تزداد على التسعة الاشهر في
الحمل فنقصان الارحام وضعها الاقل من تسعة وزيادتها وضعها الاكثر من
تسعة اشهر الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس
عند مالك وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق واقل مدة الحمل
ستة اشهر فقد يولد الولد بهذه المدة ويعيش قال احمد بن سلمة سمي هرم
بن حيان هرما لانه بقي في بطن امه اربع سنين وقيل النقصان ضعف الولد
بحيض امه حاملا والزيادة خلافه وقيل قلة الحمل وكثرته فقد تحمل المرأة باربعة
في بطن واحد ويعيشون روي ان شريك بن عبد الله من فقهاء المدينة كان
رابع اربعة في بطن امه وقيل قلة الحيض وكثرته وكل شيء عنده بمقدار اي كل
شيء في علمه مقدر معين بحد لا يتجاوزه ولا يقصر عنه قوله عالم الغيب والشهادة
بيان لذلك اي هو يعلم ما غاب عن خلقه ويعلم ما شاهدوه الكبير الى العظيم
الذي كل شيء دونه المتعالي بالياء وتركها اي المستعلي على كل شيء بعلمه وقدرته و
يجوز ان يكون عالم مبتدأ خبره الكبير ثم بين علمه بقوله سواء منكم من اسر
القول ومن جهر به اي يستوي عند الله من اخفى القول منكم ومن اظهره ومن
هو مستخف بالليل اي مستتر بظلمة الليل وسارب بالنهار عطف على من
هو مستخف لا على مستخف ليلا لانه يلزم كون الوصفين لواحد عطف وعليه على تاويل
من في معنى الاثنين اي ومن هو ذاهب في سربه اي في طريقه ومنصرف في
حوائجه نصف النهار والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق اسار بن كاتب
الجهر والاسرار في علمه تعالى سواء فهو الفارق بين علمه تعالى وبين علم غيره والضمير في

له لمن اي للمسر بالقرآن والجاهر به والمستخفي بالليل والسارب بالنهار معقبات
اي حفظة من الملائكة يعقب بعضها في الليل والنهار يعني اذا مضى فريق يخلفه بعده
فريق آخر جمع معقبة والتاء فيه للمبالغة كعلامة او الضمير في له لله اي لله ملائكة
يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل جاء في عقبها ملائكة النهار
وبالعكس والظاهر الاول يعني له من الله ملائكة يتعاقبون فيه من بين يديه
ومن خلفه اي من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار ومن وراء ظهره يحفظونه
من امر الله اي بامره واذنه من الذنب او من نقمته اذا اذنب فيستمهلون الله له رجاء
ان يتوب ثم من يعني الباء او من باسه ونوازله المقدرة له عند الموت وفي القبر وفي
البعث او من شر الجن والانس ما لم يجئ القدر خلوا عنه قال كعب الاحبار لولا ان الله
وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفكم الجن او من بمعنى
الاجل اي لاجل ما امرهم به في حفظه او من بمعنى على اي يحفظونه على ما امرهم الله تعالى
حفظه فحينئذ يكون هذه الآية في الملكين القاعدين من اليمين والشمال يكتبان
الحسنات والسيئات ومعنى يحفظونه انهم يحفظون عليه من امر الله يعني الحسنات
والسيئات وقيل الهاء في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمحمد حراس من الرحمن
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله يعني شر الجن وطوارق الليل والنهار
قال ابن عباس نزل حين اراد الكفار كعامر الطفيل واربد بن الربيعة القتل بالنبي عم
فان عامرا قال لصاحبه اربد اذا رايتني اكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل
عامر يخاصم رسول الله ويراجعه في الكلام ويقول له اسلم على ان المدر لكم والوبر
لي فقال عليه السلام لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ثم قال لك الوبر ولي المدر فاجاب
مثل ذلك ثم قال والي الامر من بعدك فاجابه مثل ذلك فغضب عليه عامر فدار
اربد من خلف النبي عم ليضربه بالسيف فاخرج من سيفه شبرا ثم حبسه الله تعالى
فلم يقدر على سله وكان عامر يومي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرآى اربد وما يصنع بسيفه فقال عم اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله اربد
بالصاعقة في يوم صحو فاحرقته وارسل الله ملكا فلطم عامرا بجناحه فاداره
في التراب وخرجت في ركبتيه في الوقت غدة كغدة البعير فذهب الى بيت امرأة
سلولية ولم ترض ان يموت عندها فدعا عامر بفرسه فركبه ثم اجراه حتى مات
على ظهره فاجاب الله دعاء الرسول عم ثم اكد حفظ الله عباده بقوله ان الله
لا يغير ما بقوم اي لا يبدل حال قوم من نعمة انعمها عليهم حتى يغيروا اي يبدلوا
ما بانفسهم من الحالة الجميلة بالمعصية وترك الشكر واذا اراد الله بقوم سوءا اي عذابا

وهلاكا

وهلاكا فلا مرد له اي لا يرده شيء وما لهم من دونه اي ليس لقوم اراد الله تعالى هلاكهم
من دون الله من وال اي ملجأ يلجؤن اليه او من يلي امرهم من اقربائهم ويمنع العذاب
هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة وخراب البيوت والاشجار وطمعا
اي للمقيم والمسافر في نفع المطر وقيل الخوف من المطر في غير مكانه والطمع اذا
كان في مكانه قيل من البلدان اذا امطرت قحطوا واذا لم يمطر اخصبوا والمنصوبات
مفعول لهما اي اخافة واطماعا او حالان من المخاطبين اي الخائفين والطامعين
وينشئ عطف على يريكم اي الله يبدئ السحاب الثقال بالمطر جمع سحابة قال علي رضه
السحاب غربال الماء ويسبح الرعد بحمده وهو ملك يزجر السحاب بصوته كالحادي
بالابل والصوت المسموع تسبيحه وهو يؤلف بعض السحاب الى بعض فيسوقه
حيث يشاء الله والملائكة من خيفته اي يسبح جميع الملائكة خائفين من هيبته
وجلاله وقيل المراد بهم اعوان الرعد ويرسل الصواعق جمع صاعقة وهي العذاب
المهلك ينزل من البرق فيصيب بها من يشاء من خلقه كما اصاب اربد بن ربيعة
قيل الصاعقة تصيب المسلم والكافر ولا تصيب الذاكر قال ابن عباس من
سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته
وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته روي عن النبي عم
حاكيا عن الله تعالى لو ان عبادي اطاعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت
عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وعن ابن عباس الرعد ملك موكل
بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وانه يحوز الماء في نقرة ابهامه وانه يسبح الله
فاذا سبح لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل القطر قيل
سال رجل من طواغيت العرب وقيل من اليهود عن النبي عم مم ربك أمن در ام
من ياقوت ام من ذهب فقال عليه السلام لا ترد على الله شيئا ارجع عن مقالتك
فجعل يزيد مثلها فنزلت صاعقة من السماء فاحرقته فذلك قوله وهم
يجادلون اي يصيبهم الله بالصاعقة في جدالهم في الله بتكذيبهم عظمته
وتوحيده وهو شديد المحال اي بالاخذ والقوة لمن يجادل فيه بكسر الميم المكر
فليحذر المجادلة في الله من مكره لانه ياخذه من حيث لا يشعر له دعوة الحق
اي لله يقبل دعوة الحق الذي هو نقيض الباطل واضافة الدعوة اليه كاضافة
الكلمة اليه في قولك كلمة الحق يعني للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة
به وانها بمعزل عن الباطل وهي التي دعا النبي صلى الله عليه وسلم بها على اربد
صاحبه وفيه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله لان الله يجيب دعوته

اي دعاء عليهم دانه التوحيد قاله علي رضي الله عنه او شهادة لا اله الا الله
قاله ابن عباس او دعوة الصدق او الدعاء بالاخلاص وهو لا يكون الا لله
فيجيب من يدعوه به فيعطيه سؤله ان كان فيه مصلحة والذين يدعون
اي يعبدون اصناما من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء اي لا يجيبونهم
بشيء يريدونه من نفع او دفع اصلا الا كباسط كفيه اي الا استجابة الا كالرجل
العطشان الذي يريد الماء من بعيد وبسط كفيه الي الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه
اي والحال انه لا يبلغ الماء لبعده عنه وقيل معناه انه بسط كفيه الي الماء و
يدعوه الي نفسه بلسانه فلا ياتيه ابدا او هو كالرجل الجالس علي شفير البير
وهو مادّ يديه الي البير ولا تصلان قعرها ليأخذ من مائها ولا يرتفع الماء اليه
فلا ينفعه بسط الكف الي الماء ودعاؤه فهذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين الذين
عبد مع الله آلها آخر لا ينفعه اذا دعاه الي حاجته وما دعاء الكافرين اصنامهم
الا في ضلال اي في هلاك لانه يضل عنهم اذا احتاجوا اليه في الاخرة او وما
دعاء الكافرين ربهم الا في ضلال يفوت عنهم لان اصواتهم محجوبة عن الله ولله
يسجد من في السموات والارض اي الملائكة والمؤمنون طوعا اي طايعين
وكرها اي كارهين وهم المنافقون ومن اكره علي السجود من الكفار بالسيف
او المراد انهم ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاؤوا او ابوا يعني لا يقدرون
ان يمتنعوا عن ذلك فالسجود بمعنى الخضوع والانقياد وظلالهم عطف علي
من اي لله يسجد ظلال الساجدين ايضا طوعا وكرها او يسجد ظل المؤمن
والكافر طوعا وهو كاره السجود لذاته وقيل سجود الظلال تنقلها من جانب الي
جانب واراد بذلك تذليله لما شاؤه من الفيء والزوال والامتداد وضده بالغدو
والاصال اي بالبكر والعشايا يعني اذا سجدوا بالغدو والعشي يسجد معهم ظلالهم
والاصال جمع اصل وجمع اصيل وهو ما بين العصر وغروب الشمس قل من رب السموات
والارض اي قل يا محمد للمشركين بالاستفهام للانكار من خالقهما ومدبرهما فان لم
يعترفوا فانت قل الله ربهما وقيل هم قالوا اجب انت يا محمد فامره الله فقال قل الله
فاعترفوا بان ربهما الله ثم قال لهم الزاما للحجة قل افاتخذتم اي اعلمتم ان الله ربهما
فبعد آثرتم عليه من دونه اي دون الله اولياء اي اصناما تعبدونها وهم
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون لكم فكيف يتخذ وليا ويعبد من
لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا من النفع والضر قل هل يستوي الاعمي والبصير اي
الجاهل والعالم او الكافر والمؤمن ام هل تستوي بالتاء والياء الظلمات والنور

سجده

اي الكفر والايمان يعني كما لا يستوي الاعمي والبصير في الحس لا يستوي المؤمن
والكافر كما لا يستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان
والهمزة للانكار في قوله ام جعلوا والميم صلة او ام بمعنى بل مع الانكار اي
لم يتخذوا لله شركاء خلقوا اي الهة يخلقون شيئا كخلقه اي يشبه خلق الله
فتشابه الخلق عليهم اي فاشتبه عليهم ما خلقوه بما خلقه الله عز وجل فلا
يدرون ما خلق الله وما خلق آلهتهم واعتقدوا ان آلهتهم قدروا علي الخلق
كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فاتخذوهم له شركاء في العبادة
فاذا علموا ان الهتهم عجزة عن الخلق فكيف يعبدونهم كما يعبد الله ولم
يفرقوا بين الخالق وغير الخالق قل الله خالق كل شيء بلا شريك في خلقه فيعبد
بلا شركة في العبادة وهو الواحد القهار اي الله الواحد الذي لا شريك له
في الربوبية القهار الذي يغلب ما عداه بالافناء ولا يغلبه احد من خلقه
ثم ضرب الله ايضا مثلين للحق والباطل تاكيدا بقوله انزل من السماء اي
الله انزل من السحاب ماء فسالت من ذلك الماء اودية جمع واد علي الشذوذ
لان فعيلا يجمع علي افعلة لا فاعلا والتنوين فيها للتعليل لان المطر ياتي
بالمناوبة فيسيل بعض الاودية دون بعض وقوله بقدرها صفة اودية
اي سال الماء في الوادي الكبير بقدره او بمقدارها الذي عرف الله له انه نافع
للممطور عليهم غير ضار فقوله بقدرها بيان ما ينتفع به من الماء فاحتمل السيل
الذي حدث من ذلك الماء زبدا وهو ما علا علي وجه الماء من الخبث كالرغوة
علي اللبن اذا غلا في القدر رابيا اي مرتفعا منتفخا فوق الماء فقوله انزل من السما
ماء مثل القرآن الذي هو الحق والاودية مثل القلوب والسيل مثل كثرة علم القرآن
الجاري في نهر القلب فيغسله ويزكيه من الغفلة والزبد مثل الباطل الزايد الذي
يتعلق بالاشجار وجوانب الاودية يريد ان القرآن نزل من الله علي العباد
فاحتمل منه قلوب اصحاب اليقين علي قدر يقينهم بعد ان دفع الشك والجهل
والباطل التي كانت بهم فرمي بها عن قلوبهم واضمحلت كما يذهب السيل بالزبد
العالي علي وجه الماء المختلط بالجنس كثيرة منقطعا ممحوا ويبقي الماء الصافي النافع
في الاودية من الارض فينتفع الناس به قوله ومما توقدون بالتاء والياء عليه
في النار مثل آخر ومن للتبعيض والايقاد جعل النار تحت شيء او فوقه ليذوب
وهو موضع المحل خبر المبتدا اي ومن بعض الجواهر الذي يستوقدون عليه في النار
ليذوب ويبقي خالصا كالذهب والفضة ابتغاء حلية مفعول له اي لالتماس

زينة تلبسونها يخرج منها الخبث ويبقيان خالصين أو متاع عطف على حلية
وفايدة ذكرهما بيان وجه الانتفاع بما يوقد عليه في النار وتذاب من الجواهر
وهو الحلية والمتاع اي لطلب متاع وهو ما ينتفع به من غير الذهب والفضة
كالحديد والنحاس والصفر تذاب ويتخذ منها الاواني وغيرها مما ينتفع بها
زبد مرفوع بالابتداء والخبر المقدم وهو مما توقدون يعني ينشاء منه زبد مثله
صفة الزبد المعني ومما يوقد عليه له زبد يضاف اذيب مثل زبد الماء
فالباقي الصافي من هذه الجواهر مثل الوارث الحق والزبد الذي لا ينتفع فيه مثل
الباطل والشك ويجوز ان هذه الامثال للمؤمن والكافر فالمؤمن عمله واعتقاده
كالماء المنتفع به والكافر عمله واعتقاده كالزبد الزايد الذاهب كذلك اي مثل
ذلك البيان يضرب اي يبين الله الحق والباطل بالمثل كما هو عادة العرب
في توضيح الكلام المقصود لاقامة الحجة على المخاطب فاما الزبد الذي علا السيل
والجوهر المذاب فيذهب جفاء ما رمى به الوادي من الزبد والقدر الى الجوانب
عند الغليان واذا سكنت لم يبق فيها شيء فهو مثل الباطل لانه لو علا الحق
في وقت ما فانه يضمحل سريعا واما ما ينفع الناس من الماء الصافي والجوهر الصافي
فيمكث في الارض اي يبقى فيها ولا يذهب فينبت المرعى ينتفع منه الدواب
والاناسي وكذلك الجوهر المذاب الذي ذهب خبثه ينتفع الناس للحلية و
اتخاذ المتاع كذلك يضرب الله الامثال ليظهر الحق من الباطل قوله للذين
استجابوا لربهم اي للمطيعين لله في الدنيا بالطاعات الحسنى اي المثوبة
والفضل وهو الجنة في الاخرة يجوز ان يكون كلاما مستانفا بان يكون الحسنى
مبتداء وخبره للذين استجابوا ويجوز ان يتعلق بيضرب اي كذلك يضرب الله
الامثال للمؤمنين الذين اجابوا ربهم والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي الاستجابة
الحسنى والذين لم يستجيبوا له اي لم يجيبوا ربهم ولم يطيعوه في الدنيا وهم
الكافرون يجوز ان يكون عطفا على للذين ويجوز ان يكون مبتداء خبره لو
ان لهم ما في الارض جميعا يوم القيمة ومثله معه اي وضعف ما في الارض
جميعا لافتدوا به اي لبذلوه افتداء لانفسهم من النار لا يقبل منهم اولئك
اهل هذه الصفة لهم سوء الحساب اي المناقشة والمجازاة بجميع ذنوبهم مع التوبيخ
قيل سوء العذاب هو الذي يحاسب به العبد يوم القيامة ثم لا يغفر له
ومأويهم اي ومستقرهم بعد المناقشة جهنم وبئس المهاد اي ساء الفراش
الممهود لهم في النار افمن يعلم اي ابعد ما ضرب من المثل المذكور للعالم والجاهل

يكون

تمن

فمن يؤمن انما انزل اليك اي ان الذي انزله اليك بجبرئيل من ربك الحق فآمن به وعمل
بما فيه كمن هو اعمى عنه لا يعلم به قيل نزلت الآية في حمزة وابي جهل فعمت والهمزة الداخلة
على الفاء للانكار العاكفة يعني لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا
يتبعه الشبهة والتسوية انما يتذكر اي لا يتعظ الا اولوا الالباب اي ذووا العقول
من الناس وهم المؤمنون المستبصرون ثم وصفهم بقوله الذين يوفون بعهد الله
اي بما اوهم به وفرضه عليهم فلا يخالفونه ولا ينقضون الميثاق اي العهد الذي
اخذ الله عليهم في كتابهم او الميثاق الذي اخذه على ذرية آدم حين اخرجهم من صلبه
والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل بدل من المجرور اي يصلون الارحام
التي امروا بان يصلونها ولا يقطعونها فالمراد من ذلك صلة الرحم وقيل الايمان
بجميع الرسل والكتب من غير فرق بينهما والاكثر على الاول قال النبي ع م ما من ذنب
اجرى ان يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الاخرة من البغي
وقطيعة الرحم وقال ع م ثلثة تحت العرش يوم القيامة القرآن يحاج العباد
له ظهر وبطن والامانة والرحم ينادي الا من وصلني وصله الله ومن قطعني
قطعه الله وقال ع م من احب ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه
واراد من الاثر العمر وقيل يدخل في معنى الاية من التواصل جميع ابواب البر والاحسان
كعيادة مريض واجابة دعوة شرعية واتباع جنازة والتحاب في الله والانعام
الى كل ما يحتاج اليك بكل شيء امكنك ولو باعانة بحق ويخشون ربهم اي يشعرون
عما نهى هم الله عنه خوفا منه تعالى والخشية هي الامتناع عن حرمات الله ويخافون
سوء الحساب اي شدته خصوصا والذين صبروا على طاعة الله وعلى المصائب
وعلى اذى الكفار والمنافقين وعن المعاصي ابتغاء وجه ربهم اي لطلب رضات الله
واقاموا الصلوة اي اتموها في مواقيتها وانفقوا مما رزقناهم من الاموال سرا في
النوافل دفعا للرياء وعلانية في الفرايض نفيا للتهمة وطلبا لاقتداء الغير بهم ويدرؤن
اي يدفعون بالحسنة اي بصالح العمل السيئة اي السيء من العمل كقوله ان الحسنات
يذهبن السيأت قال ع م اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر
والعلانية بالعلانية وقيل معناه يدفعون الذنب بالتوبة ويدفعون الشر بالخير
ويكافئون الشر بالشر قيل هذه ثمان خلال مشيرة الى ثمانية ابواب الجنة اولئك لهم
عقبى الدار اي اهل هذه الحال عاقبتهم دار الثواب ثم بين تلك الدار بقوله جنات
عدن اي بساتين اقامة يدخلونها ومن صلح اي من اطاع الله ورسوله بالايمان
وعمل الخير من آبائهم وازواجهم وذرياتهم اي يدخلون الجنة بجميع اهاليهم تكميلا لفرحهم

وفيه اعلام بان الانساب لا ينتفع اذا تجردت من الاعمال والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب من ابواب الجنة او ابواب القصور يقولون سلام عليكم منا
او سلمكم الله الافات التي كنتم تخافون منها قيل يدخلون عليهم في مقدار
يوم وليلة من ايام الدنيا ثلث كرات معهم الهدايا والتحف من الله ويقولون سلام
عليكم بما صبرتم على اوامر الله وطاعته يعني هذا الثواب والاستراحة والتنعم
الابدي لكم في هذه الدار بسبب صبركم على المشاق والمتاعب في الدنيا فنعم
عقبى الدار اي نعم العاقبة الجنة التي تتوردون فيها ابرا ثم بين حال الكفار
وما اعد لهم من العقاب فقال والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
اي بعد تاكيده وتغليظه بالاقرار والاشهاد على التوحيد يوم الميثاق ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل وهو صلة الارحام وقيل الايمان بالانبياء وكتبهم وهم
يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض ويفسدون في الارض اي يعملون
بالمعاصي من الكباير او يدعون الى عبادة غير الله تعالى اولئك لهم اللعنة اي الطرد
من رحمة الله في الدنيا والاخرة ولهم سوء الدار اي سوء المنقلب وهو النار لان
منقلب الناس دورهم ثم نقل فيمن يفرح في الدنيا ويفتخر ويغتر بها ابطالا الله يبسط
الرزق اي يوسعه لمن يشاء من عباده لحكمة يعلمها ويقدر اي ويضيق على من
يشاء لانه يعلم ان صلاحه فيه وهم قد فرحوا بالحيوة الدنيا اي بما بسط
لهم من الدنيا فرح بطر لا فرح شكر وسرور بفضل الله تعالى والفرح لذة في القلب
بنيل المشتهي وهو تعريض لاهل مكة المفتخرين بالدنيا والمستهزئين بالفقراء لفقرهم
وفيه دليل ان الفرح بالدنيا حرام وما الحيوة الدنيا في الاخرة كائنة في جنب الاخرة
فهو حال لا ظرف للحيوة ولا للدنيا اي ليس نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة الا متاع
اي الا قليل ذاهب كالسكرجة والقدح والقدر ويتمتع به زمانا قليلا ثم يذهب
ويقول الذين كفروا من اهل مكة لولا اي هلا انزل عليه اي على محمد آية من ربه
اي علامة لنبوته من الله فنزل تجهيلا لهم وتعجيبا من حالهم وسؤالهم بعدما شاهدوا
الايات على صدقه قل ان الله يضل من يشاء من عباده عن المهدي اذا لم يرغب
فيه بعقله وهو في قوة قوله ما اعظم كفركم وتصميمكم عليه فليس هذا الا من ارادة
الضلال منكم ومن يضلله فلا هادي له ويهدي اليه اي يرشد الى دينه من اناب
اي رجع عما هو عليه من الكفر الى الحق بالرغبة فيه قوله الذين آمنوا في محل الرفع
خبر مبتدا محذوف او في محل النصب بدل من قوله من اناب اي يهدي الذين اخلصوا
ايمانهم بالله وتطمئن اي تسكن من غير ريب قلوبهم بذكر الله اي بوحدانيته و

يستقر

يستقر فيه اليقين او بذكره اذا ذكروه ولا تنافي بينه وبين قوله اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم لاستحالة اجتماعهما في قلب واحد بحالة واحدة لان وجل القلب يقع
عند الوعيد والطمانينة عند الوعد وقيل القلوب اذا ذكرت عدل الله وشدة
حسابه توجل واذا ذكرت فضل الله وكرمه تطمئن الا بذكر الله تطمئن القلوب
اي تسكن وترضى ولا تضطرب بعد خوفها وقلقها وقلوب المؤمنين ثم قال
مستانفا لبيان ما اعد لهم في الاخرة الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي الخيرات
من الفرايض والنوافل طوبى اي غبطة وسرور لهم وحسن مآب اي وحسن
المنقلب يوم البعث قال ابن عباس طوبى قرة عين وفرح قلب وحيوة طيبة
فعلى من الطيب وهو الخير والواو فيه لضمة الطاء اصله طيبي وقيل طوبى اسم
شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقيل شجرة في جنة عدن اصلها في دار النبي عم
فيها وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا السواد ولم يخلق
الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها ومنها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل
كل ورقة منها تظل امة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح غرسها الله بيده و
نفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وقال
ابو هريرة ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام وروي لو ان احدكم ركب
جوادا لمات هرما قبل ان يطوف بها ما في الجنة نهر الا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة يقول
الله تعالى لها تفتقي لعبدي كما يشاء فتتفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته
كما يشاء كذلك اي مثل ارسالنا الرسل قبلك يا محمد ارسلناك ارسال الله فضل على
ساير الارسالات في امة قد خلت اي مضت من قبلها اي قبل تلك الامة
امم كثيرة فهي اخر الامم وانت خاتم الرسل لتتلوا اي لتقرأ عليهم الذي
اوحينا اليك من القرآن العظيم وهم يكفرون بالرحمن اي يجحدون بالله
البليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء ويكذبونه ويقولون ما نعرف
الرحمن الا مسيلمة الكذاب قيل الاية مدنية نزلت في صلح الحديبية والمعروف
ان الاية مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي عم وهو في الحجر يدعو
يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله تعالى
ويدعو الها اخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة فنزلت هذه
الاية ونزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية وقيل نزلت هذه الاية في
كفار قريش حين قال لهم النبي عم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال
الله تعالى قل يا محمد هو الرحمن الذي كفرتم به ربي لا اله الا هو عليه توكلت

اي عمدت واليه متاب اي توبتي ومرجعي في الآخرة قوله ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال نزل حين طلب المشركون في مكة منهم ابو جهل وعبد الله
بن ابي امية وغيرهما جالسين خلف الكعبة من النبي صلى الله عليه وسلم ازالة
جبال مكة فقالوا يا محمد سير جبالنا بالقرآن الذي تقرأه حتى تنفسح مكة فانها
ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها عيونا وانهارا لنغرس الاشجار ونتخذ البساتين
كما فعل الله لسليمان الريح وسخر الجبال لداود يسبحن معه ولست باهون
علي ربك من سليمان وداود ثم قالوا واحي لنا جدك قصي او من شئت
من موتانا لنسئله عن امرك احق ما تقول ام باطل كعيسى عم فانه يحيي الموتى
ويظهر به صدقه فقال الله تعالى ولو سيرت الجبال بقرآن عن اماكنها او قطعت
به الارض اي شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى لتصديق نبي
من الانبياء وجواب لو محذوف وهو لكان هذا القرآن وكفروا بالرحمن بدلالة
قوله وهم يكفرون بالرحمن او لم يؤمنوا به لما سبق علمنا فيهم بل لله الامر
اي امر خلقه جميعا فيتصرف فيهم كما يشاء من الهداية والضلالة لارادة الحكمة
افلم ييئس اي الم يخبر بالوحي عليك افلم يعلم الذين آمنوا نزل حين سمع المؤمنون
سؤال المشركين من رسول الله وطمعوا ان يفعل الله ما سألوا فيؤمنوا فقال
الم يتبين للمؤمنين يعني للصحابة من ايمان هؤلاء الذين وصفوا بانهم لا يؤمنون
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فآمنوا يعني انهم ليسوا اهلا لذلك
فلم يهدهم ولا يزال الذين كفروا من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء
اعمالهم قارعة اي داهية تقرعهم من انواع البلاء احيانا بالجدب واحيانا
بالقتل والاسر واحيانا بالسلب او المراد سرية من سرايا رسول الله يبعثها فتأتيهم
وتصيبهم منهم شدة او تحل اي تنزل القارعة وانت يا محمد قريبا من دارهم
يعني من مكة بجماعة اصحابك حتى يأتي وعد الله اي الفتح بالنصرة لظهور الرسول
ودينه وقيل يوم القيامة ان الله لا يخلف الميعاد اي يفعل كل ما وعد من
فتح مكة وغيره وكان الكفار يسألون هذه الاشياء منه عم على سبيل الاستهزاء
فانزل الله تسلية لنبيه عم ولقد استهزئ برسل من قبلك كما استهزى بك
فامليت اي امهلت واطلت المدة للذين كفروا بعد الاستهزاء ولم اعاقبهم
ثم اخذتهم اي عاقبتهم بعد الامهال في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار فكيف
كان عقاب اي عقوبتي بهم وتغييري عليهم بالعذاب ولم يرا النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك الا انه علم بحقيقته باعلام الله فكانه راى عيانا قيل انه تعجب من شدة

اخذع

اخذع لهم ثم احتج على هؤلاء المشركين موبخا بالاستفهام بقوله افمن هو قائم اي
رقيب وهو الله تعالى على كل نفس بما كسبت من صالح وطالح يحفظها ويرزقها و
يجازيها بما عملت وجوابه مضمر وهو كمن ليس بقايم بل عاجز عن نفسه وعن ذرة
وهذا كقوله افمن يخلق كمن لا يخلق ثم اخبر عنهم مع هذا المآل فقال تجهيلا لهم وتعجيبا
منهم وجعلوا لله شركاء عاجزين عن النفع والضر قل سموهم اي بينوا الشركاء
باسمائهم وصفاتهم ثم انظروا اهل هي اهل ان تعبد ام لا ام تنبئونه اي بل تخبرون
الله بما لا يعلم اي بشيء لا يعلم من آلهتكم في الارض وهو محال فانه يعلم انه ليس له
شريك فيها ام تخبرون بظاهر من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لا اصل له يعني
يقولون قولا بلا برهان فهو ادنى ان يتعلق به العلم فيتعلق به الجهل لقيام البرهان
القطعي على خلاف ذلك وهو تنزهه عن الشريك الموجب لتوحيده فليس لهم حجة
على قولهم بل زين للذين كفروا من اهل مكة مكرهم اي كيدهم وهو قولهم بالشرك
عن جهل وصدوا مجهولا اي منعوا والمانع الشيطان ومعلوما اي هم منعوا الناس
عن السبيل اي عن دين الله ومن يضلل الله بخذلانه اياه فما له من هاد اي مرشد
الى دينه غير الله لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر بكفرهم ولعذاب
الآخرة اشق اي اشد من عذاب الدنيا وما لهم من الله من واق اي من جهة رحمته مانع يحفظهم
ويمنعهم من العذاب ثم اخبر تعالى عما اعد للمتقين في الآخرة فقال مثل الجنة التي وعد
المتقون من الشرك والمعاصي رفعه بالابتداء عند سيبويه خبره محذوف تقديره
فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري اي صفة الجنة من تحتها الانهار
وقيل المثل مقحم وقيل تقديره مثل الجنة جنة تجري حذف الموصوف واقيم الصفة
مقامه تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد اكلها اي ما يؤكل فيها من الثمر وغيره دائم لا ينقطع
وظلها دائم ايضا لا يزول بزوال الشمس اذ ليس فيها شمس تلك اي الجنة عقبى
الذين اتقوا اي مصير المتقين من الشرك والمعصية وعقبى اي ومصير الكافرين
النار يعذبون فيها ابدا والذين آتيناهم الكتاب اي اعطيناهم القرآن او التورية
وهم الصحابة او المؤمنون كعبد الله ابن سلام واصحابه يفرحون بما انزل اليك اي
يعجبون بذكر الرحمن بسبب الآيات النازلة منه تعالى ومن الاحزاب الذين تحزبوا
على رسول الله بالعداوة ككعب ابن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب من
ينكر بعضه اي بعض القرآن لانهم وافقوا في ذكر القصص الاحكام والمعاني
مما هو ثابت في كتابهم غير محرف وينكرون نعت الاسلام ونعت النبي عم وما
فيه نسخ شرايعهم مما حرفوه قيل آمن اليهود بسورة يوسف وكفر مشركوا مكة بجميعه

فقال تعالى جوابا لمنكري القرآن قل يا محمد انما امرت ان اعبد الله اي اقيم على توحيده
ولا اشرك به شيئا وانكاركم له انكار لتوحيد الله وعبادته مع انكم تدعون وجوب
عبادة الله ان لا يشرك به والجملة في محل النصب على الحال اي غير مشرك به اليه
ادعوا اي الى الله ادعو الخلق يعني الى توحيده ودينه ولا ادعوهم الى غيره او
اليه ادعو الى جميع مهماتي واليه مآب اي مرجعي في كل حال وان خالفتموني
وكذلك اي مثل ما انزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم انزلناه اي القرآن عليك
بجبرئيل حكما عربيا وهو نصب على الحال اي والحال انه حكم بلغة العرب ليحكم به بين
الناس وتعرفهم شرايع الاسلام قيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون
ان يوافقهم في الملة او في القبلة فنزل ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك اي بعد
الذي نزل من العلم ان قبلتك نحو الكعبة او بعد العلم بانهم كفار ما لك من الله اي
من عذابه من ولي اي قريب ينفعك وناصر ينصرك ولا واق اي حافظ يحفظك
منه خاطب به النبي عم وحرض السامعين من الناس لينتبهوا به ويتمسكوا بالدين
رغبا ورهبا قوله ولا ينزلوا بعد الثبات بالمحنة عند الشبهة ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك نزل حين اقترحوا على النبي عم آية ظاهرة تدل على صدق نبوته
وحين عيروه بكثرة الزوجات وقالوا لو كان هذا نبيا لشغلته النبوة عن تزوج
النساء فقال تعالى مجيبا عنهما لقد بعثنا انبياء قبلك الى الامم المتقدمة وجعلنا
لهم ازواجا وذرية من نسائهم وبناتهم وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون
ولا ينكحون فان داود كان له مائة امرأة وسليمان ثلثمائة امرأة وما كان لرسول
من الرسل قبلك ان يأتي بآية الى قومه الا باذن الله اي بامره لا باختياره ورايه
لانه عاجز عنه ولان الشرايع مصالح يختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلا يأتي
بها الا اذا جاء اجلها ثم بين ذلك بقوله لكل اجل كتاب اي لكل وقت حكم يكتب على
العباد يعني لكل شيء قضاه الله يجب ان يكون على خلقه في اللوح وقت مكتوب معلوم
لا يزاد عليه ولا ينقص منه او لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه وقيل لكل كتاب من الكتب
المنزلة وقت معلوم لله ينزل فيه فهذا من الكلام الذي فيه تقديم وتاخير يمحو الله
ما يشاء من الفرايض والشرايع فينسخه ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه قرئ مخففا
ومشددا وقيل يمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون
بكتبة كل قول وفعل ويثبت غير ذلك قالت عائشة رضي الله عنها ان الحفظة
اذا رفعت ديوان العبد فان كان في اوله وآخره خير يمحو الله بينهما من السيئات
وان لم يكن في اوله وآخره حسنات يثبت ما فيه من السيئات وقيل يمحو الله المعرفة

عن

عن قلب من يشاء ويثبت في قلب من يشاء وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت
الا السعادة والشقاوة والرزق والاجل وقال ابن عمر وابن مسعود يمحو الله السعادة
والشقاوة والرزق والاجل ويثبت ما يشاء روي ان ابن عمر كان يطوف بالبيت وهو
يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني
على الشقاوة فامحني واثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت
وعنده ام الكتاب اي اصله الذي كتب فيه كل شيء قبل ان يخلق الخلق وهو اللوح
المحفوظ الذي لا يتبدل ولا يتغير وقيل عنده كتابان كتاب سوى ام الكتاب يمحو
منه ما يشاء ويثبت وام الكتاب الذي لا يتغير منه شيء قال ابن عباس ان لله
لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت لله فيه
كل يوم ثلثمائة وستون نظرة يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب واما نرينك شرط
وما زايدة لتاكيده اي ان نرينك بعض الذي نعدهم اي بعض الموعود لهم
من العذاب والمصايب النازلة بهم بسبب تكذيبهم وانت حي او نتوفينك اي
نميتك قبل ذلك كيف ما دارت الحال فانما عليك البلاغ اي فما يجب عليك الا تبليغ
الرسالة لا غير وعلينا الحساب اي الجزاء يوم القيمة لا عليك فلا يهمنك اعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم قال ابن عباس فانما عليك البلاغ نسخ باية السيف اولم يروا
اي يكذب اهل مكة الذين سألوا الايات محمدا او لم يبصروا انا نأتي الارض اي ناخذ
ارض الكفرة ننقصها من اطرافها اي نفتحها من نواحيها باهلاك اهلها وتخريبها ونزيد
في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة فان ما زاد في دار الاسلام قد نقص
من دار الشرك افلا تعتبرون بذلك فيؤمنون او افلا يخافون ان يفعل بهم ذلك وقيل معناه
الم تر الناس انا ننقص الارض من نواحيها بموت العلماء وذهاب الفقهاء وخيار اهلها
فتخرب الارض باتخاذ الناس الجهال رؤساء قال عم ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه
من العباد ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا يسئلون
فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن موت العلماء ثلمة في الاسلام لا يسدها
شيء ما اختلف الليل والنهار وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك علمائهم
والله يحكم بالغلبة والاقبال للاسلام وبالقهر والادبار على الكفر لا معقب
لحكمه وهو في محل النصب على الحال اي نافذ حكمه يعني لا راد لقضائه ولا ناقض
لحكمه وهو سريع الحساب اي عن قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا
وقد مكر الذين من قبلهم اي قبل مشركي مكة رسلهم كما مكر هؤلاء بمحمد عم والمكر
ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر فلله المكر جميعا اي يجازيهم جزاء مكرهم

لا يغلبه احد على مراده وهو كالعدم عنده ووصفهم بالمكر اولا ثم جعل مكرهم كلا
مكر بالنسبة الى مكره لانه يبطل مكر الكفار وينصر انبياءه يعلم ما تكسب كل نفس
صالحة وطالحة فيجازيها عليه وسيعلم الكفار مفردا وجمعا لمن عقبى الدار
اي الدار الاخرة وهي الجنة يدخلون النار والمؤمنون الجنة وهذا مع ما قبله
تهديد لهم ويقول الذين كفروا من اهل مكة او اهل الكتاب ككعب ابن الاشرف
واصحابه لست مرسلا من الله لدعوة الخلق اليه قل كفى بالله شهيدا اي
كفى الله شاهدا لي باظهار المعجزة على صدقي بيني وبينكم اي بين مقالتي ومقالتكم
ومن عنده علم الكتاب اي اهل الكتاب بين محله دفع عطف على الله بالفاعلية
وعلى الكتاب ورفوع بالمقدر في الظرف الواقع صلة للموصول فاشبه الفعل في العمل
بسبب الاعتماد على الموصول يعني وشهد ايضا مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام واصحابه لانهم وجدوا نعته في كتبهم وقيل جبريل وقيل هو الله تعالى
والكتاب اللوح المحفوظ فعلى هذا المعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا
يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم فالثاني تاكيد للاول سورة
ابراهيم مكية الا آيتين وهما الم تر الى الذين بدلوا الى فان مصيركم الى النار
بسم الله الرحمن الرحيم
الر اي انا الله الرقيب على كل شيء كتاب اي هذه سورة او قرآن انزلناه
اليك بجبريل لتخرج الناس من الظلمات الى النور اي من ظلمة الكفر الى
نور الايمان ومن ظلمة المعصية الى نور الطاعة ومن ظلمة الجهل والشك الى
نور العلم واليقين باذن ربهم اي بتسهيله او بامره نصب على الحال من فاعل
تخرج اي ماذونا لك وابدل من قوله الى النور الى صراط العزيز اي الغالب في
امره بالانتقام عن مخالفه ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل الى اي نور
فقيل الى صراط العزيز الحميد اي المحمود في فعاله المستحق للحمد او الحامد لافعال
خلقه يشكر لهم اليسير من اعمالهم ويعطيهم الجزيل الله بالرفع مبتداء خبره الذي
مع صلته وبالجر بدل من العزيز او عطف بيان لا نعت له اي الى صراط الله الذي
له ما في السموات وما في الارض اي كل ملكه حكمه نافذ فيهم وويل اي دعاء
للولولة والعقوبة للكافرين من عذاب شديد اي غليظ دايم يعني انهم يضجون
منه ويقولون يا ويلاه يوم القيمة في النار ثم وصفهم بقوله الذين يستحبون
اي يختارون الحيوة الدنيا الفانية على الاخرة الباقية لشكهم فيها او للتهاون
بامرها ويجوز ان يكون الذين دفعا بالابتداء خبره اولئك بعده وبجرية مبتداء

الذم

محذوف اي هم الذين او نصبا على الذم اي اعني الذين يختارون الدنيا على الاخرة
ويصدون اي يصرفون الناس عن سبيل الله اي عن دينه الحق وهو ملة
الاسلام ويبغونها عوجا اي يطلبون لسبيل الله اعوجاجا وميلا عن الحق
اولئك في ضلال بعيد اي في ضلال فيه بعد عن طريق الحق او بعيد صاحب الضلال
عنه وما ارسلنا من رسول اي الى امة من الامم الا بلسان قومه اي بلغتهم ليفهموا عنه
كلامه فلو قيل ان النبي عم بعث الى كافة الخلق لا الى العرب وحدهم اجيب بان اولى
الالسنة لسان قومه لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وانتشر عنهم قامت
التراجم نايبة عن بيانه وتفهمه دوى انه عم بعث الرسل الى الاطراف يدعونهم
الى الله ويترجمون لهم بالسنتهم فكان العرب اصلا في البعث اليهم وساير الناس
تبعا لهم ليبين الرسل لهم اي للعرب وغيرهم ما يجب عليهم لئلا يكون لهم حجة على الله
ولا يقولون لم نفهم ما خوطبنا به والترجمة تنوب عن نزول القرآن بجميع الالسنة
كما ذكرنا فتلزم الحجة جميع الخلق فيضل الله من يشاء منهم بعد البيان عن الهدى
ويهدي من يشاء اليه اي من كان اهلا له وهو العزيز في ملكه لا يغلب عن
مراده الحكيم في امره من الضلالة والهداية ولقد ارسلنا موسى باياتنا اي
بعلامات وحدانيتنا كاليد والعصا قوله ان اخرج بمعنى ان ادع فان مفسرة
لان في ارسال معنى القول قومك اي امتك من الظلمات اي الكفر والشرك والجهل
الى النور اي الى الايمان واليقين والعلم بالشرايع والاحكام وذكرهم اي عظهم
وخوفهم بايام الله اي بايام الخير والشر السابقة النازلة على الامم الماضية ليرهبوا
من بأس الله ويرغبوا في طاعة الله فالمراد من الايام وقايع الله ونعمه في الامم
السالفة يقال فلان عالم بايام العرب اي بوقايعهم من النعمة والمحنة فاكتفى
بذكر الايام عنه لانها كانت معلومة عندهم ان في ذلك اي فيما انعمت عليهم من كثرة
النعم ثم فعلت بهم ما فعلت من النقم لتركهم الشكر لايات اي لعبرات لكل صبار
شكور اي الكثير الصبر والكثير الشكر والمراد كل مؤمن مخلص لان الصبر والشكر
من خصالهم واذ قال موسى اي اذكر وقت قوله لقومه بني اسرائيل اذكروا
نعمة الله عليكم قوله اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام او لقوله عليكم
اي اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائكم من آل فرعون اي منه ومن
آله يسومونكم اي يعذبونكم سوء العذاب اي باشده ويذبحون ابناءكم
بالواو ليدل على ان التذبيح مستقل في التعذيب سوى السوء العذاب وذكره
في سورة البقرة بغير واو ليكون تفسير السومهم اي ويقتلون ابناءكم الصغار

خوفا عليهم ويستحيون نساءكم اي يتركونهن وفي ذلكم اي وفي فعلهم المذكور بكم بلاء من ربكم عظيم اي بلية عظيمة من خالقكم لانه مكنهم وامهلهم حتى فعلوا ما فعلوا بهم ابتلاء او في انجاء الله اياكم من ذلك العذاب نعمة عظيمة لكم فاشكروا ولا تكفروه فالبلاء بمعنى النعمة قوله واذ تأذن محله نصب لانه على نعمة الله اي قال موسى واذكروا اذ اعلم اعلاما بليغا ربكم وقال لكم ترغيبا وترهيبا لئن شكرتم نعمتي يا بني اسرائيل فآمنتم واطعتم لازيدنكم في النعمة قيل الشكر قيد الموجود وصيد المفقود ولئن كفرتم اي جحدتم نعمتي ولم تشكروا ان عذابي بكم في الآخرة لشديد اي لقوي لا يطاق عليه لمن كفر نعمتي وقال موسى لقومه تأكيدا لذلك ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا بنعمة الله ولم تؤمنوا فان الله لغني عن ايمانكم وشكركم حميد اي مستوجب للحمد في افعاله وان لم يحمده الحامدون لانه فيها اما متفضل او عادل ثم قال تعالى لكفار مكة تهديدا الم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم اي خبرهم في القرآن كيف عذبهم الله عند تكذيبهم رسلهم قوله قوم نوح بالجر بدل من الذين ثم عطف على قوم وعاد وثمود فانه اهلك قوم نوح بالغرق وعاد بالريح وثمود بالصيحة والذين من بعدهم محله جر عطفه على ثمود او رفع مبتداء خبره لا يعلمهم الا الله جملة معترضة لنفي علم الانسان عمن بين عيسى اي لا يعلم من كان بعد قوم نوح وعاد وثمود الا الله لكثرتهم قال ابن مسعود كذب النسابون عند قراءته هذه الآية يعني انهم يدعون علم الانساب والله تعالى نفي علمها الا عنه قال ابن عباس بين ابراهيم وعدنان ثلثون قرنا وقيل انهم من الكثرة بحيث لا يعلمهم الا الله وعدنان هو الاب الاكبر الذي ينتهي اليه نسب النبي عم جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالدلالات الواضحة عند تبليغهم الرسالة فردوا ايديهم في افواههم اي وضعوا اصابع ايديهم على افواههم تعجبا مما سمعوا من كتاب الله او اشاروا بوضع الايدي على افواههم ان اسكتوا او عضوا ايديهم غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل ضحكا واستهزاء يعني كذبوا رسلهم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به من الكتاب وانا لفي شك اي تردد مما تدعوننا اليه من التوحيد مريب اي موجب للريبة موقع للتهمة او ظاهر الشك وهو للمبالغة في الشك يقال اراب الرجل اذا صار ذا ريبة وتهمة وهي قلق النفس في ثبوت شيء قالت لهم رسلهم افي الله شك ادخل همزة الاستفهام على الظرف ليدل على ان الانكار في المشكوك فيه وهو الله لا في الشك اي افي الوحدانية الله لكم شك وهي ظاهرة لا يحتمل الشك لظهور الادلة الشاهدة عليها واشار اليها بقوله فاطر السموات والارض اي خالقهما وهو صفة الله

ها

يدعوكم

يدعوكم الى التوبة من الشرك والاقرار بتوحيده ليغفر لكم من ذنوبكم ومن زائدة عند الاخفش اي ذنوبكم التي بينكم وبين ربكم دون المظالم ومنع سيبويه زيادة من الايجاب وقيل من للبدل اي بدل عقوبة ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى اي وقت معلوم في اللوح وهو الموت المقدر ان آمنتم والا يصيبكم العذاب قبل حلول الاجل تعجيلا قالوا للرسل ان انتم الا بشر مثلنا في الصورة ولستم ملائكة تريدون بقولكم هذا ان تصدونا اي تصرفونا عما كان يعبد آباؤنا من الاصنام فأتونا بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة على صحة دعواكم والمراد الآية المقترحة تعنتا قالت لهم رسلهم معترفين بالبشرية ان نحن الا بشر مثلكم كما تقولون وهو تسليم لهم في قولهم ولكن الله يمن اي يتفضل على من يشاء من عباده بالرسالة والحكمة وما كان لنا اي وما صح لنا ان نأتيكم بسلطان اي بحجة بينة الا باذن الله اي بتسهيله وامره وهو جواب لقولهم فأتونا بسلطان مبين وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي على المؤمنين ان يعتمدوا على الله في كل حال لان الامر كله بيد الله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ترك التوكل عليه وفيه توبيخ لانفسهم على تركه فقد هدانا اي عرفنا سبلنا اي طرق التوكل والهداية والنجاة التي نسلكها ولنصبرن على ما آذيتمونا لانه عرفنا اي لا ينال لاحد شيء الا بقضائه وقدره ونحن آمنا به وعلى الله فليتوكل المتوكلون اي فليعتمدون بعد الايمان به وكرر امر التوكل لان الاول لاستحداثه والثاني لطلب التثبت عليه اي فليثبتوا على توكلهم وفيه تحريض لغيرهم على الثبوت على التوكل وقال الذين كفروا لرسلهم الذين دعوهم الى ملة الاسلام لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن اي لتصيرون في ملتنا اي في دين الكفر وليس المراد الرجوع من العود لانهم ما كانوا في ملتهم قط وفيه تعزية للنبي عم ان يصبر على اذى مشركي مكة كما صبر الرسل قبله على اذى اممهم فاوحى اليهم اي قال للرسل ربهم لنهلكن الظالمين اي الكافرين بالرسل ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم من بعدهم اي بعد هلاكهم وهو اشارة الى ما قضى الله تعالى من هلاك الظالمين واسكان المؤمنين في اراضيهم ذلك اي ذلك النصر او ذلك الامر حق وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم لمن خاف مقامي اي قيامي عليه وحفظي لاعمالهم عن الحبوط او مقامه بين يدي يوم القيمة واضاف قيام العبد الى نفسه نظرا الى ادنى ملابسة هنا قيل تقوم الكفار بين يديه ثلثمائة عام لا يؤذن لهم فيقعدوا واما المؤمنون فيهون عليهم كما يهون عليهم الصلوة المكتوبة في الدنيا وهم الذين خافوا مقامه و

المتوكلون

خزي

تهوا نفوسهم عن الهوي **وَخَافَ وَعِيدِ** اي ولمن خشي عذابي قرأ بيا المتكلم وتركها اكتفاء بالكسرة فبعد ما انذر الرسل قومهم قطعوا رجاء الايمان منهم **وَاسْتَفْتَحُوا** عطف علي اوحي اليهم من الفتاحة وهي الحكومة اي طلبوا النصرة من الله تعالي علي قومهم بالدعاء لاهلاكهم او طلب الكفار النصرة من الله بقولهم اللهم ان كانت رسلنا صادقين فعذبنا ظنا منهم بانهم علي الحق فلا يعذبون او استنصر كل الفريقين فنصر المؤمنون **وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ** اي خسر عند نزول العذاب كل متكبر عن الايمان معاند للحق ومجانبه قيل الجبار الذي يجبر الغير علي مراده والعنيد الذي يعدل عن القصد او يابي عن قول لا اله الا الله ووصف حاله بقوله **مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ** اي قدامه او بعد موته جهنم معدة له في الاخرة يلقي فيها **وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ** اي مما يسيل من جلود اهل النار وفروج الزناة فصديد عطف بيان لماء **يَتَجَرَّعُهُ** اي يتحساه جرعة جرعة لا بمرة واحدة لمرارته وحرارته يتردد في حلقه لكراهته **وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ** اي لا يقارب ان يبتلعه **وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ** اي الم الموت من جميع جهاته الست من قدامه وخلفه وفوقه وتحته وعن يمينه وشماله وقيل من كل مكان من جسده روي انه من شعره وعرقه وجلده واصابعه يجد مرارة الموت **وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ** فيستريح **وَمِنْ وَرَائِهِ** اي بعد العذاب له **عَذَابٌ غَلِيظٌ** اي شديد لا يفتر وهو الخلود في النار او هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد قيل يقلق نفسه عند نحره لا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الي مكانها في جوفه فينفعه الحياة كقوله تعالي لا يموت فيها ولا يحيي ثم بين كيفية اعمالهم الخيرية وعاقبتها فقال **مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ** وهو مبتدا خبره محذوف اي صفة **أَعْمَالُهُمْ** في الدنيا فيما نقص عليك والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة اعمالهم مبتدا وخبره **كَرَمَادٍ** والجملة بيان للمثل ويجوز ان يكون مثل مبتدا واعمالهم بدلا منه بدل اشتمال وكرماد خبر المثل والمعني اعمال الذين كفروا بالله الذي هو خالقهم يوم القيامة يشبه رمادا **اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ** وقرئ الرياح اي قويت عليه فذرته **فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ** اي شديد ريحه والعصوف صفة الريح حذفت ووصف اليوم به مجازا يعني لا ينتفع الكفار في الآخرة باعمالهم الصالحة في الدنيا من صلة الرحم واكرام الضيف وفك الاسير وغير ذلك من خيراتهم وانما هي كرماد هبت عليه الريح الشديدة ففرقته الي جوانب الارض لبنائها علي غير اساس من معرفة الله والايمان والمراد منه بيان احباط الله ثواب اعمالهم الصالحة يوم القيمة **لَا يَقْدِرُونَ** اي الكفار **مِمَّا كَسَبُوا** في الدنيا **عَلَى شَيْءٍ** اي علي اثر من ثوابها في الآخرة كما لا يقدر

على شيء

علي شيء من الرماد المفرق بالريح القوية **ذَلِكَ** اي بعدهم عن ثواب اعمالهم او عن طريق الحق **هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ** الذي لا يدرك غايته فيرجي الخلوص منه ثم شرع في توضيح بعدهم في الضلال وعظم خطائهم في الكفر بالله لوضوح الآيات الدالة علي قدرته الباهرة وحكمته البالغة بقوله **أَلَمْ تَرَ** اي الم تعلم يا محمد **أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** وقرئ خالق وجر السموات اضافة اي خلقهما **بِالْحَقِّ** اي بالصدق والحكمة والغرض الصحيح ولم يخلقهما باطلا ولا شهوة وانما خلقهما لامر عظيم ارادة منكم وهو ان تعرفوه وتطيعوه ولا تعصوه **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ** اي يهلككم ان عصيتموه **وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ** سواء اطوع لله منكم علي شكلكم او علي خلاف شكلكم وهو اعلام منه تعالي باقتداره علي اعدام الموجود وايجاد المعدوم وتهديد شديد لهم ليخافوه ولا يعصوه **وَمَا ذَلِكَ** اي ليس اهلاككم وايجاد قوم اخرين **عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** اي بمتعذر او عسير بل هو عليه هين يسير لانه القادر بالذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فهو الحقيق بان يخاف عقابه من معصيته ويرجي ثوابه من طاعته في دار الجزاء والوفاء ثم اخبر عن حال الرؤساء والاتباع عند اجتماعهم للحشر والحساب بصيغة الماضي لصدق وعده كانه قد كان ووجد بقوله **وَبَرَزُوا** اي ويبرز الكفار من قبورهم يوم البعث ويظهرون **لِلَّهِ جَمِيعًا** اي لحسابه بلا ستر وعلموا ان الله لا يخفي عليه شيء فانكشفوا لله عند انفسهم ولا يكونون كما ظنوا في الدنيا ان ارتكاب الفواحش يخفي عليه تعالي **فَقَالَ الضُّعَفَاءُ** اي الاتباع توبيخا **لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا** عن الايمان بالرسل او تكبروا علي الناس وهم الرؤساء **إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا** جمع تابع مثل حرس وحارس وهو المستق بآثار من يتبعه **فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ** اي دافعون **عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ** او حاملون منه فمن الاولي للتبيين والثانية للتبعيض وهذه الجملة من باب التبكيت لهم لانهم قد علموا ان لا قدرة لهم علي الاغناء عنهم **قَالُوا** اي الرؤساء للاتباع معتذرين عما صدر منهم اليهم **لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ** اي لو ارشدنا الي الايمان بل لدعوناكم الي الايمان به ولكنه اضلنا فاضللناكم قيل هم يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فحينئذ يقولون **سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ** اي ملجاء نعتصم به والهمزة وام للتسوية والجملة متصلة بما قبلها من حيث ان العتاب منهم لهم كان جزعا مما هم فيه قال الحسن اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة يلوم اهل النار

ابليس ويقولون انت الذي اضللتنا عن طريق الحق في الدنيا فيقوم
ابليس مجيبًا عن قولهم ويصعد علي منبر من النار خطيبًا بالقول الحق ليزداد
حسرتهم وندامتهم فيجتمع عليه الكفار باللايمة من الجن والانس
ويخبطهم في النار وهو المراد بقوله وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ
اي فرغ من الحساب وقطع إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ الذي لاريب فيه
وهو البعث بعد الموت والحساب والجزاء والجنة والنار فوفا لكم وَوَعَدْ
تُكُمْ وعد الباطل بانه لاجنة ولانار ولا بعث ولاحساب ولاجزاء
فَأَخْلَفْتُكُمْ اي فكذبتكم الوعد وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ اي ولاية
تجبركم علي ما وعدته لكم اوحجة فيما دعوتكم اليه إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ استثناء
منقطع اي لكنما دعوتكم الي طاعتي واتباعي فَاسْتَجَبْتُمْ لِي اي اجبتم طوعًا
لدعوتي فَلَا تَلُومُونِي بدعوتي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ باجابتي واتباعي من غير
سلطان ولابرهان مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ اي بمغيثكم فاخرجكم من النار وَمَا أَنْتُمْ
بِمُصْرِخِيَّ بكسر الياء اصله مصرخين حذفت النون بياء الاضافة وادغمت ياء
الجمع فيها وكسرت علي الاصل وهو ضعيف عند النحاة لان ياء الاضافة مفتوحة
حيث قبلها الف نحو عصاي مع خفتها فما بالها وقبلها ياء مع نقلها وقيل
هو لغة بني يربوع وبفتحها تخفيفا إِنِّي كَفَرْتُ اي تبرأت بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ ما مصدرية
اي بجعلكم اياي شريكًا في عبادة الله او ما بمعنى الذي اي كفرت اي بالذي
اشركتموني فيه في العبادة وهو الله حين ابيت السجود لآدم مِنْ قَبْلُ
اي قبل هذا اليوم يعني في الدنيا فليس لكم عندي اجابة ولاعون ثم قال تعالي
او ابليس إِنَّ الظَّالِمِينَ بالكفر والمعصية لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اي وجيع دايم وَأُدْخِلَ
اي ادخلت الملائكة الَّذِينَ آمَنُوا اي وحدوا الله وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
اي ادوا الفرايض وانتهوا عن المحارم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ اي المياه
الجارية العذبة من اجناس مختلفة خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ اي بامره تَحِيَّتُهُمْ
اي ثناؤهم فِيهَا سَلَامٌ يعني يسلم بعضهم علي بعض او التحية من الله لهم سلام
او يسلم الملائكة عليهم تكرمة لهم ثم خاطب تعالي نبيه عليه السلام حثا لكفار
مكة علي التوحيد ونفيا للشرك بقوله أَلَمْ تَرَ اي الم تعلم يا محمد كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ
مَثَلًا اي بين شبها وتنصب كَلِمَةً طَيِّبَةً بدل من مثلا او بفعل مضمر وهو
جعل بدلالة ضرب والكلمة الطيبة شهادة ان لا اله الا الله او كل كلمة جميلة
كالتسبيح والتحميد والاستغفار والتوبة والاذان والدعوة الي الحق اي

اي جعلها كَشَجَرَةٍ اي كثمرة شجرة طَيِّبَةٍ اي حلوة وهي النخلة يعني ليس في الكلام شيء
اطيب من كلمة الاخلاص كما انه ليس في الثمار شيء احلي واطيب من الرطب
ثم وصف النخلة فقال أَصْلُهَا ثَابِتٌ اي اسفلها متمكن بعروقها في الارض وَ
فَرْعُهَا اي اعلاها ورأسها واغصانها مرتفعة فِي السَّمَاءِ اي نحوها تُؤْتِي أُكُلَهَا
اي تعطي ثمرها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا اي كل وقت عينه الله للاثمار بامره ومشيته
او بتيسيره وتكوينه وقيل المراد منه سنة كاملة لان النخلة تثمر بكل سنة وقيل
ستة اشهر من وقت اطلاعها الي صرامها وقيل اربعة اشهر من حين ظهورها
الي ادراكها وقيل شهران من حين يوكل الي الصرام وقيل كل حين يعني كل غدوة وعشية
لان ثمر النخل يوكل ابدا ليلا ونهارا صيفا وشتاء بسرا ورطبا او تمرا لاينقطع في
السنة فكذلك كلمة التوحيد اصلها ثابت في قلب المومن بالتصديق والمعرفة
واليقين اذا تكلم بها عرجت نحو السماء فلا تحجب حتي ينتهي الي الله تؤتي
ثمرها وهو اعماله الصالحة الصادرة عنه بالاخلاص تصعد اول الليل
والنهار واوسطهما وآخرهما ببركة ايمانه لاينقطع ابدا بل يتصل اليه في كل
وقت والسر في تمثيل كلمة الايمان بالشجرة هو ان الشجرة لاتكون شجرة الا بثلثة
اشياء عرق راسخ واصل قايم وفرع عال كذلك الايمان لايتم الا بثلثة اشياء
تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان ثم قالوا الحكمة في تشبيه
الكلمة المعهودة بالنخلة من بين ساير الاشجار ان النخلة اشبه الاشجار
بالانسان لان النخلة اذا قطع رأسها يبست وساير الاشجار يتشعب من
جوانبها بعد قطع رؤسها ولانها لاتحمل الا بالالقاح ولانها خلقت من فضلة طينة
آدم عم ولذلك قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اكرموا عمتكم قالوا ومن
عمتنا قال النخلة وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لان في ضرب الامثال زيادة افهام
وتصويرا للمعاني لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ اي يتعظوا بالتفكر في الامثال ويؤمنون
وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ اي كلمة الشرك كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ وهي الحنظل او الثوم
او الكشوث يعني المشقة اجْتُثَّتْ اي اقتلعت واستوصلت مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ
مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ اي ليس لها عرق ثابت راسخ فيها ولا فرع صاعد نحو السماء يجيء بها
الريح فيذهب بها من مكانها فكذلك كلمة الكفر من الكافر لا اصل لها من الحجة في الجنس
ولا فرع لها من الاعمال الصالحة لتصعد الي الله فتقبل فتضمحل عن قريب لبطلانها
يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا في دينه القيم بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ اي بقول لا اله الا
الله فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا اي قبل الموت وتثبيتهم به انهم اذا ابتلوا ببلاء من البلاء

افهام

قارغه دولكي دبعلى بنغ كه
غايب ايليه ارجميد
ارحمبر

ثبتوا في دينهم ولم يرتدوا عنه ولو عذبوا بانواع العذاب كالانبياء المتقدمين
والصالحين من كل امة او عند النزع او عند السؤال في القبر حين يقال للمؤمنين
من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد عم
او يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وفي الآخرة اي يثبتهم على
ذلك القول بعد الموت في القبر او عند البعث بانهم اذا سئلوا عن اعمالهم اجابوا
من غير تحير ودهش من اهوال يوم القيامة ويضل الله الظالمين بالكفر والمعصية
يعني انهم لا يثبتون في مواقف الفتن في الدنيا بان تزل اقدامهم اول شيء وكذلك
لا يرشدهم الى الجواب بالصواب في القبر والحشر ويفعل الله ما يشاء من التوفيق
والخذلان والتثبيت وترك التثبيت لا اعتراض عليه فيما يفعل ويريد لان مشية
الله تابعة للحكمة من التثبيت للمؤمنين والاضلال للظالمين روي عن النبي عم
ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه يسمع قرع نعالهم اتاه ملكان
ازرقان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد عم فاما المؤمن
فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك
الله به مقعدا في الجنة فيراهما جميعا واما المنافق والكافر فيقال ما كنت تقول
في هذا الرجل فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت
اصله تلوت ويضرب بمطارق من حديد يسمعها من يليه غير الثقلين وروي
انه عم كان اذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسئلوا
له بالتثبيت فانه الآن يسأل ثم قال تعالى لنبيه توبيخا لكفار مكة باختيارهم الكفر
مكان الشكر بمجيء محمد عم رسولا يهديهم الى الرشد الم تر الى الذين بدلوا نعمة
الله اي شكرها كفرا حيث اسكنهم حرمه واكرمهم بارسال محمد عم والقرآن اليهم
فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم الشكر العظيم واحلوا قومهم دار البوار اي انزلوا
من تابعهم على كفرهم دار الهلاك جهنم عطف بيان يصلونها اي يدخلونها
يوم القيمة وهو نصب على الحال وبئس القرار اي المستقر جهنم وقيل هم كفار
قريش نحروا يوم بدر لاستيصال العرب وجعلوا لله اندادا اي امثالا يعني
شركاء وليس لله شريك ليضلوا بفتح الياء اي ليخطؤا الطريق وبضمها اي
ليصرفوا الناس عن سبيله عن الهدى واللام فيه لام العاقبة لا للغرض
قل يا محمد لهم تهديدا تمتعوا اي عيشوا في الدنيا فان مصيركم الى النار
يوم القيمة لتعذبوا لا الى الجنة لتستريحوا قل لعبادي الذين آمنوا بالياء
وفتحها وتركها اكتفاء بالكسرة وجواب الامر يقيموا الصلوة وهو بدل على المقول

المقدر

المقدر تقديره قل لعبادي المؤمنين اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموها وينفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية اي انفاق سر وعلانية على السائل يعني
الاخفاء في انفاق الصدقة والاعلان في انفاق الواجب او ذوي سر
وعلانية يعني مسرين ومعلنين من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه اي
لا انتفاع بمبايعة فيه بالفداء ولا خلال اي ولا انتفاع بمخالة وصداقة
للشفاعة كما اذا نزل بهم شدة في الدنيا ينادون ويشفع لهم خليلهم
وليس شيء من ذلك في الآخرة انما ينفعهم اعمالهم الصالحة قرئ بفتح العين
واللام وبالرفع والتنوين فيهما ثم ذكر تعالى منته على عباده ليعرفوها و
يشكروا ربهم بقوله الله مبتداء وخبره الذي خلق السموات والارض
دلالة على قدرته وتوحيده وانزل من السماء ماء اي مطرا نافعا فاخرج
به من الثمرات بيان لما بعده وهو رزقا لكم اي سببا لعيشكم وسخر اي ذلل
لكم الفلك اي ركوبها لتجري في البحر بامره اي باذنه وسخر لكم الانهار اي المياه
الجارية تجرونها حيث شئتم من بساتينكم وزروعكم وبيوتكم وسخر
لكم الشمس والقمر دائبين حال من الشمس والقمر اي مطيعين على الدوام يعني سخر
لكم ضوءهما تنتفعون به وجريانهما لاجل معرفة السنين والشهور والحساب يعني
انهما يجريان لاجلكم لا يفتران قال ابن عباس دورانهما في طاعة الله وسخر لكم
الليل والنهار اي يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان تستقرون
بالليل للمنام والاستراحة وتتحركون بالنهار التماسا لمعاشكم وحوايجكم وآتيكم
من كل ما سألتموه اي اعطاكم بعض جميع ما طلبتموه من الله بلسان الحال مصلحة لكم
فمن للتبعيض وما موصولة اضيف اليه كل ويجوز ان يكون نكرة بمعنى شيء من اضمار
شيء آخر تقديره واتاكم من كل شيء سألتموه شيئا فحذف الشيء الثاني اكتفاء بدلالة الكلام
على التبعيض وقيل هو على التكثير كما يقال فلان يعلم من كل شيء وان تعدوا نعمة الله
اي نعمة التي انعمها عليكم لا تحصوها اي لا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها على الاجمال
لكثرتها واعظم النعم الهام المعرفة والخلقة من الاحصاء وهو وضع الحصاة في الحساب
اذا بلغ عقدا واستيناف العدد بعده حتى ينتهي الحساب يعني لا يوجد لها
غاية فتوضع حصاة فيها او المعنى لا يقدروا على اداء شكرها ان الانسان
اي الجنس لظلوم اي يظلم على نفسه باغفال الشكر او يشكو ويجزع كفار
اي ستار لنعم ربه لانه يجمع ويمنع وهو مامور بعدم الجمع والمنع واذ قال
ابراهيم اي اذكر وقت قوله رب اي يا خالقي ومالكي اجعل هذا البلد اي مكة

آمنًا اي ذا امن فيه من القتل والغارة وغيرهما من الخوف فعرف هنا ونكر
في سورة البقرة لان النكرة اذا تعرفت بلام العهد ليعلم ان الثاني هو الاول
بعينه واجنبني اي ابعدني وابعد بنيّ ان نعبد الاصنام اي من عبادة الاوثان
وكانت انصابا حجارة في البيت لكل قوم يعبدونها والدعاء في حق ابراهيم خليل
الله لزيادة العصمة والتثبيت ودعاؤه في حق بنيه كذلك لانه اراد بنيه من صلبه
ولم يعبد احد منهم الصنم فالمعنى يا رب ثبتنا وادمنا على عدم عبادة الاصنام وفيه دليل
ان المؤمن لا ينبغي له ان يأمن على ايمانه بل له ان يتضرع الى الله ويسأل التثبيت على
الايمان وقتا فوقتا ثم قال ابراهيم رب انهن الاصنام اضللن كثيرا اي ضل
بسببهن كثير من الناس عن طريق الهدى حتى عبدوهن فاعوذ بك لان تعصمني وبنيّ
من ذلك فمن تبعني بالايمان بي فانه مني اي من اهل ديني حنيفا مسلما ومن عصاني
اي ومن لم يطعني بالتوحيد فانك غفور رحيم بان توفقه ويتوب فيسلم وتغفر
له ما سلف منه او المعنى ومن عصاني فيما دون الشرك وقيل قال ذلك قبل ان يعلمه
الله انه لا يغفر الشرك ثم قال ابراهيم ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي
ولدا وهو اسمعيل بواد غير ذي زرع اي بارض مكة لانها واد بين جبلين لم يكن
ماء ولا حرث عند بيتك المحرم وهو الكعبة ويسمى محرما لانه عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها
او لانه حرم على الطوفان ان يناله او لانه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره من الاصطياد
والقتال والدخول فيه بغير احرام او لانه تعالى حرم التعرض له بسوء يوم خلق السموات
والارض قيل ان سارة كانت زوجة ابراهيم عم وكانت لها جارية اسمها هاجر فوهبتها
من ابراهيم فلما ولدت منه اسمعيل غارت سارة وحلفته ان يخرجهما من الشام
فاخرجهما الى ارض مكة ثم جاء بها وبابنها وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة
فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء ووضع عندها جرابا
فيه تمر ثم رجع الى سارة فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا
بهذا الوادي الذي ليس فيه انس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا فلم يلتفت اليها فقالت
الله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت الى ابنها فانطلق ابراهيم حتى
اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الكلمات ورفع
يديه فقال ربنا اني اسكنت الى قوله يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضعه وتأكل
التمر وتشرب الماء حتى اذا نفد التمر والماء وعطشت هي وابنها فجعل يتلبط فذهبت
عنه كراهة ان تنظر اليه فصعدت الصفا تنظر لترى احدا فلم تر احدا ثم نزلت
اسفل الوادي ورفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى اتت المروة

وقامت عليها ونظرت لترى احدا فلم تر احدا فعلت ذلك سبع مرات فلذلك
يسعى الناس بينهما بعد الطواف سبع مرات فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا
فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه بيدها
وتغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال النبي عم رحم الله ام اسمعيل
لو تركت زمزم او قال لم تغرف من الماء عينا معينا فشربت وارضعت ولدها فقال
الملك لا تخاف الضيعة فان ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وابوه وان الله لا
يضيع اهله واللام في قوله ربنا ليقيموا الصلوة يتعلق بقوله اسكنت
اي ما اسكنت ذريتي عند بيتك المحرم الا ليقيموا فيه الصلوة وخصصها
بالذكر لانها افضل العبادات ثم قال فاجعل افئدة من الناس اي من افئدة
الناس فمن للتبعيض تهوي اي تميل باشتياق وتسرع اليهم الى موضعهم الشريف
قيل لو قال افئدة الناس لزاحمتهم فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارى
والمجوس في الحج فالمراد المسلمون خاصة وارزقهم من الثمرات اي من الفواكه
المختلفة مع سكناهم في هذا الوادي الخلاء من كل مرتفق بان تجلب الى مكة من
البلاد وقيل هي ما رزقت سكان القرى حولها ذوات الماء لعلهم يشكرون
اي لكي يشكروا فيما رزقتهم فاستجيب دعاؤه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات
كل شيء من البواكير المختلفة الازمان الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
ثم قال ابراهيم ربنا انك تعلم ما نخفي من الوجد باسمعيل وهاجر والحب لهما
وما نعلن عند سارة من الصبر عنهما او ما جرى بيني وبين هاجر من قولها عند
الوداع الى من تكلنا وقولي في جوابها الى الله وقولها عقيبه اذن لا يضيعنا
الله وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء اي من عمل اهلهما
فانت اعلم باحوالنا فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية
لك وتخشعا لجلالك وتذللا لعزتك فافعل بنا ما فيه مصلحتنا فهو كلام ابراهيم
وقيل هو كلام الله تعالى تصديقا لابراهيم والاول اظهر لقوله بعده الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر في موضع الحال وعلى بمعنى مع اي والحال اني كبير السن وهو ابن
تسع وتسعين سنة وانما ذكر تلك الحالة لان المنة بهبة الولد فيها اعظم اذ هو
حال اليأس من الولادة ولذلك حمد الله تعالى على ان وهبه في ذلك السن اسمعيل
واسحق اي وكان اسمعيل اكبر من اسحق بثلث عشرة سنة لانه ولد وهو ابن
مائة واثنى عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي يتقبل من الداعي المخلص واعتد
به من قولك سمع الملك كلام فلان اذا قبله واعتبره رب اجعلني مقيم الصلوة

لصادفت صح

ليقيموا صح

اي مُتِمًّا بارکانها والمحافظ عليها **وَمِن ذُرِّيَّتِي** عطف علي الياء في اجعلني اي
اجعل منهم من يقيمون الصلوة ويحافظونها ومن فيه للتبعيض لانه عليم باعلام
الله انه يكون في ذريته كفار كما في قوله لاينال عهدي الظالمين **رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**
اي استجب ولا ترده او تقبل عبادتي سميت به لان الدعاء مخ
العبادة كما جاء في الحديث **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ** اي لامي وابي بشرط اسلامهما
وقيل اراد آدم وحوا وقيل انه من مجوزات العقل وكان قبل ان ينهاه الله تعالى
عن استغفار الكفار وقد بين الله عز وجل عذر خليله في استغفاره لابيه
في سورة التوبة **وَلِلْمُؤْمِنِينَ** اي واغفر لجميعهم **يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** اي يظهر
ويثبت محاسبة للخلق او يقوم اهل الحساب من القبور بتقدير المضاف
لان قيامه حق لايخلف الله وعده ثم نزل تسلية للمظلوم لقيام الساعة و
ظهور الجزاء والحساب قوله **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ** بكسر السين وفتحها لا تظنين الله
يا محمد **غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** اي لايخفي عليه اعمالهم وهو تثبيت للمخاطبين
وهو الرسول عم علي ما كان عليه ويجوز ان يكون خطابا لغير النبي عم علي
العموم المعني ان الله رقيب عليهم ومحاسب بالنقير والقطمير ولو شاء لعجل
عقوبتهم في الدنيا **إِنَّمَا نُؤَخِّرُهُمْ** بالنون وبالياء اي يمهلهم **لِيَوْمٍ** اي لاجل يوم
تَشْخَصُ اي ترتفع وتزول **فِيهِ** اي في ذلك اليوم **الْأَبْصَارُ** منهم عن اماكنها الهول
ماترى اولا تغتمض لذلك من شخص بصر فلان اذا فتح عينيه ولم يتحرك اجفانه
لتغتمض عن الهيبة والمراد ادامة النظر اي المرتفع الخوف **مُهْطِعِينَ** اي مسرعين
الي اجابة الداعي الي النار وهو حال من الابصار بتقدير المضاف اليه في المعني اي ابصارهم
من اهطع البعير اذا اسرع في سيره ومعني الاسراع انهم لايلتفتون يمينا ولا شمالا او
لايعرفون مواطئ اقدامهم **مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ** اي رافعيها ملتصقة باعناقهم قيل المقنع الذي
يرفع رأسه ويقبل ببصره علي ما بين يديه مفتوحا وقال الحسن وجوه الناس يوم القيمة
الي السماء لاينظر احد الي احد ولا يطرف جفنيه وهو معني قوله **لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ**
اي لا يرجع بصر الكفار الي انفسهم من شدة النظر فهي خاشعة قد شغلهم ما بين ايديهم
وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ اي وقلوبهم خالية من كل خير كالهواء ما بين السماء والارض ولذلك سمي
الهواء ما بينهما لخلوه وقيل يعرف شيئا ولا يعقل من الخوف وقيل افئدتهم مترددة
في اجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ثم قال تعالى للنبي عم **وَأَنذِرِ النَّاسَ** اي خوفهم
يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ نصب بانه مفعول ثان لانذر وهو يوم القيامة **فَيَقُولُ الَّذِينَ**
ظَلَمُوا اي اشركوا وتجاوزوا الحد في ذلك اليوم **رَبَّنَا أَخِّرْنَا** اي امهلنا **إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ**

لترجع الدنيا **نُجِبْ دَعْوَتَكَ** الي الاسلام والعمل الصالح **وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ** فيما جاؤنا
به فعند ذلك يجابون توبيخا علي انكارهم البعث بالاستفهام بان يقال لهم
أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم اي حلفتم **مِّن قَبْلُ** في دار الدنيا قبل هذا اليوم **مَا لَكُم**
مِّن زَوَالٍ عن الدنيا الي الآخرة لعدم ايمانكم بها وهو قوله واقسموا بالله
جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت **وَسَكَنتُمْ** اي قررتم في الدنيا واطمأننتم
بطيبة النفوس **فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ** بالشرك والفساد
كقوم نوح وعاد وثمود **وَتَبَيَّنَ لَكُمْ** بالمشاهدة والاخبار **كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ**
اي عرفتم عقوبتنا اياهم **وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ** اي بينا مثلكم كمثلهم يعني وصفنا
لكم ما فعلوا وما فعل بهم كفعلكم وما ينزل بكم من العقوبة كعقوبتهم وذلك في الغرابة
كالمثل السائر بين الناس **وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ** اي صنعوا صنيعهم العظيم وهو
تكذيب الرسل قبلكم **وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ** اي جزاء صنيعهم العظيم عنده المحقق
لايخفي علمه عنه فيأتيهم به من حيث لايشعرون **وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ**
بكسر اللام الاولي وهي لام كي وفتح الثانية فان مخففة اي انه كان مكرهم او هي
نافية ومعناه ما كان مكرهم لتزول **مِنْهُ الْجِبَالُ** اي امر محمد الذي ثابت كثبوت
الجبال وبفتح الاولي ورفع الثانية فان مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد ومعناه
انه كان مكرهم وان عظم حتي بلغ محل يزيل الجبال لم يقدروا علي ازالة امر محمد عم
فالمراد بيان تعظيم مكرهم وتغليب امر محمد عم علي مكرهم بجوده وقهرهم
بنصر الله اياه عليهم قوله **فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ** فيه تقديم
وتأخير وهو ان المفعول الثاني قدم علي الاول للاعلام بانه لايخلف وعده ابدا في
نزول العذاب بكفار مكة سواء عجلوا يعني ليس من شانه اخلاف الوعد فكيف
يخلفه رسله الذين هم خيرته تقديره مخلف رسله وعده واضافة مخلف
الي الوعد من قبيل الاتساع **إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ** علي اعدائه **ذُو انتِقَامٍ** لاوليائه
قوله **يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ** ظرف لانتقام او نصب باذكر مقدرة اي اذكر
يا محمد يوم تتغير الارض **غَيْرَ الْأَرْضِ** اي بغيرها وهي ارض جديد لم يكن بنو آدم
عليها بيضاء نقية لم يعمل فيها بالفساد والمعاصي ويكون من فضة خالصة
كالصحايف وقيل تبدل بخبزة بيضاء فيأكل المؤمنون من تحت اقدامهم
حتي يفرغ عن الحساب قال عم يكون الارض يومئذ خبزة واحدة يتكفأها
الجبار بيده كما يتكفأ احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة وقيل تبديلها تغيرها
من هيئة وهو تسيير جبالها وتسوية اوديتها وقطع اشجارها وجعلها قاعا

صفصفا والسموات اي تبدل السموات بغيرها وهي سماء جديدة
من ذهب بلا شمس وقمر وساير النيران وقيل تغيرها الها بتكوير شمسها
وخسوف قمرها وانتثار نجومها وكونها مرة كالدهان ومرة كالمهل
وانشقاقها وكونها ابوابا مطوية كالسجل وقيل جعلت الارض
نيرانا والسموات جنانا وسالت عايشة رضي الله عنها رسول الله
اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال علي الصراط وقيل سأله
حبر من احبار اليهود عن ذلك فقال ع م هم في الظلمة دون الجسر وبرزوا
اي خرجوا من قبورهم لله الواحد القهار اي الغلاب علي خلقه فيصعب
الامر عليهم في غاية الصعوبة والشدة لان الملك اذا كان بواحد غلاب
فلا مستغاث لاحد الي غيره ولا مستجار وترى المجرمين اي المشركين
من رؤية العين يومئذ مقرنين اي مشدودين في الاصفاد اي في القيود
جمع صفد وهو القيد حال المجرمين يقرن بعضهم مع بعض او يقرنون مع شياطينهم
وقيل تشد ايديهم وارجلهم الي رقابهم بالاغلال سرابيلهم جمع سربال وهو القميص
اي قمصهم من قطران وهو المايع الذي يطلي بها الابل الجرباء لتشفي من جربها لانه
يحرق الجرب بحره وفيه ثلث لغات فتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وفتحها
مع كسر الطاء قيل تطلى به جلود الكفار فتصير قميصا لهم فيضطرم عليهم نارا لان
من شانه ان يسرع به اشتعال النار وتغشى اي تعلو وجوههم النار
وهم لا يتقون منها ليجزي اللام فيه لام كي يتعلق بقوله برزوا اي ليعاقب
الله كل نفس بما كسبت من خير وشر ان الله سريع الحساب اي اذا حاسب
فحسابه سريع هذا اي القران او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الي قوله سريع الحساب
بلاغ اي كفاية وعظة للناس ليوعظوا ولينذروا به اي ليخوفوا بالقران
عن الشرك والمعصية وليعلموا انما هو اله واحد اي ليعرفوا توحيده بالنظر
الصحيح بسبب هذه الايات وليذكر اي ليتعظ اولوا الالباب اي ذووا العقول
الكاملة جمع لب وهو جوهر العقل السليم سورة الحجر مكية
بسم الله الرحمن الرحيم
الر اي انا الله الرقيب علي كل شيء تلك اي هذه ايات الكتاب الكامل
في كونه كتابا معجزا وقران مبين اي بين حلاله وحرامه ورشده ونصحه
وتنكيره للتفخيم وعطفه علي الكتاب وان كان هو بيان كونه جامعا للكمال
في بيان الحق من الباطل وقيل المراد من الكتاب التورية والانجيل والمراد بالقران

ما انزل علي محمد ع م وقيل الواو للقسم ربما بالتخفيف والتشديد ورب
للتقليل يدخل علي الاسم ومع ما يدخل علي الفعل الماضي يقال رب رجل جاءني و
ربما جاءني رجل وهي كافة او نكرة موصوفة ودخلت هنا علي المستقبل وهو
يود الذين كفروا لان اخباره تعالى عن الاتي صدق فصار كالماضي في تحقيقه
اي رب يوم او حال يتمني الكافرون لو كانوا مسلمين في الدنيا ولو بمعني ان المصدرية
اي الاسلام وذلك اذا عاينوا يوم القيامة او يوم الموت او حال من اسلم عند
دخول الجنة او وقت الشفاعة قال ع م لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى
يقول من المسلمين فيدخلون الجنة فيتمنون الاسلام والمشهور انه حين يخرج
الله المسلمين من النار عن موسى الاشعري عن النبي ع م قال اذا اجتمع اهل النار
في النار ومعهم من يشاء الله من اهل القبلة يقول الكفار لمن في النار من اهل القبلة الستم
مسلمين قالوا بلي قالوا فما اغني عنكم اسلامكم وانتم معنا في النار قالوا كانت
لنا ذنوب فاخذنا بها فيفضل الله لهم بفضله ورحمته فيامر بكل من كان من اهل القبلة
في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قيل ربما للتقليل وهذا
الذي يكثر من الكفار اجيب بان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة وانما يخطر ذلك ببالهم
احيانا ثم قال تعالى لنبيه ذرهم اي اتركهم يأكلوا ويتمتعوا في الدنيا من لذاتها
ويلههم اي يشغلهم الامل عن الاخذ بحظهم من الايمان والطاعة فسوف يعلمون
سوء صنيعهم اذا وردوا القيمة وذاقوا وبال كفرهم وعملهم وهذا تهديد عظيم لهم
ولا شك ان التمتع بلذات الدنيا والركون اليها في اخلاق الهالكين ونسخت الاية
باية السيف وما اهلكنا من قرية اي اهلها الا ولها كتاب معلوم الجملة صفة قرية
وتوسط الواو بين الموصوف والصفة لتاكيد لصوق الوصف به اي الا لها اجل مكتوب
في اللوح المحفوظ مبين لا يتقدم عليه ولا ياتيهم العذاب حتى يبلغوه وله يتاخر عنه بوضح
قوله ما تسبق من امة اجلها المعلوم ومن زائدة بعد النفي لتاكيد العموم وما
يستاخرون عنه يعني الموت لا يتقدم وله يتاخر والمراد الاجل المضروب للعذاب
وقالوا اي كفار مكة استهزاء يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القران بزعمك
وارادوا به محمدا ع م انك لمجنون اي لتقول قول المجانين بان الله ينزل عليك القران
لو ما اي هلا تاتينا بالملائكة شاهدين لك بالصدق علي ما تقول ان كنت من الصادقين
انك نبي ومرسل وان العذاب نازل بنا ثم قال تعالى ما تنزل الملائكة الا بالحق اي
بالوحي او بالعذاب للكفار وقبض ارواحهم قرئ بالنون وتشديد الزاء معلوما وبضم
التاء وفتح الزاء بالتشديد مجهولا وبفتح التاء والزاء والتشديد ورفع الملائكة فاعلا

الكافرون باليقين [illegible]

لهم

وما كانوا اذا منظرين اي ولو نزلت الملائكة لم يكونوا موخرين طرفة عين بالامهال وعذبوا في الحال فاذن جواب لهم وجزاء بشرط مقدر وقوله انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم بالتاكيد في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي انا منزلون على القطع الذكر بجبرئيل على محمد عم واكد ذلك بقوله وانا له اي للذكر وهو القرآن او لمحمد عم لحافظون من ان يزيد فيه الشيطان او ينقص عنه فانه تولى حفظه من الزيادة والنقصان ومن التحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها بل استحفظها الربانيون والاحبار فلذلك وقع الاختلاف فيما بينهم ووقع التحريف والتبديل فيها او نحن لحافظون محمدا من سوء ونقص وشر الاعداء كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ثم قال تسلية للنبي عم ولقد ارسلنا من قبلك اي لقد بعثنا قبلك يا محمد انبياء في شيع الاولين اي في فرقهم وطوائفهم والشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن اي كما استهزوا بك فاصبر كما صبروا وهو حكاية حال ماضية لان ما النافية لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال كذلك اي مثل ذلك السلك نسلكه اي ندخل الذكر للتكذيب او الكفر في قلوب المجرمين اي مشركي قومك فان كان الضمير للذكر فالمعنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير مقبول وان كان للكفر كان المعنى انه يدخل في قلوبهم حلاوة الكفر الى الموت للعذاب المؤبد لا يؤمنون به حال من المجرمين اي يصدقون بالذكر او بمحمد او بالعذاب وقد خلت اي مضت سنة الاولين اي طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين كذبوا رسلهم وفيه تهديد لاهل مكة ولو فتحنا عليهم اي على الذين يقولون لوما تاتينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا اي فصارت الملائكة فيه اي في ذلك الباب يعرجون اي يصعدون وينزلون منه نهارا وترى هؤلاء الكفار صعودهم ونزولهم عيانا وقيل الضمير في ظلوا لهؤلاء الكفار اي هم صاروا يصعدون والاول اصح عند المفسرين لقالوا انما سكرت مخففا ومثقلا اي اخذت او حيرت او سدت ابصارنا يعني منعت اعيننا عن ادراكهم بل لقالوا نحن قوم مسحورون اي سحرنا محمد فما رايناه خيال لا حقيقة له لشدة غلوهم في العناد ثم قال اظهارا للقوة الباصرة ليعتبروا فيؤمنوا ولقد جعلنا في السماء بروجا اي نجوما كبارا من برج الشيء اذا ظهر والمراد منازل الشمس والقمر وهي اثني عشر برجا

الحمل

الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت او قصورا في السماء عليها الحرس وزيناها اي السماء بالنجوم للناظرين اي لمن نظر اليها واعتبر وحفظناها السماء بالنجوم من كل شيطان رجيم اي مرجوم بالتشهيب او مطرود عن رحمة الله قوله الا من استرق السمع في محل النصب على الاستثناء المنقطع اي لكن من اختلس السمع خلسة او في محل الجر بدلا من كل شيطان او في محل الرفع على الابتداء ومن شرطية فلذا دخلت الفاء السببية في قوله فاتبعه اي فلحقه شهاب مبين اي نجم مضيء للمبصرين متوقد محرق بناره والشهاب في اللغة كل ابيض مضيء وقيل هو شعبة من النار قال ابن عباس ان الشيطان يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة الذين يتكلمون بما هو كائن في الارض فيرمونهم بالكواكب فلا يخطي ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه او يده او جنبه او حيث شاء الله ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي قيل ان النجم ينقض من مكانه ويرمي الشيطان بالهيبة ثم يعود الى مكانه وقيل يرميه بلهبه وهو تعدل في مكانه عن ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون الى الكهنة فيكذبون مائة كذبة من عند انفسهم فلما ولد عيسى عم منعوا عن ثلث سموات فلما ولد محمد عم منعوا من السموات اجمع فلما منعوا منها ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم فوجدوا رسول الله يقرأ القرآن فقالوا هذا والله حدث قال معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم افرايت قوله انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال لكن غلظ وشدد امرها حين بعث محمد عم قوله والارض مددناها عطف على قوله ولقد جعلنا في السماء بروجا اي الارض بسطناها على وجه الماء قيل انها مسيرة خمسماية عام في مثلها دحيت من تحت الكعبة والقينا اي خلقنا وطرحنا فيها اي عليها رواسي اي جبالا ثوابت كي لا يتحرك وقد كانت الارض تميل الى ان ارسى الله الجبال وانبتنا فيها اي في الارض من كل شيء موزون اي مقدر معلوم بميزان الحكمة لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان من الحبوب وغيرها وقيل ما يوزن من الجواهر كالذهب والفضة والحديد وغيرها حتى الكحل والزرنيخ كل ذلك يوزن وزنا وقيل المراد كل ما يوزن نعمة ومنفعة من الاشياء وجعلنا لكم فيها معايش بالياء الصريحة دون الهمزة جمع معيشة بخلاف الشمائل والخبائث فان تصريح الياء خطاء والصواب الهمزة اي المطاعم والمشارب والملابس

قوله ومن لستم له برازقين عطف على معايش اي وجعلنا فيها الذي
لستم تعطون رزقه من الدواب والانعام فمن بمعنى ما والمراد العبيد و
الصبيان والدواب فمن في موضعها المعنى ان الله هو رازق كل مرزوق فلا
تعتقدوا انكم ترزقون احدا ثم بين ذلك بقوله وان من شيء في الارض والهوا
مما يحتاج الى الرزق الا عندنا خزائنه اي مفاتيح رزقه وهي المطر او ضرب
الخزاين مثلا له قتداره وتصرفه على كل مقدور اي ما من شيء الا ونحن قدرتنا
محيطة به ونحن المتصرفون فيه وما ننزله الا بقدر معلوم اي ما ننزل المطر
على الارض الا بوزن معين عندنا مخصوص على قدر المصلحة وما نوجد مع
كثرته واقتدارنا عليه الا بحد مقدر وحساب معلوم لنا قيل ما تنزل من
السماء قطرة الا ومعها ملك يسوقها حيث يريد الله قال ابن عباس كانت
الخزان يعلمه الا يوم الطوفان فان الماء الذي به اغرق قوم نوح طغى عليهم
وكثر بقدرته وارادته فلم يحفظوه وقد خرج يومئذ ما يخرج اربعين يوما
وارسلنا الرياح مفردا وجمعا على تاويل الجنس لواقح اي حوامل لانها تحمل الماء
الى السحاب جمع لاقحة وهي ناقة تحمل الولد او اللواقح بمعنى الملحقات يعني يرسل
الله الريح فتلقح السحاب اي تجعلها ذات حمل كالفحل تلقح الانثى ثم تمر به فتدر
اللقحة ثم يمطر قيل لا تقطر قطرة من السماء الا بالرياح الاربعة فالصبا تهيجه
والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه قيل استعمال الريح للشر والرياح
للخير قال ابن عباس ما هبت ريح قط الا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه
وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا والحديث محمول على الغالب لانه قد جاء في القرآن الريح بمعنى الخير كما في
قوله بريح طيبة فانزلنا بارسالها من السماء ماء فاسقيناكموه اي
جعلنا المطر لكم سقيا تشربونه يقال سقى واسقى بمعنى واحد وقيل سقيت
الرجل ماء اذا اعطاه ليشرب واسقيته اذا اعطاه ليشرب ارضه او ماشيته
وما انتم له اي للمطر بخازنين اي بحافظين في خزائنكم بل نحن الخازنون
الحافظون في خزائننا فنتصرف فيه اذا نشاء وانا لنحن نحيي ونميت اي
نحيي الارض ايام الربيع ونميتها ايام الخزين او نحيي للبعث ونميت في الدنيا فلا يبقى
حي سوانا ونحن الوارثون اي المالكون او الباقون بعد فناء الخلق قوله و
لقد علمنا المستقدمين اي الاموات منكم او من يتقدم في صف الصلوة
او صف القتال ولقد علمنا المستأخرين اي الاحياء ومن يجيء منكم او

من

من يتاخر في صف الصلوة او صف القتال والمستقدمين هم القرون الاولى
والمستاخرين امة محمد عم او السابقون في الطاعة والخير والمبطئون
عن ذلك والاولون هم المصلون في اول الوقت والآخرون المصلون
في آخره او الاولون والآخرون في الاسلام اشارة الى ان الله عز وجل عالم
بالكليات والجزئيات من الموجودات كلها قيل نزلت الآية حين كانت
امرأة حسناء تصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم وكان بعض الناس
يتقدم الصف الاول لان يراها ويتاخر عند الركوع ابطه وان ربك
هو يحشرهم اي هو يجمعهم يوم القيمة على علم منهم فيجازي كلا بعمله انه حكيم
حيث حكم بحشر الاولين والآخرين للجزاء والحساب عليم اي واسع العلم
حيث يعلم احصرهم مع افراد كثرتهم وحصر جميع اعمالهم مع تباعد اطرافها
واعدادها قال عم من مات على شيء بعثه الله عليه ولقد خلقنا الا
نسان اي آدم عم من صلصال اي من طين مصوت اذا صوت من اليبس
عند نقره وقيل الصلصال هو الطين الذي اذا نضب عنه الماء تشقق و
اذا حرك تقعقع وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم اذا انتن وفسد من حماء
محله جر صفة صلصال جمع حماة وهو الطين الاسود مسنون اي متغير الرائحة
او ما انه السنون او مصورا او مصبوب مفرغ من سنيت الماء اذا صببته
يعني مفرغ من الطين صورة الانسان كما يفرغ النحاس من الجواهر في صورة اناء
وغيره روي ان الله تعالى خمر طينة آدم وتركه حتى صار متغيرا اسود ثم خلق
منه آدم عم والجان وهو ابو الجن كما ان آدم ابو البشر وقيل هو ابليس ابو
الشياطين خلقناه من قبل اي قبل آدم من نار السموم وهي حارة فيها
نار تدخل مسام الانسان فيقتله وقيل هي نار بين السماء والحجاب والصاعقة
منها قيل الجن فيهم مسلمون وكافرون ويحيون ويموتون ويتوالدون و
ياكلون ويشربون بمنزلة الآدميين واما الشياطين فليسوا فيهم مسلمون
ويموتون اذا مات ابليس وروي ان ابليس من حي من الملائكة يقال لهم
الجن خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من
نار واما الملائكة فهو خلقوا من النور وقيل نفس اسرافيل واذ قال ربك
اي اذكر قول ربك للملائكة اي ملائكة الارض الذين هم مع ابليس
سكان الارض اني خالق اي ساخلق بشرا من صلصال من حماء مسنون
فاذا سويته اي اتممت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه

من روحي اي احييته وليس ثمة نفخ لانه محال على الله بل هو تمثيل لالقاء حيوة في شيء ليحيي والروح جسم لطيف يحيي به الانسان واضافه الي نفسه تشريفا لادم فقعوا امر من الوقوع اي تخروا له اي لادم ساجدين سجدة تحية لا سجدة عبادة وهي بنية تعالى فسجد الملائكة الذين امروا بالسجود كلهم اجمعون ذكر كلاهما تاكيدا لانه من المحتمل انه سجد بعضهم فذكر كلهم ومن المحتمل انهم سجدوا متفرقين في اوقات مختلفة فدفع ذلك بذكر اجمعون قيل ان الله قال لجماعة من الملائكة لم يكن ابليس معهم اسجدوا لادم فلم يفعلوا فارسل الله عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى فيهم ابليس اسجدوا لادم فسجد الملائكة الا ابليس ابى اي امتنع من ان يكون مع الساجدين تعظما واستكبارا عن السجود لادم مع الملائكة قال الله تعالى يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين اي مع الملائكة في السجود الذي امرتكم به قال ابليس لم اكن لاسجد واللام فيه للتاكيد اي لا يصح ويستحيل ان اسجد لبشر خلقته من صلصال اي من طين متقعقع من حمإ مسنون اي اسود متغير يعني منتن لاني افضل منه ولا يصح ان يسجد الفاضل للمفضول قال الله تعالى فاخرج منها اي من الجنة او صورة الملك او من السماء فانك رجيم اي طريد من رحمتي او شيطان ترجم بالشهاب كالشياطين وان عليك اللعنة اي دعاء اللعنة في السماء والارض والمذمة من غير ان تعذب الى يوم الدين اي يوم الحساب والجزاء ثم تعذب فيه قال ابليس ربي فانظرني اي امهلني الى يوم يبعثون اي يخرج الخلق من قبورهم اراد ان لا يموت ابدا قال الله تعالى فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اي الوقت الذي يموت فيه الخلايق وهو النفخة الاولى امهله ليكون زيادة في شقاوته قيل ان مدة موت ابليس اربعين سنة وهو ما بين النفختين قال ابليس رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية اي اقسم باغوائك اياي يعني بما اضللتني او خيبتني من رحمتك وللسببية تتعلق بفعل القسم المحذوف اي بسبب اغوائك اياي اقسم وجواب القسم لازينن لهم في الارض حب الدنيا والمعاصي ولاغوينهم اي لاضلنهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين بكسر اللام اي المؤمنين الذين اخلصوا لك الطاعة مع الايمان وبفتح اللام اي الذين اخلصتهم بتوحيدك واصفيتهم بهدايتك وانما استثناهم لعلمه ان كيده لا يضرهم قال الله تعالى هذا صراط علي مستقيم اي هذا التوحيد والاسلام

سبيل الي مستقيم لا عوج فيه فمن سلكه بالاخلاص لا يضل عنه او علي واجب استقامته وان اراعيه وارائي من سلكه مخلصا ان عبادي الذين اطاعوني ليس لك عليهم سلطان اي قوة وحجة علي اغوائهم وليس تسلط عليهم لان توقعهم في ذنب يضيق عفوي عنه ان تابوا بعد ارتكابه بالشهوة البشرية الا علي من اتبعك من الغاوين اي اطاعك باختيار سبيلك وكفرني د بسبيلي لغوايته وان جهنم لموعدهم اي الضمير يرجع الي الغاوين اي لمصير ابليس ومن اتبعه اجمعين حال من الضمير المجرور في لموعدهم والعامل فيه معنى الاضافة لها سبعة ابواب اي اطباق بعضها فوق بعض لكل باب اي لكل طبقة منهم اي من ابليس واتباعه جزء مقسوم اي قوم مخصوصون تسكنونها وهي جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية علي هذا الترتيب فاعلاها للموحدين العاصين بعمل الكباير يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانية للنصارى والثالثة لليهود والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة لاهل الشرك والسابعة للمنافقين قال علي رضي الله عنه اتدرون كيف ابواب النار فقال هكذا ووضع احدى يديه علي الاخرى يعني سبعة ابواب بعضها فوق بعض وقال ان وضع الجنان علي العرض والنيران بعضها علي بعض ثم بين منازل المؤمنين المطيعين ان المتقين اي الخائفين بالتقوى من الشرك والمعصية في جنات وعيون اي بساتين ذات فواكه وانهار جارية عذبة يقال لهم ادخلوها الجنة بسلام اي بسلامة من العذاب ومن كل خوف وهو نصب علي الحال يعني سالمين ومسلما عليكم بسلام الملائكة آمنين من الموت والخروج والآفات بدل من بسلام ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد او حسد او عداوة كانت بينهم في الدنيا يعني ان اهل الجنة لا يتحاسدون فيها علي المنزلة والكرامات لزوال الغش عن قلوبهم بل يتحابون اخوانا حال من هم المضاف اليه علي سرر متقابلين حال اخرى كائنين متحاذين في مقابلة بعضهم بعضا لا ينظر احد منهم الي قفا صاحبه لدوران الاسرة بهم قيل ان المؤمن في الجنة اذا اراد ان يلقى اخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الي صاحبه فيلتقيان ويتحدثان لا يمسهم حال من ضمير متقابلين اي لا يصيبهم فيها اي في الجنة نصب اي تعب ومشقة وما هم منها بمخرجين هذا اظهر آية في القرآن علي الخلود في الجنة ثم قال تعالى لنبيه ع م بعد اتمامه ذكر الوعد والوعيد تقريرا لما ذكره وتمكينا له في النفوس نبئ عبادي اي اخبر اني انا

بمخرجين

الغفور الرحيم لمن تاب من الناس نزل حين خرج النبي عم علي اصحابه وهم
يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم النار فجاء جبرئيل وقال يقول لك
ربك يا محمد لم تقنط عبادي فاني غفور رحيم لذنوبهم رحيم بهم وان عذابي
هو العذاب الاليم لمن لم يتب قال عم لو علم العبد قدر رحمة الله لما تورع
ولو علم قدر عذابه لبخع نفسه اي لاهلكها في طاعة الله ثم قال تحريضا علي
التبشير ومنعا عن الاقناط وتخويفا لهم مما احل من العذاب من سخط
الله بقوم مجرمين بالعطف علي نبئ عبادي ونبئهم اي اخبر عبادي عن
ضيف ابراهيم اي اضيافه والضيف اسم يدل علي القليل والكثير والذكر
والانثي وهم الملائكة الذين ارسلهم الله تعالي ليبشروا ابراهيم بالولد وليهلكوا
قوم لوط لاصرارهم علي الكفر وفعلهم الخبيث اذ دخلوا عليه اي علي ابراهيم
فقالوا سلاما اي فسلموا عليه سلاما فرد عليهم السلام واضافهم ولم ياكلوا
طعامه فانكرهم لامتناعهم من الاكل ودخولهم عليه بغير اذن فخ قال انا منكم
وجلون اي خائفون قالوا لا توجل اي لا تخف منا وبشروه فقالوا تعليلا للنهي
عن الوجل انا نبشرك بالتشديد معلوما من التبشير وبالتخفيف معلوما من البشر
كلاهما بنون التكلم بغلام عليم في صغره وهو اسحاق فتعجب ابراهيم من كبره
وكبر زوجته مع بشراهم قال ابشرتموني بالولد علي ان مسني الكبر اي علي
كبري فبم اصله فبما وهو ما الاستفهامية دخلها معني التعجب اي فباي اعجوبة
تبشرون بكسر النون مع التخفيف والتشديد وبفتح النون مع التخفيف يعني
انبشروني بما هو امر عجيب مستنكر غير متصور في العادة قالوا بشرناك بالحق
اي بالصدق وهو وعد الله الذي هو الحق فلا تكن من القانطين اي الايسين
من الولد في حال الكبر قال ابراهيم عم ومن يقنط بكسر النون وفتحها اي ومن ييئس
من رحمة ربه اي من نعمته الا الضالون اي الخاسرون عن الهدي يعني قال
لا انكر ذلك ولكن استبعد عادة قال ابراهيم عم لهم فما خطبكم اي
ما قصدكم من مجيئكم ايها المرسلون من الله قالوا انا ارسلنا الي قوم مجرمين
لاهلاكهم بسبب تفريطهم في كفرهم وهم قوم لوط قال ابراهيم اتهلكونهم وفيهم
لوط قالوا الا آل لوط استثناء متصل اي انهم ناجون من حكم الارسال وهم
اتباعه واهل دينه او منقطع بمعني لكن والخبر قوله انا لمنجوهم اجمعين بالتخفيف
والتشديد اي لكن آل لوط منجون وعلي الاول استيناف كان ابراهيم قال
لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم قوله الا امراته استثناء من ضمير لمنجوهم

فيتعلق

من النفي

فيتعلق به اي سوي امراة لوط قدرنا بالتخفيف والتشديد واسندوا التقدير
الي انفسهم وهو لله تعالي لاختصاصهم به وقربهم منه اي قضينا انها لمن الغابرين
اي الباقين في العذاب الذي لم يستثنوا منه والاستثناء من النفي اثبات
ومن الاثبات نفي فاستثني امراة لوط من الناجين المستثنين من الهلاك فكانت
ملحقة بالهالكين فلما جاء آل لوط المرسلون اي الملائكة قال لوط انكم قوم
منكرون اي لم نعرفكم وننفر منكم لعلكم جئتمونا بشر قالوا ما جئناك بما تنكرنا
لاجله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بشيء يشك قومك انه نازل بهم عند
اخبارك اياهم بنزول العذاب عليهم وفيه سرورك وتشفيك من عدوك واتيناك
اي جئناك بالحق اي باليقين من عذابهم وانا لصادقون في قولنا ان العذاب
نازل بهم فاسر بقطع الهمزة وبالوصل من اسري وسري اي سر باهلك بقطع
من الليل اي اذهب بهم في آخر الليل ثم امره باتباع ادبارهم مع نهيهم عن الالتفات
لئلا يشتغل قلبه عن خلفه ويكون مطلعا عليهم ويخفهم عما يصيب اعداءهم في تلك
الحال الهولة المحذورة بقوله واتبع ادبارهم اي سر خلفهم ولا يلتفت منكم احد
اي لا يتخلف احد من اهلك لغرض له فيصيبه العذاب اذا نزل بقومهم وامضوا حيث
تؤمرون عدي امضوا الي حيث كتعديته الي الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة
قيل انهم امروا الي الشام مدينة زغر وقيل الي الاردن وقيل الي مصر ثم قال الله تعالي
وقضينا اي اخبرنا واحكمنا بالوحي اليه اي الي لوط عم ذلك الامر اي الامر الذي
امرنا في قوم لوط ثم فسر ذلك الامر بعد الابهام تفخيما له بقوله ان دابر هؤلاء اي
آخرهم مقطوع اي مستاصل حتي لا يبقي منهم احد مصبحين اي داخلين في الصباح
وجاء اهل المدينة اي سدوم وهي قرية قوم لوط بالدال غير المعجمة يستبشرون
اي يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط في ارتكاب الفاحشة منهم قال لوط لقومه
ان هؤلاء ضيفي وحق علي الرجل اكرام ضيفه فلا تفضحون بفضيحتهم
واتقوا الله اي اخشوا عقابه ولا تخزون اي لا تخجلوني او لا تذلوني في
ضيفي قالوا اولم ننهك عن العالمين اي عن ان تتضيف احدا من الغرباء
وتدفع عنهم من التعرض منهم قال هؤلاء بناتي اي بنات قومي ازوجكم ان كنتم
فاعلين اي ان فعلتم ما اقول لكم وفيه شك لهم في قبولهم بذكر ان قيل ان كل نبي
امته اولاده رجالهم بنوه ونساؤهم بناته قالت الملائكة للوط عم او قال
الله تعالي يا محمد لعمرك اي وحياتك قسم مبتدا خبره محذوف تقديره لعمرك قسمي
انهم لفي سكرتهم اي حيرتهم وضلالتهم يعمهون اي يترددون فالمراد منهم اهل

مكة لانهم يسمعون هذه العجايب ولا ينفعهم سماعهم بها وهم عن جهالتهم
بين الخطاء الذي هم عليه وبين الصواب تشير به عليهم يتحيرون فلا يقبلون
منك قيل ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد عم وما اقسم بحيوة احد الا بحيوته كرامة له
والعمر بالفتح والعمر بالضم واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف
فيه لان الحلف كثير الدور في السنتهم ولذلك حذفوا الخبر فاخذتهم الصيحة
اي صيحة جبرئيل مشرقين اي داخلين في الشروق وهو الطلوع حين اضاءت
الشمس قيل كان ابتداء العذاب حين اصبحوا وانتهاؤه حين اشرقوا فجعلنا
عاليها سافلها الضمير فيهما للقرى لان جبرئيل قلع الارضين بهم ودفعها على
جناحه الى السماء اهوى بها الى الارض ثم صاح بهم صيحة شديدة فهلكوا
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل على شذاذهم من طين مطبوخ مكتوب
عليه اسم من يرمي به ان في ذلك اي في اهلاك قوم لوط لايات اي لعبرات
للمتوسمين اي للمتفرسين العارفين حقيقة سمة الشيء اذا نظروا فيه
او الناظرين نظر عبرة قال عم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم
قرأ هذه الآية وهو نور اطلاع الله على القلب المشرك وانها اي قرى قوم
لوط بعد هلاكها لبسبيل اي لفي طريق مقيم اي ثابت معلوم ليس بخفي ولا
زايل فاعتبروا واتعظوا باثارهم يا اهل مكة اذا ذهبتم الى الشام ان في
ذلك اي في اهلاكهم لاية اي لعبرة للمؤمنين اي للمصدقين ثم قال وان
كان اي وقد كان اصحاب الايكة اي الغيضة وهي شجرة مجتمع متلف في
واديهم قوم شعيب عم لظالمين لانه دعاهم الى الحق فابوا فصادوا واكلوا فرىٰ
فانتقمنا منهم بالعذاب روي ان الله سلط عليهم الحر سبعة ايام فبعث الله
سحابة فالتجأوا اليها استظلالا بها فانزل عليهم نارا فاحرقتهم وهو عذاب
يوم الظلة وانهما اي مدينة قوم لوط والايكة او الايكة ومدين لان شعيبا
ارسل اليهما معا فذكر احدهما دل على ذكر الآخر والباء بمعنى في في قوله لبامام
مبين اي لفي طريق واضح يؤتم به ويستدل ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
وهم قوم صالح كذبوا صالحا وحده فكانهم كذبوا جميع المرسلين او المراد صالح
ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام من ارض ثمود
وآتيناهم آياتنا وهي الناقة وولدها والبئر او المراد الناقة وحدها
وفيها آيات كثيرة من خروجها من الصخرة وكبرها عن ساير الحيوانات وقرب
ولادتها مثلها وكثرة لبنها واكلها وشربها فكانوا عنها معرضين اي بها

مكذبين

مكذبين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الخراب ووقوع الجبل
عليهم ونقب اللصوص وشر الاعداء وحوادث الدهر لوثاقة البيوت فعقروا
الناقة وقسموا لحمها فاخذتهم الصيحة اي صيحة جبرئيل مصبحين اي داخلين
في الصبح فما اغنى اي ما نفع عنهم ما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي او
من عددهم وعددهم وتشييد حصونهم عن جابر مررنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا
باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق اي الا ملابسا بالصدق وهو الحكمة لا بالعبث والباطل ليعني
لينظروا اليها ويعتبروا فيؤمنوا بك يا محمد وهم يكذبونك وان الساعة لآتية
لكاينة لا محالة اي لننتقم لك فيها من اعدائك فاصفح اي اعرض عنهم الصفح
الجميل اي الاعراض الحسن وهو كونه بلا حقد وجزع منك نسخ باية السيف
ان ربك هو الخلاق اي البليغ الخلق والايجاد من العدم العليم بحال ما يخلقه
ويوجده ممن يؤمن ولا يؤمن فيعلم بحالك وحالهم ويعلم متى قيام
الساعة فيحكم بينكم بالعدل والانصاف منها ولقد آتيناك سبعا
من المثاني الى آخره نزل متصلا بما قبله لنهي النبي عم عن الرغبة في الدنيا
بعد الامر بالاعراض عن اهلها لان الله تعالى اغناه بالقرآن والسبع المثاني
اي لقد اعطيناك مكان نعم الدنيا سبع آيات من المثاني جمع مثناة
او مثنية وهي الفاتحة فانها سبع آيات بالاجماع وسميت مثاني
لانها تثنى في الصلوة اي تقرأ في كل ركعة فمن للبيان او لاشتمالها
على الثناء على الله فمن فيه تبعيض وقيل لانها نزلت مرتين مرة
بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون الف ملك وقيل لان الله استثناها
وادخرها لهذه الامة وقيل السبع المثاني هي السبع الطوال اولها البقرة
وآخرها الانفال مع التوبة لانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل
بينهما بالبسملة والقرآن العظيم عطف على سبعا وليس فيه عطف شيء
على نفسه لانه لما عني بالسبع الفاتحة او السبع الطوال فما وراءها يطلق عليه
اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل فكان القرآن غيرها فحسن العطف
قال عم ام القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم ساير القرآن او السبع المثاني
كل القرآن والمراد منه سبعة اسباع القرآن فالعطف بقوله والقرآن العظيم
للبيان فالمعنى آتيناك ما هو موصوف بهذين الوصفين الشريفين فلا ترغبن في

غيره بقلبك

لا تمدن عينيك اي لا تنظرن بعين الرغبة والميل الى ما متعنا به
اي اعطيناه في الدنيا ازواجا اي اصنافا من المال منهم اي من الكفار
متمنيا لها فازواجا حال من الضمير في به والفعل واقع على منهم ويجوز
ان يقع الفعل على ازواجا ومن للبيان اصنافا من الكفرة ولا تحزن
اي لا تغتم عليهم اي انهم لم يؤمنوا او على نعمهم التي في ايديهم بفوت
مشاركتك اياهم في دنياهم فانها متاع قليل حقير في جنب القرآن العظيم
فعليك ان تستغني به قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم
يتغن بالقرآن اي لم يستغن من الدنيا او لا تحزن عليهم ان نزل بهم
العذاب واخفض جناحك للمؤمنين اي لين جانبك لهم وارفق بهم
والجناحان من ابن آدم جانباه وقل لاهل مكة اني انا النذير المبين
اي المخوف لكم بالقرآن الذي هو برهان بين بلغة تعرفونها ان العذاب
نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا العذاب على المقتسمين الكاف صفة
مصدر محذوف بفعل الامر يدل عليه انا النذير اي انذرهم انذارا مثل
ما انزلنا من العذاب على اهل الكتاب من اليهود والنصارى في الانجيل
ويجوز ان يكون الكاف متعلقا بآتيناك يعني انزلنا عليك مثل انزلنا
على المقتسمين يعني شرفناك بالقرآن كما شرفناك بانزالنا العذاب على
المقتسمين فيكون هذا تسلية للنبي عم عن صنع قومه بالقرآن حيث
آمنوا ببعض وكفروا ببعض ويكون توسط لا تمدن الى آخره بينهما مددا
لهذه التسلية بالنبي عم عن الالتفات الى دنياهم وبالامر بالاقبال على
المؤمنين وقيل المقتسمون هم الذين اقتسموا القرآن قال بعضهم سحر
وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقيل المقتسمون المشركون الذين اقتسموا
بداخل مكة ايام الموسم ليقطعوا الناس عن اتباع النبي عم والايمان به ويذكرون
عندهم مساويه ثم وصفهم بالصفة الكاشفة بقوله الذين جعلوا القرآن
المنزل على الرسول عم عضين جمع عضة اصلها عضوة من عضيت الشاة اذا
جعلتها اعضاء اي اجزاء ومنه العضو لانه جزء البعض قال القرآن شعر والبعض
قال سحر والبعض قال كهانة والبعض قال اساطير الاولين ففرقوا القول فيه قوله
فوربك اقسم نفسه تعالى سخطا عليهم لنسألنهم اجمعين سؤال توبيخ يوم القيمة
عما كانوا يعملون في الدنيا والقول ايضا من العمل فقيل لا يسأل لهم هل عملتم
لانه تعالى اعلم به منهم بل يقول لم عملتم كذا سؤال تقريع وتوبيخ لا سؤال استعلام

فاصدع

فاصدع بما تؤمر اي اظهر وبين بالبيان الشافي الذي تؤمر به من الشرائع
والاحكام بالقرآن الموحى اليك ليتميز الحق عن غير الحق واصل الصدع الشق
في الشيء الصلب كالزجاج وغيره استعير لكمال كشف الحق بالحجة القطعية
واعرض عن المشركين اي اتركهم حتى يأتيك امر الله بالقتال قيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مستخفيا الوحي لا يظهر منه شيئا قبل نزول فاصدع
بما تؤمر ثم خرج هو واصحابه لاظهار الدعوة بالقرآن روي ان جماعة من
المشركين كانوا بمكة يستهزؤن النبي عم حين اظهر الدعوة بالقرآن ويؤذونه
كثيرا فنزلت تسلية له عم انا كفيناك المستهزئين بك وبالقرآن فان بعضهم
كان يقول سورة العنكبوت لي وبعضهم يقول سورة النحل لي فقوله الذين
يجعلون اي يعتقدون مع الله الها آخر اي الاصنام وغيرها مبتدأ خبره
فسوف يعلمون ما يفعل بهم من العذاب وهم خمسة نفر من رؤساء قريش
فاهلك الله تعالى في يوم وليلة جميعهم كل واحد منهم بنوع من العذاب قبل
بدر وهو وعيد لساير الكفار ثم قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون من الاستهزاء والتكذيب والطعن بك وبالقرآن فسبح بحمد
ربك اي صل حامدا ربك ولا تشتغل قلبك بهم او قل سبحان الله والحمد لله
او تفرغ اليه في الشدايد وكن من الساجدين اي المصلين المتواضعين ينكشف
عنك الغم قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزنه فزع الى الصلوة
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي استقم على التوحيد وكل ما امرت من العبادة
حتى يدركك الموت المتيقن وهذا كقول عيسى عم واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت
حيا قال عم ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد
ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

سورة النحل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله اي جاء وقرب عذابه لان ما هو آت قريب وهو وعيد للمشركين بيوم
القيمة نزل حين كانوا يستبطؤن نزول العذاب قوله تعالى اقتربت الساعة فانهم
قالوا بعضهم لبعض ان محمدا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض اعمالكم
من التكذيب والاستهزاء والكيد حتى ننظر ما هو كائن فلما لم ينزل قالوا ما نرى شيئا
فنزل قوله اقترب للناس حسابهم فاشفقوا منه فلما امتدت الايام قالوا يا محمد
ما نرى شيئا مما تخوفنا به فانزل الله اتى امر الله فوثب النبي عم ورفع الناس رؤسهم
وظنوا انه اتى حقيقة فلا تستعجلوه اي لا تطلبوا امر الله قبل حينه والاستعجال طلب

النبي قبل اوانه فاطمأنوا وقيل المراد من امر الله العذاب بالسيف والمستعجل به
النضر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء فقتل يوم بدر صبرًا ولما استهزؤا النبي عم باستعجال العذاب
ولم يأتهم جعلوا اصنامهم شركاء لله في العبادة فنزه تعالى نفسه عن الشرك بقوله
سبحانه وتعالى عما يشركون بالياء والتاء اي تعاظم وتنزه عن اشراك معبوديهم
بصفاته الحميدة او عن الذين يشركون به من الاوثان فما مصدرية او موصولة
ولما كان شركهم من جهلهم وموت قلوبهم اراد ان يعلمهم ان العبادة لا يكون الا بالوحي
الموجب لحيوة القلب ورفع الجهل بقوله ينزل بضم الياء وكسر الزاء مخففا ومشددا
والفاعل الله والمفعول الملائكة بالروح اي بالوحي لانه سبب حيوة القلوب
او بالنبوة او بالرحمة او بجبريل فالباء بمعنى مع من امره اي بامره وارادته على من
يشاء من عباده من الانبياء ومحل ان انذروا وانذر بدل من الروح فان مصدرية
اي ينزلهم بان انذروا او بانه انذروا فالضمير للشان وان مخففة من الثقيلة
ويجوز ان يكون مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول اي يقول الله
لهم اعلموا الناس انه لا اله الا انا فاتقون اي خافوني ولا تشركوا بي شيئًا ثم نزل
بكل ما اذا علمته ثم دل على وحدانيته بخلق ما يعجز عنه غيره فقال خلق السموات
والارض بالحق اي للحق وهو ان ينظر اليه ويعتبر فيوحده لا يشرك به تعالى
ارتفع وتعاظم عما يشركون به من الاصنام وغيرها خلق الانسان من نطفة اي من
ماء الرجال الذي لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته فاذا هو خصيم اي جدل
بالباطل مبين اي ظاهر الجدال وجاء بالفاء واذا للمفاجاة اشارة الى سرعة
شانهم ابتداء خلقهم مع ظهور المذكر نزل في شان ابي ابن خلف الجمحي وكان ينكر البعث
جاء بعظم رميم وجعل يفتته بيده فقال يا محمد اتقول ان الله تعالى يحيي هذا بعدما رم
والصحيح ان الاية عامة لبيان القدرة وكشف قبح ما فعلوا من جحد نعم الله مع ظهورها
عليهم والانعام نصب بمضمر يفسره خلقها اى الله خلق الانعام الابل والبقر والغنم
لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان فيها دفء وهو ما يستدفأ به
اي يستمتع به من الحر والبرد كالاكسية والاردية والاخبية ومنافع بالنسل
ودر اللبن وركوب الظهر وحمل الاثقال ومنها تاكلون من لحومها بالذبح وقيل لا كل من
الانعام لانه هو المعتمد وان اكل غيره كالبط والدجاج فللتفكه والتداوي ولكم
فيها اي في الانعام جمال اي زينة وحسن المنظر حين تريحون اي ترجعونها
بالعشي من مراعيها الى مراحها وحين تسرحون اي تخرجونها بالغدوة الى مسارحها

وقدم الرواح لان المنافع تؤخذ منها بعد الرواح ويكون مالكها اعجب بها اذا
راحت من مسارحها الى مراحها لانها اكثر لبنا واحسن خلقا وتحمل اثقالكم
اي احمالكم وزادكم الى بلد آخر لم تكونوا بالغيه اي واصليه الا بشق الانفس
اي بمشقتها والشق النصف ايضا فكان الجهد ذهب بنصف القوة يعني
لم تكونوا واصلين اليه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها ان ربكم
لرؤوف بكم بخلق هذه الحوامل بتيسير المصالحكم رحيم بكم حيث لم يعجل
بعقابكم بترك شكر نعمه والخيل عطف على الانعام اي وخلق الخيل وهي اسم
جنس لا واحد له من لفظه كالابل والانسان وخلق البغال والحمير لتركبوها
وزينة نصبه مفعول له اي للزينة عطفا على محل لتركبوها وانما خولف بينهما
في النظم لان الركوب فعل المخلوق المخاطب والزينة فعل الخالق او وجعلها
زينة لكم مع المنافع التي فيها واحتج بهذه الآية من حرم لحوم الخيل وهو ابو حنيفة
رحمه الله تعالى ومالك لانه علل هذه الاوصاف الثلثة بالركوب والزينة ولم يذكر
الاكل منها بخلاف الانعام فانها خلقت للركوب والاكل كما قال ومنها تاكلون والشافعي
واحمد واسحاق رحمهم الله اباحوا لحوم الخيل وقالوا ليس المراد من الآية بيان
التحليل والتحريم بل المراد منه تعريف الله تعالى عباده نعمه وتنبيههم على كمال
قدرته وحكمته واحتجوا بما قال جابر نهى النبي عم يوم خيبر لحوم الحمير ورخص في
لحوم الخيل وروي عن اسماء انها قالت نحرنا على عهد النبي عم فرسا ونحن بالمدينة
فاكلناه ويخلق الله سواها ما لا تعلمون وهو ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم
كنهه وتفاصيله يمن علينا بذكره مع الدلالة على قدرته او الملائكة والجن
وغيرهما من الخلق او ما اعد في الجنة لاهلها وفي النار لاهلها ما لم تره عين
ولم تسمعه اذن ولا خطر على قلب بشر وقيل ما لا تعلمون كيف يخلقه
وهو السوس في النبات والدود في الفواكه وعلى الله قصد السبيل اي
بيان الطريق الموصل الى الحق بالآيات والبراهين كقوله ان علينا للهدى
معناه علينا بيان طريق الهدى والضلال واجب لطفا وكرما فان كلمة
على فيه يدل وجوب الكرم ولذا لم يعلم وعليه جائرها وقيل القصد
من السبيل دين الاسلام وما فيه من الشرائع والاحكام ومنها جائر
اي ومن السبيل ما هو مائل عن الاستقامة وهو سبيل الشيطان
والبدع والاهواء يقال جار فلان عن القصد اذا مال عن الجادة بسوء
اختياره وقيل اليهودية والنصرانية وسائر اديان الكفر لقوله تعالى

ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
المعنى ان السبيل بعضه سبيل القصد الذي يؤدي الى رضاء الله تعالى
وثوابه وبعضه سبيل الجور الذي يعدل عنه الى سخط الله وعقابه
وكلاهما بمشية الله تعالى فبهذا المعنى يتناسب الكلامان في الاسلوب ولو شاء
لهديكم اجمعين اي لو شاء مشية قصد في هداية الخلق لارشدكم الى
صلاحكم اجمعين بان ينزل آية يلجئكم الى الايمان هو الذي انزل من السماء ماء
اي مطرا لكم منه شراب اي تشربون من الماء المنزل ويشرب انعامكم ومنه
شجر اي ومن ذلك الماء حصول نباتكم والعرب يطلق الشجر علي النبات ومنه
حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت اراد النبات فيه تسيمون اي
في الشجر ترعون مواشيكم يقال سامت الماشية اذا دعت ينبت بالنون
والياء اي الله يرفع من الارض لكم به اي بالماء الذي انزله الزرع والزيتون
والنخيل والاعناب اي الكروم ومن كل الثمرات اي ومن الوانها من فيه للتبعيض
لان كل الثمرات في الجنة وانما انبت في الارض البعض منها للتذكرة ان في ذلك
اي نزول الماء من السماء وخروج النبات من الارض بسببه لآية اي لعبرة
لقوم يتفكرون فيستدلون بها عن قدرته وحكمته وسخر لكم الليل
والنهار اي ذللها لمعاشكم واستراحتكم والشمس والقمر والنجوم بنصب
الثلثة اي وذلل الكل لكم لتعلموا عدد السنين والحساب بالشمس بالتيمن
والقمر وتهتدوا في طرقكم بالنجوم مسخرات اي ونفعكم بها حال كونها مذللات
لما خلقن له بامره اي باذنه وبرفع الكل على الابتداء والخبر وبرفع النجوم ومسخرات
كذلك ان في ذلك اي في تسخير المذكورات لآيات اي لدلالات واضحات
لقوم يعقلون اي يفهمون بذهن الانسانية وما ذرأ لكم اي وسخر لكم
ما خلق لاجلكم في الارض من الدواب والاشجار والثمار وغيرها مختلفا
الوانه نصب علي الحال من ما ذرء المفعول ان في ذلك اي في اختلاف الوانه
لآية لقوم يذكرون اي يتعظون فيؤمنون وهو الذي سخر البحر اي
ذلل لكم البحر العذب والملح لتاكلوا منه لحما طريا اي سمكا غضا واطلاق اللحم عليه
علي خلاف العادة لان من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث لان مبنى الايمان
علي العادة وتستخرجوا منه اي من البحر الملح حلية اي اللؤلؤ والمرجان تلبسونها
اي تتزينون بها والمراد تزين النساء بها لاجل الرجال فكانها زينتهم وفيه دليل
علي ان اللؤلؤ والمرجان من الحلي وترى الفلك مواخر اي جواري في البحر مقبلة ومدبرة

بريح واحدة والمخر الشق لانها اذا جرت تشق الماء بصدرها وفي الحديث اذا
اراد كم البول فليمتخر الريح اي فليستدبرها حتى لا ترتد عليه البول قوله ولتبتغوا
عطف علي مقدر اي لتركبوها ولتطلبوا من فضله اي من رزقه بالتجارة
ولعلكم تشكرون اي لكي تشكروا اذا رايتم صنع الله فيما سخر لكم والقى
اي وضع الله في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد اي لئلا تميد بكم
لاواراد ة ثبوتها او كراهة ان تميد بكم من ماد اذا مال واضطرب قيل لما خلق الله
الارض جعلت تميل فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة احدا علي ظهرها فاصبحوا
وقد ارست بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال وانهارا وسبلا اي
وجعل في الارض لكم انهارا وطرقا مختلفة لعلكم تهتدون اي تصلون
الي ما تريدون وعلامات اي وجعل في الارض معالم للطرق من الجبال والاشجار
والمياه لتهتدوا وتعرفوا بها طرقكم في حال السفر وبالنجم هم يهتدون فيه
اورد بضمير الغيبة بعد الخطاب مع تقديم النجم عليهم للاختصاص واراد به
قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في اسفارهم يعني ان لهم بذلك علما لم يكن
مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم فلذلك خصصوا بالذكر في الاهتداء بالنجم
والمراد بالنجم الجنس لا العهد كما قيل من يراد به الثريا والجدي وبنات نعش والفرقدان
لان فيه التحكم افمن يخلق اي اانتم تشركون الله غيره في العبادة والاكرام
فمن يخلقه القادر كمن لا يخلق اي الاصنام العجزة ومن للعقلاء لان آلهتهم
اجريت مجرى العقلاء لتسميتهم آلهة افلا تذكرون اي افلا يتعظون في صنعه
فتعلموا انه واحد لا شريك له فتؤمنوا به وتعبدوه ولا تشركوا به شيئا
منها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تضبطوا عددها فكيف تطيقون
القيام بشكرها ان الله لغفور لتقصيركم في شكر نعمه رحيم بكم حيث وسع
عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصي والله يعلم ما تسرون
اي ما تضمرون في قلوبكم وما تعلنون اي وما تجهرون بالقول والذين تدعون
بالياء والتاء اي يعبدون من دون الله اي الاصنام لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون لانهم ينحتون من الاحجار وغيرها قوله اموات خبر
مبتدا محذوف اي هم ميتون لا روح فيهم يعني الاصنام ولم يقل موات
لانهم صوروا على شكل ذي الروح غير احياء صفة اموات للتاكيد يعني
ليسوا من الاموات التي يخلفون او يعقلون شيئا كالنطق بل هي جمادات
لا يعقب موتها حيوة كالحجارة وما يشعرون اي لا يعلم الاصنام التي

سميتموها آلهة ايان اي باي وقت يبعثون احياء وهذا تهكم بحالهم لان
شعور الجماد محال وقيل دل القرآن على ان الاصنام تبعث وتجعل فيها الحيوة
فتتبرء من عابديها وقيل معناه ما يدري الكفار عبدة الاصنام متى يبعثون
وقيل ما يدري آلهتهم متى تبعث عابدوهم وفيه تهكم للمشركين لان من كان
الها ينبغي ان يعلم بعث عابديه للجزاء لانه من لوازم التكليف ثم اشار الى نفي
الوهية الاصنام واعلمهم ان الاله الحقيقي من هو فقال الهكم اله واحد
اي رب واحد لا شريك له فاعبدوه ولا تعبدوا غيره لانه يجازيكم في الآخرة
فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة اي جاحدة او خبيثة لا يدخل فيها
المعرفة وهم مستكبرون اي متعظمون لا جرم اي حقا او لا بد ان الله يعلم ما
يسرون وما يعلنون وهو وعيد لهم من المكر والتكذيب في امر محمد عم انه لا يحب المستكبرين
اي المتعظمين عن الايمان ويجوز ان يكون عاما في كل مستكبر قال عم لا يدخل الجنة من كان في قلبه
مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار مثقال ذرة من الايمان وهو ادنى شيء من يقين
حمله على ذكر الله تعالى يوما عن اخلاص او زجره عن حظوظ مخافة الله واذا قيل لهم
اي لمشركي مكة الذين اقتسموا عقابها اي مداخل مكة اذا سألهم الحجاج من المسلمين
ماذا انزل ربكم اي شيء انزل ربكم الله على محمد فماذا منصوب بانزل ويجوز ان
يكون مرفوعا بالابتداء بمعنى اي شيء انزل الله على محمد ربكم بتقدير الضمير قالوا اي
كفار مكة سخرية في جوابهم المنزل اساطير الاولين اي احاديثهم الباطلة اضلالا
للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزارهم على الكمال فقوله ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة علة لقولهم من غير ان يكون غرضا لهم ان قالوا ذلك ليحملوا
ذنوب انفسهم تامة يوم الجزاء وانما ذكر الكمال لان اعمالهم الحسنة في الدنيا والبلاء
التي لحقهم فيها لا تكفر عنهم شيئا كما تكفر الحسنات من المؤمنين اوزارهم من الصلوة
ومن رمضان الى رمضان ومن الحج الى الحج وتكفر بالشدائد والمصائب ايضا في الدنيا
قوله ومن اوزار عطف على اوزارهم اي وليحملوا من ذنوب الذين يضلونهم
عن الهدى بغير علم نصب على الحال من مفعول يضلونهم اي يضلون من لا يعلم انهم
ضلال بغير حجة وانما حملوا اوزار من اتبعوهم لانهم دعوهم الى الضلالة فاتبعوهم
بغير عذر فاشتركا في انهم الضلالة فحملوا جميع آثامهم وبعض آثام متبعيهم دون
البعض لان المضل والضال شريكان هذا اضله وهذا اطاعه على اضلاله فيتحاملان
الوزر ومن للتبعيض ويجوز ان يكون زائدا على مذهب الاخفش فيحملون الكل منهم
والمراد مثل اوزارهم قال عم من دعا الى هداية كان له من الاجر مثل اجور من تبعه

لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل
آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا الا ساء ما يزرون اي تنبهوا بئس
ما يحملون من الذنوب التي لا تغفر ثم هددهم بصنع من تقدمهم من الكفار فاهلكهم
الله بسببه فقال قد مكر الذين من قبلهم اي قد صنع كيدا الذين من قبل المقتسمين
فابطل الله كيدهم قيل منهم نمرود بن كنعان حيث بنى قصرا عاليا في غاية
الحصانة ببابل ليصعد الى السماء ليقاتل عليه من في السماء بزعمه وكان
طوله خمسة الاف ذراع وعرضه ثلثة الاف ذراع وكان لسان الناس
يومئذ بالسريانية فاهب الله تعالى الريح عليه فالقت رأسه في البحر
وخر عليهم الباقي وهم تحته ولما سقط الصرح تبدلت السن الناس من الفزع
فتكلموا بثلثة وسبعين لسانا بحيث لم يفهم احد منهم لسان آخر فتعطل
قصره من الاعادة وكذا سميت تلك البقعة ببابل فذلك قوله تعالى فاتى الله بنيانهم
اي قصد تخريب بنيانهم من القواعد اي من اطراف البناء التي تعمده وتقويه
او من اصوله واساسه فخر اي سقط عليهم السقف اي اعلاه من فوقهم واتاهم
العذاب من حيث لا يشعرون بمجيئه وقيل من مات منهم ثم يوم القيمة يخزيهم الله
اي يهينهم بالعذاب ولم يكن ما اصابهم في الدنيا في العذاب كفارة لذنوبهم
ويقول اين شركاءي الذين كنتم تشاقون بكسر النون اي تشاقونني وبفتح النون
لانها الجمع اي تخاصمون فيهم اي في شانهم وتخالفون المؤمنين بسببهم وعنادهم دينهم
ما لهم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم العذاب قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء
او العلماء الناصحون او الملائكة ان الخزي اي الهوان اليوم والسوء اي
العذاب الاليم على الكافرين الذين تتوفيهم بالياء والتاء اي يقبض ارواحهم
الملائكة اي ملك الموت واعوانه ظالمي انفسهم بالكفر نصب على الحال اي حال
كفرهم فالقوا السلم اي استسلموا وانقادوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا
من الشقاق والكبر والكفر جاحدين ما وجد منهم في الدنيا وقالوا ما كنا نعمل من سوء
اي شركاء وشقاقا وغيرهما فقال لهم الملائكة او الله بلى اشركتم بالله اصنامكم
ان الله عليم بما كنتم تعملون من الشرك وغيره فيجازيكم عليه وهذا
ايضا من الشماتة قيل هم قوم من المؤمنين باللسان خرجوا مع المشركين
يوم بدر فلما راوا قلة المؤمنين وكثرة الكافرين رجعوا الى الشرك فقتلوا ثمه
ويقول لهم الخزنة يوم القيمة فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس
مثوى المتكبرين اي مستقرهم ومنزلهم جهنم لاستكبارهم عن الايمان

في الدنيا ثم نقل من قصة الكافرين الي قصة المؤمنين بقوله وقيل للذين اتقوا نزل
في المؤمنين الذين يدعون الناس الي الايمان علي عقاب مكة حين بعث النبي عم
رجالا من الصحابة لتكذيب المشركين الذين يصدون الناس الذين يقصدون
من بعيد الي النبي عم ليؤمنوا به وهم يمنعونهم بذكر مساويه لهم كساحر
وشاعر ومجنون فيرجعون الي بلادهم فلما راي الوافدون المؤمنين ثمة
سالوهم عن حال النبي عم ووصفه فقال المؤمنون ان هؤلاء المشركين كذبوا
بل محمد يدعوا الي الحق ويامر بصلة الرحم وبالمعروف وينهي عن المنكر فاخبر الله تعالى
عن قولهم للمؤمنين مدحا بقوله وقيل اي وقال الوافدون للمؤمنين الذين
يتقون الشرك ماذا انزل ربكم من الوحي علي محمد قالوا اي المؤمنون خيرا اي انزل
خيرا للناس وهداية لهم من الضلالة وانما نصب الجواب هنا ورفع فيما قبله
ليكون فرقا بين جواب المقر وجواب المنكر بجعل الجواب بينا مكشوفا مطابقا علي
السؤال مفعولا للانزال بخلاف ما تقدم من المرفوع فانه ليس في شيء من الانزال
ثم ابدل من خيرا قوله للذين احسنوا اي وحدوا الله واطاعوه في هذه الدنيا
حسنة اي جنة في الاخرة وقيل النصرة والفتح او الرزق ولدار الاخرة اي و
لدار الحال الاخرة خير من دار الفناء ولنعم دار المتقين اي الخائفين المطيعين
الجنة ثم وصفها بقوله جنات عدن اي اقامة يدخلونها برحمة الله تجري
من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون اي يتمنون من المستلذات كذلك اي مثل
ذلك الجزاء يجزي الله المتقين اي يثيب الخائفين ويطيعونه ثم وصفهم مدحا بقوله
الذين تتوفاهم الملائكة طيبين حال من ضمير المفعول اي طيبة نفوسهم بانتقالهم الي
لقاء ربهم او طاهرين من الذنوب يقولون حال من الملائكة اي قائلين لهم عند
الموت سلام عليكم تبليغا من الله او من نفوسهم ويقولون لهم في الاخرة ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون في الدنيا من عمل الخيرات ثم قال تعالى استبطاء لايمان اهل مكة
هل ينظرون اي ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة بالتاء والياء اي ملك الموت واعوانه
بقبض ارواحهم او ياتي امر ربك اي عذابه كيوم بدر اي وعذاب القيمة ثم
قال تسلية للنبي عم من تكذيبهم اياه واستهزائهم به كذلك اي مثل هذا التكذيب فعل
الذين من قبلهم برسلهم كما فعل بك قومك من التكذيب والاستهزاء فاهلكهم الله وما
ظلمهم الله باهلاكهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بتكذيبهم رسلهم فاصابهم سيئات
ما عملوا اي جزاء اعمالهم الخبيثة من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء
وتكذيب الرسل وعنادا للحق وحاق اي ونزل بهم ما كانوا به يستهزؤون من العذاب

امته لا ينزل بهم وقال الذين اشركوا اي اهل مكة علي سبيل الاستهزاء لو شاء
الله من دونه من شيء يعني انه شاء عبادتنا الهة غيره فلو لم يشاء ما
عبدناهم نحن ولا اباؤنا عطف علي فاعل عبدنا اي ولا عبد اباؤنا من
ولا حرمنا من دونه اي سوى تحريم الله من شيء يعني البحيرة والسائبة
والوصيلة والحام فلولا ان الله رضيها لنا لغيرها ولهدانا الي غيرها ثم قال تعالى
تسلية للنبي عم وتصبيرا علي تكذيبهم كذلك اي مثل ذلك الفعل فعل الذين
من قبلهم من تكذيب الرسل والاشراك والتحريم والتحليل فلما نبهوا علي قبح
فعلهم احالوا ذلك التحريم والتحليل علي ربهم فاهلكهم الله تعالى فهل علي
الرسل الا البلاغ المبين اي ليس علي الرسل الا تبليغ الرسالة بالبيان
والبرهان ان الله لا يشاء الشرك والعاصي مشية الرضاء وانما يشاء منهم
التوحيد والطاعة وليس عليهم الهداية والقصر علي الايمان ثم قال لكفار
مكة حثا علي الايمان والطاعة وتهديدا عن التكذيب بالرسول عليه السلام
ولقد بعثنا في كل امة اي في كل جماعة قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم ان اعبدوا
اي وحدوه واطيعوه واجتنبوا الطاغوت اي عبادة الشيطان والصنم و
وغيرهما من دون الله فمنهم من هدى الله اي لطف بهم وارشدهم الي دينه الاسلام ومنهم من حقت اي وجبت عليه الضلالة
اي الشقاوة بترك اللطف بالقضاء السابق حتى مات علي كفره فسيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بالرسل حتى لا يبقى لكم شبهة
فيما فعل بهم من اهلاكهم وتخريب منازلهم بالعذاب فلما قرأ النبي عم هذا الاية
عليهم فلم يؤمنوا لعنادهم تاسف بتركهم الايمان فنزل قوله ان تحرص علي هداهم
اي علي ايمانهم يا محمد فان الله لا يهدي من يضل اي لا يلطف من يخذله لانه
قد علم انه ليس اهلا لذلك فيكون عبثا وقرئ لا يهدي معلوما والفاعل الله و
مجهولا ومرفوعه من يضل ولا خلاف في يضل انه بضم الياء وكسر الضاد قال ابن
عباس معناه من يضلله لا يهدي يعني لا يهديه احد وما لهم من ناصرين
اي مانعون من نزول العذاب بهم وهو يدل علي ان المراد بالاضلال الخذلان
لانه نقيض النصرة قوله واقسموا بالله عطف علي قوله وقال الذين اشركوا
للجمع بين الكفرين العظيمين في التدوين وهما اسناد ذنوبهم علي مشية
الله تعالى وانكارهم البعث بالاقسام عليه اي وحلفوا بالله جهد ايمانهم
وهو اسم اليمين بالله عندهم لانهم كانوا في الجاهلية يحلفون بالاصنام وباباءهم

وبغير ذكر واذا حلفوا بالله سموه جهد اليمين يعنون انها اغلظ الايمان
واكدها فيما يقسم به فحلفوا بالله لا يبعث الله من يموت لانكارهم البعث
فرد الله عليه بقوله بلى اي نعم يبعثهم الله لان بلى اثبات لما بعد النفي وعدا عليه
حقا اي وعد البعث واوجبه على نفسه وعدا حقا اي ايجابا صدقا
لا خلف فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يصدقون بالبعث
بعد الموت قوله ليبين يتعلق بفعل بلى اي يبعث الله جميع الخلق
يوم القيمة ليكشف لهم الذي يختلفون فيه من الحق وهو دين الاسلام
والبعث الموعود لهم وليعلم الذين كفروا عند خروجهم من قبورهم
انهم كانوا كاذبين في الدنيا بقولهم لا يبعث الله من يموت قوله انما
قولنا لشيء اذا اردناه اي قصدنا احداثه مبتدأ خبره ان نقول له
اي لذلك الشيء والمراد البعث كن اي احدث فيكون بالرفع اي فهو يكون
وبالنصب عطف على نقول اي فيحدث بسهولة بلا مهلة فكان تامة المعنى
ان ايجاد كل مقدور علينا يسير فاذا اردنا ان نبعث الموتى فلا تعب علينا
في احيائهم لانه من شق المقدورات والذين هاجروا من مكة الى المدينة
في الله اي في طاعته من بعد ما ظلموا اي عذبوا واوذوا في الله لنبوئنهم
اي لننزلنهم في الدنيا حسنة اي تبوئة جميلة بالمدينة او المراد المنزلة الحسنة
وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وانعام الغنيمة عليهم او التوفيق
والهداية فهذا ثوابهم في الدنيا نزلت الاية في بلال وصهيب وخباب وعمار و
عابس وجبير وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون بمكة فعذبوهم ولاجر
الاخرة اي ثوابها اكبر افضل لو كانوا يعلمون اي يصدقون بالثواب المذ
كور ثم وصفهم مدحا بقوله الذين صبروا اي وهم الصابرون في الدنيا على
ما فاتهم من مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف تقلب
رجل هو مسقط راسه وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله وعلى
ربهم يتوكلون اي يثقون به في الرزق وغيره وما ارسلنا من قبلك
يا محمد الا رجالا مثلك يوحي اليهم كما يوحي اليك نزل حين قال قريش الله اعظم
من ان يكون رسوله بشرا لانه لو اراد ارسال رسول لارسل الينا الملائكة الذين عنده
ثم قال تعالى ان لم يصدقك قومك فقل فاسئلوا اهل الذكر اي اهل التورية والانجيل
ليعلموكم ان الله لم يرسل الى الامم المتقدمة الا بشرا لا ملكا ان كنتم لا تعلمون ذلك
قوله بالبينات يتعلق بيوحي او بارسلنا مضمرا استيفاء فكان قائلا قال بم ارسلوا

فاجيب

فاجيب ارسلنا بالبراهين الظاهرة كالمعجزات والزبر اي الكتب النبوية التي تبين
الحلال والحرام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن لتبين للناس ما نزل اليهم من الامر
والنهي وغير ذلك من الشرائع ولعلهم يتفكرون اي ولكي يتفكروا فيه فيؤمنوا
ثم قال تهديدا لهم افامن اي جحد الحق فغفل الذين مكروا السيئات اي عملوا
الحيل القبيحة في ابطال دينه الحق وهم اهل مكة من ان يخسف الله بهم الارض
اي ان يدخلهم فيها احياء الى الارض السفلى او ياتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون اي لا يدركون بهلاكهم لغفلتهم او ياخذهم بالعذاب في تقلبهم اي
في تصرفهم وتنقلهم من بلد الى بلد في تجاراتهم فما هم بمعجزين اي بفائتين من عذابه تعالى
او ياخذهم بالعذاب على تخوف اي تنقص شيئا في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
جميعا يقال تخوفهم الدهر اذا انقصهم واخذ اموالهم وحشمهم او ياخذ القرية بالعذاب
ويترك قرية اخرى قريبة فيخوفها بتلك فان لم ينتهوا اخذ الاخرى فان ربكم لرؤف
رحيم بالامهال مع استحقاق العذاب وترك العجلة بعقاب قوله اولم يروا
الى ما خلق الله بالتاء والياء اخبار عن الذين مكروا السيئات اي اذا لم ينظروا
لم يعتبروا اي الذي خلق الله من شيء اي جسم قائم له ظل عند طلوع الشمس
وعند غروبها يتفيؤ ظلاله بالتاء والياء اي يدور ويرجع بتسييرها على بروجها
والفيء الرجوع عن اليمين والشمائل وهو استعارة عن يمين الانسان وشماله و
الشمائل جمع شمال وهو اليسار وانما جمعه دون اليمين مع ان المراد منه الايمان يجري
الكلام على عادة العرب حيث يكتفون بواحدة من العلامتين اذا اجتمعتا كقوله
تعالى وعلى سمعهم ونصب على الحال من الظلال قوله سجدا لله اي مايلات ودايرات بالا
نقياد لامر الله فالسجود هنا استعير للاستسلام من السجود للطاعة قيل سجود
الظلال ميلانها ودورانها من جانب الى جانب اما عن اليمين فهو في اول النهار واما
عن الشمال فهو في آخر النهار وقيل الظل قبل الطلوع وبعد الغروب يحتوي جميع جهاتك
وعند الطلوع كان قدامك وعند الارتفاع كان عن يمينك ثم يكون خلفك ثم يكون
عن يسارك قبل الغروب فهذا القلب عبارة عن السجود وقيل المراد من سجود الظلال
سجود الاشخاص وفيه تامل لان الاية الاتية بعد تغني عن ذلك فالاولى ان يحمل على حقيقته
تعريضا للمستكبرين عن السجود حيث يعجزون ان تكونوا مثل الظلال في الا
نقياد لامره تعالى مع ضعفها وهم داخرون الجملة حال من ضمير سجدا اي والحال
ان الظلال ذليلون في حال السجود وجمع الداخر وجمعه بالواو والنون لان الدخور من
صفات العقلاء ولله يسجد اي ينقاد لارادة الله ويخضع ما في السموات وما في الارض

والمراد منه العقلاء وغيرهم لارادة العموم ولذا اختار ذكر ما على من من دابة
بيان لما فيهما على تقدير ان يكون في السماء خلق يدبون وهو منقول عن اهل
التفسير او بيان لما في الارض ان لم يقدر ذلك في السماء قوله والملائكة عطف
على ما في السموات مع انهم من جملة ما فيهما تشريفا لهم ورفعا لشانهم وقيل
وقيل اراد ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة و
يسجد الملائكة وهم لا يستكبرون اي لا يتعظمون عن السجود لله تعالى يخافون
ربهم من فوقهم اي عاليا عليهم بالاطلاع على حالهم وبعزهم بالامر والنهي
فمن فوقهم يتعلق بربهم حالا منه ويجوز ان يتعلق بيخافون فمعناه يخافونه
ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال لبيان نفي الاستكبار لان من يخاف
الله لا يستكبر عن السجود له ويفعلون اي الملائكة ما يؤمرون به اي لا يعصون
امره تعالى طرفة عين وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون بالامر والنهي والوعد
والوعيد وانهم بين الخوف والرجاء كساير المكلفين قوله وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين نزل حين وصف طائفة الله باثنين احدهما نفسه والثاني الصنم
فنهاهم الله عن ذلك فقال لا تصفوه الهين اثنين وكذبهم بقوله انما هو اله واحد
اي ليس هو الا اله واحد لا اثنان وانما جمع بين العدد والمعدود هنا وهو انما يكون
فيما وراء الواحد والاثنين لعدم الاحتمال فيهما فلا يقال جاءني رجل واحد
ولا رجلان اثنان وانما يقال عندي رجال ثلثة او اربعة ليدل على ان المقصود
من المعدود المذكور هو العدد فيكون اثنين تاكيدا لالهين لان الهين يدل على شيئين
الجنسية والعدد والغرض من ذكره بالنهي هو العدد لا الجنسية فشفع بما يؤكده
الا ترى انه لو قال في الكلام الثاني انما هو اله ولم يؤكده بواحد لم يحسن لانه يخيل
المخاطب لانه يثبت الالهية لا الواحدانية فاياي فارهبون اي اخشوني
ووحدوني ولا تشركوا بي شيئا وفيه نقل من الغيبة الى التكلم ليكون ابلغ في
الترهيب من قوله فاياه فارهبوا وله ما في السموات من الملائكة والارض من
الجن والانس وغيرهما كلهم عبيد ينقادون له وله الدين واصبا اي لله الا
او الطاعة دايما او واجبا ثابتا اي ان الطاعة ثابتة تدوم له لا يجوز لاحد
ان يميل عنها والوصب التعب ونصبه حال عمل فيه الظرف افغير الله تتقون
اي تعرضون عنه فتعبدون غيره وتطيعون قوله وما بكم من نعمة خطاب
عام للكفرة لا للمشركين خاصة اي والحال ان الذي بكم من غنا وصحة الجسم فمن الله
اي من قبله لا من غيره ثم اذا مسكم الضر اي الفقر والقحط والمرض فاليه اي الى الله

تجأرون

ليكشف

تجأرون اي تتضرعون او ترفعون اصواتكم بالدعاء والاستغاثة عنكم
عنكم الضر لا الى غيره ولعلمكم ان الغير عاجز عن ذلك ثم اذا كشف الضر
بقولكم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اذا فريق منكم وهو المنافقون
والكافرون بربهم يشركون بعبادة غيره ليكفروا اللام فيه لام العاقبة اي
حاصل امرهم بعد كشفنا الضر عنهم هو كفرهم بما آتيناهم اي بما اعطيناهم من
النعم وكشف الضر والبلاء فتمتعوا اي عيشوا ببقية اجالكم في الدنيا وهو
امر تهديد لهم وتخلية في معنى الخذلان فسوف تعلمون ما يفعل بكم في الآخرة
ثم قال استقباحا لفعلهم ويجعلون لما لا يعلمون اي للذي لا علم له من
الاصنام او لا يعلم الكفار منه ضرا ولا نفعا نصيبا اي حظا مما رزقناهم
من الاموال يعني من الحرث والانعام ثم قال اقساما بنفسه تالله لتسئلن
يا كفار يوم القيمة عما كنتم تفترون اي تكذبون على الله بقولكم الله امرنا
بهذا وانها آلهة تصلح للتقريب ثم قال ويجعلون لله البنات اي يصفون
ان الملائكة بناته سبحانه اي وهو منزه عن الولد اعتراض وتعجب من
قولهم ولهم ما يشتهون اي ويجعلون لانفسهم ما يحبون من الاولاد وهم البنون
لانهم يكرهون البنات وهو في محل النصب لانه مفعول يجعلون واذا بشر احدهم
بالانثى عند ولادة امراته ابنة له ظل اي صار وجهه مسودا اي متغيرا الى
السواد من الغم والكراهية والخجل وهو كظيم اي مملو حزنا وغيظا على المرأة التي ولدت
والجملة حال من ضمير وجهه يتوارى اي يختفي من القوم حياء من سوء ما بشر به من
البنت او ظهر في وجهه من العار والحزن ويتفكر كيف اصنع بها ايمسكه اي يحفظه
والضمير يرجع الى بشر على هون اي على هوان لا يميل اليها بالشفقة والرحمة ام
يدسه اي يدفنه ويخفيه في التراب الا ساء ما يحكمون اي بئسما يقضون
لله البنات ولانفسهم البنين او بئس حكمهم واذا البنات خوف الفقر والعار للذين
لا يؤمنون بالآخرة اي لمنكري البعث بعد الموت مثل السوء اي صفة الشر
وهو كفرهم بوصف الولد له تعالى واذا البنات وكراهيتها مع احتياجهم الى التزوج
والنسل قال ابن عباس مثل السوء النار ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا وهي
الغنا عن جميع الخلق والنزاهة عن صفاتهم والعلم والقدرة والبقاء وغيرها
من صفات الجلال والكمال او لاوليائه الله المثل الاعلى بتقدير المضاف وهو
التقوى والمعرفة وقال ابن عباس المثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله وهو العزيز
على اعدائه الحكيم فيما امر عباده ونهاهم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم

اي بعصيانهم وشركهم فيعاجلهم بالعقوبة ما ترك عليها اي على الارض وهو
اضمار قبل الذكر بدلالة قوله من دابة يعني لاهلكها كلها بشوم الظالمين قيل قد
فعل الله ذلك في زمان نوح عم الا من نجا بالسفينة من الاناسي والدواب
قال ابن مسعود ان الجعل ليعذب في جحره بذنب ابن آدم وقيل المراد من الدابة
هنا المشرك وقيل معناه لو يواخذ الله الاباء بظلمهم لانقطع النسل فلم يبق
في الارض احد ولكن يؤخرهم بالفضل والعفو الى اجل مسمى اي الى وقت معلوم
وهي منتهى اجالهم فاذا جاء اجلهم اي اذا قرب وقت عذابهم لا يستأخرون
ساعة عن الوقت ولا يستقدمون بالتعذيب قبل الوقت ويجعلون
لله اي يقولونه ما يكرهون لانفسهم وهو البنات او يعطون له
اردل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف اي ويقول السنتهم
الكذب مفعول تصف ان لهم الحسنى بفتح ان في محل النصب بدل
من الكذب اي تقول السنتهم ان لهم البنين وقيل الحسنى الجنة في الآخرة
مع اعمالهم الخبيثة كقوله لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ثم قال تعالى
لا جرم اي حقا ان لهم النار يوم القيمة وانهم مفرطون بكسر الراء اي
مسرفون في العصيان على انفسهم وبفتحها اي متركون في النار ومنسيين
من افرطته اذا تركته خلفك وقيل متقدمون الى النار ومنه حديث النبي عم
انا فرطكم على الحوض اي مقدمكم وامامكم عليه تالله لقد ارسلنا
الى امم من قبلك يا محمد كما ارسلناك هذه الامة فزين لهم الشيطان
اعمالهم يعني ضلالتهم حتى اطاعوا الشيطان وكذبوا الرسل فهو
وليهم اي ناصرهم يعني ليس لهم ناصر غيره اليوم اي في زمان الدنيا
او في الآخرة فيكون حكاية الحال الاتية يعني هو عاجز عن نصر نفسه فكيف
ينصر غيره ففيه نفي للناصر بابلغ الوجوه او هو قرينهم في النار ولهم
عذاب اليم اي وجيع دايم في الآخرة فهذا تهديد للكفار وتسلية للنبي عم
ليصبر على اذاهم كما صبر الرسل قبله وما انزلنا عليك الكتاب اي القرآن
الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهو دين الحق او البعث او الحلال
والحرام والمراد بالمختلفين المؤمنون والكافرون وقوله وهدى ورحمة
عطف على لتبين او للهداية من الضلالة وللرحمة من عذاب النار
لقوم يؤمنون اي يصدقون بالقرآن ثم قال تنبيها الطريق الجنة
والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بالنبات بعد موتها

اي بعد يبسها منه ان في ذلك اي في احيائها بالنبات لآية اي لعبرة لقوم يسمعون
بسمع القلوب لا بسمع الاذان فينصفون فيؤمنون لان من لم يسمع بقلبه
فكانه اصم لا يسمع وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم بضم النون وفتحها مما
في بطونه اي بطون الانعام وهو اسم مفرد يؤدي معنى الجمع وليس بجمع تكسير نعم فلذا
افرد الضمير وقيل يجوز ان يرجع الضمير الى النعم وهو مذكر ويجوز ان يراد به جنس الانعام
وقد روي عن سيبويه ان انعاما افعال موضوعة على النعم فالنعم والانعام
واحد فعلى هذا لا يكون جمعا في اللفظ كقولهم ثوب اكياس لضرب من الثياب اي
نشربكم مما يحصل في بطون الانعام من بين فرث ظرف في موضع الحال اي كاينا
في مكان وسط بين ثفل الكرش ودم وهو دم المعروف لبنا خالصا مفعول
لا يشوبه شيء من الدم والفرث لما بينه وبينهما حاجز من قدرة الله تعالى يعني ليس
عليه لون دم ولا فيه رايحة الفرث بل خالص من ذلك كله سايغا للشاربين
اي هنيئا يجري على السهولة في حلق من يشرب به وهو حجة لمن يقول بطهارة المني
وان جرى مجرى البول لامكان الحاجز بينه وبين مجرى البول كما كان الحاجز بين اللبن
وبين الفرث والدم فلم يمنع خروجه طاهرا قال ابن عباس اذا اكلت الدابة العلف
استقر في كرشها فطبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلط
على هذه الاوصاف الثلثة يقسمها بتقدير الله فيجري الدم في العروق واللبن في
الضرع ويبقى الفرث كما هو فسبحانه من يخلق الاشياء بحكمها وقوله ومن ثمرات
النخيل يتعلق بمحذوف دل عليه نسقيكم قبله اي وان لكم لعبرة ايضا فيما
نسقيكم قبله اي وان لكم لعبرة ايضا فيما نسقيكم ونرزقكم من عصير ثمرات
النخيل ومن عصير والاعناب تتخذون منه اي من جنس الثمرات او من
الثمر المحذوف قيل تتخذون ان جعلته مبتداء ومن ثمرات النخيل خبر اله فيكون
الجملة مستانفة لا عطفا على ما قبله تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب
ثمر تتخذون منه اي من بعض الثمر سكرا اي خمرا وهذا قبل تحريم الخمر او السكر
الخل فلا نسخ او النبيذ وهو الذي طبخ حتى ذهب ثلثاه ويترك الى الاشتداد
فهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر حرام عند الشافعي ورزقا حسنا
وهو ما يتخذ من الثمرات كالزبيب والتمر وكل ما يدخر منه رطبا ويابسا ان في
ذلك لآية اي لعبرة لقوم يعقلون اي يفهمون توحيد الله وقدرته واوحى
ربك الى النحل وهو مذكر في اللفظ مؤنث في المعنى كالنخل في الشجر اي الهمها
وقذف في انفسها وهي زنابير العسل وقيل جمع واحدتها نحلة ان اتخذي اي فيه مفسرة

من الجبال من فيه تبعيض بيوتا اي مساكن تأوين اليها ومن الشجر ومما يعرشون
اي يبنيتون لك من الاماكن ثم كلي من كل الثمرات اي من حلوها وحامضها و
غيرهما فاسلكي اي فادخلي سبل ربك اي طرقه التي الهمك وعرفك الرجوع
الي مسكنك ذللا حال من سبل اي سهلة المسالك في الجبال وخلال الاشجار
او حال من النحل جمع ذلول اي طيعة منقادة للمراد منك بالتسخير يقال ان
اربابها ينقلونها من مكان الي مكان لمصلحة لهم ثم اخبر عن وصفها تعجيبا
فقال يخرج من بطونها اي افواهها شراب اي عسل لانه يشرب منه مختلف
الوانه من ابيض واخضر واحمر واصفر واسود وقيل انه يختلف باختلاف الشبابة
والكهولة والشيخوخة وغيرها من النحل ويحتمل ان يكون الاختلاف في الالوان
باختلاف المأخذ كما يختلف طعم العسل من حلوه ومره بها وروي ان العسل ينزل من
السماء فيستقر في مكان فتاتيه النحل وتشربه ثم يأتي الخلية فتلقيه في الشمع المهيأ له
لا كما يظن بعضهم انه من فضلات الغذاء يستحيل في المعدة عسلا وفي هذه الرواية
ضعف لان اهل الخبرة من اصحاب النحل قالوا ان الزنابير يأكل من الثمار والانوار فيغير
الله تعالى بقدرته الثمر والنور في بطونها عسلا فاذا امتلأت بطونها تجيء من مسا
التي ذهبت الي بيوتها فتلقيه الي الشمع من بطونها كما صرح الله تعالى به فسبحان
من يجعل النور المر عسلا في اجواف الزنابير فيه شفاء للناس اي في العسل شفاء
للاوجاع التي يعرف شفاؤها منه يعني انه من جملة الاشفية المشهورة النافعة
لامراض الناس وليس الغرض انه شفاء لكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من
كل داء يعني من بعضها كقولهم الماء حيوة من كل شيء ومنه ما يقتل المريض وقال عم
عليكم بالشفائية القرآن والعسل يعني القرآن شفاء لما في الصدور والعسل شفاء
لما في الابدان ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فيعتبرون من امر النحيل
الطيقة بوحي ربها العاملة باذنه ما لا يقدر عليه احد من خلقه فيؤمنون والله
خلقكم ثم يتوفيكم اي يقبض ارواحكم صبيانا او شبانا او كهولا ومنكم
من يرد الي ارذل العمر اي اردائه الي الهرم لكي لا يعلم بعد علم شيئا اي كيلا
يعقل بعد عقله الاول شيئا لشدة هرمه فشيئا منصوب بلا يعلم او يعلم يعني
يصير بحال النسيان عند هرمه فلا يفهم ما كان يفهمه قبل هرمه وكبره وقيل هذا
في الكافر لان المسلم يزداد عقله بصلاحه في طول عمره كرامة له قال عم من قرأ القرآن
لم يرد الي ارذل العمر واراد من يتدبره ويعمل به قيل ارذل العمر تسعون سنة وقيل
ثمانون سنة وقيل خمسة وسبعون سنة ان الله عليم لا يزول علمه عن ذاته

ابدا قدير يقدر علي ازالة علم كل عالم وابقائه فيه قال انس بن مالك كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعوا اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب
القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات والله فضل بعضكم علي بعض
في الرزق اي وسع الرزق علي البعض وضيق علي البعض من الناس بان
كثره وقلله او فضل الموالي علي العبيد في المال والرزق يعني جعل رزقكم
افضل مما رزقكم مما اليكم وهم بشر مثلكم ليظهر التفاوت بينكم وبينهم
فما اي فليس الذين فضلوا وهو الموالي برادي فضل رزقهم اي الذي
اعطاهم الله وزاد عن حاجاتهم علي ما ملكت ايمانهم اي علي عبيدهم فهم فيه
اي الموالي والعبيد في الرزق سواء لا يكون تفاوت بينهم في الرزق بحسب اصل
الخلقة مثلهم في البشرية واخوانهم فكان ينبغي ان يردوا فضل رزقهم عليهم حتى يتحدوا
في المطعم والملبس بناء علي ما روي عن رسول الله انما هم اخوانكم فاكسوهم
مما تكسون واطعموهم مما تطعمون لكن الحكمة الالهية التي هي ظهور التفاوت
بينهم لاجل الخدمة المحتاج اليها منعته او المعنى انهم لا يرضون ان يكون مع مماليكهم
فيما رزقهم الله سواء يرد الفضل عليهم كراهة الشركة فيه وهم قد جعلوا عبيدي
شركاء بما في ملكي وسلطاني فهذا مثل ضربه الله عز وجل الزاما للحجة علي كفار مكة
حيث يشركون بالله خلقه وعبيده الذين هو خالقهم ورازقهم ثم قال انكارا عليهم
افبنعمة الله التي هي التفصيل يجحدون بالتاء والياء اي تكفرون بالاشراك به
فجعل جحود ذلك من جملة جحود النعمة وقيل معنى الآية اني رازقهم جميعا فهم في رزقي
سواء فلا تحسبن الموالي انهم يردون علي مماليكهم رزقهم فاني ارزقهم من ايديهم
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم نساء قيل المراد حواء لانها
خلقت من قصيراء آدم عم وجعل لكم من ازواجكم اي نسائكم بنين وحفدة
اي اولاد الاولاد جمع حافد من الحفد وهو العون والقوة وقيل هم الاختان علي
البنات وقيل هم الاصهار فالمعنى علي هذا القول والله جعل لكم من ازواجكم بنين
وبنات تزوجوهن فيحصل بسببهن الاختان والاصهار وقيل الحافد هو المسرع
في طاعة الآمر وخدمته ومصالحه من الاقرباء والمماليك وغيرهم ورزقكم
من الطيبات اي الحلالات افبالباطل اي الاصنام التي لا منفعة لها
ولا شفاعة يؤمنون اي يعبدون او بالشيطان يصدقون حيث امرهم
بتحريم البحيرة والسائبة وبنعمة الله اي بوحدانيته المشاهدة المعاينة
التي لا شبهة فيها او الاسلام او القرآن او بتحليله يكفرون يجحدون ويعبدون

من دون الله اي الاصنام ما لا يملك لهم رزقا من السموات اي انزال
المطر والارض اي النبات شيئا بدل من رزقا او مفعول له ولا يستطيعون
اي لا يقدرون دون ذلك لعجزهم وهو تاكيد للاول فلا تضربوا اي لا تصفوا
لله الامثال في العبادة يعني لا تشبهوه بشيء من خلقه فان التشبيه
به اشراك بالله ان الله يعلم ان لا شبيه له وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون
في الكفر بضرب الامثال له او انه يعلم كنه فعلكم وعظمه فيعاقبكم عليه وانتم
لا تعلمون كنهه فهو الذي جراكم عليه ثم ضرب مثله للمؤمنين والكافرين
فقال ضرب الله مثلا اي شبها وابدل منه عبدا مملوكا وصفه به ليخرج
منه الحر لان الخلق كله عبيد الله لا يقدر على شيء اي ليس له مال ينفق منه
ويتصرف في سبيل الخير لعجزه عن التصرف قيده به ليخرج المكاتب لان له
يدا في التصرف وان كان عبدا وكذلك الماذون له واختلفوا في العبد هل تصح
ملكه والظاهر انه لا يصح لقوله ومن رزقناه عطف على عبدا هي موصوفة
نكرة لكون المعطوف عليه نكرة اي وحرا رزقناه منا رزقا حسنا اي مالا
طيبا يقدر على التصرف فيه فهو ينفق سرا وجهرا في سبيل الله ورضاه
فاثابه الله عليه في الجنة هل يستوون اي العبد والحر في الخير والطاعة
ولم يقل يستويان لمكان من فانه يصلح للواحد والمثنى والجمع المعنى لا يستوي
العبد الفقير والغني السخي في الانفاق في سبيل الخير كذلك لا يستوي الكافر
العاصي والمؤمن المطيع عند الله ثم قال الحمد لله حامدا لنفسه ورد الا خلقه
على حمده على ظهور الحق من الباطل بل اكثرهم لا يعلمون الحق من الباطل يعني
قد ظهر ان الامر ليس كما يقول المشركون اذ ليس للاوثان عندهم من يد
ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله عز وجل لانه المنعم والخالق والرازق
ولكن اكثر الكفار او جميعهم لا يفقهون ذلك ثم اوضح ذلك بضرب مثل آخر فقال و
ضرب الله مثلا رجلين اي مثل رجلين فالثاني بدل من الاول المفعول حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للعلم به ثم وصف رجلين بقوله احدهما
ابكم اي اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من مال ولا منفعة وهو
كل اي ثقل وعيال على مولاه اي على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه بجزم
الهاء لوجود الجازم اي حيثما يرسله في كفاية مهم وتحصيل حاجة لا يات بخير
اي لا يجيء به لانه لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه رجل آخر على خلاف ذلك ولم
يذكر لانه اكتفى بذكر احدهما وهو الابكم كسرابيل تقيكم الحر ولم يقل البرد

النسخ ٤ وهذا

وهذا مثل للاصنام ومن يعبدها فذكر رجلين تغليبا او المراد المؤمن والكافر
والاول انسب لان الصنم لا يسمع ولا يسمع ولا يعقل وهو كل على عابده يحتاج الى
ان يحمله ويضعه ويخدمه او العبد ومولاه حقيقة كعبد عثمان فان عثمان
يامره بالتوحيد وهو يابى بالكفر ويكره الاسلام ثم استفهم على سبيل الانكار
هل يستوي هو الابكم او الكافر ومن يامر بالعدل اي الله او المؤمن يعني لا مساواة
بين الابكم والآمر بالخير وهو الله القادر المتكلم الآمر بالتوحيد والمؤمن الذي
يامر به ويعمل العمل الصالح وهو على صراط مستقيم اي دين الاسلام قال عطاء
الابكم ابي بن خلف المنكر للبعث ومن يامر بالعدل حمزة وعثمان ثم قال للكفار
الذين استعجلوا القيامة استهزاء ولله غيب السموات والارض اي له
علم ما غاب عن العباد فيهما وما امر الساعة اي قيام القيمة الا كلمح البصر
اي الا كرجعه في قرب كونها اذا قال كن فيكون او هو اقرب اي بل هو اسرع
المعنى ان قيام الساعة والبعث في قدرة الله ومشيته اقرب من كل
قريب ان الله على كل شيء قدير والبعث من مقدراته فلا تنكروه والله اخرجكم
من بطون امهاتكم بكسر الهمزة والميم وبضم الهمزة وفتح الميم وبكسر الهمزة مع
فتح الميم اي خلقكم والحال انكم لا تعلمون شيئا من الاشياء او من حقوق
المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى
السعة وجعل لكم السمع والابصار والافئدة جمع فؤاد جمع قلة استعمل في
موضع الكثرة وهو وسط القلب لازالة الجهل الذي ولد ثم عليه لعلكم تشكرون
اي لكي تشكروا رب هذه النعم ثم بين طريقا يؤدي الى معرفة وحدانيته بقوله
الم تروا بالتاء والياء الى الطير مسخرات اي مذللات للطيران بما خلق
لها من الاجنحة في جو السماء اي في الهواء المتباعد من في الارض في سمت
العلو ما يمسكهن نصب على الحال من الطير اي ما ياخذهن في الهواء عند قبض
الاجنحة وبسطها الا الله بقدرته ان في ذلك اي في تسخيرهن وامساكهن
في الهواء لآيات اي لدلالات على وحدانيتي لقوم يؤمنون به تعالى بنظر الاستدلال
قيل ان الطير ترتفع اثني عشر ميلا في جو السماء ولا ترتفع فوق هذا والله جعل
لكم من بيوتكم سكنا اي مسكنا تسكنونه يعني وفقكم لبناء البيوت للسكنى
والقرار وجعل لكم من جلود الانعام اي شعرها وصوفها ووبرها بيوتا اي
خياما او القباب من الادم والانطاع تستخفونها اي يخف عليكم حملها يوم
ظعنكم بفتح العين وسكونها اي وقت رحلتكم في سفركم ويوم اقامتكم في بلادكم

لايثقل عليكم في الحالين وجعل لكم من اصوافها اي من اصواف الغنم واوبارها
اي اوبار الابل واشعارها اي اشعار المعز والضماير راجعة الي الانعام قوله
اثاثا ومتاعا نصبه عطف علي سكنا بتقدير جعل وهما بمعني واحد وقيل
الاثاث متاع البيت والمتاع كل ما يتمتع به اي متاعا تنتفعون بها من الفرش
والاكيسة الي حين الي الموت او الي ان تبلي وتهلك والله جعل لكم مما خلق
ظلالا اي اشجارا تستظلون بها من شدة الحر او المراد ظلال البيوت وجعل
لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن
وجعل لكم سرابيل اي قميصا من القطن والكتان والصوف تقيكم الحر اي
تمنعكم الحر والبرد من قبيل الاكتفاء باحد الشيئين لدلالة الآخر عليه وسرابيل
اي دروعا من الحديد تقيكم اي يمنعكم بأسكم اي اذاكم او تدفع في حربكم
ان يصيبكم السلاح وقيل البأس العدو المحارب كذلك اي هذه الاتمام المذكور
يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنقادون بذلك لرب هذه النعم
وتخلصون له العبادة ثم قال لنبيه عم فان تولوا اي اعرضوا عن الاسلام
فانما عليك البلاغ المبين اي التبليغ الظاهر وتبيين الهدي يعني لا يلحقك بذلك
عنتاذ لم يكن في تبليغك تقصير يعرفون نعمة الله اي نبوة محمد عم وقيل دين
الاسلام وكل نعمة عدت في هذه السورة ثم ينكرونها يعني يعرفون ان خالق
كلها هو الله ثم يجحدونها بعبادة غيره او يقرون اذا ذكر لهم هذه النعم
ان كلها من الله لكنهم يقولون انها بشفاعة آلهتنا او يقولون كان هذا
لآبائنا ثم ورثناها بعدهم وثم فيه للاستبعاد واكثرهم الكافرون اي
الجاحدون بنعم الله او بنبوة محمد عم وقيل الاكثر هنا بمعني الكل ويوم نبعث
اي اذكر يوم بعثنا من كل امة شهيدا اي نبيا يشهد علي امته بالرسالة انه
بلغها فيمنعون من الكلام ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار وفي
الكلام يعني لا حجة لهم ولا عذر لان يتكلموا بهما ثمة ولا هم يستعتبون
اي لا يسترضون يعني لا يتكلفون ان يرضوا ربهم بصالح عمل لان الآخرة
ليست بدار تكليف او لا يرجعون الي دار الدنيا فيتوبوا وحقيقة الاستعتاب
التعرض لطلب الرضا وهو مسند علي الكفار في الآخرة واذا راي الذين ظلموا
اي الكفار العذاب بغتة لحقهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم اي لا يسهل العذاب
عنهم حين عاينوه ولا هم ينظرون اي يمهلون ساعة ليسترجعوا واذا
راي الذين اشركوا بالله شركاءهم اي آلهتهم قالوا معترفين ربنا هؤلاء

شركاؤنا

شركاؤنا الذين كنا ندعوا اي نعبد من دونك وهم امرونا بذلك فالقوا
الاوثان اليهم اي الي عابديهم القول اي يقولون لهم انكم لكاذبون
في تسميتنا آلهة وفي امرنا بعبادتكم ايانا والقوا اي المشركون الي الله يومئذ
السلم اي الانقياد يعني استسلموا وانقادوا وخضعوا بعد الاباء والا
ستكبار في الدنيا لامر الله وحكمه فيهم يوم القيمة بجلال الله وكبريائه
وضل عنهم ما كانوا يفترون اي يكذبون ان آلهتهم تشفع لهم يعني لم تغن
عنهم آلهتهم شيئا من العذاب ثم بين زايد عذاب من ضل واضل بقوله الذين
كفروا بالتوحيد وصدوا اي منعوا الناس عن سبيل الله اي عن توحيده
وطريق الحق زدناهم عذابا فوق العذاب المعد لهم من النار وهو العقارب
كالبغال لها انياب امثال النخل الطوال وحيات امثال البخت تلسع احدا
فيهم اربعين خريفا وقيل يسلط عليهم الجوع والجرب بما كانوا يفسدون
في الدنيا بكفرهم وصدهم الناس عن الايمان ويوم نبعث في كل امة شهيدا
اي رسولا يشهد عليهم من انفسهم اي من البشر لان الانبياء كانت تبعث
الي الامم منها وجئنا بك يا محمد شهيدا علي هؤلاء اي علي امتك التي بعثت
اليها ونزلنا عليك الكتاب اي القرآن تبيانا اي بيانا بليغا لكل شيء
يحتاج اليه من الامر والنهي والحرام والحلال والحدود والاحكام والقصص
والامثال بعضه مفسر وبعضه مجمل فانت تفصله لهم ما دمت حيا ثم بعدك
من المجتهدين المستنبطين الكتاب بواسطة الادلة الشرعية المستفادة
منه كالسنة والاجماع والقياس بالاجتهاد الصحيح فلذلك كان تبيانا لكل شيء
وهدي من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن به وعمل بما فيه وبشري
بالجنة للمسلمين اي المنقادين بالاخلاص قوله ان الله يأمر بالعدل
اي بالتوحيد والانصاف والاحسان اي وباداء الفرايض والاخلاص
في التوحيد وذلك معني قوله عم الاحسان ان تعبد الله تعالي كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك او العفو عن الناس وايصال النفع اليهم مالا
ونفسا وايتاء ذي القربي اي وبصلة الرحم وينهي عن الفحشاء اي
الزنا او كل ما قبح من القول والفعل والمنكر اي بما يعرف شرعا لا عقلا والبغي
اي التكبر والظلم يعظكم الله بالامر بثلثة اشياء وعن ثلثة اشياء
وهي علم الاولين والآخرين في مكارم الاخلاق لعلكم تذكرون اي لكي
تتعظوا وترشدوا انزل سببا لاسلام عثمان بن مظعون وذلك انه

قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فاسلمت حياءً
منه ولم يقر الاسلام في قلبي فررت به ذات يوم وهو بفناء بابه فحيني
جالسًا فدعاني فجلست اليه فبينما يحدثني اذ رايت بصره شخص الى السماء
حتى رأيت طرفه قد انقطع فمكث زمانًا ثم خفض رأسه عن يمينه ثم رفعه
مرة اخرى الى السماء ثم خفضه عن يساره ثم اقبل على محمرا وجهه يفيض
عرقا فسألت عن تلك الحالة النازلة عليه فقال بينما احدثك اذ رفعت بصري
الى السماء رأيت جبرئيل ينزل علي فلم يكن لي همة غيره حتى نزل عن يميني
فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل الآية قال عثمان فاستقر الايمان في قلبي يومئذ
قال ابن مسعود ليس في القرآن اجمع آية لمكارم الاخلاق من هذه الآية وتقدير
المعنى فيها فافعلوا ما امرتم به واتقطوا **واوفوا بعهد الله** اي واتموا عهده الذي
بينه وبينكم **اذا عاهدتم** الله وهو البيعة لرسول الله صلى الله عليه
على الاسلام والمراد هو العهد الذي بينكم وبين غيركم من الناس وهو اليمين
وكفارة اليمين اذا حلفتم ثم نقضتم **ولا تنقضوا الايمان** اي ولا تنكثوا العهود
بعد توكيدها اي بعد تشديدها باسم الله واكد ووكد واحد والاصل بغير واو
والواو والهمزة بدل **وقد جعلتم الله عليكم كفيلا** اي شهيدا على الوفاء بها لان
الكفيل من يرعى حال المكفول به رقيب عليه والواو للحال **ان الله يعلم ما تفعلون**
في وفاء العهود ونقضها ثم ضرب الله مثلا لنقض العهد بقوله **ولا تكونوا** في
نقض العهد واليمين **كالتي** كالمرأة التي **نقضت غزلها** امرأة من قريش وهي ريطة
الحمقا بنت عمرو بن سعد وكانت بها وسوسة من الشيطان **من بعد قوة** اي احكام
وابرام فجعلته **انكاثا** ونصبه حال من غزلها جمع نكث بمعنى منكوث وهو ما يحل بعد
الفتل غزلا او حبلا وكانت تلك المرأة تغزل الغزل من صوف وغيره وتأمر جواريها
بذلك فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار ثم امرتهن بنقض جميع ما غزلن بعد الزوال
فهذا كان دأبها والمعنى انها لم تكف عن العمل وحين عملت لم تكف عن النقض فكذلك
انتم اذا نقضتم العهد لا كففتم عن العهد ولا وفيتم به حين عهدتم **تتخذون
ايمانكم** اي عهودكم محله نصب على الحال من اسم كان **دخلا بينكم** اي دغلا
وخيانة ومفسدة فيكم ونصبه مفعول ثان لتتخذوا والدخل اسم ما يدخل
في الشيء للفساد **ان تكون** اي بسبب ان يثبت **امة** اي جماعة **هي اربى** اي
ازيد عددا واوفر مالا **من امة** اي من جماعة خالفتموهم والجملة في محل الرفع
صفة امة لا نصب خبر كان قيل انهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا

قوما اكثر منهم واعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر لطلب العزة بنقض
العهد فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقال تاكيدا للنهي **انما يبلوكم الله به** اي
يختبركم بامره اياكم بالوفاء بالعهد والنهي عن النقض **وليبينن لكم يوم القيمة
ما كنتم فيه تختلفون** اي في الدنيا بنقض العهد وغيره ويجازيكم به **ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة** اي على ملة الاسلام بطريق الالجاء لانه قادر عليه
ولكن يضل من يشاء بحكمته المقتضية اضلاله يعني بخذلانه اياهم عدلا منه
ويهدي من يشاء بلطفه وتوفيقه اياهم فضلا منه لمن علم انه يختار
الايمان فبني الامر على الاختيار المرتب عليه الثواب والعقاب لا على الاختيار
الذي لا يستحق به شيء وحققه بقوله **ولتسئلن عما كنتم تعملون** من الوفاء
بالعهد ونقضه يوم القيمة ثم قال تاكيدا للنهي عن نقض العهود واظهارا لعظم
ما يرتكبون منه **ولا تتخذوا ايمانكم دخلا** اي فسادا وخديعة **بينكم** فيغرون
بها الناس حتى يسكنون الى ايمانكم ويأمنون ثم ينقضونها **فتزل قدم** اي قدمكم
بعد ثبوتها اي بعد الاستقامة وافراد القدم وتنكيرها ليدل على الاستعظام
زلة قدم واحد عن طريق فكيف باقدام كثيرة ونصب الفعل جواب النهي يقال
فلان زلت قدمه اذا وقعت في ورطة بعد سلامة **وتذوقوا السوء** اي
تتجرعوا العذاب في الدنيا **بما صددتم** اي صرفتم **عن سبيل الله** اي دينه
الاسلام لانكم اذا استهلتم طريق نقض العهد على الناس اتخذوها سنة يستنون
بها لغيرهم **ولكم عذاب يوم عظيم** اي شديد في الاخرة قوله **ولا تشتروا** اي
ولا تختاروا **بعهد الله** اي بنقض عهده **ثمنا قليلا** اي يسيرا يعني لا تنقضوا عهودكم
تطلبون بنقضها عرضا يسيرا من الدنيا لكن اوفوا بها **انما عند الله** اي ان الذي عنده
من الثواب لكم على الوفاء **هو خير** اي انفع **لكم** في الآخرة مما اخذتم من اليسير
على النقض في الدنيا **ان كنتم تعلمون** فضل ما بين العوضين نزل في رجل من
حضرموت اسمه عبدان بن الاسوع جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اله انظر فانصرف من عنده فجاء جبرئيل بالآية فاقر بالحق لصاحبه ثم
بين الله تعالى فضل ما عنده من الثواب بقوله **ما عندكم ينفد** اي الذي عندكم من
حطام الدنيا يفنى **وما عند الله** من الثواب في الجنة **باق** اي دايم لاهله
فيها **ولنجزين** بالياء والنون اي لنثيبن **الذين صبروا** عن اليمين واقروا
بالحق لمستحقه او على اذى المشركين وميثاق الاسلام **اجرهم باحسن ما كانوا
يعملون** اي بافضل اعمالهم ونبقي ساير الاعمال فضلا فلما سمع امرؤ القيس الآية

كم

قال ان صاحبي صادق فيما قال لقد قطعت ارضه ولكني ما ادري كم مني
ولكنه ياخذ ما يشاء من ارض ومثلها معها اما اكلت من ثمارها فقال رسول الله
من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقي علي ما
يفني ونزل من عمل صالحا من ذكر او انثي وانما فصله مع عمومه لكون من متنا
ولا للذكور في الظاهر دون الحقيقة فبينه ليعم الثواب الموعود للنوعين جميعا
اي كل شخص يعمل عملا صالحا من الفريقين وهو مؤمن الواو للحال ايماء به الي ان العمل
الصالح لا يقبل بدون الايمان فلنحيينه في الدنيا حيوة طيبة اي رزقا حلالا
قال ابن عباس والحسن القناعة وقيل استقامة في طاعة الله وقيل رزق
يوم بيوم من حيث لا يحتسب وقيل التوفيق في القلب مع حلاوة العبادة
ولنجزينهم اجرهم اي ثواب اعمالهم باحسن ما كانوا يعملون ولما كان من جملة الاعمال
الصالحة التي يجزي الله علي احسنها الثواب في الجنة جودة القراءة في الصلوة
التي هي وجه دين الله ورئيسه اورد عقيب العمل الصالح قوله فاذا قرات القران
اي اذا اردت قراته في الصلوة او في غيرها وانما عبر بلفظ الفعل عن ارادته لملازمة
ظاهرة بينهما وهي وجوده عندها من غير فاصل فاستعذ بالله اي التجئ به
وتعوذ من الشيطان الرجيم المرجوم او المطرود والاستعاذة سنة عند قراءة
القران والاكثر علي انها قبل القراءة خلافا لمالك عملا بالظاهر وهي ان يقول اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم قال ابن مسعود قرات علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقلت ابتداء اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرئيل عن القلم عن اللوح المحفوظ ومعني الاستعاذة
الاستعصام بالله من السوء انه ليس له سلطان اي تسلط وحجة علي الذين
امنوا اي وحدوا الله يعني يقبلون منه ولا يطيعونه في ما يريده من اتباعهم
اياه وعلي ربهم يتوكلون اي يعتمدون في امورهم دون غيره يعني ليس له ولاية
علي ان يحملهم علي ذنب لا يغفر انما سلطانه اي ولايته علي الذين يتولونه
اي يطيعون الشيطان ويدخلون في ولايته والذين هم به اي بالله
مشركون او الباء للسببية والضمير للشيطان واذا بدلنا آية مكان آية اي اذا
نسخنا حكم آية فانزلنا مكانه حكما آخر بانزال اية والله اعلم بما ينزل اي في
الحال انه اعلم بما هو اصلح لخلقه فيما يبدل من احكامه علي حسب اختلاف الزمان
بنسخ الشرايع بالشرايع لحكمة فيه قالوا اي كفار قريش انما انت مفتر اي مختلق
يا محمد وذلك انهم قالوا سخر محمد اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتري

يتقوله

310

يتقوله عن تلقاء نفسه فاكذبهم الله تعالي بقوله بل اكثرهم لا يعلمون حقيقة
القران وعلم الناسخ والمنسوخ فان الشرايع مصالح للناس فجاز ان يكون مصلحة
الامس مفسدة اليوم وخلافها مصلحة له والله عالم بهما فيثبت ما يشاء وينسخ
ما يشاء بحكمته المقتضية اياه قل يا محمد انزله القران روح القدس اي جبرئيل
من ربك بالحق اي بالوحي او بالصدق والنسخ ايضا من قبيل الحق وهو محل النصب
علي الحال اي نزله ملتبسا بالحق ليثبت اي ليحفظ قلوب الذين امنوا با
لناسخ وعلموا صدقه عن الاضطراب ويزدادوا ايمانا ويقينا وهدي من
الضلالة وبشري بالجنة للمسلمين وهما في محل النصب مفعول لهما معطوفان
علي محل ليثبت تقديره تثبيتا لهم وهداية وبشارة وفيه تعريض لحصول اضدادها
لغير المسلمين فان الله تعالي حكيم لا يفعل شيئا الا بالحكمة ولقد نعلم انهم اي
كفار مكة يقولون انما يعلمه بشر اي ما يعلم محمدا القران الا ادمي وهو جبر
ويسار وكانا غلامين نصرانيين من اهل اليمن في مكة يصنعان السيوف فيها
ويقران التورية والانجيل فر بهما النبي عم وهما يقران فيقف ويسمع فقال
المشركون انما يتعلم محمد منهما فقال تعالي في جوابهم تكذيبا لهم بالاستيناف لسان
الذي يلحدون بضم الياء وكسر الحاء مأخوذا من الحد ومن لحد بفتح الياء والحاء اي
لسان الرجل الذي يميلون السنتهم بزعم انه يعلمه اليه اعجمي وهو الذي
لا يفصح وان كان عربيا والعجمي هو المنسوب الي العجم وان كان فصيحا وهذا اي
القران لسان عربي مبين اي مفصح واللسان اللغة هنا روي ان الرجل الذي
كانوا يلحدون اليه اسلم وحسن اسلامه وهو يسار ثم اسلم جبر بعده وهاجر
مع سيده ثم قال الله تعالي ان الذين لا يؤمنون بايات الله اي القران لا يهديهم الله
في الدنيا اي لا يرشدهم لقلة رغبتهم في الايمان ولهم عذاب اليم في الاخرة
ثم اخبر تعالي ان صفة الافتراء مخصوصة بالمشركين من قريش بقوله انما يفتري
الكذب اي يختلقه الا الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون
لا محمد عم فهو رد لقولهم انما انت مفتر يعني عادتهم الكذب لا يتحاشون به
في كل شيء قال عبد الله بن جراد قلت يا رسول الله ايزني المؤمن قال قد يكون
قلت ايسرق قال قد يكون قلت ايكذب قال لا فقرا انما يفتري الكذب الاية قوله
من كفر بالله من بعد ايمانه نزل في ناس من اهل مكة امنوا فكتب اليهم بعض
اصحاب رسول الله ان هاجروا فانا لا نراكم منا حتي تهاجروا الينا فخرجوا يريدون
المدينة فادركهم قريش في الطريق ففتنوهم فكفروا كارهين وقلوبهم مطمئنة

بالايمان منهم عمار وياسر وامه وصهيب فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان عمارا كفر بعد الايمان فقال عم كلا ان عمارا ملي ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط
الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله وهو يبكي فقال رسول الله ما وراءك
قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال كيف وجدت قلبك
قال مطمئنا بالايمان فجعل النبي عم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم
بما قلت فاوحى الله اليه من تكلم بكلمة الكفر فقد استحق الغضب والعقاب
من الله **الا من اكره** استثناء متصل ليتناول الكفر على القول والاعتقاد اي
الا من اجبر على كلمة الكفر فكفر مكرها **وقلبه مطمئن بالايمان** اي ثابت على ما كان
منه ثم اخبر عن حال من لم يثبت على الايمان بقوله **ولكن من شرح** اي فتح **بالكفر صدرا**
يعني اختار وقبل قلبه الكفر وطابت نفسه به **فعليهم غضب من الله ولهم**
عذاب عظيم اي شديد في الآخرة قيل اجمع العلماء على ان من اكره على كلمة الكفر
يجوز له ان يقول بلسانه دون قلبه لخوف من الله فهو مؤمن حقا وان ابى ان
يقول بلسانه حتى يقتل كان افضل من قوله غير معتقد روي ان ياسرا ابا عمار
وامه سمية قتلا بعد التعذيب لاجل الاسلام وهما اول قتيلين فيه وامرهما
افضل من امر عمار لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام **ذلك**
اي الغضب والعذاب العظيم يلحقان بهم **بانهم استحبوا** اي اختاروا **الحيوة**
الدنيا على الآخرة وبسبب ان الله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يرشدهم الى
الايمان لعدم رغبتهم في قلوبهم اليه **اولئك الذين طبع الله** اي ختم بخذلانه
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة
لان اشد الغفلة وغايتها الغفلة عن عواقب الامور ولاجل ذلك اجترؤا على ترك
اوامر الله ونهيه **لا جرم** اي حقا **انهم في الآخرة هم الخاسرون** اي المغبونون
ثم ان ربك للذين هاجروا دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم
عمار واصحابه واللام فيه للاختصاص اي هو ناصرهم لا عدو لهم كما كان عدوا
لهؤلاء الكفار **من بعد ما فتنوا** مجهولا اي عذبوا وصرفوا عن الاسلام يعني عذبتهم
اهل مكة بالاكراه على الكفر وقرئ معلوما اي فتنوا الناس واوقعوهم في الضلالة
او انفسهم بردتهم بعد الاسلام قيل نزلت في شان ابي السرح وكان اخا عثمان
لامه ارتد ثم اسلم يوم فتح مكة وحسن اسلامه **ثم جاهدوا** مع النبي صلى الله عليه [وسلم]
في سبيل الله **وصبروا** على الايمان والهجرة والجهاد **ان ربك من بعدها** اي بعد
تلك الفتنة والهجرة والصبر **لغفور** لذنوبهم **رحيم** بادخالهم الجنة قوله **يوم تاتي**

وسلم

ظرف

ظرف لرحيم او لفعل مقدر اي اذكر يوم يحضر **كل نفس** اي انسان **تجادل** اي
تخاصم وتعتذر **عن نفسها** اي عن ذاته لا يهمه شان غيره بل يشتغل بالاعتذار
عن نفسه ويقول ما اشركت انا ولا عصيت او يقول هؤلاء اضلوني عن طريق
الحق وفي نفسها اضافة الشيء الى نفسه وتاويلها اي المراد من النفس الاولى الجملة
كما هي ومن الثانية العين وهو غيرها كانه قيل تجادل عن ذاتها والذات اعم منها
وتوفى اي توفر **كل نفس** سواء كانت فاجرة او صالحة **ما عملت** اي جزاء عملها
في الدنيا من خير او شر **وهم لا يظلمون** بالنقص عن احسانهم ولا بالازدياد عن سيئاتهم قيل يكون ذلك اذا زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي
مرسل الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا اسال
الا نفسي اي ادافع عن خلاص نفسي لا غير وروي ان الروح تخاصم الجسد يوم
القيامة فيقول الروح يا رب لم تكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين
ابصر بها وتقول الجسد يا رب جعلتني كالخشب اليابس لا يتحرك نفسه
من جانب الى جانب ولا يقدر على شيء فيضرب الله تعالى فيهما مثل الاعمى
والمقعد فيعذب بان **وضرب الله مثلا** اي شبها لمن انعم الله عليه فابطرته
النعمة فكفر وتولى **قرية** هي مكة او ايلة **كانت آمنة** اي لا يهاج اهلها ولا
يغار عليها **مطمئنة** اي قارة باهلها لا يحتاجون الى الانتقال للانتجاع كما
يحتاج اليه ساير العرب **ياتيها رزقها رغدا** اي واسعا **من كل مكان** يعني
يحمل اليها من البر والبحر **فكفرت** اي طغت **بانعم الله** جمع النعمة بعد طرح التاء
منها كدرع وادرع روي ان اهلها كانوا يستنجون بالخبز وكفرت بمحمد والقرآن
والاسلام **فاذاقها الله** اي عاقب اهلها **لباس الجوع** اي ببلاء القحط سبع
سنين حتى اكلوا ما يغوطونه **والخوف** اي ولباس خوف العدو وخوف سرايا النبي عم
بما كانوا يصنعون اي بسبب صنيعهم الخبيث قيل شبه ما يدرك من اثر الضرر
والالم بما يدرك من طعم المر والبشع اللذة فاستعمل الاذاقة على اصابته فيقال
ذاق فلان الضر والبؤس واذاقه العذاب اي اصابه ذلك ثم يستعمل
الذوق عندهم على الملابسة كالحقيقة لشيوعه في الشدائد والبلايا
فيقال ذاق فلان الضر اذا لابسه وكذا اللباس شبه به سوء الحال الذي يغشى
الناس والتبس به من كل جانب كاشتمال الناس على اللابس فيستعار اللباس
له ولما كان الخوف والجوع يتغشانهم تغشي الثوب للابس استعير في الآية
اللباس لكل من الجوع والخوف يعني ابتلاهم الله بهما وظهر عليهم سوء آثارهم و

لك

فكان اللباس قرصا رجوعا وخوفا فلابس بهما فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف

تغير الحال عليهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم وذلك بدعاء النبي عم حيث قال
اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعل سنينهم كسني يوسف فاستجيب دعاؤه
فوقع القحط فيهم حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة **ولقد جاءهم رسول**
منهم وهو محمد عم **فكذبوه واخذهم العذاب** اي الجوع **وهم ظالمون**
والواو للحال ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله وقالوا انت عاديت الرجال
فما بال الصبيان والنساء فاذن رسول الله ان يحمل الطعام اليهم وهم
بعد مشركون فانزل الله تعالى **فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** اي من الحرث
والانعام وهم خزاعة وثقيف **واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون**
اي توحدونه او ترضونه بعبادتكم فان رضاه ان تستحلوا ما احله هو
وتحرموا ما حرمه ثم عرفهم المحرمات لتجتنبوا عنها بقوله **انما حرم عليكم الميتة**
والدم ولحم الخنزير وما اهل اي رفع الصوت في ذبحه **لغير الله به** اي
لغير اسمه تعالى بسبب ذكر الشيء من الباء يتعلق بقوله **فمن اضطر** بشيء مما
حرم الله عليه فاكل منه **غير باغ** اي غير متجاوز عند الاكل بالضرورة عن الشبع
ولا عاد معتد بالسفر فياكل للضرورة فيه اشارة الى ان العاصي في سفره
لا يجوز له ان ياكل الميتة للضرورة هذا عندنا فهي رحمه الله او المراد منه ولا راجع
الى اكله من غير ضرورة بعد اكله للضرورة **فان الله غفور** فيما اكل **رحيم** للترخيص
في اكل الميتة للضرورة ثم نهاهم عن الحكم بالرأي في التحليل والتحريم بلا حجة
بقوله **ولا تقولوا لما تصف** اي لاجل الذي تصفه **السنتكم الكذب** مفعول
لا تقولوا حين جعله الكذب مبالغة وابدل منه قوله **هذا حلال وهذا**
حرام يعني لا تقولوا للذي تصفونه بالحل والحرمة من البهايم كذبا من غير
اسناد الى الله هذا حلال وهذا حرام فما موصولة والعايد محذوف ويجوز
ان تكون مصدرية والكذب مفعول تصف ويتعلق هذا حلال وهذا حرام
بلا تقولوا على معنى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب
يعني لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول ينطق به السنتكم لا لاجل حجة وبينة من الوحي
بل بالقول الباطل والدعوى الفارغة **لتفتروا على الله الكذب** بتحريم البحيرة
والسائبة وغيرهما واللام فيه للصيرورة متعلق بلا تقولوا **ان الذين**
يفترون على الله الكذب لا يفلحون اي لا ينجون من العذاب في الآخرة و
فيه تهديد لاهل الفتوى والقضاة قوله **متاع** خبر مبتدأ محذوف اي
بقاؤهم في الدنيا وعيشهم تمتع **قليل ولهم عذاب اليم** اي في الآخرة لاجل

ذلك

ذلك القليل **وعلى الذين هادوا** اي مالوا عن الاسلام وهم اليهود **حرمنا ما قصصنا**
عليك من قبل اي قبل هذه السورة في سورة الانعام **وما ظلمناهم** لتحريمنا
ذلك عليهم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بترك الايمان والمعاصي فحرمنا عليهم بغيهم
ثم ان ربك ولي **للذين عملوا السوء** اي المعصية **بجهالة** في موضع الحال
اي جاهلين بالله وبعقابه يعني غير متفكرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم
ثم تابوا من بعد ذلك اي بعد عمل السوء **واصلحوا** اي استقاموا على التوبة
ان ربك من بعدها اي بعد التوبة **لغفور** لذنوبهم **رحيم** بهم بالثواب ثم
بين حال ابراهيم لكفار مكة ليتبعوا ملته فقال **ان ابراهيم كان امة** اي
كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير او معلما للخير يأتم به اهل
الدنيا او كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفارا **قانتا لله** اي مطيعا لربه او
قائما بامر الله **حنيفا** اي مائلا الى الحق غير زائل عنه يعني مستقيما مخلصا على
دين الاسلام قوله **ولم يك من المشركين** تكذيب لكفار مكة حيث قالوا انه منا
اي لم يكن ابراهيم معهم في دينهم حذف النون من يكن لكثرة الاستعمال **شاكرا**
لانعمه اي كان عارفا ذاكرا بما انعم الله عليه من انواع النعم لانه كان لا ياكل الا مع الضيف
وينفق على الفقراء واليتامى والمساكين **اجتباه** اي اختاره الله للنبوة **وهداه**
الى صراط مستقيم اي الى دين الحق وهو الاسلام **وآتيناه** اي اعطيناه **في**
الدنيا حسنة اي رسالة وخلة او لسان الصدق والثناء الجميل وقيل القبول
العام في جميع الامم وقيل الاموال والاولاد **وانه في الآخرة لمن الصالحين** اي مع ابائه في
الجنة **ثم اوحينا اليك** ثم فيه لتعظيم النبي عم واجلالا لمحل ابراهيم عم ليتبع المشركون
دين الاسلام لانه ملة ابراهيم عم اي امرناك مع هذه الكرامة العظيمة التي اعطيناك
ان اتبع ملة ابراهيم اي دينه **حنيفا** حال من فاعل اتبع اي مستقيما عليه او حال من ابراهيم
اي حال كونه مسلما **وما كان من المشركين** اي على دينهم قال العلماء كان النبي عم
مأمورا بشريعة ابراهيم الا ما نسخ بشريعته وما لم ينسخ صار شرعا له قوله **انما جعل**
السبت على الذين اختلفوا فيه نزل تحريضا على الاستقامة في دين الحق
لان الميل عنه يورث الطرد واللعنة اي ما جعل السبت لعنة او ما فرض تعظيم
السبت وترك الاصطياد فيه الا على القوم الذين اختلفوا في السبت وهم اليهود
واختلافهم انهم حرموا الصيد فيه تارة واحلوه تارة ولم يتفقوا على تحريمه وقيل
اختلافهم ان الله افترض عليهم تعظيم الجمعة بالوحي على موسى عم بقوله تفرغوا
في كل سبعة ايام يوما فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه لصنعتكم وستة

ايام لصناعاتكم فابوا وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت
فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد فيه عليهم ثم جاء عيسى عم بيوم الجمعة فقالوا لا نريد
ان يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا يوم الاحد فاعطى الله الجمعة
هذه الامة فقبلوها وبورك لهم فيها بمغفرة الذنوب ونزول الرحمة عليهم
وان ربك ليحكم اي ليقضي بينهم بيان الحق معاينة يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون من دين الحق يعني ليجازيهم جزاء اختلافهم في التحليل والتحريم
ومعنى يوم من الاسبوع للعبادة وتعظيم غير ما فرض الله عليهم ثم قال لنبيه عم
ادع الى سبيل ربك اي الى الاسلام بالحكمة اي بالقرآن والنبوة والموعظة
الحسنة اي بالقول اللين الرفيق من غير غلظة ولا تعنيف قال عم امرنا ان نكلم
الناس على قدر عقولهم وقيل الموعظة الحسنة الدعوة الى الله بالترغيب والترهيب
وجادلهم بالتي هي احسن اي وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي المرضية عند
الله تعالى وهي ان لا يكون لك فيها غرض من الاغراض الدنيا ولا اذى لهم ولا تقصير
في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق وهذا منسوخ باية السيف ان ربك هو
اعلم بمن ضل عن سبيله اي دينه الحق وهو اعلم بالمهتدين اي المستقيمين
في الدين قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به نزل بالمدينة في شهداء
احد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بحمزة وحاله من المثلة السيئة
وهي بتقير بطنه وجدع انفه واذنه وجب مذاكيره جزعوا جزعا شديدا وقالوا
لئن ظفرنا بهم بقريش لنمثلن بهم مثلة لم يفعلها احد من العرب باحد ثم رأى
النبي عم عمه حمزة بحاله التي بها رآه فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن
لسبعين منهم مكانك فقال تعالى ان كنت فاعلا بمن تاهم فافعل بهم مثل ما فعلوا
لموتاكم فكف رسول الله عن المثلة وكفر عن يمينه قيل لا خلاف في تحريم المثلة
لورود الاخبار بالنهي عنها حتى الكلب العقور روي انه لم يبق احد من قتلى
احد من المسلمين الا وقد مثل به غير حنظلة بن الراهب ولئن صبرتم بالعفو على
ترك القصاص لهو اي صبركم خير في الثواب للصابرين اي لكم من الانتقام
فقال عم بل نصبر عليه ونمسك عن المكافات قيل كان هذا قبل نزول براءة حين
امر النبي عم بقتال من قاتله ومنع من الابتداء بالقتال فلما اعز الله الاسلام واهله
ونزلت براءة وامروا بالجهاد نسخت هذه الاية واصبر ادم على الصبر ففيه عزم
عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه للصبر وربطه على قلبك ولا
تحزن عليهم اي على كفار قريش ان لم يؤمنوا ولا تك في ضيق اي ولا تضيق صدرك

مما يمكرون اي مما يفعلون من الحيل معك قرأ بفتح الضاد وكسرها حيث كان
وهما ضد السعة وقيل بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقيل الكسر في قلة المعاش و
بالفتح الحزن في الصدر ان الله مع الذين اتقوا المعاصي بالنصرة والذين هم
محسنون اي ومع المحسنين فيما امروا والى من اساء اليهم بالعفو والنفع

سورة بني اسرائيل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى قيل سبحان كلمة دالة على التنزيه البليغ من كل
قبيح وهو وصف الله تعالى بالبراءة من كل نقص وعيب بالمبالغة قيل انه اسم
مصدر وهو التسبيح لا ينصرف بالعلمية وللزائد فيه كعثمان منصوب بفعل
متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل منزلة الفعل وفيه من التعجب
اي سبحوا الله من كل عيب يضيفه اليه الاعداء وتعجبوا من امره الذي سرى بعبده
محمد صلى الله عليه وسلم اي سيره ليلا اي في بعض الليل بدلالة التنكير قيل انما
ذكر الليل ولم يكتف بذكر اسرى الدال عليه ايذانا بان الاسراء والرجوع كان في
جزء من ليلة واسرى وسرى بمعنى واحد لا يستعملان الا في سير الليل خاصة يعني سار
بعبده ليلا من المسجد الحرام اي من الحرم لاحاطته بالمسجد ووصفه به لان
الحرم كله مسجد اراد انه سيره من مسجد مكة وقيل من دار ام هاني بنت ابي طالب
وكانت من الحرم بعد البعثة قبل الهجرة بسنة في شهر رمضان او في رجب بجسده
في اليقظة لتواتر الاخبار الصحيحة على ذلك وعليه الاكثرون الى المسجد الاقصى
اي بيت المقدس سمي اقصى لانه ابعد من المسجد الحرام او لم يكن حينئذ وراءه مسجد
يعبد الله فيه الذي باركنا حوله ظرف اي كثرنا فيه الثمار واجرينا الانهار
وجعلناه مقر الانبياء والصالحين والمراد مما حوله دمشق والاردن والفلسطين
وغيرها لنريه اي محمدا عم من اياتنا اي علاماتنا العجيبة الدالة على وحدانيتنا
في تلك الليلة من عجايب السموات والارض انه اي ان الله هو السميع باقوال محمد
واقوال اهل مكة البصير بافعاله وافعالهم والحافظ له في ظلمة الليل وضوء النهار
ذكر في حديث المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عني سقف بيتي
وانا بمكة فنزل جبرئيل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطشت من ذهب
ممتلئ ايمانا وحكمة فافرغه في صدري ثم اطبقه ثم اتيت ببراق ملجم مسرج وهو
دابة ابيض فوق الحمار دون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه فركبته فاستصعب
علي فقال جبرئيل امحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا
فانطلقت مع جبرئيل حتى اتيت بيت المقدس فربطته في الحلقة التي يربط بها

الانبياء فدخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبرئيل باناء
من خمر واناء من لبن فاخذت اللبن فقال جبرئيل اخترت الفطرة ولو اخذت
الخمر لغوت امتك فانطلق بي جبرئيل حتى اتي الى السماء الدنيا فاستفتح قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد ارسلت اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جاء ففتح
فلما خلصت اي وصلت فاذا فيها آدم فقال جبرئيل هذا ابوك آدم فسلم
عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح
وفي رواية فاذا فيها رجل قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة فاذا
نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكا فقلت من هذا قال آدم ابوك وهذه
الاسودة عن يمينه اهل الجنة والاسودة عن شماله اهل النار ثم صعد بي حتى
اتي السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جاء ففتح فلما خلصت فاذا
فيها يحيي وعيسى وهما ابناء خالة قال هذا يحيي وعيسى فسلم عليهما فسلمت
عليهما فردا وقالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الي السماء
الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل
اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا
يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
ثم صعد بي الي السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جاء ففتح فلما خلصت فاذا
ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح ثم صعد بي الي السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبرئيل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جاء ففتح فلما
خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الي السماء السادسة فاستفتح قيل
من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ففتح
فنعم المجي جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه
فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزت بكا قيل له ما يبكيك قال
لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخلها من امتي ثم صعد
الي السماء السابعة فاستفتح جبرئيل قيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جاء فلما خلصت فاذا

ابراهيم

ابراهيم قال هذا ابوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالابن الصالح
والنبي الصالح فرفع الي البيت المعمور فسالت عنه جبرئيل فقال هو البيت المعمور
الذي يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك فاذا خرجوا لم يعودوا اليه ابدا ثم ذهب
بي الي السدرة المنتهى فاذا ابنتها مثل قلال هجر واذا اورقها مثل اذان الفيل فلما
غشيها من امر الله ما غشيها يعني خمس صلوات تنورت اي بحسن الثواب فما
احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وفي اصلها اربعة انهار نهران
باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبرئيل قال اما الباطنان فنهران
في الجنة فاما الظاهران فالنيل والفرات ثم دنوت الجبار رب العزة فتدليت
حتى كنت قاب قوسين او ادنى فاوحي الي ما يوحي وفرض علي خمسون صلوة
في كل يوم وليلة فنزلت الي موسى فقال ما فرض ربك علي امتك فقلت خمسين صلوة
قال ارجع الي ربك فاسئله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني قد جربت الناس
قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فرجعت الي ربي فوضع عني عشرا فرجعت
الي موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الي موسى فقال مثله فرجعت
فوضع عني عشرا فرجعت الي موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم
فرجعت الي موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الي موسى
فقال ارجع الي ربك فاسئله التخفيف فان امتك اضعف اجساما وقلوبا قلت
والله سالت ربي حتى استحييت ولكني ارضى واسلم وقيل رجع وسال فقال تعالى
يا محمد قال لبيك وسعديك قال انهن خمس صلوات لكل يوم وليلة لكل صلوة
عشر هي خمس عليك وهي خمسون في ام الكتاب لا يبدل القول لدي من هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتب له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب
عليه شئ فان عملها كتبت سيئة واحدة فلما جاوزت نادي مناد امضيت فريضتي
وخففت عن عبادي ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ اي القباب منه جمع قبة
واذا ترابها المسك قال الراوي ثم اهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد
الحرام فلذلك اختلف اهل العلم ان المعراج في المنام او في اليقظة وقبل الوحي او بعده
فقال المحققون ان هذا رؤيا في المنام اراه الله عز وجل قبل الوحي بدليل آخر الحديث
يعني فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج بي في اليقظه بعد الوحي قبل الهجرة بسنة
تحقيقا لرؤياه من قبل كما انه راى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ستة من
الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق وروي انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به وكان

بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقونني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق
وروى الزهري عن عروة ان النبي عم لما اصبح ليلة اسري به واخبر الناس بذلك
ارتد ناس ممن صدقوه وفتنوا وسعى رجال من المشركين الى ابي بكر فقالوا هل
لك في صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال لئن قال ذلك لقد صدق
قالوا تصدقه انه ذهب الى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني
لاصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء بغدوة او روحة فلذلك
سمي ابو بكر الصديق ثم قالوا للنبي عم هل تستطيع ان تنعت لنا المسجد قال نعم
قالوا اخبرنا عن نعته فاخبرهم عنه كما كان فقال قوم اما النعت فوالله لقد اصاب
ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت منها شيئا قال نعم مررت
على عير بني فلان وهو بالروحاء وقد اضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحالهم
قدح من ماء فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فاسئلوهم هل
وجدوا الماء في القدح حين رجعوا اليه قالوا هذه آية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال
مررت بها بالتنعيم قالوا فما عددها واحمالها وهيئتها ومن فيها قال نعم هيئتها كذا
وكذا وفيها فلان تقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان يطلع عليكم عند طلوع
الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية حتى اتوا عليها فجعلوا ينتظرون
متى تطلع الشمس فيكذبونه وبعضهم على ثنية اخرى ينتظر العير اذ قال قائل منهم والله
هذه الشمس قد طلعت وقال الآخر والله هذه الابل قد طلعت تقدمها بعير اورق
فيها فلان وفلان كما قال لهم فلم يؤمنوا وقالوا ان هذا الا سحر مبين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وهو حطيم البيت وقريش تسئلني عن اشياء
من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ما
يسئلوني عن شيء الا انبأتهم به قيل سر الاسراء به من مكة الى بيت المقدس قبل العروج
الى السماء لأن يكون سببا لتصديقه بالصعود الى السماء على التدريج لانه اذا
اخبرهم بقطع المسافة البعيدة في ايسر زمان دل دلالة صحيحة على امكان صعوده
الى السماء ايضا عقلا ثم اخبر تعالى عن حال موسى عم وقومه تهديدا للمكذبين النبي
من اهل مكة فقال **وآتينا موسى الكتاب** اي التورية جملة واحدة **وجعلناه**
اي الكتاب **هدى لبني اسرائيل** من الضلالة **الا يتخذوا** بالياء غيبة اي لئلا يتخذوا
او ان تفسير فهي بمعنى النهي اي لا يتخذ بنو اسرائيل **من دوني وكيلا** اي ربا تكفيلا بكل
امورهم اليه وبتاء الخطاب لزيادة التخويف يعني لا تعبدوا من دوني ربا **ذرية من
حملنا مع نوح** نصب بانه مفعول ثان لقوله الا يتخذوا يعني لا تعبدوا ذرية المحمولين

في السفينة

في السفينة وهي عيسى وعزير او منادى بحذف حرف النداء ينادي كفار مكة اي يا ذرية
من حملنا مع نوح لا تتخذوا من دوني وكيلا لا يشركوني وانتم ذرية من آمن
به وحمل معه وهذا منة على جميع الناس لان كلهم من ذرية من انجاه الله تعالى
من الغرق بالسفينة وتوبيخ لمن اشرك منهم بالله يعني انهم كانوا مؤمنين به فكونوا
مثلهم في الايمان بالنبي عم ثم اثنى على نوح بقوله **انه كان عبدا شكورا** اي كثير الشكر
لله وكثير الخير للمساكين قيل كان يعرض عشاءه عند فطره على من آمن به فان وجد
محتاجا به آثره به وقيل كان قائلا الحمد لله اذا اكل او شرب او قام او قعد
او ذهب **وقضينا** اي بينا بالوحي وعلمنا **الى بني اسرائيل في الكتاب** اي
في التورية او في اللوح المحفوظ او الى بمعنى على اي قضينا عليهم حكما مقطوعا
لتفسدن والله لتعصن **في الارض** اي ارض الشام وبيت المقدس **مرتين** نصب
على المصدر ومن عبر لفظ الفعل اي افسادين الافساد في المرة الاولى قتلهم النبي
شعيا وقيل هو نحالفتهم احكام التورية وارتكابهم المحارم والافساد في
المرة الثانية قتل يحيى بن زكريا وقصدوا قتل عيسى بن مريم **ولتعلن** اي لتتعظمن
علوا كبيرا اي تعظما شديدا والعلو العتو بالقهر الشديد والظلم العظيم **فاذا
جاء وعد اوليهما** اي موعد اولى المرتين وهو عقابها **بعثنا** اي سلطنا
عليكم عبادا لنا اي عبيدنا ومما ليكنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس
اولي بأس شديد اي ذوي بطش قوي في الحرب وهم العمالقة او سنحاريب
الملك من ارض نينوى والاظهر عند الاكثر بخت نصر ملك بابل ولاية نمرود **فجاسوا**
اي داروا تطلبونكم من جاس الشيء اذا طلبه بالاستقصاء **خلال الديار**
اي وسطها ووسط الازقة للقتل والاسر والافساد **وكان وعدا مفعولا**
اي مقدرا في اللوح لا محالة في ان يفعل بهم ذلك قال محمد بن اسحاق كان اول
ما نزل ببني اسرائيل بسبب ذنوبهم هو ان الله كان اذا ملك ملكا عليهم بعث معه
نبيا يسدده ويرشده وكان لهم بعد موسى عم ملك صالح يعبد ربه ويعدل
بين الناس وبعث معه شعيا ابن اصفيا قبل بعثة زكريا ويحيى وعيسى
وشعيب هو الذي بشر بمجيء عيسى ومحمد عليهما السلام فقال ابشروا اتيكم راكب
الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك الملك بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا ثم
قبض الله ملك بني اسرائيل اسمه صديقة فرج امر بني اسرائيل وتنافسوا الملك
حتى قتل بعضهم بعضا وعصوا ربهم ونبيهم شعيب معهم ولا يقبلون
منه فلما فعلوا ذلك اوحى الله تعالى الى شعيب ان قم وانذرهم وعظهم

وحذرهم لينزجروا عن افعالهم الخبيثة فقام وانذر وبالغ في الوعظ
والتحذير فلم يقبلوا منه فقصدوا قتله فهرب منهم فلقيه شجرة فا
فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ بثوبه فاراهم اياها فوضعوا في وسطها
المنشار فقطعوها ثم استخلف الله علي بني اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم
يقال له ناشية بن اموص وبعث لهم ارميا بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون
بن عمران وكان يسدد ذلك الملك ويرشده ثم عظمت الاحداث والذنوب في
بني اسرائيل واستحلوا المحارم فاوحي الله تعالي الي ارميا ان خوفهم بما امركم به
وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم باحداثهم فقام ارميا فيهم فلم يدر مايقول فالهمه
الله في الوقت خطبة بليغة بين فيها لهم ثواب الطاعة وعقاب المعصية
وقال في اخرها عن الله عز وجل واني حلفت بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير
فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من صدره
الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحي الي ارميا اني مهلك بني اسرائيل
بيافث اهل بابل فلما اخبرهم بذلك اخذوه وحبسوه فسلط الله عليهم بخت
نصر فخرج من ستمائة الف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشام وقتل
بني اسرائيل حتي افناهم وضرب بيت المقدس وقتل علماءهم واحرق التورية
وامر جنوده ان يملاء كل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في البيت المقدس ففعلوا ذلك
حتي ملؤه ثم امرهم ان يجمعوا من بلدان بيت المقدس الغنايم والرجال والنساء
فاجتمع كل صغير وكبير من بني اسرائيل عنده فاختار منهم سبعين الف صبي
قيل كيف جاز ان يبعث الله الكفرة علي المسلمين ويسلطهم عليهم اجيب بان
معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوه بقطع لطفنا عنهم ومنه اسناد التولية الي
نفسه في قوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون فلما خرجت
غنايم جنده واراد ان يقسم فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه ايها الملك
لك غنايمها كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان فاعطاهم اياهم فاصاب كل رجل
منهم اربعة غلمة ثم ادخل من بقي من بني اسرائيل ارض بابل فمكثوا بها سبعين
سنة حتي مات ملكهم بخت نصر وقيل مسخه الله تعالي نسرا في الطير ثم مسخه
ثورا في الدواب ثم مسخه اسدا في الوحوش لتخريبه بيت المقدس واحراقه التورية
ثم غزا رجل من اهل همدان يقال له كورش اهل بابل فظهر عليهم وسكن ديارهم
وتزوج امراة من بني اسرائيل وطلبت من زوجها ان يرد قومها بني اسرائيل
الي ارضهم ففعل فجاؤا الي بيت المقدس فمكثوا في ارضها فرجع حالهم الي احسن

نفلقتا

ما كانوا عليه تائبين مطيعين لله ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد
من الله وكانت التورية قد احرقت وكان عزير غلاما من السبايا التي كانت ببابل
فرجع الي الشام يبكي عليها ليله ونهاره اذا اقبل عليه رجل وقال يا عزير ما يبكيك قال
ابكي علي كتاب الله تعالي وعهده الذي كان بين اظهرنا الذي لا يصلح دنيانا واخرانا
غيره قال افتحب ان يرد الله اليك التورية ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك
هذا المكان فرجع عزير وصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الي المكان الذي وعده
فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه
من ذلك الاناء فمثلت التورية في صدره فرجع الي بني اسرائيل فوضع لهم التورية
فاحبوه حتي لم يحبوا حبه شيئا فكان بينهم يامرهم وينهيهم بالتورية فهذه هي
الواقعة الاولي التي انزل الله ببني اسرائيل لظلمهم انفسهم ثم رددنا اي اعدنا لكم
الكرة اي الدولة والرحمة عليهم اي علي الذين قتلوكم بعد مائة سنة لما تبتم و
رجعتم عن الفساد والعلو وهي قتل بخت نصر واصحابه يعني اظفرناكم بهم بعد
ان ظفروا بكم وظلموكم بالقتل والسبي وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم
اكثر نفيرا تمييز جمع نفر كالعبيد جمع عبد اي اكثر رجالا والنفير من ينفر معك من
قومك وقيل النفير العدد ان احسنتم اي ان اطعتم ربكم بالتوحيد والعبادة
الخالصة احسنتم لانفسكم اي عملتم الثواب لاجلكم في الجنة وان اساتم
فلها اي اشركتم وخالفتم امر ربكم فلانفسكم عقاب الاساءة وجزاؤها و
قيل اللام فيه بمعني علي كما في قوله تعالي فسلام لك المعني ان الاحسان والاساءة
كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدي النفع والضر الي غيركم فاذا جاء وعد الاخرة
اي عقاب المرة الاخرة وهي قتلهم يحيي وقصدهم قتل عيسي حين رفع وافسادهم
بعثنا عليكم من قتلكم وسباكم ونفوا من دياركم ليسؤا وجوهكم اي ليقبحوها
بالقتل والسبي والفساد ليظهر اثره في وجوهكم من حزن وكآبة وانما اختصت
الوجوه لان اثار المساءة انما يظهر في وجوه الناس كما يظهر اثار البشارة فيها من
فرح ومسرة قري بواو الجمع وياء الغيبة وبفتح الهمزة والياء والفاعل الوعد او الله
وبالنون وفتح الهمزة اخبارا عن الله وليدخلوا المسجد اي بيت المقدس كما دخلوه
اول مرة من المرتين المذكورتين وليتبروا اي وليهلكوا وليخربوا ما علوا اي الذي
ظهروا عليه من بلادكم تتبيرا اي اهلاكا شديدا وهو في الاصل التكسير ومنه
التبر المنكسر من الذهب والفضة عسي ربكم ان يرحمكم يا بني اسرائيل بعد المرة
الثانية ان تبتم عن معاصيكم فترد الدولة اليكم وان عدتم عدنا اي ان

كم

رجعتم عن توبتكم الى المعصية رجعنا الى عقوبتكم قال قتادة فعادوا فبعث الله
محمدا عم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين
بامر الله ونهيه على لسان رسله حصيرا اي محبسا يحبسون فيها ولا يخرجون
ابدا من قولهم حصرت اذا صار محصورا اي محبوسا وقيل الحصير هو الفراش
يبسط ويجلس عليه وروي في بيان المرة الآخرة ان بني اسرائيل لما مات عزير
جعلوا بعد ذلك يحدثون الاحداث والذنوب واستحلوا المحارم فبعث فيهم
الله الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعثه الله فيهم
من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فمات
زكريا وقيل قتلوه فلما رفع الله عيسى من بين اظهرهم لقصدهم قتله قتلوا
يحيى بن زكريا فبعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال خردوس فسار اليهم
باهل بابل فظهر عليهم ثم دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها
قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسألهم فقال يا بني اسرائيل ما شان هذا الدم يغلي
اخبروني خبره قالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي قال صدقتموني
قتموني فيها هذا الا لامر عظيم صدر منكم فغضب عليهم فذبح منهم على الدم سبعمائة
وسبعين زوجا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فقال يا بني اسرائيل ويلكم اصدقوني
واصبروا على امر ربكم فقد طال ما ملكتم في الارض تقولون فيها ما شئتم قبل ان لا
اترك منكم نافع نار انثى ولا ذكرا الا قتلته فلما راوا الجهد وشدة القتل صدقوا الخبر
فقالوا هذا دم نبي كان ينهينا عن امور كثيرة من سخط الله فلو اطعناه فيها لكان ارشد
لنا وكان يخبرنا بامركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه قال ما كان اسمه قالوا
يحيى بن زكريا قال الآن صدقتموني لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما راى الملك انهم
صدقوه خر ساجدا لله وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا جيوش
من كان ههنا وخلوا بني اسرائيل فيها ثم يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد
قد اصاب قومك من اجلك وما قتل منهم في الحرب فاهدأ اي اسكن باذن الله قبل
ان لا ابقي احدا من قومك فهدأ الدم باذن الله وقال آمنت بما امنت به بنوا
اسرائيل وايقنت انه لا رب سواه ثم انصرف الملك الى بابل وذهب ببني اسرائيل كلهم
معه وبقي بيت المقدس خرابا حتى بناه عمر مع المؤمنين بعد النبي عم ثم قال تعالى ان هذا
القرآن يهدي اي يرشد للتي هي اقوم اي الى الملة او الطريقة التي هي
اشدها واصوبها وهي شهادة ان لا اله الا الله والايمان برسوله والعمل بطاعته
ويبشر القرآن بضم الياء وكسر الشين وبفتح الياء وضم الشين بالتخفيف المؤمنين

الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا اي ثوابا عظيما ويبشر ايضا
ان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا اي هيئنا لهم عذابا اليما اي
وجيعا دائما وذكر المؤمنين الصالحين والكافرين دون الفسقة لان الناس
كانوا حينئذ اما مؤمن تقي او كافر بالله ويدع الانسان بحذف الواو لا لتقاء الساكنين
وفي الخط ايضا وهي غير محذوفة في المعنى ومعناه ان الكافرين يدعوا على ماله
وولده ونفسه بالشر فيقول عند غضبه اللهم العنه واهلكه ونحوهما دعاءه
بالخير اي دعاء مثل دعائه ربه بان يهب له النعمة والعافية يعني يطلب الشر
كما يطلب الخير ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن لا يستجيب بفضله
وكان الانسان عجولا يسرع الى طلب ما يقع في قلبه وقيل العجول الضجور الذي
لا صبر له على سراء ولا ضراء والمراد منه النضر بن الحارث حيث قال فامطر علينا
حجارة من السماء فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل و
النهار آيتين اي خلقناهما علامتين لوحدانيتنا فمحونا آية الليل اي ازلنا
بعض ضوء القمر قيل في زمان الاول لا يعرف الليل من النهار فبعث الله جبرئيل
فمسح جناحه بالقمر فذهب بعض ضوئه وبقي اثر جناحه فيه وهو السواد الذي
في القمر قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فمحا
من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس وجعلنا آية النهار مبصرة
اي مضيئة تبصر فيها الاشياء يعني جعلنا القمر ذا محو والشمس ذات اضاءة
لتبتغوا اي لتطلبوا ببياض النهار فضلا اي رزقا من ربكم في النهار و
لتعلموا باختلاف الليل والنهار عدد السنين والحساب اي حساب
الاوقات قيل لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم
متى يفطر ولم يدر المؤمن وقت الحج ولا وقت حلول اجال المعاملات ولا وقت السكون
والراحة وكل شيء يحتاج اليه فصلناه تفصيلا اي بيناه بيانا ظاهرا فلم
لكم علينا حجة فقد زال عذركم وعلتكم وكل انسان الزمناه طائره اي عمله
من خير وشر في عنقه لا يفارقه كلزوم القلادة في العنق حتى يحاسب به
يوم البعث وخص العنق بالذكر لان الالزام فيها اشد وقيل هذا الكلام على عادة العرب
بنسبة الاشياء اللازمة الى الاعناق ونخرج بالنون له اي للانسان يوم القيمة
كتابا يلقاه بضم الياء وتشديد القاف اي معطاه وبفتح الياء وتخفيف القاف
اي يراه منشورا اي مفتوحا يقراه اميا كان او غيره قيل ما من مولود الا وفي
عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد وفي الآثار ان الله تعالى يامر الملك بطي الصحيفة

اذ تم عمر العبد فلم ينشر الي يوم القيامة فاذا بعث يقال اقرأ كتابك اي
ما في كتابك كفي بنفسك الباء زايدة في الفاعل اي كفي شخصك اليوم عليك
حسيبا تميز فعيل بمعني الفاعل اي محاسبا لما تري فيه كل حسنة وسيئة
محصاة عليك وانما فوض حسابه اليه لئلا ينسب الله الي الظلم ولتجب
الحجة عليه باعترافه من اهتدي اي من اجتهد حتي وصل الي الهداية
والاستقامة فانما يهتدي لنفسه اي فثوابه لها ومن ضل فانما يضل
عليها اي عقابه علي نفسه ولا تزر وازرة وزر اخري اي لا يواخذ احد بذنب
آخر قوله وما كنا معذبين امة حتي نبعث رسولا اليهم اقامة للحجة
وقطعا للعذر فيه دليل علي ان ما وجب علي العبد بالسمع دون العقل
فان اجابوا الرسول والا عذبوا وردّ لقول من يقول ان الحجة لازمة لهم
قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل التي يعرف بها انه تعالي وقد
تركوا النظر مع تمكنهم منه فاستوجبوا العذاب بتركهم اياه ويجعل
بعثة الرسول من جملة التنبيه علي النظر في ادلة العقل واذا اردنا ان
نهلك قرية اي اهلها امرنا بالتخفيف بلا مد اي اكثرنا من امر القوم اذا
كثروا يعني اذا اردنا وقت اهلاك قرية اكثرنا بالخيانة مترفيها اي منعميها
واغنيائها او امرناهم بالطاعة لان الامر لا يكون الا بها فخذ في المامور به بدليل
ففسقوا اي فعصوا فيها فحق اي وجب عليها القول العذاب فدمرناها
تدميرا اي خربناها باهلاك من فيها بالاستيصال وكم اهلكنا من القرون
بيان وتميز لكم وكم مفعول اهلكنا والقرون اربعون سنة وقيل ثمانون
وقيل مائة وهو الاصح لما يفعله عبد الله ابن بسر لما روي عن النبي عم اي
اهلكنا قرونا كثيرة كعاد وثمود وقوم لوط من بعد نوح وكفي بربك الباء
زايدة فيه بذنوب عباده يتعلق بقوله خبيرا بصيرا وهما منصوبان
علي الحال من ربك اي كفي الله عالما بسترهم وجهرهم قادرا علي اخذهم و
مجازاتهم لا يغفل عنهم ولا يعجز عن عقابهم وفيه تهديد شديد لاهل
الامة وتنبيه علي ان الذنوب اسباب الهلكة لا غير من كان يريد العاجلة
اي ثواب الدنيا بعمله عجلنا له فيها اي اعطيناه له في الدنيا ما نشاء
من البسط والتقتير لا ما يشاء وهو بدل من له بدل البعض بتكرير العامل
لمن نريد اي تهلكه كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للذكر والغنيمة
ثم جعلنا له جهنم اي اوجبناها له يصليها اي يدخلها مذموما مدحورا

اي مطرودا من الرحمة مبعدا من كل خير ومن اراد الآخرة من الناس بعمله و
سعي لها سعيها اي كما هو حقه فليس مشوبا بغرض من اغراض الدنيا
وهو مؤمن اي مخلص في ايمانه فما يبالي اوتي في الدنيا حظا من الحظوظ
او لم يؤت فاولئك اي اهل هذه الصفة كان سعيهم مشكورا اي مقبولا
بالثواب كلا اي كل واحد من المؤمنين والكافرين نمد اي نعطي هؤلاء وهؤلاء
ما قسم لهم فمحل هؤلاء نصب بدل من كل ومفعول نمد من عطاء ربك اي
من رزقه يعني يرزق المطيع والعاصي جميعا ثم يختلف بهما المال في المآل وما كان
عطاء ربك اي رزقه محظورا اي ممنوعا عن خلقه للعصيان والمراد من العطاء
الدنيا والا فلا حظ للكفار في الاخرة والاخرة مختصة بالمؤمن انظر يا محمد بعين
العبرة كيف فضلنا بعضهم علي بعض اي جعلناهم متفاوتين في التفضل
في الرزق والعمل الصالح يعني طالب الدنيا وطالب الاخرة ونصب كيف علي
الحال بفضلنا وللآخرة اكبر درجات اي افضلها للمؤمنين بما فضلوا في الدنيا
واكبر تفضيلا في الثواب لهم قيل الرجل الاعلا في الجنة يري فضله علي من هو
اسفل منه فيها والرجل الاسفل منه لا يري ان فوقه احدا ثم قال مخاطبا للنبي
ومستمعا لغيره لا تجعل يا محمد مع الله الها آخر فتقعد اي فتبقي في النار مذموما
يذمك الناس مخذولا اي ذليلا بلا ناصر وقضي ربك اي وحكم امرا مقطوعا به
او اوحي ربك ان اي بان لا تعبدوا الا اياه اي لا تتخذوا احدا الا الله وبالوالدين احسانا
اي وامر بران بهما وعطفا عليهما اما يبلغن عندك الكبر ان شرطية زيدت عليها
ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت عن ما لم يصح
دخول النون في الفعل لا يقال ان تضربن زيدا اضربك قرئ يبلغان بالالف
التثنية والتشديد لذكر الوالدين قبله فيكون احدهما بدلا من الالف
الضمير الراجع الي الوالدين او كلاهما عطف علي احدهما وقرئ يبلغن علي
التوحيد والتشديد وفاعله احدهما وكلاهما عطف عليه اي ان يبلغ احد
الابوين الهرم عندك او كلا الابوين فلا تقل لهما اف بالكسر مع التنوين وبالفتح
وبالضم بلا تنوين وقد فيه التعريف وهي اسم يسمي به الفعل فيبني ومعناه التضجر
اي لا تتضجر عند خروج مكروه منهما واماطة البول في الخلاء عنهما كما كانا يميطانه
عنك صغيرا ولا تقل لهما قولا رديا ولا تنهرهما ولا تغلظ عليهما بالقول وقل
بدل التانيف والتنهر لهما قولا كريما اي لينا حسنا واخفض لهما جناح
الذل من باب اضافة حاتم الجود اي الن لهما جناحك الذليل وتواضع او

او ترفع عليهما يدك تعظيما لهما وتحسينا للادب **من الرحمة** اي من الشفقة لهما
وقل رب ارحمهما اي اجعل رحمتهما في قلبي حتى اربيهما **كما ربياني صغيرا** وادع لهما
بشرط الاسلام او بالهداية والارشاد قال النبي عليه السلام رضاء الله في
رضاء الوالد وسخطه في سخط الوالد وقال عم لا يدخل الجنة منان ولا عاق
ولا مدمن خمر وقال عم الوالد اوسط ابواب الجنة فحافظ ان شئت او ضيع
قيل بر الوالدين ان لا تقوم الى خدمتهما وانت كسل ثم خاطب بخطاب
عام **ربكم اعلم بما في نفوسكم** اي في ضمايركم من بر الوالدين وعقوقهما
ان تكونوا صالحين اي بارين بالوالدين محسنين اليهما ثم صدر منكم ما يؤدي
الى اذاهما ثم تبتم الى الله بالاستغفار منه **فانه** اي الله تعا **كان للاوابين**
اي الراجعين الى الله بالتوبة من الذنوب الى طاعته **غفورا** قيل الاواب
هو الذي يذنب ثم يرجع عن ذنبه ويتوب وقيل الاوابون هم الذين يصلون
صلوة الضحى قال عم صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال من الضحى اي اذا خبت
حرها الى ظل امها وقيل هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء فان الملائكة
تحف بهم **وآت** اي اعط **ذا القربى حقه** اي صلته بالمودة والزيادة وحسن
المعاشرة والمعاضدة اذا كانوا عاجزين عن الكسب محتاجين اليك يعني به
وقيل اراد به قرابة الرسول **والمسكين** اي واعط السائل **وابن السبيل**
اي الضيف النازل وحقه ثلثة ايام **ولا تبذر تبذيرا** اي ولا تنفق مالك
في غير طاعة الله قيل لو انفق انسان ماله كله في سبيل الحق لم يكن تبذيرا
ان المبذرين اي المنفقين اموالهم في غير سبيل الحق **كانوا اخوان الشياطين**
اي اعوانهم وامثالهم في الشر **وكان الشيطان لربه كفورا** اي جحودا للنعمة
فلا ينبغي ان يطاع لانه يدعو الى مثل عمله **واما تعرضن عنهم** اي عن هؤلاء
الذين امرتك بالانفاق عليهم من ذي القربى وغيرهم غير مجيب لهم اذا لم يكن
عندك شيء حياء منهم عند سؤالهم عنك شيئا فليس المراد بالاعراض الاعراض بالوجه
لانه كناية عن الاباء من الاعطاء بل المراد تركهم بلا جواب يدل عليه المفعول له وهو
ابتغاء رحمة اي لطلب رزق **من ربك** لتعطيهم فتقدير المعنى لفقد رزق تطلبه
من الله فوضع الابتغاء الذي هو المسبب موضع الفقد الذي هو السبب يعني
لطلب نعمة ليست عندك **ترجوها** اي ترجو ان يأتيك بها الله وتنتظرها
فقل لهم قولا ميسورا اي لينا سهلا يعني عدهم عدة جميلة تطييبا لقلوبهم ولا
تتركهم بلا جواب لهم ليشتغل قلوبهم فقل رزقنا الله واياكم قيل يجوز ان يتعلق

ابتغاء بنفس الشرط كما عرفت ويجوز ان يتعلق بجوابه مقدما عليه اي
فقل لهم قولا جميلا ابتغاء رحمة الله عليك برحمتك عليهم قيل نزلت الآية
في بلال وصهيب وخباب وسالم وعمار وغيرهم من اصحاب الصفة من
الفقراء كانوا يسئلون النبي عم ما يحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء
منهم ويمسك عن القول **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك** بخلا عن النفقة
ولا تبسطها بالعطاء **كل البسط** في الاسراف فتعطي جميع ما عندك فيجيء آخرون
يسئلونك فلا تجد ما تعطيهم خطاب للنبي عم بالاقتصاد الذي هو بين
الاسراف والتقتير نزل حين جاء صبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان امي تسئلك درعا ولم يكن لرسول الله الا قميصه فقال عم للصبي عد
وقتا آخر فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تسئلك الدرع الذي عليك فدخل
رسول الله داره ونزع قميصه فاعطاه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلوة
فانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فراه عريانا
فقال تعالى لا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده ولا تبسطها كل البسط
في العطية **فتقعد ملوما** يلومك سائلوك بالامساك اذا لم تعطهم **محسورا**
اي نادما على ما فرط منك او منقطعا عن المال فلا تجد عندك شيئا تنفقه
على سائلك ثم سلى نبيه عم عما فيه من الضيق والفقر بقوله **ان ربك يبسط**
الرزق اي يوسعه **لمن يشاء** ممن كان صلاحه من التوسعة **ويقدر**
اي ويضيق على من يشاء ممن كان صلاحه في التضييق لا لهوان منه عليه ولا
لبخل به عليه **انه كان بعباده خبيرا بصيرا** يعلم صلاح كل واحد منهم
من البسط والقتر فمشيته تابعة للحكمة قوله **ولا تقتلوا اولادكم خشية**
املاق اي مخافة الفقر نزل نهيا عن فعل الجاهلية حيث كانوا يقتلون بناتهم
خشية انفاقه واخبر ان الله ضامن لهم ان يرزق اولادهم بقوله **نحن**
نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا اي ذنبا عظيما قرئ بكسر
الخاء وسكون الطاء وبفتح الخاء والطاء بلا مد وبكسر الخاء وفتح الطاء مع المد
ومعنى الكل واحد **ولا تقربوا الزنا** وهو نهي عن مقدمات الزنا كالنظرة واللمسة
فالنهي عن الزنا اولى وليس المراد نفس الزنا والا لقال ولا تزنوا **انه كان**
فاحشة اي قبيحة اشد القبح **وساء سبيلا** اي بئس طريقا طريقه لانه
غصب على الغير من غير سبب شرعي وهو التصرف الذي شرع الله قال ابن
مسعود لا احد اغير من الله تعالى ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق اي باستحقاقها القتل لما روي عن النبي ع‍م
لا يحل دم امرء مسلم الا باحدى ثلث رجل كفر بعد ايمانه او زنا بعد احصانه او
قتل نفسا بغير نفس ومن قتل مظلوما اي غير مرتكب واحدة من ثلث فقد
جعلنا لوليه اي لقريبه المظلوم سلطانا اي قوة وولاية على القاتل بالقتل
قصاصا فهو بالخيار ان شاء عفي عنه وان شاء اخذ الدية اذا اصطلحا
على ذلك وان شاء قتله فلا تسرف بالتاء على الخطاب وبالياء في القتل
اي الولي لا يقتل بالواحد اثنين ولا غير قاتل حمية ولا يقتل بعد ما عفى
او اخذ الدية وكان اهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا لا يرضون
بقتل الواحد وحده حتى يقتلوا معه جماعة من اقاربه فنهوا عن ذلك
انه كان منصورا اي ان ولي المقتول منصور من الله على القاتل
باستيفاء القصاص والدية فلا يستزد على ذلك فان لم يكن له قريب
يطالب بدمه فالسلطان وليه قيل يجوز ان يكون الضمير في انه للمظلوم
يعني ان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة
بالثواب ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي اي بالخصلة والطريقة التي هي احسن
وهي حفظه عليه وتثميره بالتعامل الشرعي وترييحه حتى يبلغ اشده
اي منتهى بلوغه واوفوا بالعهد الذي بينكم وبين ربكم او بينكم وبين الناس
اذا عاهدتم لكل احد وهو ما يلتزمه الانسان على نفسه ان العهد كان عنه
مسئولا وقدم عنه مسؤلا لرعاية الفاصلة فالوجه ان يكون عنه في محل
الرفع بمسؤلا المقدر قبله بدلالة المذكور تفسيرا اي يسئال الناكث عنه يوم
القيمة او يسأل العهد لم نكثت يا عهد توبيخا للناقض كسؤال الموؤدة لم قتلت
توبيخا لقاتلها قيل العهد هنا الاتيان بما امر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه
واوفوا الكيل اذا كلتم لغيركم وزنوا بالقسطاس المستقيم اي بميزان
العدل قرئ بكسر القاف وضمها وهو الميزان بلغة الروم صغيرا او كبيرا وقيل
عربي ماخوذ من القسط وهو العدل ذلك اي الوفاء في الكيل والوزن وجميع ما امركم
الله به خير من الغدر والنقص واحسن تاويلا اي عاقبة وهي ما يؤل اليه
الامر من الخير والشر ولا تقف اي لا تتبع بالحدس والظن ما ليس لك به اي بحقيقته
علم يعني لا تقل رايت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه
من التقف وهو اتباع الاثر ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع
لما لا يعلم صحته ولا فساده ان السمع والبصر والفواد كل اولئك رفع مبتدا مضاف

ظن وتخمين

الحاسم

320

الى اسم الاشارة اي جميع هذه الاعضاء من السمع والبصر والفواد كان عنه
مسئولا والضمير في كان وفي عنه يرجع الى كل لتذكير اللفظ واولئك
جمع ذا وذا اشارة الى العقلاء وغيرهم قيل يسأل المرء عن سمعه
وبصره وفواده وقيل يسأل السمع والبصر عما فعله المرء عن ابن
حميد انه قال اتيت النبي ع‍م فقلت يا نبي الله علمني تعويذا اتعوذ
به فاخذ بيدي ثم قال قل اعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر
لساني وشر قلبي وشر منيي فحفظتها والمني ماؤه ولا تمش في الارض
مرحا بفتح الراء مصدر في موضع الحال او المفعول له وهو تفسير للمشي
اي بطرا وكبرا وكسر الراء رواية حالا فانه فرح مختالا تمشي مرة على عقبيك
ومرة على صدور قدميك فيقال لك انك لن تخرق الارض اي لن تثقبها
بكبرك حتى تخرج منها ولن تبلغ الجبال طولا نصبه حال او تمييز او مفعول له
اي لا تقدر ان تطاول الجبال وتساويها بكبرك ان مشيت على صدور
قدميك قال ابو هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان الشمس تجري في وجهه وما رأيت احدا اسرع في مشيه من رسول الله
كانما الارض تطوى له انا لنجهد الجهد على انفسنا وانه غير مكترث كل ذلك
اي كل الذي ذكرناه كان سيئه بالاضافة اي سيئ ما عددناه عليك
عند ربك مكروها اي اثما ومعصية وهو ما سوى الامور الحسنة
كقوله فآت ذا القربى حقه واخفض لهما جناح الذل وغير ذلك وقرئ سيئة
منصوبة بالتنوين فمعناه كل ما ذكرناه من قوله ولا تقتلوا اولادكم الى هذا
الموضع كان سيئة لا حسنة وكل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة ولم يقل
مكروهة ليطابق الموصوف وهو سيئة نظرا الى المعنى دون اللفظ لان السيئة
الذنب وهو مذكر او لان تانيثها غير حقيقي ذلك اي كل ما امر الله به ونهى عنه
مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي فهي حكمة هادية الى الرشد سمي بها لانها
محكمة لا يتطرق عليه فساد ما فقوله من الحكمة بيان لما اوحى قوله ولا تجعل
مع الله الها آخر خطاب للنبي ع‍م والمراد غيره اي لا تشرك بالله فتلقى اي
فتطرح في جهنم ملوما اي يلومك الناس مدحورا اي مبعدا من كل خير ثم
خاطب المشركين من اهل مكة توبيخا بقوله افاصفيكم الهمزة فيه للانكار اي
ءاشركتم بالله يا كفار مكة فخصكم ربكم على وجه الخلوص بالبنين اي
بافضل الاولاد واتخذ لنفسه من الملائكة اناثا باضافتكم اليه الاولاد

لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله انكم لتقولون قولا عظيما اي منكرا
شديدا باشراككم به تشيا وتفضيلكم عليه انفسكم حيث يجعلون له ما
يكرهون وبان يجعل اشرف خلق الله اهونه بتسميته اناثا قال تعالى ولقد
صرفنا اي بينا في هذا القرآن الحكم والامثال والحجج والاحكام ليذكروا
بالتخفيف والتشديد اي ليتعظوا بما فيه ويتنبهوا عن عبادة الاوثان
وما يزيدهم تصريفنا بالقرآن الا نفورا اي تباعدا عن الحق قل يا محمد لهولاء
المشركين لو كان معه اي مع الله آلهة كما يقولون بالتاء والياء اذا كلمة
تدل على ان ما بعدها جزاء للو وجواب عن مقالة المشركين وهو لابتغوا لطلبوا
تلك الآلهة الى ذي العرش اي خالق العالمين سبيلا بالمبالغة والقهر ليزيلوا
ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض ثم نزه نفسه عن الشرك بقوله سبحانه
اي نزه تنزيها له وتعالى اي ارتفع وتعظم عما يقولون المشركون من ان معه
شريكا في الالوهية علوا كبيرا اي بعيدا متصلا بالاستحالة تسبح بالتاء والياء
له السموات السبع والارض بلسان الحال الدال على وجود الخالق وقدرته
وحكمته ويسبح له من فيهن من الملائكة والانس والجن بلسان القال الناطق
بما يسمع منهم وان من شيء اي ليس موجود من الحيوانات والناميات الا يسبح
بلسان الحال ملتبسا بحمده فينزهه مما لا يجوز عليه من الشرك والولد لان كل
شيء يدل على الصانع وقدرته وحكمته فكانها ينطق بذلك قال عكرمة الشجرة
تسبح والاسطوانة لا تسبح والشجرة والنباة اذا قطع تسبح ما دام رطبا وقيل
كل الاشياء يسبح لله حيا كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده وهذا
ممكن عقلا وقدرة قيل ان الثوب يسبح ما دام جديدا فاذا وسخ ترك التسبيح
والتراب يسبح ما لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الماء يسبح ما دام جاريا فاذا
ركد ترك التسبيح وكذا كل حيوان يسبح ما دام يصوت فاذا سكت ترك التسبيح
ولكن لا تفقهون تسبيحهم لانه ليس بلغتكم اي لا يعلمون ايها المشركون تسبيح
ما عدا من يسبح بالسنتكم لتستوضحوا الدلالة على خالقكم الذي هو الله بجعلكم
له شريكا مع اقراركم بانه خالق السموات والارض اذا سئلتم عن خالقها العدم
الاقرار الثابت في قلوبكم الذي يورث النظر الصحيح على وحدانيته والحال ان هذا
التسبيح مما يفقهه كل ذي عقل ونظر صحيح انه كان حليما حيث لم يعجل بعقوبة من
اتخذ معه شريكا غفورا لمن تاب منهم الى التوحيد واذا قرأت القرآن اي
اذا شرعت يا محمد في قراته جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة

بالبعث

بالبعث حجابا مستورا يحجب قلوبهم عن فهم والانتفاع به والحجاب الاكنة
والمستور يعني الساتر كما يأتي بمعنى الآتي في قوله تعالى انه كان وعده مأتيا وقيل
مستورا عن اعين الناس فلا يرونه روي انه لما نزلت تبت يدي ابي لهب جاءت
امرأة ابي لهب ومعها حجر والنبي عم مع ابي بكر فلم تره فقالت لابي بكر اين
صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال ابو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله
فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارضخ راسه فقال ابو بكر ما رأتك
يا رسول الله عم قال لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني منها وجعلنا على قلوبهم
اكنة اي اغطية كراهة ان يفقهوه حتى يرغبوا في الحق وفي آذانهم وقرا اي
ثقلا وصمما لئلا يسمعوه واذا ذكرت ربك في القرآن وحده اي بقول لا اله
الا الله وانت تتلوا القرآن ووحده مصدر سد مسد الحال بمعنى واحدا
وحده ولوا اي اعرضوا على ادبارهم نفورا اي نافرين متباعدين عن الايمان
جمع نافر كقعود جمع قاعد وذلك حين قال لهم النبي عم قولوا لا اله الا الله تملكوا
بها العرب وتذل لكم بها العجم ثم نزل تهديدا لهم وتسلية للنبي عم نحن اعلم
بما يستمعون اي بالامر الذي يستمعون القرآن ملتبسين به من اللغو والهذاء والمكاء
وغيرها وهو في موضع الحال ويجوز ان يكون الباء صلة اي يطلبون سماعه و
اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم اي وقت استماعهم اليك وانت تقرأ القرآن
واذ هم نجوى جمع نجي اي فيتناجون في امرك بان قال بعضهم هذا مجنون وبعضهم
هذا ساحر وابدل من اذ هم اذ يقول الظالمون اي المشركون وهم الوليد بن المغيرة
واصحابه ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي مطوبا مغلوب العقل او له سحر وهو
الرئة يعنون انه بشر مثلكم معلل بالطعام والشراب يأكل ويشرب انظر يا محمد كيف
ضربوا لك الامثال اي الاشباه حيث قالوا ساحر او مجنون فضلوا اي اخطأوا
في المقالة وتحيروا في الطريق فلا يستطيعون اي لا يجدون سبيلا اي وصولا
الى طريق الحق وقالوا ءاذا كنا اي صرنا عظاما ورفاتا اي عظاما كالفتات بعد الموت
وهو ما يكسر ويبلى من كل شيء ءانا لمبعوثون اي لمحيون في الآخرة خلقا جديدا والا
ختلاف في قوله ءاذا وءانا مثل ما ذكر في الرعد من القراءة قل لهم يا محمد توبيخا وتعجيزا
كونوا حجارة او حديدا في القوة او خلقا آخر مما يكبر اي يعظم في صدوركم
كالسماء والارض والجبال وغيرها مما لا يقبل الحيوة ثم انظروا بالاستدلال
العقل هل نحن قادرون على ان نجعل الروح في ذلك بعد ان احييناكم واوجد
من العدم فانه لا تمتنع علينا جعل الروح فيها واحياؤها وقيل المراد من الخلق الآخر

الموت اذ ليس في نفس ابن ادم شيء اكبر من الموت يعني لو كنتم حجارة
يابسة او حديدا اصليا او موتا بعينه لا بعثتكم باعادة الروح فيكم لا نعجز عنه
فسيقولون استبعادا من يعيدنا اي من يبعثنا من بعد الموت قل لهم يعيدكم
الذي فطركم اي انشاكم اول مرة لان القادر على الانشاء قادر على الاعادة
فسينغضون اي يحركون اليك رؤسهم اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها
اي متعجبين من قولك ويقولون متى هو اي البعث او العذاب يوم القيامة قل
عسى ان يكون البعث او العذاب قريبا اي هو قريب بارادته وعسى من الله
للوجوب ثم قالوا يا محمد متى هذا القريب فنزل يوم يدعوكم اي يعيدكم يوم
ينفخ اسرافيل في الصور لدعوتكم من قبوركم بالنفخة الاخرة فتقومون للحساب
فتستجيبون اي فتجيبون بحمده يعني يقصدون نحو الداعي بامر الله تعالى
او تقرون بانه خالقكم وباعثكم وتحمدونه حين لا ينفعكم الحمد او الخطاب
للمؤمنين فانهم يبعثون حامدين والاول اظهر وتظنون اي تتيقنون
ان لبثتم في الدنيا او في القبور الا قليلا اي يسيرا قيل يرفع العذاب عنهم
فيما بين النفختين وبينهما اربعون سنة فينسون العذاب فيظنون انهم
لم يلبثوا الا يسيرا وهذا يدفع قول من قال اذا وضع الميت الى القبر لا يعذب
الى البعث فيظن انه مكث في القبر قليلا وقيل يستحقرون مدة الدنيا في جنب
القيامة قوله وقل لعبادي المؤمنين يقولوا الخصلة التي هي احسن للمشركين
ولا يكافئون بسفههم نزل حين كان المشركون يؤذون المسلمين فشكوا الى
رسول الله عم فامر الله ان يجيبوهم بجواب حسن لين لا خشن قيل هو رد السلام
بلا فحش سلام متاركة وقيل هو كلمة الاخلاص يعني لا اله الا الله وقيل
يهديكم فنسخ باية السيف ان الشيطان ينزغ اي يفسد بينهم بالقاء العداوة
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي ظاهر العداوة فاتخذوه
عدوا ربكم اعلم بكم اي باحوالكم يا كفار مكة ان يشا يرحمكم اي يوفقكم
بالتوبة عليكم فتؤمنوا او ان يشا يعذبكم اي يميتكم بالكفر فتعذبوا وقيل
هو خطاب للمسلمين ان يشاء يرحمكم فينجيكم من اهل مكة اذا صبرتم وان يشا
يعذبكم بتسليطهم عليكم ان لم تصبروا وما ارسلناك عليهم وكيلا اي موكولا
اليك امرهم فتجبرهم على الاسلام فدارهم الى الاذن بالقتال وربك اعلم بمن
في السموات والارض اي عالم بحالهم لانه خلقهم مختلفين في صورهم واخلاقهم
ومللهم فيعلم من هو اهل للرسالة والايمان ويعلم من يصلح لذلك وهو رد على

اهل

الزبور

اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم من قريش نبيا وبلال وصهيب
وخباب وغيرهم من الفقراء رضي الله عنهم اجمعين ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض ففضل ابراهيم عم بالخلة وموسى عم بالكلام وادريس عم
برفعه حيا الى الجنة ومحمدا عم بجسمه بالمعراج وآتينا داود زبورا بفتح
الزاء وضمها اسم كتاب علمه الله داود يستعمل باللام وغيره كالفضل
اسم رجل وهو مشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتحميد وثناء
على الله ليس فيها حلال وحرام ولا فرايض وحدود والمعنى انكم لن تنكروا
زبور داود الذي فيه ذكر ان محمدا خاتم الانبياء وان امته خير الامم فكيف
تنكرون فضل محمد عم واعطاءه القرآن وهذا خطاب لمن يقر بتفضيل
الانبياء عليهم السلام من اهل الكتاب وغيرهم وقوله قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه نزل حين اصاب المشركين قحط شديد حتى اكلوا الكلاب
والجيف واستغاثوا بالنبي عم ليدعو لهم بالكشف فقال تعالى للمشركين ادعوا
الذين زعمتم انهم آلهة من دون الله وتعبدونهم مع عجزهم فلا يملكون
كشف الضر اي لا يقدرون صرف السوء عنكم من البلايا والامراض اذا
نزل بكم ولا تحويلا اي ولا تبديله لحال من العسر الى اليسر اولئك الذين
يدعون بالتاء والياء مبتداء بصفته اي هؤلاء الذين تعبدونهم و
تزعمون انهم آلهة كالملائكة وعيسى عم وعزير عم والشمس والقمر والنجوم
والجن يبتغون اي يطلبون الى ربهم الوسيلة اي القربة بالتضرع اليه
في طلبها وقيل هي الدرجة العليا وقيل كل ما يتقرب بسببه الى الله عز وجل
وهو الاعمال الصالحة مع الايمان واي في ايهم بدل من واو يبتغون وهو
اسم موصول والجملة بعده صلته اي يبتغي من هو اقرب فكيف بالابعد
او الوسيلة المقربون عند الله فاي اسم استفهام مبتداء خبره اقرب
والجملة نصب بيبتغون بضمير الصلة فمعناه ينظرون او يحرصون ايهم من هؤلاء
المقربين اقرب الى الله بالكرامة يتوسلون به ويرجون رحمته اي جنته
ويخافون عذابه اي ناره كما يخاف ويرجو غيرهم من العباد فكيف
يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا اي يطلب منه الحذر
وقيل سبب نزول الاية ان نفرا من العرب كانوا يعبدون نفرا من العرب وان
نفرا من الجن كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم جنيون على يد النبي عم ولم يعلم
الانس الذين كانوا يعبدونهم باسلامهم فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله تعالى

بتنزهذه الآية ثم اخبر تعالى ان سبب هلاك كل قرية ذنوب سكانها
تهديد الكفار مكة فقال وان من قرية اي ليس قرية من القرى الا نحن
مهلكوها اي مهلكوا اهلها بالموت والاستيصال قبل يوم القيمة او نحن
معذبوها عذابا شديدا بانواع العذاب من السيف والزلزلة والغرق
والحرق وغير ذلك اذا كفروا اعصوا وقيل مهلكوها في حق المؤمنين بالاماتة او
معذبوها في حق الكافرين بالقتل وانواع العذاب قال النبي صلى الله عليه وسلم
هل تدرون مما تخرب القرى قالوا الله ورسوله اعلم قال ع م اعمال السوء
فاجتنبوها كان ذلك اي الاهلاك والتعذيب قبل البعث في الكتاب
مسطورا اي مكتوبا في اللوح المحفوظ قال ع م اول ما خلق الله القلم فقال
اكتب قال ما اكتب قال القدر وهو ما هو كاين الى الابد قيل اول ارض
تصير خرابا الشام والبصرة اسرع الارضين خرابا واخبثهم ترابا قوله
وما منعنا اي ما صرفنا عن ان نرسل بالايات التي اقترحوا منك الا
ان كذب بها الاولون فان الاولى مع ما بعدها مفعول منعنا والثانية
فاعله اي الا تكذيب المتقدمين من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود فاهلكناهم
لان سنة الله فيمن تقدم انه كان اذا اتى باية مقترحة فلم يؤمن
يهلكه وكان تعالى قد حكم بامهالهم لان يتم امرك يا محمد نزل حين سال
اهل مكة ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحي الجبال عنهم فيزرعوا في
اراضيهم فقال نحن نعلم انهم لو ارسلت الايات اليهم لكذبوا بها كتكذيب
الاولين فيهلكوا لكنا امهلناهم في العذاب لحكمة بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر قال وآتينا اي اعطينا ثمود الناقة بسؤالهم
اياها مبصرة اي آية موضحة لنبوة صالح ع م فظلموا انفسهم بها اي بتكذيبها
يعني جحدوا انها من عند الله فاهلكناهم ثم قال وما نرسل بالايات اي
بالمعجزات للعبرة او آيات القرآن الا تخويفا للعباد ليؤمنوا فان ابوا اتاهم
العذاب وهو مفعول له قيل ان الله يخوف الناس بما يشاء من آياته لعلهم
يرجعون واذ قلنا اي اذكر وقت قولنا لك بالوحي ان ربك احاط بالناس
وهم قريش علما وقدرة فهم في قبضته قادر عليهم فامض لامرك ولا
تخش احدا وهذا تبشير له بوقعة بدر وبالنصرة عليهم لتبليغ الرسالة
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج الا فتنة للناس اي اختبارا
لجميع الخلق او لقريش لان منهم مصدقا ومكذبا وهي رؤيا عين رآها

النبي ع م ليلة الاسراء من العجايب والايات والرؤيا يستعمل للرؤية ايضا وقيل
هي رؤيا منام رسول الله ع م راى مصارع قريش في القتال فلما ورد ماء بدر
قال هذا مصرع فلان من قريش فتسامعت بما اوحي اليه من امر بدر فكانوا
يضحكون ويستهزؤون والشجرة الملعونة عطف على الرؤيا اي وما جعلنا الشجرة
التي لعن آكلها اي كرم او لعن اصحابها الا فتنة لهم وهي شجرة الزقوم يقال لكل
شيء كريه الطعم ملعون وهي مذكورة في القرآن حيث قال ان شجرة الزقوم طعام
الاثيم والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين احدهما ان اباجهل قال ان ابن ابي
كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم زعم انها تنبت فيها شجرة وتعلمون ان النار
تحرق الشجر وثانيهما ان عبد الله بن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف
الزقوم الا الزبد والتمر فقال ابوجهل يا جارية زقمينا فاتينا بالزبد والتمر فاتت
بهما فقال يا قوم تزقموا فان هذا مما يخوفكم به محمد فصار ذلك فتنة وبلية
لهم ولو نظروا النظر الصحيح لما استبعدوا ذلك من قدرة الله تعالى كاكل النعامة
النار والحديد المحمي ونخوفهم اي نخوف اهل مكة بذكر الملعونة ليؤمنوا فما يزيدهم
تخويفنا الا طغيانا كبيرا اي الا عتوا عظيما وتماديا في المعصية فكيف يخاف
قوم هذه صفتهم بارسال ما يسألون عنك من الايات يا محمد ثم قال ايماء لهم الى ان
التمرد من امر الله لا ينفع صاحبه كما لم ينفع لابليس واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس فانه ابى عن السجود لآدم تكبرا قال ءاسجد لمن خلقت
طينا نصبه حال من من والعامل فيه اسجد على آدم ءاسجد له وهو طين
في الاصل او من الضمير المحذوف العايد اليه على اسجد لمن كان في وقت
خلقته طينا ولما امر بالسجود لآدم قال ابليس متعظما عليه ارايتك
اي اخبرني يا رب والكاف لتاكيد المحافظة هذا الذي كرمت اي فضلت
يعني اخبرني عنه لم فضلته علي وانا خير منه لانه خلق من طين وانا خلقت
من نار وقد بين فساد قياسه في سورة الاعراف ثم ابتداء فقال لئن
اخرتني اي امهلتني الى يوم الدين لاحتنكن اي لاستاصلن ذريته
بالاضلال يقال احتنك الجراد الزرع اذا اكله كله يعني لاستاذلنهم عن
طريقك المستقيم حيث شئت الا قليلا اي المعصومين منك قيل من
اين علم ان ذلك ابليس وهو من الغيب اجيب بانه علمه من قول الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها وقيل علم ذلك لما علمت وسوسته آدم وقيل
ادركه من كونه خلقا شهوانيا قال الله تهديدا له وتحذيرا منه اذهب

اي امض لشانك الذي اخترعته خذلانا فمن تبعك اى اطاعك منهم
فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاء اتباعك وفيه تغليب المخاطب على
الغايب وتنصب على المصدر او على الحال قوله جزاء موفورا اي بجزون جزاء
وافرا مكملا لا يفتر عنكم واستفزز اي حرك واستخف من استطعت
منهم اي من ذرية ادم بصوتك اي بدعايك الي معصية الله فكل داع الي
معصية الله فهو من جند ابليس واجلب اي صح بصيحتك عليهم من
الجلبة وهي الصياح بخيلك اي بجماعة من فرسانك ومنه قوله عليه السلام
يا خيل الله اركبي ورجلك بكسر الجيم وسكونها اي وعشاتك وهو اسم جمع
للراجل يعني اجمع عليهم مكرك وحيلك ما امكنك فلن اعجز عن منعك وامنعهم
اذا شيت انا وشاركهم في الاموال المحرمة كالربوا والغصوب اوما
جعلوا من الحرث والانعام نصيبا لشركايهم قيل كل طعام لم يذكر اسم الله
فللشيطان شركة فيه والاولاد من الزنا او بتسميتهم عبد الحرث وعبد
العزى وقيل هو تهويدهم وتمجيسهم وتنصيرهم وقيل كل معصية بسبب
الولد قيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل عند الجماع فان لم يقل
بسم الله اصاب معه امراته وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وقال رجل
لابن عباس ان امراتي استيقضت وفي فرجها شعلة من نار قال
ذلك من وطي الجن وعدهم اي قل لهم بان لا جنة ولا نار واوعدهم
بالوعد الجميل في طاعتك من الاكاذيب وما يعدهم الشيطان الا غرورا
وهو تزيين الباطل في صورة الحق قيل كيف جاز ذكر الله هذه الاشيا
فان امره تعالى ابليس بذلك تسليط على عباده بالاغواء وهو يقول
ان الله لا يامر بالفحشاء اجيب عنه ما ذكره اياها على طريق التهديد
والخذلان والتخلية كقوله تعالى للعصاة اعملوا ما شيتم ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان اي حجة وتولية يعني لا تقدر على اغواء
عبادي الصالحين المعصومين وكفى بربك وكيلا اي حافظا لهم اذا
اعتمدوا عليه وتوكلوا في كل امر كالاستعاذة منك ومن شرك ثم ذكر ما
يحملهم على اطاعة الرحمن واجتناب اطاعة الشيطان فقال ربكم الذي
يزجي اي يسوق لكم الفلك في البحر لتبتغوا اي لتطلبوا من فضله
اي من رزقه انه كان بكم رحيما بالحفظ على الهلاك والضلال
واذا مسكم الضر اي الخوف من الغرق في البحر ضل اي غاب من تدعون

الباطل

اياه

اي

اي تعبدون من الالهة الا اياه استثناء متصل اي ذهب عن قلوبكم كل
ما يستغاث الا الله وحده او منفصل ومعناه ضل كل الاصنام التي هن
الهتكم لكن الله هو الذي ترجونه لصرف النوايب عنكم فتخلصون بالدعاء
له فلما نجاكم الي البر من اهوال البحر اعرضتم عن الايمان بالله تعالى وترك التضرع
اليه ورجعتم الي عبادة الاصنام وكان الانسان اي الكافر كفورا اي
جحودا لا نعم ربه والعاقل من يستوي خوفه في البر والبحر كما يستوي قدرة
ربه فيهما افامنتم الهمزة فيه للانكار اي انجوتم من الخوف فامنتم ان
يخسف بكم جانب البر اي بغور ربكم الي الارض السفلي كقارون واصحابه
ويجوز ان يكون جانب البر منصوبا بانه مفعول به وبكم نصبا على الحال اي
يقلب جانب البر وانتم عليه والمراد من جانب البر جميع الجهات الست اذ
لا اختصاص لقدرته تعالى بمكان دون مكان او يرسل عليكم حاصبا
او من الريح التي تحصب اي ترمي الحصباء يعني تمطر حجارة من السماء كما
امطر على قوم لوط ثم لا تجدوا لكم وكيلا اي مانعا عنكم من عذابه ام امنتم
ان يعيدكم فيه اي في البحر تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح
وهو الريح الشديدة التي تنقصف اي تنكسر في هبوبها ولا تمر بشي الا تقصفه
يعني تدق كل شي وتحطمه فيغرقكم بما كفرتم بالله تعالى وبنعمته ثم لا تجدوا
لكم علينا به اي بما فعلنا تبيعا اي تابعا لنا يطلب منا ثاركم انتصارا
لكم قرئ في الافعال الخمسة نخسف ونرسل ونعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون
لقوله علينا وبالياء لقوله الا اياه ثم ذكر ما يدل على وجوب شكر الله تعالى
بقوله ولقد كرمنا بني ادم من التكريم وهو ابلغ من الاكرام لاقتضاء
ذكر التكريم دون هذا وفي ذكر كرمنا تغليب للبر على الفاجر اي كرمناهم
كافرين كانوا او مومنين على البهايم وهو انهم ياكلون بالايدي وغير الادمي
ياكل بفيه من الارض وقيل بالعقل وقيل بالنطق وقيل بحسن الصورة
وقيل كرم الله الرجال باللحى والنساء بالذوايب وقيل بتعديل القامة و
امتدادها لان الدواب خلقت منكبة على وجوهها وقيل بتدبير امر
المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وحملناهم
في البر على الدواب والبحر على السفن ورزقناهم من الطيبات اي
من لذايذ المطاعم والمشارب وقيل من السمن والعسل والزبد والتمر وجعل رزق
غيرهم مما لا يخفى كالتبن والشعير وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

في

ظاهر الآية يدل على انهم فضلوا على كثير من خلقه لا على الكل وانهم فضلوا
على غيرهم من ذوي العقل ايضا لان من لمن يعقل واجمعوا على انهم
مفضلون على جميع المخلوقات سوى الملائكة وفي تفضيلهم على الملائكة
اختلف قال قوم هم مفضلون عليهم ايضا فوضع الا كثير موضع الكل واستدلوا
بقوله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة
يا ربنا خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة
فقال لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن
فكان وبعضهم فضل الملائكة كلهم على بني آدم وبعضهم يفضل المقربين
من الملائكة كجبرائيل على خواص بني آدم والاولى ان يقال عوام الملائكة
افضل من عوام المؤمنين وخواص المؤمنين افضل من خواص الملائكة و التفضيل
حقيقة لا يعلم الا الله ومن شاء من خلقه وهو لا يظهر الا في الآخرة
بدليل قوله **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ** نصب بقوله تفضيلا وقيل بدل من يوم
ندعوا وقيل مفعول لفعل مقدر اي اذكر يوم ندعوا كل امة **بِإِمَامِهِمْ**
اي بما يأتمون من نبي او كتاب انزل عليهم او كتاب فيه اعمالهم من الخير والشر فيقال
يا اصحاب الخير ويا اصحاب الشر او بمقدم يجتمع الناس اليه في الخير والشر
وهو رئيسهم **فَمَنْ أُوتِيَ** اي اعطي **كِتَابَهُ** اي كتاب اعماله **بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ
يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ** ما فيه من الحسنات ويعطون ثوابها **وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**
اي لا ينقص من حقهم قدر فتيل وهو كناية عن ادنى شيء وفي الاصل وسخ
تفتل بين الاصبعين او قشر في شق النواة وهم طائفة السعداء ولم يذكر
الاشقياء وان كانوا يقرؤون كتبهم ايضا لانهم اذا نظروا فيه يأخذهم حبسة
اللسان من الخوف والحياء فلا يظهرون قراءتهم فقراءتهم كلا قراءة بخلاف
السعداء فانهم يظهرون قراءتهم باحسن قراءة وابينها ولا يقنعون بذلك
وحده حتى يقول القاري منهم لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه ثم قال تعالى
حثا على التوحيد والعمل الصالح **وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ** الدنيا وفي النعم التي
قد عاينها ولم يشكرها **أَعْمَىٰ** اي اعمى القلب عن رؤية قدرة الله وعن
رؤية الحق او عن الهداية **فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ** كذلك عن اثبات الحجة او هو
بمعنى افعل التفضيل ومن اي اشد عمى في حال الآخرة لانه غايب عنها لم يرها
فشك فيها بخلاف ما عاين من نعم الله او اشد عمى من كونه اعمى في الدنيا اما
في الدنيا فلفقد النظر العقلي الموصل الى المعرفة واما في الآخرة فلانه لا ينفعه

الاهتداء اليه لا بالتوبة ولا بالشفاعة فلذلك قال **وَأَضَلُّ سَبِيلًا** من الاعمى
لانه في الدنيا تقبل توبته قرئ اعمى في الموضعين بالامالة لكون الالف فيهما
طرفا لانه بمعنى عام من عمى القلب وبفتحهما على الاصل وبين بين تخفيفا او
بامالة الاول وفتح الثاني عند من جعله افعل التفضيل ومن لكون الفه وسطا
بتقدير من كالجزء منه فاشبه بالف اعمالكم فلا يمال لان الامالة من لواحق
الطرف بخلاف الاول فانه لم يتعلق به شيء فيكون الفه في الطرف قوله **وَإِنْ
كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ** نزل حين طلب المشركون وهم ثقيف عن النبي عم ان يطرد
الفقراء عنه واطمعوه في اسلامهم وان يسلم آلهتهم وان يجعل ايه رحمة مكان
آية عذاب فمال الى بعض ذلك بخطور قلب لا بعزم منه فقال تعالى وان اي ان الشأن
قاربوا ان يخدعوك ويصرفوك **عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** اي عن القرآن
لِتَفْتَرِيَ اي لتختلق **عَلَيْنَا غَيْرَهُ** اي غير القرآن بالتبديل كما طلبوا منك
وَإِذًا اي ولو اتبعت مرادهم **لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا** اي وليا وصفيا وحينئذ خرجت
من ولايتي ودخلت في عداوتي **وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ** على الحق بالعصمة والحفظ
لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ اي لقاربت بان تميل **إِلَيْهِمْ** اي الى مرادهم **شَيْئًا قَلِيلًا** وفيه تهييج
دليل على ان النبي عم قد عصم ولم يمل اليهم في شيء ما بالقلب وهذا الكلام
من الله له تفضل وتثبيت على الحق وعدم الميل اليهم **إِذًا** لو ركنت اليهم
لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ اي ضعف عذاب الحيوة الدنيا **وَضِعْفَ الْمَمَاتِ**
اي وضعف عذاب الممات من عذاب القبر وعذاب النار بتقدير المضاف
فيهما وقيل يستعمل الضعف بمعنى العذاب المعني لضعفنا لك العذاب في الدنيا
والآخرة **ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا** اي مانعا يمنع عذابنا عنك روي ان النبي عم
كان يقول بعد نزوله اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين **وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ**
اي ليزعجونك **مِنَ الْأَرْضِ** قيل الآية مدنية ان كان المراد من ضمير كادوا اليهود
لما روي ان النبي عم لما قدم المدينة كره اليهود اقامته بها حسدا فقالوا يا ابا القاسم
لقد علمت ان هذه بلاد الانبياء وان ارض الشام ارض الانبياء لان فيها الارض
المقدسة وبها كان ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثالهم فات
الشام وقيل مكية ان كان المراد منه المشركون لانهم قصدوا ان يخرجوه
من مكة فكفهم الله منه حتى امره بالهجرة فخرج بنفسه وهذا اصح لان ما قبله
خبر عن اهل مكة والسورة مكية وقيل هم الكفار كلهم لانهم ارادوا ان يخرجوه
من ارض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله عم ولم ينالوا منه

ما ارادوا فاخبر تعالي عنهم فقال وان الكفار قد كادوا ليزعجونك بسرعة
من ارضهم ليخرجوك منها اي من الارض واذا اي ولو اخرجوك منها لا يلبثون
خلفك وقرئ خلافك اي بعد خروجك الا قليلا اي زمانا قليلا ثم يهلكهم في
ارضهم ولم يعمل اذن هنا النصب لان واو العطف الغتها عن العمل بجعل الجملة
بعدها متصلة بما قبلها لانها عطف الفعل علي الفعل الذي هو مرفوع لوقوعه
خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم فكذا ما عطف عليه فلم تعمل اذن
فيه فصارت حشوا قوله سنة من قد ارسلنا منصوب لنزع الخافض اي
كسنة او بفعل مقدر اي سن الله سنة في الذين بعثناهم للرسالة قبلك
من رسلنا اذ كذبتهم الامم ان لا يعذبهم ما دام نبيهم بين اظهرهم فاذا
خرج نبيهم من بينهم يستأصلهم بالهلاك ولا تجد لسنتنا اي لعادتنا هذه
تحويلا اي تغييرا ثم امر النبي عم بان يقيم الصلوة ليلا ونهارا متوكلا عليه
في كل حال بقوله اقم الصلوة المفروضة لدلوك الشمس اي لزوالها ولغروبها
واصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت وغربت والاكثر علي معني الزوال
لتكون الآية جامعة لمواقيت الصلوة كلها لانه ان اريد منه الغروب
خرج عنه الظهر والعصر وان اريد الزوال دخلا الي غسق الليل اي الي ظهور
ظلمته في محل النصب علي الحال اي ممتدة اليه ويجوز ان يتعلق الجار
باقم قيل المراد من ذلك الظهر والعصر والمغرب والعشاء لتناول الدلوك
صلوة الظهر والعصر وتناول غسق الليل المغرب والعشاء وقرآن الفجر اي
واقم صلوة الفجر فهو معطوف علي الصلوة وسميت قرآنا لكونه جزءا منها كما
سميت ركوعا وسجودا وقنوتا علي طول القران في صلوة الفجر لانها يكثر عليها
الناس في العادة يسمعون القرآن فيكثر الثواب مع وصف الطول والكثرة
وقيل نصبه علي الاغراء ان قرآن الفجر كان مشهودا اي يشهده ملائكة
الليل وملائكة النهار اذا صعد هؤلاء ونزل هؤلاء ومن الليل اي وقم
بعض الليل بعد نومك فتهجد به فاسهر للصلوة والتهجد قيام الليل بعد
النوم للصلوة وكانت صلوة الليل فرضا علي النبي عم وامته في الابتداء
فنسخ الوجوب في حق الامة بصلوات الخمس وبقي الاستحباب واما في
حق النبي عم فلم ينسخ لقوله عليه السلام ثلث هن علي فريضة وهي
لكم سنة الوتر والسواك وقيام الليل فقوله نافلة لك نصب علي الحال اي
صلوة نافلة او مصدر في موضع تهجدا من غير لفظه ومعناه فريضة زائدة

علي ساير الفروض فرضها الله عليك وذهب قوم الي ان الوجوب صار منسوخا
في حقه كما في حق الامة فصارت نافلة اي زائدة دون فرض لقوله لك لا عليك
قيل فما معني التخصيص بقوله لك اذا لم يكن فرضا عليه كما لم يكن علي الامة اجيب
بان التخصيص لرفع الدرجات في حقه لانه قد غفر له ما تقدم وما تاخر والزيادة
في حق الامة كفارة لذنوبهم وتتميم لصلواتهم قالت عايشة ما كان رسول
الله عم يزيد في ليالي رمضان ولا غيره علي احدي عشر ركعة ثم يصلي اربعا فلا
تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسئل عن حسنهن وطولهن
ثم يصلي ثلثا قالت فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر قال عم يا عايشة
تنام عيناي ولا ينام قلبي وفي رواية يسلم في كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد
سجدتين قدر ما يقرأ احدكم خمسين آية ان يرفع راسه قوله عسي من الله واجب
ان يقول ما يطمع منه عباده يتعلق بقوله اقم اي دم علي ما امرت من اقامة
الصلوة بالليل والنهار رجاء ان يبعثك ربك يوم القيمة مقاما محمودا
وهو نصب علي الظرف اي يثبتك في المقام المحمود وهو مقعد علي العرش وقيل
علي الكرسي والاكثر انه مقام الشفاعة لانه يحمد فيه الاولون والآخرون
لما روي عن النبي عم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وهي نايلة من امته لكل من مات
ولم يشرك بالله شيئا روي عن عبد الله ابن عمر ان الشمس تدنو يوم القيمة
حتي تبلغ العرق نصف الاذن فبيناهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسي ثم بمحمد
فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتي يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله
مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم وهو الوسيلة في الحديث قال رسول الله عم
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فمن صلي علي صلوة صلي
الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي
ان يكون الا لعبد من عباد الله وانا ارجو ان اكون انا هو فمن سال لي
الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيمة ثم قال تع بعد خروج النبي عم
من مكة مهاجرا الي المدينة وقل رب ادخلني في المدينة مدخل صدق اي
ادخال صدق يعني بالسلامة ونيل المراد واخرجني من مدينة مخرج صدق اي
اخراج صدق الي مكة يعني بالفتح والظهور عليها او ادخلني في القبور مرضيا طاهرا
من الذنوب واخرجني من القبور مرضيا الي البعث ملقي بالكرامة آمنا من السخط واجعل
لي من لدنك اي حضرتك سلطانا نصيرا اي برهانا بينا قاهرا اعداء الدين
بنصر دينك علي جميع الاديان فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما

فيجعله لكم ويشهد عليك قوله ليظهره على الدين كله وليستخلفنهم في الارض
وقل جاء الحق القرآن **وزهق الباطل** اي ذهب الشيطان او جاء الاسلام
وزال الشرك او جاء عبادة الحق وذهب عبادة الصنم والزهوق خروج النفس
من البدن اكثر ذلك بما هو كالمثل السائر وهو قوله **ان الباطل كان زهوقا** اي
مضمحلا غير ثابت في كل وقت **وننزل من القرآن ما هو شفاء** للقلوب
من الجهل والضلالة ومن للتبعيض او للتبيين اي كل شيء نزل من القران فهو
شفاء **ورحمة للمؤمنين** لازدياد ايمانهم به ويصلح دينهم بما فيه كالشفاء
للمريض او شفاء حقيقة للاجسام لما فيه من البركة قال ءم من لم يستشف
بالقرآن فلا شفاه الله **ولا يزيد** القرآن **الظالمين** اي المكذبين به **الا خسارا**
اي نقصانا لانهم ينكرون القرآن فيخسرون **واذا انعمنا على الانسان** اي
الكافر بكشف البلاء عنه وبسعة الرزق عليه **اعرض** عن ذكر الله وعن
التضرع والالتجاء اليه **ونأى بجانبه** اي تباعد جانبه عن الحق وترك
التقرب اليه بالدعاء وقيل تعظم وتكبر ولم يلتفت اليه وهو تاكيد للاعراض
لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه وهو جانبه والنأي بجانبه ان
يقوم عنه عطفه ويديره ظهره وقرئ بفتح النون وكسر الهمزة وبين بين وناء مثل جاء
واذا مسه الشر اي الضر في الجسد والشدة في المعيشة **كان يؤسا** اي قنوطا
عن رحمة الله فيترك الدعاء اليه او معناه انه يتضرع ويدعو عند الشدة فاذا
تاخرت الاجابة ترك الدعاء ولا ينبغي للمؤمن ان ييأس من الاجابة وان تأخر
فيدع الدعاء **قل كل يعمل على شاكلته** اي كل واحد من الناس يعمل على طريقته
التي اختارها من طرق الضلالة والهدى لنفسه وهي من الشكل وهو
الشبه يعني كل يعمل ما شبهه ومنه المثل كل امرء يشبهه قوله **فربكم اعلم بمن
هو اهدى سبيلا** اي اوضح طريقا يعني يعلم المهتدي والضال فيجازي كلا
بعمله قوله **ويسئلونك عن الروح** وهو الذي يحيى به الانسان واختلفوا
في ماهيته وقال قوم هي الدم وقوم هي النفس وقوم هي معنى ذو نور
اجتمع فيه العلم والطيب والبقاء والعلو ولم يات احد منهم على ما اختاره
دليلا يدل على حقيقته فالاولى ان يوكل علمه الى الله تعالى وهو قول اهل السنة
قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا نزل
حين اجتمع قريش وقالوا ان محمدا انشأ فينا بالصدق والامانة وما اتهمناه
بالكذب وقد ادعى النبوة فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة ليسئلوا عنه فانهم

والنأي

اهل

اهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلثة اشياء فان
اجاب كلها او لم يجب عن شيء فليس بنبي وان اجاب عن اثنين ولم يجب عن
احد فهو نبي فسئلوه عن فتية فقدوا في الزمان الاول وامرهم العجيب وهم
اصحاب الكهف وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها وهو ذو القرنين فقالوا
اخبر عنهما وعن الروح فقال ءم اخبركم غدا بما سألتم ولم يقل ان شاء الله
فلبث الوحي خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما واهل مكة يقولون وعدنا
محمد غدا وقد اصبحنا لا يخبرنا بشيء حتى حزن النبي ءم من مكث الوحي وشق عليه
قولهم ثم انزل جبرئيل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
وانزل في الفتية ام حسبت الاية وفي ذي القرنين يسئلونك عن ذي القرنين
الاية وفي الروح ويسئلونك عن الروح **قل الروح من امر ربي** فاشار الى ان
معرفة حقيقته متعذرة يعني علم الروح من علم ربي لا يعلمه غيره فبين
للقصتين كما هما وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية فندموا على سؤالهم
فدل هذا على صدق نبوته قوله **وما اوتيتم من العلم الا قليلا** خطاب عام
للنبي ءم واراد غيره لما روي ان اليهود قالوا له نحن مختصون بهذا الخطاب
ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا اي يسيرا
في جنب علم الله تعالى وقيل خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا اوتينا التورية
وفيها الحكمة وقد تلوتم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم
علم التورية قليل في جنب علم الله والشيء قد يكون كثيرا بالنسبة الى ما
قليلا بالنسبة الى ما فوقه والاصح الاول لظاهر الاية من العموم ولقوله **و
لئن شئنا لنذهبن** واللام الاولى التي في ان الشرطية للتوطئة والثا
جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط اي والله لو شئنا لمحونا **بالذي
اوحينا اليك** اي بالقرآن من الصدور والمصاحف حتى لا يوجد له اثر يعني
نحن منعنا علم الروح عنك وعن غيرك بمشيتنا وقدرتنا ولو شئنا
لمحونا القران ايضا فلم نترك له اثرا وبقية كما كنت لا تدري ما الكتاب
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي من يتوكل برد القرآن اليك بعد الذهاب به
فالعلم في الحقيقة كله لنا لا لكم قال ءم اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم
الساعة حتى يرفع قوله **الا رحمة** مفعول له اي ما حفظناه عليك الا للرحمة
او تقديره لكنا لم نشأ ذلك لرحمة **من ربك** او تقديره لكنا رحمناك رحمة
تركته غير مذهوب به فيكون استثناء منقطعا **ان فضله كان عليك كبيرا**

دونه

نية

اي فضلا عظيما لاعطائك الاسلام دينا واصطفائك بالرسالة من بينهم والنصرة
والغلبة عليهم وبتنزيل القرآن اليك وابقائه محفوظا عليك وفيه امتنان
عظيم على اهل العلم والقرآن ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله
وتحفيظه في الصدور والمصاحف فعليهم ان لا يغفلوا عن هاتين المنتين
والقيام بشكرهما قيل له دوي كدوي النحل يقول الرب ما لك فيقول يا رب كنت
اتلا ولا يعمل بي ونزل حين قال الكفار لو شئنا لقلنا مثل هذا قل لئن اجتمعت
الانس والجن متظاهرين على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن
نظمه والاعجاز والاخبار عن الغيوب مع ما ضمن فيه من الاحكام والحدود
وغيرهما مما لا يعرف الا بالوحي لا يأتون بمثله جواب قسم محذوف لا جواب
الشرط ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون لا يأتون مع النون جواب الشرط
وهو اجتمعت وقع ماضيا لا يعمل فيه الاداة فجاز ان لا يعمل من الجواب المعنى انهم
عاجزون عن الاتيان بمثله لانه كلام في اعلى طبقات الكلام من البلاغة
لا يشبه كلام الخلق ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا ولقد صرفنا اي
كررنا للناس بالبيان في هذا القرآن من كل مثل اي من كل ما هو كالمثل في الغرابة والحسن
لما فيه من الاخبار العجيبة والاحكام والامثال والوعد والوعيد والعبر فابى
اي امتنع اكثر الناس عن القبول او عن الشكر الا كفورا اي جحودا وكفرانا مكان
الشكر وهذا استثناء مفرغ في المفعول لان ابى ههنا في معنى لم يرضوا وقالوا
اي قال عبد الله بن ابي امية واصحابه للنبي عم لن نؤمن اي لن نصدق
لك حتى تفجر لنا بضم التاء وكسر الجيم مشددا من التفجير وبفتح التاء وضم الجيم
مخففا اي تشقق من الارض ينبوعا اي عينا يخرج منها الماء او تكون لك جنة
اي بستان من نخيل واعناب فتفجر اي تشقق الانهار خلالها اي وسطها
تفجيرا اي تشقيقا ظاهرا والتشديد فيه اجماعي لذكر الجمع بعده وهو الانهار يقال
فجرت نهرا بالتخفيف لان مفعوله واحد وفجرت الانهار بالتشديد لكون مفعوله
جمعا وقد يذكر بالتشديد في الواحد ايضا اذا قصد المبالغة فيه او تسقط
السماء كما زعمت بقولك ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من
السماء علينا كسفا بسكون السين على التوحيد اي نوقعها قطعة واحدة وجمعه كسوف
واكساف وبفتح السين جمع كسفة اي توقع السماء علينا قطعا يعني قطعة بعد قطعة
ونصبه حال من السماء او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي كفيلا يكفلون عما تقول
او ضامنا به شاهدا لصحته او تاتي باصناف الملائكة قبيلة قبيلة وهو جمع قبيلة

او يعني

او يعني مقابلة وعيانا تشهدون لك بانك نبي الله ونصبه حال من الله و
الملائكة او يكون لك بيت من زخرف اي من ذهب واصله الزينة او ترقى
اي تصعد في السماء اي في معارجها ولن نؤمن اي لن نصدق لرقيك
اي لصعودك فيها فرضا حتى تنزل علينا من السماء كتابا فيه تصديقك
نقرؤه فنتبعك فقال تعالى لنبيه عم قل سبحان ربي تعجبا من قولهم
وقرئ قال اخبارا عن النبي عم هل كنت الا بشرا رسولا اي لست الا بشرا
ارسل اليكم فكيف تطلبون منه شيئا لا يقدر البشر على الاتيان به وما كان
رسولا الا باذن الله قيل لو اراد الله ان ينزل ما طلبوا منه لفعل ولكن
لا ينزل الايات على ما يقترحه البشر لانه ليس في طوق البشر وانما رد الله
سؤالهم لانه تعالى اعطى النبي عم من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا
كله في الايمان به مثل القرآن وانشقاق القمر وغيرهما مما اشتهر بين القوم
ولكن كفار مكة كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا او زادهم
الله تعالى لشك وريب في صدورهم لا يزول بكل آية نزلت يدل على ذلك
قوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوة محمد عم اذ جاءهم
الهدى اي القرآن ومحمد الا ان قالوا اي الا قولهم محله رفع فاعل منع و
ان يؤمنوا مفعوله مقدم عليه ومقولهم بالاستفهام للانكار ابعث
الله بشرا رسولا ولم يبعث ملكا فلا نؤمن به ولا حجة لهم سوى هذا
القول فرد الله عليهم بقوله قل لو كان في الارض ملائكة مكان البشر
يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم كالطير مطمئنين
اي مقيمين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا من جنسهم لينذرهم
ويعلمهم الخير لان القلب الى الجنس اميل منه الى غير الجنس وانزال الملائكة على
الانبياء لاتصافهم بالصفة الملكية في الصورة البشرية كانهم من جنس الملائكة
وذلك ايضا لارسالهم الى بني آدم للانذار والتبشير ولما سمعوا ذلك قالوا
من يشهد لك يا محمد بانك رسول من الله قال تعالى قل كفى بالله شهيدا نصبه
حال اي كفى الله شاهدا بيني وبينكم على اني رسول الله باظهار المعجزة مني
وبلغت ما ارسلت به اليكم وانتم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده خبيرا
بصيرا فيجازيهم بعملهم من يهد الله اي من يرشد الى دينه فهو المهتدي
باثبات الياء وحذفها وصلا اي على طريق الحق بالاستقامة ومن يضلل
اي يخذله عن دينه فلن تجد لهم اولياء اي احباء او انصارا من دونه

يرشدونهم من الضلالة الي طريق الحق ونحشرهم يوم القيمة علي وجوههم محاله
علي الحال اي يسحبون عليها في النار قالوا يا رسول الله كيف يحشر الكافر علي وجهه
يوم القيمة فقال النبي عم ان الذي امشاه علي رجليه قادر علي ان يمشيه
علي وجهه قوله عميا حال اخري اي لا يرون فيه ما يفرحهم وبكما اي لا ينطقون
بحجة واعتذار وصما لا يسمعون ما يلتذون به وذلك حين يساقون الي الموقف
الي ان يدخلوا النار ماويهم اي مستقرهم ومنزلهم جهنم كلما خبت اي
سكن لهبها وطفئت نارها في راي العين زدناهم سعيرا اي وقودا
او تلهبا واشتعالا ذلك اي العذاب الموصوف يوم القيمة جزاؤهم بانهم
كفروا باياتنا اي القرآن ومحمد عم وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا اي ترابا
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا بعد الموت والفناء فاجابهم الله تعالي بقوله
اولم يروا اي انكروا الاعادة ولم يخبروا في القرآن ان الله الذي خلق السموات
والارض في عظمها وشدتها قادر علي ان يخلق مثلهم في صغرهم وضعفهم
كقوله تعالي لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وعطف علي اولم يروا
وجعل لهم اجلا لان تقدير المعني فيه قد علموا بالعقل ان القادر علي خلق السموات
والارض قادر علي خلق امثالهم من الانس وجعل اي عين وقتا لعذابهم وهو
الموت او يوم القيمة لا ريب فيه عند المؤمنين انه ياتيهم فابي الظالمون اي
لم يرضوا مع وضوح الدليل عن الايمان الا كفورا اي عنادا وجحودا له لقبولهم
الكفر مكانه وذلك كله لحبهم الدنيا واطمينان قلوبهم بها قل لو انتم تملكون
لو حرف شرط حقه ان يدخل علي الفعل لكنه حذف ههنا واضمر علي شريطة التفسير
وتقديره لو تملكون انتم بحذف تملك وابدل من الضمير المتصل الفاعل ضمير منفصل وهو
انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره نزل لاهل
مكة الذين طلبوا من النبي عم تفجير الينبوع والانهار وغيرها من نعم الله اي قل يا محمد
لهم لو ملكتم خزاين رحمة ربي اي جميع نعمه اذا لامسكتم اي لبخلتم وحبستم
من قولهم للبخيل ممسك جعل الفعل المتعدي كاللازم لارادة التعميم خشية الانفاق
اي لخوف الفقر والفاقة يقال انفق الرجل اذا ذهب ماله وصار فقيرا ونفق
الشيء اذا ذهب وكان الانسان قتورا اي بخيلا ممسكا ثم قال تهديدا لاهل مكة
ولقد اتينا اي اعطينا موسي تسع ايات بينات اي علامات واضحات
وهي العصا وبياض اليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان ثم
اختلفوا في الاخيرتين قال بعضهم فلق البحر والحلال العقدة التي كانت علي لسانه عم

وقال بعضهم فلق البحر ونتق الجبل وقال بعضهم السنون ونقص الثمرات فاسئل
يا محمد بني اسرائيل اي من آمن منهم يخبروك وهم عبد الله بن سلام واصحابه
عن ايات موسي لتزداد يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت
كان ذلك اقوي واثبت او ليحتج به علي من لم يؤمن منهم ويظهر كذبهم مع قولهم
او سلهم عن موسي وما جري له مع فرعون اذ جاءهم اي حين جاء اباهم موسي
فقال له فرعون حين جاء بالايات اني لاظنك يا موسي مسحورا اي مغلوب
العقل بالسحر ومصروفا عن الحق قال له موسي لقد علمت بضم التاء يخبر موسي عن نفسه
انه ليس بمسحور كما قال فرعون وان ما جاء به حق وبفتح التاء خطابا لفرعون اي
لقد علمت يا فرعون اني لست بمسحور لاني كنت في بيتك ولم تكن رأيت مني شيئا
يدل علي ما قلت في حقي وعلمت ما انزل هؤلاء الايات التسع الا رب السموات
والارض وهو الله الخالق الرازق لاهلها بصاير نصب علي الحال من هؤلاء جمع بصيرة
وهي ما يبصر به الحق اي بينات مكشوفات علي اني علي الحق ولكنك معاند مكابر بعد
ظهور الحق عندك واني لاظنك يا فرعون مثبورا اي هالكا مصروفا عن كل خير تجاددا
فاراد فرعون ان يستفزهم اي ينفي ويخرج موسي وبني اسرائيل من الارض اي ارض
مصر او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال فنزل به مكره فاغرقناه اي فرعون
ومن معه من الكافرين جميعا ونجينا موسي وقومه من الغرق وقلنا من بعده اي بعد
هلاك فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يخرجكم فرعون منها وهي مصر
والشام فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا اي مجتمعين مختلطين انتم وهم ثم نحكم
بينكم ونميز السعداء والاشقياء منكم واللفيف الجمع الكثير من كل صنف ثم قال وبالحق اي
بالحكمة المتيقنة لا نزاله انزلناه اي القرآن وبالحق اي بتلك الحكمة نزل عليك ولم يتغير
لاشتماله علي الهداية الي كل خير وقيل معناه انزلناه من السماء محفوظا بالملائكة ونزل
عليك محفوظا من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا مبشرا للناس بالجنة ونذيرا
لهم من النار وليس عليك غير هذا من القرآن والاكراه علي الدين قوله وقرآنا نصب بفعل يفسره
فرقناه بالتخفيف اي انزلناه متفرقا بالنجوم بعضه في ازمان مختلفة او فرقناه بمعني
بيناه تبيانا او جعلناه فارقا بين الحق والباطل لتقرأه علي الناس علي مكث بضم الميم
اي علي مهل وترسل ونزلناه تنزيلا اي في ثلث وعشرين سنة علي حسب الحوادث
قل يا محمد تهديدا لهم آمنوا به اي بالقرآن او لا تؤمنوا به فان الله غني عنكم وعن
ايمانكم وفيه امر له عم بالاعراض عنهم لا حتقار شانهم ثم اخبر توبيخا لهم وتعييرا بان
خيرا منهم وافضل من علماء اهل الكتاب قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي

اي قيام الساعة

العربي الموعود في كتبهم فاذا تتلى القرآن عليهم خروا سجدا تعظيما لامره بقوله ان
الذين اوتوا العلم وهو في معنى التعليل لآمنوا به او لا تؤمنوا به اي لانهم اعطوا
عليه كتابهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب من قبله اي قبل القران وقبل محمد عم
اذا يتلى عليهم اي يعرض عليهم القرآن فيعرفونه يخرون اي يسقطون
للاذقان اي على الوجوه فاللام بمعنى على او المعنى يجعلون يخرون مختصا باذقا
فاللام للاختصاص وخصت الاذقان بالذكر لانها اقرب شيء من الوجه الى
الارض وهي جمع ذقن والذقن ملتقى اللحيين سجدا اي ساجدين شكرا لله
ويقولون في السجود سبحان ربنا اي ننزهه تنزيها من الشرك ومن كل نقص
في وحدانيته ان كان اي ان الشان وعد ربنا اي الذي وعد بان يبعث
محمدا نبيا من العرب لمفعولا اي لكائنا حقا ويخرون اي ويسقطون للاذقان
اي على وجوههم يبكون نصب على الحال من ضمير يخرون ويزيدهم نزول القرآن
خشوعا اي خضوعا لربهم قال عم لا يلج النار من بكى من خشية الله تعالى وكرر الخرور
للاذقان لاختلاف الحالين حال السجود وحال البكاء قوله قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن نزل حين قال اهل الكتاب انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التورية
هذا الاسم فقال تعالى قل يا محمد سموا ربكم الله او سموه الرحمن فالدعاء بمعنى التسمية
لا بمعنى النداء والا يلزم تعدد الالهة ويجوز ان يكون نصب الله والرحمن على نزع
الخافض تقديره نادوا ربكم بالله او بالرحمن فلا يلزم ذلك الدعاء ان يتعدى الى
مفعولين مثل دعوته زيدا او قد يذكر احدهما ويترك الآخر استغناء عنه نحو دعوت
زيدا اي سميته زيدا واو فيه للتخيير وقيل نزل حين قال ابو جهل ينهانا محمد عن
آلهتنا وهو يدعو الهين فقال تعالى ايا ما تدعوا اي هذين الاسمين سميتم او ذكرتم
فله اي فليسمى هذين الاسماء الحسنى اي الصفات العلى فهذان الاسمان منها
فيكونان حسنين وايا كلمة استفهام وشرط عمل فيها تدعوا لاقتضاء مفعولا وما
زائدة لتاكيد الابهام في اي وتدعوا مجزوم باي لانه شرط جازم يقتضي جزاء وقوله
فله جزاؤه والضمير فيه يرجع الى مسمى هذين الاسمين وهو ذاته تعالى لان التسمية
للذات لا للاسم والاصل ايا ما تدعوا منهما فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الا
سماء الحسنى ومعنى كونه احسن الاسماء انهما مستقلة بمعاني التحميد والتقديس
والتعظيم قيل كان المشركون اذا سمعوا اذكار رسول الله صلى الله عليه وسلم
او قرآنه في الصلوة لغوا وسبوا لانه كان يرفع صوته فامر بالخفض بقوله ولا تجهر
بصلوتك اي بقراءتك في صلوتك ولا تخافت بها اي ولا تخافتها عن اصحابك

لينتفعوا

لتستفعوا بقراءتك وابتغ اي واطلب بين ذلك اي بين فعلك من الرفع والخفض
سبيلا اي طريقا وسطا بان يجهر لصلوة الليل وتخافت لصلوة النهار
وقيل بمعنى بصلوتك بدعائك لان الصلوة تستعمل بمعنى الدعا وقيل الآية
نسخت بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله امر للنبي عم بان يحمد
الله على وحدانيته لانه المنعم لكل نعمة ظاهرة وباطنة لا غير ثم وصفه بقوله
الذي لم يتخذ ولدا اذ لا جنس له ولم يكن له شريك في الملك اذ لا مثل له فيعانه
في عظمته ولم يكن له ولي اي ناصر ينصره من الذل اي من ان يعرض له المذلة
لانه منزه عنه فلا يحتاج الى الناصر قيل كيف لاق هذا الوصف النافي
للاشياء المذكورة بكلمة التحميد اجيب بان الموصوف به هو الواحد
القادر على ايلاء كل نعمة فهو المستحق لكل حمد فحمده وكبره تكبيرا اي بالغ
في تعظيمه على قدر معرفتك فنزهه كما نزه نفسه عن اتخاذ الاولاد
والشريك والولي من الذل قال النبي صلى الله عليه وسلم اول ما يدعى
الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقال عليه السلام
ان افضل الدعاء الحمد لله وافضل الذكر لا اله الا الله وقال النبي عليه
السلام احب الكلام الى الله تعالى اربع لا اله الا الله والله اكبر وسبحان
الله والحمد لله لا يضرك بايهن بدأت روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رجل كثير الدين كثير الهم فقال عم
له اقرأ آخر بني اسرائيل قل ادعوا الله حتى تختم ثم قل توكلت على الحي الذي
لا يموت ثلث مرات وهذه الآية تسمى آية العزة يعلمها الصغير اذا افصح
من بني اسرائيل عبد المطلب تمت الجلد الاول من تفسير العيون للشيخ شهاب الدين السهروردي
[illegible] رحمة الله عليه رحمة واسعة بعون الله تعالى
وحسن توفيقه ورزق لنا توفيقه وهدايته وانا الفقير
الحقير الحاج سليم بن سليمان عن قصبة ديو بنجه اللهم
اغفر لي ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات بحرمة نبيك
وآله الامجاد وقد وقع التحرير في شهر رجب المرجب لسنة
احدى وثمانين والف من الهجرة من النبي والشرف فلله الحمد والمنة

النداء ص